سلسلة علم الاجتماع المعاصر
الكتاب الثانى والعشرون

علم الفولكلور

الجزء الثانى
دراسة المعتقدات الشعبية

دكتور/ محمد الجوهرى
استاذ علم الاجتماع
نائب رئيس جامعة القاهرة

١٩٩٠

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت : ٤٨٣٠١٦٣

سلسلة علم الاجتماع المعاصر
الكتاب الثاني والعشرون

علم الفولكلور

الجزء الثاني

دراسة المعتقدات الشعبية

تأليف
الدكتور محمد الجوهري
استاذ ورئيس قسم الاجتماع
ووكيل كلية الآداب – جامعة القاهرة

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - إسكندرية
ت ٤٨٣٠١٦٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الاهـــداء

الى ابنتي هنـــاء ..

امود فاهـــدى اليهـــا هذا الجـــزء
من كتـــاب علم الفولكـــلور ...

والى روح الاستاذ احمد رشدى صالح ..
المعـــلم والصـــديق
تحية عرفان ووفاء ..

محمد الجوهرى

محتويات الكتاب

صفحة

الباب الاول

دراسة الاولياء

الموضـــــوع | صفحة

الموضـــــوع صفحة

الباب الثانى

دراسة المعتقدات والممارسات السحرية ١٦٣

الموضـــــوع	صفحة

الموضـــــوع | صفحة

الموضـــــوع	صفحة

الباب الرابع

الموضـــــوع	صفحة

صفحة	الموضـــــوع

الموضـــــوع صفحة

الباب السادس

دراسة المعتقدات المتعلقة بالعناصر الطبيعية

مقـــدمة

فى عام ١٩٦٠ بدأ اشتغال كاتب هذه السطور اشتغالا منظما بعـــلم الفولكلور ، وفى عام ١٩٧٥ صدر الجزء الأول من هذا الكتاب الذى يقدم الأسس النظرية والمنهجية لهذا العلم • وفى مطلع عام ١٩٨١ يشاء الله أن أقدم الجزء الثانى من هذا الكتاب ، وبه أبدأ دراسة ميادين التراث الشعبى الرئيسية ، عن دراسة المعتقدات الشعبية •

وأعترف أن صدور هذا الجزء قد تأخر كثيرا عن الموعد الذى كنت قد حددته له ، ولكن مثل هذه الأعمال الكبيرة تفرض على نفسها ، وتفرض عليها التقاليد العلمية ، بعض القيود والمواصفات التى قد تمثل فى بعض الأحيان تحديا كبيرا لجهود الباحث الفرد ، مهما كانت طاقته وقدراته • ولكنى أحمد الله ، وأعد القارىء أن تصدر الأجزاء الثلاثة الباقية بفواصل زمنية أقل ، بحيث تكتمل كل أجزاء الكتاب قبل نهاية العقد التاسع من هذا القرن •

وقد بدأ العمـــل بالفعل فى الجزء الثالث من دراســـة العادات والتقاليد الشعبية ، وسوف يظهر باذن الله فى طبعته الأولى مع ظهور الطبعة الرابعة المنقحة والمزيدة من الجزء الأول من هذا الكتاب •

وأخيرا فانى أدعو الله أن ينفع بهذا الجزء كما نفع بسابقه •

والله ولى التوفيق ••

محمـــد الجوهرى

الفصل الأول (تمهيدى)

حول خطة علمية لدراسة المعتقدات الشعبية

الفصل الأول

(تمهيـــدى)

حول خطة علمية لدراسة المعتقدات الشعبية

أولا ــ خصائص المعتقدات والمعــارف الشعبية :

أوضحنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب(1) أن صفة « الشعبية » هنا تدل على ما تدل عليه فى عبارة « الأغانى الشعبية » أو « العــادات الشعبية » الخ ، أى أننا نقصد المعتقدات التى يؤمن بها الشعب فيمـا يتعلق بالعالم الخارجى والعالم فوق الطبيعى • وليس من الأمور ذات الأهمية الرئيسية ــ مع أننا نوليها عنايتنا عند الدراسة وفى التحليل ــ ما اذا كانت هذه المعتقدات قد نبعت من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أو الرؤية أو الالهام ، أو أنها كانت أصلا معتقــدات دينية ــ اسلامية أو مسيحية أو غير ذلك ــ ثم تحولت فى صدور الناس الى أشكال أخرى جديدة بفعل التراث القديم الكامن على مدى الأجيال ، فلم تعد بذلك معتقدات دينية رســمية بالمعنى الصحيح ، أى أنهـا لا تحظى بقبول واقرار رجال الدين الرسميين • وقد كان الشـــائع أن يطلق عليها فى الماضى اسما ينطوى على حكم قيمى واضح ، اذ كانت تسمى خرافات أو خزعبلات(2) • ومن الواضح أن هذه التسمية كانت صادرة من رجال الدين الرسمى ، ســواء فى الخارج أو عندنا • لأن المعتقدات التى تدور حول هذه الموضوعات الغيبية ، ولا تتفق وتعاليم الدين الرسمى ، لا تستحق من وجهة نظر أصحاب هذا الدين اســم « معتقدات » • فكانت تسمى بهذا الاســم الخاطىء الذى تخلينا عنه اليوم كلية •

---

(1) محمد الجوهرى ، علم الفولكلور : الجزء الأول : الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، من ص ٦٢ ــ ٦٥

(2) كذلك الحال فى اللغات الأجنبية : فى الانجليزية حيث كان يطلق عليها اسم Superstitions ثم اصبحت تسمى Folk Beliefs وفى الألمانية كانت تسمى أيضا Aberglaube (أى خرافات) ثم تخلى الباحثون عن هذه التسمية واصبحت تسمى الآن Volksglaube أيضا . وهكذا .

وتتميز المعتقدات الشعبية ببعض الخصائص التى تميزها عن سائر الأنواع الشعبية الأخرى ، « فاللغة الشعبية » تنطق ، وتكتب ، وتتطلب وجود شريك ليتم معه حديث ومجتمع يتفق على رموز هذه اللغة ، كذلك الزى الشعبى ، أو الحلى وأدوات الزينة كلها تستمد قيمتها من اظهارها للناس واعلانها ، والعادات الشعبية لابد أن تمارس، فتظهر بالضرورة على الملأ •• أما المعتقدات الشعبية — فهى على خلاف هذه العناصر الشعبية — أصعبها كلها فى التناول وأشقها فى الدراسة والبحث ، لأنها خبيئة فى صدور الناس ، وهى لا تلقن من الآخرين ، ولكنها تختمر فى صدور أصحابها وتتشكل بصورة — مبالغ فيها أو مخففة — يلعب فيها الخيال الفردى دوره ليعطيها طابعا خاصا • وهى مع تمكنها فى أعماق النفس الانسانية موجودة فى كل مكان سواء عند الريفيين أو الحضر ، عند غير المثقفين كما عند الذين بلغوا مرتبة عالية من العلم والثقافة ، وصاروا يخضعون فى حياتهم وفكرهم للأسلوب العلمى • وهذه الحقيقة الأخيرة جديدة نسبيا على البحث العلمى ، حيث كان أبناء القرن التاسع عشر يعتبرون أن التفكير قبل المنطقى خاصية مميزة لطبقات معينة ، هى الطبقات الدنيا أو الشعبية ، على حين أن الطبقات العليا أو حملة الثقافة الراقية يتميزون بتفكير منطقى خالص ، أى أنه لا يعرف المعتقدات الشعبية • ولكن كما قلت أنه ثبت منذ نهاية الربع الأول من القرن العشرين فساد هذا الرأى ، وأن المعتقدات الشعبية موجودة — ولكن بدرجات متفاوتة بالطبع — فى كافة الطبقات وعلى كافة المستويات •

ومن الخصائص المميزة للمعتقدات الشعبية أننا نصادف فى هذا المجال — أكثر من أى ميدان آخر من ميادين التراث الشعبى — ما يعرفه بالأفكار أو المواقف الانسانية العامة ، أو ما يعرف بالأفكار الاساسية(٣)

---

(٣) الفكرة الاساسية Elementargedanke فى رأى باستيان Bastian هى أن شكلا من اشكال الفكر شائع بين الناس ، او يمكن ان ينشأ آليا وبشكل مستقل عن افكار اخرى مشابهة فى بيئات ثقافية اخرى ، وذلك بسبب الوحدة النفسية بين البشر . وقد صاغ باستيان هذا المصطلح فى عام =

على حين نجد أن العادة الشعبية ، كالاحتفال ببداية العام أو بمناسبة من المناسبات ، مهمـا كانت بدائيتها وبساطتها تحمـل بصمات شعب معين ، وتعبر عن شخصيته . العـادة دائما بنت شعب معين ، ومنطقة معينة ، وتراث تاريخى معين .

ومن المعتقدات التى تربطها أكثر من رابطة قرابة نوعية — وان كانت مستقلة من حيث نشأتها — تلك الأفكار والأحاسيس التى تحرك الناس ازاء الظواهر الطبيعية العادية والشاذة ، كتصورات الناس عن الزلازل ، والبرق ، والخسوف ، والشهب .. الخ وكذلك تصورات الناس عن أسرار بعض الظواهر الفيزيقية والنفسية : كالأحـلام ، والنوم ، والميلاد ، والموت ، ورؤية المستقبل بأنواعها ووسائلها المختلفة. وهناك شواهد عديدة على كثير من أوجه التناظر بين المعتقدات الدائرة حول الروح وأشكالها . وحول قوة الحياة أو مبدأ الحياة وعن أماكن تواجدها فى الجسـم الانسـانى (كالرأس ، والجمجمة ، والقلب ، والقـدمين ، واليدين ، ورفات الجسـد ، والدم ، واللعـاب ، وقلامة

= ١٨٦٠ ، الا ان فيلهلم جـريم W. Grimm كان قد عبر عن الفكرة نفسها قبل ذلك بأربع سـنوات . وكتب يقول فى مقدمة المجلد الثالث من كتاب « حكايات البيت والأطفال » : « هناك بعض الظروف التى تبلغ حدا من البساطة والطبيعية يجعلها تتكرر فى كل مكان . كما أن هناك أفكارا تنبثق من تلقاء نفسها » . وقد قدم لنا بواس Boas — الذى كان على دراية طيبة بنظريات باستيان — عرضا مختصرا وواضحا لمفهوم الفكرة الأساسية قال فيه : « ان من شأن تصنيف التجربة — كما تتضـح بصفة خاصة فى انفصال الشىء والصفة واعادة تجسيد الصفات ، ان يؤدى على الفور الى اشكال فكرية عامة تعد تعبيرا عن العمليات العقلية نفسها برغم تنوعهـا الشكلى . ويندرج تحت هذه الفئة أيضا الظهور العام للاختراعات والمعرفة الموضوعية عن العالم ونتاج العمل البدنى والمعرفة الميتافيزيقية الراجعة الى مناهج التصنيف والمعرفة الدينية القائمة على استجابة الانسـان العاطفية للقوى التى تتحكم فيه ، والتى يتحكم هو فيهـا وتقنين الأسلوب الفنى ، واخيرا الأخلاق » .

قارن : ايكه هولتكرانس ، قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور ، ترجمة الدكتورين محمـد الجوهرى وحسن الشـامى ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ص ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

الأظافر ، والخلاص « خلاص الوليد » •• الخ) • فهذه الظواهر جميعا مما يمكن أن نطلق عليه اسم « النظائر الثقافية » ، وأعنى بها ظواهر ثقافية متشابهة توجد فى مختلف أجزاء العالم ، وهى لا ترجع كلها بالطبع الى النمو المتوازى Parallel Development ، وانما ترجع كذلك الى بعض العمليات الثقافية الأخرى كالتقارب والانتشار[٤] • كما نصادف الأرواح ، والشياطين ، والقديسين ، والفتش Fetische عند معظم الشعوب تحت أسماء مختلفة ، ولكن جوهرها وطبيعتها واحدة ، أو شديدة التشابه ، وكذلك الطلسم ، والحجاب •• الخ • كما يندرج تحت تلك الفئة العامة من المعتقدات المفاهيم والتعاليم المتعلقة بالتحاشى (كالتابو) ونقل القوة المقدسة عن طريق الملامسة ، أو الارتباط أو غير ذلك ، (ويمكن أن نعثر على كثير من هذه النظائر فى ميدان الطب الشعبى) •

ويتوسل الانسان الى القوى العليا ، كالآلهة أو الشياطين أو الفتش Fetische عن طريق الصلاة ، كما يسترضيها بواسطة الأضاحى والقرابين ، ويتوسل اليها بالنذور والحج والزيارة ، ويستعين بها للحصول على البركة ولتحقيق أغراضه من العمليات السحرية التى يمارسها • ويعرف التراث السحرى آلاف الصيغ والدعوات للعن القوى الشريرة أو استرضاء القوى الخيرة واستعدائها على الشر •

كذلك تستخدم الأحجار ، والنباتات ، والحيوانات ، والنجوم والأشكال ، والصور ، والكلمات ، والتراتيل ، والأفعال فى هذا الصدد للتأثير — فوق الطبيعى — على تلك القوى فوق الطبيعية ، واخضاعها لارادة الانسان أو اتقاء شرها •

---

(٤) انظر مادة النظائر الثقافية Cultural Parallels فى قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور ، ص ص ٣٤٩ — ٣٥٠ •

وأثبتت علوم التاريخ القديم ، والأديان المقارنة والأنثروبولوجيا وغيرها أن « العذرية » كثيرا ما تكون فى معتقـدات وطقوس جميـع الشعوب تقريبا شرطا أساسيا قبل الاقدام على بعض الأفعـال الدينية والسحرية(٥) • ويصدق نفس الكلام على معظم الشروط والاجراءات الأخرى التى تتطلبها أو تحبذها الطقوس والأعمال السحرية المختلفة ، كالصمت ، والصوم ، وخلو المعدة من الطعام ، والعرى ، الخ(٦) • •

أما أكثر العناصر الاعتقادية الشعبية انتشارا سواء فى المـاضى والحاضر ، فى العالم القديم والجديد ، عند الشعوب البدائية والمتقدمة فهى أساليب التنبؤ بالمستقبل ومحاولة استطلاع الغيب (الكهانة ، والتنبؤ ، التفاؤل والتشاؤم •• الخ) • والملاحظ أننا نصف كثيرا من هذه المعتقدات الشعبية بأنها لا تاريخية ، بمعنى أنها لا تنتسب الى مرحلة تاريخية معينة أو أنها من صنع فرد بعينه ، على نحو ماننظر الى بعض منتجات الفن الشعبى ، التى توصف بهـذه السمة أيضـا • ولكن رغم هذه الحقيقة العامة الا أننا يجب أن نطرح على أنفسنا فى كل مرة نتصدى فيها لدراسة موضوع من موضوعات المعتقدات الشعبية سـؤالا عن تاريخها ، وعن ظروف العصر الذى ظهرت فيه ، والمؤثرات التاريخية التى عدلت فيها ••• الخ ذلك من مشـكلات التحليل التاريخى • ففى معتقداتنا الشعبية شرائح من هذا النوع الانسانى العام (اللاتاريخى) ،

---

(5) Vrgl. O. Erich und R. Beitl (hrgs) Worterbuch der deutschen Volkskunde; Alfred Kroner Varlag; Suttgart; 1955; pp. 795-799. bes p. 797.

(٦) تناولنـا هذا الموضوع بالتفصيل فى الفصـل الثالث من رسـالتنا للدكتوراة ، انظر :

Mohamed El Gawhary: Die Cottesnamen im magischen Gebrauch in den al-Buni zugeschriebenen Werken; Dissertation. Bonn; 1968.

رسالة دكتوراة منشورة . ويتنـاول الفصـل المذكور شروط الممارسة السحرية واركانها .

وشرائح من الحضارة الفرعونية . وأخرى من الحضـــارة القبطية ، وغيرها من الحضارة الاسلامية . وغيرها من حضارات الشعوب الأخـــرى التى اختلط بها المصريون على طول تاريخهم (كالعبريين . والفرس .. الخ) . وهو موضوع تناولناه بشىء من التفصيل فى الفصـــل التاسع من الكتاب الأول .

ثانيا ــ الطابع المصرى لهذه المعتقدات :

سيلاحظ القارىء أن أغلب المعتقدات التى نتعرض لها فى هـذا الكتاب ارث مصرى مشترك ، يؤمن به الشعب على اختلاف فئاته وبيئاته، بل وعلى اختــلاف أديانه أحيانا رغم تعــارض أكثر تلك المعتقدات ــ خاصة فى تفاصيلها ــ مع العقائد السماوية • فنجد المسيحيين يتخذون بعض معتقدات المسلمين الشعبية ، والعكس أيضا • اذ ترى بعض المسلمين يشعلون شمعة فى كنيسة مار جرجس بمصر القديمة (القاهرة) أو سانت تريز بشبرا أو يشاركون فى مولد أحد القديسين• وتجد مسيحيا يوزع الفول النابت عند مسجد السيدة زينب أو الحسين وفاء لنذر ، كما قد يشارك مشاركة كاملة فى احتفالات مولد أحد الأولياء المسلمين كالسيد البدوى (فى طنطا) •

وقد لفتتت تلك الظاهرة نظر وليم لين ، فكتب يقول : « وهناك ظاهرة غريبة فى خلق المصريين وغيرهم من الشرقيين ، وهى أن المسلمين والمسيحيين واليهود يتخذون خرافات بعضهم بعضــا ، بينما يمقتون العقائد الأصلية»(٧)• ويشير الى أن المسلمين قد يستخدمون عند المرض قسس النصارى واليهود للدعاء لهم • وكذلك النصارى واليهود يدعون الأولياء المسلمين للغرض نفسه • ومن المألوف أن ترى المسيحيين يترددون على الأولياء (الأحياء) ، فيقبلون أياديهم ، ويسألونهم الدعاء والنصح ، ويجزلون لهم المــال والعطايا(٨) •

وان دلتنا هذه الظاهرة على شىء فانها تدلنا على أن أغلب المعتقدات

---

(٧) وليم لين ، المصريون المحدثون ، عاداتهم وشمائلهم ، ترجمة عدلى طاهر نور ، الطبعة الثــانية ، القاهرة ، دار نشر الجامعــات ، ١٩٧٥ ، ص ٢٠٧ .

(٨) المرجع نفسه ، نفس الصفحة .

الشعبية التى سنعرض لها تستمد جذورها من مصادر أقدم من الدين الرسمى (مسيحية أو يهودية أو اسلامية) وأسبق عليه فى الوجود • وأنه اذا بدا لنا أن بعض هذه المعتقدات يتفق — فى بعض جزئياته العارضة — مع مبادىء الدين ، فان هذا الاتفاق انما هو ثمرة عملية تكيف أو مواءمة متعمدة لجأت اليها العقلية الشعبية كى تضمن للمعتقد الشعبى (ذى الأصل السابق على الدين أو قل ذى الاصل الوثنى) البقاء وسط بيئة الدين الجديد ويضمن له اقرار رجال هـذا الدين • ولكنه فى حقيقته وجوهره ما زال تعبيرا عن عنصر أقدم فى شخصية هذا الشعب • ومن هنا لا يشعر ابن أحد الأديان بحساسية كبيرة أو غضاضة واضـحة فى ممارسة أحد معتقدات أبناء دين آخر • لأن المعتقد فى ذاته انمـا يستجيب لعنصر أصيل كامن فى شخصية هذا الانسان البسيط الذى لم يدرك من تعاليم دينه سوى القشور أو الظواهر السطحية والاسمية فقـط •

ومن الطبيعى — انطلاقا من هذه المقدمات — أنه كلما ازداد حظ الانسان من الثقافة الدينية الحقيقية كلما تردد فى التسليم بتلك المعتقدات الشعبية ، وكلما ازداد بالتالى وعيا بالفروق بينه وبين أتباع الأديان الأخرى • ولذلك تكاد تنحصر تلك الظواهر التى نتحدث عنهـا — أقصد ممارسة معتقدات الأديان لبعضـها — بين القطاعات الشعبية الدنيا التى يمكن أن نقول فى حقها أنها هى القطاعات الأكثر بعدا عن التفقه فى أمور دينها •

ثالثا ــ المعتقدات الشعبية والدين :

من ا لمؤكد أن النقطة السابقة دفعت ــ وما زالت ــ رجال الدين الى اتخــاذ مواقف معينــة من المعتقدات الشعبية • لأن مثــل هؤلاء المتخصصين فى دراســة الدين يدركون فى أغلب الأحيــان مدى عمق التعارض بين الموقف الأساسى للعقيدة الدينية التى يعرفونها ويؤمنون بها وبين الموقف الأساسى الذى تنهض عليه تلك المعتقدات الشعبية • ثم هم فوق هذا يدركون ــ ربما أكثر من غيرهم ــ مدى تأصل وترسخ تلك المعتقدات فى صدور الناس ، خاصة القطاعات الشعبية • وان كان يزعجهم بدرجة أشد ، أن يجدوا لها بعض الرواسب والمكونات فى فكر وســلوك الطبقات المتعلمة ، أو القطاعات الأعلى فى المجتمع على نحــو ما أوضحنا •

ولهذا السبب كانت المعتقدات الشعبية هدفا دائما لحملات رجال الدين ، كما هى أيضا هدف لحملات مفكرى التنوير وباعثى النهضات • وذلك لأن هؤلاء وأولئك يتصورونها عقبة فى سبيل تحقيقهم لرسالاتهم • وقد حاولنا على امتداد معالجتنا للمعتقدات فى هــذا الكتاب أن نلتزم أسلوبا موضوعيا علميا ، ونتجنب الانزلاق الى مهاجمة أو تأكيد هذا الموقف الاعتقادى أو ذاك • وسأضرب على ذلك أمثلة واضحة •

سوف يلمس القارىء بوضوح فساد بعض المعتقدات والاتجاهات والآراء والتصورات فسادا منطقيا أو علميا • كما قد يبدو للخاصــة أحيانا تناقضها مع تعاليم الدين الصحيح • ومع ذلك فلسنا بحاجة الى أن نؤكد قبل كل عبارة من هذا النوع أن « ذلك حسب زعمهم » ، أو «فى تصورهم» •• الخ تلك العبارات التى تبرىء مؤلف الكتاب من شبهة أن يكون مشــاركا لهؤلاء الناس فى بعض المعتقــدات « الوثنية » أو « الخاطئة » • فهذا الاهتمام فى الحقيقة لم نفكر فى احتمال توجيهه الينا ، لأننا من قبل ومن بعد انما نجرى دراسة فى الثقافة الشعبية لبعض قطاعات المجتمع عندنا أو عند غيرنا من الناس ، ولا نعبر فى أى موضع

عن معتقد شخصي أو وجهة نظر خاصة أو فكرة نؤمن بها • الا اذا نص على ذلك صراحة فى موضعه وبوضوح • فلا ينتظر منا القارىء أبدا أن نتحفظ عند كل عبارة نوردها ، والا لامتلأ الكتاب بالتحفظات وعبارات التحذير والذم والادانة • وهو أمر نبرىء منه هـذا البحث العلمى الذى نقدمه للقارىء •

ويرتبط بهذه القضية مشكلة أخرى خاصة بالأحاديث وحكايات الصحابة التى يسـوقها مؤلفو الكتب الشعبية التى رجعنا اليهـا أو يسوقها الرواة بالنسبة للروايات الشفاهية • فنحن لم نبذل أى جهـد لتحقيقها أو التثبت من صحتها ، وذلك كى نوفر على أنفسنا الدخول فى مناقشات وخلافات فقهية ، فذلك أبعد ما يكون عن اهتمام الكتاب •

لأنه ليس مدار البحث هو معرفة وجهة نظر الدين الصحيح ، انما الأصل هو معرفة التصـور الشعبى ومحاولة الانسـان الشعبى اضفاء طابع اسلامى على تصوراته انما يعكس مدى عمق هذا التصور فى نفس صـاحبه ، كما يشـير الى اختلافه أحيانا عن وجهة النظر الاسلامية الصحيحة ومحاولة العقلية الشعبية تقريبه الى الاسـلام أو اضفاء الصبغة الاسلامية عليه • كما أن تلك الشواهد الاسـلامية يقدمها أحيانا مؤلفو الكتب والمخطوطات الشعبية لتيسير تقبلها عنـد الناس والتمكين لها فى عقولهم وقلوبهم •

المهم أن القارىء ينبغى ألا ينتظر منا أن نتخذ موقفا من تلك الشواهد الدينية لتمحيصها من أجل تأييدها أو رفضها • وكل ما يمكن أن نطالب به هو أن ننسبها الى المصدر الذى أخذت عنه ، والعـهدة على صاحب الرواية كاتبا أو راويا •

رابعا — طبيعة الشواهد والنماذج المستخدمة فى هذا الكتاب :

سبق أن أكدنا فى الجزء الأول من هذا الكتاب على أن المعلومة التى يثبتها الباحث فى علم الفولكلور لا قيمة لها ان لم ينسبها الى المصدر الذى أخذت منه والمكان الذى جمعت فيه وتصدق عليه والزمن الذى ترددت فيه أو نقلت عنه .. الخ(٩) .

وسوف يلمس القارىء لهذا المجلد الثانى أن هناك العديد من المعلومات الفولكلورية التى جاءت دون هذا الاسناد المتنوع لأعماقها التاريخية والجغرافية .. الخ . وليس يعنى ذلك بحال من الأحوال أننا نتخلى عن القواعد التى نحض زملاءنا وتلاميذنا على الالتزام بها . وانما ترجع هذه الظاهرة الى الطبيعة الخاصة للكتاب الذى بين أيدينا . فنحن لسنا بصدد تقديم تقرير عن دراسة ميدانية ، أو كتابة بحث حول موضوع واحد جمع وفق خطة واحدة يصف ظاهرة معينة . وانما نحن بصدد مدخل الى الموضوع نريد أن نبين للقارىء — دارسا أو باحثا — أن هذا الموضوع أو ذاك يمثل محورا لعدد من المعتقدات أو الممارسات الشعبية . والسبيل الى ذلك هو تقديم عدد من الشواهد التى توضح هذا أو تدل عليه .

وليس بلازم فى رأينا — ولا هو ممكن — أن نستقى كافة شواهدنا من دراسات ميدانية على الواقع المصرى أو غيره من واقع البلاد العربية (فان فعلنا لكان واجبا علينا أن نلتزم أصول الدراسة الميدانية ونطبق قواعدها التى حددناها) . ولكن أمامنا عوضا عن هذا تراثا هائلا من معتقدات الشعوب وممارساتهم التقليدية نستطيع أن نستمد منها شواهدنا ونختار منها أمثلتنا . **والهدف فى كل تلك الأحوال ليس أن**

---

(٩) لمزيد من التفصيل انظر الباب الخاص بالدراسة الميدانية فى :
محمد الجوهرى ، علم الفولكلور . الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

نزيد القارىء العربى معرفة بتراث بلاد أجنبية أو حضارات درست ، وانما الهدف الأكيد أن نضرب الأمثال واضحة فتكون هذه الشواهد بمثابة نقاط لتفتيح الموضوع أمام القارىء الباحث ، تأخذ بيده وتلفت نظره وتوجهه وتيسر ما قد يبدو كلاما مجردا عسير الادراك • بهذا الفهم يجب أن ننظر الى الشواهد التى يضمها هذا الكتاب من ثقافات غير عربية أو غير معاصرة • وان كنا قد حاولنا ما وسعنا الجهد أن نقدم أكبر قدر من الشواهد العربية سواء كانت مستقاة من دراسات ميدانية ــ لنا أو لغيرنا ــ ومن مدونات عربية •

وليكن رائدنا فى كل ذلك أن وحدة الثقافة الانسانية حقيقة نحن أول من يؤمن بها ويقيم الدليل عليها ، وأن ثقافات الشعوب المختلفة كالأوانى المستطرقة تؤدى كل منها الى الباقيات وتأخذ عنها فى نفس الوقت •• الثقافة الانسانية أخذ وعطاء ، فتراث زنوج أفريقيا السوداء حى فى الأمريكتين ، والتراث الأوروبى يمشى بيننا فى بعض بلادنا العربية ، وموتيفات آسيوية صفراء تعيش فى الجزيرة العربية ••• الخ •

ولكننا نؤكد لقارئنا العربى فى النهاية أن ثراء هذه الشواهد وتنوعها ليس هدفا من أهداف الدراسة ، ولكنه كما أوضحنا نتيجة ضرورية لملابسات الدراسة العلمية لتراثنا الشعبى ومبلغ تقدمها • لأن هدفنا الأول والأوحد هو التصدى ــ فى ضوء هذا المدخل ــ لدراسة تراثنا الشعبى العربى وفهم أبعاده ومكوناته •

أما فيما يتعلق بالشواهد المحلية (عربية أو مصرية) فقد انقسمت بطبيعة الحال الى نوعين أساسيين : نوع مستمد من مشاهدات واقعية ودراسات ميدانية ، ونوع مستمد من كتب التراث الشعبية وغير الشعبية • ولا يخفى أن بعض الدراسات والكتابات الفولكلورية الحديثة قد لا تضم بيانات دقيقة عن مصدر المعلومة ومكانها وزمانها •• الخ • حسب ما تقضى به قواعد الدراسة العلمية • كما أن كتب التراث قد لا تضم شواهد عن المكان أو المصدر أو الزمان بالتحديد •

ولكن ذلك لا يقلل فى رأينا من قيمة هذه الشواهد • ذلك لأننا بصدد تقديم عرض متكامل قدر الامكان للمعـالم الرئيسية لتراثنـا الشعبى دون احاطة بكل التفاصيل • ونحن نعمل فى تأليف هذا الكتاب بأجزائه الخمس وفى ذهننـا أنه مجرد مرشـد أو حافز للباحثين لعله يوجههم الى اجراء دراسات بأنفسهم لدراسـة تراث مجتمعهم وثقافة شعبهم والوقوف عليها حسب قواعد المنهج العلمى فى دراسـة التراث الشعبى •

فلتـكن تلك الشواهد — أو قل الاشـارات — بأنواعها العالمية والمحليـة مجرد مثيرات ومحفـزات للباحث ، ولو فهمناها فى تلك الحدود ، لأعفينا أنفسنا من كثير من المشـكلات العلمية ، بالنظر الى مستوى البحث الراهن فى علم الفولكلور فى بلادنا •

خامسا — لماذا يتضارب التفسير الشعبى للظاهرة أحيانا ؟

من الملاحظات الملفتة للنظر والجديرة بالتأمل أن نفس الظاهرة يمكن أن تجد لها تفسيرين متضاربين فى المعتقد الشعبى ، أى تعنى شيئا أو عكسه تماما • كما نرى هنا أن تقليم الأظافر فى يوم معين يشفى آلام الأسنان أو يسببها • وتلك كما قلت ملاحظة عامة يمكن أن نلمسها فى عديد من الظواهر التى تقدم لنا المعتقدات الشعبية تفسيرا لها : فالتوائم قد تعد نذير شؤم وربما تعد أيضا فألا طيبا ومصدرا للقوة الجسمانية والروحية الفائقة ، ورؤية القطة السوداء فى الصباح قد تدعو صاحبها الى التفاؤل ولكنها يمكن أن تجعله يتشاءم أشد التشاؤم ، ويوم الجمعة هو أفضل الأيام ولكن به ساعة نحس ••• الخ من الشواهد التى لا نستطيع أن نحصرها لأنها تكاد تكون ظاهرة فى الغالب الأعم من المعتقدات الشعبية•

ولكن الأجدى أن نتساءل عن تفسير لهذا : كيف يمكن أن يعنى نفس الشىء التفاؤل والتشاؤم أو المرض والشفاء أو الخير والشر ؟ لعل أبرز وأقرب التفسيرات التى تقدمها كتب السحر وكذلك المشتغلون بالمعتقدات على نحو احترافى أن ذلك يتوقف على طالع الشخص نفسه الذى يجرى له ذلك الحادث أو تجرى عليه تلك الظاهرة ، حسب برجه ، وحسب اسمه ، وحسب أعماله ، بل حسب درجة تقواه ••• الخ ملابساته وظروفه الخاصة • فهى التى تحدد ما اذا كانت النتيجة أو الأثر سيكون فى هذا الاتجاه أو فى عكسه • وربما يدخل فى ذلك عدد آخر من المتغيرات (الموضوعية) أى التى لا دخل لصاحب المشكلة فيها : كالوقت الذى تتم فيه الظاهرة ، أو المشتركين فيها ان كانت تضم أطرافا آخرين ، أو المكان الذى تحدث فيه •• الخ ذلك من الظروف والملابسات التى تخرج عن خصائص الفرد الشخصية •

ولكن هناك دون شك تفسيرا لنسمه علميا أو هو تفسير موضوعى يمكن أن يقدمه الباحث العلمى من منطق الملاحظة الموضوعية لهذه

الظاهرة وظواهرها المشابهة ودون أن ندخل فى متاهات وصف العقلية الشعبية بالتناقض أو التضـارب أو انعـدام المنطق وغير ذلك من الصفات التى أطلقها عليها العالم الفرنسى ليفى برول •

ونحن نعرف من دراستنا لعالم الأشياء المقدسة فى الديانات المختلفة بدءا من التوتمية حتى بعض الديانات الراقية أن المقدس بطبيعته يمثل قمة النقاء ومصدر الخطر والرهبة ، وهو فى ذروة التقديس ولكنه فى نفس الوقت أشد الأشياء تحريما ، هو غاية ما يطمح الفرد العبد الى الوصول اليه والاندماج معه وأشـد ما يخشاه ويتجنبه أو يجب عليه عدم الخوض فيه أو الاقتراب الشديد منه • ونحن نعرف أن الأديان التوتمية قد حلت هذه المشكلة على نحو فريد ، حيث تسقط تلك المحرمات لفترة من الوقت ربما كل عام ، وربما من حين لآخر حسب ما تمليه بعض الظروف العـابرة أو الثابتة •• الخ فيبـاح للفرد العادى أن يتجاهل المحرمات ويسقط عن الأشياء المقدسة رهبتها لفترة ويحقق الفرد معها أقصى درجة الاتحاد والاندماج ، فان كانت حيوانا أو نباتا يأكله ، وان كانت حجرا يقبله ويلمسه •• الخ •

فالمقدس اذن هو بحكم وضعه وصفاته كيان مزدوج فى نظر المعتقد الشعبى على مدى العصور ، لكى يظل بعيدا عن العالم الدنيوى ولكن يظل يمثل فى الوقت نفسه حلما جاذبا للفرد يدعوه الى الاندماج فيه والاتحاد معه •

سادسا — خطة الكتاب :

لقد وضعت لهـذا الكتاب — أقصد الجزء الثاني — خطة محددة كى لا نتوه مع المادة الضخمة المتوفرة لدينا عن المعتقـدات الشعبية ، سواء المنشور منها فى دراسـات علمية سـابقة ، أو وارد فى المدونات بأنواعها المختلفة ، أو المستقى من دراستنا الميدانية ودراسات زملائنا وتلاميذنا حول الموضوع • فقد أردت له أن يكون بمثابة تقديم وتعريف بموضوعات المعتقدات الشعبية ، فلا هو مطالب بحصر كل الدراسات وتقديم كل المـادة ، ولا هو فى موقف يسمح له أن يقول الكلمة الأخيرة حول ميدان هام ومعقد وخصب كميدان المعتقدات الشعبية •

ولذلك كانت بداية التقـديم ومدخله الأسـاسى هى العـرض التاريخى لتراث هذا المعتقد أو ذاك ، والخطوط العريضة لتطوره سـواء على المستوى الانسانى العالمى ، أو على مستوى المجتمع المصرى حسب الأحوال • ثم يأتى التركيز بعد ذلك وفى المرحلة الثانية على ابراز الخطوط العريضة وبعض الملامح الرئيسية المميزة لهـذا النسق الاعتقادى فى مجتمعنا المصرى • وقد استفاد هذا الجزء فى كل باب من أبواب الكتاب من مادة المدونات ومن المـادة المستقاة من العمل الميدانى •

ومع ذلك فان الهدف البعيد لمثل هذا العمل يظل قائما لم يشـبع اشباعا كاملا ، لأنه انما يستهدف فى الحقيقة تشجيع الباحثين على طرق هذه الموضوعات وتناولها تناولا علميا وفق أحدث النظريات والمناهج وأساليب البحث المتبعة فى علم الفولكلور • وقد وضعنا لذلك أداة هامة هى « دليل العمـل الميدانى لجامعى التراث الشعبى » ضـمناه أبرز موضوعات الدراسة وأهم القضايا الجديرة بالملاحظة والتنقيب(١٠) • وقد مضى على صدور هذا الكتاب — دليل المعتقدات الشعبية — أكثر من

---

(١٠) انظر : الدراسـة العلمية للمعتقدات الشـعبية ، اشراف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الاولى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٨ •

عامين ، ونفــذت طبعته ، وافترضت أنه ليس متاحا لكافة مســتخدمى هذا الكتاب من الباحثين والطلاب • ولهذا لخصت فى فصل فى آخر كل باب أبرز رؤوس الموضوعات التى يحويها الدليل عند دراسـة كل ميدان من ميادين المعتقدات • وعلى هذا المنوال تقريبا سارت خطة كل باب من أبواب هذا الكتاب •

أما عن خطة تقسيم موضوعات المعتقدات فقد عرضت فى الجزء الأول من كتابنا (علم الفولكلور) تصنيفا للمعتقدات الشــعبية المصرية من تسعة عشر بندا ، على النحو التالى : —

١ — الأوليــاء •
٢ — الكائنات فوق الطبيعية •
٣ — الســحر •
٤ — الطب الشعبى •
٥ — الأحــلام •
٦ — حول الجسم الانسانى •
٧ — حول الحيوان •
٨ — النباتات •
٩ — الأحجار والمعادن •
١٠ — الأماكن •
١١ — الزمن •
١٢ — الأوائل والأواخر •
١٣ — الاتجاهات •
١٤ — الألوان •
١٥ — الأعــداد •
١٦ — الانطولوجيا •
١٧ — الروح •
١٨ — الطهــارة •

١٩ ـ النظرة الى العالم[11] .

ولم يكن من الممكن ، ولا من الضرورى أيضا ، أن يتضمن كتاب كهذا تسعة عشر بابا (داخل كل باب عدد من الفصول والملاحق) ، فذلك يحوله الى موسوعة ويخرج به عن طبيعته فى التعريف والتقديم . لذلك اخترت بعض الموضوعات ، هى فى الحقيقة أهم ميادين المعتقدات الشعبية ، تاركا الكتابة فى بقية الميادين لدراسات فرعية مستقلة أو مقالات تنشر فى زمان وأماكن أخرى .

وسيلاحظ القارىء أن هناك بعض موضوعات هذه القائمة قد أدمجت فى باب واحد ، بينما انفردت موضوعات أخرى ، بباب مستقل لكل منها ، والمعيار الوحيد هنا هو الاهمية النسبية ، ووفرة الدراسات ، وشمول الموضوع . فقد أفردنا لكل من الاولياء ، والسحر ، والاحلام ، والكائنات فوق الطبيعية ، والطب الشعبى بابا مستقلا . بينما تضمن باب واحد موضوعات المعتقدات المتعلقة بالحيوان ، وبالانسان ، وبالعناصر الطبيعية . وتضمن الكتاب فصلا مستقلا عن الزار لم يكن واردا فى تصنيفنا الذى سبق عرضه . وهو فى الحقيقة ميدان خاص يحوى عناصر من المعتقدات ، كما يحوى عناصر من الفنون الشعبية ، ولكنه أقرب الى المعتقدات وأدخل فيها على أى حال .

---

(١١) محمد الجوهرى ، علم الفولكلور ، الجزء الأول ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٦٥ .

وبعـــد :

فهذا كتاب يبحث فى موضوعات أغلبها يكتب فيه كتابة علمية للمرة الاولى باللغة العربية ، وجميعها كان وقفا على المستشرقين والاجانب •

ولاشك أن صدور هذا اللون من الدراسات قد يصدم مشاعر البعض ممن لا يملكون ناصية البحث العلمى فى العلوم الانسانية ، والذين مازالوا أسرى معتقداتهم التقليدية والقيود الفكرية التى فرضها عليهم أسـلوب بال من الفكر والحياة • أما أولئك الذين يطمحون الى تدبر حقيقة ثقافة مجتمعهم ، كمـا تتمثل فى معتقـدات القطاعات الشعبية والرواسب الاعتقادية حتى عند الخاصة ، فلاشك أنهم سيرحبون أكبر الترحيب بمثل هذه المحاولة ، وسيقدرون الجهد الذى بذله المؤلف لتخطى حواجز نفسية عديدة كانت تحول دون اقدام كثير من العلماء الاجتماعيين المصريين على دراسة هذه الموضوعات •

الباب الأول

دراســة الأوليــاء

الفصــل الأول : الأسس والمبادىء العامة .

الفصــل الثانى : الموالد .

الفصــل الثالث : تقارير خبرات ميدانية فى دراسة الأولياء .

الفصــل الرابع : دليل مختصر للدراسة الميدانية للأولياء .

الباب الأول

دراسة الأولياء

الفصل الأول

الأسس والمبادىء العامة

مقـــدمة :

الأولياء فى رأى المعتقد الشعبى هم بعض الصالحين الذين يتميزون بالتقوى عادة . ويظهرون من « الكرامات » ما يدل على جدارتهم بلقب الولاية هذا . والأولياء على خلاف بعض موضوعات المعتقد الشعبى الأخرى ـ كالأحلام مثلا ـ تتباين صورتها فى نفوس الشعب وممارستهم اليومية تباينا كبيرا عن صورتها فى العقيدة الدينية الصحيحة . فالأولياء من وجهة النظر الدينية ـ وبنص الكتاب الكريم ـ هم « الذين آمنوا وكانوا يتقون ، الذين كانوا فى حياتهم لله عبادا مخلصين ، لم يتجهوا بقلوبهم الى غير الله ، ولم يقفوا بباب أحد سواه ، ولم يرفعوا أكف الضراعة الا اليه . ولقد كانوا يدعون الناس الى هدى الله وشرعه »(١) . وانطلاقا من وجهة النظر هذه لايعرف الدين الاسلامى الصحيح شيئا يقال له « مقامات الأولياء » سوى ما يكون للمؤمنين المتقين عند ربهم من درجات . وانما يعرف كما يعرف الناس أن لهم قبورا ، وأن قبورهم كقبور سائر موتى المسلمين ، يحرم تشييدها وزخرفتها واقامة المقاصير عليها ، وتحرم الصلاة فيها واليها ، والطوف بها ، ومناجاة من فيها ، والتمسح بجدرانها ، وتقبيلها والتعلق بها ، ويحرم وضع أستار وعمائم عليها ، وايقاد شموع أو ثريات حولها . وكل ذلك ـ مما يتهافت الناس

---

(١) انظر محمود شلتوت ، الفتاوى ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

عليه ويتسابقون فى فعله على أنه قربة لله أو تكـريم للولى أو قربة وتكريم — خروج عن حدود الدين ، وارتكاب لما حرمه الله ورسوله فى العقيدة والعمل ، واضاعة للأموال فى غير فائدة ، وسبيل للتغرير بأرباب العقول الضعيفة ، واحتيال على سلب الأموال بالباطل »(٢) •

تلك اشارة سريعة تدلنا على مدي التباين بين التصور الشعبى للأولياء والتصور الدينى الصحيح لهم ولأسلوب التعامل معهم أحياء أو أمواتا • وقد قصدنا الى اثباتها فى صدر الحديث ، كى نتبين أن عرضنا للمعتقد الشعبى الشائع بين الناس يختلف الى هذا المدى البعيد عن المعتقد الرسمى •

وهناك فارق آخر متميز بين مكانة الأولياء فى الدين الاسلامى (أو عند المسلمين) ومكانتهم فى ديانات أخرى ، كالمسيحية مثلا • فالاسـلام لا يعرف عملية رسامة الولى أو القديس ، أى أنه ليس محتاجا الى ترخيص من جانب القائمين على الدين الرسمى لكى يكتسب مكانته • ومعنى ذلك أن كل الممارسات الدائرة فى مجال الأولياء لا تربطها بالدين صلة من شرع أو سنه • ولعل هذا الارتباط الوحيد الذى نراه قائما فى بعض الحالات ، حيث توجد قبور بعض الأولياء (خاصة المشاهير والكبار منهم) داخل المساجد أو بجوارها وعلى مقربة وثيقة منها • ولعل هذه الصلة المادية البسيطة تمثل فى نفوس أفراد الشعب صلة أعمق ورابطة أقوى ، لا ترى فارقا بين ممارسة الفريضة (داخل المسجد) وزيارة الولى والطواف بضريحه • فالشعب بذلك يدخل هذه الممارسات (الوثنية فى الحقيقة) فى دائرة الدين الرسمى ، ان لم يكن بشكل واع ، فعلى نحو تلقائى يعلو على أى شك أو مناقشة •

وهناك أعداد لا حصر لها من الأولياء ، يتدرجون الى فئات شتى ومستويات متباينة • وعلى رأس الجميع يأتى أهل البيت والصحابة •

---

(٢) المرجع السابق ، ص ص ١٦٧ — ١٦٨ •

ويأتى بعد تلك الفئة بمسافة بعيدة أصحاب أو مؤسسو الطرق الصوفية والمذاهب الاسلامية الرئيسية • وفى النهاية قاعدة ضخمة لا حصر لها من الأولياء المحليين الأقل شأنا ، والذين قد يسمون فقط المشايخ ، ونصادفه عددا منهم فى كل قرية ونجع من قرى مصر ، وفى كل ركن من أركان مدنها • وسبيل كل واحد من هؤلاء — خاصة الفئة الأخيرة — الى الشهرة والاحترام والتكريم هو ما يبديه من كرامات ، سواء فى أثناء حياته أو بعد مماته •

١ — الأولياء من النســاء :

ورغم أن تفكيرنا فى الأولياء ينصرف عادة الى الذكور منهم ، الا أننا سنرى بعد الدراسة والبحث أن هناك طائفة من الأولياء الاناث • وعلى رأس تلك الفئة أيضا تأتى بنات الرسول وسيدات البيت النبوى • وتشتهر فى القاهرة — على سبيل المثال — مقامات كل من السيدة زينب ، والسيدة سكينة ، والسيدة نفيسة • كما أن هناك شيخات محليات ، كن نسوة عاديات ، وأظهرن امارات الولاية — الكرامات — أثناء حياتهن أو بعد موتهن ، فأقام لهن أهل القرى المقامات ، ويحظين بموالد كبيرة مزدحمة حية • (انظر الفصل الثالث من هذا الباب عن « التقارير الميدانية » حيث يرد الحديث عن بعضهن) • وليس بوسعنا أن نحدد هنا نسبة معينة للشيخات الى المشايخ(٣) •

والجدير بالذكر هنا أن الأشجار المقدسة ، أو المزارات المقامة حول الأشجار ، تتخذ مظهر التقديس الذى يعطى للاناث ، فالشجرة فى العربية كما نعلم مؤنثة • ولذلك فان كل أساليب مخاطبتها ورجائها واستدعائها

---

(٣) حدد توفيق كنعان نسبة الأولياء الاناث الى مجموع الأولياء فى فلسطين بحوالى ١٣٪ • انظر :

Canaan; Taufiq; Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine; London; 1927; pp. 235 ff.

... الخ تتم فى صيغة المؤنث • وسنعود الى الكلام فيما بعد بشىء من التفصيل عن الاشجار المقدسة •

٣ — القطب :

ويعتقد أن القطب هو أعظم الأولياء الأحياء فى زمان معين وأعلاهم شأنا • وان كان البعض يرى أنه يحل فى بعض الأولياء فترة بعد أخرى • وهو يعد — على نحو ما — رئيس كل الأولياء فى زمانه • ويقول عنه وليم لين ان التصور الشعبى للقطب أنه كثيرا ما يظهر ، ولكنه لا يعرف ، وكذلك أتباعه ذوو السلطة • وهو يظهر دائما متواضعا رث الثياب • ولا يشتد فى مؤاخذة من يخالف الدين أو يتظاهر بالتقوى • ومع أن القطب يختفى دائما ، فان أماكن وجوده معروفة ، ولكنه قليلا ما يظهر فيها • ويعتقـد البعض أن القطب يكون فوق الكعبة ... ويفضل القطب مركزا آخر بباب القاهرة المسمى باب زويلة • ويسمى العامة — فى أيام لين — باب زويلة « بوابة المتولى » (أى القطب الذى يتولى رئاسة أولياء الزمان) ، لانهم كانوا يعتقدون أن هذا الباب هو مركز هذا الكائن المجهول • وكان يوجد وراء أحد مصراعى الباب الكبير — الذى لا تقفل أبدا — فضاء صغير يقال انه مكان القطب • ويقرأ الكثير من المارة الفاتحة(٤) •

وللقطب فى مصر مراكز أخرى أقل شهرة ، أحدها فى قبر السيد أحمد البدوى بطنطا ، والآخر فى مدينة المحلة الكبرى وغيرها • ويعتقد أن القطب ينتقل من مكة الى القاهرة أو من مكان الى آخر فى لحظة • ولا يقتصر القطب على سكن أماكنه العديدة المفضلة ، وانما هو دائم التنقل فى شتى بقاع الارض • وحينما يموت قطب يتولى غيره مكانه فى الحال •

---

(٤) يحكى وليم لين أن المصابين بالصداع يدقون مسمارا فى باب المتولى (باب زويلة) لفك السحر المعمول لهم . كما أن المصابين بوجع الاسنان يخلعون سنا ويولجونها فى أحد شقوق الباب ، أو يلصقونها به بأى طريقة أخرى ، حتى يضمنوا عدم اصابتهم بالمرض نفسه ، انظر ، وليم لين ، المصريون المحدثون ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥ ، ص ٢٠٤ •

٣ ـ كرامات الأوليـاء :

ويستطيع الأولياء ممارسة ألوان وصنوف عديدة من المعجزات ، ولا نستطيع ، ولا أعتقد أن أى أحد يستطيع ، حصرها جميعا ، فذلك أمر عسير فوق أنه غير مطلوب . انما يمكننا أن نقدم فيما يلى قائمة بأشهر المعجزات التى تنسب الى الأولياء . (ونلاحظ مرة أخرى أنها تتعارض فى أغلبها مع أصول العقيدة وقواعد المنطق وحقائق الحياة) .

١ ـ احياء الموتى .
٢ ـ مخاطبة الأولياء الموتى .
٣ ـ تجفيف البحر ، والمشى على الماء .
٤ ـ القدرة على تحويل الأشياء ، مثلا تحويل الماء الى عسل .
٥ ـ قطع المسافات البعيدة فى لمح البصر (الطيران ليلا) .
٦ ـ مخاطبة الحيوانات والأشجار وغيرها من عناصر الطبيعة .
٧ ـ شفاء الأمراض (بمختلف الوسائل) .
٨ ـ اخضاع الحيوانات المتوحشة .
٩ ـ التواجد فى أكثر من مكان فى نفس الوقت .
١٠ ـ توقيف الوقت .
١١ ـ تلبية دعوة من يلوذ به من الناس فى أى أمر من الأمور .
١٢ ـ التنبؤ بالكوارث ، أو بالغيب عموما .
١٣ ـ القدرة على احتمال الجوع والعطش مدة طويلة .
١٤ ـ القدرة على تناول كميات كبيرة جدا من الطعام .
١٥ ـ القدرة على التحكم فى الأشياء الطبيعية أو الأمور المعتادة .
١٦ ـ التمتع بالعناية الالهية .
١٧ ـ معاقبة الله لمن يهين الولى أو يعتدى عليه .
١٨ ـ القدرة على تحويل شكله وتغيير هيئته(٥) .

---

(٥) انظر كريس ، المعتقدات الشعبية فى العالم الاسلامى ، مرجع سابق ، ص ص ٩ ـ ١٠ .

والملاحظ على تلك المعجزات (الكرامات) أنهـا مستخلصة من حكايات الأولياء ، وهى لهذا السبب تعكس لنا بكل جلاء التصور الشعبى للولى من حيث طبيعته ، وامكانياته ، وقدراته ، وهى قبل هذا وبعد هذا مبرر ولايته واعتقاد الناس فى بركته • والأولياء قادرون على ممارسة هذه المعجزات فى حياتهم وبعد مماتهم على السواء • أى أن الولى الحقيقى لا يفقد سر ولايته بعد موته ، ولكنه يستمر يلبى رغبات الناس ويستجيب لدعواتهم ويشفى مرضاهم ، وهم يستمرون يكتبـون اليه الرسائل(٦) لانقاذهم أو المشورة عليهم فى شئون حياتهم كما سنوضح فى موضـع لاحق من هذا الفصل • ومن أقوى الكرامات التى يبديها الأولياء بعـد وفاتهم التصدى بقوة لكل من تسول له نفسه اهانة ضريحهم أو الاعتداء عليه أو تدنيسه •

وقد أورد وليم لين حكاية طريفة تبين طبيعة بعض هذه الكرامات التى يبديها الأولياء الأحياء ، ورد فعل الناس لها • وهى فى ظاهرها تنطوى على كثير من المبالغات (وهو سمة مميزة للقصص التى تبرر وتفسر وتدعم المعتقد الشعبى) ، ولكنها تبرز بوضوح تصور الناس لكرامة الولى ، وتكشف عن العناء الذى يمكن أن يتحمله الشخص من وراء ولايته(٧) •

---

(٦) أورد الدكتور سيد عويس تحليلا مفصلا لعديد من هذه الرسائل فى دراسته المتعمقة حول هذا الموضوع انظر :

د. سيد عويس « من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ، ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى » .

القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٦٥ •

(٧) وهى فى رأيى نغمة تنم عن «حسد» عامة الناس لهؤلاء الأولياء الذين وهبهم الله كل تلك القدرات ومنحهم كل هذه الكرامات . ولكن كما أن هنـاك كثيرا من القصص والنوادر الشعبية التى توضح ان الغنى ليس دائما سعيدا بأمواله ، بل ان الثراء قد يكون فى بعض الاحيان مصدر تعاسة الغنى ونقمه عليه . كذلك يمكننا ان نستخرج من وراء تلك القصة عبرة للانسان العـادى الذى يحسد الولى على كراماته ، فيرى ان الولى نفسه ليس سعيدا بها ، بل انها قد تكون مصدر تعذيب له ومشقة بالغة ، الى حد انه يتوسـل كى تسحب منه هذه الفضيلة ويعود انسانا عاديا كما كان . انظر نص الحكاية عن وليم لين ، المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠٥ — ٢٠٦ •

ورغم غرابة القصة فقد حرص لين على أن يدرجها فى كتابه ، لانه شاهد أن أبناء القاهرة يؤمنون بها تمام الايمان فى وقته • وقد ادرك لين بوضوح : « أننا عند الكلام عن الخرافات نواجه الآراء أكثر مما نواجه الأفعال » (ص ٢٠٦) • وأنا أوردها لانها فوق الاعتبارات السابقة تحوى عديدا من الموتيفات (العناصر) التى تتردد بكثرة فى حكايات الأولياء من عصور وأماكن مختلفة •

يحكى لين : « اشتدت رغبة أحد تجار المدينة الأتقياء فى أن يصير وليا ، فتوجه الى آخر ينتمى الى هذه الطبقة المقدسة ، فتوسل اليه أن يساعده على التشرف بمقابلة القطب • وبعد أن احتمل الطالب امتحانا صارما لمعرفة بواعثه ، طلب منه أن يتوضأ مبكرا فى الصباح التالى ثم يقصد مسجد المؤيد ، حيث يوجد باحدى زواياه باب زويلة أو المتولى السابق ذكره ، فيقبض على أول من يراه خارجا من الباب لهذا المسجد • وفعل الرجل ما قيل له • وكان أول من خرج رجل شيخ مهيب المنظر ، ولكنه رث الثياب يلبس زعبوطا من الصوف أسمر اللون ، وقد دل ذلك على أنه القطب • فقبل الطالب يده وتضرع اليه أن يقبله بين أصحاب الدرك • فقبل القطب التماسه بعد تردد طويل ثم قال : التزم القسم الذى يشمل الدرب الاحمر وما يجاوره » • وفى الحال وجد الطالب نفسه وليا ، ولاحظ أنه يعرف أشياء تخفى على البشر العاديين ، اذ يقال ان الله يعلم الولى جميع الاسرار اللازم معرفتها • ويقال عادة أن الولى يعلم الغيب • ويبدو هذا متناقضا لما نقرأه فى عدة مواضع من القرآن ، أنه لا يعلم الغيب الا الله • الا أن المسلمين ، وهم قلما يرتبكون فى مناقشة ما ، يبينون أن عبارات القرآن يقصد بها معرفة الاسرار بمعناها المطلق ، وأن الله يطلع الأولياء على مثل هذه الاسرار كلما شاء ذلك ••• ولما تولى الولى السابق ذكره أعماله أخذ يتجول فى قسمه • فرأى بائع فول يبيع لحرفائه كالعادة ، فتناول حجرا وكسر بها قدر الفول • فقفز البائع اليه وتناول جريدة بالقرب منه وضرب الولى بها ضربا مبرحا •

ولم يشك لولى ولم يصرخ وانصرف حين أذن له • وحاول بائع الفول بعد انصراف الرجل أن يلتقط بعض ما تناثر من القدر ، وكان قد بقى منها قطعة فى مكانها • فلما نظر فيها رأى ثعبانا ساما ميتا • فصاح مرتاعا مما فعل : « لا حول ولا قوة الا بالله ! استغفر الله العظيم • ماذا فعلت ؟ هذا الرجل ولى وقد أتلف الفول الذى كاد يسمم حرفائى » • وجعل ينظر الى كل مار طول هذا اليوم عسى أن يرى مرة أخرى الولى الذى أساء اليه ليستغفره • ولكنه لم يره لان الولى كان مرضوض الجسم لايستطيع أن يمشى • وفى اليوم التالى نهض الولى بالرغم من ورم أعضائه ، وأخذ يعرج خلال قسمة ، فكسر جرة لبن كبيرة فى دكان لا يبعد عن دكان بائع الفول كثيرا فعامله اللبان معاملة الفوال • وبينما كان يضربه ، أسرع بعض الناس اليه وأخبروه أن هذا الرجل الذى يضربه ولى ، ثم سردوا عليه قصة الحية التى كانت فى قدر الفول • وقالوا اذهب وأنظر جرتك فسترى فيها شيئا ساما أو نجسا • ونظر الرجل فوجد فى بقية الجرة كلبا نافقا •• وفى اليوم الثالث سار الولى فى الدرب الاحمر يعرج على عصا متألما ، فرأى خادما يحمل على رأسه صينية عليها أطباق من اللحم والخضر والفاكهة ، أعدت لجماعة كانوا ذاهبين الى النزهة فى الريف • فوضع الولى عصاه اذ زاك بين رجلى الخادم فقلبه ، وتناثرت محتويات الاطباق فى الشارع • فأخذ الخادم يصب على الولى اللعنات ويضربه ضربا عنيفا ، بالقدر الذى كان يتوقع أن يناله من سيده الغاضب • وتجمع الناس ، ولاحظ أحدهم كلبا يأكل من هذا الطعام ثم لم يلبث أن نفق • فسارع الى منع الخادم من ضرب الرجل ، وأخبره بالحادث الذى أثبت ولايته • فجعل الخادم يعتذر للولى ويرجوه أن يصفح عنه • غير أن الرجل سئم وظيفته الجديدة فابتهل الى الله والى القطب أن يعفى منها وأجيب الى توسلاته واستردت قدرته الخارقة للعادة • فعاد الى دكانه وهو أسعد من قبل(٨) •

---

(٨) وليم لين ، المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، صص ٢٠٥ — ٢٠٦ •

وهناك فضلا عن هذا عشرات بل مئات الكتب التى دون فيها أصحابها بعض الكرامات التى تروى عن هذا الولى أو ذاك . ونجد بعض هذه الكتب خاص بأسرة أو عائلة معينة يحكى كرامات أفرادها (مثل كتب معجزات أهل البيت النبوى)(٩) . وبعضها خاص بولى معين ، كالسيد البدوى ، أو ابراهيم الدسوقى ، أو عبد القادر الجيلانى ، أو الرفاعى ... الخ . وبعضها مكتوب بالنثر ، وبعضها مروى بالشعر وهكذا . وبعضها منسوب لرواة أو لمصادر محددة بالاسم ، وبعضها غفـل من المصــدر .

وسأحاول فيما يلى أن أقدم نماذج قليلة تعطى فكــرة عن هذه التنويعة الكبيرة ، دون أن نتجاوز قيود الحيز التى تفرضها علينا طبيعة الدراسة . والكرامة الاولى أنقلهــا عن كتاب منسوب لمؤلف محــدد بالاسم(١٠) . والطريف فيها أنها تلقى الضوء على فكرة هامة نعــرفها من المعتقد الشعبى الشائع معرفة جيدة هى التخصص الاقليمى (أو المكانى) للولى ، واحترام الأولياء الشديد لتخصص كل منهم فى دائرة معينة ، وحتى لو استغاث به أحدهم فى داخل دائرة آخر ، فانه لا يهب الى نجدته الا تحت ظروف معينة وبشكل استثنائى . وتحكى قصص أخرى أن الولى مسئول عن رفاهية ومصالح أبناء قريته (خاصة بالنسبة للأولياء المحليين) . اذ يحكى راوية من قرية بنى واللمس مركز مغاغة محافظة المنيا أن ولى قريته ظهر له عدة مرات أثناء أدائه الحج وأدى له خدمات ومساعدات كانت تساوى انقاذ حياته من أخطار محققة .

ويحكى المؤلف أحمد عز الدين عبــد الله خلف الله احدى كرامات

---

(٩) منها مثلا محمد على سرية ، الانوار البدرية فى المعجزات النبوية ، ثلاثة أجزاء ، المنصورة ، د. ت .

(١٠) احمــد عز الدين عبد الله خلف الله ، كرامات واوراد القطب النبوى السيد الشريف العلوى الســيد احمد البدوى كمــا رواها العلماء والمؤرخون المعاصرون ، الطبعة الاولى ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٩٦٤ م

السيد البدوى فيقول : « وروى مؤلف الكتاب(١٩) المذكور عن النقيب زيادة خادم زاوية السلطان الحنفى : أن زوجته (زوجة النقيب) مرضت مرضا شديدا ، أشرفت فيه على الهلاك وكانت تسكن فى طابق فوق الزاوية ، والناس يدخلون للسؤال عنها ، وكانت تصيح من شدة الألم وتقول يا سيدى أحمد يا بدوى خاطرك معى ، ولازمها المرض مدة طويلة ، وهى لا تكف عن الاستغاثة بالسيد رضى الله تعالى عنه ، وفى ليلة من الليالى انقطع عنها الكلام وأصبحت لا تستطيع أن ترد على سؤال وساءت حالتها حتى انصرف عودها من عندها بعد العشاء وقد أيقنوا بحدوث الوفاة هذه الليلة ، وفى الغد دخلوا عليها فوجدوها فى تمام الصحة والعافية . فقالوا لها يا فلانة كنت الليلة قد أشرفت على الموت وما قلنا أنك تصبحين فى الدنيا .

قالت : ان حكايتى عجيبة . قالوا : وما هى ؟

قالت : بينما أنا فى هذه الليلة نائمة اذ رأيت رجلين قد دخلا على وقالا لى : قومى كلمى . فقلت : أكلم من ؟ قالا : رجلا أرسلنا خلفك ، فقلت لهما : والله ما أقدر أمشى من شدة المرض — فقالا : قومى نحن نعينك — قالت : فأخذانى ومضيا بى الى المدرسة المعروفة بالمؤيدية فقالا ادخلى ، فدخلت وأنا بينهما ، حتى أقعدانى بين يدى رجل جالس وعلى وجهه لثامان وعليه جبة عظيمة واسعة الأكمام ، وهو عريض الصدر أحمر الوجه أحمر العينين فقال لى : كم تنادينا وتستغيثين بنا ، أنت ما تعلمين أنك فى حمى رجل من الرجال الكبار المتمكنين ، وأنت تستغيثين بنا فى موضعه وفى حماه ، أنت تظنين أننا نتعرض عليه فى موضعه ومحله نتهجم عليه ، أما تعلمين أن الأدب بين الفقراء مطلوب فلا تعودى فى الوقوع فى هذا القول . بل قولى : أغثنى يا سيدى محمد يا حنفى ، خاطرك معى ثم استيقظت من نومى فو الله كأنه ما كان بى

---

(١٩) العلامة على بن عمر البتنونى : السر الصفى فى مناقب السلطان الحنفى ، ج ١ ، ص ص ٤٦ — ٤٧ .

مرض وقد شفاني الله تعالى وأصبحت بخير وعافية »(١٢) .

ويعلق مؤلف الكتاب على هذه الرواية قائلا : « فتأمل فى سماع السيد أحمد البدوى ، لاستغاثتها وفى ابطائه عنها مراعاة للأدب مع العارف الكبير السلطان الحنفى ، وفى اجابته لها وطريقته فى ارشادها الى الأدب مع أولياء الله عز وجل . وهذه الكرامة رواها المؤلف وهو عالم جليل عن صاحب القصة نفسها »(١٣) .

وتحكى قصة أخرى كرامة من نوع آخر تدل على مقـدرة أخرى فائقة من قدرات السيد البدوى ، يقول مؤلف نفس الكتاب : — « روى الشيخ محمد الحنفى الصديقى فى طبقاته : أن الشـيخ ركين استأذن أستاذه فى الرحيل الى بيت الله الحرام بقصد الحج ، فأذن له ، ولما ودعه ، أراد الشيخ ركين أن يأخذ عباءة أستاذه تبركا بآثاره ، فأبى أن يعطيها له ، وقال : أخشى أن تضيع منك ولكن الشيخ ركين تمكن من أن يأخذها دون أن يراه ، وسافر حتى أدى الحج . ورجع مع الحجـاج الى العقبة ، وتفقد العباءة فوجدها تحت أرجل الابل تدوسها ، فبادر اليها والتقطها وغسلها ، ونشرها ، ثم انشغل عنها ببعض مصـالحه حتى اذا ما تذكرها ، رجع اليها فلم يجدها ، فأخذ يسأل عنها لعله يعثر عليها ، فلم يدله عليها أحد ، ولما وصـل الى مصر ، بادر فاشترى عباءة أغلى ثمنا منها ، وواصل السفر الى طنطا ، وطلع الى السيد البدوى ليسلم عليه ، فوجد العباءة عنده ، فدهش لما رآها ، فقال له السيد : لا تعجب يا ركين فانك لما نشرتها خفت عليهـا من الضياع فأخذتها ونشرتها فى مكانها »(١٤) .

وتحت أيدينـا ديوان الأنوار البدرية (أنظر هامش سابق) فى

---

(١٢) أنظر الصفحات ٦١ ، ٦٢ من المرجع السابق .
(١٣) صفحة ٦٣ ، نفس المرجع .
(١٤) أنظر المرجع السابق الصفحات ٥٣ ، ٥٤ .

ثلاثة أجزاء يحكى معجزات أهل البيت فى نظم ركيك ، يغلب عليه الطابع القاص ، وهو مما يغنى أساسا فى الموالد أو ينشد فى المجالس الشعبية . ونختار من الجزء الثالث من هذا الكتاب نموذجا لاحدى كرامات السيدة نفيسه . وتحكى القصة (الشعرية) عن فتاة كانت تلعب مع مجموعة أولاد من جاراتها ، وكانت ترتدى فوق رأسها منديلا محلى بجنيهات ذهبية . مما أثار طمع أحد الأولاد فى هذه الثروة التى تحملها على رأسها ، فاستدرج الفتاة الى مكان بعيد عن المجموعة وذبحها بسكين كان يخفيه فى ملابسه ، وسرق منديلها وهرب . ولكن أهل البنت جدوا فى البحث عنها ، الى أن استطاع الحاكم الوصول اليه ، فاعترف الولد بجريمته ، ومكان تواجد جثة الفتاة . .

ولكن الصدفة البحتة — وهى فى نفس الوقت محور الكرامة — أن تلك الواقعة حدثت أمام قبر السيدة نفيسة . وذهب الأهل الى المكان الذى عينه الغلام ، فوجدوا ابنتهم سليمة ، ولكن مكان الجرح فى رقبتها قد اندمل ، وأخذت تحكى لهم حكايتها : —

خذنى الطفل دافى الحال ... من دون بقى الأطفال
ونا طفلة لسه عيال ... ونزلنى فسقية
أمام قبر النفيسة(*) ... الجوهرة النفيسة
ودبح أو داج حسيسه ... وخد منى الطاقية(**)
وقدامى شايفاه ... ومش حاسه بفعلاه
وبعد ما راح والله ... لقيت فيه ست جاية
مسكت مكان مجروح ... وأنا فيه برضة الروح
منعت دمى المسفوح ... وجففت جرحيه(***)

(*) المقصود السيدة نفيسة صاحبة الكرامة .
(**) المزينة بالجنيهات الذهبية ، وسبب الجريمة .
(***) جرحى .

لقيتها شبه القمر فى الحسن جاية لى
مسحت على الجرح طاب الجرح طوالى
وطمنتنى ونا وحدى فى مكان خالى
أنا ساكنة جارك هنا يا بنت ما تخافيش

أنا السيدة الماجدة نسل النبى الغالى

قولى لأهلك نفيسة   كانت ليه ونيسة
وقولى لهم يا أنيسة   عقل الأطفال شوية
بلاش وضع الأموال   على راسك بقى فى الحال
تأمنى غدر الأطفال   وتعيشى متهنية(١٥)

٤ ـ الزيارة :

الزيارة هى المناسبة الاساسية التى يبدى فيها الانسان الشعبى تكريمه للولى ، ويقدم فيها النذر ، ويدعو للولى ويسأله المعونة فى مواجهة مشكلة معينة .. الخ . ولذلك فان تقديس الأولياء لا يمكن تصوره منفصلا عن « المزار » أى « الضريح » أو « الشاهد » الذى يوجد الولى تحته ، أو يعتقد أنه موجود تحته . وان كان أحيانا يعتقد أنه ليس موجودا اطلاقا ، وانما أنشىء هذا الضريح بناء على رؤية ظهرت لأحد أهل القرية ، طلب خلالها الولى بنفسه من صاحب الرؤيا أن يبنى له « مقاما » فى مكان معين . وهؤلاء هم « الأولياء المؤشرون » . وسنتحدث عنهم فيما بعد .

وأضرحة الأولياء الكبار من أهل البيت أو صحابة رسول الله أو أصحاب المذاهب الشرعية أو مؤسسى الطرق الصوفية أو مشاهير الأولياء عموما تبنى بكثير من مظاهر الأبهة والفخامة فى المدن الكبرى عادة .وهى

---

(١٥) محمد على سرية ، الأنوار البدرية .. ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ص ١٥٢ وما بعدها ، خاصة صفحتى ١٥٤ ـ ١٥٥ .

توجد فى مساجد كبرى أيضا ، أو يحدث أن تنشأ المساجد الكبرى حولها إذا كانت موجودة أصلا • واللافت للنظر حقا أن أولئك الأولياء الكبار المشاهير نادرا ما يظهرون للناس (خاصة فى المدن) أو يكشفون عن كراماتهم • والسبب فى ذلك أن فترة ابتعادهم عن عالم الأحياء قد طالت كثيرا •

وفى مقابل هذه الفئة توجد فئة الأولياء المحليين فى كل قرية من قرى مصر ، وما زالوا جميعا ، أو الجانب الأكبر منهم ، يظهر كرامات للناس فى الوقت الحاضر • وأضرحة هؤلاء الأولياء تكون فى العادة عبارة عن مقابر بسيطة أشد البساطة حولها سور أو بدون سور يفصلها عن سائر المقابر المحيطة بها • كما أنها قد توجد أحيانا أخرى داخل أحد المساجد فى القرية • وليس من المحتم كما أشرت أن توجد جثة الولى داخل ضريحه ، حيث توجد أضرحة لكبار الأولياء بلا أى أثر لأجسادهم داخلها فى كثير من القرى النائية ، والناس تعلم هذا • ولكنها تؤدى كافة طقوس الزيارة لهذا الضريح الخالى ، ومن الأرجح أن الزائر لا يفكر وقت طوافه حول الشاهد فى خلو الضريح من أى أثر للولى •

٥ ـ الأولياء الأحيـاء :

هناك بعض الأشخاص الذين يلقون مظاهر التكريم والتقديس أثناء حياتهم ، ولكن من دائرة محدودة نسبيا من الناس ، ليس من اللازم أن يكونوا من نفس الحى أو القرية ، وقد يكونون فى قرية نائية عن القرية التى ولد فيها الولى الحى ويعيش فيها • وهؤلاء الأولياء الأحياء عبارة عن أشخاص على جانب كبير من التدين والزهد والانقطاع للعبادة • كما أنهم قد يكونون من المجاذيب أو أشباه المجانين ، الذين يبدون مع ذلك قدرا من الكرامات ، خاصة ما يدل منها على صلاح و « كشف »(١٦) • ويلتمس الناس بركة هؤلاء الأولياء بأن يلمسوهم ،

---

(١٦) سجل وليم لين باسى بالغ ودهشة كبيرة ظاهرة الأولياء المجاذيب حيث أشار الى أن المصريين يظهرون التقديس لاقل الناس استحقاقا له . =

أو يدعوهم يقرأون عليهم بعض السور أو الأدعية أو غير ذلك من صور التماس البركة • وقد يدعوهم يتفلون على طعام أو شراب يتناوله الناس بعد ذلك ، أو فى فم طفل مريض •• الخ • ومن البديهى أن هؤلاء الأولياء الأحياء يظلون يشغلون نفس المكانة الرفيعة فى نفوس الناس بعد موتهم ، وقد يبالغ الناس فى رواية كراماتهم ، ويزايدون فى مظاهر التقرب اليهم •

٦ — أرواح الموتى التى تلبس الأحياء :

على أنه يحدث فى بعض الاحيان أن يلقى أحد الاولياء بعض مظاهر التكريم دون أن يكون من أهل البيت أو من الصحابة أو من كبار رجال الدين أو من المجاذيب • فكيف يحدث ذلك ؟ الملاحظ فى بعض الأحيان أن يظهر روح أحد الموتى (من الناس العاديين) ويلبس أحد أهل القرية من أقارب هذا المتوفى أو من غير أقاربه • وتلك الظاهرة هى التى أطلق عليها هانز فينكلر اسم « أرواح الموتى التى تلبس الاحياء » ، وألف عنها كتابا بهذا الاسم(١٧) • والأرجح أن تلبس روح الميت واحدا من أفراد سلالته ، وبعد موته بفترة قد تكون طويلة أو قصيرة • ويحدث ذلك بأن يظهر الميت للحى فى المنام ، ويخبره بأنه « سيركبه كما يركب الجمل » • وبذلك يظل هذا الحى « ملبوسا » أو ممسوسا (ولو أن المسوس هو الذى مسه الجن فقط) •

= فيعتبرون الأبله أو المجنون مخلوقا عقله فى السماء وجسده يختلط بالبشر . ويعدونه لذلك وليا . ومهما ارتكب الولى المشهور من الخطايا (وكثيرا منهم يخالفون الدين) فهى لا تؤثر على قداسته ، اذ تعتبر نتيجة تجرد عقله من الاشياء الدنيوية . فروحه أو قواه العقلية كلها مستغرقة فى التقوى ، ولذلك تترك شهواته بلا رقيب .. الخ ، وليم لين ، المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، ص ص ٢٠١ — ٢٠٢ .

(١٧) انظر :
H. A. Winkler; Die reitenden Geister der Toten; Stuttgart; 1936.

واذا أظهرت روح هذا الميت كرامات واضحة مقنعة لأهل القرية أو العائلة التي ظهرت فيها ، فانه يبنى للميت ضريح أو مقام • وقد تتركز مظاهر التقديس فى الحى الذى لبسته روح هذا الميت • ونجده يمارس « مستلزمات الولاية » من علاج المرضى ، ومعرفة المجهول ، والانباء بالغيب ، وما الى ذلك من كرامات •

٧ — الأوليـاء المؤشرون :

ومع أن الكلام الكثـير الذى سبق يؤكد لنا أن تكريم الاوليـاء فى مصر لا يمكن تصوره بدون ضريح ومقام ، الا أننا نجد مع ذلك عديدا من الاوليـاء الذين تبنى لهم مقامات بلا قبـور ، أو أضرحة خاوية • أولئك هم الأولياء المؤشرون(١٨) • والولى المؤشر قد يكون شخصا عاديا من أهل القرية ، أو واحدا من أهل البيت ، أو الصحابة ، أو كبار رجال الدين •• الخ • ويظهر لأحد الاحياء فى المنام • ويطلب منه صراحة أن يبنى له شاهدا أو مقاما • وقد يلبى الانسان صاحب الرؤيا الطلب على الفور ، وقد يتقاعس ، فيعاود الولى الظهور له مرة ومرات الى أن يستجيب • ولكنه قد لا يستجيب برغم كثرة سؤال الولى له فى المنام ، فيعطيه الاخير علامة ، اذهب فى المكان الفلانى فسوف تجد كذا ، فى هذا المكان يجب أن تبنى لى قبرا وضريحا • واذا تقاعس صاحب الرؤيا مع ذلك ، فان الولى يمكن أن يلحق به ضررا (فى زراعته ، أو بهائمه ، أو فى أولاده ، أو فى صحته •• الخ) • بحيث يربط هـذا الشخص بين ما أصابه وبين ما طلب منه فى الرؤيا • فيستجيب أخيرا لمـا طلب منه ، ويرفع عنه الضرر الذى وقع عليه •

---

(18) Goldziher; Ignaz; Aus dem muhammedanischen Heiligenkult in Ägypten; in : Globus; 71. Bd; 1897; S. 233 ff.

والأولياء المؤشرون أكثر ظهورا ، أو هم لا يظهرون عادة الا فى القرى والمدن البعيـدة (خاصة فى الصـعيد) • لانه من الصعب أن نتصور أن يظهر الحسين لرجل فى مصر القديمة ، ويطلب منه أن يبنى له ضريحا ومقاما فى ذلك الحى • ولكننا نجد عشرات القرى فى ريف مصر التى ظهر فيها الحسين لأشخاص عاديين وطلب منهم اقامة ضريح له فيها • أما الحالات التى يكون فيها الولى المؤشر انسانا عاديا فانه يمكن أن يظهر فى أى مكان • ولو أنه يظهر عادة فى منطقة معروف فيها ، أو لواحد من عشيرته وأهله •

وقد يستجيب الانسان صاحب الرؤيا ويشرع فى بناء الضريح الذى طلبه الولى المؤشر بنفسه وعلى نفقته • ولكنه لن يستطيع ذلك بالطبع اذا كان فلاحا فقيرا • أما اذا كان من أبناء العائلات الميسورة فانه ينشئه ويتعهده بالرعاية • وكثير من أضرحة المؤشرين التى شاهدناها فى رحلاتنا الميدانية ممـا تولى انشـاءه ورعايته أفراد من العائلات الميسورة • أما بالنسبة للانسان الفقير فاما أن يلتمس معونة من أسرة غنية ، أو يقوم أتباع احدى الطرق الصوفية التى يتبعها هذا الفقير ببنـاء هذا المقام ، أو المساعدة فيه(١٩) •

ومع أن تراث الأولياء المؤشرين مزدهر فى قرى الصعيد بصـفة

---

(١٩) لعل هذه الشواهد توضح لنا بجلاء ان الاقطاع الريفى والطبقات المتعاونة والمتحالفة معه ، وكذلك بعض الطرق الصوفية ، قد لعبت وما تزال تلعب دورا بارزا فى تفريخ أولياء جدد وفى تدعيم هذه الممارسات الشعبية ، والتمكين لهـا ونشرها بين الناس . ورأيى أن فهم ديناميات هـذه العملية يكشف لنا أحد السبل الفعالة فى علاج « مشكلة الاولياء » وخاصة الجوانب السـلبية التى تمـلأ حياة الناس من تذرع بهم والدعوة لهـم ، والحلف بأسمائهم ، والنذر لهم .. الخ .

والمؤلف وهو يشير هذه الاشارة لا يخرج عما الزم به نفسه فى مقدمة الكتاب من تقديم عرض موضـوعى للمعتقدات الشعبية المصرية والممارسات المرتبطة بها . لأنه يؤمن أن الانتفاع بثمرة هذه الدراسات يجب أن يكون من واجب المسئولين عن رسم السياسة الاجتماعية ، وليس من مسئولية دارس المجتمـع .

خاصة ، الا أن جولد تسيهر Goldziher يشير الى عديد من مقامات مثل هؤلاء الاولياء فى مختلف أنحاء مصر • فيشير الى قبة منشأة بالقرب من باب زويلة بالقاهرة تكريما للست رقية بنت سيدنا على بن أبى طالب، كما يذكر تفاصيلا ومعلومات عن مقام شهير للشيخ عبد القادر الجيلانى فى ادفو (وقبره الحقيقى فى بغداد) •

وقد تعرفنا على مجموعة من هؤلاء الأولياء فى دراستنا لقرية غرب أسوان النوبية ، التى أجريت بتكليف من كلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٧٣ • حيث وجدنا مجموعة من الأولياء الذين أقيمت لهم مجموعة من الأضرحة المنتشرة فى حقول القرية • ولا يعرف الناس تاريخ هؤلاء الأولياء • وانما يقــرر الاخباريون أن كل ولى منهم قد ظهر لصاحب الحقل الموجود فيه ، وقال له أنه مدفون هنا أى يؤشر له ، فيقوم صاحب الحقل ببناء ضريح للشيخ (ولذلك يسمون بالمؤشرين) • ورغم وجود عدد من هذا النمط من الأولياء غير أن أشهرها على الاطلاق ضريح الشيخ عبد الله والشيخ ابراهيم • والواقع من يشاهد قبر الولى منهم لا يعتقد أنه ذائع الصيت ، فهو قبر صــغير موجود داخل خيمة من الجريد والسعف وقد يوجد دون خيمة • وبعض هــذه المقابر تهدم وأصبح مجموعة من الأحجار • واللافت للنظر أن أحد هذه الأحجار التى شاهدناها فى قبر الشيخ ابراهيم عليه نقوش يرجح أن تكون نقوشا مصرية قديمة أو قبطية •

ودرجة الاعتقاد فى هذا النمط أقل بكثير من الأولياء الذين لهم تاريخ وقصص (أسطورية) تحكى مولدهم ونشأتهم وكراماتهم وطريقة دفنهم وقدرتهم على علاج المرض وغير ذلك ، ولا تنسج حوله ســوى حكايات بسيطة تدور كلها حول ظهوره لبعض الأشخاص فى المنــام ، كأن يذهب الى شخص « ليخنقه » اذا ما تلفظ بكلام يسىء اليه • أو يرفض الشيخ أن يبنى له مقاما ، فعندما يقوم صاحب الحقل ببناء أى شىء فانه يقوم بهدمه • ولا توجد أى تفاصيل عن حياة الولى الأولى

أو كراماته أثناء حياته • كما أن الناس لايواظبون على زيارة هذا النمط من الأولياء مثلما يواظبون على زيارة الشيخ البسطامى أو الشيخ نجم وأولاده • كما يوجد الكثير ممن ينكر على هـذا النمط من الأولياء ولايتهم • بل أننا قابلنا صاحب الحقل الذى يوجد به الشيخ ابراهيم فقال : « ان الذى يقال عليه ولى ما هو الا مجموعة من الأحجار الأثرية وأنه قام بزراعة الجزء الذى كانت فيه هذه الاحجار » ، وان كان هـو نفسه لم يستطع أن يتخلص من هذه الاحجار بعيدا عن الحقل • فكومها داخل الحقل فى مكانها الاساسى • ولايقام لهذا النمط من الاولياء مولد بل يمكن زيارة أى منهم فى أى وقت ، وبالتالى لايقدم لهم أى نوع من الأضاحى والنذور[٢٠] •

٨ — حكاية الولى · نموذج : —

سنحاول أن نستعرض فيما يلى بعض نمـاذج متنوعة لحكايات الاولياء ، وجميعها مأخوذة من دراسات أو تجميعات سابقة • وسيجد القارىء بعض النماذج لحكايات الأولياء مما جمعناه بأنفسنا فى الفصل الثالث من هذا الباب عن « الخبرات الميدانية فى دراسة المعتقدات الشعبية » • ونحكى فيما يلى قصة (أسطورة) سيدى عبد القادر الجيلانى ، كما أوردها كريس . نقلا عن محمد على عينى[٢١] •

جيلان هو اسم منطقة خصبة يبلغ طولها نحو ٢٢٥ كم وعرضها حوالى ١٠٠ كم وتقع بين بحر قزوين واقليم مازندران فى ايران • ومحل ميلاده الحقيقى اسمه « نيف » ، أما لقبه جيلانى فقد أخذه عن جـده لأمـه •

---

(٢٠) د. محمد الجوهرى ، الأنثروبولوجيا . أسس نظرية وتطبيقات عملية . الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص ص ٥٠٦ — ٥٠٧ .

(٢١) انظر ، كريس ، المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ١٢ — ١٤ نقلا عن :

Mehmed Ali Aini; Un Grand Saint de l' Jslam: Abd al Qadir al-Gilani; 1077-1166; 470-561 d. H; pp. 7-257.

كانت أمه وقت مولده فى الستين من عمرها . وهو أمر لا يحدث الا بين النساء القرشيات . وهناك عدد من الاساطير والنوادر التى أبداها أو وقعت له فى فترة طفولته . وقد أظهر بعض كراماته قبل أن يولد بزمن بعيد ، اذ ظهر لامه فى صورة صقر وحماها من الاغتصاب وهى فتاة لم تتزوج بعـــــد .

وكان مولده فى شهر رمضان ، ولم يكن يأخذ ثدى أمه الا بعـــد المغرب . وسرعان ما عرف هذه القصة أهل « نيف » مسقط رأسه ، فكانوا اذا شق عليهم أن يعرفوا هل حل أذان المغرب أم لا (بسبب السحب الكثيفة التى تحجب السماء) يلجأون الى أم الرضيع — الجيلانى — ويسألوها اذا كان ابنها قد بدأ يرضع منها أم لا . وبعد أن كبر قليلا كانت الأرواح تحرسه فى غدوه ورواحه ، وتصحبه الى المدرسة .

وحدث له وهو فى السابعة عشرة من عمره أن تحدث مع ثور (حيث كان قادرا على مخاطبة الحيوانات) وعلم من الثور أنه ليس مهيأ للأعمال العادية التقليدية التي يمارسها سائر الناس . بعد تلك الواقعة جرى وهو شديد الاضطراب عائدا الى البيت ، وشاهد فى تلك اللحظة جبل عرفات ، والحجاج وهم وقوف به .

وفى الثامنة عشرة من عمره رحل الى بغداد والتحق باحدى المدارس . وقبل رحيله الى بغداد وعد أمه أنه لن يكذب فى حياته أبدا . وفى الطريق الى بغداد تعرضت القافلة التى كان فيها لقطاع الطرق . فأخبر الجيلانى رئيس العصابة التى سطت عليهم أن معه أربعين دينارا ذهبيا مخبأة فى حاجاته . وعلى أثر هذا الاعتراف التلقائى ندم رئيس العصابة هو ومن معه ، وقرروا أن يكفوا عن حياة النهب ، ويبدأوا حياة جديدة مستقيمة .

ولما أراد أن يترك بغداد بعد حين ، أظهر كرامة جديدة ، اذ وقع على الأرض ، وعجز عن المشى ، وسمع من يأمره بأن يبقى فى بغداد لكى يكمل رسالته . وفى عام ٤٨٨ هجرية كان قد وصل الى بغداد ، وفى عام ٥٢١ بدأ عمله مدرسا فى أحد مدارسها .

وعاش الجيلانى حياته متصوفا زاهدا متعبدا ، لم يكن يشرب الماء أبدا ، ولم يأكل سوى لحوم الحيوانات النحيفة العجوزة • وقبل موته بوقت قصير عينه الرسول بنفسه قطبا • وكان بعض زملائه من العلماء الحاسدين قد أراد امتحانه ، ولكنهم ما أن ظهروا أمامه حتى شلت ألسنتهم وعجزوا عن الكلام • ولكن الجيلانى أظهر كرامة أخرى فى نفس الموقف اذ استطاع أن يحدد لهم الاسئلة التى كانوا ينوون توجيهها اليه (رغم أنهم كانوا عاجزين عن النطق بها) • وفوق ذلك قام هو بالاجابة عليها جميعا• وقد أسس له مريدوه أثناء اقامته فى بغداد زاوية (أو رباط) • وكان ذلك فى عام ٥٢٨ ، ومنذ ذلك التاريخ ظل الجيلانى يعيش فيها حتى موته •

وعندما كان الاغنياء يقدمون له الهدايا (النذور) كان يستطيع أن يحولها ، أو هى تتحول فى يده الى أشياء أخرى عجيبة • فذات مرة أهداه الخليفة تفاحا ، وعندما بدأ يفتح احداها تحولت فى يده الى عفن ودم • وفى مرة أخرى حول الذهب فى الكيس الى دم أيضا عندما ضغط عليه بيده ضغطة شديدة • أما هدايا الفقراء فكان يقبلها ويسعد بها •

ويقال أن الجيلانى لم يكن ينام الليل أبدا • ولكى يبعد النعاس ، كان يقضى الليل واقفا على قدم واحدة ، ممسكا بحلقة فى الحائط لكى لا يفقد توازنه نتيجة هذا الوضع • وكان ذكره عبارة عن ترديد أسماء الله الحسنى التسعة والتسعين • وكان يأتى معجزات بجسمه ، فكان يطول ويقصر بشكل خارق ، كما كان يستطيع أن يحجب نفسه عن أعين الناس وهو بينهم •

وكان يقضى ثلثى الليل فى الذكر بأسماء الله الحسنى ، على حين يقضى الثلث الباقى فى الصلاة • وقبيل الصبح كان يمر بفترة صمت عميق ، حيث يتردد عليه ضيوف غير منظورين • وفى بعض الاحيان كان يطير الى الكعبة أثناء الليل ، حيث يصلى ويطوف ، ثم يعود الى زاويته من جديد فى نفس الليلة • وكان يعرق فى الشتاء فى البرد القارس ، مع أنه لم يكن يرتدى سوى قميص واحد • وفى الصيف لم يكن الذباب

يقف على جسمه أبدا • وكانت الناس تسمع صوته وهو يعظ من على مسافات بعيدة جدا • وقد استطاع وهو فى مكانه أن يرشد راعيا فى الصحراء الى أربع جمال فقدت منه ، ويستدل عليها •

وفى أثناء القائه أحد دروسه الدينية شاهد الجمع الذى كان يستمع اليه فرسانا من نور بيضاء ناصعى البياض يركبون خيولا من نور أيضا • وقد استطاع أن يهدى الى التوبة أحد الرجال لم يكن يؤمن بكراماته • كما استطاع من ناحية أخرى أن ينزل عقابا شديدا — وذلك بعد موته — بأحد رعاة الابل كان قد سرق بعض النقود والملابس من أحد الحجاج ، كان هذا الحاج قد نذرها للشيخ الجيلانى ومسجده •

وقد قام الجيلانى طوال حياته بشفاء عديد من الامراض ، كما استطاع أن يحيط بأسرار كثير من الناس الخاصة . وأظهر كرامة التواجد فى أكثر من مكان فى نفس الوقت • ولم تخل قائمة معجزاته من كرامة حربية حيث يروى أنه استطاع انقاذ بغداد من حصار السلاجقة لهـا ، وتخليصها ونصرتها ، وكان ذلك فى عام ٥٥٢ هجرية •

وبعد موته أنشىء له ضريح ضخم غاية فى الأبهة والعظمة فى بغداد ، غير أن الشيعة حطموه بعد فتحهم بغداد • وقد أعيد بناء هذا الضريح بعد ذلك بفترة طويلة • ويقال أن سليمان الكبير هو الذى جدده بعد أن فتح بغداد فى عام ١٥٣٤ ميلادية • ولما احتل الايرانيون بغداد مرة أخرى بعد ذلك قاموا بتدميره من جديد • ولكن السلطان مراد الرابع قام باعادة بنائه مرة أخرى فى عام ١٦٣٨ م •

أما عن نشاط الجيلانى الصوفى فى حياته وبعد وفاته فيحكى العينى أنه كان يشرف فى حياته على مدرسة وعلى رباط • وقد أسس الطريقة الصوفية المعروفة باسمه : القادرية • وهى تعرف ثلاث مستويات من الترقى والتقدم فى اكتساب المعرفة وامتلاك أسرار « الطريق » •

و « المرشد » هو الذى يقبل « المريد » فى الطريقة • والمرشد

يقوم نيابة عن الله ورسوله بأخذ العهد على المريد عن طريق المصافحة • وهناك سبع مراحل لعملية القبول فى الطريقة ، يتحتم على المريد أن يردد فى كل مرحلة منها أفكارا معينة :

١ ــ لا اله الا الله	١٠٠ر٠٠٠ مرة
٢ ــ يا الله	١٧٨ر٥٨٦ مرة
٣ ــ هو	٤٤ر٦٠٠ مرة
٤ ــ حق	٢٠ر٠٩٢ مرة
٥ ــ الحى	٩٣ر٤٢٠ مرة
٦ ــ قيوم	٧٤ر٦٤٤ مرة
٧ ــ قهار	١٠ر٠٠٠ مرة

وتورد بعض الكتب تلك الأفكار بشيء من الاختلاف البسيط فى الاسم المذكور أو فى عدده ، فالمرحلة الخامسة قد يردد فيها اسمه تعالى واحد بدلا من الحى • والمرحلة السادسة قد يردد فيها اسمه تعالى عزيز بدلا من قيوم ، والمرحلة السابعة قد يردد فيها اسمه تعالى ودود بدلا من قهار •• وهكذا • وهى تفاصيل لا يهمنا الاحاطة بها ولا مناقشة كافة تفاصيلها • ولكننا نكتفى بعرض الاتجاه العام للموضوع ، واستجلاء معالمه الرئيسية دون التطرق الى النقاط الخلافية •

وتحكى مختلف جوانب قصة أو أسطورة الجيلانى عددا من الامور الهامة ، نذكر منها العلاقة بين الولى والجن (انظر دراسة مستقلة متكاملة عن الجن والمعتقد الشعبى المصرى فى الباب الرابع من هذا الكتاب) • فرأى البعض أن الجن المؤمنين يمكن أن يعملوا فى خدمة الولى • وهذا هو سر القدرات الخارقة العجيبة التى يتمتع بها الاولياء ، ومبرر الاضاحى والنذور والهدايا التى تقدم اليهم • تلك هى الخطوط العامة للعلاقة ، ولكن هذه العلاقة تكتسب بعدا جديدا وعمقا خاصا فى حالة عبد القادر الجيلانى الذى يسود اعتقاد فى المغرب (وفى بلاد عربية

أخرى) أنه « السلطان » ، ليس فقط سلطان كل الاولياء ، وانما كذلك سلطان جميع الجن(٢٢) •

٩ — أضرحة الأولياء :

يمكن القول بصفة عامة بأن تكريم الاولياء مرتبط على الدوام بالضريح الذى يدفن فيه الولى ، أو يعتقد أنه مدفون فيه أو الذى طلب الولى نفسه بطريقة أو أخرى اقامته لتكريمه (وهم الاولياء المؤشرون)• ولا يصح أن نتصور الضريح فى ضوء معرفتنا بأضرحة كبار الاولياء كالسيدة زينب أو الحسين ••• الخ • اذ من الطبيعى أن يتفاوت الضريح من حيث شكله الخارجى ، وزينته ، وفخامته ، ومواد بنائه ، وحجمه ••• الخ تبعا لمدى انتشار تكريم الولى (أهميته الشعبية — بصرف النظر عن أهميته الحقيقية) ، وامكانيات أهل المنطقة وزوار الولى وغير ذلك • ففى بعض الاحيان لا يزيد الضريح عن بعض الاحجار المتراصة التى تدل على وجود قبر تحتها أو بجوارها ، وأحيانا يكون الضريح عبارة عن بناية صغيرة من الطوب اللبن ••• الخ •

وقد أشارت أغلب الدراسات السابقة عن الاولياء فى المنطقة العربية الى أن وجود قبر لولى بلا ضريح يعد أمرا شديد الندرة • واذا حدث وصادفنا قبرا لاحد الاولياء بدون ضريح مقام عليه فمعنى ذلك أن الشخص المدفون قد « دخل الولاية » بعد موته ودفنه ، أى أنه دفن انسانا عاديا ثم ظهرت امارات ولايته بعد دفنه • والاحتمال الاخر أن يكون فردا من أسرة فيها ولى سابق ، فهو فى الحقيقة ليس وليا بمعنى الكلمة (وان كان يزار ويدعى له ، وأحيانا يقام له مولد) ، ولكنه ليس فى الوقت نفسه انسانا عاديا • ويكون هذا القبر على مقربة من الولى الاصلى الشهير •

---

(٢٢) انظر :

Edward Westermarck; Ritual and belief in Marocco; London; 1926; Vol. I; p. 389.

نقلا عن كريس ، المرجع السابق ، الجزء الأول ، ص ١٤ •

والاحتمال الثالث أن تكون تلك المقابر مقامة فى المجتمعات البدوية (خاصة المصرية أو نظيرتهـا فى الشام) حيث يؤشر للقبـر ببعض الاحجار ٠ والاحتمال الاخير لتفسير هذا الوضع ـ وجود قبر بلا ضريح ـ أن يكون الولى نفسه قد رفض بشدة تشييد ضريح له ٠ فتحكى أساطير بعض الاولياء أن الناس كانوا يشيدون جانبا من الضريح فى الصباح ، ثم يأتى المساء فيتحطم الجزء الذى أنجزوه ، ويصبحون فى اليوم التالى حيث يجدون كل ما أقاموه مهدما ٠ وكان الولى يظهر أحيانا للناس (فى الرؤيا) ليثنيهم عن اقامة الضريح ، ويخبرهم بأنه هو الذى يقوم بهدم ما شيدوه أثناء النهـار ٠

١٠ ـ موقع الضريح :

تحتل الاضرحة مواقع متفاوتة فى طبيعتها أشد التفاوت ٠ ففى بعض الاحيان يقع الضريح داخل القرية فى وسطها . أو على مدخلها ، أو بالقرب منها ٠ وفى أحيان أخرى يقع الضريح على بعض المواقع المرتفعة ، كأحد التلال القريبة ، أو فوق أحد الجبال القريبة ، والنادر على أى حال أن نصادف ضريحا فى بطون الأودية ٠

كما أن هناك علاقة مكانية أحيانا بين موقع ضريح الولى ومقابر القرية (الجبانة) ٠ وهناك دائما احتمالان وحيدان لتفسير ذلك ، اما أن تكون الاضرحة قد شيدت وسط جبانة قائمة فعلا أو قريبا منها ، أو أن ضريح الولى كان قائما فى الاصل ثم تكاثرت حوله المقابر بعد ذلك تبركا ونشأت الجبانة حول الضريح ٠ وهناك فى المعتقد الشعبى ما يفسر لنا الاحتمال الاخير ، اذ يعتقد الناس أن الشخص المدفون على مقربة من أحدالاولياء يحظى ببركة هذا الولى ٠ كما أن الدفن بالقرب من الولى ينطوى على « فائدة » أخرى ، وهى أن الجبانة فى حالة وجود الولى بها تكون فى حمايته ، ولا يجرؤ أحد على تدنيسها أو الاعتداء على أحد مقابرها بأى صورة من صور التعدى التى يخشى الناس منها على موتاهم ٠

والضريح هو الاسم الفصيح للكلمات الاخرى : مقام ، أو قبة ،

خاصة وأن قبة قد تطلق على أضرحة بلا قباب ، لأنها ليست مقصودة بحرفيتها ، ولكن بما تثيره من امارات التكريم[٢٣] • وهنالك ألفاظ أخرى تدل على الضريح ، وان كانت أقل شهرة فى البيئة المصرية هى : « مشهد » و « طربة » ، اللتان تستخدمان أحيانا للدلالة على ضريح الولى ، خاصة حين يوسع الاستخدام الشعبى مدلول « الطربة » — القبر — بحيث تشمل قبر الولى والمبنى المقام عليه •

١١ — وصف ضريح الولى :

يتخذ الضريح فى العادة شكل البناء المربع فى الغالب ، وتشيد فوقه فى أكثر الاحيان كما أشرنا قبة • والعادة أن يوجد علاوة على المدخل الرئيسي الى الضريح نافذة صغيرة (طاقة) أو عدد من النوافذ الصغيرة • وتلون جدران الضريح الداخلية والخارجية بألوان مختلفة ، قد تدخل فيها الحنة أحيانا ، والنيلة أحيانا أخرى ••• الخ •

وتزين الجدران الداخلية — والخارجية أحيانا — بأشكال متعددة متجاورة ، مكونة من مضاعفات وحدات زخرفية بسيطة نتعرف منها على أشكال : الكف[٢٤] ، أفرع النخيل ، أو أشجار النخيل فى شكلها المبسط المنمط ••• الخ • وتتركز الرسوم المشار اليها حول باب الدخول — يمينا ويسارا — وعلى الجدران الداخلية ، وعلى المبنى الذى يعلو القبر (الضريح نفسه) ، وحول المحراب (اذا كان موجودا داخل الضريح) •

وقد تشاهد عشرات الأكف المطبوعة على الجدران بعد غمسها فى

---

(٢٣) اشار جولد تسيهر الى ان لفظ « قبة » كان يطلق عند البدو على الخيمة التى تقام على قبر الشخص المتوفى حديثا ، ويقضى فيها أقاربه نحو عام تقريبا . انظر مزيدا من التفاصيل فى :
Goldziher; Jgnaz; Le Culte des ancêtres et le Culte des morts Chez les Arabes; Revue de L' Histoire des Religions; T. 10; 1884; p. 355.

(٢٤) الكف (الاصابع الخمسة المفرودة) يعبر عند المسلمين عن يد السيدة فاطمة ، وعند المسيحيين يد العذراء مريم ، ويمثل بالنسبة لليهود يد الاله يهوواه . انظر ، كريس ، المرجع السابق ، ص ٢٣ •

الدم ، وهى على كل حال نادرة فى فلسطين ومصر ، ولكنها أكثر انتشارا فى المناطق المنعزلة من سوريا والاردن • والدم الذى تغمس فيه هذه الايدى هو فى العادة دم الاضاحى التى ذبحت عند الضريح تكريما للولى أو وفاء لنذر أو غير ذلك •

أما أشجار النخيل ذات الشكل النمطى الموحد فتتخذ فى العادة شكل خط رأسى (يرمز لجذع النخلة) ، تتفرع منه عند قمته خطوط مائلة يمينا ويسارا متوازية (ترمز للفروع) وليست أعداد تلك الفروع موحدة ، ولكنها تكون عادة مكونة من ٣ أو ٥ أو ٧ أفرع • ومعروف أن أفرع النخيل تستخدم فى مناسبات عديدة متصلة بالموت ، فى مواكب الدفن ، وعند زيارة القبور ، وفى تزيين المقابر ••• الخ • وهى فى المعتقد الشعبى رمز للحياة[٢٥] • (انظر فصل النبات فى المعتقد الشعبى فى هذا الكتاب) •

ومن موتيفات الزينة أشكال الثعابين ، أو الحية (رمز الحياة الطويلة) ، وكذلك خمس نقط أو بقع لونية على شكل معين ، ترمز لرؤوس أصابع اليد ، ويطبعها الزائر كبصمة تدل على زيارته لقبر هذا الولى • كذلك يمكن أن نجد رسوما أخرى لاشياء متنوعة قد لايكون لها مدلول مباشر فى هذا المكان ، ولكنها معروفة الدلالة فى سياق آخر • ومن هذه الاشياء : المسجد ، والمئذنة ، والسفينة ، والزهرة ••• الخ • ونحن نعرف أن الحجاج يزينون بيوتهم بعد عودتهم من الحج ببعض الاشياء ، مما يصادفه الحاج فى رحلته كالقطار ، والطائرة ، والسيارة ، والجمل ، والمحمل وغير ذلك • وآخر العناصر التى يمكن أن نشير اليها كعناصر لتلك

---

(٢٥) أشار توفيق كنعان — كما لاحظ ذلك كريس — الى ان المعتقد الشعبى فى بعض البلاد الاسلامية يرى ان اشجار النخيل قد خلقت من نفس التربة التى خلق الله منها آدم . ولذلك توجد بعض أوجه الشبه بين شجرة النخيل وبين الانسان . أما باول كاله فيرى أن تفسير المعتقد الشعبى لاستخدام النخيل يرجع الى اعتبارها وسيلة للوقاية من العين الشريرة أو دفعا لها . انظر كريس ، المرجع السابق ، ص ٢٣ وكذلك المراجع الواردة هناك .

الرسوم : أسماء الله الحسنى ، وبعض الادعية ، أو الآيات القرآنيـة ... الخ .

ويوجد قبل مدخل المقام أحيانا كثيرة مكان صغير مبلط ، وقد يكون هذا المكان مفتوحا ومغطى بسقف نصف كروى — على شكل قبة — وهو ما يسمى رواقا . . وفى هذا المكان تفرش الحصر ، التى يتناول عليهـا الزوار الوليمة التى تقام من ذبيحة الولى . ويوجد فى الاضرحة الكبيرة عدد من هذه القاعات التى تستخدم أثناء المولد أو المناسبات المختلفة لأغراض متعددة : كمطبخ ، أو مدرسة ، أو كمسكن لحارس الضريح ، أو مكان لمبيت الزوار ... الخ .

وهناك بعض الاضرحة التى تقام فى مكان فسيح مفتوح ، مرتفع على أعمدة ضخمة ، ويتوسطه قبر الولى . ويحيط بالضريح سور معدنى أو مبنى . وفى نفس المكان يوجد عادة محراب . كما توجد فى نفس المكان بعض الرايات أو البيارق ، التى تكتب عليها بعض الادعية أو العبارات الدينية .

ويمثل قبر الولي بؤرة الضريح ومركزه الرئيسى . والغالب أن يوجد القبر أسفل القبة ، وبجواره أضرحة الأولياء الآخرين الاصغر أو أقاربه الولى ، اما غير بعيد عنه ، أو فى مكان منفصل عن القاعة الرئيسية . وهؤلاء الأولياء الاصغر شأنا قد يكونون زوجة الولى الرئيسى ، أو أقاربه ، أو أولاده . وبالنسبة للقبر نفسه فتصدق نفس قواعد وأسس البناء المتبعة فى تشييد القبور فى المنطقة الموجود فيها الضريح . وان كان القبر نفسه يمكن أن يصنع من الخشب ، على خلاف الموجود فى تشييد المقابر العادية . ويتخذ القبر فى اتجاهه وارتفاعه وعرضه نفس المقاييس والاعتبارات التى تراعى فى انشاء القبور العادية . خاصة ما يتصل باتجاه الميت نحو القبلة ، وهو ما يؤثر فى اتجاه القبر .

ويغطى القبر نفسه (الشاهد) بستارة من القماش ، تكون خضراء اللون عادة ، ومزينة ببعض الآيات القرآنية وأسـماء أعلام الاسـلام

(خاصة أسماء الخلفاء الراشدين) وأهل البيت ... الخ • وعلى طرفه شاهد القبر من ناحية الرأس يرتفع حجر أو رأس للقبر ، يغطى أيضا بقماش من نفس اللون والنوع الذى يغطى به الشاهد نفسه ، ويأخذ فى النهاية شكل العمامة • وفى بعض الاحيان يوضع فوق هذا الجزء المرتفع عمامة حقيقية توضع فوق عمود خشبى مرتفع فوق شاهد القبر ، وكل ما يميزها أنها تكون أكبر من العمامة الحقيقية بدرجة ظاهرة • وفى أحيان أخرى ترتفع فوق أركان الشاهد الاربعة أربعة أعمدة فوق كل منها كرة معدنية ، أو رأس معدنى صغير مزين ببعض النقوش ، وقد تكون أحيانا مصنوعة من الخشب أو غير ذلك من المواد •

على أن الملاحظ فى بعض الاضرحة البدائية أو البسيطة أن يكون شاهد القبر صغيرا بشكل ملحوظ ، خاصة عندما يكون هذا القبر خاليا من جثمان الولى نفسه . ويكون مجرد رمز للولى فقط • ونصادف تلك الظاهرة بشكل خاص فى أضرحة الأولياء المؤثرين ، أو الاضرحة التى أقيمت حيث يعتقد أن الولى قد توقف وأقام بها لبعض الوقت •

أما بالنسبة لكبار الاولياء فان الضريح يكون محورا لمسجد كبير ، يكون مرتبطا بالقبر الخاص بالولى • وفى هذه الحالة يكون القبر من حجم ضخم غير عادى ، ومحاطا بسور ضخم من المعدن أو الخشب المشغول (مقصورة) • وفى هذه الحالة لا يوجد القبر — أو المقصورة — فى وسط المسجد ، وانما تحت قبة خاصة فى ركن من أركان المسجد • وأضرحة كبار الاولياء أغلبها من هذا النوع •

١٢ — الاشجار المقدسة :

ينصرف لفظ القداسة هنا الى التكريم الشعبى ، بعيدا بطبيعة الحال عن أى معنى دينى رسمى للتقديس • ويلاحظ أن كثيرا من أضرحة الاولياء فى كثير من بلاد العالم الاسلامى تحتوى على بعض الاشجار المقدسة ومن الاشجار المقدسة التى تحظى بمكانة خاصة ضمن هذا النوع : أشجار السنديان ، والبلوط . والتين . والخروب ، والزيتون . والتوت . والسدر •

ونجد منها أيضا ، وان كان بدرجة أقل ، الصنوبر ، والنخيل ، ... الخ .

وتتخذ الاشجار المقدسة هيئة شجرة واحدة قائمة بذاتها ، أو مجموعة متجاورة من الاشجار ، وان كان الوضع الاول هو الارجح . ويقال فى تفسير قداسة الشجرة المفردة المقدسة تبريرات وحكايات كثيرة، منها مثلا أن أصدقاء الولى قد زرعوا عصاة فى هذا المكان بعد موته ، وأن هذه العصاة كبرت وتحولت الى شجرة مزهرة .

واذا كانت الشجرة المقدسة مثمرة ، فانه يكون من حق أى شخص يمر بها أن يقطف من ثمرها ويأكل ، ولكن لا يأخذ معه منها شيئا . أما من يتعدى عليها بقطع فرع من فروعها أو الاضرار بها قبل أن تثمر على أى صورة فان الولى يتكفل بعقاب الجانى وتأديبه . والشائع أن يقرأ الشخص الذى يأكل من ثمار هذه الشجرة الفاتحة على روح الولى المجاور لها . وهناك ظاهرة نادرة ، ولكنها واردة ومفهومة فى ضوء بعض ملامح المعتقد الشعبى ، هو أن يعتقد أن مثل هذه الشجرة مسكونة بأرواح شريرة . ذلك أن القداسة قد تخلع صفة الجذب على الشىء فيندفع اليه ويتبرك به ، كما قد تخلع عليه صفة التنفير والتخويف فيخشاه الناس ويصبح شيئا يجب تجنبه (تابو) .

والاشجار التى نتكلم عنها حتى الآن هى غالبا تلك التى ترتبط بضريح معين لشيخ أو شيخة ، أو ترتبط بعين أو بئر ، أو مكان مقدس لاى سبب آخر . وفى هذه الحالة تتلقى الشجرة المقدسة كافة مظاهر التكريم الذى يتلقاه الولى العادى ، أو أغلبها على الاقل . بل اننا نجد أن الولى المجاور لا يكون له اسم علم محدد ، وانما يطلق عليه اسم الشجرة القائمة فى ضريحه(٢٦) .

---

(٢٦) يحكى توفيق كنعان عن امنا شجرة الزيتون ، او امنا شجرة الغار Lorbeer .. الخ . انظر :

Canaan; T; Mohammedan Saints and Sanctuaries in Palestine; London; 1927; p. 69 ff.

نقلا عن كريس ، المرجع السابق .

ويقسم ياوسين Jaussen الاشجار المقدسة الى ثلاثة مجموعات ، مع ضرورة مراعاة انسياب الحدود بين هذه الفئات الثلاث ، لان التقسيم يستهدف التوضيح وتيسير فهم الظاهرة ، ولكن الواقع يتصف دائما بقدر أكبر من المرونة والتفاعل والحيوية • وهذه الفئات الثلاثة هى :

١ — الاشجار المقدسة التى ترتبط بضريح ولى معين على نحو يمثل فيه الولى محور التكريم وبؤرته ، ولا يزيد دور الشجرة فى هذه الحالة عن كونها مظهراً من مظاهر ولاية الولى ، أو وسيطا فى عملية التكريم •

٢ — الاشجار المقدسة التى ترتبط بضريح أحــد الاولياء ارتباطا وثيقا ، بحيث أن الولى أو روحه لا تكون لها أى فاعلية أو تأثير الا من خلال الشجرة • وفى هذه الحالة تظل الرابطة بين الولى والشجرة شديدة القوة، بحيث يصبحان شيئا واحدا تقريبا ولايكون للولى وجود الا بالقرب من الشجرة ، والعكس بالعكس •

٣ — الاشجار المقدسة (أو مجموعات الاشجار) التى لا ترتبط بأى ولى معين ، وتكون بركتها كامنة فيها ذاتها ، لا تلتمسها من أى مصدر آخر • غير أن الحقيقة فكرة الاعتقاد بوجود روح للشجرة (مستمدة أصلا من وجود روح للعناصر الطبيعية بصفة عامة) تجعل الناس يعتبرون الشجرة « وليا ما » ، أو وليا مجهولا أو غير محدد باسم أو صفة معينة•

١٣ — العيون والآبار المقدسة :

كذلك كثيرا ما توجد بعض العيون والآبار داخل الاضرحة أو على مقربة منها ، وفى بعض الاحيان قد يكون المكان خاليا من أى ولى • ولا يكون هناك سوى العين أو البئر كموضوع وحيد لمظاهر التكريم المختلفة • ومن هنا لا تختلف علاقة العيون والآبار بالولى عن علاقة الشجرة المقدسة بالولى ، على نحو ما أوضحنا فى الفقرة السابقة •

أما فى حالة وجود البئر أو العين بجوار قبر الولى ، فيعتقد أحيانا

أن روح هذا الولى تسكن تلك البئر ، الامر الذى يقترن بوجود بعض الظواهر أو الامارات فوق الطبيعية ، حيث يصدر عن البئر (حسب التصور الشعبى) أصوات أنغام معينة ، أو بعض الاضواء ... الخ • وقد يسكن البئر شيخ أو شيخة يشتهر عادة بدرجة رفيعة فى مراتب الولاية ، وقد يظهر فى البئر بعمامته البيضاء . أو الحمراء أو الخضراء • وكما لاحظنا من قبل ، وكما يمكن أن نلاحظ دائما ، قد يعتقد أن البئر ليس مسكونا بولى معين ، ولكنه مسكون بجنى ، أو روح شريرة ، تبتلع الناس أو الاشياء • وفى بعض الاحيان يكون الانسان الذى يقترب من البئر أو يقع فيه موضوع شد وجذب بين قوى الخير (قوة الولى) وقوى الشر (قوة الجن الشرير)، بحيث يتصور أنه لو جذبت روح الجنى الانسان الى البئر ، فان روح الولى هى التى تنقذه من الغرق ... وهكذا • كما أن الولى أو الروح التى تسكن البئر تسمع أدعية الناس المتعبدين قرب هذه البئر • ومن الطبيعى أن مياه مثل هذه الآبار تستخدم فى علاج كثير من الامراض وتخفيف الكثير من الآلام وليس هنا مجال للخوض فى تفاصيل هذه الامور ، حيث سيرد بعضه فى فصل الطب الشعبى ، أو فى مواقع أخرى من هذا الكتاب •

وفى أحيان غير قليلة يرتبط ضريح الولى بوجود كهف طبيعى أو صناعى • وقد يوجد قبر الولى داخل الكهف نفسه ، بحيث يبنى المقام نفسه فوق الكهف ، أو فى الطريق الى القبر أو فى مكان قريب من القبر • والعادة أن يستمد مثل هذا الكهف قداسته من علاقة بينه وبين الولى أثناء حياته ، حيث يعتقد مثلا أن الولى كان يقيم فيه أو بالقرب منه ، أو يقضى فيه خلوته التى تعبد فيها ... الخ • وفى بعض الاحيان يمكن أن نصادفه كهفا مقدسا بلا ضريح أو ولى ، حيث يكتسب صفة القداسة لوجود حيوان أو كائن مقدس ، كثعبان مثلا أو شىء من هذا القبيل • أو يكتسب الكهف قداسته لان وليا معينا يظهر فيه ويمارس بعض كراماته أو يقدم علاجا أو خدمة لزواره •

١٤ — الاحجار المقدسة :

ونشير فى النهاية الى بعض الاضرحة التى نصادف فيها بعض الاحجار المفردة أو المتراصة على نحو معين فى هيئة بالذات ، أو دون أن تتخذ هيئة محدودة . وقد يطلق على هذه الاحجار اسم « مشهد » ، أو اسم ولى ، أو مجموعة من الاولياء ، أو اسما عاما غير محدد .

والاحجار المقدسة ليست بالامر الغريب على المعتقد الشعبى فى البلاد الاسلامية ، لان تراث تلك المجتمعات القريب والبعيد ملىء بعشرات الصـــور والنماذج الدائرة حول تقديس الاحجـــار ، أو استخدامها فى مناسبات لها صفة القداسة . ولو أنه تجـــدر الاشارة الى أن التراث التقليدى لشعوب أخرى كثيرة يعرف دائما العـــديد من صور تقـــديس الاحجـــار .

١٥ — موكب الولى :

من الظواهر التى نلاحظها على موالد كبار الاولياء ، والاولياء العاديين أحيانا ، أن يرتبط الاحتفال بمولدهم بموكب كبير ، يضم أبناء الطوائف المختلفة ، يحملون بيارقهم ، وأحيانا سفينة الولى ، والجمال المحملة ببعض الاشياء ، وزوار المولد الراجلين ، وغير ذلك . ويشبهه البعض بموكب المحمل ، ويقارن هؤلاء بين رحلة المحمل الى الكعبة ، ورحلة الموكب انطلاقا من ضريح الولى أو انتهاء اليه(٢٧) .

ويحمل أثناء هذا الموكب صندوق خشبى كبير يغطى بقماش أو ستارة كبيرة ، وينقل على ظهر جمل ، أو تحمل سفينة كبيرة لنفس الغرض . وعلى مدار العام — وانتظارا للموكب — تحفظ سفينة الولى أو هـــذا

---

(٢٧) انظر مزيدا من التفاصـــيل والشواهد عنـــد كريس ، المرجع السابق ، ص ٢٧ وما بعدها ، وكذلك فى الفصل الثانى ، ص ٥٣ وما بعدها . وكذلك حديثا مفصلا عند :

Klunzinger; C. B: Bilder aus Oberagypten; Stuttgart; 1878.

خاصة فى حديثه عن موكب سيدى ابو الحجاج الاقصرى .

الهيكل الخشبى الفارغ داخل الضريح فى مكان منعزل غير مطروق، أو على مقربة من الضريح • ثم يتم اخراجه قبيل المولد ، ويزين ، وذلك بعد تغطيته بالقماش المزين (وأحيانا يكون هذا الغضاء هو نفسه الستارة التى يغطى بها قبر الولى طول العام) •

١٦ — سفينة الولى :

كانت السفينة ومازالت تمثل أحد العناصر الطقوسية الهامة فى المعتقد الشعبى المصرى • حيث نلاحظ أن أغلب الاضرحة الكبيرة نوعا ، والتى يقام لاصحابها مولد سنوى ، تملك سفينة (أو كانت تملك مثل هذه السفينة حتى عهد قريب) • وتزين تلك السفينة بأنواع الزينات المختلفة ، وتوضع على عربات وتسير كموضوع رئيسى فى موكب مولد هذا الولى • ولو أن الملاحظ اليوم بصفة عامة أن عمليات التحديث التى طرأت على الثقافة المصرية قد عدلت من هذه الممارسة على نحو أو آخر • ويمكن أن نتبين أبعاد هذا التغيير من استعراض الدور الذى كانت تلعبه السفينة فى الاحتفالات فى الماضى ، وما يجرى عليه الامر فى الوقت الراهن •

وسفينة الولى صغيرة الحجم نسبيا ، ويتم حفظها فى غير أيام المولد فى داخل الضريح أو قريبا منه • ويتردد بين الناس الاعتقاد بأن تلك هى سفينة الشيخ (الولى) وأنه يقوم بواسطتها برحلاته البحرية ، خاصة رحلاته فى النيل • ويستنتج كريس وغيره من الدارسين من تلك التفسيرات لوظيفة السفينة أنها توحى بأصل فرعونى مصرى قديم[٢٨] • والموالد التى تلعب فيها السفينة مثل هذا الدور البارز فى الموكب — وهى بذات الحجم الطبيعى المستخدم فى الملاحة النيلية — هى مولد سيدنا أبو الحجاج (فى الاقصر) وسيدى عبد الرحمن (فى قنا) •

ولما كانت السفينة تعد من الاشياء الخاصة بالولى والمخصصة

---

(٢٨) انظر كريس ، المرجع السابق ، ص ٣١ — ٣٢ ، انظر قائمة المراجع عن دراسات عن تاريخ السفينة ومكانتها فى المعتقدات الدينية والشعبية .

لاستخدامه أو للاحتفاء به أو لكليهما معا ، أصبح من الطبيعى أن تدخل السفينة كأحد النذور التى تقدم الى الولى فى المناسبات المختلفة • وقد عثر كريس فى أحد الاضرحة الصغيرة فى مدينة الاقصر على ثلاث سفن صغيرة الحجم مصنوعة يدويا لكن بطريقة يبدو فيها عدم التخصص والبعد عن تجويد الصنعة ، معنى ذلك أنه صنعها أحد محبى الشيخ دون تخصص سابق فى هذه الصناعة ، ولكن بدافع من رغبته فى اهدائه سفينة توضع فى ضريحه • وكانت القوارب الثلاثة مصنوعة من جسم من الصفيح المطلى باللون الاخضر ، ترتفع فى وسط كل منها صار من الخشب وينطلق منه قلع من القماش الابيض ، بحيث أصبحت هيئتها فى النهاية شديدة الشبه بالقارب الذى يجرى فوق صفحة ماء النيل كل يوم ، ولكن بشكل صغير ومبسط • (انظر كريس ، المرجع السابق ، ص ٣٢ ، وكذلك الصورة رقم ٧٨ عنده) •

١٧ ــ الاضاحى والنذور :

من أهم الاضاحى التى تقدم للولى أو النذور التى تنذر له شعر الانسان ، سواء كان بالغا أو طفلا صغيرا(٢٩) • ويرى البعض أن المعنى الاصلى (!) للتضحية بالشعر ربما كان الرغبة فى تدعيم وتجديد قوة الانسان كما أن الشعر يعد فى المعتقد الشعبى مقر الروح الانسانى ومكمن قوة الانسان• (انظر الفصل الخاص بالمعتقدات الشعبية المتعلقة بالجسم الانسانى فى هذا الكتاب) • وتتجلى أهمية الشعر فى المعتقد الشعبى بوجه خاص فى طقس « العقيقة » وهى التضحية بشعر الطفل فى يوم السبوع حيث يقص شعر البطن للطفل وينذر لاحد الاولياء ، أو يقص فيما بعد

---

(٢٩) تمثل التضحية بالشعر عنصرا اساسيا فى بعض الطقوس الدينية الاسلامية الهامة ، وهناك نظائر لتلك الممارسات لدى شعوب اخرى كثيرة •

انظر دراسة مفصلة للتضحية بالشعر الانسانى (خاصة شعر الرأس) فى المصدرين التاليين :

Goldziher; Jgnaz; «Le sacrifice de la chevelure des Arabes»; dans Revue de L' Histoire des Religions; 1886; pp. 49 ff. Chelhod; Josef; Le sacrifice chez les Arabes; Paris; 1955. pp. 131 ff.

وكذلك كريس ، المرجع السابق ، ص ٣٣ •

وتترك منه خصلة من الشعر الاصلى (شعر البطن) لا تحلق الا بمناسبة مولد هذا الولى • وفى بعض الاحيان تدهن رأس الطفل بدم الضحية التى تذبح فى ذلك اليوم تكريما للولى • ويعد التقرب بشعر الطفل هنا نوعا من التضحية بأوائل الاشياء (كما يضحى بأول كمية أو أول حزمة من المحصول ، وأول قطيع الماشة ، وكما كان يضحى بأول المواليد وهكذا) • وقد حلت التضحية بالشعر محل التضحية بالوليد نفسه فيما بعد •

وقد عالج ياوسن هذا الموضوع معالجة مفصلة فى الفقرة رقم ٤٧ من مؤلفه الذى سبقت الاشارة اليه • حيث ذكر أن البدو فى أرض مؤاب كانوا يطلقون على أوائل الاشياء التى يضحون بها اسم «سماط» • وهى أساسا عبارة عن أوائل المنتجات الزراعية والحيوانية بالذات • فعندما يبدأ البدو أواخر الشتاء أو فى أوائل الربيع فى حلب ما شيتهم لا يتجرأ أحد منهم على شرب أول اللبن الذى ينثل من ضرع الماشية • وانما يترك جزء من أول اللبن المحلوب . كما يترك جزء فى أول كمية تصنع منه من الزبد ، ويبقى هذا الجزء فى الوعاء الذى حلب أو صنع فيه لينذر لاحد الاولياء • وكانت الزبد توضع فى مصباح أحد الاولياء وقودا له • وتنذر هذه الاشياء لله ، أو لسيدنا الخضر ، أو لاى ولى محلى موجود فى المنطقة ، وبذلك يختلف الامر من فرد لاخر •

كذلك يضحى أولئك البدو بأوائل المحصول من للحبوب على اختلاف أنواعها وان كان يستثنى من ذلك مختلف أنواع الفواكه • ويضحى الناس أيضا بأول مواليد الشاه أو الماعز ، لنفس الجهات التى سلفت الاشارة اليها بالنسبة للبن والزبد • وعلى أن المولود الصغير من الماشية لا يذبح صغيرا ، وانما يذبح بطبيعة الحال بعد أن يكبر فى مناسبة أحد الاحتفالات أو المواسم الدينية • ولهذا السبب يعلم الوليد من الماشية بعلامة واضحة فى أذنه أو فى أى مكان ظاهر من جسمه ، بحيث يعرف أن ذلك الحيوان منذور لاحد الاولياء •

ولا يقتصر أمر هذا النذر لاوائل الاشياء والمواليد (من الحيوانات)

على المسلمين ، ولكن المسيحيين فى منطقة الكرك ، يقومون — كما لاحظ ياوسن — باحضار الحيوان المنذور الى الكنيسة لمباركته . ثم يذبح ويؤكل فى وليمة عامة •

ولاحظ ياوسن حدوث نفس الظاهرة عند ظهور أحد الاوبئة بين الماشية ، حيث يحضر الراعى قطيعه بأكمله ، ويدور به حول الضريح لكى يعمل الولى صاحب هذا الضريح على حمايته من الوباء الاخذ فى الظهور • ويعين من بين القطيع شاة يذبحها نذرا وقربانا للولى ، ويختار لهذا الغرض الشاة التى تقترب من الضريح أثناء الدوران حوله أكثر من سائر حيوانات القطيع • اذ يعتقد أن اقتراب ذلك الحيوان من الضريح لم يكن صادرا عن الحيوان نفسه ، ولكنه نتيجة لاختيار الولى نفسه هذه الشاة من بين سائر حيوانات القطيع(٣٠) •

وقد درس جوزيف شيلهود Chelhod معنى الاضحية فى ضوء تفسير فان ديرليو Van der Leeuw فى كتابه الشهير « فينومينولوجيا الدين » باعتباره وسيلة لتحقيق الاتصال بين الانسان المتدين وبين المقدس• وهو اتصال يستهدف أن يفدى الانسان نفسه وأن يتطهر •وبذلك يتحقق بهذه المناسبة من الرحمة والعاطفة الدينية بين المعطى والمتلقى بواسطة هذه الاضحية ومن خلالها • وقد تعرض مفهوم الاضحية فى الاسلام لتغير كبير ، بسبب مفهوم المسلمين عن الله ، واختلافه عن مفهوم الشعوب السابقة على الاسلام • فالله فى الاسلام ليس فى حاجة الى الاضحية كمصدر لاسالة الدم ، كما كان الامر فى كثير من الاديان السابقة ، ولكن الاضحية تحولت الى وسيلة لاظهار الولاء والطاعة والتماس القربى والتعبير عن الخضوع لله • ولهذا السبب يحرص صاحب الضحية الذى يقوم بذبحها حرصا شديدا على أن يتلو قبل الذبح : « باسم الله ، الله أكبر ، اللهم منك واليك •• » اذ أنه بهذه الكلمات يعتذر صاحب الاضحية

---

(30) Jaussen; op. cit; pp. 364 ff and p. 358.

عن قتل ضحيته ، على أساس أن الروح التى سترهق من وراء هذا الذبح هى ملك لله سبحانه وتعالى •

وقد استعرض كريس فى كتابهما الذى سلفت الاشارة اليه من قبل بالتفصيل عملية الأضحية ، من حيث مسمياتها ، وكيفية اختيار حيوان الضحية ، وطريقة الذبح ، وطريقة توزيع اللحم ، ووليمة الضحية ••• الخ • (انظر ، كريس ، المرجع السابق ، ص ص ٣٤ وما بعدها) •

والمناسبات التى يضحى فيها الانسان بذبيح كثيرة متنوعة ، أولها ذبيحة الفداء ، التى تسمى « فدوة » وهى كما يتضح من اسمها وسيلة يشترى بها الانسان نفسه ، أو يفدى بها نفسه من وقوع مكروه أو حادث •• الخ وهناك أضحية النذر ، التى يقطع الانسان فيها على نفسه أن يقدم لله (أو فى العادة لولى معين) ذبيحة معينة اذا تحقق له غرض معين ، كرواج تجارة ، أو زواج ، أو نجاح أو انجاب •• الخ • وفى هذه الحالة تسمى الضحية « نذرا » • وقد يضحى الانسان قبل أداء عمل معين أو الدخول فى تجارة أو رحلة بقصد أن يكلل مسعاه بالنجاح ، بمعنى أنه يقدم دليل ايمانه وتقواه « مقدما » ، ولا ينتظر الى أن يتحقق غرضه • ويضحى الانسان أثناء المرض كى يشفى ، ويضحى لكى ينصره على عدوه ، وللحصول على الأطفال أو لشفائهم من مرض خطير ، أو لتجنب الاصابة فى حالة انتشار وباء أو ما شابه ذلك • أى أنه يمكن القول باختصار بأن الانسان يضحى فى كل المناسبات التى يستشعر فيها أن هناك أخطارا معينة تهدد حياته ووجوده وسعادته ، أو بعد أن ينجو من تلك الأخطار(٣١) •

---

(٣١) ويوجد علاوة على هذا النوع من الاضاحى الذى يتم فى المسجد أو أمام الضريح أو ينذر لولى معين . . الخ . انواع اخرى من الأضاحى والنذور التى تتصل بمناسبات الحياة المختلفة ، وهى فى تنفيذها ترتبط بسياق اجتماعى اكثر منه دينى ، وان كانت ذات جذور دينية على أى حال . ولكننا لايمكن أن نتعرض لها تفصيلا لان ضريح الولى أو المسجد لا يمثل المحور الأساسى فيها ، ولا يدخل الولى كطرف أساسى فيها . من تلك المناسبات الاضاحى التى تقدم=

وفى بعض الأحيان يمكن أن نلمس جذور الاهتمام بدم الذبيحة ، والحرص على الاستفادة منه على نحو معين • حيث يحرص البعض على دهان جبهة الشخص الذى ذبحت من أجله الضحية بدم تلك الضحية ، ونجد ذلك الحرص واضحا فى حالة الأطفال بوجه خاص •

أما التصرف فى لحم الضحية فيخضع هو الآخر لقواعد محددة تراعى فى العادة فى كل حالة • فيصيب الجزار أو الشخص الذى قام بالذبح نصيبا معينا ، وكذلك أصحاب الذبيحة يحتفظون لأنفسهم عادة بأجزاء معينة وهكذا • ولكن الجميع يشاركون فى الوليمة التى تقام على تلك الذبيحة • ولكن هذا لا يمنع فى أغلب الأحوال أن يوزع الجانب الأكبر من لحم الضحية على الفقراء ، الذين يدعون الى هذه الوليمة ، أو تقدم اليهم فى مناسبات تجمع معينة (مثلا : يوم الجمعة فى مسجد الولى عقب الصلاة ، أو عند الولى بمناسبة المولد ••• الخ) •

وهكذا نرى أن الفكرة الكامنة وراء ممارسة تقديم ذبيحة ، أو أى نذر لولى ، هى فى الأساس فكرة بسيطة مؤداها أن الانسان وما يملك انما هو ملك لله • ولكن اذا أراد هذا الانسان أن يتجنب سوءا سيقع له أو ينقذ حياته من خطر محدق بها أو يشفى من مرض ألم به ، فانه يفتدى نفسه بهذه الضحية • ولما كانت القطاعات الشعبية فى المجتمع (أى القطاعات الأكثر حظا من الثقافة التقليدية) أقل قدرة على التجريد فى المجال الدينى ، فانها ترى الله بعيدا أكبر من أن تلجأ اليه ولذلك تلجأ الى الولى (ربما لدى البعض كواسطة الى الله) ، ولكن لدى الأغلبية كعامل فعال فى تنفيذ رغبة صاحب الحاجة • فتقدم الضحية لهذا الولى ، وتحاول

=بمناسبة بناء بيت جديد (حيث تذبح حيوانات وتقام وليمة)، وبمناسبة الزواج، والموت ، وميلاد آخر الأطفال ، وبمناسبة استضافة ضيف عظيم أو نزوله الى القرية ، وفى الختان ، وعند بدء المحصول ، وفى غير ذلك من المناسبات التى تمثل الذبيحة فيها جزءا من جو الاحتفال الاجتماعى ، اكثر منه جزءا من طقس دينى •

أن تذكّره بكافة السبل ، من هذا مثلا مسح عتبة ضريحه بدم الضحية كى لا ينسى طلب صاحب الحاجة . ولا ننس كذلك أنه تقوم بين الضحية والشخص الذى تقدم له علاقة خاصة فيها شىء من التعاطف والالتزام . فالشخص الذى ينذر تمسح جبهته بذم الذبيحة ، وكذلك القطيع الذى يفدى عنه تمسح حيواناته بدم تلك الذبيحة وهكذا .

وقد قدم العالم الالمانى باول كال Kahle تلخيصا للآراء التى قيلت فى تفسير الممارسات التى يستخدم فيها دم الضحية(٣٢) . فعلامة الكف الذى يغمس فى دم الضحية ويرسم على حائط الضريح أو غير ذلك قد يكون مجرد علامة للذكرى يذكر فيها الزائر الولى بزيارته ووفائه بنذره ، أو اذا كانت الضحية سابقة على تحقيق الطلب ، فتكون تذكره للولى بألا ينس تحقيق رغبة الزائر التى سأله اياها . أما تلطيخ عتبة بيت صاحب الضحية أو جدار بيته بدم تلك الضحية فيهدف الى نقل البركة الى بيت ذلك الرجل . لأن الضحية ودمها ملك للشيخ (الولى) ، ولصق جزء منها على البيت فيه استعارة لبركة ذلك الشيخ ، كما أنها قد تعنى امتداد قوة الشيخ وحمايته لتشمل أهل البيت تدفع عنهم الشرور والأمراض وتحميهم من الاضرار المختلفة . أما تلطيخ جسد الشخص الذى ذبح من أجله حيوان الضحية بدم تلك الضحية فهو اظهار لرغبة الاهل فى تحقيق رابطة وصلة قوية بين هذا الشخص والضحية التى قدمت من أجله تعبيرا عن الرغبة فى أن ينتفع بها انتفاعا حقيقيا وتحقق له ما ذبحت من أجله .

ونحن نعلم أن هناك ممارسات أخرى عديدة تبرهن على نظر المعتقد الشعبى الى الدم كمقر للروح أو تجسيد لتلك الروح ، كما يحدث من خلط دماء شخصين عند عقد مؤاخاة بينهما ، بحيث يصبح هذا الشخصان (الغريبان أصلا) بمثابة أخوين تماما تربط بينهما أخوة الدم . ولهذا فان امتزاج جسد المضحى من أجله بدم ضحيته هو الآخر تعبر عن التضحية

---

(32) Kahle; Paul; «Die Gebrauche bei den muslemischen Heiligtümern in Palastina»; in : Palastina Jahrbuch; Vol. 8; 1912; pp. 159 ff.

بمعنى (هي روح حيوان الضحية) من أجل سلامة روح أخرى (هي روح المضحى من أجله) .

وهناك حالات أخرى لا يقدم فيها نذر أو ضحية ولكن الناس يسمون الذبيحة « قربانا » ، أو وليمة لله . وفي هذه الحالة لا يتم الذبح عند مقام أحد الأولياء ، وانما في أي مكان أمام البيت أو داخله . ولا يوزع لحم الذبيحة على النحو السابق ، وانما يوزع كله على الفقراء . ويتم ذلك أحيانا في حالات المرض الشديد التماسا للشفاء أو في غير ذلك من المناسبات . ومع ذلك فان هذه الفروق ليست واضحة ومحددة بهذه الدقة في الممارسة اليومية ، وانما يمكن أن يختلط الأمر ، وتتبادل المسميات بين النوع والآخر من أنواع الضحية . فيحدث نوع من الحل الوسط التوفيقي بين أن يهب الانسان لحم الضحية لله أو للولي وللفقراء ، على أساس أن الفقراء والولي يدخلون طرفا في العلاقة فيتناولون اللحم المنذور لله .

وقد أشار شيلهود في دراسة عن الضحية الى بعض التحفظات فيما يتعلق باستخدام كلمة « وليمة » . حيث يرى أن الوليمة هي في الأصل وليمة الدفن ، أو وليمة الميت ، أو وليمة لتكريم الأسلاف القدامى . ويشارك في تلك الوليمة الفقراء وعامة الناس ، ويكون من امارات الرفعة وعلو الشأن ألا يشارك الوجهاء من الناس في تناول مثل هذه الوليمة . ويلاحظ كريس أن آراء شيلهود وملاحظاته تنصب أساسا على القبائل العربية في الجزيرة ، وليس على شعوب وادي النيل ، أو منطقة الشام(٣٣) . ومع ذلك فاننا يجب أن نؤكد في هذا السياق وفي كل موضوع أن التصنيفات فيما يتعلق بالممارسات الشعبية لدى الشعوب العربية — كما هو الحال عند كل الشعوب — يجب أن تؤخذ بحذر شديد ، لأنها لا يمكن أن تكون جامعة مانعة ، ولا يمكن أن تكون جامدة أبدا . ذلك أن التنويعات المحلية والاجتماعية والتغيرات المستمرة تعوق اقامة مثل هذه التصنيفات الجامدة الثابتة .

---

(٣٣) انظر شيلهود ، المرجع السابق ، ص ١١٧ .

والقاعدة العامة على أى حال هى ضرورة الوفاء بالنذر الذى يقطعه الشخص على نفسه ، لان عدم الوفاء يدعو الولى الى الانتقام من الشخص واصابته بما لا يطيق من الآلام والمتاعب • وان كان يمكن أن ينفق من المال ما يساوى قيمة النذر اذا لم يجد سبيلا الى الوفاء بالنذر المعين الذى قطعه على نفسه • أى أن التبديل والتغيير ممكن فى حدود قيمة الشىء المنذور للولى • كما أن الشخص نفسه قد تعوقه ظروف معينة (كالوفاة أو المرض أو السفر أو غير ذلك) عن الوفاء بنذره ، ويمكن لغيره أن يفى عنه به ، فلا يتعرض لايذاء الولى •

وعلاوة على الذبيحة يمكن للشخص أن يختار أشياء أخرى عديدة كموضوع للنذر يتعهد بتقديمه للولى : فليس من اللازم أن يكون النذر دائما ضحية أو ذبيحة • ومن الأشياء التى نجدها تتكرر كنذور : المواد الغذائية بأنواعها (كالفول ، والخبز ، والعدس ، والحبوب ، والخضروات والفواكه ••• الخ) ، وقطع الأثاث التى تستخدم فى تزيين الضريح كالمفشات ، والسجاجيد ، والمصابيح ، وكسوة المقام ، والمصاحف ، والكتب ، والحصر وغير ذلك • ومن الاشياء التى تنذر للولى أيضا : البخور ، والكيروسين أو الزيت (قديما) ، وأحيانا بعض الأشياء الشخصية (كأن يهب الشخص للضريح شيئا عزيزا عليه من ملابس أو حلى) •• الخ •

والمهم فى الأمر أن حكايات ونوادر شعبية كثيرة تتواتر حول حرص الولى الشديد على التزام الشخص بالوفاء بنذره ومحاسبته على ذلك أدق حساب ، بل وأحيانا محاسبة أسرته من بعده اذا ما توفى قبل أن يوفى بنذره •

ومن الأشياء التى تعلق فى أضرحة الأولياء أيضا « عروسة القمح »، وهى عبارة عن شكل مجدول من عيدان القمح الخضراء تزينها السنابل وتصنع فى شتى أنحاء مصر ومن كل من المسيحيين والمسلمين وفى مناسبات شتى • وهى تعلق عادة على أبواب البيوت أو فى مداخلها كتعويذة تحمى

أهل البيت من العين الشريرة الحاسـدة . ولكن تعليقها فى ضريح الولى يعنى الشكر على وفرة المحصول أو جودته (وقد عالج كريس هذه الظاهرة بتفصيل كبير فى الجزء الثانى من كتابه ضمن دراسته للسحر) .

وقد يتبرع أحد الأشخاص بزرع شـجرة مثمرة أمام الضريح أو بجواره ، وتكون الشجرة وثمارها فى هذه الحالة ملكا للولى . كما يتبرع الناس بألوان الصباغة المختلفة كالحنة والنيلة لتزيين الضريح وتلوينه . كما يدخل فى هذا الباب التبرع بمواد البناء المختلفـة كالطوب والجـير وغيرهما . خاصة وأن الولى الذى ينتشر تكريمه بين الناس يجب أن يطلى ضريحه مرة على الأقـل كل عام . ويتولى ذلك عادة محبوه وزواره ومن أصابهم بفضله ، وان كان يمكن أن يضطلع خادم الضريح بذلك العمـل أيضا . وقد ينذر الشخص للولى أن يعمـل فى خدمة ضريحـه فترة من الزمن ، كأن يتولى أو تتولى صاحبة المصلحة كنس الضريح لمدة عام أو نصف عام ، أو تتحمل جهدا فى جمع مواد بنائه أو القيام بعملية البنـاء وهكذا . وقد ينذر الشخص أو يصنع رايات (بيارق) تعلق على ضريح الولى ، وتحمل فى موكب مولده .. الخ .

ولكن الظاهرة التى تستحق أن نقف عندها بهذه المناسبة هى وجود كثير من الخرق (قطع من ملابس مستعملة) المعلقة داخل الضريح . كأن تلقى على القبر ، أو تعلق على حبل ممتد داخل الضريح ، أو على شجرة مزروعة داخل الضريح أو بجواره ، أو على صارى بالقرب منه وهكذا . ويكاد لايخلو ضريح من أضرحة الاولياء فى ريف مصر من وجود تلك الخرق المعلقة ذات الألوان والاشكال المتباينة . وقد سجل كنعان هذه الظاهرة بالنسبة لفلسطين فى مطلع هذا القرن ، كما لاحظها أيضا كريس فى جولاته فى البلاد الاسلامية فى العقد الماضى .

وقد اجتهد الباحثون فى تفسير هذه الظاهرة الواسعة الانتشار ، من هذا مثلا أن الشخص الزائر للضريح وصاحب الحـاجة لدى الولى يمزق قطعة من ثيابه، ويتركها فى الضريح تذكارا للولى أنه قد زاره وأدى واجب

التحية والتكريم • وقد يكون تذكارا محددا للولى يدعوه به الى ألا ينسى أن يقضى له حاجته التى سأله اياها • بل ان المريض عندما يقطع جزءا من ثوبه ويلقيه على مقام الولى ، انما يعتقد بذلك أنه ألقى مرضه على الولى ليتولى هو ازاحته عنه • وقد سجل كريس بعض العبارات التى تحمل هذا المعنى والتى يتلوها الزائر المريض وهو يلقى بخرقة فوق مقام الولى : « رميت مرضى عليك ، ياولى الله » • (انظر كريس ، المرجع السابق ، المجلد الأول ، ص ٣٩) •

كما لاحظ كريس أيضا أن هناك ممارسات أخرى ترتبط بهذه الخرق الكثيرة المتناثرة فوق ضريح الولى • حيث يحرص بعض زوار الضريح على أن يأخذ معه واحدة من تلك الخرق الموجودة على المقام أو داخل الضريح • وهى معه بمثابة بركة من ضريح الولى يتبخر بها ، أو يعلقها فى بيته ، أو يربطها على رأسه اذا كان يعانى من صداع ، أو يضعها فوق أى جزء مريض من جسمه • وعليه فى هذه الحالة أن يضع خرقة أو خرقا أخرى غير التى يأخذها ، لكى يتصل الأخذ والعطاء • والجدير بالذكر هنا أن الاحجار الصغيرة (أو قطع الزلط) يمكن أن تؤدى الدور الذى تؤديه الخرق ، حيث يضع الشخص قطع الأحجار داخل مقصورة الولى ، ويأتى آخر ليأخذها ، بينما يأخذ هو بعضها أو واحدة منها لنفس الأغراض السابقة التى أشرنا اليها عند حديثنا عن الخرق •

ومن الأضاحى والنذور التى تقدم لضريح الولى فى السودان قيد الجمل (الذى يربط قدماه الأماميتان لمنعه من القيام) الذى يلقى داخل المقصورة عندما يكون هذا الجمل قد فقد من صاحبه ، ثم وفق فى العثور عليه • ويحمل هذا القربان فى هذه الحالة معنى مزدوجا ، فهو أولا تعبير عن شكر الشخص للولى لعثوره على الجمل ، ثم هو ضمان لهذا الشخص ألا يضيع جمله مرة أخرى ، لأن الولى هو الذى يتولى حراسته وحفظه فى هذه الحالة • (انظر كريس ، المرجع السابق ، ص ٤٠) •

ومن النذور والهدايا التى ينتشر وجودها فى أضرحة الأولياء فى مصر

بصفة خاصة سفينة الولى • والطريف فى أمر هذه السفن أنها تعد قربانا ونذرا ، كما أنها تعد فى نفس الوقت (ولكن بشروط معينة) جزءا من مكونات الضريح وركنا من الأركان الأساسية فى موكب مولد الولى كل عام • وهى قد تصنع من الخشب ، أو من الصفيح والخشب معا ، أو من الورق فقط • وقد يدخل القماش فى جميع الأحوال لاكمال مظهر السفينة• وبعضها يمكن أن تدخل اللمبات الكهربائية فى تزيينه ، بحيث تقاد السفينة أيام المولد مساهمة فى احيائه والاحتفال به • وقد تظل مثل هذه السفن معلقة داخل الضريح ، وبعض الناس يأخذها ، أو أجزاء منها ، الى بيته يعلقها أمام البيت أو فى مدخله أو داخله تبركا بها واستعارة لحماية الولى بحيث تمتد الى بيته وأهله وماله • ويمكن أن يطلق الفنان الشعبى العنان لخياله فى تزيين السفينة ، فيحليها بالرسوم ، وقد يكتب عليها اسم الولى وربما اسمه هو أيضا ••• وهكذا • وقد يزودها صاحبها بنسخة مصغرة من القرآن الكريم ، أو أحد الأحجبة وغير ذلك •

وقد تعرضت هذه الممارسة لعملية تطوير طريفة فى العصر الحديث ، حيث يبدو تكيف العناصر الاعتقادية الشعبية مع ظروف العصر • حيث يمكن أن تصنع تلك السفن بكميات تجارية ، أى يتولى أحد المصانع (اليدوية البسيطة) صناعتها بكميات كبيرة ، وتباع بأجر بمناسبة أحد الموالد • ويشتريها الناس ليأخذوها معهم الى بيوتهم بركة وذكرى لزيارة الولى • مع أنه — كما هو واضح — ليس لهـا صلة بالولى فلا هى نذرت له ، ولا علقت فى ضريحه ، أى أن الصلة الشخصية الحميمة بين السفينة والولى لم يعد لها وجود • ومه ذه الأشسياء وتباع وتتداول ، ويمكن أن نجدها مسه ى البيوت أو فى مداخل المحلات التجارية • وهـذه الظاهرة لوحظت لأول مرة فى منتصف الخمسينات فى مولد سيدنا الحسين (كريس المرجع السابق) ، ومازالت موجودة حتى اليوم دون انقطاع • وهى اشارة الى تطور فى احتفالات الموالد قريب من ة ريبا الى مناسبات سياحية لتجارة العاديات وقطع الذكرى التى يحتفظ بها الشخص من الاحتفال كالميداليات وصور الولى وغير ذلك•

وتقودنا تلك النقطة الأخيرة الى الاشارة فى النهاية الى تجارة الصور الدينية التى تروج فى الموالد • وهى الأخرى من الظواهر الحديثة التى ظهرت مؤخرا ، والتى ترتبط بازدياد عدد رواد الموالد ، وتقدم امكانيات الطباعة ، وامكانية اخراج تنويعات كثيرة من هذا النوع من الصور بنفقات قليلة تتناسب ودخول الطبقات الشعبية التى تتردد على هـذه الموالد ، وتقتنى مثل هذه الصور •

ومن الموضوعات التى تصورها تلك المطبوعات :

- قبر الرسول فى المدينة والحرم النبوى •
- الحرم المكى والكعبة •
- السيد البدوى •
- سيدى ابراهيم الدسوقى •
- ناقة صالح •
- الكعبة وفيلة أبرهة تهاجمها •
- سيدى عبد القادر الكيلانى (الجيلانى) •
- سفينة نوح والمخلوقات التى عليها •
- صورة البراق •
- قبر سيدى أحمد الرفاعى •
- آيات قرآنية ••• الخ •

ولا شك أن دراسة هذا الموضوع من حيث مواقع انتاجه ، واختيار موضوعات الصور ، والقواعد والاعتبارات التى يخضع لها الفنان الذى يقوم بالرسم من حيث اختياره للموضوع وتخيله للتفاصيل والقيود التى يضعها على نفسه (مثلا : من حيث عدم تصوير أشخاص دينية معينـة كالرسول عليه السلام) •• الخ كل تلك الأمور تحتاج الى دراسة مفصلة وترتبط بكل جوانب التجديد فى الاحتفال بالأولياء •

١٨ ـ الطقوس والممارسات عند قبر الولى

تتمتع كل الأشياء والمواد الموجودة فى الضريح بعلاقة خاصة مع الولى ، وتنسحب عليها كل صفات القداسة التى يختص بها الولى ، ولذلك لا يحق لأى زائر أن يعتدى عليها أو ينال من هيبتها • ويتولى الولى بنفسه حماية ضريحه ، وليس هناك شىء يزعج الولى ويضايقه أكثر من تدنيس ضريحه أو الاعتداء عليه •

ولكننا نجد فى نفس الوقت أن كل ما ينتمى الى الضريح يتميز ببركة الولى وله منها نصيب ، ولذلك يحاول الزائر أن يأخذ لنفسه كل ما يمكن أخذه من الضريح أو مما حوله (دون أن يضايق ذلك الولى أو يغضبه) ، وكلما زاد حظه من ذلك ، كلما كان أفضل من وجهة نظر [illegible] نعلم أن الناس تلجأ الى الولى أكثر ما تلجأ فى حالات الاصابة بالمرض ، ذلك أن كل ما ينتسب الى الولى يتميز بقوة خارقة ، من هذا على سبيل المثال : الأشجار القائمة فى الضريح أو ثمارها . والحشائش المزروعة فى أرضه ، والأحجار ، والميــاه ، والتراب ، والزيت ، والمصباح •• الخ • ولذلك يأخذ الزائر المريض هذه الأشياء معه الى البيت للانتفاع بها فى العلاج • كما أن هناك بعض الممارسات التى يمكن أن تتم داخل الضريح أو بجواره • ففى البخور عند الضريح يستخدم المريض الخرق الموجودة معلقة داخله ، كما يستخدم أعواد الأشجار المقدسة النابتة فيه ••• الخ • كذلك يستخدم ماء العيون الموجودة عند القبر ، أو حتى ماء البركة المتجمعة بجواره ، فى غسل الأجزاء المريضة أو الاستحمام أو غير ذلك من الاستخدامات الطبية العلاجية •

ومن الوسائل الفعالة الواسعة الانتشار للحصول على بركة الولى الطواف حول المقام ، عددا وترا من الدورات ، سبعة أو ثلاثة على نحو ما هو شائع •

ولا يقتصر الطواف حول القبر على الآدميين ، ولكنه موجود وشائع

أيضا بالنسبة للحيوانات ، فقد يصطحب الفلاح معه حيوانه المريض ، أو قطيعه المهدد بالمرض . للطواف حول الضريح . من خارج المبنى طبعا (بسبب مراعاة طهارة المكان من الداخل) .

والأفضل من ذلك ، والأكثر فاعلية ، أن ينام الشخص داخل الضريح ، بجوار المقام ، ليلة أو عدة ليال (ذات عدد مفرد أيضا) . ويفضل لهذا الغرض قضاء ليلة الجمعة (من الخميس الى الجمعة) ، فهى أفضل وقت لمن يريد أن ينام ليلة واحدة بجوار الضريح . ويعتقد أن الولى يظهر للنائم فى هذا الوضع فى المنام ، ويقضى حاجته . أو يخبره بنبأ ما يريد أن يعرفه(٣٤) . ويفضل الناس النوم فى الضريح فى حالات الاستخارة ، عندما يريد معرفة أسلوب حل مشكلة معينة . أو اتخاذ قرار قبل الدخول فى مشروع معين (كزواج أو تجارة .. الخ) ، فيذهب الى الضريح وينام ليلته ، ويسمع جواب الاستخارة من فم الولى فى المنام(٣٥) .

وأشهر الأمراض التى من أجلها يذهب الناس الى أضرحة الأولياء التماسا للشفاء : الحمى بأنواعها ، والعقم (وكافة المشكلات المتصلة بالخصوبة والجنس) ، والأمراض الجلدية ، والأمراض العصبية والنفسية ، وأمراض العيون ، واحتباس البول ... الخ . ومعروف أن هناك نوع من التخصص بين الأولياء فى علاج هذه الأمراض . فمع أن هناك أولياء يمكن اللجوء اليهم لعلاج أى مرض ، الا أن العادة أن أى ولى يتمتع بشهرة خاصة فى علاج مرض معين . والمعروف أن زيارة الولى

---

(٣٤) من الجدير بالذكر أن هذه الممارسة كانت شائعة أيضا عند العرب قبل الاسلام ، حيث كانوا يبيتون فى الكعبة لنفس الغرض . انظر كريس ، المرجع السابق ، ص ٤٨ ، وكذلك المراجع الواردة هناك .

(٣٥) مازال هذا الاعتقاد وتلك الممارسة شائعة حتى اليوم فى المغرب ، انظر حول هذا :

Westermarck: Edward: Ritual and belief in Marocco: London; 1926; Vol. II; pp. 56 ff.

للعلاج تتطلب عــلاوة على مراعاة التخصص مراعاة عــدد من الشروط والمواصفات المتصلة بالطهارة ، ومراعاة الوقت المناسب ، والصدقة ••• الخ •

وعلاوة على العلاج تلعب أضرحة الأولياء دورا هاما فى عملية حلف اليمين أو أداء القسم بطقوسها وقواعدها المختلفة • فاليمين الذى يؤدى عند ضريح ولى له قيمة خاصة ، والولى هو الذى يتصدى لمن يكذب فيه أو يحنث • وتتم هذه العملية فى مناسبات عديدة : العهد بين شخصين أو عدة أشخاص على نية معينة أو عمل محدد ؛ أخذ اليمين على المتهم بسرقة أو عمل شائن ، الاستدانة •• الخ • هذا مع مراعاة أن الحلف يكون بالله، الا أن الولى هو شاهد هذا العهد ، وهو الكفيل بمن ينكثه • وغالبا ما تكون هذه العملية الوسيلة الوحيدة لتسوية عديد من الخلافات أو تحقيق عدد من الاتهامات المتبادلة التى لا يمكن تسويتها أو تحقيقها بالطرق العادية ، ولكنها تظل مع ذلك معلقة بحق أولئك الأشخاص •

ويقدم يوهانس زونن J. Sonnen — وهو خبير متخصص فى دراسة البدو — تفسيرا لهذه الظاهرة التى تبــدو غريبة متناقضة ، وهى عــدم خشية الناس أن تقسم بالله يمينا كذبا ، على حين تخشى أشــد الخشية أن تقسم يمينا كذبا بأحد الأولياء • فالطبقات الشعبية تعتقد أن الله غفور رحيم ، يمكن أن يغفر لمن يحلف به كذبا ، خاصة اذا كان فى محنة أو مأزق، ولكن الولى صاحب المقام لا يعرف هذا التسامح ولا هذه الرأفة • فانتقامه لمن يحلف به كذبا سريع وحاسم ورادع •

على أن مثل هذا التفسير العقلى المنطقى لمثل هذه الظاهرة يبــدو مقحما على العقلية الشعبية لعدة أسباب ، أو أنه ليس هو التفسير الوحيد الممكن • لأن الفيصل فى الأمر ليس هو مجرد صيغة اليمين • اذ أنه كثيرا ما يتم الحلف باسم الله فقط . ودون أدنى اشارة للولى • ولكن الحاسم فى الأمر هو الموقف الدينى الكلى • فالحلف بالله يمكن أن يتم بأى مناسبة وفى أى مكان دون أى مراسيم أو قواعد خاصة • أما القســم عند قبر

الولى فانه عملية طقوسية لها مراسيمها وقواعدها وتحيط بها عديد من الاجراءات الخاصة ، أقلها أنه يستلزم بعض الاستعدادات ويؤدى الى اخراج الناس (المشاركين فى الموقف) من روتين حياتهم اليومى ، مما يشعرهم برهبة الموقف وجسامة مسئولية هذا القسم أو حتى الشهادة عليه •

ويصور زونن Sonnen عملية القسم تصويرا دقيقا معبرا • من هذا مثلا أن المسروق هو الذى يحدد الضريح الذى سيتم تحليف المتهم فيه ليدلل على براءته • واذا رفض المتهم الولى الذى اختاره المسروق ، تدخل شيخ القبيلة لكى يختار بنفسه وليا آخر يرضى عنه الطرفان • وفى بعض المناطق (عند بعض القبائل التى كانت مقيمة حول بحيرة طبرية بفلسطين) كان يتعين على المتهم أن يستحم ويتطهر قبل الذهاب لحلف يمين البراءة • ثم يرفع يديه الى السماء وينطق الشهادة • ثم يدخل الخصمان ومعهما الشهود الى داخل حجرة دفن الولى (المقام) ، حيث يضع المتهم يده اليمنى على شاهد الولى ويقسم : وحياتك يا فلان (اسم الولى) ، وحياة من أماتك (والله) ، وحياة سرك وكرامتك وحياة اللى جابك هنا ، أشهد يا فلان (اسم الولى) وأشهد يا فلان (اسم الشخص المسروق) أننى لم أسرق بقرتك (مثلا) ، ولم آخذها ، ولم أبعها ، ولم أبددها ، ولم أشترها ، ولم آخذها ، ولا سمعت عنها ، ولا بلغنى عنها أى خبر ، ولا أعلم عنها أى شىء • واذا كنت باحلف كذب يا فلان (الولى) ، عاقبنى ، واذا كنت بأقول الحقيقة ، خلينى أحج بيت الله ، وساعتها يقع الذنب والـ يمة عليك يا راعى هذه البقرة ، الذى طلبت منى حلفان اليمين »(٣٦)• وبأداء اليمين تنتهى الواقعة ولا يصبح للمسروق أى حقوق أخرى على المتهم •

---

(36) Sonnen; Johannes; Die Beduinen am See Genesareth; Koln; 1952.

زونن ، القبائل البدوية حول بحيرة طبرية ، كولونيا ، ١٩٥٢ ، ص ص ١٠٤ وما بعدها .

ويحكى زونن عن تجربته الشخصية فى هذا الموضـــوع حيث سرق منه ثور ـــ أثناء دراسته ـــ واشتبه فى مجموعة من الشباب وطالبهم بأداء اليمين لتبرئة أنفسهم من التهمة • وتجمع أولئك الشبان صباح اليـــوم المحدد أمام قبر الولى ، وكان بينهم شاب معين أصيب باصفرار فى الوجه واضطراب شديد ، ثم انهار فى اللحظة الأخـــيرة عندما حان دوره لأداء اليمين ، واعترف بالسرقة ، وأحضر الثور المسروق فى اليوم التالى(٣٧) •

ومن الممارسات الأخرى التى تتم عند الضريح عمليات تقـــديم الأضاحى . والنذور . حيث يفضل تقديمها للأولياء المحليين ، ولا تقـــدم فيما عداهم الا لكبار الأولياء المشهورين • وقد تناولنا الأضاحى والنذور بالتفصيل فى مكان سابق من هذا الفصل •

ومن الظواهر الطريفة فى هـــذا الصدد والجـــديرة بالتســـجيل أن المسيحيين يمكن أن ينذروا نذرا لولى مسلم ، والعكس بالعكس حيث ينذر بعض المسلمين نذرا لقديس مسيحى وهكذا • وقد يصل الأمر الى حـــد نذر اطلاق اسم مسيحى على طفل مسلم (بالنسبة لامرأة يموت عنهـــا أولادها) ، أو العكس حيث تنذر أسرة مسيحية اطلاق اسم مسلم على طفلها •• وهكذا • وهناك شواهد كثيرة على تبادل الاعتقاد فى الأولياء بين المسيحيين والمسلمين ، يمكن أن نصادفها فى مختلف فصول هذا الكتاب •

---

(٣٧) المرجع السابق ، نفس الموقع •

الفصل الثانى

الموالد

مقــدمة :

تعــد الموالد الى جانب الزيارة الأسبوعية أو غير الدورية أهم المناسبات التى يتجلى فيها تكريم الأولياء • وزيارة الولى والاحتفــال بمولده هى الدليل الأكبر والشــاهد الملموس على أن هــذا الولى مازال يعيش فى قلوب الناس ، يكرمونه، ويدعونه فى السراء والضراء،ويلتمسون لديه عونا على حل مشكلاتهم • ولست أنوى أن أقدم فى هذه الفقــرة دراسة مفصلة لأحــد الموالد أو بعضها ، فذلك أمر تكفلت به دراســات سابقة ، وهو فى نفس الوقت موضــوع دراســات جارية ، حصــل بها أصحابها أو هم بسبيل الحصول على درجاتهم العلمية بمثل هذه الرسائل•

ولكننى كنت قد أشرت منذ سنوات طويلة (فى شتاء ١٩٦٤/١٩٦٥) الى أهمية دراسة الجوانب المختلفة للمولد كمهرجان اجتماعى اقتصادى ثقافى ، وكان ذلك فى حقيقة الأمر انطلاقا من اطلاعى على دراسة كريس الضخمة عن المعتقدات الشعبية فى العالم الاسلامى • حيث راعنى أنه قد أورد مئات الآلاف من التفاصــيل والجزئيات عن عشرات ، بل مئــات ، الموالد ، ولكنه أغفل الاشــارة الى الجوانب المتعــددة للمــولد كظاهرة اجتماعية ثقافية متكاملة ، كان يمكن أن يوظف فيها نظرة وظيفية تأخذ فى اعتبارها الظاهرة فى كليتها وفى ارتباط جزئياتها المختلفة بالبناء الاجتماعى المحيط بها ، سواء على مستوى الحى ، أو القرية ، أو المجتمع الكبير •

والهدف من هذا التخطيط العام أن يكون بمثابة مرشد وموجه الى ملاحظة مختلف ظواهر الموالد فى المجتمع المصرى، دون أن أخصص الكلام مع ذلك على مولد بالذات • وان كانت كل الموالد التى شاركت فى حضورها

أو قرأت عنها أو أوردت لها وصفا سريعا فى التقــارير الميدانية التالية فى هذا الفصل ، كل ذلك كان بمثابة الأساس الذى بنيت عليه هذه الملاحظات.

والفكرة العامة لهذا الفصل أن المولد ظاهرة اجتماعية ثقافية شاملة تنطوى على جوانب اقتصادية ، ودينية ، وترويحية ، وثقافية ، وسياسية، بل وعلى بعض مظاهر السلوك المنحرف أيضا الذى لم يكن يخلو منه أى مولد ومازال • وان كان الواجب يقتضينا أن نســجل بحق أن الجهــود الناجحة التى تبذلها الشرطة ، علاوة على ارتفاع مستوى الوعى قد عمل بشكل فعال على تقليم هذه الأنشطة المنحرفة والتخفيف منها •

أولا ــ الجوانب الاقتصادية للمولد :

المولد كما يتبادر الى الذهن ، وكمــا يقتضى ذلك المنطق الصريح ، نشاط دينى فى المقام الأول ، ولكننا نجد مع ذلك أن الجوانب الاقتصادية للمولد تطغى على كل الجوانب الأخرى للمولد وتفوقها أهمية • حيث نجد بادىء ذى بدء أن تحديد موعد أى ولى محلى فى القرية انما يتم أساسا فى ضوء ظروف الدورة الزراعية وظروف العمل الزراعى • فلا يمكن أن يتم المولد فى وقت بذر البذور ، أو الرى ، أو جنى المحصول • ولابد أن يعقب فترة جمع محصول هام ، لأنه بدون أن تتحصل الأسرة على دخل واضح ــ مهما بدا لنا قليلا ــ لن تتمكن من الاعداد لرحلة المولد ، أو عمل القرص والكعك ، أو الاقبال على الألعاب المسلية وسماع الأغانى وغــير ذلك • فالمشاركة فى المولد تحتاج الى تمويل من الزائر لا يستطيعه الا اذا كان فى موسم رواج •

ولكن الأساس فى المولد نفسه أنه مناسبة لرواج عدد كبير من السلع التى يقبل على استهلاكها رواد المولد • كما تنتشر فى كل مولد طائفة كبيرة من الخدمات والمرافق التى تمثل فى جوهرها نشاطا اقتصاديا مزدهرا • وتقديم النذور فى المولد يمثل هــو الآخر عاملا من عوامل هــذا الرواج الاقتصادى لانه عبارة عن تدفق كميات ضخمة من الســلع (الغــذائية

أساسا) والنقود ، والأشياء التى توزع على أطراف الاحتفال كالرواد في خدم الضريح ، والضريح نفسه ، وأهل الولى .. الخ .

والملاحظ بصفة عامة أنه تروج فى المولد تجارة المواد الغذائية بشكل عام ، حيث يتحتم اطعام الآلاف ، أو مئات الآلاف من المترددين على المولد على مدار عدة أيام فى الوجبات اليومية الثلاث . الأمر الذى يستلزم تكثيف خدمات المطاعم القريبة ، وانشاء عشرات المواقع الجديدة (أكشاك أو عربات لتدعيم خدمة تقديم الغذاء لهذه الأعداد الكبيرة من المترددين على المولد .

وهناك علاوة على رواج الاطعمة العادية رواج ظاهر فى أطعمة معينة يزداد الاقبال عليها ، ويعد المولد مناسبة للمترددين للاستمتاع بها . من هذا مثلا الحلوى كالحمص والحلاوة بأشكالها وأنواعها . والترمس ، والفول السودانى ، والعجوة ، والفاكهة ، وجوز الهند . ومن ذلك الأصناف المطهوة كاللحوم بأنواعها ، والكبد ، والسجق . والكشرى ، والطعمية ، والفول النابت ، والبيض الملون ، والكباب والكفته ، والأرز ، والمكرونة ، والطرشى . كما تروج فى الموالد المشروبات المختلفة ، المثلج منها كالليمونادة ، والعرقسوس ، والمياه الغازية ، والشربات والسوبيا ، والماء المثلج ، والتمرهندى . والساخن منها كالشاى ، والقهوة ، والقرفة .. الخ .

وبالاضافة الى المواد الغذائية تروج تجارة بعض السلع الأخرى كأدوات الزينة ، سواء منها ما يستهدف تزيين الأشخاص والحيوانات والسيارات .. الخ ، وكالسجاير بأنواعها ، والبخور ، والصور الدينية وصور الممثلين وغيرها .

والى جانب السلع الغذائية والاستهلاكية تنتشر فى الموالد الخدمات ذات الطابع التجارى أو المتصل بتيسير الأنشطة الاقتصادية . حيث

يتطلب هذا المهرجان الضخم توفير أعداد ضخمة من السرادقات ، والكراسى ، والحصير ، والسجاد .. الخ . وكل ذلك على امتداد أيام الموالد كلها . أما الخدمات التى تقام بهذه المناسبة فمنها أكشاك الحلاقين الختان ، وأكشاك الحلاق العادى ، وباعة الكتب .. الخ . كما أننا يجب أن نلاحظ أن مبيت الأعداد الضخمة المشاركة فى المولد يتم فى البيوت القريبة من الضريح (للقادمين من مدن وقرى بعيدة) ، وفى سرادقات خاصة ، وفى أحواش المقابر المجاورة (خاصة فى مدينة القاهرة ، وبالذات فى الموالد القريبة من أحياء المقابر) . وواضح أن أجور مبيت هذه الأعداد الضخمة يمثل حركة نشاط اقتصادى قوية وفعالة .

أما النذور نفسها ، فبغض النظر عن الجانب الاعتقادى الذى تنطوى عليه وتعبر عنه ، فانها تتدفق بكميات ضخمة على الولى وزواره والقائمين على خدمته . والجانب الأكبر من تلك النذور يتمثل فى سلع غذائية ومواد غذائية كاملة الصنع جاهزة للأكل ، ومواد جاهزة ، وخضروات وفاكهة ، كما يتمثل فى المساهمات النقدية سواء فى صورة توزيع على الزواد الفقراء أو وضع فى صندوق النذور . والمستفيد الأكبر من تلك النذور هم رواد المولد ، الذين يتلقون تلك المواد الغذائية والصدقات (سواء بسبب الحاجة أو كبركة من الولى) . يأتى بعدهم القائمون على خدمة الضريح ، ثم صندوق النذور ، الذى يفتح بمعرفة وزارة الأوقاف على فترات دورية بمحاضر رسمية ويوزع ثلث حصيلته على خدم الضريح . كما أنه يتضح من حديثنا السابق المفصل عن النذور، أن بعض تلك الأشياء التى تجلب للضريح تخصص لتزيينه وتجديده والعناية به .

على أن التأثير الاقتصادى للموالد لا يقتصر على السلع التى تتداول فى المولد ، وعلى هامشه ، ولكننا نجد فضلا عن ذلك أن بعض التجار يحرصون على ممارسة تجارتهم بالقرب من المسجد (بجواره أو أمامه) ويستمدون من ذلك عاملا من عوامل رواج هذه التجارة . اذ يدعى البعض

أن الولى يحب الأمانة ويؤذى التاجر الغشـاش أو المخـادع ، وأنهم يتبركون من مجاورة الولى لأنه هو الذى يحرسهم ويحمى تجارتهم ويضمن لها الرواج • وواضح ما لهذه الآراء من أثر فى ترويج تجارتهم بالفعل ، واستفادة هؤلاء التجار استفادة مباشرة من مجاورة هؤلاء الأولياء •

ثانيا ـ الجوانب الدينية للمولد :

لاشك أن الجـوانب الدينية هى التى تعطى المـولد مبرر وجوده الأساسى وتمثل الغطاء الشرعى لكل الأنشطة التى تمارس فيه • هذا مع تسليمنا الكامل بأنه ليس كل رواد المولد قد تجشموا الصعاب ليمارسوا بعض الطقوس أو العبادات الدينية ، وانمـا يتوقف مبرر حضـورهم « الحقيقى » أو « الفعلى » على ممارسـة بعض الأنشطة الاقتصـادية والترويحية •• الخ • ولكنهم فى جميع الأحوال يغطون هـذا النشـاط بغطاء دينى • ولذلك نجد أن قطاعا محـدودا من رواد المولد هم الذين يشاركون فعلا فى النشاط الدينى الخالص •

ويتمثل هذا النشاط الدينى فى اقامة حفلات الذكر (الحضرات) ، وحلقات الوعظ والارشاد الدينى ، والأدعية (فردية وجماعية) ، وتلاوة القرآن الكريم من بعض رواد المولد أو من قراء محترفين • ومن الأنشطة الدينية الخالصة أداء الصلوات ، سواء الاوقات العادية فى سائر الايام ، أو صلاة الجمعة ، أو أداة الصلاة حينما يحين وقتها أيام المولد •

ولا شك أن المولد يمثل أهم مناسبات تجديد العلاقة وتدعيمها بين الطرق الصوفية وأتباعها من خلال الولى الذى يحتفى بمولده • فبعض الأولياء يرتبط تكريمهم بطريقة صـوفية معينة • وهناك أوليـاء آخرون تنتشر سمعتهم ويفوق الاهتمام بهم حدود طريقة معينة ، ولذلك تجد كل الطرق الصوفية ممثلة فى المولد بسرادقات خاصة • وبهذه المناسبة تجتهد الطريقة فى جمع أفرادها من القرى والمدن المختلفة ، وتنظم انتقالهم الى مقر المولد (طنطا ، أو القاهرة •• الخ) ، وتنظم مبيتهم وتغذيتهم أحيانا ،

وتجمع الاشتراكات والاعانات والهبات اللازمة لتمويلها .. الخ . وتستغل فرصة المولد مناسبة لجذب أفراد جدد الى الطريقة ، والضريح مكان مفضل لأخذ العهد على المريد ، وتدريبه على العمل فى خدمة اخوانه وخدمة الطريقة . كما تستغل الموالد فرصة لابرام وتدعيم علاقات المصاهرة بين « الاخوان » فى الطريقة لكى يضمن المسئولون عنها اتصال دخول دماء جديدة من بين أبناء هؤلاء المتزوجين من أفراد الطريقة .

وقد اهتمت بعض دراسات الطرق الصوفية والأولياء بهذه النقطة ، حيث أشار مايكل جلسنان Gelsinan الى العلاقات القرابية بين أعضاء الطريقة الحامدية الشاذلية ، حيث تضمن الطريقة وراثة أبنائها لتلك العلاقة تلقائيا . ويرجع ذلك الى أن علاقات القرابة الدموية تعمل على زيادة علاقة المواجهة والزمالة وتضمن توطيد الروابط بين الأعضاءفى اطار الطريقة . وقد يزداد هذا التضامن فى بعض الأحيان الى حد يؤدى الى انغلاق الجماعة على نفسها وانعزالها عن العالم الخارجى المحيط بهم(١) .

كما تناول الدكتور فاروق مصطفى فى دراسته للموالد العلاقات القرابية بين أفراد نفس الطريقة ، حيث أوضح وأكد أهميتها فى ربط أعضاء الطريقة وأشار الى أن القرابة الدموية تفوق فى قوتها القرابة الشعائرية بوجه عام ، حيث لا يستطيع الابن (المريد) التنكر لرغبة أبيه (الشيخ) . ووصف الباحث مدى اهتمام الطريقة فى بداية نشأتها بتشجيع الزواج الخارجى لزيادة عدد الأعضاء ، ثم اهتمامها فى مرحلة تالية بالزواج الداخلى الذى يلعب دورا هاما فى ضمان دخول أعضاء جدد من أبناء الطريقة (الأولاد) أنفسهم الذين يشبون منذ الصغر وهم على وعى تام بمختلف الشعائر الدينية للطريقة ، الأمر الذى يدفع شيخ الطريقة الى الاهتمام بهم اهتماما كبيرا(٢) .

---

(1) M. Gelsinan; Saint and Sufi in Egypt; 1974; p. 66.

(٢) د . فاروق أحمد مصطفى ، البناء الاجتماعى للطريقة الحامدية الشاذلية ، رسالة ماجستير ، القاهرة ، ص ١٧٦ وص ١٩٩ .

ولكن يبقى الامر الهام على أى حال وهو أن الالتقاء فى المناسبات والأعياد الدينية المختلفة — وخاصة الموالد — يمثل أبرز الأساليب التى تعمل على دعم الروابط بين أعضاء الطرق الصوفية • وقد أشار وليم لين فى كتابه «المصريون المحدثون» الى دور الالدراويش وأعضاء الطرق الصوفية فى اقامة الموالد ، وحرصهم على الانتقال الى المولد من شستى أنحاء مصر لاقامة الشعائر الخاصة بهم(٣) • كما وصف مايكل جيلسنان التقاء أعضاء الطريقة من كافة محافظات الجمهورية ، وسفرهم الجماعى للاحتفال بالمولد ، حيث يتزاورون فى السرادقات التى يقيمون فيها، مما يؤثر بالتالى على توطيد العلاقات فيما بينهم • ولذلك أكد الباحث على أهمية الموالد فى تغذية الشعور بالرابطة فيما بين شيخ الطريقة وأعضائها مما يساعد على استمرار حيوية الطريقة وتجديد قوتها •

ومن ثم تكمن الوظيفة الأساسية للموالد — من هذه الناحية — فى نقل الاعتقاد الى الأفراد الذين لم يروا الولى أو الشيخ المؤسس للطريقة، بمعنى ربط الجيل الثانى للشيخ سلامة (فى حالة دراسة جيلسنان) بالجيل الأول من خلال تلك اللقاءات التى يتم خلالها توزيع صور الولى المؤسس، والقاء تعاليمه وترديدها والاقتراب من الشيخ الحالى والارتباط به •

كما يتيح المولد والتجمع الذى يحدث فيه فرصة التقاء أعضاء الطريقة أثناء أداء الذكر وبعده للتحدث فى أمور الطريقة والتفكير فى المشكلات التى تواجهها ووضع الحلول لها(٤) •

كذلك اهتم فاروق مصطفى فى دراسته المشار اليها بالتقاء أعضاء الطريقة الحامدية الشاذلية من كافة أنحاء الجمهورية للاحتفال بالأعياد الدينية وأبرزها المولد النبوى ، ومولد الشيخ سلامة وغير ذلك • وأوضح دور الذكر ووظيفته من خلال علاقات المواجهة وما تحققه من توثيق

---

(٣) وليم لين ، المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، ص ١٦٠ •
(٤) مايكل جيلسنان ، المرجع السابق ، ص ٦٠ : ص ١٧٥ •

الرابطة ، واهتم بالرمزية الخاصة بالذكر، حيث يعنى تشابك الأيدى معنى المساواة وإذابة الفوارق ، وتشير المصافحة الى المساواة والود وهكذا(٥) .

ثالثا — الجوانب الترويحية والفنية للمولد :

تمثل الجوانب الترويحية والفنية الضلع الثالث لاحتفال المولد ، وبذلك تكتمل العناصر الرئيسية التى يمكن أن ينهض عليها أى مولد ، وبدونها لا يسمى هذا الاحتفال مولدا . فلا مولد بدون رواج اقتصادى ، ولا مولد بدون نشاط دينى ، ولا مولد بدون ترويح ونشاط فنى . قد تختلف الموالد فى أى عناصر أخرى ، ولكنها لا تختلف فى ضرورة اجتماع هذه المكونات الأساسية .

وهذا النوع من الأنشطة الترويحية يرتبط ارتباطا عضويا بسائر الأنشطة الأخرى ، فكثير من ألوان النشاط الترويحى والفنى تساهم فى جذب الرواد وتحقيق الرواج الاقتصادى ، وهى نفسها فى كيفية ممارستها نشاط اقتصادى واسع . كما أنه لا يخفى أن النشاط الترويحى والفنى يتصل بالنشاط المنحرف ويتيح فرص ممارسته .. الخ . كل ذلك هدفه أن أؤكد أن الجوانب الترويحية للمولد نشاط متداخل مع سائر أنشطة المولد ومتفاعل معها .

والأنشطة الترويحية تحوى قائمة من البنود المتباينة.أولها وأبرزها لعين الملاحظ نشاط ألعاب الملاهى والألعاب المسلية للأطفال والشباب على السواء ، والنشاط الفنى الخالص كرواية الحكايات الشعبية ، والغناء ، والانشاد ، وعزف الموسيقى ، والرقص (بأنواعه ، وبتحفظات مختلفة من حالة لأخرى) . غير أن هناك ألوانا أخرى من النشاط لا تبدو ترويحية للوهلة الأولى ، ولكنها تتم فى الأساس بدافع من الترويح والترفيه .

---

(٥) فاروق مصطفى ، المرجع السابق ، ص ١٧٠ . والملاحظ بصفة عامة انه اعتمد اعتمادا كبيرا فى اعداد رسالته على مؤلف جيلسنان الذى سبقت الاشارة اليه .

فزيارة الضريح على سبيل المثال نشاط دينى فى مظهره الخارجى ، وقد تناولناه كذلك ، ولكنه لدى قطاع كبير من المترددين على الموالد — وخاصة النساء — نشاط ترويحى خالص • فالمرأة تتخذ الزيارة مبررا للخروج من البيت ، وهى فى طريقها تقضى الطريق فى شبه نزهة ، وتتجول فى المناطق الخضراء المحيطة بالضريح ، وتجلس مع صديقاتها وجاراتها تستروح نسمات الهواء وتتجاذب أطراف الحديث وتستمتع بشمس الشتاء أو بهواء الصيف • كما أن المحلات والسرادقات التجارية المحيطة بالضريح والمليئة بألوان السلع والأطعمة تمثل هى الأخرى موضوعا للتجول « والفرجة » والترويح •

والسمة البارزة للنشاط الترويحى والفنى هى جو البهجة الذى يشيعه ، من تزيين للضريح ، والمحلات ، والبيوت ، والسرادقات التى تقام ، وأكشاك وسرادقات الألعاب ، والعاب الاطفال ، وطوابير الشباب المتجولين يقرعون الطبول ويغنون • ولذلك يمكن القول بأن المشاركين فى الأنشطة الترويحية يفوقون عددا المشاركين فى أى نشاط آخر فى المولد ، ولهذا فان هذا اللون من النشاط هو الذى يضفى طابعه على المولد •

وتنطوى المشاركة فى المولد بالنسبة لقطاع كبير من رواده على السفر من قراهم ومدنهم الى مقر المولد، وقد تطول مسافةالسفر بالنسبة للبعض ، وكانت فى الماضى تستغرق أياما على ظهور الجمال والحمير وغيرها ، وهى كانت ومازالت نشاطا ترويحيا فى أساسه •

كما أن كثيرا من الموالد تنطوى على تنظيم موكب فى يوم الليلة الكبيرة قد يكون فى الظهيرة أو بعد العصر (حسب الظروف فى كل حالة) ، وهو بما يجرى فيه من استعراضات وزينات ومباريات وأبهة أحيانا موضوع للترفيه « والفرجة » يحرص كل المشاركين على متابعته والاستمتاع به • بل ان بعض المواكب تنطوى على مشاهد تمثيلية هزلية تجعل جرعة هذا الاستمتاع مضاعفة بالنسبة لجماهير الاطفال والشباب والنساء على وجه الخصوص •

وفى أحوال غير قليلة ينزل الرواد القادمون من أماكن بعيـدة على أقارب أو أصدقاء لهم أو « اخـوان فى الطريق » (أى زمـلاء فى نفس الطريقة الصوفية) ، ويقضون أيام المولد مقيمين فى بيوتهم يشاركون فى تمويل زيارتهم بما يحملون معهم من هـدايا ومأكولات . وتلك كلهـا فى الحقيقة نشاط ترويحى فى نهاية الأمر .

ولا أجد أطرف من وصـف عبد الحكيم قاسـم(٦) فى روايته أيام الانسان السبعة لفرحة الاحتفال بالمولد فى المراحل المختلفة ، سواء فى القرية أثناء اعداد الفطير و « القرص » والمواد الغذائية المختلفـة التى سيأخذها المسافرون معهم الى المولد ، أو أثناء موكب الخروج من القرية وتوديع أهل القرية له ، أو أثناء عودة ذلك الموكب بعد المولد ... الخ .

رابعا — جوانب أخرى للمولد :

هناك عدا الأنشطة الرئيسية الثلاثة السابقة التى يقوم عليها أى مولد عدد آخر من الأنشطة التى قد تكون هامشية بالنسبة اليها ، ولكنها مع ذلك عامة وملحوظة فى كل مولد . ونضرب المثل على ذلك بالأنشـطة العلاجية والانشطة المنحرفة ، ومظاهر التفـاعل بين هـذا النوع من المعتقدات والممارسات وبين الحياة الأسرية للمشاركين فيها .

ويعد النشاط العلاجى أبرز هـذه الانشـطة جميعا ، اذ أن الدور العلاجى لأى ولى فى الشفاء من مرض ، أو التماس الوقاية ، أو ممارسة عملية ختان .. أو غير ذلك أمر لصيق بمفهوم الولى عند الناس . وتتم ممارسة هذا النوع من النشاط بصورة مختلفة ، فالولى هو نفسه مصدر الشفاء أو العامل الأساسى فيه ، وقد يكون الولى من هذه الوجهة عاما فى الدور الذى يمارسه ، أى أن الناس تلتمس بركته أو تؤدى زيارته التماسا لعلاج كل الأمراض . ولكن هناك الى جانب هذا نوعا من التخصص بين

---

(٦) انظر عبد الحكيم قاسم ، أيام الانسان السبعة ، القـاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، د . ت .

الأولياء والتميز فى علاج مرض أو مجموعة أمراض بعينها : فهذا ولى فعال فى علاج العقم وأمراض النساء ، وذاك آخر فعـــال فى علاج العيـــون وأمراضها ، وثالث بارع فى شفاء الأمراض النفسية « والحالات » ، وآخر فى علاج الأطفال ، وغيره فى علاج البهائم .. الخ . وفى مثل الأحـــوال السابقة ، سواء كان الولى متخصصا أم غـــير متخصص ، تكون الزيارة ولقاء الخادم وغير ذلك وسيلة العلاج الرئيسية .

ولكن هناك أحوالا أخرى تستخدم فيها بعض الاشـــياء الخاصـــة بالولى أو الضريح فى علاج الأمراض المختلفة ، كتراب الضريح ، أو مياه العين الموجودة بالقرب من الضريح ، أو ثمار بعض الأشجار التى تنمو داخله ، أو الأحجار الموجودة على أرضه .. الخ . وهذه تكون بابا كبيرا مستقلا فى موضوع العلاج الدائر حول أضرحة الأولياء ، والذى تتردد حوله القصص « والكرامات » الكثيرة .

غير أن الموالد فى ذاتها مناسبة لاقامة سرادقات عديدة للحـــلاقين (حلاقى الصحة) الذين يمارسون دورهم التقليدى فى العلاج ، أى تقديم خدمة طبية (شعبية) عامة لكل الأمراض والحالات ، وفقا لأسس وقواعد ممارسة مهنة الطب الشعبى التقليدى . كما يمارس هؤلاء الحلاقون عملية الختان داخل سرادقاتهم (أو الأكشاك) التى يقيمونها .

أما عن الأنشطة ذات الطابع اللاجتماعى أو المنحرف فقد كانت هى الأخرى لصيقة فى الماضى بالموالد وتمثل مكونا أساسيا من مكوناتها . ففى الماضى كان فى كل مولد ركن أساسى لممارسة البغاء . (وذلك أيام كان هذا النشاط المنحرف مباحا ومقننا) ، وكان ذلك النشاط من عوامل الجـــذب القوية الى حضور الموالد ، كما أن البغايا كن يحرصن من تلقاء أنفسهن على التواجد فى كل تجمع بشرى كبير ، لأنه كان يمثل رواجا للمهنة التى يمارسنها .

ومع ذلك فاننا يجب أن ندرك أن الغاء البغاء رسميا ، لم يؤد بطبيعة

المجال الى الغاء هذا النشاط المنحرف كلية ، ولكنه ظل موجودا بطريقــة مستترة ، علاوة على طائفة واسعة من الانحرافات الجنسية ذات الطابع غير التجارى ، أى تلك التى لا تمارس مع بغايا محترفات ، ولا تتم بسبب الأجر الذى يدفع للمرأة .. الخ . ولا شك أن تلك الانحرافات الجنسية غير الاحترافية لم تؤد الى الغاء الاحتراف فى هذا النشاط كلية ، ولكنه قل نطاقا وتضاءل حجما بشكل ملحوظ .

كما أن الموالد كانت ومازال مناسبةبارزة لرواج المخدرات بأنواعها ، خاصة الحشيش . حيث تنتشر فى كل مولد غرز تدخينه ، كما تنشط حركة الاتجار فيه ، بحيث يدخن العميل بوسائله الخاصة بعيــدا عن الأماكن العامة .

أما السرقة والنشل والتســول فكانت ومازالت هى الأخــرى من الظواهر المنحرفة الواسعة الانتشـــار فى المـــوالد ، حيث تستقطب أى تجمعات بشرية كبرى أعدادا كبيرة من النشالين وغيرهم الذين تتاح لهم فرص العمل على نطاق واسع فى الأماكن المزدحمــة ، مع ما يصـــاحب الازدحام من ظلام وحركة وغير ذلك .

وتستقطب الموالد آلافا مؤلفة من أبناء الطبقات الشعبية البسطاء الذين يمكن أن يقعوا فريسة ســهلة للنصابين من خـــلال ألعاب القمار بأنواعها ، حيث يقف الرجـل المحتال بالتنسيق مع زملائه بتمثيل لعبــة الربح ، فيسيل معها لعاب الرجل البسيط ويدخـــل الى اللعب لينفق آخر قرش فى جيبه . وهكذا .

ولهذه الأسباب تمثل الموالد تحديا لرجال الشرطة وميدانا لمقـاومة الجريمة ومطاردة المجرمين ، وقد شهدت العقود القليلة الماضية « نظافة » الموالد الى درجة كبيرة بالقياس الى ما كان موجودا من ظواهر منحرفة تمارس تحت سمع وبصر المشاركين فى المولد . ولعل من يطالع أوصاف الموالد عند وليام لين ، أو ماكفرسون ، أو أحمد أمين أو غيرهم (انظـــر

قائمة المراجع فى نهاية الكتاب) يدرك مـدى النجاح الذى اسـتطاعت الشرطة أن تحققه فى أيامنا فى « تنظيف » الموالد من الأنشطة المنحرفة • وسيظل هذا الميدان مجالا يتحدى جهودهم بسبب وجـود مناخ ملائم ومشجع على ممارسة الانحراف ، يتطلب متابعة الجهود واليقظة الدائمة من جانب ولاة الأمور •

أما النوع الأخير من الأنشطة الذى يمكن أن نناقشه هنا ، فهو تلك التى تتصل بنسيج الحياة الاجتماعية بصفة عامة والعلاقات الأسرية بوجه خاص • فالولى محور لعديد من الممارسات التى يهدف بها الشخص الى تدعيم علاقة حب وليدة ، أو ايقاع شخص فى غرامه ، أو توفيق فتاة تأخر بها سن الزواج فى العثور على شريك الحياة ، أو الشكوى من ظالم سواء كان مسئولا محليا أو جارا أو قريبا •• الخ • ويتم تدخل الولى فى هذه العلاقات العاصفة بصور مختلفة ، منها أن يهمس الشخـص الى الولى بمشكلته ، ويرجوه أن يجد له الحل ، ويفتح أمامه سبيل الخلاص • وقد يجد كتابة المشكلة أجدى من روايتها للولى ، فيدونها فى رسالة مشفوعة بطلباته ، ويلقى بالرسالة فى داخل مقصورة الضريح • وقد يلجأ أطراف المشكلة الى خادم الضريح يلتمسـون لديه الرأى والنصيحة ، أو عمـل « عمل » معين يحقق الغاية المطلوبة ، لقاء أجر نقدى ، أو نذر للولى أو غير ذلك •

ولا ننسى علاوة على كل هذه السبل أن الموالد تمثل لأتباع الطرق الصوفية فرحة اللقاء مع شيوخهم وخلفائهم بمستوياتهم المختلفة ، فيطرح أصحاب المشكلات من « الأولاد » همومهم على شيوخهم يلتمسون الحل • ويندرج تحت ذلك البند كافة أنواع المشكلات ، سواء كانت خلافا بين رجل وامرأته ، أو رجـل وصـديقه أو امرأة وجارتها ، أو بين الأقارب وبعضهم ، أو بين « اخوان الطريق » وبعضهم •• وهكذا • وبذلك تدخل فرص هذه اللقاءات ضمن وسائل الضبط الأسرى والاجتماعى الذى يتحكم فى توجيه حياة هؤلاء الأفراد •

الفصل الثالث

تقارير خبرات ميدانية فى دراسة الاولياء

مقــدمة :

أقدم فيما يلى عددا من تقارير زيارات ميدانية لبعض الأوليــاء فى مختلف أنحاء الريف المصرى فى الوجهين القبلى والبحــرى • والسـمة الاولى التى يشترك فيها كل هؤلاء الأولياء أنهم أولياء محليون تمتــد شهرتهم فى داخل قراهم فقط ، ولا تتعداها الى خارج القرية الا بشكل عارض وثانوى • ولكن التكريم الحقيقى لكل من هؤلاء انما قائم أساسا داخل وحداتهم المحلية (قرى) •

وهم جميعا أولياء قرويون - لأن تركيز أى دراسات انما يتم دائما على دراسة الأولياء فى المدن الكبرى ، وعلى كبار الأولياء منهم بالذات • على حين أن مثل هذه الانطبــاعات تؤكد لنا أن هؤلاء الأوليــاء المحليين يجمعون طائفة عريضة من الانماط المتنوعة : ففيها الرجل وفيها المرأة ، وفيها القديم المجهول الاصــل (القادم مع الفتح العــربى لمصر — من الصحابة) وفيها الحديث الذى توفى منذ وقت معلوم • وفيها أصــحاب الأضرحة المقامة على النيل (لحماية قراهم من الفيضــان — بقايا آلهة محلية قديمة) ، وفيها أصحاب الأضرحة العادية بين المقــابر العادية أو قريبا منها • وفيها أولياء بلا موالد (يقتصر تكريمهم على زيارة أسبوعية وبعض الزيارات غير الدورية)، وأولياء لهم موالد هامة نشيطة ومستمرة• وفيها أولياء ينتمون الى طرق صــوفية معينة ، أى أن تكريمهم محــل اهتمام ورعاية طريقة صوفية معينة ، وفيها أولياء لا يرتبطون بأى طريقة صوفية • وفيها أولياء يتم تمويل أضرحتهم وموالدهم ذاتيــا ، وأخرى يتولى الانفاق على تكريمهم عائلات من كبار التجار أو الاقطاعيين ••الخ•

وتحت أيدينا بيانات ميدانية عن أكثر من ألف من الأولياء المنتشرين

فى كل أنحــاء مصر ريفها وحضرها ، شــمالها وجنوبها ، جمعت بياناتهم بواسطة كاتب هذه السطور أو تلاميذه أو زملائه على مدى فترة زمنية بلغت نحو ستة عشر عاما متصلة . ومكان هذه البيانات أرشــيف قومى للفولكلور المصرى لابد وأن يرى النور قريبا (بعد أن تحقق دراســات الفولكلور النمو والاستقرار المنشود) ، بحيث تودع فيه كافة المــواد المجموعة منا ومن غيرنا من مئات الهــواة والمتخصصين والمهتمين بتراث شعبنا العظيم .

ومن هنا قلت ان البيانات المعروضة فيما يلى هى تقــارير زيارات ميدانية ، وليست دراسات ، والهدف منها أن تقدم توثيقا وتجسيدا لبعض الملاحظات والأسس العامة التى تكلمنا عنها على امتداد فصول هذا الباب، ويدا بعضها عاما أو مطلقا أو متجاوزا حــدود الزمان والمكان . وهذه البيانات الميدانية هى الأساس لأى دراسة علمية متوسعة فى المستقبل .

والملاحظة الأساسية على بيانات هؤلاء الأوليــاء والتى سيلمسها القارىء فى حكاية كل ولى هى بساطة هذه الحكاية وقصرها . فهى بيــان لبعض الخطوط والاشارات العامة غير المحددة وغير الدقيقة ، وذلك على الاقل بالنسبة للأولياء القدامى المجهولى الأصل (الصحابة أو التابعين) . أما الأولياء الاحدث الذين عاشوا مع الناس ورآهم الناس وســمعوهم فتحكى تفاصــيل عن حياتهم ، بل وتنســب الى بعضهم كرامات أثنــاء الحياة . أما الأغلبية فكل كراماتهم ظهرت بعد الموت ، أو حتى بعد اقامة الضريح .

ومثل هذه القصص أو حكايات الاولياء البسيطة لا تنمو ، ولا تضاف اليها موتيفات (عناصر) جديدة الا نادراً ، بل ان البعض يزرعون الشك فى بعض تفاصيلها دون مساس بمكانة الولى نفســها أو فى مجموعها . فسوف نقرأ أن ابن الخادم أو ابن الرجل الكبير (الوجيه) الذى ينفق على الضريح أكثر تشككا فى كرامات الولى أو فى بعض التفاصــيل التى تروى عن تكريمه وعن أسراره . ولكن الجميع مع ذلك أصحاب مصلحة فى

أن يظل تكريم هذا الولى مزدهرا ومستمرا ومتزايدا أحيانا ، فالخادم أو الرجل الفقير الذى يقوم على رعاية الضريح له مصلحة فى أن يستمر تكريم هذا الولى متصلا ، لانه مصدر رزقه الأساسى • والوجيه (التاجر أو الاقطاعى) الذى ينفق على الضريح وعلى مولد الشيخ له مصلحة فى استمرار هذا التكريم لان ذلك من مقومات وجاهته ، ومن عوامل ترسيخ مكانته بين أهل منطقته ومن وسائل استمتاع هـذا الرجل بالسـلام مع نفسه ، حيث يمكنه أن يستمر فى جمع المال بالطرق المختلفـة (دون أن يتحرى طهارة اليد دائما) ويفرغ طاقة الخير عنده فى الانفاق على هذا الضريح • ولكن هذه قصة أخرى ليس هذا مجالها •

المهم أننى أريد أن أوضح نقطة دقيقة ، وهى أن الشك قد يتبادر الى نفوس أو الى عقول البعض حـول ما يسـمعون من حكايات وكرامات وأسرار ، ومـع ذلك لا تنعكس تلك الشـكوك فى حالة تدهور عام لمكانة الأولياء ، لان كافة الاطراف المتصلة بهؤلاء الأولياء لها « مصالح » فى استمرار هذا التكريم وفى تدعيم مكانة هؤلاء الأولياء •

ومع ذلك فاننى أتجاسر وأقول ان هذا التكريم اذا كان ينحسر ، فانه يبدأ فى الانحسار بين الرجال ، يليهم الشباب والأطفـال ، وتبقى النساء فى النهاية • فهن الفئة الاجتماعية الاكثر تخلفا (الاقل تعليما ، وأقل خبرة فى الحياة ، وأقل اطلاعا على شئون العالم الحديث •• الخ)• وهن الفئة الاجتماعية الاكثر اضطهادا ، فهى بين المضطهدين أسـوأهم وضعا • ثم ان المرأة كما علمنا فى كل ثقافات الارض الغابرة والمعاصرة هى حافظة التراث وصاحبته وحاملته الاولى والامينة عليه • لهـذا لن تخطىء عين أى زائر لأى ضريح ولى فى مصر — ريفها وحضرها — صحة الاتجاه العام الذى أشير اليه هنا ، من أن النسـاء هن آخر طابور العاملين النشطين فى تكريم الأولياء من بين هذا الشعب • ولعل فى هذا دليل جديد — لن لازال محتاجا الى دليل آخر — على أن نهضة المرأة المصرية هى النهضة الحقيقية لهذا المجتمع ، بل هى مفتاح كل تحديث وترشيد لحياتنا الثقافية والاجتماعية •

ولكن برغم قصر حكاية هؤلاء الأولياء المحليين وبساطتها ، فاننا سنلاحظ أن مركز الثقل الواضح بالنسبة لاى ولى هو الكرامات التى أتاها فى حياته أو بعد مماته • فالكرامات هى الموضـــوع الذى تتجـدد حوله الأحاديث وتتواتر بشأنه الروايات ويكتسب بعضها من حين لآخر خبرات جديدة يمكن أن تتغذى وتتضخم بالتناقل والانتشار • فمجال الكرامات « مفتوح » لأى شخص ، من حقه أن يرى الولى فى المنام ، أو فى مناسبة معينة (حج أو سفر) ، ويشاهد منه ما شاء من كرامات ، ثم يحكيها ، ثم تتناقل وتتضخم • وقد تظل حية تتناقل ، وقد تنسى فتموت ، ولكنها تتجدد فى قصة أخرى ، وهكذا سـنة حيـاة التراث ، خاصـة الشفاهى منه • وكرامات الاولياء تراث شفاهى فى المقام الاول ، أما الكرامات المدونة التى أوردنا اشارات لبعضها فى صلب هذا الباب فتمثل تطورا حديثا ، وهى على أى حال تقتصر على نفر قليل من كبار الأولياء ، ودائرة انتشارها محدودة اما لمن يقرأ الكتاب المطبوع ، أو يحضر المولد ويسمع المنشد يروى تلك الكرامات • أما الكرامات التى نعنيها فهى ملك لكل الناس ، وهى فى حالة حركة دائمة يرددها الناس على مسامع بعضهم فى كل مناسبة وكل وقت •

كما توضح الممارسات الشعبية المتصلة بالأولياء فى هذه المنطقة دور بعض الطرق الصوفية فى « انتاج » الاولياء « ورعايتهم » • فهناك طائفة من المشايخ يقومون بعمل جولات مستمرة فى مختلف أنحاء الجمهـورية سواء على مستوى المناطق (كمركز أو مدينة مثلا) أو مستوى المحافظات أو مستوى الجمهورية ، حيث ينزلون ضيوفا على أتباعهم • ويسمى هؤلاء الأتباع « الأولاد » • وتكون مثل هذه الزيارات فرصا لاكتساب « أولاد » جدد وتوثيق العلاقات مع « الأولاد » الموجودين •

وتبعا لشهرة هؤلاء المشـايخ وقوة أتباعهم ووفقا لعـوامل أخرى (مثل حالة الشيخ البلاسى فى قرية الزرزمون بمركز ههيا شرقية) يتحول هؤلاء المشايخ بعد موتهم الى أولياء وتبنى لهم أضرحة تختلف حجما تبعا للظروف السابقة •

وهناك عامل آخر كان له شأن كبير فى تدعيم ولاية بعض المشـايخ واكتسابهم هيبة معينة بين أهلهم فى حياتهم وبعد مماتهم ، مما يسر لهم سبيل « الولاية » وأظهر كراماتهم ، وأعنى هنا الأوضـاع الاقتصادية والاجتماعية الاقطاعية فى النصف الاول من القرن العشرين على الاقـل (وهى الفترة التى يمكن توثيقها اعتمادا على بيانات الاخباريين) . فكان هؤلاء المشايخ (منهم مثلا الشيخ البلاسى الذى سبقت الاشـارة اليه والشيخ الشوادفى وأبو هاشم فى منطقة ههيا شرقية ، وكازوريا بجـوار قرية الزرزمون ، والعداوية وشهرتها العدوة ـ بنى عامر .. الخ) أدوات فى أيدى بعض الاقطاعيين الكبار يستخدمونهم عن طريق منحهم امتيازات مالية كبيرة بالنسبة لظروف الفلاحين فى تلك الاوقات لأسباب لا تخفى على فطنة أحد ، ليس أقلها صبغ عملية الاستغلال الاقطاعى بصبغة شرعية .

وتطورت عملية الامتيازات المالية الى تشجيع علنى الى مصاهرة .. الخ . وأصبحت الصورة الاخيرة لشيخ من هذا النوع : رجـل متيسر ، يكسب قوته بسهولة ، ويتزوج بأكثر من واحدة كل منهن فى قرية من قرى المنطقة ، لتكون مثل هـذه الزوجات بمثابة رواس للشـيخ فى المنطقة ، وبالتالى رواس للاقطاعى نفسه يستند عليها نفوذه فيها .

على أنه قد يحدث رغم هذا الدعم الكبير أن يموت الشيخ دون أن يكتسب الولاية ، ودون أن تتاح له فرصـة اظهار كراماته . ولكن هناك بعض الأساليب التى يتحول بها الشيخ ـ شيخ الطريقة ـ بعد موته الى ولى من أولياء الله فى نظر أهل قريته ، أو غيرها من القرى . من ذلك أن يرث طريقته « أولاد » (أتباع) أو أولاد حقيقيون ذوو سـطوة وجاه يتمكنون عن طريقها من فرض تكريمه على الناس ، فيبنون مثـلا ضريحا هائلا ، أو يتفننون فى اقامة مولده ، أو يتوسعون فى الدعاية له ... الخ .

وهناك فضلا عن هذا كله بعض المشـايخ الذين يتمتعون فى بلادهم بمركز عادى ، حيث يعيشون كسائر الناس أو يكادون ، ولكنهم ينظمون

بذكاء وإمكانيات خاصة زيارات « لأولادهم » فى مناطق معينة بعيدة نسبيا عن بلادهم (مثل الشيخ أحمد أبو عيمه فى مدينة ههيا شرقية الذى ينتشر نفوذه حول مدينة طنطا غربية ، وتكثر زياراته ويكثر « أولاده » هناك) . ومن شأن هذه الأساليب أن تمكن لهؤلاء المشايخ بين أهل تلك القرى ، بحيث يتحولون بسهولة — نسبيا — الى أولياء فى حياتهم أو بعد موتهم .

ولذلك أكدت فى أكثر من دراسة وفى أكثر من مناسبة أنه يجب علينا أن نلجأ الى دراسة تاريخ مشايخ الطرق الصوفية وأوضاعها الراهنة للتعرف على الوسائل المختلفة التى تساهم فى تحويل المشايخ المغمورين الى أولياء .

التقرير الأول

تقرير عن الأولياء في قرية مصرية(*)

أولا — المنطقة التى تقع بها القرية والأولياء بها :

تقع قرية « بنى واللمس » احدى قرى مركز مغاغة محافظة المنيا على شاطىء « البحر اليوسفى » الشرقى فى منتصف المسافة بين مركز مغاغة ومركز بنى مزار بالضبط ، ولكنها لا توجد بحكم موقعها هذا فى المنطقة الملاصقة لنهر النيل تماما بل تبتعد عنه جهة الغرب بحوالى ١٥ كيلو مترا . أى أنها تقع بالقرب من الصحراء الغربية حيث لا يوجد غرب البحر اليوسفى فى هذه المنطقة من الارض الزراعية الا شريط عرضه حوالى ٥ كيلو متر تقريبا تبدأ بعده الصحراء فى الامتداد جهة الغرب . ويبدو أن هذه المنطقة القريبة من الصحراء الغربية تختلف من الناحية الثقافية عن المنطقة الملاصقة لنهر النيل وذلك بحكم الاتصال المباشر بالمدن أو القرب منها على الاقل . كما أن هذه المنطقة تختلف حتما عن المنطقة التى تقع شرق النيل على الساحل الملاصق للصحراء الشرقية ويظهر هذا الاختلاف جليا حتى فى التسمية التى يطلقها الاهالى على هذه المناطق . اذ يطلق على المنطقة من « مغاغة » — التى تقع غرب نهر النيل بحوالى نصف كيلو متر — حتى بداية الصحراء الغربية اسم « الغروب » بينما يطلق على كل الجزر والقرى الواقعة شرق نهر النيل اسم « الشروق » .

المنطقة التى تقع بها القرية تعتبر اذن منطقة ثقافية مميزة الى حد ما ، ويمكن أن نقرر أن البحر اليوسفى لا يعتبر مانعا ثقافيا مثل نهر النيل مثلا ، فالعلاقة بين القرى الواقعة شرقه وغربه علاقة قوية كما أن السمات الثقافية يبدو أنها متشابهة الى حد كبير . بل أنه يمكن القول أن

(*) اعد هذا التقرير السيد / احمد عبد الله زايد المدرس المساعد بقسم الاجتماع بجامعة القاهرة فى عام ١٩٧٦ .

هذه المنطقة قد تتأثر فى بعض الأحيان بالثقافة البدوية حيث نجد أن ثمة علاقات بين بدو الصحراء القلائل فى هذه المنطقة وبين سكان القرى الى درجة أن بعض الأعراف البدوية قد أقحمت نفسها لتحكم العلاقة بين الناس وليس هذا هو موضوعنا الأساسى وهو موضوع جدير بدراسة مستفيضة .

موضوعنا الأساسى هو دراسة بعض المعتقدات المتعلقة بالأولياء فى هذه المنطقة وفى القرية المذكورة بالذات . والأولياء فى هذه المنطقة تنتشر انتشارا كبيرا ، وتوجد الكثير من الممارسات الخاصة بهم والتى تختلف من ولى الى آخر كما أن الأولياء فى المنطقة من أنماط عديدة . فيوجد فى بعض القرى مثلا ولى خاص بشفاء الأمراض يزوره الناس فى ميعاد زيارته المحدد كالشيخ « الغريانى » فى قرية « البجهور » والشيخ (أبو غنيمة) فى قرية « سناقولا » . ويوجد فى بعض القرى أولياء ينسبون الى الصحابة «صحابة رسول الله» الذين ماتوا أثناء الحرب فى فتح مصر خاصة أن المنطقة التى تقع فيها قرية « البهنسا » الشهيرة ، والتى كانت توجد بها بعض الحصون الرومانية التى فتحها المسلمون ، والتى يوجد فيها مئات من الأولياء من هذا النوع الى درجة أن بها ضريحا ينسب الى « عبد الرحمن ابن أبى بكر » وآخر ينسب الى « خولة بنت الأزور » . هذا ويجب التنويه الى أن الولى الذى سنتناوله بالدراسة من هذا النمط . ويوجد نمط ثالث فى هذه المنطقة وهم هؤلاء الأولياء الذين أثبتوا كرامات وماتوا فى هذا العصر (فى أيامنا هذه أو منذ عشرات السنين مثلا) والذين يتذكر الناس عنهم الكثير . وبعض هؤلاء الاولياء موجودون فى قرية «الجرنوس» القريبة من قريتنا وفى قرية « ميانة » القريبة من مغاغة ومن نهر النيل أيضا . ونمط رابع وهو الأولياء المؤثرون الذين لا يتذكر الناس عنهم سوى القليل ولم يروهم الا فى الأحلام حيث يأتى الولى الى أحد الأفراد ويأمره أن يبنى له قبرا « وليس مقاما » فى مكان ما يريده الولى نفسه . ويوجد فى قريتنا اثنان من هذا النوع . ونمط خامس وهو ذلك النوع من الأولياء المنسوب الى أسرة عريقة فى التدين والولاية والتى يوجد منها

أولياء أحياء أيضا . ومن هذا النوع أسرة توجد فى قرية « القايات » غرب البحر اليوسفى يعتقد كل أبناء المنطقة أنها أسرة « طيبة » الى درجة أن الطفل فيها يعتبر وليا وكثيرا ما ينسبون المعجزات الى الأحياء والأموات على حد سواء . ورغم أن تغيرا كبيرا قد طرأ على الأسرة نفسها الا أن الأسرة مازالت لها كيانها وثقلها وتأثيرها الدينى فى قلوب الناس الى درجة أن الناس يعتقدون صـلاحية أفراد هـذه الأسرة وولايتهم مهما كانت الظروف ، ويحرص الكثير على زيارة هؤلاء الناس والتبرك بهم . ونظرا لتمسك هذه الأسرة بالدين ووجود أولياء فيها على قيد الحياة فانه لا يوجد الكثير من الممارسات الشـاذة المتعلقة بزيارة هؤلاء الأولياء وكثـيرا ما يقتصر الزائر على الزيارة وقراءة الفاتحة ودفع النذور أو تقبيـل يد الشيخ الحى .

والأولياء فى المنطقة مازالوا يتمتعون بمكانة عالية فى قلوب الناس الى درجة أن الثورة على هذا الاعتقاد قد تقابل بالنفور الشـديد بـل والازدراء فى غير قليل من الأحيان . ويحرص الناس على زيارة هؤلاء الأولياء كلهم أو بعضهم مرة على الأقل فى العام خاصـة الأولياء ذوى الشهرة فى شفاء الأمراض مثل « أبو غنيمة » والشيخ « الغريانى » وذلك فى مواعيد الزيارة والتى غالبا ما تكون يوم الجمعـة وان كان الشـيخ أبو غنيمة يزار دائما يوم السبت حيث يقام له حضرة أسبوعية خاصة فى أيام الصيف ، ولا يعرف الناس ما اذا كان مسيحيا أم مسلما ولا يجدون تبريرا لزيارته يوم السبت . والدليل على أن الناس يعتقدون أنه يشفى الأمراض أنهم يطلقون عليه « طبيب المبـالى » وتكثـر زيارته فى أيام الصيف حيث يكون الفراغ كبيرا والمناخ مواتيا . لأن الذى يزوره غالبا ما يصطحب زوجته وأولاده . واذا ما دخلت ضريح الشيخ يوم السبت أو (ليلة الأحد) فانك لا تسـتطيع ان تلف حوله أو حتى تحرك من عشرات النساء النائمات فى رحابه يطلبن شفاءهن من الأمراض . ويوجد بجواره بحيرة راكدة لا تتجدد مياهها الا كل سنة تقريبا يطلق عليها الناس (بحر أبو غنيمة) ويستحم فيها الرجال والنساء والأطفال تبركا الى درجة

أن والد الطفل المريض قد يضحى له وحده منها لكى يشـ...
وكثيرا ما يغرق الناس فى هذه البحيرة : الأولاد والبنات ال...
ويعتقد الناس أن الغريق قد عمل شيئا أغضب الشيخ ...

هذه صورة عامة عن المنطقة والأولياء بها انتقل ...
الأولياء فى قرية بنى واللمس .

ثانيا — الأولياء فى القرية :

بالقرية ثلاثة أولياء . أحدهم له مقام كبير وتنسج ...
الحكايات ، كما يتعلق به العديد من الممارسات . وهذا ...
« حسن أبو رايتين » الذى يقع مقامه فى وسط القرية تماما ...
الآخران فأحدهما عبارة عن قبر مبنى بالطوب اللبن يقع ...
البحر اليوسفى فى منتصف القرية أيضا . وقد بنى هذا ...
القرية حيث رأى الشيخ فى المنام وقال له : ابن لى ...
المكان . وهذا الولى هو الشيخ « محمد الساعى » . و...
الناس عنه أى شىء سوى أن قبره موجود تحت ...
اتخذها الناس كمصلى وهى تقع على حافة البحر اليوسفى ...
من الولى السابق . وقد أتى هذا الولى أيضا الى أحد أبناء ...
وقال له : ابن فوق قبرى مصلى يصلى فيه الناس . ...
فى شكل منسق ليصلى عليها الناس . وهذا الولى هو الشيخ ...
الأربعين » . هذا ونجد الناس يطلقون على هذه المنطقة التى ...
حافة البحر اليوسفى اسم « الأربعين » .

(أ) الشيخ حسن أبو رايتين :

يوجد مقام(١) الشيخ فى وسط القرية تماما وبجوار ...
ومقام الشيخ كبير ومرتفع يبلغ ارتفاعه حوالى ١٥ مترا ...

---

(١) المقام هو الاسم المحلى لضريح الشيخ اى ... ضريحه .

على خدمة الولى خمسة رجال هم أبناء رجل واحد توفى فورثوا خدمة الضريح عنه • ويتولى هذه المهمة أحدهم فى أى مناسبة حيث لا يكلفهم الشيخ أى جهد سوى اضاءة قبته ليلا فقط التى يقوم بها أحدهم وكذلك تنظيم مولد الشيخ حيث يتعاونون جميعا فى هذا المجال • ويقتسم هؤلاء الأفراد ايراد الشيخ القليل جدا مع أحد أبناء قرية مجاورة يقول انه قريب لهذا الولى ومن نسله • وهذه القرية التى يقطن فيها هذا الرجل هى قرية الجرنوس التى تقع على بعد ٢ كيلو متر شرق قرية « بنى واللمس » التى يقع فيها الولى • وهذه القرية « الجرنوس » بها العديد من الأولياء كما يتفق جميع أهالى المنطقة أنها أقدم قرية فى المنطقة على الاطلاق •

ولقد كان جد هذا الرجل الذى يشارك الجماعة التى تقوم على خدمة الشيخ هو الذى يقوم على خدمته • ولكن حدث أن تطوع جد هذه الجماعة التى تخدم الشيخ الآن من أبناء القرية بتجديد ضريح الشيخ وتنظيمه والتطوع بخدمته حيث لا يستطيع الذى يقطن فى قرية بعيدة أن يباشر هذه المهمة • وتولى عنه هذه المهمة ابنه ثم أحفاده الخمسة وهكذا • على أن يقتسموا ايراد الشيخ مع خادمه (نقيبه)(٢) الأساسى الذى يعيش فى قرية الجرنوس • هذا ويجب الاشارة الى أنه نظرا لضآلة ايراد الشيخ فانه يبدو أن النقيب الأساسى قد تخلى عن نصيبه للقائمين على خدمة ضريح الشيخ من أبناء القرية •

كانت قبة الشيخ فيما مضى صغيرة مبنية بالطوب اللبن • وقد ذكرنا أن أحد أبناء القرية (جد من يخدمون الضريح حاليا) هو الذى بنى القبة الحالية التى ترتفع فوق حجرة كبيرة مربعة يبلغ طول كل جدار بها حوالى ٥ متر • وأرضية الضريح « مبلطة » وقد قام أحد أبناء القرية بتبليطها منذ قريب تبرعا أو وفاء بنذر معين • وقبة الشيخ مطلية بالجير

---

(٢) كلمة النقيب هى الاسم المحلى للذى يقوم بخدمة الشيخ أو يكون من عائلته أو يمت له بصلة قرابة .

ويقوم بتجديد طلائها أى فرد من أبناء القرية على أن يكون هذا الطلاء وفاء بنذر معين أيضاء ويدعى من يقومون بخدمةالضريح حاليا أنهمأقرباء لهذا الولى بالنسب ولم يكن جدهم ليتطوع لهذه الخدمة لولا أنه يعرف قصة هذه القرابة ، حيث تزوج أحد أبناء عائلتهم واحدة من نسل هـذا الولى •

(ب) سيرة الولى وكراماته :

لا يذكر أى من أبناء القرية شبابها وشيوخها شيئا عن حياة سيدى حسن أبو رايتين الا أنه كان محاربا فى صفوف جيش المسلمين التى كانت تحارب ضد « الكفرة » على حد قولهم • وكان يتقدم الجيوش حامـلا الرايات فى يده ومن هنا لقب أبو رايتين •

وتتضارب قصة وفاته وتختلط فى أذهان الناس فمن الناس من يقول أنه كان مدفونا بقرية « الجرنوس » المجـاورة ثم انتقل سرا الى هـذا المكان فى القرية • ومنهم من يقـول أنه مات فى قرية الجرنوس ثم طار بالنعش حتى هذه المنطقة التى دفن بها وطلب أن يدفن فيها • ومنهم من يقول أنه دفن فى المكان الذى استشهد فيه فى الحرب • ولكنى لم أكتف بكل هذه الروايات وسألت أحد المسنين فى القرية فذكر لى أن هذه المنطقة التى تمتد من قرية الجرنوس حتى قرية « بنى واللمس » كانت كلها فيما مضى مدافن لقرية الجرنوس القديمة جدا والتى تعتبر قرية بنى واللمس حديثة النشأة اذا ما قورنت بها • والدليل على أن كل هذه المنطقة كانت مدافن هو أنك لو حفرت الارض فى أى مكان من المنطقة المجاورة لوجدت رفاتا وأجسادا لأناس سابقين • ولقد كان الشيخ حسن أبو رايتين مدفونا فى مقـابر قرية الجرنوس التى اندثرت ولم يبق منهـا سـوى ضريح الشيخ الذى قامت حوله القرية • والدليل على هذا التصور الذي يقـول الاخبارى المسن أنه سمعه من والده هو أن القرية اتجهت فى دفن بعض موتاها حول ضريح الشيخ لان المنطقة حوله شجعتهم على هذا لانها كانت مقابر أساسا رغم أنها تقع وسط القرية الحالية • والدليل على هذا الرأى

أيضا أن خادمه الأساسى مازال يقطن قرية الجرنوس ، ويقول الاخبارى المسن هذا أنه لم يسمع من والده وسابقيه الا أن هذا الولى صحابى كان يحارب فى صفوف الجيوش الاسلامية وأنه كان مكلفا بحمل الرايات ومن هنا لقب بأبى رايتين أو أبو الرايات •

ورغم أن الناس لا يذكرون عن حياته الاولى سوى ما قلناه فانهم يكنون له احتراما كبيرا ويهابونه ويلقبونه (بالبطل) أو (التلب) وهو أسم محلى يعنى أيضا البطل • وينسبون اليه الكثير من الكرامات التى أظهرها وهو ميت ومن هذه الكرامات :

١ ــ عندما نام أحد الأفراد وكان يحرس غلته المجاورة لمقام الشيخ وترك الغلة فى رعاية الشيخ وأتى أحد اللصوص ليملأ جلبابه من غلة هذا الرجل ، تركه الشيخ الى أن ملأها وعندما هم بالوقوف لم يستطيع بل التصق بالارض ولم يأذن له الشيخ بالمشى الا بعد أن استيقظ صاحب الغلة وتشفع له عند الشيخ الذى أطلق سراحه • هذا ويجب أن نذكر أن المنطقة المحيطة بالشيخ والمقابر المجاورة له يتخذ منها الاهالى مكانا لنشر ودرس محصولاتهم •

٢ ــ عندما أتى أحد الأفراد لسرقة بعض القمح من هذه (المجرنة)(٣) لم يدر الا وسلسلة تربطه بالارض لم يستطع منها أن يحمل سرقته • وعندما ذهب الى أكثر من مكان ليسرق منه فى أجران القرية حدث له نفس الشىء بحيث تسببت هذه الحادثة فى أن يتوب هذا الرجل عن السرقة •

٣ ــ عندما حاول بعض أهالى القرية أن يعطل مولد الشيخ لانه يقام بجوار أبراج الحمام الخاصة به ذهب له الشيخ فى المنام وكاد أن يخنقه

---

(٣) المجرنة هى الاسم المحلى للمكان الذى توضع فيه الاجران والجرن هو المحصول بعد ان ياتى من الحقل وقبل ان يذهب الى المنزل •

لولا أن تعهد له أنه سيساعد فى اقامة المولد • وفعلاً ذهب فى اليوم التالى وساعد على إقامة المولد •

٤ ـ يقول أحد أبناء القرية أنه رأى بالليل وفى أحد الايام داخل الشيخ نورا ساطعا ورأى مئات الأولياء مجتمعين يذكرون اسم الله الأمر الذى يدل على مكانة الشيخ بين الأولياء •

٥ ـ انقاذه لأحد أبناء القرية عندما تعرض لخطر وهو بالحجاز حيث ظهر له فى صورة شخص عادى وأنقذه من الخطر الملم به ثم اختفى فجأة فعرف أنه سيدى حسن أبى رايتين •

٦ ـ يشاهده أهالى القرية فى المنام يركب حصانا ويحمل سيفا ويلبس عمة وثيابا بيضاء ناصعة وهم يستبشرون بهذه الرؤية(٤) •

٧ ـ فى أثناء مولد الشيخ أو فى احدى أيام الجمع لو تجمع عدد من الاطفال والشباب داخل ضريح الشيخ وهللوا قائلين : أوكب يا واكب • ولفوا حول الضريح مصفقين فانه يظهر فى القبة راكبا حصانه ويلف معهم فى أعلى القبة شاهرا سيفه • ويحكى أهل القرية أنهم رأوا هذه الظاهرة بأعينهم وتأكدوا منها(٥) •

٨ ـ انقاذه لناقة كادت توشك أن تغرق فى احدى القنوات ولم يستطع الرجال أن يخرجوها وعندما صاح صاحبها باسم الشيخ أبو رايتين قامت ناقته وخرجت بنفسها من الماء وظن أن الشيخ هو الذى أخرجها •

---

(٤) يجب أن نذكر أنه عندما يرى احد الأفراد جملا فى المنام فان مفسر الاحلام يفسر رؤية الجمل على انه شيخ ، ويدل هذا على ان الجمل يمثل الخير ويحمل قيمة كبيرة . وفى مقابل ذلك يفسر رؤية الثعبان على انه عدو .

(٥) راى الباحث ظاهرة من هذا النوع ليس مع الشيخ حسن ابو رايتين ولكن فى ضريح ولى يدعى (الدكرورى) يقع فى قرية بهنسا .

الأشخاص عن القرية والدعوة له بالرجوع سالما أو حالة النجاة من الكوارث أو النجاح فى الامتحان حيث ينذر الشخص أو أهله نذرا معينا للشيخ مثل النقود أو الكيروسين الذى يستخدم فى اضاءة ضريح الشيخ على أن توضع النقود فى صندوق النذور بعد أن يرجع الغائب أو يشفى المريض وهكذا • ويقدم الكيروسين الى خادم الضريح ليستخدمه فى اضاءته • ويلجأ الرجال والنساء على السواء الى الولى فى هذه الامور •

٢ — فى حالة الشكوى من المظلمة أو الرغبة فى ايقاع الأذى بأحد الأشخاص الظالمين أو المتهمين بالسرقة وهذه الزيارات تقتصر على النساء حيث لا يذهب الرجال الى الشكوى فى أضرحة الأولياء • وفى هذه المناسبة تذهب السيدة أو الفتاة الى ضريح الولى وتشكو من تريد أن تشكوه بأعلى صوت وذلك يوم الجمعة وتكرر الشكوى عدة مرات تصل أحيانا الى ثلاث جمع • وتذهب السيدة أو الفتاة بخصوص هذه الشكوى فى آذان الجمعة بالضبط لانها تعتقد أن الولى يستمع الى المظالم فى هذه الفترة بالذات ونجد أن النسوة لا يكتفين بالشكوى وانما يقمن كذلك باحدى ثلاث ممارسات شهيرة فى هذه المنطقة :

* اما أن « تكنس » الشاكية الشيخ فى أثناء شكواها التى دائما ما تقترن بكلمة « خلصنى من فلان يا سيدى حسن أبو رابتين » أو « وريني فيه يا سيدى » أو « خليني أشوف فيه يوم » • وبعد أن تكنس أرض ضريح الشيخ تقوم بقلب الحصر الموجودة على الأرضية وتعتقد بذلك أنها تقلبها على الشخص المشكو نفسه وأنه بذلك سوف يقع تحت طائلة الولى ومعاقبته •

* واما أن « تشنق نفسها »(٧) أثناء هذه الشكوى حيث تطوق المرأة رقبتها بطرف طرحتها • وتمسك أطرافها بيديها وترفع وجهها الى

(٧) هذا هو اللفظ المحلى لهذه الممارسة •

أعلى وتلف حول ضريح الشيخ وتشكو الى الشيخ مظلمتها وتكرر هذه العمل ثلاث جمع متوالية •

* تقوم المرأة بقلى الحلبة واسمها المحلى (الحياقة) داخل ضريح الشيخ • ويختارون الحلبة لانها أولا : لا يمسها السوس ولا العطن كما يقولون، ثم أنها ثانيا : مرة المذاق حيث ينعكس موارها هذا على الشخص المشكو فيه • على أن تشكو أو « تدعى » على حد قولهم عند قلى الحلبة • وهى ممارسة جديرة فعلا بالمزيد من الدراسة •

هذا ويعتقد الناس أن الشيخ فى حالة أى ممارسة من هذه الممارسات الثلاث سوف « يبين » فى المشكو فيه اذا كان ظالما ولكنه اذا كان مظلوما فان هذه الشكوى تنقلب على الشاكى نفسه وتؤذيه • ولذلك نجد أن بعض الريفيين يحذرون زوجاتهم من القيام بهذه الممارسات ولا يلتجأ اليها الا فى حالات الغيظ الشديد(٨) •

٣ — يلجأ الناس الى زيارة الولى فى أثناء المرض الشديد الذى يصعب علاجه عن طريق الأطباء حيث ينذر أهل المريض الى الولى نذرا معينا يوفون به اذا ما شفى المريض •

٤ — كما تذهب اليه السيدة التى لا تلد والتى تسمى « العاقر » حيث تتضرع اليه أن يتوسط لها عند الله فى أن يعطيها ولدا أو يجعلها قادرة على الانجاب وغالبا ما تنذر اليه نذرا •

٥ — أما الاطفال فان الأم تذهب بطفلها اذا كان مريضا لكى يشفيه الشيخ، هذا اذا لم يفلح معه الطب، ولكن هناك ممارسة غريبة حقا خاصة بالطفل الذى يعتقد أنه « مبدول » • فنساء القرية يعتقدن أن الطفل لو

---

(٨) تجدر الاشارة الى أن الشكوى للشيخ ترتبط بالمستويات الطبقية ، فالذين يكثرون الشكوى للشيخ من أقل المستويات الطبقية .. والأمر يحتاج الى مزيد من المتابعة ، فليس معروفا هل الفقير دائم الشكوى الى الاولياء ، أم أن الفقير هو أكثر الناس تعرضا للمظالم •

تترك فى مكان ما من المنزل وحده ويكون المكان خاليا من أى شىء ذى قيمة كالمأكولات مثلا فان الملائكة أو الجان — لا يعرفون بالضبط — يأخذون الطفل الذى يكون بصحة جيدة ويضعون مكانه طفلا هزيل الجسم وضعيف الصحة الى درجة تدفع الأم الى أن تلجأ الى الولى أو الى السحرة لكى يرجعوا لها ابنها أو يأخذوا هذا الطفل الذى هو معها الى غير رجعة . وعندما تلجأ الأم الى الولى (الشيخ حسن أبو رايتين) تذهب ومعها الطفل فى أذان ظهر يوم الجمعة وتضع الطفل « المبدول » على مفتاح باب الضريح المصنوع من الخشب والذى يطلق عليه اسم « الضبة » وتقول هذه العبارة : « يا ضبه ضبببيه وان ما ضببتهش خديه » وتكرر هذه الممارسة ثلاث جمع وفى نهاية هذه الثلاث جمع اما أن يشفى الطفل واما أن يموت . ولا شك أن هذه الممارسة تتوارث خلال خط الاناث بحيث تنصح المرأة كبيرة السن مثلا ابنتها بأن تذهب بطفلها الى الشيخ لانه مبدول ، الامر الذى يجعلنا نتنبأ بأن هذه الظاهرة شأنها شأن كافة الممارسات الخاصة بالاعتقاد فى الاولياء لن تتغير فى المدى القريب، والتعليم فقط هو الذى ربما سيكون العامل الرئيسى فى القضاء عليها ، ولا أقصد بالتعليم تعليم الرجل فلا يوجد منزل بالقرية الا وبه أحد المتعلمين من الرجال ولكنى أقصد التعليم فى خط الاناث الذى تنتشر فيه مثل هذه المعتقدات بصورة كبيرة(٩) وفى بعض الحالات الشاذة من هذه الممارسة تذهب المرأة بطفلها فى أثناء صلاة الجمعة وتضعه فى قبر مهجور عاقدة النية على أن يأخذه الملائكة ويأتوا لها بطفلها الأساسى وتكرر هذا ثلاث جمع يشفى فى نهايتها الطفل أو يموت واذا شفى تظن أن الملائكة قد استبدلوه فعلا .

ويستطيع أهل القرية أن يحكوا لأى باحث عشرات الحكايات فى تطبيق كل هذه الممارسات وفى تصرف وانتقام الولى من الظالم اذا شكاه

---

(٩) من الأمور التى تحتاج الى دراسة ما اذا كان التعليم يسهم حقا فى تغيير المعتقدات : فمن الأمور التى يلاحظها اى فرد يفكر بالاسلوب العلمى ان الكثير من المتعلمين لا يغيرون من تفكيرهم المرتبط بالمعتقدات الشعبية كالسحر وخلافه .

المظلوم له وكان على حق ومن الشاكى نفسه اذا كان على غير حق • هذا ويجب التنويه الى أنه حدث ذات مرة أن كتب أحد الأفراد شكوى على ورقة صغيرة ووضعها داخل ضريح الشيخ لكى ينتقم له من لص ظن أنه يسرق حمام برجه ويبدو أن هذا الشخص قام بكتابة الورقة لانه ليس من عادة الرجال الشكوى الى الأولياء خاصة فى أمور المظالم •

وزيارة الولى تكون دائما يوم الجمعة أو فى أيام المولد حيث يكون باب المقام مفتوحا ليلا ونهارا ومن النذور التى تنذر للولى :

١ ـ النقود وهى نذور قليلة وتكثر فى أيام المولد وتذهب كلها الى خدام الولى ليقتسموها مع شريكهم فى قرية الجرنوس •

٢ ـ الكيروسين ويذهب الى خادم الولى لكى يستخدمه فى الاضاءة•

٣ ـ الأرز المطبوخ باللبن ، ويرتبط هذا النذر بشفاء الحيوانات المريضة حيث تنذر المرأة (قصعة) أرز بلبن تذهب بها الى جوار مقام الشيخ أمام بابه يوم الجمعة ويأكلها الاطفال الحاضرون أو الاطفال المارة • وتأخذ هذه الظاهرة فى الاختفاء فى هذه الايام •

٤ ـ الذبائح التى تقدم الى خدام الضريح • وقد يكون النذر ذبيحة كاملة أو نصف ذبيحة أو ربع ذبيحة •

(د) مولد الشيخ حسن أبو رايتين :

كانت موالد الأولياء تلعب دورا كبيرا فى حياة الناس فيما مضى حيث كان الناس يحسبون لها حسابا طيلة العام لكى يحضروها ، خاصة الموالد فى القرى المجاورة • وكان كل رب أسرة يأخذ أسرته ليقيم حيث يكون المولد لعدة أيام وبعض الأسر كانت تقيم أيام المولد كله • وربما كان للفراغ الاقتصادى أثر كبير على هذا حيث بدأت هذه الظاهرة فى الاختفاء بعد الاهتمام الكبير للناس بالنقود وشئون التجارة والزراعة • ويقتصرون الآن على قضاء ليلة واحدة والكثيرون لا يفكرون فى الذهاب على الاطلاق•

ومولد سيدى حسن أبو رايتين يبدأ فى غرة ربيع الاول أى فى بداية الاحتفال بمولد النبوى • حيث يأخذ الناس فى نصب أكشاك لبيع الحلوى والفول والشاى ولعب القمار ويسمى الكشك (الفرش) ويتكون من دكتين أو ثلاثة ومنضدة لوضع البضاعة عليها ثم سقف من الجريد أو بوص الذرة محمولا على ٤ قوائم خشبية • ويكون عدد هذه (الفروشات)(١٠) حوالى ١٠ فى المتوسط • ويستمر المولد حتى ليلة ١٢ ربيع حيث يحتفـل بالليلة الكبيرة • ويبدو كل فرش خاليا من الناس فى الصباح والظهيرة ولكن من بعد العصر الى منتصف الليل نجدها مزدحمة بالناس : هذا يأكل الفـول والحلوى ، وهذا يلعب (الكوتشينة) وهــذا يحضر بعضا من السودانى والحلوى ليذهب بها الى المنزل أو ليقدمها الى أقربائه من النساء والفتيات اللائى يجلسن فى مكان متطرف من أرض المولد •

ويستضيف الشباب بعضهم ليأكلوا الحلوى والفول• وقد يؤثر نسق القرابة فى السلوك داخل المولد حيث نجد أن الشباب من عائلة ما يجلسون فى (فرش) أحد أقربائهم وان كانت هذه ليست قاعدة • وتنصب المراجيح للأطفال وكذلك يأتى بعض محترفى لعب الملاهى • ويتبارى الشـباب فى ضرب (المدفع) الذى يتكون من كتلة حديدية تسير على قضيبين يدفعهـا الشاب بذراعه لتصل الى نهاية الطريق المخصص لها معلنة ذلك عن طريق (بومبة) فى نهايتها تصدم بقطعة حديد فتحدث صـوتا • ويمكن تثقيل قطعة الحديد هذه أو تخفيفها تبعا لقدرة الشاب •

أما خدام الضريح فانهم يهيئون ضريح الشيخ بكنسـه وتبييضـه ويضعون أمامه راية كبيرة يحملها عامود كبير وغليظ من الخشـب بحيث ينبىء (دق العامود)(١١) أمام ضريح الشيخ عن بداية المولد •

بعد ذلك يستدعى خدام الضريح جماعة من ضاربى الطبول من قرية الجرنوس وهم يقومون على خـدمة شيخ هناك أيضـا يدعى الشـيخ

(١٠) جمع فرش باللغة المحلية .
(١١) هذه هى الكلمة المحلية للاعلان عن بداية المولد .

(أبو شوك) • ويأتى من هؤلاء ثلاثة أو أربعة يدقون الطبول ويحملون (بيرق) الشيخ أبو شوك وينضم اليهم محترف دق طبلة من البلدة وكذلك (بيرق) الشيخ أبو رايتين الذى يعتبر أخف من بيرق أبو شوك ويشتركون جميعا فى احياء أيام المولد • وفى الصباح تخرج قافلة الطبل هــذه ومعها البيرقان يحملهما اثنان من خدام الشيخ أو أولادهم ليلفوا القرية جميعها منزلا منزلا ويتوقفون أمام كل منزل ليقرأ أحدهم الفاتحة بصــوت عال ويخرج لهم أهل المنزل « العادة » (عادة الشيخ) وهى عبارة عن نقود أو بعض الحبوب كل حسب مقدرته • على أنهم لا ينهون القرية فى يوم واحد ولكنهم يقسمونها على الاثنتى عشر يوما التى هى أيام المولد •

وتنتهى هذه الجولة فى العصر تقريبا ودائما ما ينهون جولتهم عنــد الشيخ حيث ينصب الناس للمولد وقــد يبدأوها منه • ولذلك ســبب ، فالشباب يتبارى أيضا فى « لف أو تدوير البيرق » على دقات الطبول وفى الاستعراض به ويسمى هذا (تدوير البيرق) وتقف النســاء من بعيــد ترقبن أولادهن وتشجعهم بالزغاريد • ولا يمارس الشباب عمليــة لف البيرق تبركا فقط وانما فخرا واظهارا للقوة أيضا •• هذا ويدفع كل من يلف البيرق قرشا أو أكثر يضم الى الحصيلة العامة من ايراد المولد •

ويطلق أهل القرية على هذا الموكب الذى يحيى المولد يوميا ويلف كل القرية بالطبول والبيارق اسم (الزاوية) • هذا وكثيرا ما ينذر الناس وجبة لهذه الزاوية يقدمها لهم فى الغذاء أو العشاء أيام المولد الى درجة أن هــذه الجمــاعة (الزاوية) لا يســتطيعون الذهاب الى كل دعــوة للعشاء أو الغذاء ، وكثيرا ما يذهبون لتلبية الدعوة دون أكل وذلك لكثرة للدعوات •

وفى مساء كل ليلة يقام أمام الشيخ ذكر تقوده الطريقة الصــوفية الوحيدة المنتشرة فى القرية وهى الطريقة البيومية والتى لم تنتشر الا منذ سنتين • وقبل ذلك كان الذى ينظم الذكر هم نقباء الشيخ أبو شوك ولديهم

خبرة فى هذا وقد يكون هذا هو السبب فى دعوتهم لاحياء ليالى المولد ، وقد يكون السبب أيضا أن لقريتهم نصيبا من ايراد الشيخ • وفى نهاية المولد يقسم هذا الايراد مثالثة بين خدام الشيخ فى القرية ونقيب الشيخ الاساسى فى قرية الجرنوس ونقباء أبو شوك الذين يحيون المولد •

ولكن ماذا عن الليلة الكبيرة • هذه الليلة هى ختام المولد وهى ليلة مولد النبى عليه السلام • ويعطل الناس أعمالهم لمشاهدة هذه الليلة • ويبدأ الاحتفال بها بعد الظهر حيث يركب مأذون القرية أو أحد رجال الطرق الصوفية جملا ويرتدى زيا أبيضا ويوضع فوق الجمل الذى يركبه بطانية جديدة • ويطلق عليه اسم الخليفة (خليفة رسول الله طبعا) ويركب الاطفال والشباب الحمير والجمال ويتفننون فى تزيينها ويسير هذا الموكب يتقدمه الخليفة وعلى يمينه ويساره البيارق وأمامه الطبل وخلفه الاطفال والشباب يركبون الحمير والجمال المزينة ويلفون القرية كلها • وفى النهاية تنصب حلقات (تدوير البيرق) وتستمر الى المساء • وبعد المساء ينصب الذكر وغالبا ما يحضر ميكروفون لاحياء الليلة • وفى نهاية الذكر يقوم أحد المشايخ بتلاوة الابتهالات الدينية وفى نهايتها يأخذ نقودا من الناس « ليحفظهم » قائلا : فلان الفلانى وترد عليه بطانته : يا ربنا فاحفظه أو يا ربنا فارحمه حسب الحالة ويستمر حتى الفجر • ويحرص كل شخص وكل بيت أن يحفظ نفسه عند هذه البطانة أو يرحم موتاه • وتجلس النساء خلف الذكر وتتلقى الهدايا من الفول السودانى والحلاوة التى يأتى لهم بها الرجال الذين ينتشرون هنا وهناك • وتعم حالة رواج عند البائعين حيث يحرص كل فرد على شراء فول وحلاوة لمنزله فى هذه الليلة التى تستمر حتى الصباح الذى يكون فيه كل شىء قد انتهى وتعود الايام الى سيرتها الاولى •

ولاشك أن هذا وصفا مثاليا للمولد • فقد يحدث أن تكون القرية حزينة لموت أحد وجهائها أو شبابها أو موت عدد كبير من الرجال بها فى هذا العام مثلا ، فلا يقام المولد اطلاقا ، أو يقام ولكن على مستوى أضيق من الوصف السابق • المهم أن المولد يتأثر بالحالة العامة للقرية الاقتصادية والاجتماعية •

الشيخ محمد الســاعى :

يقع قبره على شاطىء البحر اليوسفى فى منتصف المسافة من بداية القرية حتى نهايتها تقريبا • وهو قبر من الطوب اللبن يبلغ ارتفاعه حوالى ثلاثة أرباع متر وطوله حوالى متر وعرضه حوالى ثلاثة أرباع متر أيضا • وقد بناه أحد أبناء القرية من الجيل السابق حيث أتى له فى المنام وقال له: « أنا سيدك محمد الساعى ابنى له علامة فى هذا المكان » • وقام الرجل فى الصباح ببناء هذا القبر ، ومنذ أن أقيم القبر والحكايات تسرد حوله ويكثر عدد من يرونه فى المنام • ويظن بعض قليل من الناس أنه الذى اخترع الساعات • ويظن الناس أيضا أنه متخصص فى حمل الرسائل • وقد لعب دورا كبيرا فى معتقدات الناس أثناء الحرب حيث تلجأ اليه المرأة وتتضرع اليه أن يحمل لها خطابا من عند ابنها على جبهة القتال •

والنذر الوحيد الذى يقدم له هو اضاءته عددا من الليالى حسب النذر المذكور • ولا يوجد له خادم يخدم ضريحه ولكن يعتنى به كل الناس على أى حال •

الشيخ محمد الاربعين :

بجوار الشيخ الساعى أو بالقرب منه على حافة البحر • وقد أتى الى أحد الأفراد أيضا فى المنام وقال له : لابد أن تبنى فوقى مصلية يصلى فيها الناس • وهو الآن عبارة عن مجموعة من الاحجار مستوية السطح يصلى فوقها الناس ويعرفون أن تحتها شيخا وليا • ولكنهم لا يزورونه ولا يقدمون له النذور المهم أنهم يذكرون أنه يوجد فى هذا المكان ولى ويعتقدون أن هذا الولى والولى السابق يوجدان فى بلاد كثيرة وليس من المهم أن توجد أجسادهم بل أنهم قد مروا بهذا المكان وغيره من الاماكن أو أشيروا فيه على أن يبنى لهم مقبرة •

التقرير الثانى

اسم الولى : الحاجة آمنة أم يوسف الأحمدية •
اسم القرية : ههيا •
اسم المدينة والمحافظة : ههيا — شرقية •
اسم الاخبارى : الشيخ ع • ع • ٦٤ سنة •
تاريخ الزيارة : ٣٠ ديسمبر ١٩٦٤ •
علاقة الاخبارى بالولى : من أقارب السيدة ، وخادم الضريح •

حكاية الولى :

أصل عائلة السيدة من مدينة الطائف بالحجاز(١) ، نزحت الى ههيا مع جد العائلة عرف وخادم خاص بها ، كون هو الآخر أسرة خاصة به مازال أحفادها موجودين فى ههيا حتى الآن • استقرت عائلة السيدة فى مدينة ههيا بعد عودتها من الحجاز وعاشت حياة عادية تماما ، وكانت السيدة تحتل قبل موتها مركزا عاديا بين ذويها ؛ ولم تكن قد ظهرت عليها امارات الولاية بعد(٢) •

وتعودت السيدة أن تذهب كل عام لزيارة مولد السيد البدوى(٣) فى طنطا : فى رفقة مجموعة من أقاربها وبعض أهل المدينة • وفى طريق العودة من رحلة طنطا كان سكان القرى الواقعة على الطريق ينتظرونها

---

(١) تتصف هذه المجموعة من الأولياء التقليديين بأنها تدعى لنفسها دائما انها من اصل حجازى ، تيمنا وبركة وامعانا فى الطهر والولاية ، وربما مقدمة لإدعاء نسب شريف .

(٢) قرر الاخبارى هذا فى بداية الحديث ، برغم انه تكلم عن كرامات لها اثناء حياتها ، وانها كانت ذات مركز مرموق من هذه الناحية ، والرأى عندنا انه اضاف مثل هذا التقرير ليضفى على حديثه بريقا ، ويعطيه شيئا من الاثارة، فهى قد عاشت حياة عادية ، ولكنها اتت بعدد من الكرامات بعد موتها !

(٣) تعتبر زيارة السيد البدوى فى طنطا مماثلة للحج فى فهم معظم فلاحى الوجه البحرى (قارن Kriss; & R. Hartmann فى هذا الموضوع ، انظر قائمة المراجع الافرنجية فى نهاية الكتاب) فاداؤها واجب على الأولياء كل عام، وهذا من ناحية اخرى يوضح أن السيدة عاشت بعد وفاة السيد البدوى .

ويستضيفونها لديهم ، ويكرمونها ومن معها ، ويطلبون منها البركة ، ويستمر هذا التكريم على طول الطريق من طنطا الى ههيا • وهكذا عاشت السيدة حياتها : زهد وتعبد وورع ولم تتزوج على الاطلاق •

وحانت النهاية ، بعد أن انتهت السيدة من قضاء مولد البدوى وغادرت طنطا فى طريقها الى ههيا طلبت من مرافقيها الدخول الى مصلى لم تكن تعودت أن تتوقف فيه فى المرات السابقة(٤) • ويقع هذا المصلى فى قرية « ميت حبيش » وعلى غير عادتها أيضا طلبت أن يتناول الجميع طعام الغذاء فى هذه القرية • وتناول الجميع الطعام ، ثم نصحتهم بالصلاة ، وبعد الصلاة تنبأت بموتها ، وهنا استولى الفزع على أقاربها • وسار ركبها بعد ذلك فى طريقه الى ههيا ، وفى الطريق فارقت الحياة وهى على ظهر حمارها ، وكانت قبل موتها قد أمرتهم ألا يدعوا أحدا من أهل القرى التى سيمرون بها ، والتى تعودت أن تنزل بها ، أن يقترب منها حتى لا يكتشفوا موتها « فيأخذوننى منكم ويدفنونى عندهم » ونفذ أهلها وصيتها ، وتم نقلها ميتة من « ميت حبيش » الى ههيا حيث دفنت فى هذا الضريح القائم • ويعتبر نقلها على هذه الصورة أبرز وأشهر المعجزات التى تنسب لها الآن •

أما الضريح المدفونة فيه الآن ، فقد كانت قد بنت مكانه لنفسها(٥) ضريحا بالطوب النى لتدفن فيه بعد موتها ، ولم يكن الضريح قريبا هكذا من القرية ، وانما كان بعيدا عنها بمسافة تزيد على الكيلو متر ، ولكن

---

(٤) يلاحظ من هذا أنه كان لها أماكن محددة تتوقف بها فى كل مرة ، ربما حيث يوجد لها اتباع او رواد محددون .

(٥) يهتم العاديون من المصريون ، ناهيك عن الأثرياء بتوفير القبر قبل الموت بمدة كافية ، عندما يشعرون بدنو النهاية ، ويتصل بهذا اعداد الكفن ، والوصايا المختلفة . انظر رسالة علياء شكرى ، الثبات والتغير فى عادات الموت من العصر المملوكي حتى العصر الحاضر ، بون ، ١٩٦٨ . اقرأ عرضا وافيا لمحتوياتها عند علياء شكرى ، التراث الشعبى المصرى فى المكتبة الاوربية، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

المدينة توسعت وامتدت حتى جاورت حدودها الضريح تماما • والضريح مبنى فى أرض حكومية ، وليست أرضه ملكا للسيدة ، ولم تكن تمتلك الا عشرة أفدنة ، وهبتها لأحد الناس — على حد تعبير الاخبارى •

أسطورة الوفاة :

كما أشرت من قبل يعتبر حضور السيدة الى ههيا ميتة على حمارها أشهر المعجزات التى تنسب لها وأبرزها ، وبداية الاسطورة الوفاة التى تلعب دورا كبيرا فى أسطورة كل ولى تقريبا • كانت السيدة قبل موتها قد تنبأت بظروف موتها(٦) ، فقالت بأن الدنيا ستمطر(٧) فى اليوم التالى لوفاتها ، فأوصتهم بوضعها فى الكفن الذى سبق أن أعدته ، ولف الكفن فى حصير من فرش جامع القرية الكبير « الجامع الكبير »(٨) • وبله بماء المطر ووضعه عليها مبللاً • ونفذت وصية السيدة ، وصلى عليها فى الجامع الكبير ونقلت فى نفس اليوم الى الضريح الذى سبقت الاشارة اليه • وفى طريق عودتهم ، حاول ابن أخيها — جد الاخبارى — أن يعبر قنطرة على مجرى مائى — يفصل بين مكان الضريح والجزء الآخر من القرية — مع بقية المشيعين عائدا الى منزله ، فتعذر عليه ذلك ، اذ أحس بشىء قوى يجذبه من الخلف ، ويمنعه من الحركة ، واستخدم كافة الوسائل(٩) ليتخلص من هذا الموقف ويستطيع الحركة ولكنه فشل •• وأقنعه الناس أنه يجب أن يبقى هنا لان السدة أرادت أن يبقى بجوارها ليرعى الضريح

---

(٦) التنبؤ بالمستقبل من أهم الكرامات التى تنسب للأولياء .

(٧) للمطر يوم الوفاة ، أو أثناء الجنازة ، دلالة عقائدية خاصة ، انظر : علياء شكرى ، الثبات والتغير فى عادات الموت ... ، مرجع سابق .

(٨) فى كل قرية من قرى مصر تقريبا جامع رئيسى ، يسمى « الجامع الكبير » يكون عادة أكبرها حجما ، وكان هو المسجد الذى تؤدى فيه صلاة الجمعة .

(٩) من هذه الوسائل الاستغاثة بالولى الاقرب أو الاكبر ، ثم بكبار الاولياء الآخرين ، ثم الدعاء بكل صوره ، وقد يصل الى عمل حلقة ذكر حوله ..

ويحرسها ، وهكذا أقام هذا الشخص وبنى له مسكنا بجــوار الضريح ، وبقيت سلالته ــ التى ينتمى اليها الاخبارى ــ تعمل على رعاية المقام •

هذا وكانت السيدة قد وعدت خادمها قبل موتها بأنه سـينال ثلاثة قروش(١٠) من مولدها الذى سيقام لها كل عام ، وهكذا تنبأت بقدسيتها وذيوع صيتها ، وبمولدها الكبير •

كرامات السيدة :

١ ــ أشهر هذه الكرامات حضــورها على حمارها وهى ميتــة من « ميت حبيش » الى ههيا •

٢ ــ التنبؤ بقدسيتها ، ووجود دخل من مولدها •

٣ ــ حمل ابن أخيها على البقــاء بجوارها وربطــه عند عبــور القنطرة •

٤ ــ كان من عشاق (!) « مريدى » السيدة أحد الأشخاص الذى كان يعمل صرافا بالقرية ، وبسبب حبه لها أهمل فى عمله ، فعاقبه سيده المفتش التركى بأن ربط فى عنقه حجرا كبيرا وقذف به فى البحر « نهــر النيل » ، واستغاث الصراف بالسيدة ، فأخرجته سـليما من المــاء ••• وجاء التركى يحاول جمع المال فلم يفلح(١١) ، وندم التركى على فعلته ، وعلم عندئذ بنجاة الصراف « خليل أفندى » ، فأعاده الى عمــله ، وزار السيدة وشكرها ، وتاب على يديها ، وطلب منها أن تطلب منه أى شىء يوقفه عليها •

---

(١٠) الرقم رمزى فقط ، ويشير الى وجود دخل من هذا الطريق •

(١١) كان الســادة الاتراك العثمانيون يستخدمون عمالا مصريين ، لانهم اكثر قدرة على التعامل مع الفلاحين •

ملاحظات عن الاخبارى :

الاخبارى لم ير السيدة فى منامه على الاطلاق ، وليس فى ذهنه صورة معينة عن مظهرها أو شكلها • يبدو من سياق الحديث الطويل الذى أجريناه معه أنه قليل الاعتقاد فى قدسيتها وولايتها ، فهو « لم ير منها شيئا » أى لم يشاهد أو يحيا معجزة من معجزاتها ، وانما « نحن نسمع » فقط • وبرغم ذلك فانه يحرص على ألا يقول فيها الا خيرا لانه هو القائم على استغلال الضريح من الناحية المالية •

الاخبارى توفى فى خلال شهر يناير ١٩٦٥ ، بعد مرور أقل من شهر على الزيارة ، وكان يبدو شديد الضعف شاحب اللون •

مولد الحاجة آمنة أم يوسف الأحمدية (*)

الاخبارى :

الاخبارى من أعيان مدينة ههيا وضواحيها ، عاش حياة خصبة عريضة ، اشتغل بالتجارة وأعمال السمسرة ، وقام بجولات واسعة فى شتى نواحى مصر متصلة بعمله التجارى وبنشاطه الترويحى الذى اتخذ صورا ماجنة فى فترات الشباب والكهوله •• له علاقات شخصية واسعة بسبب ظروف عمله وانتقالاته • وقد اكتسب الاخبارى ثروة عريضة من تجارة القطن والمزارعة ، فكان يعد من وجهاء المنطقة • وقد مكنت له هذه الامكانيات المالية الاضطلاع بعبء تنظيم مولد السيدة • ومما يذكر أن الاخبارى كان فى تلك الفترة وقبلها وبعدها — لمدة ٤٠ عاما تقريبا — يعمل على تنظيم السوق الاسبوعى العام للبلدة ، وهو باختصار يسمى نفسه صاحب المولد •

(*) الاخبارى الشيخ ح • ع • ٩٤ سنة — الخليفة •

المولد :

قبل أن يأخذ الاخبارى الشيخ / ح • ع • على عاتقه — منذ نحو خمسين عاما — عبء اقامة المولد والترويج له وتنظيمه ، كان المولد عبارة عن سوق صغير « سويقة » ليست لها أهمية كبيرة •• وكانت هذه « السويقة » تقام من قبل فى شهر مايو . حيث تكون فترة رواج اقتصادى ، ويكون لدى أهل القرية من الامكانيات المالية ما يمكنهم من الانفاق فى المولد والاستمتاع بما يقدمه من وسائل لهو وترفيه ، وحيث يتيسر كذلك للقائمين على تنظيم المولد من الامكانيات ما يمكنهم من الوفاء بالالتزامات التى يستوجبها تنظيم المولد •

ومنذ نحو خمسين عاما ، بدأ الشيخ / ح • ع • فى تنظيم المولد بامكانياته الخاصة ، والتزم بنفس الموعد الذى تقام فيه « السويقة » فى الماضى ، فتلك الفترة ، وهى فترة الحصاد ، هى فترة الرواج عند الفلاحين ، وهى التى يقام فيها — لهذا — غالبية الموالد فى مصر • ومن الجدير بالذكر أن الاخبارى يتخذ من عملية تنظيم المولد سنويا سندا لوجاهته فى المدينة وبين أعيانها •• وفى غضون الفترة التى كنا نزور فيها المدينة كان الاخبارى قد أعد مذكرة للجهات المسئولة (مشيخة الطرق الصوفية بالقاهرة) يدعى فيها أن السيدة آمنة الأحمدية خالته ، وأنه يرعى مولدها منذ خمسين عاما ويرجو اقراره خليفة لها ، ووقع على هذا الطلب مقرين بما فيه عدد كبير جدا من أعيان المدينة •

ويبدأ الاعداد للمولد بطلب تصريح من الادارة المختصة بوزارة الداخلية باقامة المولد ، ثم يعلن عن ذلك رسميا فى الصحف اليومية وبوسائل الدعاية المختلفة فى المنطقة : فى المساجد والاسواق والمقاهى •• الخ • ويتحتم عليه فى هذه الأثناء أن يحصل على تصريح من وزارة الصحة — خوفا من وجود وباء فى المنطقة فيكون المولد عاملا من عوامل انتشاره — ثم وزارة الزراعة ، لكى لا يتعارض موعد اقامة المولد مع احتياجات الزراعة الأساسية ، كوجود مياه أو آفة معينة فى الارض

تحتاج الى الأيدى العاملة لمقاومتها ... الخ . بعد ذلك تبدأ الفرق الفنية المختلفة فى الحضور الى المدينة ، ويحدد الشيخ الاخبارى لكل فرقة أو فنان قطعة من الارض فى المساحة التى تحدد اقامة المولد عليها . ولا يقام المولد عادة على قطعة أرض محددة ، ولكنها تختلف من عام لآخر تبعـا لظروف البناء ، وحجم الفرق المشتركة ، والاقبال .. ومختلف الظروف بحيث تختار مساحة واسعة من الارض المتاحة مجاورة ما أمكن لمقـام السيدة . ومفروض أن الاخبارى يحصل من هـذه الفرق على مقـابل (حق امتياز) منحها حق العمل ، ويكون هـذا الدخل الجزء الأكبر من مصروفاته على المولد ، وهو يدعى أن مصروفات المولد أكثر من وارداته .

أما المصدر الهام الأساسى للواردات فهو صندوق النذور الموجود داخل ضريح السيدة ، وهو يصل ــ طبقا لبيانات الدليل ــ نحو ١٥٠ مائة وخمسين جنيها كل عام ، يستولى عليها الشيخ / ع . ع . خادم الضريح وأخوته ، وقد سبق أن أشرنا الى أنهم يدعون قرابة للسيدة الولية .

ومما تجدر الاشارة اليه أن الاخبارى الشيخ / ج . ع . سـوف يستولى بعد تعيينه خليفة ــ وخاصة بعد وفاة الشيخ / ع . ع . على صندوق النذور الخاص بالسيدة .

التقرير الثالث

اسم الولى : الشيخ / يوسف بن عنان « العنانى » .

اسم القرية : ههيــا .

اسم المدينة والمحافظة : ههيا ــ شرقية .

اسم الاخبارى (١) : الشيخ / ع . ا / ٨٥ سنة . مزارع سابقا .

اسم الاخبارى (٢) : الســيد / ك . ع . ا / ٥٥ ســنة . ناظر مدرسة ابتدائية .

تاريخ الزيارة : ٣١ ديسمبر ١٩٦٤ .

علاقة الاخبارى (١) بالولى : يقوم على رعاية المقام ماديا وروحيا

علاقة الاخبارى (٢) بالولى : نجل الاخبارى (١) .

هذا الولى نموذج على جانب كبير من الأهمية ، تلتقى حوله مجموعة كبيرة من الأساطير والمعتقــدات والممارســات ذات الدلالة الفولكلورية الهامة ، والتى يحتاج تفسير كل عنصر منها على حدة الى دراسة مستقلة.

حكاية الشيخ :

الشيخ يوسف بن عنان هو اسم الشهرة لهذا الشيخ ، فقد اتضح من قراءة وثيقة الاخبارى رقم (١) ان أسمه : يوســف الرشــيدى ، وليس بن عنان .

ورد الشيخ يوسف الى مصر مع الفتح الاســلامى(١) ، كان قائدا لأحد جيــوش الفتح ، ويقول عنه الاخبــارى رقم (١) انه من تابعى

(١) هذه الفئة من الأولياء معروفة فى الغالبية العظمى من قرى مصر ، ونسبة الولى الى جيوش الفتح الاسلامى تقارب ــ فى هدفها ــ نسبة اسرة الولى الى بلاد الحجاز ، انظر قصة الحاجة آمنة ام يوسف الاحمدية ص ١٣٢ .

للتابعين ، أى من الجيل التالى على الصحابة • ومما هو معروف أن الجيوش التى حضرت لغزو مصر من قبل عمر بن الخطاب كانت من فئة الصحابة وليست من تابعى التابعين • ومن اللافت للنظر أن أسرة الشيخ كلها تشتهر بالولاية والبركة : فوالد الشيخ يوسف هذا ولى له مقام فى قرية مجاورة هى « ميت أبو خالد » من أعمال محافظة الشرقية •• والشيخ يوسف نفسه — على حد معلومات الاخبارى رقم (١) — هو الجد السابع للعنانية « أولاد عنان » فى مصر(٢) ، والأمر الذى يجب ملاحظته أن كل أضرحة هذه العائلة من الأولياء تقوم بجوار نهر النيل سواء فى ههيا ، أو « ميت أبو خالد » أو فى القاهرة •

أما عن أصل الشيخ ونسبه فيقول الاخبارى رقم (١) أنه يمتلك وثيقة بتسلسل نسب الشيخ يوسف حتى عمر بن الخطاب ، وأن هذه الوثيقة هى حجة الخلافة على المقام ، وكانت من قبل فى حوزة والد الاخبارى رقم (١) الذى كان بدوره خليفة للمقام ثم انتقلت الى حوزة الاخبارى رقم (١) • وقد تسلمت الأسرة هذه الوثيقة من « شيخ السجادة » أو « شيخ مشايخ الطرق الصوفية » بالقاهرة ، ولازالت فى حوزة الأسرة حتى الآن • وقد اطلعت عليها ، ومنها علمت الاسم الحقيقى للشيخ •

وفى مقابل هذه المعلومات التى أدلى بها الاخبارى رقم (١)(٣) عن تاريخ الشيخ ، علمت من الاخبارى رقم (٢)(٤) فى مقابلة سابقة معه أن الشيخ غير معروف الموطن ، ولا يعرف تاريخ مولده ، ولا تاريخ وصوله

---

(٢) يقع ضريحهم بميدان رمسيس بالقاهرة ، ولهم اضرحة فى قرى مصرية متعددة .

(٣) الاخبارى رقم (١) شيخ عجوز فى الخامسة والثمانين كان يعمل مزارعا ، ولازال للان يعتبر نفسه خليفة الشيخ يوسف .

(٤) الاخبارى رقم (٢) أصغر سنا ، يعمل ناظرا لمدرسة ابتدائية بالقرية ، يرتدى البدلة الافرنجية ، على صلة معقولة بالمدنية الحديثة، وعلاوة على هذا فقد أدلى بهذه البيانات فى غياب والده .

الى هيبا • (يراعى القارىء بدقة تراجع الاعتقاد فى ولاية الولى من جيل الى جيل • وهى ظاهرة عامة لاحظناها لدى دراسة كثير من الاولياء) •

الضريح وبناؤه :

بناء الضريح متواضع من النوع البسيط المتوسط الحجم والمساحة • يقول الاخبارى رقم (١) ان الضريح كان فى بداية عهده مبنيا على حافة النيل مباشرة ، ثم شق طريق رئيسى بجوار النيل ، فشمل الطريق المصلى التى كانت تفصل الضريح عن النيل وأصبح الضريح على حافة هذا الطريق العام • وعند الشيخ يوسف — كما عند كل الأولياء المقامة أضرحتهم بجوار النيل فى مصر — يرتبط شق ترعة أو طريق رئيسى بجوار الضريح بمعجزات يبديها الولى دائما(٥) • فقد حاول مهندس الرى — وهو ضحية هذه المعجزات فى جميع الاحوال — لاعتبارات علمية أن يغير مجرى النهر — الترعة — وكان يقتضى هذا التغيير باغراق الضريح ••• وشرع فعلا فى تنفيذ الخطة ، ولكن الفؤوس لم تعمل فى الارض ، وفشلت الخطة فشلا ذريعا فتقرر الغاء هذا المشروع . والابقاء على قبر الشيخ كما هو •

يرجع أقدم بناء للضريح رآه الاخبارى رقم (١) فى حياته الى ١٢٠ عاما تقريبا ، وفى أوائل هذا القرن ظهر الشيخ يوسف لوالد الاخبارى رقم (١) فى المنام(٦) وأوصاه بتجديد قبره المرة الاولى سنة ١٩١٩ فوجد

---

(٥) هذا العنصر Motif فى معجزات الأولياء واسع الانتشار جدا ، وقد قابلناه فى دراستنا هذه عند الشيخ داود الغرب ، قرية نزالى جنوب مدينة التوصية محافظة اسيوط ، انظر التقرير الخاص رقم (٥) فى هذا الفصل . على ان تصوير المعجزة فى هذه الحالة — اعنى معجزة الشيخ داود الغرب — كان اكثر خيالا واثرى تفاصيلا .

علاوة على هذا فانه يمكننا من الكتابات المختلفة عن الاولياء فى مصر ان نجمع عددا لا حصر له من الشواهد ، ابرزها محاولة بناء ضريح جديد للشيخ « ابو الحجاج » فى الأقصر ، تارن كريس وغيره .

(٦) الظهور فى المنام هو الوسيلة الاساسية التى يستخدمها الاولياء ، ويستخدمها الموتى بصفة عامة ، لاخبار الأحياء برغباتهم . والرغبة فى تجديد القبر من الأمور الشائعة فى المجتمع المصرى • يوصى بها الميت — فى المنام — ابنه أو سيدته .

الرملة المدفون فيها الشيخ يوسف ذات لون أبيض ، ويصل سمكها الى حوالى ستة أمتار ، وعثر على الهيكل العظمى للشيخ[٧] : طول عموده الفقرى أكثر من ثلاثة أمتار[٨] ، كانت جمجمته كبيرة هائلة الحجم • وقد وجد الاخبارى رقم (١) أنه مدفون بهذه المنطقة ـ تحت قبر الشيخ ـ أعداد طائلة من القتلى ، وقد تأيد ذلك الى جانب ما رآه الاخبارى رقم (١) بنفسه عند تجديد مقام الشيخ يوسف[٩] ، ما رآه كل الاهالى فى المنطقة المحيطة عندما يحفرون فى الأرض لوضع أساسات مبانى أو شىء من هذا القبيل[١٠] ، ويفسر الاخبارى رقم (١) وجود هذا العدد الكبير من القتلى بأنه دارت معارك أيام الفتح العربى فوق أرض المنطقة أو قريبا منها ، وأن الجيوش المتحاربة دفنت قتلاها فى هذه المنطقة المحيطة بالمقام •

كرامات الشيخ :

١ ـ من أشهر كرامات الشيخ حيلولته دون ازالة قبره واغراقه فى مياه النيل •

٢ ـ الظروف المدفون فيها ، لون الرمل وسمكه •• الخ •

٣ ـ الحالة التي كانت عليها رفاته •

---

(٧) اشار الاخبارى رقم (٢) الى انه ليس معروفا ما اذا كان الشيخ يوسف مدفونا كله ، أو بعض اعضاء جسمه فقط هى المدفونة فى مقامه .

(٨) سألت الاخبارى رقم (٢) عما اذا كان قد راى هذا الهيكل او سمع عن الواقعة من احد من اقاربه ، فأجاب بالنفى عن الشطر الاول . وبانه لا يذكر شيئا عن الشطر الثانى .

(٩) من العجيب انه لم يداخل الاخبارى رقم (١) وهو بصدد تجديد الضريح اى شك فى التعرف على جثة الولى من بين رفات الجثث المنتشرة فى المنطقة على حد معلوماته . ويبدو ان المقاييس التى اعطاها لهيكل الشيخ اما لاقناع نفسه ومحدثيه بحقيقة كون هذه الرفات للشيخ ، واما تعظيما للشيخ بصفة عامة : بوصفه كبير الحجم هائل الجثة ، وهو عنصر Motif يرد كثيرا فى الادب الشعبى لوصف البطل .

(١٠) الدليل رقم (٤) امن على كل تفاصيل هذه النقطة .

٤ — كان الشيخ يظهر لوالد الاخبارى رقم (١) فى المنام كثيرا جدا ، وكذلك الحال مع الاخبارى رقم (٢) نفسه ، وهو كما شاهدنا يعبر فى هذه المرات عن رغباته ، أو ينبئهم بوقائع ستحدث لهم فى المستقبل وقد صدقت جميعها ، أو يفسر لهم وقائع حدثت فى الماضى أو الحاضر •

٥ — أبرز وأشهر كرامات الشيخ انقاذ المدينة من الفيضان ، فقد حدث ذات مرة أن طغى النهر على مدينة ههيا ، واستغاث الاهالى بابن عنان لينقذهم ، فهبط النهر فى ههيا ، وعند ضريح أبيه فى « ميت أبو خالد » • وقد أشار الاخبارى رقم (١) الى « سر » أسرة أبو عنان فى حماية البلاد من الفيضان •

٦ — هناك عدد كبير من أهالى المنطقة رآه فى المنام فى ملابس حربية يحرس « الناحية »[11] •

٧ — رآه بعض الناس فى المنام يؤم أولياء المنطقة الذين كانوا مجتمعين عنده[12] •

مولد الشيخ :

المعلومات التى حصلت عليها عن مولد الشيخ ناقصة ، فوق أنها مضللة • مصدر المعلومات الاخبارى رقم (٢) • حسب معلوماته لم يكن يقام للشيخ احتفال بالمولد فى الماضى الذى يعيه هو • وقد بدىء الاحتفال بذلك منذ نحو عشر سنوات ، وهو يقام فى ليلة شم النسيم • ويقول الاخبارى رقم (٢) عن تفسير ذلك ، ان الميعاد قد حدد على هذا النحو لصرف نظر أهالى البلدة عن الاهتمام بشم النسيم كعيد قبطى • ويتخذ الاحتفال بمولد الشيخ المظاهر الاخرى التى نجدها عند أولياء البلدة ولكن ربما بصورة مخففة •

---

(١١) لاحظ التأكيد بصور مختلفة على وظيفة الشيخ كرئيس للمنطقة .
(١٢) هذه الأفكار تعبر عن رأى أهل المنطقة فى الشيخ كرئيس لأوليائها، فهو الحامى الاول ، ومصدر البركة الاساسى .

تاريخ الاحتفال بالشيخ :

لم يكن يحتفل بالشيخ فى الماضى فى يوم محدد ، وانما كان الاحتفال (الذى يسميه الناس ويمكن أن نسميه تجاوزا مولدا) يقام فى فترة توفر اللبن (تقريبا ديسمبر — يناير من كل عام) • ويتضح من هذا أن اليوم لم يكن محددا وثابتا ولكنه يتفاوت تبعا للظروف • أما عن سبب ارتباط العيد بتوفر اللبن ، فذلك راجع الى طبيعة الاحتفال نفســـه • ذلك أن أهالى الحى كانوا يتعاونون — ربما تبعا لمركزهم الاجتماعى — فى تقديم الطعام لزوار المولد وكانت وجبة الصباح عبارة عن لبن ومنتجـــاته فقط (لبن — أرز باللبن — جبن — قشدة ••• الخ) وكانت تسمى « صبيحة المولد » •

أما عن مظاهر الاحتفال فى هذه الصورة القديمة للمولد فلم نحصل على معلومات حولها • وانما المؤكد أن احتفال اللبن هذا — « صـــبيحة المولد » — قد اختفى الآن كمظهر هام من مظاهر الاحتفال بمولد الشيخ (راجع تقرير الأولياء فى قرية بنى واللمس) •

مظاهر الاحتفال الأخرى :

١ — حسب معلومات الاخبارى رقم (١) كان من عادة كثير من الناس أن يتناولوا طعامهم مع أصدقائهم وأقاربهم — من الذكور — عند الضريح كل يوم •• وقد اختفت هذه الممارسة تماما الآن •

٢ — يضاء الضريح كل ليلة جمعة ويؤدى الناس فيه صلاة الجماعة دون الارتباط بطقوس معينة كاقامة ذكر أو غير ذلك •

ملاحظات :

١ — لاحظ التأثير الواضح الذى مارسه الاخبارى رقم (٢) على عادة الشيخ فى الوقت الحاضر [illegible] دون وعى [illegible] على تخليص المولد وسائر صور الاحتفال بالشيخ من الممارسات التقليدية

والعادات القديمة . ولعله يحسن بنا أن نقارنه هنا — مع التحفظ الشديد — بالسيد ب . ع . الذى كان له أكبر الأثر فى اضمحلال عبادة جده المدفون بالمنزل ، بحيث اختفت هذه العبادة تماما الآن ، وأصبح الشيخ لا يزار الا من أفراد الأسرة فقط .

٢ — يقوم على رعاية ضريح الشيخ يوسف بن عنان من الناحية المادية السيد ك (الاخبارى رقم ٢) وأهل الحى ، ويقوم على خدمة الضريح احدى السيدات — ذات المستوى الاجتماعى المتواضع — وهى التى تقوم بتحصيل النذور القليلة والمتواضعة التى تقدم للشيخ لصلحتها . وهى التى تحمل مفتاح الضريح ، وتقوم بتنظيفه ... الخ .

٣ — الشيخ عبده قطورة وكيل شيخ السجادة فى ههيا ، يقيم فى الابراهيمية — مركز ههيا ويشرف على كل الأضرحة فى المركز .

٤ — المنطقة الواقعة عليها كل الأولياء فى ههيا تسمى الجزيرة البيضاء قارن التقرير الخاص بخادم الولى مصطفى أبو النحاس .

التقرير الرابع

اسم الولى : الشيخ / مصطفى أبو النحاس •
اسم القرية :ههيــا •
اسم المدينة والمحافظة : ههيا ــ شرقية •
اسم الاخبارى (١) : ع • ا • ٦٠ سنة تقريبا •
اسم الاخبارى (٢) : ب • ا •
تاريخ الزيارة : ٣٠ ديسمبر ١٩٦٤ •
علاقة الاخبارى (١) بالولى : خادم الضريح •
علاقة الاخبارى (٢) بالولى : القائم على رعاية الضريح ماديا •

حكاية الشيخ :

يقسم الخادم أولياء المنطقة بصفة عامة الى أولياء صحابة ، وأولياء مستجدين • النوع الاول أرسخ فى الولاية وأوضــح ، أما الثانى فــلا يعترف بولايته بشكل كامل •

وطالما أن الخادم يفكر على هذا النحو ، فانه يجيب على أسئلتنا عن أصل الشيخ وقصته بأن يضعه فى النمط المعروف : من صحابة رسول الله، حضر الى ههيا من الجزيرة العربية مع الفتح الاسلامى لمصر •

وفى هذا السياق يورد الاخبارى (١) تفسيرا لاسم البلدة ، فقــد سأل الصحابة وهم قادمين من الجزيرة العربيــة فى جيش الفتح : أين الجزيرة البيضاء ــ يقصدون المنطقة الواقعة عليها ــ ههيا ــ قيل لهم ها هى ، ها هى ، ومن هنا ظهر الاسم ههيا[1] •

---

(١) يجب الاشارة فى هذا الصدد الى ان كثيرا من الاولياء المعروفين فى مصر والذين حضروا اليها من بلاد عربية او اسلامية اخرى ، كان اجدادهم او آباؤهم او هم انفسهم ــ قد علموا بوسيلة ما ــ حلم او هاتف • • الخ • انهم يجب ان يرحلوا الى مدينة او قرية كذا ، لان الولاية قد كتبت لهم فيها •

الضريح :

لم نحصل على معلومات عن تاريخ بناء الضريح الحالى • الضريح عبارة عن مبنى كبير الحجم نوعا — حوالى ١٠ × ٥ متر — له مدخل واحد، ويؤدى المدخل الى حجرة كبرى — ردهة الضريح ، وفيها يجتمع الناس للذكر والصلاة ، وحجرة أخرى أقل حجما هى المدفون فيها الشيخ •

أوضح ما فى الضريح وأجدره بالذكر أنه ليس له شاهد شأنه شأن كل مدافن وأضرحة الموتى والأولياء فى مصر •

وقال الخادم وكذلك الاخبارى (٢) انهم بصدد اقامة شاهد للضريح تفاديا لسير الناس بالأقدام على القبر ، هذا ويحتم الاخبارى (١) على كل من يدخل الحجرة المدفون بها الشيخ أن يخلع حذاءه ، رغم أنها ليست مفروشة بحصر أو سجاجيد للصلاة تحتم مثل هذا الاجراء •

ويلاحظ الاخبارى (٢) أن الأمر ليس مؤكدا فيما يختص بما اذا كان جسد الشيخ كله أو جزء منه هو المدفون فى الضريح ، فيقول البعض ان قدمه هو المدفون ، ويدعى البعض أن يده فقط هى المدفونة ، والأمر ليس مؤكدا • على أن الاخبارى (١) لاحظ على الفور أن جسد الشيخ كله هو المدفون • يقوم على تمويل الضريح الاخبارى (٢) وأسرته ، وعلى خدمته والعناية به الاخبارى (١) • ولما كان القائمون بالاشراف على الضريح لا يقبلون النذور لانهم فى ميسرة ، فهو مغلق بصفة دائمة ولا يفتح الا فى الظروف المشار اليها فيما بعد •

الكرامات :

أدلى الاخبارى (١) فى هذا الشأن بأن الشيخ يستغاث به فى كل شئون الحياة التى تحتاج الى معاونة : للمرض ، للنجاح فى امتحان أو عمل •• الخ • على أن جميع الجالسين (من بينهم المرشد فى الرحلة

وشبان من أهل البلدة من المتعلمين) قرروا أن الشيخ يستغاث به — بصفة أساسية — لعلاج الاناث من البهائم اللائى لا يلدن ، وكذلك البهائم المريضة (كأن يفسد لبنها ، أو يختلف طعمه عن المألوف .. الخ) . وقد أكد هذه البيانات الاخبارى (٢) ، ولكن الخادم عارض مثل هذا الزعم بشدة على اعتبار أن ذلك محطة واهانة فى حق الشيخ أن ترتبط كراماته بالبهائم .

المولد والصور الاحتفالية الأخرى :

١ — يقيم خادم الضريح (الاخبارى ١) مساء الاثنين من كل أسبوع حضرة « ذكر » لقراءة ربع دلائل الخيرات . ويشترك فى الحضرة — مع الخادم — حوالى عشرة من المتدينين .

٢ — أما عن المولد السنوى ، فلم نحصل على معلومات عن تاريخه . وكل ما علمناه فى هذا الصدد أنه كان يشترك فى احيائه بعض فرق الطرق الصوفية ، كالعزمية وغيرها ، بنشاطاتهم المعروفة .

الآن يقام المولد السنوى فى فصل الصيف ، ويتراوح تحديد اليوم فى الفترة ما بين أواخر ابريل وأوائل مايو . يلاحظ فى هذا الصدد أن عائلة الاخبارى (٢) هى التى تقوم بالاشراف على المولد من الناحية المادية وتمويله اذا احتاج الى تمويل .

التقرير الخامس

تقرير عن زيارة الشيخ داود الغرب

اسم الشيخ : الشيخ داود الغرب •
اسم القرية : نزالى جنوب •
اسم المدينة : القوصية — المحافظة : أسيوط •
تاريخ الزيارة : ١٩٦٥/١/٢٢ •

اسم الاخبارى : ف • س • (أم عبد الحميد) •

حكاية الشيخ :

الشيخ داود الغرب من صحابة رسول الله الذين قدموا الى مصر مع الفتح العربى « الحرب الزمانية » • واستشهد خلال المعارك التى دارت بمناسبة الفتح الاسلامى المصرى • ولا توجد معلومات تاريخية عن حياته •

الضريح :

غير معروف تاريخ نشأته • ويقال انه كان فى حالة أفخم وأحسن مما هو عليه الآن • ولكنه ساء فى التاريخ الحديث وتهدم وأعيد بناؤه بشكل متواضع منذ نحو أربع سنوات وتكلف البناء ٤٢ جنيها • الاسطورة تقول أن البناء كان موجودا قبل شق ترعة الابراهيمية ، وعند شقها قرر المهندس هدم الضريح الذى كان موجودا مكان الضريح الحالى ليستقيم سير الترعة • وعند الشروع فى الهدم أخذت تخرج من القبر أبراص تضرب العمال فقرروا التخلى عن العمل وزمجر المهندس وأمر بمواصلة العمل • وكان واقفا الى جانب النخلة المجاورة للضريح فأحس بنار تشتعل فى جوفه وأمسك فى النخلة وبعد ذلك نقل المهندس الى القاهرة حيث مات •

الضريح الحالى يقع الى جانب البحر مباشرة (ترعة الابراهيمية) لايفصله عنها جسر ، ويقع فى الوقت نفسه على الطريق المؤدى الى قرية نزالى جنوب • خارج المسجد توجد مصلى مساحتها ٣ × ٥ متر تقريبا ، مفروش فيها حصيرة كان ينام فيها وقت الزيارة أحد الفلاحين ، أما مبنى الضريح فمساحته ٥ر٢ × ٣ متر مع قبة متواضعة وللضريح باب خشبى يقفل بكالون • الضريح مفروش بالحصير والمنامة (القبر) حجمها ٥ر١ × ٥ر × ١ مترا ، مكسوة بالخشب والحرير الأصفر الذى أهداه للضريح ابن النجيبة (النقيبة) (عبد الحميد) الذى يعمل مساعد كمسارى فى الأقصر بمناسبة تعيينه فى وظيفته • وعلى شاهد المنامة توجد عمامة فى حالة جيدة متجهة الى البحر • وبعرض الضريح معلق حبل عليه بعض النذور : مناديل يد حريمى ، لمبات كهربائية تالفة • وبالمبنى بعض الفتحات للاضاءة وبعضها مسدود بحيث تحول الى طاقة وأصبح مخصصا لوضع الشموع كما يستخدم فى أغراض مختلفة •

مولد الشيخ :

ليس للشيخ مولد يقام بصفة دورية ولم يكن له مولد طوال حياة الاخبارى الذى قابلناه فى الضريح •

الزيارة الأسبوعية :

هى المظهر الرئيسى فى الوقت الحاضر للاحتفال بالشيخ وتكريمه لاستنزال بركته ويتم ذلك فى يوم الجمعة حيث تفتح « النجيبة » الضريح قبل الظهر • الضريح يزار أساسا من جانب نساء القرية لأغراض شتى على رأسها علاج العقم وأداء النذور • وتلاحظ «النجيبة» أن عدد الرجال الزائرين قليل جدا بالنظر الى عدد النساء • وللاخبارى ملاحظة عامة أخرى وهى أن عدد الزيارات آخذ فى التناقص كذلك كمية ومستوى النذور • كانت تقام بالضريح صلاة الجمعة حتى عهد قريب حينما أنشىء مسجد قريب من الضريح فانصرف الناس اليه وأصبحت لا تقام صلاة

الجمعة بالضريح الآن • تبدأ الزيارة عادة باللف حول المنامة عدداً وتراً « بالفرد » وبعد ذلك اما أن تجلس السيدة بجوار المنامة (القبر) تتسلى بالحديث مع باقى النسوة ، وهى الحالة التى وجدنا عليها النساء الجالسات بالضريح وقت الزيارة • ولاحظنا أن احدى السيدات استأذنت الشيخ قبل مغادرة الضريح •

الزيارات غير الدورية :

لا يمكن أن تتم زيارة غير دورية بمعنى الزيارة الذى سبقت الاشارة اليه لأن « النجيبة » تحتفظ معها بمفتاح الضريح بصفة مستمرة • وهى تفتح الضريح كلما وجدت لديها بعض الوقت خلال أيام الاسبوع •

مظاهر التكريم الأخرى :

الى جانب مساهمة أبناء القرية فى بناء الضريح والزيارات الاسبوعية المنتظمة وغير المنتظمة تقدم للشيخ بعض النذور خاصة من قبل النساء تستفيد « النجيبة » وأسرتها منها بما يمكنها الاستفادة منه كالنقود والمأكولات والملبوسات الناقصة ، وتعلق بالضريح مالا يمكنها الاستفادة منه أو ما لا تحتاج اليه كالمناديل التى وجدناها معلقة بالضريح أو اللمبات الكهربائية التالفة •

الكرامات :

١ — الحادثة الخاصة بمحاولة ازالة الضريح لشق ترعة الابراهيمية والتى استحال بسببها تنفيذ الهدم • وأدت الى انحناء مسار ترعة الابراهيمية بحيث تترك الضريح مكانه •

حاول أحد الناس سرقة ثمار النخلة العالية المجاورة للمقام وقد عاقب الشيخ السارق بأن ربطه بأعلى النخلة حتى الصباح حيث شاهده جميع سكان القرية • لم يذكر الاخبارى ما اذا كانت قد حدثت طقوس معينة لتخليص السارق من الربط أم لا •

ملاحظات :

تقـوم على خـدمة الضريح « النجيبـة » السـيدة (أم عبـد الحميد) وهى التى ساهمت فى الاشراف على عملية اعادة بنـاء الضريح وتجديده وهى التى قابلناها عند زيارتنا للضريح يوم الجمعة المشار اليه الساعة الحادية عشر والنصف صباحا •

وقد دخلت الى الضريح لقراءة الفاتحة فأوصتنى « النجيبة » بالله بادئا من اليمين • لفت نظرى كسوة المقامة بالحرير الأصـــفر على غـير المألوف من استخدام اللون الأخضر فى المناسبات المتشابهة •

الفصل الرابع

دليل مختصر للدراسة الميدانية لموضوع الأولياء

مقـدمة :

استخدمت فى جميع الأسـئلة ــ قدر الامكان ــ كلمـة « ولى » للدلالة على تلك الفئة من الشخصيات الدينية التى تحظى بتكريم خاص من جانب الناس (مسلمين ومسيحيين) ولكنها لا تنتمى ــ مع ذلك ــ الى فئة الأنبياء أو غيرها من الشخصيات الدينية المقدسة • وبذلك استعضنا بكلمة « أولياء » عن كافة الألقاب والاسـماء الاخرى « كالمشـايخ » و « أهل الله » ••• الخ •

ومن الأمور كبيرة الأهمية أن يتنبه الباحث الى مراعاة العلاقة بين الانبياء وبعض الأولياء • فهناك بعض الانبيـاء الذين يتخـذ تكريمهم الشكل المتبع بالنسبة للأولياء ــ كمقام ابراهيم الخليل فى فلسطين ، ومقام داود فى فلسطين أيضا ــ كما أن هناك بعض شـخصيات الأولياء الذين يستمدون مكانتهم من علاقتهم المخصوصة مع بعض الانبيـاء ــ كبعض المولودين من نسلهم وبعض صحابتهم ورفاقهم • كما أن هنـاك بعض الشخصيات التى تحظى بدرجة غير قليلة من التقديس والتكريم فى نفوس الناس ، والتى تقع على درجة بين الانبياء والأولياء كالخضر (أو الياس) فى فلسطين وفى بعض أنحاء مصر •

كذلك يجب أن يتنبه الباحث الى أهمية العلاقة بين الطرق الصوفية والاولياء • فكثير من أولئك الاولياء نالوا شـهرتهم الواسـعة وعرفهم الاتباع من خلال تشكيلات الطرق الصوفية المختلفة • ثم ان نفرا غير قليل منهم يدين بما يلقاه من تكريم للطرق الصوفية التى تكونت وتدافع عن مبادئهم وتعاليمهم وتروج لها بين النـاس ، وتقيم لها الاحتفـالات السنوية بأنواعها • وليس بغائب عن بالنا أن كثيرا من الطرق الصـوفية

واسعة الانتشار تحمل اسم أحـد الأولياء • كالقادرية ، والأحمـدية ، والشاذلية ••• الخ •

ولذلك فانه من الأمور الهامة أن يتتبع الباحث نظرة الناس الى أهل الطرق الصوفية والى المنخرطين فيها ومدى تقديرهم لدورهم ومكانتهم • وكذا مدى تقدير الناس لأهمية التوازن بين الانشغال بالطريقـة (أى النشاط الصوفى والانقطاع للعبادة) والاهتمام بأمور المعاش اليومى •

كذلك يهتم الباحث بتتبع العلاقة بين المسجد وضريح الولى • ومن بين ما يدخل تحت هذا الموضوع موقع الضريح من المسجد ، وأسـبقية الضريح أو المسجد أو العكس ، ودور الضريح من تعمير المسجد وتجديده ••• الخ • كذلك يندرج تحت هذا الموضوع الاهتمام بخادم المسـجد والالتفات الى دوره ، وقصة ارتباطه بالضريح وخدمته ، وعلاقته بالقرابين والنذور والأضاحى التى تقدم للولى ••• الخ •

١ — سيرة الولى :

أهم الأولياء بالمنطقة — أقدرهم — ترتيبهم — تكريمهم — الاشراف — الانتساب الى الخلفاء الراشدين أو الصحابة أو المجاهدين القدامى — المنطقة التى وفد منها الولى الى المنطقة — الولى ووفوده من المدينة أو الريف — أمارات ولايته فى أثناء الحمل ، وعند الولادة ، وتنبؤ الأولياء الكبار به ، وتبشيرهم به أيضا — طفولة الولى — علامات الولاية ، تحصيل علوم الشرع ، آثار يد الرسول أو الأولياء الكبار على جسـم الولى — روايات عن ظهور الولاية عليه — اللوح المحفوظ — أفعال أو صفات لازمة لاطلاق لقب « ولى » على شخص ما — مظهر الولى — عاداته — حالاته المزاجية — الاستغراق فى الحالة — خيط الصوف بدلا من المسـبحة — المسبحة — اطالة شعره — سيماء الولاية — أمارات الصلاح — طريقته الوصفية — معلم الولى (شيخه) — ظهور الملائكة للشيخ — عزو درجته الى اجتماعه بالانبياء والاولياء السابقين وتلقيه عنهم — رعاية الله للولى

عند الأزمات — مجاهدات الولى — الأولياء المتكفون — « ورد » الولى — مكان ظهور الولاية — شعوره بالولاية قبل وصوله الى محـل ولايته — السياحة والتجوال بين البـلاد — اعادة تسمية المكان نسـبة للولى — الأولياء المفسرون — الولاية والبلهاء أو غير الاسوياء — أفعال المشايخ والمجاذيب وكراماتهم — رد فعـل الناس تجـاه من يحتقـر أو يؤذى المجاذيب — « الولية » — أولياء اناث أحياء وكراماتهن — ألقاب الولى — الرموز المعبرة عن الولى — مكان دفن الولى — تجهيزه ودفنه — دفنـه بجوار ولى آخر دليل على حسن فعاله — جنازة الولى — وصـايا بعض الناس بأن يدفنوا بجـوار ولى معين — موقع مدفن الولى ووصـفه من الداخل والخارج — مجمع الأولياء بالمنطقة — خادم الضريح — أضرحة أولياء داخل المساكن الخاصة — شجرة الجميز بجوار الضريح — تكريم أشجار دون غيرها وكراماتها — المكان الخاص الذى يحظى بنظرة خاصة — البئر بجوار مقام الولى — وضع الخبز أو النقود بجوار الضريح — مكان الاحتفال بالمولد النبوى — الآثار الشخصية للولى بالضريح — تجـديد الضريح ومناسبته — بيع ثياب الولى بعد موته — ألقاب الأولياء المعروفين — نسبة بعض المأكولات الى المشايخ — التنظيم الخفى لعالم الأوليـاء (الديوان الدورى) — الحواشون — « المتولى » — الشـيخ ابراهيم الدسوقى أصل تسميته بأبى العينين — « عيش السيد البدوى » — كبار الأولياء بالمدن الذين يحرص أبناء المنطقـة على زيارتهم والمشـاركة فى الاحتفال بمولدهم .

٢ — الممارسات المتعلقة بالولى :

(أ) الزيارة :

ممارسات زائر الضريح عند وصوله اليه — زيارة الولى المحلى — أيام زيارة كل ولى — أيام الرجال وأيام النساء فى الزيارة — زيارة النساء وشروطها — المناسبات التى تزار فيها أولياء المدن المجاورة والقاهرة — زيارة أكثر من قبر واحد وفى يوم واحد — زيارتهم فى مناسـبات دينية

معينة — استنجادهم فى الشدائد والممارسات التى تتم عند هذه الزيارة — التبرك بولى قبل أداء أى عمل — موكب العروسة وزيارة الولى — الممارسات المتبعة — زيارة الحجاج للولى المحلى قبل وبعد الحج — استشفاء المرضى بزيارة الولى — زيارة المرأة التى وضعت حديثا للولى فى أول مرة تخرج من بيتها بعد الوضع — زيارة الطفل الوليد فى أول مرة يخرج من بيته للولى — حلق شعر الاطفال أمام الضريح — حظر طواف الرجال حول الضريح — أدوات تحضير الطعام بجوار الضريح — قضاء حاجة كل من زار الولى فى مولده — ممارسات ضد الأولياء المفسودين — زيارة جنازة الميت لأحد الأولياء •

(ب) المولد :

موعد الاحتفال بمولد الولى — والمناسبات المعنية لاقامة المولد اذا لم يكن تاريخ ميلاد الولى معروفا — الموالد بعد وفاة الولى — مواعيد بدء ونهاية الاحتفال بمولد الأولياء المحليين والليلة الكبيرة لكل مولد — الاحتفال بالمولد أكثر من مرة سنويا — زيادة الاقبال فى يوم معين من أيام المولد — الاحتفال بمناسبات خاصة فى المولد (احتفالات الزواج مثلا) — عملية الختان : مكان اجرائها — زفة المختتن — حلقات الذكر والانشاد فى أثناء المولد — التجمعات والشوادر — حلوى المولد — عناصر الاحتفال — الجو التجارى — الألعاب — خدمات تقديم الطعام والشراب المجانى — أملاك موقوفة للضريح — الكتابة التفصيلية عن بعض الموالد وعناصر الاحتفال عند المسلمين والمسيحيين : السيد البدوى ، الحسين ، جلال الدين السيوطى ، أبو سيفين ، مارجرجس ••• الخ • — الدعوة للمولد — تحديد موعده •

(جـ) النذر :

سبب تقديمه للأولياء — أنواعه — مناسبات تقديمه — مواعيد تقديمه — الوفاء بالنذر — نذر الدواب تكريما للولى وتركها ترعى أينما

ساعات دون التعرض لها — معاملتها وأضرار مخالفتها — النذر بوقف قطعة أرض ، النذر بشعر الطفل — تسمية الطفل باسم الولى — حالات نذر قص شعر الطفل عند ولى معين والممارسات المصاحبة لذلك — مصير الشعر المقصوص — ممارسات قص الشعر بالنسبة للبنات — نذر الولد أو البنت للولى — مواعيد قبول النذر •

٣ — قدرات الولى :

(ا) عام :

سبب قصد الولى المحلى — القدرات الخاصة لكل ولى محلى بالمنطقة — دعاء الاستغاثة بالاولياء — ثقل الوزن لثقل الولاية — أعمارهم — دخولهم الجنة بغير حساب — موتهم فى يوم معين — حلف اليمين عند أضرحتهم — علامات خاصة تنذر بموت أحدهم •

(ب) قدرات الولى السحرية :

تسخيرهم للجان — أخذهم العهود على الجن بعدم ايذاء أحد من المريدين — أخذ « الطريق » واتباع ولى عند الجن — ايقاف مفعول العناصر الطبيعية — فهم أصوات الحيوانات والطير — تأثير تعليق شىء ببوابة المتولى على الشخص الذى علقها — منحدر لتدحرج العاقرات عند « مزار الولى » — اكتساب اتباع الولى الحماية من أذى الحشرات أو الحيوانات — اجابة رغبات الاتباع دون تصريحهم بها — اضرار الولى من يعارضه — « عيش » السيد البدوى كحجاب — قصص عن ولى مات وخلق شيئا كان يخفيه وأفاد فى العلاج أو فى أغراض سحرية أخرى •

(جـ) قدرات الولى العلاجية :

قصد الولى للاستشفاء — معجزات الشفاء المنسوبة للأولياء المعروفين بالمنطقة — دخول الاشياء الشخصية الخاصة بولى فى العلاج من أمراض معينة — القدرات العلاجية فى بصقة الولى — ارسال ملابس

الضريح ومنها نقود الى خادم الضريح ليضعها تحت رأسه وينام ليلا فى الضريح .

(د) الكرامات :

ماهيتها — القدرة على اتيانها — ووقت اظهارها وفى أى سن — ذكر الله والولى طفل صغير — الاخبار عن الماضى والمستقبل — الطيران — الصعود والنزول فى الهواء — الحوار مع الموتى — أنوار الولى — اشعاع النور من موضعه وبعد موته — السيطرة على الوحوش — التأثير على الجماد — المعجزات الغريبة الأخرى (أكل الدبابيس مثلا) — تحويل الشىء الى شىء آخر مطلوب — تحويل الفقير الى غنى والنحاس الى ذهب — سيلان العسل من بين الأصابع — استخراج ما يطلبه الحاضرون من أشياء متنوعة من جيبه الخالى — كرامة احضار الأشياء والخضر — كشف حال الموتى — المشى على الماء — تسكين الرياح — السيطرة على الموج والماء والتحدث اليهما — وضع بعض أجزاء الجسم فى النار فلا تحترق — الكرامة وتضليل الشيطان — كرامات تمنع المرء من الاغراء — ترك بعض العبادات — « أهل الخطوة » — انتقال الولى لأداء الصلاة فى مكة أو المدينة والعودة سريعا — صلاته خلف رسول الله حيا أو ميتا — طيران روح الولى وهو حى الى السماء — حضوره أحداثا فى مكان بعيد دون أن ينتقل من مكانه — معرفة أحوال الناس البعيدين عنا — زيارة جبريل للولى فى خلوته — حق شفاعة الولى للخاطئين اللاجئين له — عرض أحوال الناس على الولى — عدم خشية الحكام — حماية أتباعه من الاحساس بالألم — هيئة الولى التى يظهر بها لمن يستنجد به — ظهور النبى له مرات عديدة — هداية العصاة والبغايا والأشرار — سبب هداية الطالح الى طريق الولى — كرامات الولى أثناء جنازته — الكرامات بعد الموت — كرامات تحول دون نقل قبر الولى من مكانه الى مكان آخر — حكايات حول نقل جثمان الولى من مكانه الى مكان آخر — سماع صوت الولى عند قراءة دعوات أو آيات معينة عند قبره — الارض لا تأكل أجساد الانبياء الأولياء — تغير جسد الولى بعد وفاته — الولى الذى

« يركب » القرية (فى الفيوم يشرحون ذلك بأن خيالا يظهر على جدار الضريح فى مولد الولى يمثل فارسا على جواد يتحرك مع بيارق) ـــ اجابة الولى الميت سؤال اتباعه بحديث مباشر ـــ رعاية الاتباع حتى بعد موته ـــ النبى يزور ضريح الولى ـــ ملائكة حول قبر الولى تقضى حاجات الزائرين ـــ لا تأكل النار جسد من يحب ويحسن الاعتقاد فى الولى ـــ ظهور الولى لأحد الناس يطلب اقامة ضريح له فى مكان محدد ـــ قدرة الولى على القصاص ممن يهين قبره ـــ كرامات أخرى لأولياء المنطقة المعروفين ـــ أهم الكرامات المنسوبة للأولياء والكبار •

٤ ـــ اشياء تتعلق بالولى :

قصص حول ولى المنطقة ـــ الخبز الخاص بالولى (مثل عيش السيد البدوى) ـــ القائمون بتوزيعه ـــ تلمس الشفاء ـــ التمسح بعامود السيد ـــ قدرات ينسبها الناس لباب الولى ـــ ممارسات حول « بوابة المتولى » ـــ معتقدات حول باب زويلة ـــ نموذج مصغر لسفينة داخل الضريح معلقا ـــ السفينة الكائنة فوق سطح ضريح الامام الشافعى ـــ معتقدات وممارسات ترتبط بأجزاء من ضريح الولى ـــ أشياء تلقى تكريما خاصا وتنتمى الى الولى أو ضريحه ـــ التداوى بزيت قنديل بعض الأولياء من مرض رمد العين ـــ الاحتفاظ بقطع من ثياب وأدوات الولى ـــ شعره أو شعرات من الولى ـــ تميز بقايا طعام وشراب الولى بقدرات سحرية خاصة ـــ زيادة بركة النيل بالقاء شىء من ملابس الولى ـــ استخدام احدى أدوات الولى فى جلب الخير ـــ آثار الولى (أقدامه ـــ آثار أقدام حصانه) ـــ تحرك مسبحة الولى وتسبيحها بدون الامساك بها ـــ الرائحة الطيبة لأشياء وأدوات الولى ـــ تحريم المشى على قبر الولى ـــ التصرف فى الكسوة القديمة التى ترفع عن قبر الولى ـــ تراب ضريح الولى ـــ الأثر الخاص لاحدى الأشياء الأخرى •

٥ ـــ أخلاق الولى :

دلائل صلاحه ـــ استمرار بركته فى نسله ـــ من يدفن من أفراد أسرته بجواره ـــ استحباب الدفن بجواره أو فى نفس مقبرته •

٦ — الصوفية :

(أ) الأولياء والطرق الصوفية :

الطرق الصوفية التى يتبعها الولى — الشيخ الذى تلقى منه الولى أسرار الطريق — انتقال الولى الحى (الشيخ) بين المحافظات بصفة دورية — استقباله ومظاهر تكريمه •

(ب) الطرق الصوفية :

ماهيتها — الموجود منها بالمنطقة — أخذ العهد — شروط آخذه — التزام المريد بأداء واجبات أو خدمات لشيخه الصوفى — « الفتوح » — الزى الخاص بالمتصوف — موعد اللقاء السنوى لاتباع كل طريقة — التقاء المشايخ الكبار بأفراد الطريقة سنويا — استقلال الصوفية فى مسكن خاص — مشاركة النساء للرجال فى الذكر — حفلات الذكر الخاصة بالنساء — تعاطى الصوفية المكيفات — تناول المأكولات أو المشروبات فى احتفالات الصوفية — النقيب — البدل — تدرج المنتسبين الى الطرق الصوفية (كل طريقة على حدة) — المراتب عندهم (خادم السجادة — خادم العكاز — خادم الابريق) — المولوية — تداول النصوص والمنظومات المختلفة فى الحفلات الدينية التى يقيمها الصوفية •

(جـ) القطب :

ما هو — قدرته على التنقل فى لمح البصر — أماكن معينة يقف بها — صياحه بدعاء معين من على سطح الكعبة — مكان اقامة القطب — القطب غير الحسى •

٧ — الانبياء :

القصص المتداولة عن الانبياء التالية أسماؤهم : أدريس ، سليمان ، نوح ، يعقوب ، اسحاق ، صالح ، هود — القصص المتداولة عن : آصف

ابن برخيا ، لقمان ، ذو القرنين — قصة خلق آدم — رفع عيسى وادريس الى السماء — بقاء تابوت موسى حتى الآن فى أحد المساجد — حكايات عن موت سيدنا موسى تختلف عما يحدث عند موت سائر الناس — رفع سيدنا داود صوته كالمزامير — كتب السحر عند سليمان يضبط بها الجن والانس والشياطين والطير — كرسى سليمان — النخلة التى أرضعت مريم المسيح تحتها — دعاء سيدنا يعقوب — تابوت يوسف — خلود (الياس والخضر) على الارض — من هو الخضر — ظهوره لبعض الناس — الحكايات المتواترة عنه — وظائفه — مقابلة الناس له ليتحققوا منه عن درجة الولى الذى يتبعونه •

٨ — تبادل الاعتقاد فى الاولياء والقديسين :

الاولياء المسلمون الذين يزورهم المسيحيون واليهود — القديسين الذين يزورهم أبناء الديانات الاخرى — القديسون (غير المسلمين وغير المسيحيين) يشترك فى زيارتهم أبناء الاديان المختلفة — بيع ميداليات لقديسين فى موالد الاولياء المسلمين — لجوء المسلمين الى القديسين للدعاء لهم عند المرض •

الباب الثانى

دراسة المعتقدات والممارسة السحرية

مقـــدمة :

الفصل الاول : المؤلفات السحرية المنسوبة للبونى •

الفصل الثانى : السحر الرسمي والسحر الشعبى •

الفصل الثالث : أغراض الممارسة السحرية •

الفصل الرابع : تقارير دراسات ميدانية لبعض المشتغلين بالسحر فى الريف المصرى •

الفصل الخامس : دليل مختصر للدراسة الميدانية للسحر •

الباب الثانى

دراسة المعتقدات والممارسات السحرية

مقدمة الباب :

يتخذ هذا الباب لنفسه خطة تقوم على تقديم بعض الملاحظات الأساسية عن الممارسات والمعتقدات السحرية فى المجتمع المصرى . ويتخذ العرض طابعا تاريخيا تأصيليا اذ يقدم لنا صورة تلك المعتقدات وهذه الممارسات فى مصادرها الاسلامية المصرية ، كما تحددت فى أعمال واحد من كبار المشتغلين بالسحر فى تاريخ مصر ، ان لم يكن أكبرهم وأشهرهم جميعا . ولما كانت مؤلفات هذا الساحر الكبير — أحمد بن على البونى — تندرج تحت ميدان السحر الرسمى ، وليس الشعبى ، وجب أن نلقى مزيدا من الضوء على هذين المفهومين المتميزين والمتفاعلين فى نفس الوقت ، وذلك لكى نحدد لأنفسنا الارضية التى نقف عليها ونتحرك فى اطارها . ونقدم بعد ذلك قطاعا عرضيا من تراث هذا الشعب من المعتقدات والممارسات السحرية ، وذلك من خلال القاء الضوء — بشىء من التفصيل — على الاغراض التى يتوخى تحقيقها عملاء المشتغلين بالسحر فى بلادنا .

وفى ضوء هذا التحديد تنتظم فقرات هذا الباب ، حيث نبدأ فى الفصل الاول بالتعريف بالبونى ومؤلفاته ، ثم ننتقل فى الفصل الثانى الى الكلام عن السحر الرسمى والسحر الشعبى ، ثم نختم الباب بالكلام عن أغراض الممارسة السحرية فى الفصل الثالث . وقد تجمعت لدينا علاوة على هذا طائفة من المواد الميدانية والملاحظات الواقعية من خلال دراستنا لطائفة من المشتغلين بالسحر فى مختلف أنحاء مصر . وقد ضمنت الفصل الاخير المعنون : « خبرات ميدانية فى الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية » بعض تقارير عن زيارة أولئك السحرة المحترفين .

الفصل الأول

المؤلفات السحرية المنسوبة للبونى

اولا ــ حياة البونى :

مؤلف هذه المجموعة من الكتب هو محيى الدين أبو العباس أحمد بن على يوسف البونى القرشى[1] • ويعتبر هذا المؤلف العربى واحدا من أهم من اشتغلوا بالعلوم السحرية على طول تاريخ مصر الاسلامى • ولسنا نعرف تاريخ ميلاده على وجه الدقة واليقين اذ برغم أهميته الكبرى هذه نجده لا يكاد يذكر فى كتب التراجم العربية على ضخامتها وتنوعها • ولعله من اللافت للنظر بوجه خاص أننا لا نسمع عنه عند جلال الدين السيوطى فى كتابه « حسن المحاضرة فى أخبار مصر والقاهرة » •

وربما أمكننا أن نعزو هذا ببساطة الى الحقيقة المعروفة وهى أن تلك الحقبة قد احتشدت بعدد لا يكاد يحصى من الاولياء والنساك والمتصوفة• حيث شهدت تلك الفترة على سبيل المثال لا الحصر عمر بن الفارض (توفى ٦٣٢ هـ ١٢٣٤ م) ، وأبا الحجاج (توفى ٦٤٢ هـ ١٢٤٤ م) وأبا الحسن الشاذلى (توفى ٦٥٦ هـ ١٢٥٨ م) والولى السكندرى القبارى (توفى ٦٦٢ هـ ١٢٦٣ م) • والسيد أحمد البدوى (توفى ٦٧٥هـ ١٢٧٦م)• وأبا العباس المرسى (توفى ٦٨٦ هـ ١٢٨٧ م) • وربما كان من الاسباب الاخرى لاهمال ذكر صاحبنا البونى فى تلك المؤلفات انتماؤه الشيعى • والدليل على ذلك ورود مؤلفه الرئيس شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف فى كتاب « الذريعة الى تصانيف الشيعة » (المجلد الاول ص

---

(١) راجع ترجمته عند حاجى خليفة فى كشف الظنون ، وعمر رضا كحالة فى تراجم مصنفى الكتب العربية وخير الدين الزركلى فى قاموس الاعلام .

٢٣ ، والمجلد الرابع عشر ص ٢٢٦) • ثم أن نظرة فاحصة فى قائمة مشايخه التى أوردها فى ذيل كتابه « شمس المعارف » سوف تؤكد لنا هذا الزعم حيث ينتمى كثير منهم الى رؤوس الشيعة • ولما كانت السنة قد عادت وسيطرت على مصر من جديد ، كان من الطبيعى أن نواجه بعد موته تشكيكا فى أستاذيته وتجاهلا لمكانته من جانب مؤلفى التراجم •

الثابت لدينا على أى حال أنه توفى فى القاهرة عام ٦٢٢ هجرية الموافق ١٢٢٥ ميلادية • فعلى هذا التاريخ تجمع كل المصادر التى بين أيدينا دون استثناء • وعلى ذلك يمكن أن نقدر أنه ولد فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى • وكما تدلنا كنيته « بونى » كانت ولادته فى مدينة « بونة » على الساحل الافريقى الشمالى فى جمهورية الجزائر حاليا • وليست لدينا أى معلومات عن فترة طفولته ولا عما مارس من أعمال فى فجر حياته • وان كنا نستطيع أن نستنتج من عديد من الشواهد المتاحة أنه قد قام ــ مثل كثيرين من معاصريه ــ برحلات متعددة فى مختلف أرجاء العالم الاسلامى ، اذ زار القدس ، ودمشق ، وحلب • كما وصل الى بعض أجزاء مصر ، وكتب بشىء من التفصيل عن إخميم (محافظة سوهاج) • كما يمكننا أن نقدر أنه قد انخرط فى فترة شبابه فى احدى الطرق الصوفية (مع ملاحظة أن بعض كتب التراجم تلقبه بالمتصوف) •

ولكننا نعود فنتساءل : لماذا اختير البونى بالذات موضوعا لهذه الدراسة ؟ أكدت المصادر والمراجع المختلفة فى أكثر من مناسبة أنه أكبر وأشهر ساحر اسلامى معروف على الاطلاق(٢) • ولعل نظرة واحدة الى قائمة المؤلفات العديدة المتنوعة التى تنسب له سوف تؤيد هذا الحكم ولاشك • ونصادف أكمل حصر لهذه المؤلفات المنسوبة اليه عند حاجى

---

(٢) انظر مثلا دائرة المعارف الاسلامية ، طبعة ليدن ، ودراسات دوتيه Doutte ، وفينكلر وكريس (راجع القائمة الببليوجرافية فى آخر الكتاب) •

خليفة فى : « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » ، وكارل بروكلمان فى : « تاريخ الادب العربى » • فينسب اليه كلاهما عددا هائلا من المؤلفات ، وان كانا يختلفان بصدد عدد منها كما توضح لنا المقارنة •

وقد أورد البونى عرضا لطائفة من أسماء مؤلفاته فى سياق بعض الكتب المنسوبة والتى تناولناها بالدراسة — مخطوطة ومطبوعة • وهذه المؤلفات هى :

١ — شمس المعارف ولطائف العوارف (ورد ذكره فى منبع أصول الحكمة للبونى ، ص ٣٥) • انظر حول هذا الكتاب حاجى خليفة ، المجلد الثانى ، ص ١٠٦٢ ، وكارل بروكلمان ، تاريخ الأدب العربى ، المجلد الاول ، ص ص ٤٩٧ — ٤٩٨ •

٢ — لطائف الاشارات (ورد ذكره فى منبع أصول الحكمة ، ص ٥٠ ، وشمس المعارف ، جـ ٣ ، ص ٣٠٢ ، ص ٣٢٢) • انظر كذلك ، حاجى خليفة ، المرجع السابق ، المجلد الثانى ، ص ١٥٥١ ، وكارل بروكلمان ، المرجع السابق •

٣ — ألواح الذهب (ورد فى منبع أصول الحكمة ، ص ٣٥) راجع بروكلمان ، المرجع السابق ، المجلد الاول ، ص ٤٩٨ •

٤ — قبس الاقتداء الى مراقى السعادة ونجم الاهتداء ، ورد ذكره فى منبع أصول الحكمة ، ص ٣٦ • قارن حاجى خليفة ، المرجع السابق ، المجلد الثانى ، ص ١٣١٥ ، وبروكلمان ، الجزء الاول ، ص ص ٤٩٧ — ٤٩٨ •

٥ — علم الهدى وأسرار الاهتداء ، ورد فى منبع أصول الحكمة ، ص ٣٤ — راجع حاجى خليفة ، المجلد الثانى ، ص ١١٦١ ، وبروكلمان ، المجلد الاول ، ص ٤٩٧ • ولعله هو نفس المؤلف الذى ورد تحت عنوان : « علم الهدى وقبس الاهتداء فى شرح أسماء الله الحسنى » (الذى ورد

ذكره فى شمس المعارف ، الجــزء الرابع ، ص ٤٤٣ ، وكذلك ص ٤٦٤ ، وص ٤٧٩) •

٦ ــ الرياضة بالإسماء الحسنى ، ورد فى منبع أصول الحكمة ، ص ٣٧ ، قارن كذلك حاجى خليفة ، الجزء الثانى ، وبروكلمان ، المرجع السابق •

٧ ــ منظومة فى شرح الحروف ، ورد ذكره فى اللمعــة للبونى ، ورقة ٤٤ ب • وانظر كذلك بروكلمان ، المجلد الاول ، ص ٤٩٨ •

٨ ــ رسالة فى شرح أسماء الله فى البرهتية ، ورد ذكره فى منبع أصول الحكمة ، ص ٢٩٤ •

٩ ــ ذات الدوائر ، ورد ذكره فى شمس المعارف ، الجزء الثالث ، ص ٣٠٢ •

١٠ ــ المقصد الأسنى فى شرح أسماء الله الحسنى ، ورد ذكره فى شمس المعارف ، الجزء الرابع ، ص ٤٦٢ •

وعلاوة على هذا ورد فى كتاب منبع أصول الحكمة أن البونى قــد ألف مربعات للأسماء • والعجيب أن حاجى خليفة نســب للبونى مؤلفا بعنوان « مطلع العزائم » يقــول ان البــونى أورد فيــه بعض الآثار السحرية الفريدة التى جربها بنفسه ، انظر المجلد الثانى ، ١٧٢٠ •

وواضح أن تلك المؤلفات جميعها تدور حول جميع مجالات السحر وفروعه المعروفة • وان كانت تكرس قدرا خاصا من الاهتمام لموضوع أسماء الله • فاستخدام أسماء الله فى السحر يمثل نواة هذه المؤلفات • تماما كما يمثل نواة السحر الاسلامى على الاطلاق •

فالبونى يتكلم عن أسماء الله فى كل مناسبة مباشرة أو غير مباشرة •

سواء فى ذلك أكان يتناول الخصائص السحرية للحروف ، أو عمل الاوفاق والاشكال السحرية ، أو خصائص الايام والساعات •• الخ • هذا علاوة على أن طائفة من مؤلفاته تحمل فى عنوانها الكلام عن موضوع أسماء الله•

ثانيا ــ مراحل تطور مؤلفات البونى :

ومن المقطوع به أن البونى ليس هو المؤلف الحقيقى لكل ما ينسب اليه من مؤلفات • وبوسعنا على أساس الشــواهد المتاحة لنا حاليا أن نتعرف على عدة مراحل تطورية مرت بها المؤلفات المنسوبة للبونى • ويمكن أن نعرض لها بايجاز فيما يلى :

(أ) أنقى المؤلفات وأقدمها والتى ترجع الى البونى نفسه فعلا • ولعل المؤلف الوحيد الذى يمكن أن ندخله ضمن هذه الفئة دون أى شكوك هو : « اللمعة النورانيــة » • (يمكن للقــارىء أن يرجع الى المخطوطة المحفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٢١٥٧٦ ب ، وقارن كذلك : كشف الظنون لحاجى خليفة ، المجلد الثانى ، ص ١٥٦٦ وتاريخ الادب العربى لبروكلمانـ الاصل الالمانى ــ المجلد الاول ، ص ٤٩٧ وما بعــدها) • ويقول البونى فى مطلعها عن سبب تأليفها أن أحد الاصــدقاء سأله عن الاسماء الحسنى هل هى عربية أم أعجمية • ويتكون القســم الاول من المخطوطة من أدعية مقسمة حسب ساعات اليوم • مثلا : الخميس دعاء الساعة الاولى ، دعاء الساعة الثانية •• حتى الساعة الثانيــة عشرة • الاحد : دعاء الساعة الاولى حتى الساعة الثانية عشرة وهكذا حتى نهاية الاسبوع • يلى ذلك الكلام عن دعــوات كل ثلث من كــل يوم من أيام الاسبوع • مثلا : الاحــد : دعاء الثلث الاول من اليــوم ، دعاء الثلث الثانى •• وهكذا ، ثم الاثنين : دعاء الثلث الاول وهكذا حتى نهاية أيام الاسبوع • ثم يلى ذلك تعاليم ووصايا عامة حول اختيار الوقت المناسب، وثبات النفس ، والطهارة أثناء العمل •• الخ • ثم يقسم الاسماء الحسنى الى الانماط العشرة المعروفة ويورد بعــد حصر أســماء كل نمط أوجــة

استخدام النمط ككل أو كل اسم من أسمائه على حدة • ثم يبدأ البونى بعد هذا فى الكلام بالتفصيل عن اختيار الوقت المناسب للعمل (السحرى)، فيعالج باسهاب فضائل بعض الايام والليالى المعينة مثل « ليلة القدر »، الخ • ثم يلى هذا الدعوات التى تتلى أول كل شهر عربى ، فهى أذن اثنتا عشرة دعوة • ثم يتناول بعد هذا فوائد بعض آيات القرآن ويتكلم بايجاز عن أسرار الحروف والاعـداد ، وعمل الاوفاق السـحرية حتى نهاية المخطوطة •

وأقدم شاهد لدينا على هذا المؤلف تلك الاجزاء المقتبسـة منه فى نهاية الأرب للنويرى(٣) • وتدور تلك الاجزاء المقتبسة حول اسماء الله الحسنى ، والاسم الاعظم • ويمكن القول بحق ان هذا المؤلف يشتمل على أهم العناصر الاساسية فى السحر الاسلامى ، كما نعرفها عند البونى •

(ب) حدث بعد وفاة البونى بوقت غير بعيد أن دخلت تعاليمه الى ميدان السحر وسيطرت عليه بحيث وجدنا كيف عمد النويرى الى النقل عنه فى صدد حديثه عن أسـماء الله وتصنيفها . وعن الاسـم الاعظم ، ونحن نعرف طبيعة مؤلف النويرى وكيف أنه كان يعمد الى عرض وتلخيص التراث الفكرى المعروف فى عصره • لذلك لا نجانب الصواب اذا قلنا ان تعاليمه لابد وأن تكون قد احتلت مكانة أثيرة لدى الطرق الصوفية الكثيرة المعروفة آنذاك • ثم حدث بعد حوالى مائة عام أن عمد أحـد تلاميذه المباشرين — أو غير المباشرين — الى جمع كتاب شمس المعارف الكبرى ليلخص أشهر جوانب تعاليمه وآرائه • غير أننا نسجل بكل عناية أن هذا المؤلف الذى اشتهر بأنه أهم وأضخم مؤلفات البونى المعروفة لم يرد له ذكر عند النويرى (توفى ٧٣٣ هـ — ١٣٣٢ م) ، وانما عنـد القلقشندى (توفى ٨٢١ هـ — ١٤١٨ م) فى كتابه « صبح الاعشى فى صناعة الانشا » (المجلد الأول ، ص ٤٧٥) •

---

(٣) النويرى ... انظر : نهـاية الارب فى فنـون الادب لشهاب الدين النويرى ، المجلد الخامس ، ص ٢٣٨ وما بعدها .

ونستدل من دراسة الخصائص الاسلوبية لشمس المعارف على انه لا يمكن أن يكون بأكمله من تأليف شخص واحد بحال من الاحوال ونرجح أن يكون مؤلف الكتاب الاصلى واحدا من أتباع أبى الحسن الشاذلى ، حيث يقتبس منه وينقل عنه الشيء الكثير . ولما كان البونى نفسه قد عاش قبل الشاذلى ، فلا يعقل أن يكون هو فعلا الذى نقل عنه . ثم أن الشاذلى نفسه لم يكتب كثيرا ، بحيث يمكن أن يقتبس منه هذا الشيء الكثير فى تلك المواقف والمناسبات المتباينة . وهو لم يترك سوى ثلاث رسائل صغيرة فكيف يمكن لمؤلف شمس المعارف أن ينقل عنها(٤) . ولذلك نعتقد ان جامع شمس المعارف هذا لابد وأن يكون أحد تلاميذ الشاذلى المباشرين ، الذى درس على يديه ، وسمع منه الكثير ، مما أخذه بعد ذلك فى كتابه . فاذا صدق هذا الاعتقاد أمكننا أن نؤرخ تأليف شمس المعارف الكبرى ببداية القرن الثامن الهجرى (حوالى القرن الرابع عشر الميلادى) .

(جـ) أما المرحلة الثالثة والاخيرة فتبدأ منذ ذلك التاريخ وتمتد حتى يومنا هذا ، حيث « تؤلف » اعتمادا على هذين المؤلفين الرئيسيين كتب ورسائل لا حصر لها . وأصبحت لدينا اليوم قائمة طويلة من الكتب المنسوبة جميعها للبونى . وسنعود فيما بعد الى الاشارة الى الدور الذى لازالت مؤلفات البونى (الفعلية والمنسوبة اليه) تلعبه فى يومنا هذا .

ثالثا — نظرة مفصلة الى كتاب شمس المعارف :

اتفقنا فيما سبق على أنه من المقطوع به أن شمس المعارف لم يؤلف دفعة واحدة ، أو على الاقل فى شكله الراهن المعروف لنا . فشمس المعارف الذى عرفه القلقشندى ونقل عنه ليس هو شمس المعارف المتداول والمعروف لنا اليوم . وهناك عدد لا يقع تحت حصر من الشواهد التى

---

(٤) الزركلى .. قارن الزركلى فى « قاموس الأعلام » ، المجلد الخامس ، ص ١٢٠ ، وبروكلمان فى تاريخ الادب العربى ، المجلد الاول من الملاحق ٢ ، ص ٨٠٤ .

تؤكد أن مؤلف الاجزاء الاولى ليس هو صاحب الاجزاء الاخيرة • ونسوق فيما يلى أبرز هذه الشواهد دون حاجة الى حصرها :

١ — تتضمن الفصول من الحادى والعشرين الى الثلاثين كثيرا من التعبيرات التى لا نجدها فى الفصول السابقة • فنجد القارىء يخاطب لاول مرة فى الكتاب كله بعبارة : « اعلم يا بنى » (شمس المعارف ، الجزء الثالث • ص ٢٧٢) •

٢ — من المؤكد أن الفصل الحادى والثلاثين المعنون : الحروف وخواصها ، المجلد الثالث من شمس المعارف ، من ص ٢٨٠ الى ص ٢٨٩ من تأليف مؤلف آخر • وذلك للاعتبارات التالية :

(ا) يطلق مؤلف هذا الفصل على دعوة كل حرف اسم : « أسماء »، بينما كانت تعرف طوال الفصول السابقة باسم « دعوة » • هذا علاوة على أن التسمية الجديدة تخالف أسس السحر الرسمى كما نعرفها عند البونى وتشذ عن نوع المصطلحات التى يستخدمها •

(ب) تسمى كثير من الاشياء الواردة فى هذا الفصل بأسماء مختلفة تمام الاختلاف عن تلك التى عرفت بها طوال الفصول السابقة • فالزجاج — كما كان يسمى هكذا طوال الفصول السابقة — يعرف هنا بالبللور مثلا • وهى تسمية ليست غريبة على مؤلفات البونى فحسب ولكنها غير مألوفة كذلك فى معظم كتب السحر الاخرى التى نعرفها •

٣ — يصدق نفس هذا الحكم على الفصل الثالث والثلاثين من شمس المعارف ، الذى نعتقد للاسباب التالية أنه من وضع مؤلف آخر :

(أ) تستخدم الأشعار بكثرة فى هذا الفصل على خلاف المألوف فى الفصول السابقة من الكتاب •

(ب) يستشهد هذا الفصل كثيرا بالشيخ السبتى (المتوفى عام

٧٢١ هـ ١٣٢١ م) باعتباره الحجة الكبرى فى علم الزايرجة • فينسب اليه كثيرا مما جاء فى هذا الفصل من آراء وتعاليم • ونذكر هنا ما أوردناه فى بدء حديثنا من أن البونى قد توفى عام ٦٢٢ هـ الموافق ١٢٢٥ م فلا يعقل أن يكون قد نقل عن الشيخ السبتى شيئا •

٤ — من الواضح كذلك أن الفصل التاسع عشر من الكتاب من وضع مؤلف عاش بعد موت البونى دون شك • وذلك للاعتبارات التالية :

(أ) من الراجح أن هذا الفصل قد ألحق بالكتاب بعد وفاة البونى • ومن اللافت للنظر هنا أنه لا يوجد بالكتاب — فى أى من طبعاته العديدة — فصل برقم عشرين اذ ينتهى الجزء الثانى من الكتاب بهذا الفصل التاسع عشر ، ويبدأ الجزء الثالث بالفصل الحادى والعشرين مباشرة •

(ب) يشير مؤلف هذا الفصل صراحة فى مواضع عديدة منه الى أنه درس على الشيخ السبتى وجلس اليه وحدثه ، وسمع منه ورأى عليه أحداثا معينة •• الخ • بل وأنه شهد موته ، ووصفه وكتب عنه • فاذا لم تكن هذه البيانات موضوعة عمدا للتضليل ، فانه يكون قد تم تأليف هذا الفصل حوالى منتصف القرن الثامن الهجرى (حوالى القرن الرابع عشر الميلادى) •

٥ — ترد فى الفصول الرابع والثلاثين حتى الثامن والثلاثين اختلافات بارزة عن الفصول السابقة من حيث الموضوعات التى تتناولها والمصطلحات التى تستخدمها • فمحور الحديث هنا هو الزايرجة والسيمياء مما لا يتفق وتصور البونى لموضوعات السحر الاساسية • ثم لا تظهر هنا واضحة الاسس السحرية « العلمية » التى نعرفها عند البونى • هذا علاوة على طائفة أخرى من الشواهد التى تدعم هذا الرأى ، ونورد بعضا منها فيما يلى :

(أ) تظهر فى هذه الفصول لاول مرة كلمة « أس » التى لم نصادفها منذ أول الكتاب •

(ب) يشير مؤلف هذه الاجزاء الى انتقادات أهل القرنين الثامن والتاسع الهجريين (الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين) للسحر والمشتغلين به ، والى ضعف شأنهم وهبوط منزلتهم الاجتماعية • ويتضح من مضمون هذه الفقرة أنها قد كتبت فى القرن العاشر الميلادى • وسأورد فيما يلى نصها لما لها من أهمية كدليل على تاريخ تأليف الفصل ولما تلقيه — علاوة على هذا — من ضوء على مكانة السحرة فى المجتمع وتقييم معاصريهم لهم : — (واعلم ان أهل القرن الثامن والتاسع وما بعدهما ينكرون العلوم كلها • (المقصود هنا العلوم السحرية أى السحر) ويدعون أن أهلها فقدت ، وأن أحدهم لو طلب من يرشده اليها لوجدوا أن الله تعالى وكل ملائكة العلوم الخفية مثل علم الصنعة الالهية . وعلم الحرف وعلم السيميا • وقالوا فقدت أهلها وهى موضوعة فى الكتب وان العلماء ما وضعوا هذه الكتب عبثا ووضعوا فيها أسرارا خفية • وفضل هذا العلم يظهر بالملازمة على الطاعات وتكرير العمل والتلاوة وأكل الحلال والقطع بالاجابة)• (شمس المعارف ، الجزء الثالث ص ٣٥٨ • ونلاحظ خصائص الاسلوب المميز لهذا النوع من الكتابات ، وخاصة — الثغرات الكثيرة التى يحفل بها ، ولكنها واضحة من السياق) •

(ج) لاول مرة يطلق فى هذه الفصول أسم « عون » على الملائكة أو الارواح الخادمة (التى يستعين بها الساحر فى أداء عمله) ، بدلا من المسميات التى ألفناها فى الاجزاء السابقة من الكتاب مثل : « خادم » و « روحانى » و « ملاك » أو (ملك) •

(د) لاول مرة يطلق هنا على التوراة اسم « التوراة العتيقة » •

(هـ) بدلا من الكلام — فى الاجزاء السابقة — عن الثوم ، نجد المؤلف يطلب هنا صراحة « رأس ثوم » ؛ وهو تعبير عامى مصرى حديث ، ليس مألوفا على أى حال فى الكتابات السحرية القديمة • كما نجد صيغة الجمع من اسم لاول مرة « أسامى » وليس « أسماء » كما تعودنا فيما سبق وهو فى رأينا تأثير عامى واضح • والملفت هنا أن الميدان كله يتركز

حول الاسماء أساسا • وقد سبق أن ذكرت كلمة « أسماء » عدة آلاف من المرات على طول الكتاب •

(و) نجد أن أحد أجزاء هذا الفصل — وهو عبارة عن صفحة واحدة — بمثابة مقدمة لفصل عن علم الصفة الالهية • فاذا طالعناه وجدناه مقدمة متكاملة لابد وأن تكون بقلم مؤلف آخر • ومن الراجح أن هذا الفصل كان فى البداية رسالة مستقلة قائمة بذاتها تم الحاقها بالكتاب كما هى — بمقدمتها — فى تاريخ لاحق • وليس هذا الامر بالغريب أو النادر بالنسبة لهذا النوع من المؤلفات • فكل كتاب يظهر ومعه — فى الذيل — بعض الرسائل الصغيرة لمؤلفين آخرين وتدور حول موضوعات قريبة (فكتاب شمس المعارف الذى بين أيدينا ملحق به : « رسالة ميزان العدل فى مقاصد أحكام الرمل • ورسالة فواتح الرغائب فى خصوصيات أوقات الكواكب • ورسالة زهر المروج فى دلائل البروج • ورسالة لطائف الاشارة فى خصائص الكواكب السيارة تأليف العلامة الفاضل السيد عبد القادر الحسينى الادهمى » ويبلغ حجمها أربعين صفحة) • وبين يدى طبعتان من الطبعات الكثيرة لشمس المعارف ، ترجع أولاهما الى حوالى عام ١٩٠٠ والثانية الى حوالى ١٩٥٥ • فنجد فى الطبعة الاولى أن هذه الرسائل تحمل ترقيم صفحات مستقل عن الكتاب ، بينما نجدها فى الطبعة الحديثة مدمجة فى ترقيم الكتاب نفسه • وبوسعنا أن نتصور أن مثل هذا الوضع قد تكرر فى الماضى أكثر من مرة ، بحيث تحولت كثير من الرسائل المستقلة التى كانت ملحقة بالكتاب بهذه الطريقة الى أجزاء منه متكاملة معه تكاملا تاما ، لا تحمل ترقيما مسلسلا من الصفحات فحسب بل دخلت كذلك فى ترقيم الفصول •

(ز) لاول مرة فى هذا الفصل يطلق على أحد الاولياء الصالحين اسم « فيلسوف من الواصلين » •

(ح) لاول مرة يستخدم فى هذا الفصل اسم « سورى » بدلا من التسمية الكلاسيكية « شامى » التى تنتمى الى ذلك العصر فعلا •

(ط) يحكى مؤلف هذا الفصل حكاية يبدأها بقوله : « قال أحد المغاربة » •• ومن غير المعقول والبونى واحد من المغاربة أن يصوغ العبارة على هذا النحو •

٦ ـ أما الشواهد التالية فتثبت أن الفصل التاسع والثلاثين من الكتاب قد ألف فى عصر لاحق على البونى :

(أ) يتناول هذا الفصل الاسماء الحسنى التسعة والتسعين بنفس الطريقة التى سبق أن عولجت بها فى فصول أخرى •

(ب) يدلنا أحد المواضع على عمر هذا الفصل على وجه الدقه ، أو على الاقل على وقت تعديله بواسطة مؤلف آخر أدخل عليه تغييرات أساسية • ونعتقد أن هذه الفقرة لم تحذف من الطبعات الحديثة ، لان دلالتها التاريخية لا تتضح الا بعد تأمل وفحص دقيقين • لذلك لم يفطن اليها الناشر الحديث ويعتبرها اضافة الى الفصل ، هذا اذا كانت أصلا اضافة وليست معيارا يدلنا على تاريخ تأليف الفصل • تقول هذه الفقرة : « فائدة لو شدت لها الرحال لم تسمح بها الرجال • وقد سمحت بها وبغيرها فى هذا الكتاب • وهى أن لله تعالى تسعة وتسعين اسما يتجلى فى كل سنة باسم منها • فعلى هذا يكون للاسماء تسعمائة وتسعون من الهجرة النبوية بتسعمائة وتسعين دورا (يقصد أن كلا من الاسماء التسعة والتسعين يكون قد ظهر عشر مرات حتى عام ٩٩٠ هـ) والفاضل من الالف عشرة الى تاريخ سنة اثنان وخمسون سنة (أى عام ١٠٥٢ هـ) فتعد من الاسماء الحسنى الى المميت فيكون هو تمام ذلك وتكون سنة ٥٣ القابلة (أى عام ١٠٥٣ هـ) يتجلى باسمه الحى وهلم جرا • (شمس المعارف ، الجزء الرابع ص ٥١٠) •

٧ ـ كذلك الحال بالنسبة للفصل الاربعين ، الذى لا يمكن اعتباره من تأليف البونى للأسباب الآتية :

(أ) أنه يتناول كالفصل السابق عليه علم الحروف ، مما يؤكد أنه

كان فى الاصل رسالة مستقلة ثم ألحقت بالكتاب على نحو ما فصلنا القول آنفا •

(ب) ترد فى هذا الفصل أنواع من البخور لاول مرة فى الكتاب كالعنبر والند •

(جـ) كما تظهر فى هذا الفصل تعبيرات جديدة وفريدة مثل « شجرة الذنب » (ويقصد شجرة الكروم) (ص ٥٢٧) •

رابعا ــ العناصر الصوفية فى فكر البونى وأسلوبه :

أشرنا من قبل الى أن أسلوب المؤلفات المنسوبة للبونى ــ بغض النظر عن الفصول التى أشرنا اليها وعن الاضافات الحديثة جدا ــ يتميز بالتجانس والطابع الخاص المتميز • ولعل الاقتباسات القليلة التى أوردناها تعطينا فكرة عنه • وأبرز ما يميز هذا الاسلوب العناصر الصوفية الواضحة التى أثرت ولا شك أكبر تأثير على أفكار البونى ومن تبعه وسار على نهجه من السحرة •

فيشير البونى الى كثير من المفاهيم والممارسات الصوفية : « كالرياضة » ، و « الخلوة » ، و (القاصد) ، و (الواصل) ، و « السالك » ، و « السائر » ، و (التجلى) •• الخ • وهو يعتبر كثيرا من الشروط الصوفية شروطا فى نفس الوقت لممارسة السحر بالاسماء الالهية مثل : الصوم عن الطعام أو عن ألوان معينة منه ، وكذلك الامساك عن النوم فترة معينة •• الخ • وتدل عناوين بعض مؤلفاته (أو المنسوبة اليه) على تأثيرات مباشرة من ميدان التصوف (ويمكن للقارىء أن يرجع الى قوائم حصر المؤلفات المنسوبة اليه عند حاجى خليفة فى كشف الظنون وعند كارل بروكلمان فى تاريخ الادب العربى) • فالبونى يميز تمييزا صارما ودقيقا بين عالمين مختلفين : عالم علمانى غير طاهر وآخر طاهر مقدس • ولكى ينتقل الانسان من أولهما الى الثانى لابد له من الوفاء بكثير من الشروط • هذا الى جانب أننا نلاحظ فى كثير من المواضع أنه لايخاطب

القارىء العادى ، وانما المتصوف أساسا • من هذا مثلا أن يعد القارىء بفضيلة الوصول الى درجة « الابدال » (وهى درجة صوفية رفيعة) جزاء له على الدعاء باسم معين من أسماء الله •

خامسا ــ العناصر الدينية فى مؤلفاته :

على أن هذه المؤلفات لم تتأثر بالفكر الصوفى فحسب ، انما بالتراث الدينى بصفة عامة • وليس فى هذا شىء غريب أو شاذ، فالعمل كله والكلام عن أسماء الله أساسا ومن الطبيعى أن تمتد اليه تأثيرات من مجال الدين الرسمى • فتقابل فى مواضع كثيرة عديدا من آيات القرآن ، والدعوات الشائعة فى الكتب الدينية الرسمية • والاكثر من هذا الروايات الخاصة بصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه • وكان الهدف من سرد هذه الروايات دائما تأييد وتدعيم فعالية الوصفة السحرية المعروضة •

سادسا ــ الحرص على الغموض والابهام :

ومن قواعد السحر الرسمى عند البونى عرض الافكار والاسرار بأقصى قدر ممكن من الغموض والكلمات الغريبة غير المفهومة • فهو يسعى عامدا الى جعل نفسه غير مفهوم • ولم يكن يعنيه اطلاقا أن يكون للكلمة السحرية معنى جليا واضحا ، بل ان الكلمة تكون أكثر فعالية وأقوى تأثيرا كلما كانت غريبة الاصل عديمة المعنى ، بحيث اننا نجد كتب السحر الرسمى تفضل استخدام كلمات أعجمية غير مفهومة • ويعبر البونى عن ذلك فى أحد المواضع قائلا : « •• وكذلك سنتهم فى علم الصنعة أعنى الحكمة الالهية فانهم يذكرون فى مصنفاتهم فيها آخر التدبير قبل أوله وأوله فى آخره ويذكرون الحجر بأسماء ليست له ويذكرونه باسمه المطابق له فى غير موضع الاحتياج اليه وينفونه تارة ويثبتونه أخرى ويأمرون بأخذه وينهون عنه وكل ذلك تمويه على الجهال والعوام • والحكيم الفيلسوف لا يتوقف عند ذكر شىء من ذلك بل يتأمل فيما فيه الكون • أى الذى يحصل فيه النتيجة التى يرونها ويتأمل ما فيه الفساد أعنى الاشياء

المتضادة للكون • وليس غرضنا من هذا الكلام فى هـذا المحـل الا أنهم يموهون فى جميع كتبهم لغير الحكيم • ومدار ذلك وقصدهم أن لا يطلع على علومهم الا حكيم • فافهموا أغراض الحكماء ومقاصدهم وما يرونه من الرموز » • (منبع أصول الحكمة للبونى ، ص ٩) •

لهذا تحتشد الكتب المنسوبة للبونى بعـدد لا حصر له من الكلمات الغامضة • وقد ازداد بمرور الزمن الشغف بهـذا المنهج أعنى وضـع وتركيب كلمات جديدة غير مفهومة • بحيث يزداد عدد هذه الكلمات كلما كان المؤلف أحدث • وكثيرا ما توصف بعض هذه الكلمات الغامضة المؤلفة بأنها عبرية أو سوريانية • ذلك أن العنصر السحرى ــ سواء كان الكلمة المنطوقة أو المكتوبة أو الساحر نفسه ــ يكون أكثر فعالية كلما كان غريبا ومنتميا الى خارج المجتمع • فيعتقد فى المشرق العربى أن الساحر القادر البارع يأتى عادة من المغرب ، أو من السودان • ويعتقد فى المغرب العربى أن الساحر المقتدر يأتى عادة من الطرق أو غيره من بلاد المشرق العربى وهكذا • وكم سمعنا عن حكايات الاولياء الذين لاقوا التقديس والاجلال فى البلاد التى هاجروا اليها ، بعد الانكار والاهمال فى مواطنهم الاصلية وهكذا • فالمعتقد الشعبى بصفة عامة شغوف بالغريب وغير المحلى لغة كان أو انسانا •

ومن المهم فى هذا الصدد أيضا أن نعود فنتذكر الحقيقة التى سبق أن أثبتناها من قبل ، وهى أن المؤلفات المنسوبة للبونى ليست من تأليف شخص واحد •

سابعا ــ اثر عمليات النسخ المتكررة :

وقد أدت كثرة المواضع الغامضة غير المفهومة ونسخ هذه المؤلفات على طول هذا الزمن بواسطة نساخ لا يحظون الا بمستوى ثقـافى دون المتوسط ، أدى كل هذا الى الخلط فى كثير من الاسماء سواء كانت أسماء الهية أو أسماء أرواح وفى الصيغ السحرية • بحيث نجـدها تحرف أو

تطمس طمسا كاملا • وقد عالج العالم الالمانى هانز فينكلر أحد مظاهر هذه المشكلة فى استعراضه للصيغة السحرية العبرية «آهيا شراهيا أدوناى أصباؤوت آل شداى ••» فى كتابه : « الاختام والاشكال فى السحر الاسلامى » الصادر عام ١٩٣٠ (٥) •

وقد ترتب على انخفاض مستوى ثقافة واضعى المؤلفات المنسوبة للبونى أن حفلت تلك المؤلفات بالعديد من الاخطاء والقصور فى فهم المصطلح الدينى أو التعبير عنه • فها هو البونى يصف كتابه بعبارة لا تجوز الا فى حق القرآن الكريم فقط ، اذ يقول : « هذا كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » (سورة فصلت الآية ٤٢) •

ويشيع فى مختلف أجزاء الكتاب استخدام كلمات من العامية المصرية • ولو أننا نلاحظ هذه الظاهرة فى نفس الفترة فى بعض المؤلفات فى أنواع أخرى من ميادين التأليف • ويصدق نفس القول على الميل الى السجع وغيره من المحسنات البديعية التى تنتمى الى تراث كتاب ذلك العصر وما تلاه من عصور •

وصفوة القول أن مؤلفات البونى كانت ، ولا تزال ، تمثل العمدة الاساسية لكل مسلم مشتغل بالسحر داخل حدود البلاد المصرية على أى حال • ثم هى جزء أساسى لا غناء عنه لكل مشتغل بتأليف صيغ سحرية • وقد نسخت من هذه المؤلفات — فى القاهرة وغيرها من العواصم العربية — طبعات لا حصر لها • وتتراوح هذه الطبعات بين كتيبات صغيرة ، ومجلدات تضم مئات الصفحات • وهى تحمل أحيانا اسم البونى كمؤلف لها وأحيانا أخرى اسما آخر ، وأحيانا ثالثة لا تحمل اسم أى مؤلف على الاطلاق • ومن اليسير أن نحدد الاصل البونى والمواضع المنقولة عنه •

---

(5) Winkler; Hans; Siegel und Charaktere in der muhammedanischen Zauberei; Berlin; 1930.

ويحدث أحيانا أن يغالى الناشرون فى هذا الاتجاه بحيث لا نعــود قادرين على تبين الطابع النظرى للبونى ، اذ تنسخ من مؤلفات البــونى كتب لا تخدم سوى الاستخدام العملى فقط ، والمثال النموذجى على هذه الفئة من المنسوخات مخطوطة : « شرح أسماء الله الحسنى » ، فهى واحد من تلك الكتب التى يقتنيها الســاحر الرسمى العــادى ، وينقلون منها أحجبتهم ووصفاتهم ، فهى بهذا تمثل قنطرة حقيقية بين ميدانى السحر الرسمى الخالص والسحر الشعبى الخالص ، وان كانت أقرب انتماء الى السحر الرسمى بالمفهوم الذى سنزيده تحديدا فى الفصل التالى .

الفصل الثانى

السحر الرسمي والسحر الشعبى

كان من أبرز نتائج دراستنا للسحر الاسلامى المصرى ، سواء فى مصادره القديمة (التى ترجع الى العصور الوسطى الاسلامية ، وبعدها) أو فى الممارســات الحية فى الواقع المصرى الحديث ، كان من أبرز تلك النتائج توضيح الفرق بين السحر الرسمي والسحر الشعبى بدرجة كافية . وهو فارق لم يعد من اليسير تبينه اليوم بفضل ما طرأ من تطور على هذا الميدان من المعتقدات . ويستحيل كلية ادراكه من واقع الدراسة المكتبية النظرية وحدها .

تبرهن لنــا على ذلك الحقيقة البسيطة التى مؤداها أن أحدا من الدارسين السابقين لم يدركه حتى الآن وأبرز من تجب الاشارة اليهم فى هذا المجال الانجليزى وليم لين(1) والفرنسى دوتيه(2) فقد غفل كلاهما

---

(1) نذكر من مؤلفاته العديدة :

----- E.W. Lane; An account of the manners and cutoms of the Modern Egyptians; London; 1836.

----- ——————— : Arabian Society in the Middle Ages; London: 1883.

(2) Edmond Doutte; Magie et Religion dans l' Afrique du Nord; Alger; 1909.

وهو مؤلف عظيم الاهمية من حيث استطاعته لاول مرة الاقتــراب من كثير من دقائق المعتقدات الشعبية الاسلامية وخاصة السحرية منها . وعلى ما فى كتابه من نقائص ــ بفضل تاريخه القديم والحدود المفروضة على قدراته كأجنبى يدرس جانبا دقيقا من حياة الشعب ــ فانها لا يمكن أن تجعلنا نقلل من شأن هذا الكتاب الممتاز الذى أخرجه دوتيه . فقد تناول فيه لاول مرة حشدا هائلا من المادة الجديدة ، كما نجح فى معالجة عدد كبير من المسائل معالجــة ممتازة ، يكفى أن نشير فى هذا الصدد الى الفصل الخامس من كتابه وعنوانه (الاغراض العملية للسحر) .

مع الاسف عن ادراك ذلك الفرق ، الذى كان ولايزال واضحا بينا ــ أيام أن أجريا دراساتهما ــ بين السحر الرسمي والسحر الشعبى • فلم يتخذ وليم لين موقفا نقديا من معالجته للتراث الشعبى عموما • أما دوتيه فقد ضلله ان استخدم ــ فى نفس الوقت وعلى مستوى واحد ــ مؤلفات سحرية رسمية خالصة ــ مثل « شمس المعارف الكبرى » للبونى ــ ومؤلفات أخرى رسمية أيضا ولكنها مصطبغة الى حد بعيد بمؤشرات ونتاج رسمى وشعبى واضح ــ مثل « شموس الانوار وكنوز الاسرار الكبرى » لابن الحاج ، الى جانب عناصر سحرية شعبية خالصة ، مما جمعه بنفسه خلال فترة اقامته الطويلة بالجزائر • وكان ان اتخذ موقفا غير متفحص من كل هذا النتاج الشعبى ، بالذات فيما يتعلق بموضوعنا الخاص هنا ، فكان « كله سحر » •

هذا الموقف الخطير الذى اتخذه رائدان كبيران من رواد دراسة التراث الشعبى العربى ــ وخاصة السحرى ــ كان له أكبر الاثر فى عدم انتباه من جاءوا بعدهم ، وكرسوا كل جهودهم لدراسة المعتقدات ــ والسحر بالذات ــ الى هذا الفرق • ونذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر دارسين شهيرين فى هذا الميدان مثل : فينكلر(٣) ، وتسبندن(٤) ، وكريس(٥) ،

---

(3) Hans A. Wimkler; Siegel und Charaktere in der Mohammed anischen Zauberëi; Stdien Zur Geschiohte und Kulture des islamischen orients Heft VII Berlin und Leipzig; 1930.

————— ; Bauern Zwischen Wasser und Wüste; Volkskund Liches aus dem oberagyptischen Dorf «Kiman»; Stuttgart: 1934.

————— ; Agyptische Volkskunde; Stuttgart; 1939.

————— ; Die reitenden Geister der Toten; 1936.

وترجمة هذه العناوين :

١ ــ الاشكال والخواتم فى السحر الاسلامى . المجلد السابع من سلسلة دراسات تاريخ وثقافة الشرق الاسلامى .

٢ ــ فلاحون بين الماء والصحراء (دراسة مونوجرافية لقرية الكيمان بمحافظة قنا) .

=

فقد انطلقوا بصفة عامة من نظرة لين ودوتيه • شجعهم على ذلك أنه فرق حى ، لا يمكن تبينه من مجرد الدراسة المكتبية النظرية ، ولا يلمسه الا من خبر هؤلاء الناس — أصحاب هذا التراث — عن قرب ، وعايشهم وفهم مكنون نفسهم وفكرهم ، وهذه حسنة كبيرة لمن يدرس تراث بلده ونتاج شعبه •

قد يسأل سائل : ولكن ما هى جدوى تحديد هذا الفرق ، ومعرفته ، وما معنى مراعاته عند تناول مادة سحرية بالدراسة ؟ كما سيتضح من عرضنا أن هناك — علاوة على الاختلاف فى النظرة الى العالم ، وفى الموضوعات الاساسية التى يدور حولها كل من النوعين المذكورين — فروقا واضحة فى أسلوب التناقل أو التوارث ، فروقا يجب الالتفات اليها عند الجمع(٦) ، وعند الدراسة التحليلية على السواء • يرتبط بها كذلك فروق

= ٣ — الفولكلور المصرى .
٤ — أرواح الموتى التى تلبس الناس •

(٤) انظر كتابه : « الجن فى الاسلام » .

Zbinden : Die Djinn des Islam; Bern; 1953.

وهو يقودنا عبر تاريخ الثقافات الشرقية بأجمعها ، يستعرض المعتقدات الشعبية الدائرة حول الجن ، ثم يحاول استعراض اصولها .

(٥) انظر كتابه : « المعتقدات الشعبية فى العالم الاسلامى » .

R. Kriss und Kriss-Heinrich; Volksglaube im Bereich des. Islam; 2 Bde: Wiesbaden; 1960; 1962.

ويتناول فى الجزء الاول « الأحجبة والصيغ السحرية والتعاويذ » . وليس هذا الكتاب الضخم — الذى يجاوز الالف صفحة — سوى تجميع للمؤلفات والمقالات المنشورة من قبل . ولم يحالفه التوفيق فى بعض المواضع . كذلك لا تستطيع الاحجبة ، وطاسات الخضة وغيرها من المواد الجديدة التى نشرها كريس لاول مرة أن تقودنا الى اتجاهات اساسية جديدة لانها ليست مرتبطة ارتباطا عضويا بالكتاب .

انظر كذلك دراسته عن « الخضر » .

R. Kriss; St. Georg — al-Hadr; in : Bayerisches Jahrbuch für Volksknude; München; 1960.

(٦) فيما يختص باصول وعناصر الدراسة الميدانية للسحر الرسمى ، انظر : محمد الجوهرى ، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، دار الكتاب للتوزيع ، ١٩٧٨ .

فى المصادر التى أثرت فى مادة ، وفى شكل كل نوع منهما وهو ما يجب مراعاته عند أى استعراض تاريخى ، أو تفسير وفهم لمضمونه • ثم أخيرا — وجماعا لكل هذا — اختلاف فى خط التطور العام ، وفى الاجابة على السؤال الكبير : الى أين يتجه تراثنا السحرى ؟ •

ولكن لنرجع عن هذه الاسئلة الكبرى ، لنتحقق فى البداية من أمر صغير : هل هناك سحر رسمى وآخر شعبى ؟ ما هى خصائص كل منهما ، وهل هناك نماذج محددة يمكن أن نسوقها ؟ وسنحاول فيما يلى الاجابة على هذه الاسئلة •

السحر الرسمى والسحر الشعبى :

لعل هناك فارقا أوليا — وغير فنى — بين نوعى السحر المشار اليهما : فالرسمى — فى صورة المعروفة التى سنعرض لها — يخاطب فئة محدودة من الناس هم السحرة المحترفون(*) •• « المشايخ » المعرفون لنا جميعا فى — ريف بلدنا وحضرها • أما الشعبى — فى صوره المتميزة عن الاولى — فملك لنا جميعا ، لجدتى ، وأمى ، ولى ولاسرتى الصغيرة ، نحن نعيشه ونمارسه كل يوم •

ولذلك يطالعنا كتاب أساسى فى السحر الرسمى هو « شمس المعارف الكبرى » للبونى على الصفحة الثالثة من المجلد الاول — بعد أن فرغ من ديباجة الكتاب :

(*) أود ان اسلم هنا بأن كلمة « رسمى » قد سببت لى كثيرا من المشكلات واثارت لدى اساتذى وزملائى ممن قرءوا الرسالة او هذا المقال قبل نشره عديدا من التساؤلات . ولم يكن مطروحا كبديل لها سوى « الاحترافى » . حقيقة انها اقرب التسميات الاخرى الى ما نريد ان ندل عليه ، من حيث أن الرسمى « يمارس عادة بواسطة محترفين . ولكن هذه ليست القاعدة ، فليس ضروريا أولا : ان تمثل « الكتابة » أو حرفة الاشتغال بالسحر العمل الرئيسى لمن نحن بصدد الكلام عنه ، ثم أنه ليس من المحتم — ثانيا أن يؤجر على هذا العمل . فقد يكون « ورثه » ويمارسه خدمة ومحبة وودا •• وقد اتضحت لى هذه الامور من الدراسة الميدانية التى درست فيها فى شتاء ١٩٦٥/٦٤ بعض المشتغلين بالسحر فى بعض اقاليم بلادنا وكنت قبلها أميل الى استخدام مصطلح احترافى .

« انه كتاب الاوليـــاء والصالحين الطائعين والمريدين والعاملين الراغبين »(٧) . يرتبط بهذا أوثق الارتباط ويترتب عليه أن يطلب الساحر الرسمي فى مفتتح كتابه أو رســالته أن يضـــن من وصـــلت اليه هـــذه المعلومات ، يضن بها عن الآخرين وألا يبوح بما تحويه من أسرار . ويقول البونى فى الافتتاحية المشار اليها : « .. فحرام على من وقع كتابى هذا فى يده أن يبديه لغير أهله ، أو يبوح به فى غير محله ، فانه ان فعل ذلك حرمه الله تعالى منافعه ومنعت عنه فوائده وبركته . ولاتمسه الا وأنت طاهر ، ولا تقربه الا اذا كنت ذاكرا ، لتفوز منه بما تريد ، ولا تصرفه الا فيما يرضى الله تعالى .. فكن به ضنينا ، ولا تدع منه قليلا ولا كثيرا وليكن يقينك صادقا وايمانك بحقائقه واثقا ... » .

السحر الرسمى اذن يحرص بشدة على أن يبقى على خصوصيته ، وعلى ألا يذيع « سر المهنة » مهددا قارئه أو عميله فى أكثر من موضع — على لسان المؤلف نفسه أو على لسان ملاك أو خادم فى سياق معين — بأن يبطل مفعول هذا التأثير ان هو باح به لاحد(٨) .

فما هى على وجه التحديد معالم كل من هذين النوعين ؛ مع التنبيه مرة أخرى بأن حديثنا — فى مادته — محدود بحدود السحر الاسلامى المصرى وان كانت نتائجه المنهجية يمكن أن تكون بذات بال لمن يعرض فيما بعد بالدراسة العلمية لتراث سحرى فى مجتمع عربى آخر ، حيث قد يكون من الضرورى الانتباه الى فروق من هذا النوع ، أو الى تحديدات أخرى أولية للمادة المتناولة(٩) .

---

(٧) انظر : البونى ، شمس المعارف الكبرى جـ ١ ، ص ٣ .

(٨) انظر على سبيل المثال : شمس المعارف ، جـ ١ ، ص ١٢٩ ، ومنبع اصول الحكمة للبونى ايضا — ص ٢٤١ (نفس النص الســابق مختصرا) . ثم شمس المعارف جـ ١ ص ٦٧ ، ومنبع اصول الحكمة ص ١٨ ، ١٩ .

(٩) فنلاحظ مثلا ان الفرق بين السحر الرسمى والسحر الشعبى اوضح واخطر بالنسبة لبعض بلاد المغرب العربى ، ونقصد بالذات كلا من الجزائر ومراكش (المغرب) . فقد افادتنا بالنسبة للبلد الاول دراسات دوتيه التى أشرنا الى أهمها ، وكشفت لنا دراسة « ليجى » — طبيعة فرنسية اقامت —

بعد هذا يختلف ميدان السحر الرسمى والسحر الشعبى عن بعضهما من النقاط التالية :

١ — النظرة الى العالم (فكرتهما عن العالم) .

٢ — الموضوعات الاساسية التى يدور حولها كل ميدان منهما .

٣ — الشكل الذى يحفظ ويتوارث به كل نوع منهما .

٤ — مصادر التأثير على كل نوع ، أو على الاقل ترتيب أهميتها .

٥ — مدى شدة الحاجة الدافعة الى اللجوء للسحر فى كل منهما .

ونعرض لهذه النقط بشىء من التفصيل فيما يلى :

يعتقد الساحر الرسمى أن الله هو خالق نظام هذا العالم والمسيطر عليه ، وأن هذا النظام لا يخضع لارادة غير ارادته . هو الذى خلق كل شىء . وان كان قد سار فى ذلك وفق بعض الاسس السحرية (العلمية) من هذا مثلا : أنه خلق كل شىء بقوة اسمه هو ، وخلق الاشياء الطيبة فى الوقت الطيب المناسب ، وخلق الاشياء الضارة فى الوقت النحس غير المناسب ، وخلق لكل شىء ملاكا أو روحا أو كل اليه الاشراف عليه .

وتمثل هذه العناصر الاركان الاساسية للعملية السحرية . فالاسم يمثل فى جميع الثقافات التقليدية قوة خاصة . وهو مرتبط بشخصية صاحبه بواسطة قوة روحية . وقد لعبت هذه الخاصية السحرية للاسم — ولازالت تلعب — دورا هاما للغاية فى الحياة الروحية لجميع الشعوب وفى جميع العصور . وهنا أيضا تلعب الاسماء — سواء كانت أسماء الهية أو غير ذلك — الدور الاساسى . ويعتبر ميدان علم الاسماء تتويجا للميادين الاخرى كعلم الحروف ، وعلم الخواتم والاشكال ، والمربعات ، والتنجيم وغير ذلك . فهى تعتبر جميعا ذات أهمية ثانوية بالنسبة لهذا

= عمرها فى المغرب — عن الكثير فى هذا الصدد . فرأينا ان السحر الشعبى — هناك أيضا — متميز بصور وموضوعات وممارسات ومصادر تأثير خاصة .
انظر : Doutté; op. cit; and Legey; Essai de folklore.

« العلم »(١٠) • أما من حيث ارتباط العمل السحرى بوقت معين ، فتتجلى لنا العلاقات القوية المتبادلة بين علم الاسماء وعلم التنجيم • فالساحر يرى أن الاسم الالهى لايمكن أن يستخدم هكذا فى كل وقت من الاوقات • وانما لكل اسم منها وقت خاص به يجب استخدامه فيه • ويتوقف تحديد هذا الوقت على عاملين :

(أ) طبيعة الوقت نفسه ان كان سعيدا أو نحسا •

(ب) طبيعة ومزاج الملاك الموكل بالاسم(١١) •

أما من حيث الملائكة الموكلين فيرى السحر الرسمى أن لكل مخلوق ملاكا موكلا به • ولكل اسم من أسماء الله خادم موكل به ، كما أن هناك خادما لكل آية قرآنية ، وكل حرف من حروف الأبجدية ، بل وكل دعــوة (رقية) •

وليست الملائكة الخدام قاصرة فقط على هذه الاشياء « المقدسة » وانما هناك أيضا خادم لكل يوم من أيام الاسبوع ، ولكل ساعة من ساعات اليوم ، ولكل فصل من فصول السنة ، ولكل نوع من الرياح ، وكل اتجاه من الاتجاهات الاربع •• الخ(١٢) •

ويرى الســاحر الرسمى أن مهمته هى خلق كل شىء وفقا لنفس المبادىء التى اتبعت فى الخلق الالهى بقدر الامكان • والمقصود بكلمة

(١٠) تناولنا هذه النقطة تفصيلا فى الفصل التمهيدى لرسالة الدكتوراة المذكورة ، ص ١ وما بعدها .

(١١) لشرح العلاقة بين التنجيم والاسماء ، انظر :

El-Gawhary; op. cit; p. 12 and p. 176; M. Horten; Die religiose Gedankenwelt des Volkes in heutigen Islam; Lieferung I; Halle; 1917; p. 117 Lieferung 11. Halle; 1918.

هورتن : الفكر الدينى الشعبى فى العالم الاسلامى اليوم ، المجلد الاول ، ١٩١٧ ، والثانى ١٩١٨ .

(١٢) فيما يختص بالملائكة الموكلين بالاسماء ، والخدام السحريين بصفة عامة ، انظر : El-Gawharg; op. cit; p. 198 ff.

« خلق » هنا صنع شيء جديد أو تغيير شيء قائم فعلا . وهو يحاول في هذا الصدد أيضا استخدام نفس الوسائل التي استخدمها الله في خلق العالم . ولذلك لا يمكن أن ينجح له أي عمل دون اذن وتفويض من الله . ونلاحظ أن السحرة الرسميين يؤكدون هذا في كل مناسبة ، وعند تقديم أي وصفة سحرية . ولا يمكن أن تتحقق فاعلية أي من الوسائل التي أشرنا اليها : أسماء الله واختيار الوقت المناسب ، الحروف ... الخ الا من خلال القوة التي يضفيها الله عليها ، ومن خلال مساعدة خدامها من الارواح الذين هم خلق الله تعالى .

ولعله من المفيد لتوضيح ذلك أن نورد نصا من كتاب شمس المعارف للبوني : يقول في بداية حديثه عن شرح الاسماء الحسنى : « ... أعلم أن اسمه تعالى الله هو اسم الله الاعظم ، وهو من الاذكار المفردة العظيمة . فمن ذكره ٦٦ مرة بعد صلاة ركعتين في جوف الليل بعد صوم ورياضة طويلة فانه ينزل عليه سيد الروحانيين الملك كهيال عليه السلام وهو من الملائكة التي تجاه العرش وهو حاكم على ٦٦ صفا من الملائكة وتحت كرامته أربع قواد تحت يد كل ٦٦ ملكا فاذا ذكره الذاكر عدده في خلوته فان الخادم يحضر ويخر ساجدا لله تعالى . ويقول في سجوده أسماء عظيمة سريعة الايجابة وهي اللهم أني أسألك بالله .. أسألك بأحديتك وصمديتك ونعوت ربوبيتك أن عبدا من عبيدك قد شاركنا التسبيح والتقديس الأمر أمرك فان أمرتنا بالنزول اليه فبارادتك . فيقول الله تعالى انزلوا اليه واقضوا حاجته فانه دعا باسمي الأعظم . فينزل ومن معه الى الذاكر ، ويقول : أيها العبد الصالح ... »(١٣) .

(١٣) انظر : احمد البوني ، شمس المعارف الكبرى ، حـ ٣ ، ص ٢٧٠ وما بعدها . وقد تناولنا هذا النص بالتحليل المستفيض لمكوناته ودلالتها المختلفة من واقع التراث السحري الرسمي مثل : معنى اسم هذا الملاك ، ودلالة الارقام التي وردت في النص ، والتسلسل الامثل لسير العملية السحرية ، والشروط التي يفرضها الملاك الموكل بالاسم ، وغيرها من الشروط الواجبة التحقيق قبل أن يصبح الملاك تحت تصرف الساحر يأتمر بأمره ويقضي له حاجته . انظر :

Moh-El-Gawhary; op. cit; pp. 201-211.

يترتب على هذا منطقياأن اتباع الطرق والأساليب الواردة والمفصلة فى كتب السحر المختلفة عند تقديم وصفة سحرية معينة لا بد أن يقـود حتما الى النتيجة المطلوبة • ولكن ماذا لو تأخرت النتيجـة أو احتجب التأثير المنشود تماما ؟ تفسير ذلك عند الساحر الرسمى : فالخطأ طبعا راجع الى شخص الساحر المنفذ وليس كامنا فى طبيعة التكنيك المستخدم أو راجعا الى قصور فى قوة الاسم الالهى أو غيره من عناصر العملية السحرية • ولذلك يقول البونى : « •••• وان لم تحصل الاجابة فمن تقصيرك فان هذا الدعاء لا يخيب من دعا به موقنا مخلصا أكالا للحلال صواما قواما صاحب صلاة ورياضة وصدق نية • وقد قال رسـول الله صلى الله عليه وسلم فمن يدعوا والمطعم حرام والمشرب حرام والملبس حرام أنى يستجاب له • فعليك بالحلال يستجيب لك لأنه دعاء الأولياء والأصفياء »(١٤) •

أما بالنسبة للساحر الشعبى ــ ان جاز هـذا التعبير ــ فالفـكرة أبسط من هذا بكثير • حقيقة أنه يسلم ــ كمسلم ــ بأن كل شىء فى هذا العالم يخضع لارادة الله • ولكنه يعتقد مع ذلك أن كل خير أو شر يمكن أن يصيب الانسان يرجع الى علاقة بين الانسـان الفرد والجن • ولذلك ليس « علم » السحر الشعبى سوى كيفية تسخير واستغلال الجن للحيلولة دون وقوع شىء ضار أو لعمل ما من شأنه الاضرار بأحد • واذا ما تتبعنا تصور المستخدم للسحر الشعبى أكثر من هذا لاتضح لنا أنه يتجاوز عتبة الوثنية ، ويدخل فى تناقض مع المبادىء الاساسية للدين الاسلامى (١٥) •

من هذا يتضح لنا مدى الاختلاف فى النظرة الى العالم بين نوعى

---

(١٤) البونى ، شمس المعارف ، جـ ١ ، ص ١٠٧ .

(١٥) وقد بدت هذه النقطة بجلاء من استعراض لشبندن Zbinden للمعتقدات الشعبية الدائرة حول الجن والعفاريت فى مؤلفه المشار اليه ، فى مواضع متفرقة .

السحر غير أننا سوف نرى فيما بعد كيف أن هذه الهوة آخذة فى التضاؤل بمرور الايام .

أما من حيث الموضوعات الاساسية التى يدور حولها كل ميدان منهما ، فنجد أن السحر الرسمى يدور أساسا حول الدراسة التقليدية والبحث فى الله وعرشه ، وخدمه ، وما يرضيه وما يغضبه .. الخ . وكذلك الملائكة ، والجن والخصائص السحرية للحروف والاعداد وأسماء الله والنباتات والحيوانات .. الخ . ثم تأتى فى مرتبة تالية على هذا التعاليم الخاصة باستخدام هذه العناصر السحرية ، وطرق نقل هذه الاسرار الى الاجيال التالية والمحافظة عليها . ثم تلى ذلك الاغراض التى يمكن استخدام هذه العناصر السحرية فيها .

على أننا نؤكد أن الانتفاع العملى يخضع لدرجة تدين الساحر ، وما بلغه من تقدم فى مراتب التصوف والاخذ بأساليبه الصعبة ، التى تسعى الى تخليص جسده وروحه من كل شرك أو فساد أو ظلم . معنى هذا أنه لايستطيع هكذا دفعة واحدة تحقيق التأثير السحرى المطلوب ، بل لابد له أن يتوصل الى ذلك على مراحل ، حتى يصل فى النهاية الى أن « يخضع الله له كل المخلوقات »(١٦) .

أما السحر الشعبى فيدور أساسا حول الممارسة العملية . ولا تحتل العناصر النظرية — التى كانت تشغل مكانة بارزة فى السحر الرسمى — سوى مرتبة ثانوية فقط . ونجد بعض الموضوعات التى كانت تعالج فى السحر الرسمى بمنتهى العناية والاسهاب ، لا تتمتع هنا الا بأهمية ضئيلة والعكس بالعكس . ولذلك كان من أبرز الظواهر المصاحبة لتدهور السحر الرسمى فى العصر الحاضر — بعد أن فقد موارده من السحرة الرسميين المتخصصين وأتى العصر الحديث على كثير من مكانته السابقة ،

---

(١٦) انظر : البونى ، شمس المعارف ، جـ ٣ ، ص ٢٩٥ .

وفقد بذلك طابعه « الاكاديمى » الذي أشرنا الى طرف منه — كان من أبرز تلك الظواهر التي طوعت الكتب السحرية الرسمية لمتطلبات الشعب ، ومفاهيم السحر عنده — فهو لايحتاج الا الى وصفات لمواقف معينة • فكان أن أصبحت كتب السحر اليوم لا تعدو مجموعة كبيرة من الوصفات التى يلجأ اليها الساحر المحترف لاجابة طلبات عملائه • وتزود هذه الكتب الجديدة — أو القديمة المعاد طبعها — بفهارس مفصلة تقتصر عادة على سرد الاغراض التى يمكن أن تستخدم فيها هذه الوصفات • ولم يعد على الساحر المحترف — عندما يأتيه العميل — الا أن يقلب صفحات فهرس الكتاب الذي يستعمله ليفتح مباشرة على الوصفة التى ينقلها للعميل كما سنرى تفصيلا فى الفقرة التالية من هذا الفصل(١٧) •

ويرجع هذا الفرق فى الموضوعات الاساسية بين ميدانى السحر الى وجه الاختلاف الثالث الذى أشرنا اليه • اذ لما كان السحر الرسمى أساسا تراثا مكتوبا ، لا يتناقل ولا يحفظ الا مدونا ، نجده أكثر تأثرا بالتراث الحضارى المكتوب عادة • وتأتى فى مقدمة هذه الكتب : تلك المؤلفات التى نقلت الى العربية من اللغتين العبرية والسوريانية ، وتحتوى هذه الكتب — بشكل واضح كل الوضوح — الى جانب العناصر العبرية والسوريانية على عناصر بابلية ، وآشورية ، واغريقية • ومن المؤلفات ذات التأثير الهام فى هذا الصدد أيضا : الكتب العربية فى فجر الاسلام •

أما السحر الشعبى فيقوم أساسا على المعتقد المحفوظ فى صدور الناس ، وعلى الخبرات المكتسبة ، التى يتم تواترها وحفظها شفاهة فى المقام الاول • مثل : الحسد وما يدور حوله من معتقــدات وممارسات ، والتفاؤل والتشاؤم من الاسماء كالتفاؤل بكلمة أخضر والعزوف عن ذكر

---

(١٧) انظر : El-Gawhary; op. cit; pp. 116-117.
كما اتضحت هذه النقطة فى الدراسة الميدانية التى اشرنا اليها لمجموعة من سحرة الصعيد ووجه بحرى ، انظر الفصل الاخير من هذا الكتاب .

أسماء الامراض الخطيرة كالسرطان أو غيره ، وذلك ايمانا بالقوة السحرية للاسم • فذكر الاسم استحضار لمضمونه واتصال بهذا المضمون •• الخ • وكذلك عفريت الليل وما يسجله المعتقد الشفاهى عنه من قصص وحكايات، وسنعرض له بشىء من التفصيل فيما يلى) • ولهذا نرى هذا الميدان أكثر تأثرا بالتراث الشفاهى المتواتر فى المجتمع المصرى • وأبرز عناصر هذا التراث : البقايا المصرية القديمة ، والمسيحية القديمة ، والاسلامية الاولى التى نقلت الى مصر على يد القبائل التى هاجرت اليها بعد الفتح العربى • وقد استوطنت هذه القبـائل فيما بعد بعض أقاليم مصر ، فقربت الى المصريين من خلال ذلك التراث العربى القديم والاسلامى الاول(١٨) •

علينا بعد ذلك أن نذكر بكلمة سريعة اختلاف مدى حاجة الشخص الممارس (العميل) فى كل نوع من نوعى السحر • ذكرنا أن السـحر الشعبى يعتمد على خبرة عامة غير عميقة الاسس • ويمارس السـحر الشعبى من قبل كل فرد فى المجتمع فى كل مناسبة من المناسبات • أما السحر الرسمى فيقوم على معارف متخصصة ذات أساس « علمى » • ولا يذهب الشخص للساحر الرسمى الا اذا كان السحر الشعبى قـد أخفق فى تحقيق النجاح المطلوب ، أو اذا قدر صاحب الحاجة بادى ذى بدء أن الهدف المنشود عظيم الاهمية بحيث أن الخبرات الضعيفة المحدودة للسحر الشعبى لن تيسر الوصول اليه • ونذكر كمثال للحالة الاولى السيدة التى تريد انجاب أطفال • فهى تسعى فى أول الامر الى أن تعالج نفسها وزوجها بواسطة الطرق المعروفة • وهى تستعين فى ذلك بخبرات الاقارب والجارات فاذا ما أخفق كل هذا لجأت الى الساحر الرسمى • وبذلك يبدأ السحر الرسمى • ثم نذكر كمثال للحالة الثانية الرجل الذى يريد القضاء

---

(١٨) مصادر التراث السحر المصرى من اهم — واطرف — قضايا دراسة المعتقدات الشعبية المصرية ، ولن يتسع المجال هنا للافاضة فى توثيق هذه المؤثرات نذلك مكانه بحث مستقل يعتزم كاتب هذه السـطور تقـديمه حول « مصادر التراث السحرى فى مصر » .

على جاره لاى سبب من الاسباب — وهو غرض وارد بكثرة فى كتب السحر — فهو يرى منذ البداية أن خبراته أضعف من تحقيق هذه الرغبة . ولذلك يتجه الى الساحر الرسمى مباشرة[١٩] .

مثـــال :

نود أن نسوق المثال التالى لزيادة توضيح الفرق بين السحر الرسمى والسحر الشعبى ، ونريد أن نمس بهذه المناسبة بابا هاما وكبيرا من أبواب السحر الشعبى ، وأعنى « عفريت الليل » . فهو يفسر فى رأى المعتقد الشعبى :

(أ) على أنه روح ميت . فاذا مات انسان فى حادث نشأ « من دمه » عفريت[٢٠] .

وتتخذ هذه العفاريت عادة أشكالا معينة . كما أنها تظهر فى أماكن معينة . وتستطيع أرواح الموتى أن تدخل فى الحياة متخذة صورة عفريت ، وذلك لتأدية مهمة معينة . من هذا مثلا أن تظهر روح ولى فى صورة حيوان رهيب لمعاقبة من حقر من شأن الولى أو أهان ضريحه[٢١] .

(ب) كما قد يفسر على أنه جن ، وهذه اما أن تكون جان طيبة أو جان شريرة . وتتخذ الجان الطيبة أحيانا هيئة الثعبان أو القطة .. الخ وتكون مهمتها غالبا حماية مكان معين أو الحرص على معاملة الانسان للارواح السفلية معاملة طيبة[٢٢] . أما مهمة الجان الشريرة فهى الحاق الضرر

---

(١٩) هذه المعلومات مستخلصة من دراستنا الميدانية المشار اليها . انظر الفصل الاخير من هذا الكتاب .

(20) See Winkler; Totengeister....; p. g; ders. Agyptische Volkskunde: pp. 229 ff; ders. Bauern Zwishen; pp. 49 ff.

(21) Winkelr; Totengeister; p. 39.

وشواهد أخرى عن تسبندن .
Zbinden: op. cit; pp. 5 ff.

(22) Zbinden; op. cit; pp. 3 ff. وخاصة صفحة ٥ .

بالانسان والحيوان(٢٣) •

(جـ) وقد تفسر عفاريت الليل على أنها أرواح مختلفة ، لها شروط معينة لم تتحقق ، من هذا مثلا روح أحد التوائم التى تظل تحوم فى المنطقة على هيئة قطة حتى يعطى لهذا الطفل لبن ناقة ليشربه(٢٤) •

وتتخذ هذه العفاريت عادة أشكالا مختلفة وتسكن غالبا تحت الارض، وفى النار ، وفى الآبار ، وفى الخرائب ، وفى المراحيض والافران ، وفى المقابر • وبصفة عامة فى الاماكن المظلمة والصحراء التى تحيط بكثير من قرى الصعيد(٢٥) •

ويتضمن المعتقد الشعبى تفاصيل دقيقة عن أصول التعامل مع هذه العفاريت الامر الذى لا نستطيع أن نعرض له فى هذا المقام • وبينما يحتل هذا الموضوع مكانة بارزة فى السحر الشعبى ، نجده يكاد لا يذكر فى كتب السحر الرسمى البحت • وهو لا يرد فى مؤلفات البونى الا فى موضع واحد فى كتاب شمس العفاريت الكبرى ، حيث يقول : حكى الاوزاعى رحمه الله تعالى ، قال تخيل لى خيال فى الليل ، فجزعت منه فقلت باسم الله الرحمن الرحيم ، فقال لى : لقد استعذت بعظيم وانصرف عنى(٢٦) •

ملحوظة ختامية :

نعرض فى النهاية على عجل لعلاقة التفاعل بين هذين النوعين من السحر • فكل شىء فى هذا المجال خاضع للتغير • فازدادت بمرور الوقت صعوبة تبين الخصائص المميزة لكل نوع منهما • وأخذت حدودهما تتلاحم، بل وتتداخل فى بعضها •

---

(٢٣) أنظر امثلة لذلك عند تسبندن ، المرجع السابق ، ص ٧ •
(٢٤) أنظر ، فينكلر ، أرواح الموتى . . . ، ص ٧ •
(٢٥) أنظر تسبندن ، المرجع السابق ، ص ٣ وما بعدها •
(٢٦) أحمد البونى ، شمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ١٨٧ •

ويجب ألا ننسى فى هذا الصدد أن حملة السحر الرسمى هم أبناء هذا المجتمع ، ولدوا فيه وعاشوا فى اطاره • فهم أنفسهم همزة وصل بين نوعى السحر • اذ يأخذون من السحر الرسمى خبرات ومعارف ينقلونها للشعب أثرت فى السحر الشعبى تأثيرا قويا • وهم بالعكس أيضا ينقلون عن السحر الشعبى الشىء الكثير الذى يثرون به مؤلفاتهم ووصفاتهم فى السحر الرسمى •

ثم هناك عملية أخرى كان لها أعظم الاثر فى الفترة الاخيرة • والرأى عندنا أنه لم يعد هناك بشىء فى ميدان السحر الرسمى بمعناه الحقيقى ، وأن السحر قد فقد كثيرا من مكانته كمهنة • فهناك اذن نوع من «التوقف» فى انتاج سحر رسمى جديد ، ولم يعد أمام مخلفاته الباقية الا أن تقدم الثوب الذى يغلف فيه الممارسون مادتهم السحرية الشعبية التى لازالت تدب فيها الحياة •

فبذلت جهود كثيرة لصبغ أفكار وخبرات السحر الشعبى بطريقة التفكير المعروفة فى السحر الرسمى • مما نتج عنه مؤخرا حشد ضخم جدا من الكتب — والمخطوطات طبعا — التى تحتوى فى جوهرها على تصورات وخبرات سحرية شعبية ولكنها مغلفة بمناهج وخبرات سحرية رسمية ، وهى فى نفس الوقت وسيلة — تجارية نفسية — لتأكيدها وابراز مدى فاعليتها[٢٧] •

---

(٢٧) وهناك اكثر من نموذج لمخطوطات وكتب سحرية ذات مضمون شعبى وشكل رسمى ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

(أ) البونى وابن الحاج : مخطوطة : « مجموعة فوائد من كتاب شمس المعارف الكبرى للبونى وكتاب ابن الحاج وغيره » . رقمها بدار الكتب المصرية ، ٣٩ ش . وهى منسوبة بهذه الاسماء فقط ، ولكنها انتاج شعبى متأخر . انظر تحليلا لها فى :

الجوهرى ، المرجع السابق ، ص ٣٥٠ .

(ب) ابن الحاج ، مخطوطة : « بلوغ القصد والمنى فى خواص أسماء الله الحسنى » . ترجع الى عام ١٢٧٣/١٨٥٦ . دار الكتب المصرية ، رقم ٥٨ ش . انظر :

=

ولا ننسى هنا الدور الكبير الذى تلعبه بعض دور النشر المصرية فى هذا الصدد • فهى تحقق تجارة رابحة للغاية ، اذ لا تحتاج الى أكثر من طبع بعض فصول من كتاب أو عدة كتب سحرية • وقد يحدث فى بعض الاحيان أن يعيد أحد الشيوخ كتابة هذه الفصول([٢٨]) • ولو أن هذه ليست هى القاعدة السائدة • كما يعاد اليوم طبع مؤلفات بأكملها ، كشمس المعارف الكبرى للبونى مثلا([٢٩]) •

هكذا يتضح كيف أن تبين هذا الفرق الاساسى الهام له خطورته التى تحتم علينا الالتفات اليه عنـد الجمع ، وفى الدراسـة التحليلية ، وخاصة جانب العرض التاريخى منها • أما من حيث التنبؤ بخط التطور فى المستقبل ، فالواقع الذى سنتعامل معه هنا — ازاء ما حدث من توقف فى انتاج سحر رسمى جديد — عبارة عن سحر شعبى متوشح بغلاف رسمى، لذلك فان تحريم تداول الكتب السحرية — مع افتراض تذليل كل ما يعترض ذلك من صعوبات عملية — لن يقضى الا على هذا الثوب المتخلف من حضارات القرون الماضية • أما محتواه — السحر الشعبى بصورته التى حددناها من قبل — فسيظل يمثل تحديا أساسيا ، لن يفلح معه الا الحوار الذى يسحب الارض من تحت قدميه •

= الجوهرى ، المرجع السابق ، ص ٣٥١ .

(جـ) هرمس الحكيم ، مخطوطة : «كتاب هرمس الحكيم فى علم الحروف والاوفاق » ، دار الكتب ، رقم ٥٠ ش . انظر تحليلا مفصلا لها فى :

محمد الجوهرى ، المرجع السابق ، صفحتى ٣٥١ — ٣٥٢ .

(٢٨) والنموذج الامثل على هـذا الكتاب : « منبع اصـول الحكمة » المنسوب للبونى ، القاهرة ١٩٥٦ . وقد اثبتنا ان الكتاب بشكله الحالى ليس من تأليف البونى : انظر :

محمد الجوهرى ، المرجع السابق ، ص ٣٥٥ .

(٢٩) فلازالت طبعاته تتوالى حتى عام ١٩٦٩ الذى نشهده الآن .

الفصل الثالث

أغراض الممارسة السحرية

مقـــدمة :

اهتمت كل الكتابات التى تناولت موضوع الســـحر ــ بالكلام عن أغراض الممارسة السحرية ، على أساس أن هذا الجانب يلقى الضـــوء الاكبر على الدور الذى يلعبه السحر فى المجتمع ، والاهمية التى ينسبها الناس الى المعتقد السحرى فى حياتهم اليوميـــة • وهكذا أولى العـــالم الفرنسى ادمون دوتيه Doutte هذا الموضوع اهتماما كبيرا فى مؤلفه الضخم عن السحر والدين فى شمال افريقيا • فأورد طائفة عريضة من الوصفات السحرية التى جمعها من ملاحظاته الميـــدانية ومن المؤلفـــات السحرية المنتشرة هناك ، وأكثرها معروف لنا فى المشرق العربى(١) •

غير أنه مما يدعو الى الأسف حقيقة أن المادة الوفيرة التى أوردها دوتيه قاصرة فعلامن الناحيتين الفولكلورية والسوسيولوجية علىالسواء• فلم يميز دوتيه تمييزا واضـــحا بين الممارســـات الســـحرية الشـــعبية والممارسات السحرية الرسمية ، وذلك لاننا نعلم أنه لم ينتبه أصلا الى الفرق بين السحر الرسمى (الاحترافى) والسحر الشعبى • ثم أنه لم يقم بأى نوع من أنواع التصنيف للوصفات السحرية بحسب أغراضها ، بحيث يمكن للقارىء أن يتبين شيوع غرض معين من أغراض الممارسة السحرية عما سواه من أغراض ، أو ارتباطه بفئة معينة من الناس أكثر من سواها،

---

(1) Edmond Doutté: Magie et religion dans l' Afrique du Nord; Alger; 1909; Ch. 5.

وهكذا • ومع ذلك فنحن لا يمكن أن نقلل من قيمة الاسهام الذى قدمه دوتيه ، وهو أنه كان من أوائل من ترجموا أكبر حشد من الوصفات الى اللغة الفرنسية ، فأثرى بذلك دراسة المعتقد السحرى عند العرب والمسلمين ، ليس فى لغته الفرنسية فحسب ، وانما فى كل اللغات •

والمفروض فى ضوء ذلك أن تكون معالجتنا هنا لاغراض الممارسة السحرية أكثر اتصافا بالطابع النقدى ، وان كنا سنعمل ما وسعنا لكى ندلل على كل ملاحظة أو حقيقة معينة ببعض النصوص التى تؤيدها سواء من الملاحظة الميدانية أو من كتب المشتغلين بالسحر •

وأول وأهم الملاحظات بالنسبة للأغراض التى توظف فيها الوصفات السحرية أن هناك تجاوبا كاملا بين السحرة وجمهورهم • وسوف تتبين لنا هذه الحقيقة فى كل النماذج التى سنعرض لها أو التى صادفناها • اذ تتركز كل أغراض الممارسة السحرية فى اشباع احتياجات الناس الذين كانوا يعيشون فى الماضى ، أو الذين يعيشون اليوم، سواء كانت احتياجات مادية بحتة أو دينية روحية • وسوف نتبين كذلك من واقع كثير من النماذج أن الاغلبية الكبرى من جمهور السحرة الرسميين كانت — ومازالت — تنتمى الى الفئات الدنيا من المجتمع • وسوف تتواتر الشواهد على ذلك كثيرة فيما بعد(٢) •

١ — الاستخدامات الخيرة والشريرة للسحر :

ولكننا نتساءل فى البدائية : هل تستخدم الاعمال والوسائل

---

(٢) وقد لاحظ الحقيقة نفسها هانز فينكلر ، فى كتابه الاختام والاشكال فى السحر الاسلامى ، مرجع سابق ، صفحة ٧٢ ، حاشية رقم ٣ . كما نجد عند شعوب أخرى كثيرة أن الممارسات السحرية تبلغ اوسع انتشار لها بين القطاعات الفقيرة والمتخلفة من المجتمع . وقد اورد بلاو Blau شواهد تؤيد ذلك فى دراسته عن السحر عند قدماء اليهود :

Blau; L; Das altjüdische Zauberwesen; Strassburg; 1898 und Berlin; - 1914; p. 35.

السحرية للأغراض الخيرة أم للأغراض الشريرة ؟ اذا رجعنا الى مؤلفات البونى السحرية — على سبيل المثال — لن نجد وجهة نظر واحدة تتميز بالثبات والاتساق[٣] • ومعنى هذا أن السحرة المحترفين ليس لهم موقف موحد وثابت فى هذا الصدد • غير أن البونى كثيرا ما ينبه الى أنه لايصح استخدام الاعمال السحرية فى أغراض محرمة أو لفعل الاثم • وفى هذا يقول :

« ••• اعلم أيها الطالب وفقنى الله تعالى واياك الى طاعته وفهم أسرار أسمائه أن هذا الباب عظيم جدا ، فلا تفعله الا فى الحلال واياك ومتابعة الجهال فانه كتاب الاولياء الصالحين فاتق الله تعالى • وان فعلته فى غير الحلال فأنت مطالب به بين يدى الله تعالى • فها أنا قد خلصتها من عنقى فصارت فى عنقك أيها الواصل الى هذه الدائرة العظيمة • والله أعلم »[٤] •

وبرغم هذا التنبيه الواضح والموقف المبدئى الا أن الامور لا تسير مع ذلك وفقا لهذه القاعدة على طول المؤلفات السحرية . كمؤلفات البونى على سبيل المثال • والسبب فى ذلك واضح فى تقديرى ، وهو أن بعد الخير والشر يتحدد من وجهة نظر المارس ، ولا يمكن أن يتحدد بشكل مطلق ، فالخراب فى ذاته شر ، ولكن خراب بيت الظالم قد يكون حقا ومشروعا وهكذا •

ونجد تأييدا لذلك أحد المواضع فى كتب البونى تعتبر من الاعمال (الممارسات السحرية) الخيرة الاعمال الآتية : المحبة والجذب (مع أن

---

(٣) تلك كما سنرى هى السمة المميزة لموقف السحرة الرسميين عموما • ولكن يزيدها وضوحا هنا كون الاعمال المنسوبة للبونى ليست كلها — كما أثبتنا ذلك فى دراستنا عنه — من تأليف شخص واحد . ومن هنا برز اضطراب الموقف وتردده بشكل أجلى .

(٤) البونى • شمس المعارف الكبرى • الجزء الاول • ص ١٣٨ .

استمالة امرأة متزوجة لرجل أجنبى يعد استخداما شريرا) ، ومودة النساء (هكذا بصفة عامة) ؛ وتسليط المرض والفرقة والعداوة والخراب والرجم ، وزيادة الباه ... (٥)

ويتحفظ مؤلف الكتاب السحرى أحيانا اذ يقول ان كلامه لا يتصرف الا فى الحلال ، وأنه اذا استخدم فى الحرام فسوف يضر صاحبه ولن يجاب له شيء(٦) .

ولعل السبب فى هذا التردد فى المواقف راجع الى ما أشرنا اليه فى الفصل الاول من هذا الباب من أن المؤلفات المنسوبة للبونى ليست كلها من تأليفه ، وأن الاضافات والتأليفات قد تعاقبت عليها على امتداد القرون . فأضاف كل مؤلف مشارك مواقف وآراء جديدة الى المواقف الاصلية وهكذا . ولكن ربما كان التفسير الاعم والاشمل أن تلك الكتب موجهة أساسا لخدمة جمهور عريض له أهداف متنوعة ، وأن احتياجات الانسان تتعدد وتتباين حسب الوجهة التى ينظر منها الانسان الى الموضوع(٧) .

وليس أدل على ذلك من الاشارات التى نجدها فى كتب البونى وتوضح أن نفس الوصفة السحرية (أو العمل) يمكن أن تستخدم فى الخير كما يمكن استخدامها فى الشر ، ويتحدد ذلك فى ضوء ظروف الموقف الاخرى . فالسحر يقدم لنا وسيلة لاضعاف الرغبة فى الجماع مثلا ،

---

(٥) البونى ، اصول الحكمة ، مرجع سابق ، ص ٦٣ .

(٦) البونى ، شمس المعارف الكبرى ، مرجع سابق ، الجزء الاول ، ص ١٢٠ .

« ... ومن خواصها (آية قرآنية) للعطف والمحبة والصلح بين اثنين فى الحلال لان كلامه تعالى لا يتصرف الا فى الحلال ، واما والعياذ بالله من يفعله فى الحرام فانه يضر نفسه ولا يجاب له ... » .

(٧) ويشير دوتيه مثلا الى أن التفريق (بين رجل وامرأة) ليس مثلا غرضا مكروها على طول الخط ، ولكن يوصى به احيانا ليمارس مع الرجل والمرأة الفاسقين ، انظر دوتيه ، السحر والدين ، مرجع سابق ، ص ٢٨٨ .

فهى تكون خيرة ومفيدة وواجبة لاصحاب الخلوات (المتصوفة المنقطعين للعبادة) ، ولكنها تكون شرا كل الشر للأشخاص المتزوجين العاديين[٨] •

فلنتفق اذن على أن الوسيلة السحرية انما هى وسـيلة محايدة ، والشر والخير أمران نسبيان يتحدد تعريفهما فى ضوء الغرض من هـذا الاستخدام • ولذلك لا يمكن وصف ممارسة سحرية معينة بأنها خـير خالص أو شر خالص •

وعلينا أن ننتبه كذلك الى ملاحظة هامة حـول أغراض الممارسـة السحرية ، ذلك أنه ليس بمقدور كل سـاحر أن يحقق كل ما يشـاء من التأثيرات السحرية • فهـو لا يستطيع ذلك الا بشـكل تدريجى فقط ، وتتوقف قدرته على تحقيق ما يشاء من أغراض على مقدار ارتقائه وتقدمه فى التدين والاخلاص والطهارة ••• الخ • (ونلاحظ أننا نتحدث هنا على مستوى المؤلفات السحرية الرسمية أساسا) • وفى هذا يقول البونى : « ••• واعلم أنه كلما كان دينك أظهر كانت طاعة المخلوقات لك أحسـن وقامت لك المحبة فى قلوب المخلوقات حتى الحجر والحجيرة ، وأما اختلاف الامطار ومنعها واختلاف الرياح ومنعها فان لها موازين تختص بها اذا عرفتها فقد ملكك البارى الدنيا بأسرها ثم الآخـرة ان كنت من أرباب العقول • واحرص اذا علمك الله من أن توقفه على مخلوق »[٩] •

٢ ـ وصفات سحرية ذات فائدة عامة :

أما اذا تأملنا أغراض الممارسة السحرية بالتفصيل ، فان هناك بعض الملاحظات أو القواعد العامة التى يجب الانتباه اليها • فهناك أولا طائفة من الاعمال أو الوصفات السحرية التى تصلح لكل الاغراض وتحقق كل

---

(٨) البونى ، اصول الحكمة ، مرجع سابق ، ص ١١٧ •
(٩) البونى ، شمس المعارف الكبرى ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٢٩٥ •

أهداف من يمارسها(١٠) • ويديهي أن الوصفات التي من هذا النوع تتميز بقوة التأثير وشدة الفاعلية على نحو تتفوق فيه على كل وصفة أخرى ، فهي بذلك من « الاسرار » الخاصة التى لا يصل اليها سوى الخاصة • ولكننا لو تناولنا واحدا من تلك الوصفات بالتحليل ـ الموضوعي ـ لاتضح لنا أنها لا تختلف فى شيء عن سائر الوصفات ولا يميزها عن باقى الاعمال أى فارق فى الشكل أو فى المضمون • فهي تحوى نفس العناصر وتستهد من نفس المصادر ، ولكنها تتميز بذلك التأثير الخاص لاسباب أخرى « نورانية » •

كذلك هنـاك طائفـة من الوصـفات التى تتميـز بقـوة خاصـة وتنفع فى تحقيق أكثـر من غرض من أغـراض الممارسـة السّـحرية • من هـذا ما جاء فى بيـان فضل أحـد هـذه الاسرار عند البـونى فى أصول الحكمة : « ••• من واظب على قراءة هذا البيت (بيت شـعرى ألفاظه كلها كلمات سحرية مطموسة ليس عربية ولا مفهومة) أو كتبـه سبع مرات وحمله فان ضل فى سيره اهتدى ، وان وضع فى بيت امتـلا رزقا وبركة ، وان وضع فى محل تجارة هرع اليها الزبون ، وان وضع فى سفينة أمنت من الغرق ، وان حمله مسجون أو أسـير أفرج عنه ، وان حملته متعسرة وضعت • ومن كتبه مع هذا الطلسم (شكل سحرى موضح بالكتاب) وحمله نال من الخير والبركة شيئا كثيرا ••• الخ »(١١) • وهناك كثير من الوصفات المماثلة التى تحتشد بها المؤلفات السحرية الرسمية •

ومن القواعد الاخرى العامة فى الاستخدام السحرى فى المؤلفات المنسوبة للبونى ـ وفى غيرها من كتب السـحر الرسـمى ـ أن جميع الاسماء الحسنى تستخدم فى الاغراض التى تتفق ومعناها الحرفى • من

---

(١٠) انظر عديدا من الشواهد على ذلك فى كل الكتب السحرية • من هذا مثلا اشارة دوتيه بالتفصيل ، المرجع السـابق ، ص ١٤٧ ، والبونى ، شمس المعارف الكبرى ، الجزء الثاني ، ص ١٣٨ ، ص ١٥٠ ، ص ١٥١ ، ص ١٥٥ ومواضع أخرى متفرقة .

(١١) البونى ، أصول الحكمة ، مرجع سابق ، ص ٣١٧ •

هذا مثلا اسمه تعالى الثابت يستخدم للثبات ، واسمه تعالى الهادي للهداية ... الخ (١٢) .

٤ ـ الاستخدامات السحرية لدعم المشتغل بالسحر نفسه :

وتزخر كتب السحر الرسمي (الاحترافى) بكثير من الوصفات والاعمال التى تستهدف تيسير وانجاح مهمة طالب السحر أو ممارسة الذى يضطر الى بعض المجاهدات الشاقة ويحتاج الى دعم ومساندة روحية تؤازره . ومن العجيب أن كثيرا من الدراسات الهامة للسحر الاسلامى لم تنتبه الى هذا الغرض الهام من أغراض الممارسة السحرية ، خاصة فى كتب السحر الرسمية . فلم يشر الى هذا الغرض الذى يتردد بكثرة ، كل من دوتيه ، وفينكلر وكريس . ولذلك يتعين علينا أن نتناولها هنا بشىء من التفصيل ، حيث أنه لم يسبق معالجتها أو مجرد الاشارة اليها فى أى من الدراسات التى قدمها المستشرقون عن السحر الاسلامى عامة أو الاسلامى المصرى بوجه خاص .

وتهدف أول الوصفات التى من هذا النوع الى مساعدة المشتغل بالسحر على الوفاء بالشروط (القاسية) والمتطلبات المفروضة عليه قبل أن يبدأ عمله ويتحقق له الهدف المرجو منها . فالمجاهدات التى تطلب منه قد يشق عليه أن يجتازها ، ومن ثم يذهب جهده هباء ولا يتحقق له شىء من عمله . ومن أهم عناصر هذا الغرض الفنى الاول قتل الشهوة فى نفس المريد ، ويأتى ذكرها بأساليب متعددة كثيرة : فأحيانا يقال أن هدف هذه

---

(١٢) قارن مزيدا من التفاصيل فى رسالتنا للدكتوراة عن استخدام أسماء الله الحسنى فى السحر فى المؤلفات المنسوبة للبونى ، مواضع متعددة خاصة الفصل الاول من الباب الثالث وقارن كذلك دوتيه ، المرجع السابق ، ص ص ٢٠٩ ــ ٢١٠ . وانظر بعض الشواهد عند البونى : شمس المعارف الكبرى ، الفصل الثانى من الجزء الثالث عن اختيار الاسم المناسب للذكر ، وكل المواضع التى وردت فيها استخدامات لاسماء الله الحسنى عند البونى فى مختلف مؤلفاته .

الوصفة أبعاد الطالب عن المعاصى ورده عنها (أصول الحكمة ، ص ٢١٣)، أو يقال ان هدفها هو : أن يذهب الله عن حاملها كل شهوة مذمومة (شمس المعارف الجزء ، جـ ٢ ، ص ١٥٠ ، وكـذلك ص ١٥٥) ، وأحيـانا تكون الوصفة : لتقوية الهمة والاعانة على التخلص من غواشى الطبع (المرجع السابق ، ص ١٥٧) ٠ وهدفها أحيانا أخرى : اطفاء نار الشـهوة لدى السالك (المرجع السابق ، جـ ٤ ، ص ٣٧٣) ٠

وتقول بعض النصوص : « ••• ومن نقشه (شكل معين) على فص خاتم وتختم به لم تطلب نفسه النكاح مادام لابسـه ، فهـو سر عظيم لارباب الخلوة » (أصول الحكمة ، ص ١١٧) ٠ « ومن خواصه (حرف الياء) أنه اذا كتب عشر مرات ••• ومحاه السالك فى بدايته أخمدت منه نيران الشهوة » (المرجع السابق) ٠

وواضح من كثرة تلك الوصفات والنصائح وتكريس بعض الاعمال السحرية لتحقيقها أولا ، أن خاطر الشـهوة كان من أبرز العـوامل فى افساد انقطاع العابد الذى ينوى التخصص فى ممارسة السحر الرسمى ٠ ولكن هناك كذلك مطلب الصوم الطويل ، فلابد أن تكون هناك وصـفات أخرى تستهدف بشكل مباشر قتل الاحساس بالجوع لدى المريد ، لان هذا الاحساس قد يفسـد عليـه خلوته ، وبالتـالى يقطع عليـه طريق « الوصول » ٠ وفى هذا يقول البونى عن اسـمه تعـالى « صـمد » : « ••• يصلح للمتريضين بالجوع ، فاذا ذكره لا يحس ألم الجوع البتة ، مالم يدخل عليه غيره من الاسماء » ٠ (شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ١٧٤) ٠

ونحن نعلم من دراستنا لتفاصيل العملية السحرية وقواعد ممارستها أن الساحر قد يتعرض فى خلوته أو فى أى مكان آخر لامتحان الخوف ، اذ تقوم الارواح بافزاعه وتخويفه لتمتحن درجة ايمانه قبل أن تلبى له مطلبه ٠ وعليه أن يثبت فى هذا الموقف ولا يهتز أمام هـذا التخويف ،

وتساعده على تحمل هذا الفزع وعلى عدم الجزع من بعض الوصـفات السحرية الخاصة[١٣] .

ومن المفيد للساحر علاوة على هذا أن يمارس بعض الاعمال ويتلو بعض الصيغ التى تجعل الارواح الخادمة تجيبه الى طلبه بسرعة ولا تتأخر فى النزول اليه . فأحد أسماء الله الحسنى « من داوم عليه الى أن يغلب عليه حال أجابته عوامله » (أى أجابته الارواح الخادمة له)[١٤] واسم آخر « من أكثر من ذكره كان مجاب الدعوة »[١٥] . وهناك اسم آخر (اسمه تعالى مبدىء) « يصلح ذكرا لمن يريد الابتـداء فى تأليف العلوم السنية والاشعار النحوية »[١٦] .

وهناك طائفة من الوصفات السحرية التى تستهدف تزويد الساحر ببعض القدرات والوسائل السحرية الفعالة . من هذا النموذج التالى فى منبع أصول الحكمة للبونى : « واذا أردت أن تطلع على سر خفى فخذ من بيض الدجاج تسع بيضات نبات يوم الالف واكتب على بيضة أسماء ملائكة الحروف التسـعة من الالف الى الطـاء نجل وزاج ، وأحضنهم لدجاجة ، فاذا فقسوا فاصنع لهم سكرجة من الأسرب (الرصـاص) وانقش فيها الأحرف التسعة وملائكتها واضماراتها . ومن ذلك اليـوم لا تسقى الفرايج الا من تلك السـكرجة ، وأطعمهم من القمح النقى أو دقيق الشعير المبسوس بالماء فى مكان لا يخرجون منه حتى يفرخوا ، ويطلع من بين تلك الفراخ ديك ، فاجتهد فى تربيته الى أن يبلغ حد الاسـتواء بحيث لايشرب الا فى السكرجة ، فترى عينه محمرة كلون عرفه ، وكذلك

---

(١٣) البونى ، شمس المعارف الكبرى ، مواضـع متفرقة ، منها مثـلا الجزء الرابع ، صفحة ٤٣٥ حيث يورد دعاء لتقوية السالك فى الخلوة .

(١٤) شمس المعارف الكبرى ، الجزء الثانى ، ص ١٥٧ .

(١٥) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ١٥٠ .

(١٦) المرجع السابق ، نفس الجزء ، ص ١٦٩ .

منقاره • وتراه لايزال شاخصا الى السماء • فمتى ظهرت هذه العلامة فاذبحه ، فان فيه ثلاث أسرار • وهى أن من اكتحل بمرارته يرى الارواح السفلية ، ومن اكتحل بعينه يرى الارواح العلوية ، ومن اكتحل بدمه يرى الكنوز فى أماكنها فى أى موضع يمر عليه • وشرط الاكتحال أن يكون قبل طلوع الشمس • وكذلك لابد من قراءة القسم فى كل يوم مرة فى غرفة الفراخ المذكورة ، وهذا هو القسم تقول ••• »(١٧) •

وهناك وصفات سحرية أخرى كثيرة هدفها خلق الصلة بين الساحر وبين مصادر المعرفة السحرية ، أو أهم العالمين بتلك الاسرار (وهو اتصال يتحقق عن طريق الرؤيا لان جميعهم من الموتى) ، وكذلك الاتصال بالارواح العلوية الخادمة(١٨) •

ومن أهم أغراض الممارسة السحرية لأى من كل الشعوب فى الماضى والحاضر أن يتمكن المشتغل بالسحر ، وآخرون (كالاولياء مثلا) من التنبؤ بالمستقبل • وهناك فى تراث البونى بعض الوصفات التى تستهدف تمكين الساحر من الاخبار بكل ما سيقع فى المستقبل من أحداث(١٩) •

---

(١٧) البونى ، منبع اصول الحكمة ، مرجع سابق ، ص ص ٢٢٨ — ٢٢٩ .

(١٨) انظر على سبيل المثال ، البونى ، شمس المعارف الكبرى ، الجزء الثانى ، ص ١٤٩ . وانظر كذلك نفس الغرض بنفس الوضوح عند ممارسى السحر العبريين القدماء حيث استدعى سيدنا سليمان بواسطة الخاتم الذى أعطاه له الملاك ميكائيل هدية من الله شياطين ليساعدوه فى بناء المعبد . كما أوضح جينز برج أن غرض استدعاء الاعوان او الرومانية من أهم الاغراض التى يخدمها رازائيل الذى أعطى لآدم . انظر مزيدا من التفاصيل عند :
Ginsberg: Legends Vol. I; p. 92 and Vol. IV; p. 150.
كما يذكر جينز برج أن معرفة الغيب كان دائما من أهم العناصر التى احتوتها الاساطير عن محتويات كتب آدم (رازائيل) ، وكتب ادريس .. الخ، المجلد الاول ، ص ٩١ .

(١٩) انظر على سبيل المثال ، البونى ، شمس المعارف الكبرى ، الجزء الثانى ، ص ١٣٩ . ويقول فى نفس الكتاب ، نفس الجزء ، ص ١٥٨ :
« ... هذا الاسم الجليل (بصير) القدر من اكثر من ذكره بصره الله تعالى بالامور الخفية ، فان كان صاحب حالة صادقة لم يخف عليه شىء من أمر دينه ودنياه » .

وهناك وصفات أخرى هدفها تمكينه من أن يتنبأ بالاحداث السيئة فقط دون غيرها(٢٠) • أو تمكينه من التنبؤ بما سيقع للحكام والملوك وولاة الأمور بصفة عامة • فيقول عن خواص أحد الاسماء : « ••• ومن ذلك تعلم منه بالتأمل سر ما كان وما يكون وأصل كل ملك تولى من ابتداء دعوة النبى صلى الله عليه وسلم الى قيام الساعة وأسماء الملوك وما يجرى على ذلك الشخص ، وما يكون لبقية زوال الدول دولة بعد دولة »(٢١) •

ويتم التوصل الى تلك المعلومات اما عن طريق الاخبار فى الحلم (وتلك هى أشيع الطرق وأكثرها ورودا فى الكتب والمخطوطات السحرية الرسمية) ، أو عن طريق التأمل ، أو فى الخلوة (المكان المغلق الذى ينقطع فيه الساحر للدعاء والعبادة وممارسة الاتصال بالارواح) ، أو عن طريق استنطاق شخص آخر أثناء نومه •

٤ ـ الاخبار بالمستقبل :

وطلب الاخبار بمعلومة معينة حول المستقبل أو الحصول على توجيه الهى معين أثناء النوم من أشهر الوسائل المعروفة فى المعتقدات السحرية عند كافة الشعوب ، ونجد عند البونى نموذجا ممثلا لهذا الغرض نورده بنصه لاهميته : « ••• ومن خواص آية الكرسى أن من خاف عاقبة أمر من الامور وأراد الخروج منه فليتطهر ويلبس ثيابا طاهرة نظيفة ويطهر مجلسه الذى يختلى فيه ، فاذا صلى العشاء الاخيرة يصلى ركعتين قبل صلاة الوتر يقرأ فى كل ركعة الفاتحة مرة وآية الكرسى احدى عشرة مرة ، فاذا سلم يقرأ آية الكرسى احدى وعشرين مرة ويقرأ سورة انا أنزلناه فى ليلة القدر وسورة الاخلاص ثلاث مرات والمعوذتين مرة يقول انى

---

(٢٠) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ١٥١ : « أن يطلعه الله على الخفى المكره » •

(٢١) المرجع السابق ، الجزء الثالث ، ص ٣١٦ •

تفاءلت بكلامه القديم فأرنى ما هو المكنون اللهم أرنى فى ليلتى هذه جميع ما سألت عنه ومالم أسأل وبين لى الخروج من هـذه الامور التى أخافها وأحذرها • اللهم ان كان خيرا فأرنى بياضا أو خضرة ، وان كان شرا لى أو على فأرنى سوادا أو حمرة ، وأن ترسل لى خادما من خدام هذه الآية الشريفة آية الكرسى يخبرنى فى منامى ما هـو المكتوم عنى • اللهم أنت الحق بين لى الحق ياحق الحق انك على كل شىء قـدير • ثم تسمى ما تريد وتطلبه ، ثم تصلى صلاة الوتر ، وترقد على جنبك الايمن وتصلى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم على قدر الاستطاعة وتنام وتجعل بالك فى حاجتك وما خير لك وما هو شر عليك • وان لم تر فى ليلتك ما تطلب وما سألت عنه فعاود العمل ، فالصـلاة فى الليلة الثانية والثالثة ، فانك ترى ما تطلب ، وأخلص نيتك ، فان النية سـابقة العمل والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم • فاعرف قدر ما وصل اليك فانها تغنيك عن علوم كثيرة »(٣٢) •

وتنص احدى الوصفات السحرية على أن الاخبار بالمعلومة أو بشىء مجهول يتم فى النوم وبواسطة خيار الجن ، وليس بمجرد رؤية حلم معين أو اشارة بذاتها • فيقول البونى عن خواص أحد الاسماء : « ••• من كتبه فى كفه وقرأه ثم ذكر ما فى خاطره ، ونام أتاه قوم من خيار الجن فى نومه وبينوا له حاجته »(٣٣) •

أما الاخبار فى الخلوة فيتحقق عن طريق نوع من الرؤية أو الكشف، سواء دون تحديد أو بواسطة رسـل معينين يتولون ارشـاد السـائل واخباره • من هذا ما يقوله البونى عن خواص اسـم آخر : « ••• من ضاع أو سرق له شىء فليتطهر ويكتب الاسم على فخذه الأيمن ويدخـل

---

(٣٢) البونى ، شمس المعارف الكبرى ، الجـزء الثـانى ، ص ٢٣٠ • وانظر كذلك نفس الجزء ، ص ١٥٩ ، ص ١٧٦ ومواضع اخرى كثيرة •
(٣٣) البونى ، منبع أصول الحكمة ، مرجع سابق ، ص ٨٩ •

الخلوة ، ويقرأ الدعوة بتمامها ، ويطلب من الله أن يرد حاجته . فانه يأتى اليه سبعة رجال ويكشفون له حاجته »(٢٤) .

٥ ـ الاتيان بالكرامات :

كما أنه من الامور الفائقة الاهمية بالنسبة للساحر المحترف ، وكذلك بالنسبة لأى ولى ، أن يأتى من الأفعال الخارقة أو « الكرامات » ما يقنع الآخرين بولايته وكرامته و « سره الباتع » . ولا تقتصر هذه الملاحظة على كتابات البونى ، أو على كتابات السحرة الرسميين فقط ، ولكنها ظاهرة شائعة نجدها فى كل الأساطير والحكايات والكتب الشعبية حتى مطلع العصر الحديث . فاذا راجعنا سيرة أى ولى أو صوفى كبير أو واحد من كبار المشتغلين بالسحر فسوف نجد أن تفصيل القول فى معجزاته أو كراماته يمثل الجانب الاكبر من تلك السيرة(٢٥) . وكلما عظمت كرامات الولى أو الساحر وتعددت ، سواء أثناء حياته أو بعد موته ، كلما ارتفعت مكانته بين الاولياء والحكماء(٢٦) . ومن هنا يمكن أن نفهم لماذا تشغل

---

(٢٤) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

(٢٥) وقد وردت نفس الظاهرة عن العبريين القدماء ، انظر فى هذا مؤلف جينزبرج السابق الاشارة اليه ، فى مواضع كثيرة منه ، خاصة المجلد الثالث ، صفحات ٥٥ ، ١١٤ ، ١٢٥ ، ١٣٧ ، ٢٦٩ ، ٤١٩ ، والمجلد الرابع ، صفحات ١١ ، ١٠٨ ، ٢٧٩ ، ٣٧٨ ، والمجلد الخامس صفحات ١٥ ـ ١٦ ، ٢٦١ ، ٣٧٦ ، ٤٢٤ ـ ٤٢٥ ، والمجلد السادس ، صفحات ٨٤ ، ١٠٠ ، ١٠٣ ، ١٤٤ ، ١٦٠ ، ١٦٥ ، ٢٧٩ . كما نجد مئات ـ بل آلاف الشواهد على ذلك ـ فى مؤلف ابن المحبى ، أعيان القرن الحادى عشر ـ (انظر قائمة المراجع فى نهاية الكتاب) . ونجد هذه الاستخدامات بكثرة فى كتاب المجربات للديرى ـ (انظر قائمة المراجع) ، وبالنسبة لمصر الحديثة ، انظر وليم لين ، المصريون المحدثون ، وشواهد عديدة من دراساتنا الميدانية لطائفة كبيرة من المشتغلين بالسحر الاحياء فى شتاء عام ١٩٦٥ .

(٢٦) يحكى البونى عن مدى خطورة أحد الاوفاق (الاشكال السحرية) والآثار العجيبة التى يمكن أن يحدثها لمن يطلع على اسراره ، خاصة من حيث اتيان العجائب والخوارق ، فيقول : « ... ادعى بعض أهل الهند النبوة ، وكان يظهر بهذا الوفق ما يخرق العادات . حتى التأم عليه جماعة . ثم ظهر أن جميع ما كان يظهره انما هو من سر هذا الوفق ، فأخذ منه واستتابوه ؛ =

الوصفات السحرية التى تمكن صاحبها من اتيان المعجزات حيزا كبيرا وهاما من المؤلفات السحرية الرسمية • وقد أورد دوتيه بعض نماذج تلك الوصفات مستقاة من ابن الحاج ومن مؤلفات البونى ، ولفت النظر الى أهميتها بالنسبة للمستقبل بهذه المهنة • ومن بين المعجزات التى يراد تحقيقها بواسطة تلك الوصفات السحرية : الاختفاء عن أعين الناس(٢٧) ، أو اخفاء شخص آخر عن أعين الناس(٢٨) ، أو الاختفاء عن أعين طائفة معينة من الناس (هم هنا الظلمة)(٢٩) • ومن هذا النوع من الاستخدامات السحرية طى الارض ، بمعنى أن يحمله الخادم أو الروح الى مكان بعيد ثم يعيده الى مكانه الاول(٣٠) • وتحويل البر الى بحر والبحر الى بر ••• الخ(٣١) •

= ولم يظهر ذلك الا رجل من أهل العلم والصلاح قدم من سفره فوجد الناس يهرعون الى ذلك الرجل ويوقرونه ويعظمونه . فسأل منهم ما شأن هذا الرجل؟ فقالوا هذا نبى وله معجزات خارقة للعادات فأتى اليه وقال يا أخى ما حملك على ما فعلت وقد ورد أنه لا نبى بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم . فأخبره بخبر الوفق الذى معه وأن الشيطان سول له ذلك . وتاب على يدى هذا الرجل ، واعطاه الوفق . فوجد الرجل من اسرار الوفق ما بهر عقله . فقال لاهل تلك المدينة لا يحل لى أن أسافر بهذا الوفق من مدينتكم وقد نفعكم الله به ، ولكن اجعلوه فى أكبر مسجد عندكم فان أصابكم أمر فادعوا الله به فانى أخاف أن أعيده الى الذى كان عنده فيزين له الشيطان ما كان عليه أولا ، فيسافر به الى بلد لا يعرف بها فيدعى ما ادعاه أولا . فجعلوه فى المسجد الأكبر » البونى ، منبع أصول الحكمة ، مرجع سابق ، ص ص ٥٢ — ٥٣ .

(٢٧) البونى ، شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ١٥٤ ، ١٩١ ، الجزء الثالث ، ص ٣٦٢ .

(٢٨) المرجع السابق ، الجزء الاول ، ص ١٢٩ .

(٢٩) « والاسم الذى فى سورة الانعام تسكن به الريح وتختفى به من الظلمة ، وهو قوله تعالى ... » ، شمس المعارف الكبرى ، الجزء الثانى ، ص ٢١٧ .

(٣٠) وهذا المكان هو عادة مكة المكرمة ، المرجع السابق ، الجزء الاول ، ص ١٢٤ ، ص ١٢٩ .

(٣١) المرجع السابق ، الجزء الثالث ، ص ٣٦٢ .

وهناك حول هذه النقطة عدة استخدامات للسحر لم يشر اليها دوتيه على الاطلاق ، وبالتالى لم تشر اليها أى من دراسات المستشرقين للسحر • فمن الاستخدامات السحرية القديمة أن يبرهن الساحر للناس على قدرته بأن يتنفس على قدر يغلى فيبطل غليانه • وقد وردت اشارات الى ذلك الاستخدام فى تراث السحرة اليهود القدامى عند بلاو(٣٢) • كما يستطيع الساحر تحويل الماء الى زيت ، ويمسك النار بيديه العاريتين ، ويجعل الجمادات تمشى • كما أن هناك بعض الصيغ والوصـــفات التى تجعـــل صاحبها أو حاملها « ينام » وسط السباع فلا يناله ضرر ••• الخ(٣٣) •

ومن الاستخدامات الاخرى ، خاصة بالنسبة للاولياء والصـــوفية (وهم فى بعض الاحيان من أهم طوائف المشتغلين بالسحر الرســـمى) ، يرد ذكر الاستخدام السحرى التالى : « ••• أن يظهر النور من قلبه على وجهه ويخرج النور من فمه حال الذكر (باسم الله تعالى : نور) حتى يملأ خلوته وما حولها ••• ومن ذكره فى بيت مظلم وعيناه مغلوقتان الى أن يغلب عليه منه حال شاهد أنوارا عجيبة تملأ قلبه »(٣٤) • ومنها أيضا : « أن يأكل من الكون » أى يأكل ويتوفر له رزقه دون أن يعمل ودون أن يتعب ، وهو هدف عزيز بطبيعة الحال لجمهور معظمه من الكادحين(٣٥) •

---

(٣٢) انظر بلاو ، المرجع السـابق ص ٢٥ ، وكذلك البونى ، المرجع السابق ، الجزء الرابع ، ص ٤٧٢ •

(٣٣) انظر بعض الشواهد على ذلك عند البونى ، المرجع الســابق ، الجزء الثالث ، ص ٣٦٤ ، والجزء الرابع ص ٣٧٢ ، ومنبع اصول الحكمة ، ص ٣٠٢ ، وبالنسبة للغرض الاخير شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ١٦٢ ، والجزء الثالث ، ص ٢٦٥ : « لتهاب ذاكره (اسم الله الجليل) الانس والجن والسباع والهوام » •

(٣٤) البونى ، شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ١٨١ •

(٣٥) المرجع السابق • نفس الجزء ، ص ١٦٧ • وفى احـــد المواضـــع تستهدف احدى الوصفات : « ... ان يحضر الخـــادم للطلب (أى الســـاحر الذى يدعو بدعاء معين) من الماكول والمشروب والفضة والذهب من مبـــاح الارض الحلال » • الجزء الاول من شمس المعارف ، ص ١٢٩ •

٦ ـ حفظ الانسان من الآثار الضارة للسحر :

ننتقل بعد ذلك الى استعراض طائفة من الوصفات السحرية التى تستهدف حفظ الانسان من الآثار الضارة للسحر ، أو ابطال مفعول أى عمل سحرى ضار يوجه للانسان • اذ طالما أننى قادر (من وجهة نظر المعتقد الشعبى) على استخدام السحر فى ايقاع الضرر بالآخرين ، فلابد أن الآخرين لديهم فى نفس الوقت وبنفس الدرجة القدرة على ايقاع الضرر بى • ولذلك يجب على التحوط من الاعمال السحرية الضارة الموجهة الى •

ومن أهم وصفات تلك المجموعة تلك التى تستهدف شفاء الرجل المربوط ، أى الذى فقد قدرته الجنسية بسبب عمل سحرى أجراه عدو له • ويشغل هذا الموضوع كافة المشتغلين بالسحر ، كما يشغل اهتمام جماهير أولئك السحرة فى كافة أنحاء الريف المصرى ، كما سيتضح فيما بعد تفصيلا من خلال التقارير الميدانية التى سنوردها فى موضوع لاحق من هذا الباب ويذهب الاهتمام بهذه النقطة الى حد أنه يتحتم فى بعض القرى ـ على كل عريس جديد أن يذهب الى أحد المشايخ لعمل تحويطة (حجاب للوقاية) تحرزا من أى عمل سحرى يقوم به أحد ضده لشل قدراته الجنسية فى بدء حياته الزوجية •

غير أنه من اللافت للنظر حقيقة أن هذا النوع من الوصفات السحرية نادرا ما يرد فى المؤلفات السحرية المنسوبة الى البونى ، وهو على وجه التحديد لا يرد على الاطلاق فى كتابه الاكبر « شمس المعارف الكبرى » • وعلى النقيض من هذا لا يكاد يوجد كتاب من الكتب السحرية الشعبية يخلو من حشد كبير من هذه الوصفات • وأعنى بها المؤلفات السحرية التى تصطبغ بشكل واضح بالعناصر الاعتقادية السحرية الشعبية • ولكنها تبدو بأقصى درجة من الوضوح ، وبأكبر معدل حدوث لكل من ينزل الى الميدان ويلتقى بممارس السحر فى المدينة أو الريف على السواء • ويبدو لى أن المكانة الرفيعة التى كان يحظى بها ممارسو السحر الرسمى فى الماضى كانت

تحول بين أولئك السحرة وبين الانغماس الزائد فى هذه الموضوعات التى لاشك أنها ستحط من مكانتهم وتنزل بمستوى اهتمامهم • كما يبدو لى أن حرصهم على هذه المكانة كان يمنعهم من الهبوط بفاعلية ومكانة مؤلفهم ، بحيث يوردون الوصفة السحرية ويذكرون بعدها مباشرة طريقة ابطال مفعولها أو الغاء هذا المفعول تماما •

وكان الساحر الرسمى القديم يعتقد أنه يستطيع احداث التأثير المضاد لعملٍ ما ، أى ابطال مفعول تأثير سحرى معين بنفسه ، أى عن طريق خبرته الشخصية • ويمثل هذا الموقف سمة مميزة للممارسة السحرية الرسمية كما حفظتها الكتب التى وردت الينا ، والتى مازالت محتفظة الى حد ما بطابعها الاصلى أما كتب السحر الحديثة (ذات الطابع السحرى الشعبى الواضح) فتميل الى الاتجاه العملى القريب المنال ، الذى لايتطلب خبرة كبيرة ولاحنكة من جانب الساحر ، وتهدف فى المقام الاول الى اشباع كافة رغبات قرائهـا (لان قارىء تلك الكتب ليس الساحر الرسمى ــ المحترف ــ فقط ، ولكنها تنتشر بين دائرة أوسع من عامة الناس) • وليس قراء كتب السحر اليوم من نفس مستوى جمهور القراء فى الماضى ، ولذلك أصبحت تلك الوصفات تحتل مكانة بارزة فى المؤلفات السحرية المتداولة اليوم •

ومن الوصفات التى نجدها فى كتاب « شمس المعارف » واحدة تستهدف تمكين القارىء التعرف على الطعام المسموم اذا قدم اليه مثل هذا الطعام(٣٦) • ويقدم كتاب « منبع أصول الحكمة » وصـفة طريقة « لفك السحر (المقصود السحر الاسود) وحل المربوط » (المربوط هو

---

(٣٦) كان تسميم الطعام من الاساليب المعروفة فى الماضى للتخلص من الاعداء . وتطالعنا كتب التاريخ بصورة جلية لانتشار هذا الاسلوب فى المجتمع المصرى فى العصور الوسطى بين السلاطين وبين عامة الناس على السواء • انظر الوصفة المذكورة عن البونى ، شمس المعارف ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٢٨٢ •

الشخص الذى شلت قدرته الجنسية بواسطة عمل سحرى)(٣٧) • كما

---

(٣٧) نقدم فيما يلى نصا للوصفة كما وردت فى الكتاب :
(بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين اياك نعبد واياك نستعين ف ج ش ث ظ خ ز ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون ل ل ط هـ ط ى ل وبالحق انزلناه وبالحق نزل ق هـ ط هـ ط ى ل فاذا جاء وعد ربى جعله دكاء وكان وعد ربى حقا ف هـ ط هـ ط ى ل وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا ن هـ ط هـ ط ى ل فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ج هـ ط هـ ط ى ل والقى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون ل م ق ف ن ج ل سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ابطلت ما عمل على كذا وكذا من العمل والسحر والعقد بيوم الاحد بالواحد الاحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ابطلت ما عمل على كذا وكذا من العمل والسحر والعقد بيوم الاثنين بثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا ، ابطلت ما عمل على كذا وكذا من العمل والسحر والعقد بيوم الثلاثاء بالملائكة المقربين جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل ، ابطلت ما عمل على كذا وكذا من العمل والسحر والعقد بيوم الاربعاء بالكتب الاربعة التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم ، ابطلت ما عمل على كذا وكذا من العمل والسحر والعقد بيوم الخميس بحق صلوات الله الخمس ، ابطلت ما عمل على كذا وكذا من العمل والسحر والعقد بيوم الجمعة سيهزم الجمعة ويولون الدبر بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ، ابطلت ما عمل على كذا وكذا من العمل والسحر والعقد بيوم السبت بحق سبع سموات ومن ألارض مثلهن يتنزل الامر بينهن لتعلموا أن الله على كل شىء قدير ، بسم الله الملك الحق المبين الم نشرح لك صدرك والعمل والسحر قد بطلا والعقد انحل ، الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك والعمل والسحر قد بطلا والعقد انحل ، الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك والعمل والسحر قد بطلا والعقد انحل ، ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا والعمل والسحر قد بطلا والعقد انحل ، الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا والعمل والسحر قد بطلا والعقد انحل ، الم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك الذى انقض ظهرك ورفعنا لك ذكرك فان مع العسر يسرا ان مع العسر يسرا فاذا فرغت فانصب والعمل والسحر قد بطلا والعقد انحل ، الم نشرح لك صدرك الى آخر السورة ، ابطلت جميع الاعمال والاسحار والغرايم والعقد أن كانت فى ورقة أو عروق أو خيوط أو طيور او سواكن فى الارض باطل باطل باطل ما عملوا وما كانوا يعملون والله على ما نقول وكيل ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ا هـ . .) .
انظر : أبى العباس أحمد بن على البونى ، منبع أصول الحكمة ، ص ص ١٧٩ — ١٨٠ .

نجد فى نفس الكتاب وصفة « لاخراج تأثير عين الحاسد من الجسد ولو كان له ستون سنة •• تكتب وفقه المسبع (شكلا معينا وارد على نفس الصفحة) وتكتب حوله هذه الرقية وتعلقها على المحسود ، فانه يشفى باذن الله تعالى ، وهى هذه ••• » (منبع أصول الحكمة ، ص ١٧٨ ، وكذلك ص ٣٢٠) •

ووصل هذا الاسلوب الى ذروته فى احدى المخطوطات الحديثة التى بين أيدينا الى حد أن مؤلف المخطوطة أخذ يورد الوصفة السحرية والوصفة الكفيلة بابطال مفعولها بعدها مباشرة • وهو أسلوب كما أشرنا يهتك أسرار المعرفة السحرية فى نظر كبار مؤلفى الكتب السحرية فى الماضى ، ولكنه يمثل الاتجاه نحو تبسيط هذه المؤلفات وتطويعها لاحتياجات القراء من البسطاء وعامة الناس(٣٨) •

٧ ـ شــفاء الامراض :

أما بعد هذا فيمكننا القول بأن الممارسة السحرية كانت ومازالت تستهدف تحقيق رغبات الناس التقليدية المعروفة • وفى مقدمة تلك الاغراض يأتى موضوع شفاء المرض بأنواعه المختلفة • وهناك فى البداية بعض الوصفات والاعمال السحرية التى تنفع فى علاج أى مرض وكل مرض(٣٩) • أما اذا أردنا التخصيص عن أسماء كل مرض على حدة ، فتأتى فى المقدمة أمراض العيون(٤٠) • ثم تأتى بعدها أمراض الحمى

---

(٣٨) انظر مثالا لذلك مخطوطة « بعض فوائد من شمس المعارف وكتاب ابن الحاج » ، مخطوطة مودعة بدار الكتب المصرية ، القاهرة ، تحت رقم ٣٩ ش .

(٣٩) انظر على سبيل المثال ، شمس المعارف الكبرى ، الجزء الثانى ، ص ١٨١ ، وص ٢٠٠ . وانظر كذلك دوتيه ، السحر والدين ، مرجع سابق ، ص ٢٢٧ نقلا عن السيوطى .

(٤٠) انظر على سبيل المثال ، شمس المعارف ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ ، وكتاب منبع أصول الحكمة ، ص ٢٩٨ . ومن اللافت للنظر أن دوتيه رغم احاطته الطيبة بموضوع السحر الاسلامى وبالتراث المدون فى هذا الميدان ، لم يذكر أى أمثلة لعلاج هذا المرض .

بأنواعها(٤١) . ويأتى بعـد ذلك الامراض التالية : الصداع(٤٢) ، وأمراض الاسنان(٤٣) ، والصرع(٤٤) ، والكسور ، و « شفاء الملسوع » بتسبب لدغ العقارب وعضة الثعبان وغيرهما من الزواحف السامة(٤٦) ، وكذلك تسهيل عملية الوضع وادراز اللبن(٤٧) ... الخ (٤٨) .

---

(٤١) انظر مثلا شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ١٤٩ ، ومخطوطة شرح اسماء الله الحسنى (دار الكتب المصرية رقم ٣٦ ش) ، وكذلك دوتيه ، المرجع السابق ، ص ٢٣٢ نقلا عن السيوطى . وانظر كذلك تقارير الخبرات الميدانية .

(٤٢) انظر أمثلة فى شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ١٨٦ ، وص ٢١١ .

(٤٣) وكان استخدام الوصفات السحرية فى علاج هذا المرض شائعا أيضا لدى اليهود القدماء ، انظر على سبيل المثال :

Blau; Altjüdisches Zauberwesen; op. cit; p. 26.

وانظر كذلك دوتيه ، المرجع السابق ، ص ص ٢٢٨ — ٢٢٩ ، نقلا عن السيوطى .

(٤٤) انظر على سبيل المثال ، شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ٢٠١ . وكانت الناس تعتقد دائما أن الجن هى التى تسبب اصابة بعض الافراد بهذا المرض . وقد رصد دوتيه وبلاو نماذج لهذا المعتقد عند شعوب أخرى ، دوتيه ، المرجع السابق ، ص ٢٢١ وص ٢٢٤ نقلا عن السيوطى ، وبلاو ، المرجع السابق ، ص ٣١ و ص ٣٤ .

(٤٥) انظر مثلا شمس المعارف الكبرى ، الجزء الثانى ، ص ١٩٥ . والملاحظ أن التجبير أو علاج الكسور هو آخر اشكال الطب الشعبى التى مازالت شائعة حتى اليوم ، رغم انتشار الطب الرسمى على نطاق واسع وفى كل القطاعات .

(٤٨) وهناك طائفة أخرى من الامراض لايتسع المقام لحصرها جميعا ، مما يدل على مدى انتشارها ومدى ما تسببه للناس من آلام ، انظر مثلا شمس المعارف ، الجزء الثالث ، ص ٢٨٦ ، ودوتيه ، المرجع السابق ، ص ص ٢٣٧ — ٢٣٨ .

(٤٧) انظر نماذج لتلك الوصفات فى شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ١٩٨ ، وانظر كذلك مخطوطة « شرح أسماء الله الحسنى » ، مرجع سابق ، ص ١٤ أ ، ومنبع أصول الحكمة ، مرجع سابق ، ص ٢٨١ ، دوتيه ، المرجع السابق ، ص ص ٢٣٣ — ٢٣٤ نقلا عن السيوطى .

(٤٨) وهناك طائفة أخرى من الامراض لا يتسع المقام لحصرها جميعا ، بل ان هناك بعض الوصفات التى تستهدف الاصابة بأمراض مختلفة . ونجد نماذج لذلك فى مواضع متفرقة فى مؤلفات البونى ، والسيوطى ، وابن الحاج ، =

ومن الموضوعات التى تشغل حيزا واضحا من الوصفات السحرية العلاجية ، تلك التى تستهدف عــلاج أمراض الاطفال ، وكذلك عــلاج مشكلات تربية الاطفــال كســوء الخلق ، أو الانحرافات ، أو البــكاء الدائم .. الخ . ومن أمراض الاطفــال نذكر : حمــاية الجنين فى بطن أمه(٤٩) ، وعلاج الرضيع الذى لا يستطيع الرضاعة بشكل سليم(٥٠) ، وعــلاج بكــاء الطفل(٥١) ، وحمــاية الطفــل من أم الصبيان (أو القرينة(٥٢) وعلاج تأخر الكلام عند الطفل(٥٣) ، وعلاج الاضــطرابات والمضاعفات التى تحدث بعد ختان الطفل(٥٤) .

وهناك علاوة على هذا طائفة من الوصفات التى تستهدف « ادخال السرور على الحزين »(٥٥) ، أو « المســح على رأس الغضبان لازالة غضبه »(٥٦) ، والتخلص من الأحلام المزعجة المخيفة »(٥٧) . و « الابراء من الوسواس »(٥٨) .

= وابن الميلق ، « جواب من استفهم عن اسم الله الأعظم » . مخطوطة (دار الكتب المصرية ، القاهرة . تحت رقم ٢٣١٨٠ ب) ، ص ٥٦ ب وص ٥٧ ا . ونجد من بينها وصفات لعلاج الارق .

(٤٩) انظر مثلا ، منبع أصول الحكمة ، ص ١٦٦ .

(٥٠) انظر مثلا ، شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ١٨٢ .

(٥١) انظر مجربات الديربى الكبير ، ص ١٠٦ ، وكذلك تقارير الخبرات الميدانية .

(٥٢) انظر على سبيل المثال ، شمس المعارف ، الجــزء الرابع ، ص ٤٣٦ . وانظر الباب الخاص بالكائنات فوق الطبيعية (الجن) فى كتابنا هذا .

(٥٣) انظر مثلا ، شمس المعارف الكبرى ، الجزء الرابع ، ص ٣٧٧ ، ومواضع أخرى متفرقة .

(٥٤) انظر مجــربات الديربى الكبــير ، ص ١٠٢ (دواء لســيلان دم الختان) ، وانظر كذلك

Horten; M; Die religiose Gedankenwelt eds Volkes im heutigen Islam; Lieferung I; Halle/S; 1917 und Lieferung II; Halle/S; 1918; p. 117.

(هورتن ، المعتقدات الدينية عند الشعوب الاسلامية المعاصرة) .

(٥٥) انظر ، شمس المعارف . الجزء الثانى ، ص ١٥٧ .

(٥٦) المرجع السابق . ص ١٨٩ .

(٥٧) المرجع السابق : ص ٢٠٠ .

(٥٨) المرجع السابق . ص ١٥١ ، ومنها ايضا : « دفع الوسوسة =

ومن أشهر أغراض السحر العملية تأمين الخائف وتهدئة مخاوفه . ولا يمكن أن نفهم هذا الغرض حق فهمه ، الا اذا تذكرنا ظروف الامن فى الشارع المصرى فى تلك الايام ، حيث لا توجد شرطة قوية تؤمن بشكل دائم حياة الناس وأموالهم . ويوضح لنا ذلك النموذج التالى نقلا عن البونى : « اعلم وفقنى الله تعالى واياك الى طاعته وفهم أسرار أسمائه أن آية الكرسى الشريفة لها خواص لا تحصى ولا تعد لانها أعظم آية فى كتاب الله تعالى ، وان من أعظم خواصها ما أذكره لك . وذلك أنى كنت جالسا بين يدى شيخى أبى عبد الله الاندلسى ونحن نذاكر فى بعض العلوم اذ دخل علينا رجل وهو يرجف مثل السعفة فى الريح العاصف ، ثم سلم ووقع على يد الشيخ يقبلها ويبكى . فقال له الشيخ مالك أيها الرجل وما الذى أبكاك ، فقال له الرجل اعلم يا سيدى أننى خائف من بعض الاعداء أن يغتالنى بسوء وليس لى قدرة عليه وقد أتيتك يا سيدى عسالك أن تفرج عنى همى وغمى وتزيل عنى كربى . فلما سمع الشيخ ذلك القول من الرجل ، قال له ابشر يا هذا ولا تخف ان شاء الله تعالى بعد هذا اليوم . لا تخف من أحد ، ثم ان الشيخ عمد الى رقعة وكتب فيها ... (ويلى ذلك فى النص الاصلى حوالى خمسة عشر سطرا كلها أدعية وبعض آيات قرآنية لتهدئة الخائف وبعض الصيغ) ... ثم أن الشيخ طوى الرقعة للرجل وقال له ضعها فى عمامتك فانك تأمن من كل مكروه . فلم ينظر الرجل بعده سوءا أبدا »(٥٩) .

٩ — موضوعات الحب والزواج :

ومن الموضوعات الكبرى الاخرى التى تبرز كأهداف للممارسة السحرية موضوع الحب والزواج وما يتصل بهما من هموم ومشكلات .

= والخوف والفزع وحديث النفس والخيال والوصف . . . » ويلاحظ هنا كيف أن المؤلف يفسر الوسوسة وحديث النفس بأنها التجديف بالسؤال عمن خلق الله ، شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ص ١٩٤ — ١٩٥ .

(٥٩) نقلا عن شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ٢٣١ . وانظر مزيدا من النماذج على صفحات ١٤٥ ، ص ١٥٠ ، وص ٢٠٠ .

وتقدم المؤلفات السحرية حلولا لكل مشكلة فى هذا المجـال ، وتستطيع (أو هى تدعى ذلك) أن تحقق كل رغبة تخطر أو لا تخطر على البال[٦٠] فهناك على سبيل المثال أحـد الاحجبة الذى يقول البـونى عن فوائده :
« ... واكتب حوله (شكل سـحرى مبين بالصـفحة المذكورة) البيت (بيت شعر من قصيدة سحرية) دائرة وأحمله وتوجه لمخطوبتك ، فان أهلها يبهتون ويقضون حاجتك ولا يردونك خائبا باذن الله تعالى »[٦١] . وهناك محجب آخر (مبنى على اسمه تعالى « الجميل » وعلى شـكل سحرى مركب من حروفه) الهدف منه أن تظهر العروس فى صورة جميلة:
« ... وأما اسمه تعالى الجميل فهو يصلح للعروسة يكتب موفقا (أى فى وفق = شكل سحرى معين) وتحمله ، فانه (أى العريس) لا يرى أبهج منها ولا أحسن »[٦٢] . وهناك طائفة كبيرة من الوصفات التى تستهدف تيسير المرأة العازبة[٦٣] .

والملاحظ أنه لا يكاد يخلو كتاب أو مخطوط من كتب السحر أو كتب المعتقدات الشعبية من الاهتمام بمعالجة موضـوع الحب كمحـور من محاور الممارسة السحرية (الاحترافية أو الشعبية) . وتطلق مثـل هذه الكتب على أنواع العواطف التى تعالجها : الحب ، والوجـدان ، والعشق ، والتهيج .. الخ[٦٤] . غير أن الوصفات لا تسير فى خط واحد دائما ، أى أنها لا تستهدف فقط ايقاع شخص فى غرام آخر ، وانما يمكن أن يتجه شخص الى الساحر المحترف لكى يتخلص من وجـد يحس به تجاه امرأة معينة . ويلتمس لديه خلاصا من حب يشقيه أو يأكل صحته وسعادته . ومن أجل هؤلاء يكتب البونى وصفة : « لمن أضره العشـق

---

(٦٠) انظر هورتن . المرجع السابق ، الجزء الاول ، ص ١١٧ .
(٦١) البونى ، منبع اصول الحكمة . مرجع سابق . ص ٢٦٢ .
(٦٢) البونى . شمس المعارف الكبرى ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ٢٦٥ .
(٦٣) البونى ، منبع اصول الحكمة ، ص ٨٩ .
(٦٤) انظر دوتيه ، المرجع السابق ، ص ٢٥٤ .

والمحبة والهيام الى شخص وخشى الفضيحة من الناس أو بين أهله »(٦٥). ولا عجب فى هذا لاننا نعرف أن المعتقـد الشعبى يفسر الحب الشديد (الهيام) والغيرة الشديدة بأنهما من فعل الجان (فلان سبى فلانة ، أو العكس) • بينما يفسر المعتقد السحرى الرسـمى ذلك بأنه راجع الى تأثير عمل سحرى معين بالمحبة ، ولا يعالج هذا الهيام الا عن طريق فك العمل • ولذلك تسارع النسـاء من أهل الفتـاة التى تهيم حبا بأحـد الاشخاص الى الساحر المحترف لكى يفك العمل المعمول لها بمحبة هـذا الشخص ، تدفعهن الى ذلك غيرتهن على شرف الاسرة وسمعة الفتاة(٦٦).

ويرتبط بقضية الحب والعواطف تلك الوصفات التى تهدف الى شل قدرة الرجل الجنسية أو جعل المرأة غير قادرة على الحمل • فنجد البونى يورد أحد الاسماء الحسنى الذى لا تحمل المرأة مادامت تردده(٦٧) • كما أن هناك اسما آخر « فيه سر لطيف لمن أراد عقم رجـل أو امرأة عن الأولاد » (منبع أصول الحكمة — ص ١٢٠ ، ونموذج آخر بنفس المعنى ولنفس الهدف ، ص ٢١٠ من نفس الكتاب • وكذلك الجـزء الثانى من شمس المعارف الكبرى ، ص ١٧٣ والجزء الثالث ، ص ٢٦١) •

وبرغم الانتشار الواسع للاعتقاد فى هذه الممارسة (بالطبع عقد الرجل أو ربطه — أى دون المرأة) فى الريف المصرى ، فان دوتيـه قـد لاحظ بالنسبة للمغرب أنه من الصعب فى شمال افريقيا الحصول من أحـد السحرة على كيفية عقد رجـل وذلك لانهم يخافون عـذاب الله ان هم فعلوا ذلك لانه أمر مكروه كراهية شديدة • وقد لاحظ دوتيه أن غرض العقد (أو الربط) لا يستخدم الا فى حالة الأزواج الشبان فقط لاسباب

---

(٦٥) البونى ، شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ٢١١ •
(٦٦) انظر شواهد من مؤلفات سحرية مختلفة ، ومن واقع الممارسة السحرية فى منطقة الشمال الافريقى ، عند دوتيه ، السحر والدين ، مرجع سابق ، ص ٢٢٤ . وكذلك مؤلف الآنسة بلاكمان عن فلاحى الصعيد :
W. Blackman; The Fellahin of Upper Egypt; London; 1926.
(٦٧) البونى ، شمس المعارف ، الجزء الثالث ، ص ٢٦١ •

الغيرة أو خلافه[٦٨] • ولهذا السبب — ربما — يؤكد البونى أن وصفات الربط أو عقد الرجل لا يصح أن تستخدم الا فى حالة الزانى فقط ، (انظر : منبع أصول الحكمة ، ص ص ٨٠ — ٨١) •

أما الغرض المقابل لهذا — وهو الاكثر انتشارا والأكثر الحاحا — فهو علاج المرأة العاقر ، وتمكينها من الحمل وانجاب الاطفال (انظر مثلا ، منبع أصول الحكمة ، مرجع سابق ، ص ١٠٢) •

غير أن الامر لا يقتصر على دائرة الجنس والانجاب فحسب ، ولكنه يمتد الى نطاق أوسع ليعالج العلاقات بين الرجل وزوجته ، فيصلح من شأنها ، ويجعل المرأة أكثر طاعة لزوجها ، وتجعله هو أكثر رأفة بها ورحمة لها •• الخ • ويقول البونى عن أحد الوصفات : « من كتبه وسقاه لزوجته ، لم تفعل ما يكرهه بعد ذلك » (منبع أصول الحكمة ، ص ٨٩) • كذلك توجد عديد من الوصفات لتقوية الجنس عند الرجل ، وتمكينه من أداء واجباته فى هذا الصدد بكفاءة عالية[٦٩] •

١٠ — العلاقة بين المواطن والحاكم :

ولما كانت حياة الناس وأقدارهم فى ذلك الوقت معلقة بمزاج الحاكم وارادته ورضاء من حوله ، كان من الطبيعى أن نعثر فى المؤلفات السحرية الرسمية على عديد من الوصفات التى تستهدف حماية صاحبها عند « الدخول على السلاطين » وعند « الوقوف على الحكام » وعند

---

(٦٨) انظر دوتيه ، المرجع السابق ، ص ص ٢٨٩ — ٢٩٠ •

(٦٩) انظر على سبيل المثال بعض النماذج عند دوتيه ، المرجع السابق ، ص ص ٢٥٦ — ٢٥٧ (نقلا عن السيوطى) ، وهناك وصفات لضمان اخلاص المرأة لزوجها وكذلك اخلاص الرجل لزوجته ، دوتيه ، ص ٢٥٧ نقلا عن ابن الحاج والسيوطى • ووصفات أخرى تستهدف معرفة الحقيقة اذا ما شك الرجل فى عفة زوجته او ابنته ، او اى امراة من أفراد أسرته • انظر كذلك هورتن ، المرجع السابق ، ص ١١٤ •

« غضب الجبار » ، وتحميه من توقيع العقاب الذى ينتظره أو يخاف منه ، أو تتيح له الوصول الى المنصب الذى يتوق اليه •• الخ(٧٠) • والملاحظ أن الذين يعملون فى خدمة سلاطين ذلك الزمان هم أكثرهم تعرضا لغضبه ومزاجه المتقلب ، ولذلك نجد لدى البونى وصفه (يستخدم فيها اسم الله الغفور) « تصلح لمن كان فى خدمة السلاطين » • (شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ١٦٠ • وانظر مزيدا من الشواهد حول هذه النقطة فى نفس هذا الجزء صفحات ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٦٨ ومواضع أخرى كثيرة) •

ولا تنصرف الوصفة أحيانا الى مجرد الخوف من الحاكم وتقلبات مزاجه ، ولكنها تستهدف التيسير أحيانا على من ارتكب جرما معينا وخاف ساعة محاسبة الحاكم له : « من فعل ذنبا وخاف عقابا من حاكم أو غيره وذكر الاسم (أحد أسماء الله الحسنى : العفو) أمام عدوه ، أمنه الله تعالى مما يخاف ويحذر » (شمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ١٧٨) • « ومن خاف محاسبة وأكثر من ذكره نجاه الله مما يخاف ويحذر » (المرجع السابق ، ص ١٦٢) •

---

(٧٠) من الملاحظات ذات الدلالة فى هذا الصدد اننا عندما نطالع فى الفصل الذى يتحدث فيه ابن اياس عن أخبار من ملك الديار المصرية فى مبتدا الزمان من الجبابرة ، نجده يصف كل ملك عظيم بأنه « كان عالما فاضلا فى علوم السحر والكهانة » ، ولابد ان يشير كمقياس لعظمة هذا الملك الى بعض الافعال والآثار السحرية فوق الطبيعية التى اتاها فى عصره وبقيت بعده او فنيت معه ، وكثرة هذه الآثار السحرية — كما يفهم من حديثه — مقياس لعظمة هذا الملك ، ومن لا يصفه منهم بهذه الصفة — وهم قلة نادرة — فانه كان ظالما جبارا عنيدا ولم يدم ملكه طويلا . ولعل ذلك يثير فى اذهاننا فكرة وجود الاعتقاد فى العلاقة بين قوة الملك ودوام ملكه وبين ملكته وقدراته السحرية . هذا اذا أخذنا فى الاعتبار كثرة الوصفات الواردة عند البونى وغيره للحصول على الملك ، أو دوام الملك ، او حب الرعية للملك ، او طاعة الجند أو الرعية للملك ، او استدامة الملك ... الخ .

قارن ابن اياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، طبعة القاهرة ، ١٣١١ هـ ، الجزء الاول ، ص ص ٩ وما بعدها . وانظر كذلك هورتن ، المرجع السابق ، ص ص ١١٦ — ١١٧ .

١١ — وصفات للحكام أنفسهم :

وتوجه بعض تلك الوصفات الى الحكام أنفسهم والى أولئك الذين يريدون الوصول الى السلطان والحكم، وصفات لمن يطلب الملك والسلطنة، ولمن يطلب الوزارة والامارة ، ولمن يطلب المحبة والطاعة . (انظر فى هذا مواضع متفرقة عند البونى فى شمس المعارف ، وكذلك دوتيــه ، المرجع السابق ، خاصة الفقرة المنقولة عن مقــدمة ابن خلدون ، ص ص ٢٥٧ وما بعدها ، ومخطوطة ابن الميلق ، جواب من اســتفهم عن اســم الله الاعظم ، ورقة ٥٦ ب ، ٥٧ أ) .

وهناك طائفة غير قليلة من الوصفات الســحرية التى تســاعد فى النصر على جيوش الأعداء (دوتيه ، المرجع الســابق ، ص ص ٢٣٩ — ٢٤٠ نقلا عن ابن الحاج) . ونقــرأ وصفة يجب ازابتها فى محــلول « وترش به آلات الحرب لكى لا تخطىء أبدا » (مخطوطة شرح أسماء الله الحسنى ، مرجع سابق ، ص ٩١) وصيغة أخرى يجب تلاوتها قبل كل رمية لتمكين المحارب من الاصابة فى رمى القوس (شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ٢٢٤) . ومن الوصفات الاخرى المتعلقة بالحرب تلك التى تؤدى الى فك الاســير من أسره (المرجع الســابق ، ص ١٤٥) وتخليص المسجونين والمأسورين (المرجع السابق ، صفحات ١٥٩ ، ١٩١، ١٩٨ .. الخ) (٧١) .

---

(٧١) نذكر هنا أنه كان من ابرز كرامات سيدى احمد البدوى تخليصه أسرى المسلمين من أيدي الصليبين . وهى كرامة ترد بتفصيلها فى حكاية ذلك الولى الكبير ، وفى الاغانى الشعبية التى مازالت تردد مآثره وتغنى بمناسبة مولده وفى مناسبات مختلفة . انظر مزيدا من التفاصيل عند
Kriss: Vloksglaube im Bereich des Islam: Vol. 1; p. 69.
وتحت أيدينا شواهد على ذلك من زياراتنا الميدانيــة لمــولد الســيد البدوى فى طنطا .

١٢ — لاهلاك العدو والظالم :

ولكن أغلب الوصفات تهدف الى هلاك العدو بصفة عامة ، سواء كان عدوا شخصيا أم عدوا سياسيا .. الخ . ولتدمير الظالم ، أو اشعال النار فى بيت العدو ، وقمع الجبارين (انظر على التوالى : شمس المعارف ، الجزء الاول ، ص ٣٥ ، وابن الحاج ، مرجع سابق ، ص ٩ ، وشمس المعارف ، الجزء الاول ، ص ٨١ ، وص ١٠١ ، وص ١٤٥ — ١٤٦ ، وص ١٧٦ من الجزء الثانى ، ومجربات الديربى ، ص ص ١٨ — ١٩) . على أنه يوجد الى جانب هذا الهدف العام غير المحدد أهداف أخرى أكثر تحديدا ترمى الى اصابة العدو بالامراض (منبع أصول الحكمة ، جـ ٤ ص ٢٤٢) أو تعذيبه « بعقد بوله » (شمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ٢٢٣) أو تعذيبه بطريقة أخرى هى « ابطال نومه » (منبع أصول الحكمة . ص ١٧٣) ، أو « تسليط الهموم والاحزان عليه » (شمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ٢١٦) . ومن العقوبات الاخرى التى تتردد فى كتاب منبع أصول الحكمة ويراد توقيعها على الظالم : رجم داره ، واخراجه من داره أو من بلده ، وتسليط الصداع عليه ، واصابة عينيه بالرمد ، واصابة المرأة الظالمة والفاجرة بالنزيف ... الخ .

بل ان الامر يصل فى بعض الاحيان الى حد العمل على قتل الظالم : « وأما اسمه المميت ... فمن ذكره على ٥٢١ نواة من التمر كل واحدة ٦ مرات ، وصور ذلك النوى صورة شخص ، ويقول هذا فلان ، ويصلى عليه صلاة الجنازة ، فان الشخص يموت . وبهذا السر قتل صاحب القسطنطينية لما خرج على صاحب صنهاجه » . (شمس المعارف ، جـ ٣ ، ص ٢٧٣) .

على أننا لا نجد بجانب هذا الطوفان الكاسح من الانتقام والرغبة فى اهلاك العدو ، سوى مواضع قليلة يراد فيها « معاقبة الظالم بنفس جرمه » أى تطبيق قاعدة القصاص الاسلامية المعروفة (انظر على سبيل المثال : شمس المعارف ، الجزء الثانى ، ص ١٧٥) .

١٣ ـ الحماية من اللصوص وقطاع الطرق :

وتدلنا كثرة الوصفات المخصصة للحماية من السرقة ومن قطاع الطرق ولتأمين الثروة على هموم انسان ذلك العصر ومخاوفه من اللصوص وقطاع الطرق ، وكذلك مشاق السفر بوجه عام من تعب وجوع وعطش .. الخ . ويمكن أن نتبين ذلك المناخ النفسى من المثال التالى :
« فائدة مباركة للحرس من الأعداء والخوف والفزع من قطاع الطريق ومن غيرهم . قال بعض الصالحين رحمه الله تعالى نزلنا فى بعض الاسفار على نهر يجرى فأتانا قوم قالوا انه لم ينزل فى هذا الموضع أحد الا نهب متاعه . فرحل أصحابى من الخوف والفزع وتخلفت أنا لحديث سمعته من ابن عمر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم . من قرأ ثلاثا وثلاثين آية من كتاب الله تعالى لم يضره تلك الليلة سبع ضارى (!) ولا لص عادى (!) وعوفى فى نفسه وأهله وماله حتى يصبح . فلما أمسيت لم أنم حتى رأيت جماعة وقد جاءوا مجردين سيوفهم وأبدانهم منى فلم يصلوا الى . فلما أصبحت رحلت فلقينى شيخ على فرس ، وقال لى يا هذا أنس أم جن . فقلت بل انس من أولاد آدم . فقال لى ما بالك أتيناك فى هذه الليلة أكثر من سبعين كل مرة ذلك يحال بيننا وبينك بسور من حديد . فقلت له حدثنى ابن عمر رضى الله عنه عن النبى ... فلما سمع الشيخ ذلك نزل عن فرسه وقبل رأسى وأعطى الله عهدا أن لا يعود الى ما كان منه أبدا . وهذه الآيات المباركة القدر ... واعلم أن هذه الآيات تسمى آيات الحرس يقال ان فيها .. »
(شمس المعارف الكبرى ، الجزء الثانى ، ص ٢٣٢)(٧٢) .

---

(٧٢) يلاحظ فى هذا النموذج الذى قدمناه بشىء من التفصيل ان البونى يريد تقديم وصفة لتأمين المسافر وحمايته من قطاع الطرق . ولكنه لا يكتفى بقول تلك الفكرة ببساطة ، وانما يدعمها دائما بقصة أو حديث عن الرسول عليه الصلاة والسلام أو عن غيره من الصحابة أو الصالحين ، واحيانا يحكى القصة التى تبين قوة هذه الوصفة وتوضح مدى فاعليتها نقلا عن أحد =

ولا يقتصر هذا الباب على تأمين المسافر من قطاع الطرق ، ولكن هناك وصفات تستهدف تأمينه من الاصابة بالمرض أثناء سفره (شمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ١٦٨) ، وحمايته من الوحوش الضارية (وخاصة السباع) (المرجع السابق ، ص ٢٢٧) •

ويدلنا هذا كله على مدى الاهتمام باستخدام الاعمال السحرية للنجاة والتأمين فى السفر سواء برا أو بحرا فى ضوء ما نعرفه عن ظروف ذلك العصر • ويعتبر امتدادا لهذا المطلب الموضوعى — الى حد ما — المطلب الخيالى بأن ينقلك الخدام (الأرواح الذين يخدمون الشيخ أو العمل السحرى أو الاسم المستخدم فيه) الى حيث شئت ، وبذلك يحلم الانسان بالغاء متاعب السفر وأخطاره ومشاقه الغاء كاملا • (انظر نموذجا فى المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٠١) •

ومن نتائج هذه الاخطار وآثارها أن يختفى الشخص المسافر وتنقطع سيرته ولا يستطيع أهله الاستدلال عن مكانه ، أو عما اذا كان حيا أو ميتا • ولذلك تتواتر الوصفات التى تستهدف « ارجاع المسافر الى المكان الذى خرج منه » (المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٧٠ ، ص ١٩١) • والملاحظ أن هذا الغرض من أغراض الممارسة السحرية مازال حيا فى بعض المناطق الريفية حتى عهد قريب ، خاصة حيث يتعذر على أفراد الاسرة أن يستدلوا على أحد ذويهم ، الذى هاجر الى مدينة قريبة أو الى القاهرة بحثا وراء الرزق أو هربا من أي ظرف • (انظر شواهد أخرى

= اساتذته ، أو عن شخص من الصالحين (دون تحديد اسم معين) ، أو يحكى تجربة مر هو نفسه بها • وتلك بصفة عامة قاعدة اساسية فى تقديم المعرفة السحرية الرسمية وتناقلها من الاستاذ الى المريد • اذ يبدأ الشيخ دائما برواية الملابسات التى تأكد له نفيها او تأكد لغيره هذه الوصفة • وهناك سلسلة طويلة معتمدة ودقيقة لتواتر المعرفة السحرية (بدءا من آدم) ووصولا الى مؤلف أى كتاب من كتب السحر • وقد عقدت لهذا الموضوع فصلا مستقلا فى رسالتى عن « استخدام اسماء الله فى السحر » ، مرجع سابق ، ص ص ٣٣ — ٧١ •

عند دوتيه ، المرجع السابق ، ص ٢٥٢) • وتدل خبرتنا الميدانية مع السحرة المحترفين فى أكثر من منطقة من مناطق مصر على انتشار هذه الممارسات لهذا الغرض فى أعقاب الحروب التى خاضتها مصر ، حيث يلتمس الاهل لدى الساحر جوابا يستدلون منه على مكان ابنهم الذى فقد فى الحرب ، ولم يبلغوا باستشهاده ولم تصلهم منه أى رسالة تدل على وجوده على قيد الحياة •

وهناك طائفة من الوصفات التى تستهدف تأمين الثروة ، والبيت ، والحقل ، بل والمدينة من قطاع الطرق واللصوص ومن اليهم • فهذا أحد الاسماء يجب أن « يكتب على سور الدار أو البستان لحمايته من كل طارق سوء » (شمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ١٥٣) • وهذا اسم آخر يكتب على صندوق المال فى (الساعة) الاولى من يوم الخميس ، فانه يحفظه من اللصوص » (المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٧٩) •

واذا غفل الانسان عن اتخاذ الاحتياطات المناسبة لحماية ثروته ، وفقد منه شىء ما ، فانه يلجأ الى الساحر المحترف • ويعتبر « المندل » أوسع الوسائل انتشارا التى يستخدمها المشتغلون بالسحر للاستدلال على مكان الشىء المسروق أو للارشاد الى السارق(٧٣) •

---

(٧٣) عن تعريف المندل وفكرته انظر كريس ، المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ص ٨٥ — ٨٦ . وبالنسبة لمصر الحديثة قدم وليم لين وصفا مفصلا لهذه الممارسة ، نورده فيما يلى لامكان المقارنة مع عملية فتح المندل التى اجراها معنا أحد المشتغلين بالسحر فى احدى قرى الدلتا شتاء عام ١٩٦٤ / ١٩٦٥ . يقول لينين : « وهى عملية سحرية تسمى « بضرب المندل » يطلب الساحر فيها أولا ورقة وقلما وحبرا ومقصا ليعد تجربة مرآة الحبر . ثم . . . قطع قصاصة ضيقة كتب عليها بعض ادعية ، علاوة على تعويذة أخرى يعتقد أن التجربة تتم بها . ولم يحاول أن يخفى ذلك . ولما طلبت نسخة منها قبل بسهولة وكتبها فى الحال موضحا لى فى الوقت نفسه انه يبلغ غايته بفضل الكلمتين الاولين « طرشن » و « طريوشن » وهما اسما تابعيه الجنيين . . . ونص النسخة : « طرشن طريوشن انزلوا انزلوا احضروا الى منصب الامير وجنوده ، الى الاحمر الامير وجنوده . واحضروا يا خدام هذه =

١٤ ـ كشف الكنوز والوصول اليها :

ويرتبط بالغرض السابق من أغراض الممارسة السحرية غرض مثير لإهتمام البعض من هواة كشف العجائب والاسرار والباحثين عن الثروة من طريق سهل ، وأعنى هنا الكشف عن الكنوز والاستدلال على مكانها . حيث يحدثنا ابن خلدون وتحدثنا كل كتب تاريخ العصور الوسطى الاسلامية عن الناس الذين يعتقدون أن ثروات العصور الغابرة مخبأة كلها تحت الارض ، وأنها محفوظة بصيغ سحرية معينة ويقوم على حراستها حراس أشداء (من الجن أو المردة) . وأنه من الممكن الحصول على تلك الكنوز بمجرد معرفة الأسرار (السحرية) التى تحفظها وكشفها وكيفية السيطرة على الحارس عليها(٧٤) .

= الاسماء » . و « هذا الكشف فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد صحيح صحيح » .

وبعد أن كتب هذه الكلمات فصل الادعية عن التعويذة وقطع الاولى الى ست جذاذات . ثم شرح لى ان القصد من التعويذة التى تتضمن جزءا من الآية الحادية والعشرين من سورة الكهف* ، هو فتح عين الصبى بطريقة غير عادية وجعل بصره حادا ترى مالا نراه . وكنت قد أعددت بارشاد الساحر قليلا من اللبان والكزبرة ومجمرة بها جمر . فوضعت كل هذا فى الغرفة مع الصبى الذى أعد لاجراء التجربة . وكانوا قد دعوه من الشارع ، بناء على طلبى ، من بين بعض الصبيان ... فكان الصبى يبلغ من العمر ثمانى سنوات أو تسعا . وعندما سألت الساحر أن يبين لى من يستطيع النظر فى مرآة الحبر السحرية أجابنى : الصبى دون البلوغ ، والبنت العذراء ، والجارية السوداء ، والمراة الحامل . ووضع الساحر المجمرة أمامه ثم أجلس الصبى على كرسى ، وامر خادمى أن يضع فى المجمرة بعض لبان وكزبرة ثم امسك يد الصبى اليمنى ، ورسم على راحته مربعا سحريا ... ثم صب فى وسطه قليلا من الحبر وطلب من الصبى أن ينظر فيه ، ويخبره اذا كان يمكنه رؤية وجهه معكوسا فيه ، فأجاب الصبى انه يرى وجهه جليا . فقال الساحر وهو يمسك بيد الصبى طوال الوقت ـ أن يظل محدق النظر والا يرفع رأسه ... » للمزيد من التفاصيل عن ضرب المندل .

انظر : وليم لين ، المصريون المحدثون ، ترجمة عدلى طاهر نور ، دار نشر الجامعات ، القاهرة ، ١٩٧٥ ط ٢ ، ص ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨ .

* صحتها الآية الثانية والعشرون من سورة ق .

(٧٤) تحدث فينكلر فى كتابه عن الاختام والاشكال فى السحر الاسلامى ، ص ص ٨٣ ـ ٣٩ عن تلك الوصفات والعزائم ، واشار تفصيليا الى حديث =

والطريف أن استعراضنا الطويل العميق لكافة الكتب والمخطوطات السحرية قد أوضح لنا أن الوصفات السحرية التى تقدم حول هـــذا الموضوع كلها تهدف الى كشف أسرار الكنوز ، وترسم طرق الوصول اليها فى أمان بالتغلب على الموانع التى وضعها أصحاب تلك الكنوز لحمايتها • ولم نصادف فى كل هذا التراث الغزير دعوة واحدة أو تعزيمة واحدة أو طريقة معينة لحماية كنز بواسطتها ، مما يزيدنا معرفة بجمهـور أولئك السحرة ، ويعرفنا بدوافعهم وآمالهم وتطلعاتهم • فهم لا يفتشون عن الكنوز المخبأة فحسب ، أو يسعون الى وسيلة للتعامل مع حراس تلك الكنوز من الجن ، ولكنهم كذلك يلتمســون وصــفات « لفتح الأقفـــال والسلاسل وكل شيء مغلق » (شمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ١٩٦ ، وانظر كذلك شموس الانوار لابن الحاج حيث يورد فصـــلا فى الفهرس لفتح الأقفال) •

١٥ ـ الحصول على المال :

أما الوصفات التى تستهدف الحصول على المال فتمثل بابا من أهم أبواب الممارسة السحرية ، ولا عجب فى هذا فى ضوء ما نعرفه عن ظروف جمهور السحرة المحترفين ، سواء فى ذلك جمهور الامس أو اليوم • ويتم الحصول على المال (كما يتمناه هذا الجمهور) بصور مختلفة وبوسائل شتى • وأبسط تلك الوسائل جميعا وأيسرها فى نفس الوقت هو أن يحضر الخادم (الروح الموكل بالعمل أو بالاسم) المال الى الشخص فى بيته • ومع ذلك فهذه الوسيلة نفسها تتحقق بصور شتى ، منها أن يحضر الخادم

= ابن خلدون المشار اليه ، كما اشار الى ظهور هذا الموتيف بشكل واضح فى عدد من قصص الف ليلة وليلة . انظر كذلك سـهير القلمـاوى ، الف ليلة وليلة ، القاهرة ، ١٩٦٦ . وانظر منبع أصول الحكمة ، مرجع سابق ، ص ٣١١ ، وشمس المعارف ، جـ ٢ ص ١٦٦ . كمـا انتبهت الى تلك الممارسـة الواسعة الانتشار بين الفلاحين الآنسة بلاكمان ، فلاحو الصعيد ، مرجـع سابق (الفصل الخاص بالسحر والسحرة) .

بالشخص دينارا ذهبا كل يوم • وأحيانا ألف دينار شهريا • وفى جميع تلك الأحوال يوصى الساحر العميل بأن يحفظ هذا الامر سرا ، ولا يطلع أحدا عليه ، والا انقطع الخادم عن الحضور بالمال • وفى أحد المواضع من شمس المعارف يورد البونى مجموعة من هذه الوصفات ، ويورد فى ختامها شروطا نذكر منها : « ••• فيقبل عليك خادم السورة الشريفة على صفة شاب حسن طيب الرائحة فيسلم عليك فرد عليه السلام ، وتأدب معه ، فانه يدفع اليك كيسا فيه ألف دينار • ويشترط عليك شروطا منها زيارة الأموات فى كل يوم جمعة ، ولا تنسى الفقراء والمساكين وأن لا (وألا) تزنى • فتجيبه الى طلبه ، وتشكر منه (١) • فيقول لك الخادم يا عبد الله ان قرأتها وفعلت ذلك كل شهر ترزق ألف دينار • فتصرف الخادم ، وتقول له شكر الله سعيك ، وغفر لنا ولك وانصرف مأجورا بخير • واكتم سرك والله أعلم » (شمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ١١٩) •

ولسنا بحاجة الى أن نسوق مزيدا من الأمثلة ، ولكن المهم أن نلاحظ أن العادة ألا تذكر الوصفة المبلغ بالتحديد ، ولا مواعيد احضاره ، وانما يكتفى بالاشارة الى أنه بوسع الشخص أن يطلب المال من الخادم ، وأنه سوف يستجيب لهذا الطلب • وأن كمية هذا المال تتوقف على درجة اجتهاده • ويقول البونى فى تأكيد فاعلية احدى الوصفات : « ••• وقد ذكرت ذلك لصديق وأشرت اليه بذكره • فجلس فى خلوة ذاكرا للاسم مدة طويلة، فيسر الله له مراده وجاءه ما يحتاج اليه من الذهب والدراهم، وقيل له ان زدت زدناك وان استكفيت كفيناك » (المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٨٠) •

أما الصورة الثانية لجلب المال والثروة فهى تحويل الاشياء العادية (كالورق مثلا) الى ذهب (المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١٩٦) أو تحويل الاشياء العادية الى أشياء ثمينة أو على الاقل أغلى ثمنا (كتحويل الماء الى سمن — شمس المعارف ، جـ ٤ ، ص ٤٢٤) • والامر الجدير بالذكر

هنا أن تحويل الاشياء الخسيسة أو العادية الى أشياء نفيســة لا يتم بالطرق المعروفة فى علم السيميا ، ولكنه يتم عن طريق تلاوة الحــروف والاسماء ، والآيات ، واستحضار الارواح ، وكتابة الاشكال والاوفاق ... الخ(٧٥) .

وفى أحيان أخرى يكون العميل أكثر تواضعا ولا يطلب ســوى أن يبارك الله له فى دنانيره وأن يحفظ له ثروته . وأحب رغبة الى الشخص فى هذا الصدد هو أن تزيد الدراهم فى الكيس ، فلا يفرغ أبدا مهما أنفق منه (شمس المعارف ، جـ ٣ ، ص ٢٦٨ ، منبع أصول الحكمة ، ص ٢٧٢ ، وص ١١٧) . أو أن يحفظ الله للشخص المواد الغذائية التى فى حوزته ، فيبارك له فى الطعام ، فيكفيه القليل ، ولا ينفذ مخزونه أبدا : « ظهــور البركة فى الطعام والشراب » . وفى غير قليل من الحالات يطلب العميل « أن يعطيه الله رزقه من غير تعب » (شمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ١٦٣) . وهناك اسم من الاسماء الحسنى « من أكثر من ذكره وهو يطلب أمرا أو مالا فى يد غيره أو شــيئا من أقاربه أورثه الله تعــالى اياه » (المرجع السابق . ص ١٨٣) .

غير أن البونى يستدرك بعد هذا الاستطراد فى البحث عن المال ، لينبه عمــلاءه الى أن الذكر والعبــادة هى الثــروة الكبرى ، وأن على الانسان ألا يشغله شىء عن الذكر والتقوى . « ... وهذا النمط الجليل له تأثير عظيم فى اذهاب الفقر وقضاء الدين وتيسير الأرزاق ونمو المال وتكثير الطعــام والشراب وانزال البركة وفى الجملة كفاية ، ولذكر الله أكبر . وان ذكر الله تعالى أكبر أنواع العادات فحق على العبــد أن لا يشتغل بشىء غيره . واذا ذكر العبد ربه فيكون ذكره امتثالا لا لقصد دينا » . (المرجع السابق . جـ ٣ ، ص ٢٩١ — ٢٩٢) .

---

(٧٥) انظر طائفة واسعة من النماذج عند دوتيه ، المرجع الســابق ، نقلا عن ابن الحاج وعن عدد من المؤلفات السحرية الاخرى ، ص ص ٢٧٣ وما بعدها .

١٦ — وصفات خاصة لاصحاب الحرف والمهن المختلفة :

ومن الطريف أن نستعرض معا بعض الوصفات والاعمال السحرية الخاصة ببعض أصحاب الحرف والمهن المختلفة • وتدلنا النظرة الشاملة الى هذه الفئة من الوصفات على مدى تغلغل الاعتقاد فى السحر وممارسته بين جميع طوائف الشعب • فنحن لا نجد طائفة من الطوائف •• من الملوك حتى أفقر الفقراء •• لم توضع لهم أدعية وأحجبة خاصة • حتى الأطبـاء لهم دعاء معين « لكى تنجح مداواتهم فى الأبدان ويشـفى كل مريض يعالجونه » (المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٥٣) •

فالملوك يجب أن يقوموا بتنفيذ الوصفات السحرية « لكى يطيعهم عمالهم وجنودهم وكافة الرعية » ، « ولكى يلهمهم الله تعالى العدل فى رعيتهم » ، « ولكى يتسع ملكهم » ، « ولكى يدوم ملكهم » ••• الخ • (انظر نماذج فى شمس المعارف ، ج ٢ ، صـفحات ١٥٠ ، ١٥٢ ، ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٤ ، ١٧٩ وغير ذلك) • وهناك وصفات لمن يطلب ملكا ، لكى ينال هذا الملك • كذلك هناك طائفة أكبر من الوصـفات « لمن كان فى خـدمة الملوك » لكى يسكن غضب الملك عليه •• الخ •

كذلك هناك وصفات ، ولكن لأهداف أخرى ، لفئة العلماء، والمشايخ، والتلاميذ • فمشكلة المشاكل بالنسبة لعلمـاء وتلاميذ ذلـك العصر كانت الحفظ عن ظهر قلب • « فاسمه تعالى معين من أكثر من ذكره استرجع به كل ما نسيه » (المرجع السابق ، ص ١٧٠) • « واسمه تعالى مبـدئى يصلح ذكرا لمن يريد الابتداء فى تأليف العلوم السنية والاشعار النحوية» (المرجع السابق ، ص ١٦٩) • واسم آخر « من نقشه وحمله معه أنطقه الله بالحكمة وعلمه لطائف المعارف ومن وضعه فى صحيفة من فضـة فى شرف المشترى وحملها رزقه اليه الفهم فى العلوم الشرعية » (المرجـع السابق ، ص ١٥٥) • ودعوة أخرى من يرددها « أنطقه الله بفنـون الحكمة » • واسم من أسمائه الحسنى « يصلح ذكرا للخطباء والوعاظ »

(المرجع السابق ، ص ١٥٨) • ودعوة أخرى « لتسهيل صيد السمك من البحر » (المرجع السابق ، ج ٣ ، ص ٢٧٨ ؛ ومنبع أصول الحكمة ، ص ١١٧) • واسم آخر يتصرف به على نحو معين « للاعانة على الاعمال الثقيلة • فاسمه بارىء يصلح ذكرا للحداد والجمال والصايغ وأمثالهم ، وكذلك للطبيب ••• » (المرجع السابق ، ج ٢ ، ص ١٦٥) • واسم آخر « يصلح ذكرا لمن أراد اظهار صنعة لم يسبق بمثلها » (ص ١٨٢) •

أما الاعمال والوصفات المخصصة لترويج التجارة « وجلب الزبون الى الدكان » فعددها كبير • بعضها يستهدف ترويج السلعة البائرة ، وبعضها يستهدف مجرد جلب الزبون ، وأخرى يقال عنها لتيسير البيع والشراء ••• الخ • (انظر منبع أصول الحكمة . صفحات ٦٨ ، ٨٠ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٧٧ • وشمس المعارف ؛ ج ٢ ، ص ١٩٨) •

١٧ ـ اغراض متنوعة لتيسير الحياة اليومية :

وهناك عدا تلك الاغراض الرئيسية للممارسة السحرية، أعداد كبيرة متنوعة من الوصفات التى تستهدف اشباع الاحتياجات اليومية على كثرتها وتنوعها وتداخلها مع كل شئون الحياة صغيرها وكبيرها • وهى طائفة من الشواهد والنماذج التى جمعناها ولم تندرج تحت واحد من الابواب الرئيسية المذكورة ؛ وسوف نكتفى بالاشارة الى أبرزها على عجل فيما يلى :

ـ وصفات ودعوات تتلى عندما تعصف الريح بالسفينة لانقاذها من الغرق (ص ١٧٧ ـ ١٩٩ ـ ٢٣٥ •• الخ) •

ـ لتهدئة البحر الثائر (ص ١٨٩) •

ـ دعاء يذكره كل من استصعب عليه دابة أو أحد من الخلق فان الله تعالى يذلله له (ص ١٥٧ ـ ٢٣٦) •

ـ لمنع النوم أثناء ركوب الدابة (ص ٧٧ من مجربات الديربى) •

- لعدم التعب من كثرة المشى (المرجع السابق) •
- لعدم الاحساس بآلام البرد (شمس المعارف ، ص ١٤٩) •
- لطرد الذباب عن الجسد (المرجع السابق ، ص ١٧٨) •
- للحفظ من الحشرات (ص ١٨٩) •
- لطرد البق من المنزل (منبع أصول الحكمة صفحات ٦٨ - ١٣٥ - ١٤١) •
- لطرد النمل من البيت (المرجع السابق ، ص ٢٩٩) •
- لطرد الناموس •
- لا تقاء أضرار الفئران •

- لاخلاء برج حمام وتحويل حمامه الى برج آخر • ولاشك أن مثل هذا الهدف يمثل نوعا من السطو على ممتلكات الغير • ورغم أننا بصدد ساحر رسمى ملتزم بأساليب الدين الاسلامى فى أحيان كثيرة ، أو هو يدعى ذلك على الاقل • الا أن الحقيقة أنه لا يملك فى أحيان كثيرة سوى التفاعل الحى مع ظروف زبائنه • ومن هنا نفهم مثل هذا الهدف من أهداف الممارسة السحرية • وفى نفس الاتجاه أيضا توجد ممارسات أخرى لكسر ساقية شخص آخر أو طاحونته • (منبع أصول الحكمة ، ص ٢٥٧) • وفائدة (أى وصفة سحرية) لصرف اللبن عن بهيمة أو آدمى •

- ضد الكلاب (منبع أصول الحكمة - ص ٢٩٧) •
- لمنع الوحوش والطير عن الزرع (ص ٢٥٩) •
- كتابة أسماء على حجر معين « ودفنه فى أساس بنيان . فانه لا ينهدم مدى الزمان » (مخطوطة شرح أسماء الله الحسنى . ص ١٥٠ ب) •
- وصفه لقضاء الدين (شمس المعارف ، جـ ٣ ، ص ٢٦٨) •

ـ وصفه « لحفظ الاشياء التى يخاف عليها الفساد والبـلاء فانها لا تبلى أبدا » (المرجع السابق ، ص ١٨٣) •

ـ وصفة لبركة القمح (ابن الحاج ، ص ٩٠) •

ـ لبركة التين والبلح والزبيب (ابن الحاج ، ص ٩١) •

ـ لبركة الزبد وغيرها (ابن الحاج ، ص ٩١ ـ ٩٢) •

ـ ليستر الله أعين الشخص عن عيوب الناس (شمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ١٦٠) •

ـ لرؤية الحبيب أو الصديق فى المنام حيا كان أو ميتا (منبع أصول الحكمة ، ص ١٦٥ ، مجربات الديربى الكبير ، ص ٧٤) •

ـ لعقد لسان شخص مؤذ (منبع أصول الحكمة ، ص ٧٩) •

وآخر مجموعة من الوصفات التى سنعرض لها هنا تتصل ببعض الاغراض الدينية والاخلاقية ، التى تستند كلها الى بعض عناصر المعتقد الشعبى ، والتى نتعرض لجذورها فى هذا الصدد ، ولكنها يمكن أن تتضح من دراسة موضوعات عامة فى المعتقد الشعبى • فهناك بعض الوصفات التى تستهدف أن يلهم الله سر الايمان والتقوى (شمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ١٥١) ، وأن يعصم الله لسان ذاكر هذه الدعوة من الكذب (المرجـع السابق) • وهناك أحد الاسماء (اسمه تعالى بر) اذا قرأ دعوته « وأكثر من ذكره شارب الخمر أو فاعل المعاصى تاب الله عليه • وآكل الربا اذا ذكره كل يوم سبعمائة مرة فانه يتوب من ذلك ويرجع عنه » (المرجع السابق ، ص ١٧٧) • ودعوة أخرى « تصلح ذكرا لمن كان فى نفسه شح وبخل ، فان نفسه تزكو ويرزقه الله مكارم الاخلاق » (المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٢٧٥) • واسم آخر من ذكره خمس مرات فى كل يوم تاب الله عليه ورزقه زيارة قبر النبى محمد صلى الله عليه وسلم (المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠) • وممارسة سحرية أخرى تستهدف تمكين صاحبها من رؤية الحفظة الكاتبين (مخطوطة شرح أسماء الله الحسنى ، ص ١٢ ب) •

وهناك وصفات كثيرة هدفها أن يفسح الله لصاحبها فى أجله (المرجع السابق ، ص ١٦٤ ، وص ١٧٠)[٧٦] • وفى وصفة أخرى يؤدى نقش أسماء معينة على باب دار ألا يموت أحد بها أبدا (المخطوطة السابقة ، ص ١٢ أ) •

ونشير فى فيما يلى الى مزيد من النماذج الموضحة لهذه الفكرة :

— وصفة لابطال أعمال الشيطان (شمس المعارف ، ج ٢ ، ص ٩٥ ، والرحمة فى الطب والحكمة للسيوطى ، ص ١٦٣) •

— لصرف الذهن عن الشهوات (شمس المعارف ، ج ٢ ، ص ٢٥) •

— لتسهيل سؤال منكر ونكير (المرجع السابق ، ص ٧٥) •

— ليضىء القبر لصاحبه (منبع أصول الحكمة ، ص ١٠٢) •

— وصفة « لكى يحيط صاحبها علما بذاته وخفى أسرارها وما أودعه الله فى ذات وجوده من الايمان والاقرار » (المرجع السابق ، ص ١٥١) •

— أن يدخل صاحبها الجنة (المرجع السابق ، ص ١٩٠) •

١٨ — ملاحظة ختامية :

وبعد ان كنا عرضنا فيما سبق لموضوع أغراض الممارسة السحرية فى المجتمع المصرى استلهاما مما هو موجود فى كتب السحر الاسلامى

---

(٧٦) وقد اورد ابن الميلق فى مخطوطة جواب من استفهم ، التى سبقت الاشارة اليها بعضا من هذه الوصفات (ص ٤٨ أ) ولكن الطريف انه يحاول أن يثبت ما وسعه المنطق والبيان ان مثل هذه الرغبة من جانب عميل الساحر المحترف لا تتعارض مع العقيدة الاسلامية الصحيحة ، وهى ان الله قد قدر لكل انسان عمره منذ الازل . ولا يهمنا هنا — ولا فى أى موضع — ان نحسم الخلاف من وجهة نظر العقيدة الصحيحة ، فتلك ليست رسالتنا ، وليس هذا واجبنا . وانما نحن نقتصر على دراسة المعتقد الشعبى . ويهمنا فى حالة كهذه حرص المؤلف على الا تأتى افكاره او ممارساته متعارضة مع العقيدة الاسلامية الصحيحة . فالساحر يدل لنا بذلك على حرصه أن يبدو فى نظر عملائه شخصا مسلما .

المصرى عموما ، فقد كان اختيار هذا الموضوع منطلقا من فكرة أساسية مؤداها أن موضوع الاستخدام العملى للمعرفة السحرية أصبح هو اليوم الوجه الوحيد الباقى للمارسه السحرية برمتها ، اذ نلاحظ اليوم فى المرحلة التى انهارت فيها وتدهورت مصادر السحر الرسمى وأعمدته انهيارا كاملا واتجهت بكامل قوتها الى الميدان الشعبى ، ففقدت « العنصر الاكاديمى » ، وأصبحت مجرد « وصفات » لاستخدامها فى أغراض معينة . فى هذه الظروف نجد أن كتب السحر الكبرى جميعها أصبحت تصـدر فى طبعاتها الحديثة مزودة بفهرس تفصيلى يوضح الاغراض المختلفة ، ويكاد يكون حصرا لكل هذه الاستخدامات . وكما أوضحت دراساتنا لاحد المشتغلين بالسحر (ساحر الصعيد) فانه عندما يأتى اليه عميل يفتح فهرس الكتاب السحرى الذى يملكه على الغرض المطلوب منه خدمته ، ثم يقوم بنقل العمل (أو الوصفة) . وعلى أساس ذلك يتعامل معه وفقا للتفاصيل التى يطالعها ولخبرته وأسلوبه الخاص(٧٧) .

---

(٧٧) انظر على سبيل المثال فهارس كتب شمس المعارف الكبرى للبونى ، ومنبع اصول الحكمة للبونى ، والرحمة فى الطب والحكمة للسيوطى . ومجربات الديربى الكبير ... الخ . ونستطيع من واقع استعراض فهارس الطبعات الاحدث من تلك الكتب وغيرها أن نستدل على بعض الاغراض الجديدة المستحدثة التى لم ترد فى كتب البونى مثلا كأغراض للممارسة السحرية . ولايمكن الا أن تكون ثمرة لتطور ظروف الحياة ومتغيراتها الجديدة . من هذا مثلا وجود وصفات فى طبعة حديثة من كتاب مجربات الديربى الكبير لتنظيف الاقمشة الحريرية والصوفية من بقع الفاكهة والدهون ... الخ .

انظر كذلك هورنن ، مرجع سابق ص ص ١١٤ — ١١٥ . وانظر كذلك رسالتنا للدكتوراة ، مرجع سابق ، حيث ناقشنا هذه التطورات الجديدة بمزيد من التفصيل ، وانظر كنموذج فقط ، مجربات الديربى الكبير . القاهرة . بدون تاريخ (حوالى ١٩٥٠ — طبعة مستحدثة ، وهناك طبعات أحدث) . وانظر حول طبيعة هذا الكتاب وظروف تاليفه ومكانته ، دائرة المعارف الاسلامية ، الطبعة الجديدة ، ليدن ، ص ٤٤٦ .

الفصل الرابع

تقارير دراسات ميدانية لبعض المشتغلين بالسحر فى الريف المصرى

مقـــــدمة :

يدور التقرير الاول من هذه المجموعة حول زيارة طويلة امتدت على مدى عدة أيام مع الشيخ أ • ر • بمدينة ههيا شرقية • ويعد هذا الشيخ من الفئة القليلة التى مازالت موجودة تمارس الاعمال السحرية بشكل احتراف خالص[1] • وسوف نرى من تقارير أحد المشتغلين بالسحر فى شمال الدلتا (قرية شرباص ـــ دقهلية) أنه مازال يعمل باستخدام الآيات القرآنية أساسا ، ولم يعد أو ربما لم يعرف أصلا ، كيف يمارس العمل بالادوات السحرية التقليدية • ويقتصر الجانب السحرى لديه على استخدام الآيات القرآنية المختلفة فى الاغراض التى تتفق ومعناها اللفظى، كما رأينا عند البونى على سبيل المثال • وكذلك استخدام اسم العميل واسم أمه ، وصورة الحجاب ، كأداة سحرية •• الخ • فعند هذا الساحر من شرباص تختفى تماما المربعات السحرية ، والاشكال ، والحروف ، والارقام ••• الخ • فلا وجود للعناصر السحرية الاحترافية . وانما يقتصر الساحر على مخاطبة الله ، فلا يخاطب الملائكة ولا الارواح ولا الخدم •

بينما نجد من ناحية أخرى أن ساحر الصعيد مازال يعرف الاسس

---

(١) جمعت مادة هذه التقارير خلال شتاء ١٩٦٤ / ١٩٦٥ من محافظات الشرقية والدقهلية ، والقاهرة ، واسيوط . وقد توفى اغلب هؤلاء « المشايخ » أو السحرة الآن ، فالشيخ ا . ر . مات منذ اكثر من عشر سنوات . وقبله ساحر ههيا الآخر ع . ن . اما مشـــايخ الدقهلية (شرباص) واسيوط فلم أتابع اخبارهم بعد هذا اللقاء .

السحرية « الكلاسيكية » ويمارسها ، وان كانت معرفته لها عامة وسطحية وغير دقيقة ، اذ يملك هذا الرجل كتابا قديما من كتب السحر ، ويعرف طريقة كتابه الاحجبة وتعليمات استخدامها .. الخ . كما سيتضح من التقرير . وهو مازال يؤمن بفاعلية « الاعمال » التى يكتبها أو يصفها ، ويعرف استخدام البخور ، ودوره فى انجاح العمل ، ويستخدم الحروف والآيات القرآنية . ولكن الظاهرة العجيبة أن هذا الرجل لا يعرف استخدام اسم العميل واسم أمه فى العمل ، أو فى الحجاب الذى يكتبه . كما أنه يجهل دور بعض العناصر الهامة الاخرى فى العملية السحرية ، مثل عنصر الوقت المناسب .

وينتمى الى هذه المجموعة أيضا الشيخ ع . ن . من ههيا شرقية ، اذ لديه فكرة عن السحر الرسمى كما نعرفه عند البونى أو عند كبار مؤلفى الكتب السحرية ، ولكن هذه الفكرة غامضة هلامية غير محددة . وربما يرجع هذا الى شيخوخته التى أنسته بعض ما كان يحفظ ويجيد فى شبابه ، أو ربما يرجع الى قلة العملاء الذين يترددون عليه هذه الايام (وقت اجراء الدراسة) . وهو فوق هذا من نوع السحرة الذين تابوا أو يطلبون التوبة من الله ، وكفوا عن كتابة الاعمال السحرية للضرر والايذاء ، ولم يعد يقبل أصلا على استقبال عملاء لسحره ، واذا اضطر الى ذلك فلا يكتب الا أعمالا للخير وللشفاء والمصلحة والهداية ... الخ . وربما كان ذلك هو السبب فى ابتعاده عن استخدام العناصر السحرية الرسمية فى « أعماله » ، واعتماده بدرجة أكبر على الآيات القرآنية . والمهم فى حالته أنه مايزال يستخدم الاشكال السحرية فى « أعماله » ، كما يستخدم أسماء العملاء على النحو المعروف . كما أنه يعرف كتابة الاحجبة وتعليمات استخدامها شأنه فى ذلك شأن سائر السحرة المحترفين الذين سنكتب عنهم .

التقرير الاول ــ عن الشيخ أ ٠ ر ٠ ههيا شرقية

هذا الرجل كما أشرت من قبل ساحر محترف بالمعنى الصحيح تدلنا على ذلك كثير من الشواهد والتفاصيل التى لن يتسع المقام لحصرها هنا ٠ فهو ينتمى الى ذلك النوع من السحرة الذين لديهم فكرة عن السحر الرسمى كما تعرفه المؤلفات الكلاسيكية ، كمؤلفات البونى أو ابن الحاج أو غيرهما ٠ ولكن هذا لا يمنع أنه يخلطها ويمزجها بكثير من الخيال ويتدخل برأيه ويتصرف فيها ويلونها ٠ وهو قصور راجع فى رأيى الى قصور نظام التلمذة بين المشتغلين بالسحر ٠ وهو كذلك الساحر الذى استطعت أن أجمع عن حياته وظروفه أكبر قدر من المعلومات والتفصيلات٠ وقد استعنا فى هذا الصدد بعدد كبير من الاساليب وطرقنا عديدا من السبل كى نكون صورة واضحة عن شخصه وعن ممارسته لمهنته ٠ فقــد اجتمعت معه ومع الدليل الذى أرشــد عملى داخل القرية عدة مرات ، واجتمعت معه بمفردى ، واجتمع معه الدليل جلسات طويلة شاقة لجمع شتات هذه المادة ٠ وقد أثمرت هذه الوسائل مادة صوتية مسجلة على شريط ، وأخرى مدونة فى الميدان ، ومجموعة وفيرة من الصور ، علاوة على أصول الاحجبة والوصفات التى حصلنا عليها منه علاجا للحالات التى عرضناها عليه ٠

شخصــية الرجل :

عمره ٦٢ عاما (فى ديسمبر / يناير ١٩٦٤ ــ ١٩٦٥) ، ويعمل حاليا فى كتابة « الاعمال » السحرية أساسا ، فهى مصدر رزقه الرئيسى ، كما يعاون فى خدمة أحد المساجد المقامة حول ضريح أحد الاولياء ، ويعمل أحيانا مقرئا للقرآن بالاجر ٠ وتتدرج هذه الاعمال بالترتيب الذى عرضته من حيث أهميتها فى توفير أسباب الرزق له ٠ وهو متزوج بثانى زوجاته ، ولديه ثلاثبنات ، منها اثنتان متزوجتان ، أما الثالثة فمازالت تعيش فى بيت أبيها ٠ والبنات الثلاث طبيعيات من الناحية العقلية ، فالشيخ له ولد

أبله عمره ٢٢ سنة . ويقال ان هذا الابن يحفظ القرآن ، ويعمل أحيانا مقرئا (فى قراءة « الرواتب » — يمر على البيوت يوميا لتلاوة جزء من القرآن لقاء أجر سنوى) .

وبهذه المناسبة يعتقد الشيخ أن ممارسة السحر كانت مصدر خطورة عليه وجلبت عليه وعلى أولاده الكثير من الاضرار والمتاعب . (يلاحظ أن الشيخ مكفوف البصر تقريبا) . فابنه الحى متخلف عقليا ، وتوفى له ولد آخر من قبل ... الخ .

وقد تمكن الشيخ أ . من حفظ القرآن كاملا فى العام السادس عشر من عمره ، فقد كان أبوه مقرئا أيضا يحترف قراءة القرآن . وتزوج للمرة الاولى فى السابعة عشر من عمره ، وبدء حياته العملية بالعمل خادما فى أحد المساجد . وظل يمارس هذه الوظيفة مدة سبعة عشر عاما كاملة . ولكنه بعد ذلك ترك العمل فى المسجد ، واشتغل فى التجارة فى سلع صغيرة وتافهة . ولكنه تبين بعد فترة أن هذه المهنة لا تكفى للوفاء بمتطلبات معيشته على الوجه المطلوب . ولهذا قرر أن يتجه الى مزاولة « الكتابة » : أى العمل كساحر محترف . وهى مهنته الرئيسية حتى تاريخ لقائنا به ، وعلى امتداد حوالى ثلاثين عاما .

وأصبحت « الكتابة » مهنته الاساسية لمدة خمس سنوات كاملة . عاد بعدها الى المسجد ليعمل خادما فيه مرة أخرى (ربما بسبب امكانية حصوله على راتب شهرى منتظم من هذه الوظيفة) وقد أراد منذ بضع سنوات أن يترك عمله خادما فى المسجد ، ولكن الولى صاحب الضريح (الحاجة آمنة أم يوسف)(٢) المدفون فى المسجد « والذى يعد أكبر أولياء المنطقة » ظهرت له فى المنام ونصحته ألا يترك خدمة المسجد .

---

(٢) انظر تقارير الخبرات الميدانية فى فصل الاولياء ، حيث ورد الكلام تفصيلا عن الحاجة آمنة .

والرجل مدمن على عدة أنواع المخدرات منذ فترة ، وهذا الأمر ليس من السهل اخفاؤه فى مدينة صغيرة كهذه . وقد اعترف هو نفسه بأنه يتعاطى الحشيش والافيون . وبناء على سؤال مباشر ، أجاب بأن الارواح التى يتعامل معها لا تعترض على تعاطيه هذه المخدرات . ولكنه لا يتعاطى المشروبات الكحولية ، ولا يتناول أى مأكولات أو مشروبات تغضب الله ، كما أن « خدام السورة » لا يسمحون له بتعاطى أى محرمات(٣) . وقد كان يتعاطى « البوظة » فى الماضى لفترة من الوقت ، ولكنه أقلع عن شربها لان « الخدام » أمروه بذلك . ومن الواضح أن ادمان هذه المخدرات بما تتكلفه من مصروفات باهظة جعلت الرجل يعيش فى ظروف مادية غاية فى السوء ، رغم دخله المرتفع — نسبيا — من ممارسة مهنة السحر .

حياته العملية :

من الواضح كل الوضوح أن الفقر وسوء الظروف المادية كانت الدافع الاول والمباشر لاقبال الرجل على ممارسة السحر كمهنة . والمقصود هنا بالطبع الفقر النسبى ، لان مهنة قراءة القرآن، أو التجارة، من المؤكد أنها تيسر له معيشة أفضل من معيشة كثير من الفلاحين الفقراء فى قريته الذين يعيشون فى ظروف بالغة السوء . ولكن ليست لدى أغلبهم حاجة قاتلة الى المال ، لانهم يجدون القليل الذى يأكلونه ،وليست لهم مطالب خاصة .

ولكن ادمان صاحبنا منذ شبابه على تعاطى المخدرات جعله فى حاجة دائمة وملحة الى المال ، وبكميات تفوق متوسطات المعيشة المألوفة فى مجتمعه . وتلك فى رأيى حقيقة هامة لابد من أن نضعها فى الاعتبار ، لان هذا الرجل لم يأخذ مهنة « الكتابة عن أبيه أو عن صديق أو قريب له .

---

(٣) لاسبيل الى اعترافه بشرب الخمر ، نظرا لخشيته الشديدة من تحريم الخمر ، وان كان الرأى الشعبى لا يتحرج من الحشيش وأمثاله تحرجه من الخمر ، بسبب النص الصريح على تحريمه . ولم نهتم بالتثبت من هذه النقطة ، فاعترافه عن الحشيش والافيون يكفى .

ولكنه اتجه اليها عامدا متعمدا ، والتمس أصولها واعيا ، وهو أمر نادر الحدوث نسبيا ، لانه عملية دخول شخص « دخيل على المهنة » ، وهى مهنة مغلقة نسبيا ، بسبب ما يحوطها من أسرار وقيود ونظرة سلبية من جانب الناس .

أوضح الموقف بالقول بأن هذا الرجل قد أخذ منى فى مقابل انجاز العلاج المبدئى ، والذى أنجزه فى وقت لا يتجاوز ساعتين الى ثلاث ساعات جنيهين مصرين (عام ١٩٦٤) وهو يوازى فى ذلك أجر عامل زراعى لمدة شهر كامل يؤديها فى عمل بدنى شاق . ولكن الشيخ لم يقنع بهذين الجنيهين ، وأخذها بعد اعتراض ، وعلى وعد بأنه سيحصل على عشرة جنيهات على الاقل بعد حدوث الشفاء وتحقق الغرض المطلوب (كما سنوضح تفصيلا فيما بعد) . وتلك الاجور يتلقاها الرجل بالفعل من سائر عملائه ، من المتيسرين أساسا ، من داخل القرية وخارجها ، خاصة عندما تتحقق لدى أحدهما « نتيجة ايجابية » للعلاج .

وفى رأيى أن البيانات التى أدلى بها الرجل عن وسائل وطرق تعلمه مهنة السحر وأسباب ذيوع شهرته بين الناس بيانات غير دقيقة وبعيدة عن الحقيقة . ولذلك سنحاول أن نستكمل ثغرات حديثه من معرفتنا بظروف التلمذة بين المشتغلين بالسحر . فقد حصل الرجل على أحد الكتب السحرية من خلال وساطة صديق أو بنفسه من الزقازيق (تبعد عن بلده حوالى عشرين كيلو مترا فقط) . ومن المحتمل أن يكون قد نجح فى استكمال وتأكيد المعلومات التى حصل عليها من هذا الكتاب عن طريق عدة زيارات لاحد السحرة الممارسين فعلا ، والعاملين فى مدينة الزقازيق(٤) . أما عن

---

(٤) سوف نلاحظ فيما بعد أن هناك بعض السحرة المحترفين من مختلف انحاء المنطقة يقومون بزيارات للشيخ أ . ر . ، فمبدأ الزيارات بين زملاء هذه المهنة من الامور الشائعة والملحوظة . وعن هذا الطريق يمكن أن تنتقل بعض المعارف من الاقدم الى الاحدث فى سلك المهنة .

التعريف بنفسه ، وترويج القصص عن كفاءته ونجاحه فلابد أن يكون قد قام بهما بنفسه من خلال زياراته الكثيرة لقطاع كبير من بيوت القرية ، أيام كان يعمل فى تجارة الخردوات ويمر بسلعه على البيوت • ولا شك أن هذه الوسيلة الدعائية كانت شديدة الفعالية فى تحقيق هذا الهدف • وقد أتيحت له قبل تلك الفترة وبعدها فرصة قراءة « الرواتب » فى البيوت ، ولذلك يحتمل أن يكون قد استفاد أيضا عن هذا الطريق فى بناء سمعته وترويج الاقاصيص عن نفسه •

ويحكى الشيخ أنه قد سمع بفضل سورة يس من خلال الحديث الشريف (يس لما قرئت له) ، وقد عمل على الانتفاع بها عن طريق استخدام « الخدام » (الاوراح) المكلفين بها • كما يقال بعد ذلك انه قرأ عدداً من الكتب ، دون أن يحدد بشكل واضح نوعية هذه الكتب • وهكذا ظل يردد هذه السورة سنوات طويلة الى أن جاءه خدام تلك السورة ، وظهروا له •

وأخذ الخدام يحددون له كل شىء فى حياته ، فيرسمون له كيف يتصرف فى كل صغيرة وكبيرة ، ويتدخلون فى كل حركاته وسكناته ، فيما ينبغى أن يفعله وفيما ينبغى أن يتركه(٥) • كما أنهم هم الذين يخبرونه بالعلاج المناسب فى كل حالة، ويطلعونه على حقيقة موقف العميل أو حقيقة مرضه ان كان مريضا • بل انهم كانوا يأمرونه فى بعض الاحيان أن يحول هذا المريض أو ذاك الى طبيب « دنيوى » (على أساس أن الشيخ يعتبر نفسه طبيبا روحانيا) ، وكانوا كذلك يحددون له اسم الطبيب الذى ينبغى

---

(٥) يعد هذا الوضع شاهدا على تطور حديث كل الحداثة ، لا نعرفه من التراث السحرى المكتوب ، ولا من روح هذا التراث . فالخدام لم يعودوا خداما بمعنى الكلمة ، وانما أصبحوا سادة ومعلمين للساحر ، على نحو ما رأينا من حديث الشيخ . ومن اللافت للنظر أننا نجد ملاحظة بهذا المعنى فى نهاية كتاب شموس الانوار لابن الحاج ، ص ١٤٩ — ١٥٠ .

أن يتوجه اليه المريض(٦) .

وقد كان الشيخ يستخدم فى بادىء الامر وسيطا لكى يتصل عن طريقه بالارواح (يلاحظ هنا أنه يستخدم كلمة أرواح ، بدلا من الكلمة التى كان يستخدمها قبل ذلك : خدام) • وكان فى تلك الفترة — فى مبدأ ممارسته للمهنة — يستخدم هؤلاء الأرواح للخير وللشر على السواء ، وهو أمر كان يسبب أضرارا للوسيط الذى كان يستخدمه • الى أن جاء وقت نصحه فيه خدام سورة يس بعدم استخدام الوسيط(٧) •

وكان الشيخ قد ادعى فى حديث سابق أنه لا يعمل الا للخير فقط، ولا يسخر خدامه للشر أبدا • ومفهومه عن الخير هو ما يلى على سبيل المثال : التوفيق بين شخصين متخاصمين ، وشفاء (حل) المربوط ، وشفاء المريض ، و « تحقيق أى رغبة لاى شخص » ••• الخ • فهو لا شأن له بخدام الشر ، ولهذا السبب يجد طريقه مملوءا بالنور وهو عائد ليلا الى منزله • وهو يعتقد أن خدام سورة يس هم الذين يضيئون له الطريق •

وبين الحين والآخر يتردد عليه بعض زملائه فى المهنة ، يسـألونه

---

(٦) من الجدير بالذكر بهذه المناسبة أن المدينة بها مستشفى وعدد كبير — نسبيا — من العيادات الخاصة . ومنذ عشر سنوات قبل اجراء هذه الدراسة (حوالى ١٩٥٥) تم توسيع هذه المستشفى وتحديثها ، بحيث اصبح بامكان اى شخص أن يستمتع بعلاج مجانى من كل نوع . وقد طلب الدليل المصاحب لى فى هذه الزيارة من امرأة كبيرة أن تذهب لاستدعاء الشيخ لحاجتنا اليه . فتطوعت من نفسـها وطلبت منا أن نذهب الى المستشفى (او الى الطبيب) « لانه هو اللى حاينفع » . وحكت لنا قصة احدى صديقاتها التى ذهبت أولا الى الشيخ ، ولكنه لم يستطع ان يعالج مرضها ، فذهبت عقب ذلك الى المستشفى حيث اجريت لها عملية جراحية وشفيت من المرض الذى كانت تشكو منه .

(٧) يتضح من هذه النقطة ان خدام الشر ليسوا هم خدام السورة . وحسب مصطلحات البونى — وغيره من مؤلفى الكتب السحرية الكلاسيكية — فخدام سور القرآن هم الارواح العلوية ، وخدام الشر هم الارواح السفلية . ولكن من الواضح ان الشيخ ا. ر. لايعرف هذا الفرق فى التعبير او فى المسميات.

النصيحة والرأى ، كما يطلبون منه المساعدة فى هذا الامر أو ذاك • ولم نحصل على بيانات محددة عما اذا كان هؤلاء السحرة من القرية أو من قرى أقرب أم أبعد •

وهو يمارس مهنته فى بيته أساسا • حيث يحضر اليه العملاء ، وهو لا يخرج لزيارة عميل فى بيته الا فى القليل النادر • وهـو يبرر رفضه للانتقال بأنه يجب أن يعمل منفردا بعيدا عن أعين الناس ، وهو أمر لايمكن أن يتحقق الا فى بيته • ويجب أن نتذكر هنا أن الشيخ أ• ر• شبه كفيف البصر تماما ، ولذلك فانه لا يستطيع أن يتأكد وهو يعمل (يستحضر الخدام) ما اذا كان هناك أشخاص غرباء فى المكان أم لا •

أما عن ظروف عمله الحالية فقد علمنا أن عدد عملائه قد تناقص بشكل واضح فى السنوات الاخيرة • وأصبح من النادر أن يتردد عليه من المدينة (ههيا) التى يعيش فيها • وأغلب العملاء الذين يترددون عليه يأتون من قرى المركز المجاورة ، حيث مايزال يحتفظ بسمعة طيبة هناك • ويمكن القول بوجه عام بأن دخله من عمله مازال معقولا • فأهل مدينته مايزالون يذكرون أعماله القديمة والنجاح الذى استطاع أن يحرزه طوال الاعوام الثلاثين الماضـية • ولكنهم يتفقون جميعـا على أن الطبيب والمستشفى أصبحا أكثر كفاءة وأكثر فائدة اليوم • ويجب أن أضيف هنا أن المرأة الفقيرة التى نصحتنا بعدم زيارته وعدم اللجوء اليه للعلاج ، هى نفسها قد جعلت ابنها الوحيد يطلق زوجته بعد زواج استمر ثلاث سنوات بناء على نصيحة الشيخ أ• ر• ذلك أن زوجة ابنها لم تنجب خلال السنوات الاولى من حياتها أطفالا ، وأعلن الشيخ بعد « قياس أثرها » أن « رحمها مغلق » وأنها لذلك لن تستطيع انجاب أولاد • وبناء على تلك النصيحة جعلت ابنها يطلق زوجته ولكن الظروف حولها قد تغيرت الى الحد الذى جعلها لا تتردد عليه وتنصح الآخرين ألا يترددوا عليه •

الحالات التى طلب من الشيخ الرأى فيها :

كلفنا احدى السيدات (أرملة عمرها حوالى ٤٠ عاما من مستوى اجتماعى منخفض لا تعرف القراءة والكتابة وعلى علاقة وثيقة عمادها الثقة المطلقة مع الدليل المرافق للدراسة) اللائى على علاقة سابقة بالشيخ، كما أنها تجاوره فى السكن — بالسعى لديه وسؤاله عن اللازم عمله فى حالتين :

الحالة الاولى: زوجة لا تنجب ، ومهددة بالطلاق من زوجها لهذا السبب •

الحالة الثانية :شخص معتقل ، ولم يصدر عليه حكم بعد ، ومطلوب الافراج عنه •

بعد حوالى عشر دقائق حضر الشيخ أ • ر • للتفاهم معنا ، والسؤال عن « أثر » الحالات المطلوب علاجها • صرح أولا بأنه فى الحالة الاولى يكفى وجود « أثر » لاحد الزوجين ، على أساس — كما قال — أن عملية الاستدلال بالاثر أقوى وأكثر فعالية وأنجح من الاستدلال بالاسم فقط ، وذلك لوجود أعداد لا حصر لها تحمل نفس الاسم وتحمل أمهاتهم أيضا نفس الاسم(٨) •

أعطينا الشيخ الاثر للزوج والزوجة : للزوج عبـارة عن منديل المرشد ، وللزوجة عبارة عن فردة شراب الدليل المرافق للباحث • وبعـد أن طلبنا من الشيخ أداء الخدمة المشار اليها ، تحفظ بأنه سيأخذ الاثر

---

(٨) الفكرة خلف هذا الاعتقاد : أن هناك دفترا محصيا فيه اسم كل الاشخاص ومرصودة فيه كل أحوالهم ، ومطلوب من الخادم البحث عن حقيقة حال هذا الشخص من هذا الدفتر ، وللكثرة الهائلة فى الاعداد ربما يؤدى الاسم فقط الى حدوث التباس • والمفروض أن الاثر يعاون فى هذا ويقطع بحقيقة الشخص •

ويسأل (الخدام الذين يستخدمهم) عما اذا كان بوسعه هو أن يساهم فى علاجهم أم لا بادىء ذى بدء •

واللافت للنظر أن الشيخ لم يشر من قريب أو بعيد الى الحالة الثانية (الشخص المعتقل — يلاحظ القارىء تاريخ الدراسة : ديسمبر ١٩٦٤) ، ولم يبد أى رغبة فى الحديث عن هذا الموضوع • وكان من الممكن أن نعتبر هذا الامر موقفا شخصيا أو أمرا فرديا ، ولكننا سنلاحظ عند ساحر شرياص (فى تقرير لاحق) أنه عزف هو الآخر تماما عن التصدى لموضوع شخص قيل له انه موجود فى اليمن آنذاك • فواضح اذن أن سحرة اليوم لا يحبون الخوض فى مجال اختصاص الحكومة من قريب أو بعيد ، على عكس ما رأيناه فى الفصل الخاص بأغراض الممارسة السحرية • حيث كانت تلك الموضوعات من أبرز الاستخدامات العملية للسحر فى تراثه النوبى وغيره من السحرة الرسميين • ولكن من الواضح أن تطور نظام الدولة وسيطرة قوانين عامة ••• الخ • كل ذلك دفع مثل هؤلاء الناس الى تحاشى الخوض فيما يخص الدولة ومؤسساتها من قريب أو بعيد •

وأخذ الشيخ أ • ر • أثرى الزوجين ، وذهب لفتح المندل ، وسؤال الخادم • وحضر بعد ربع ساعة وقرر الآتى :

بالنسبة للزوجة : لا مرض لديها ، وكل شىء طبيعى وسليم ، وعلى أثر ذلك رد الينا الاثر •

بالنسبة للزوج : قرر أنه مرض من أثر صدمة ناشئة عن خوف مفاجىء (خضة ، طربة : انضرب) • وعلى ذلك فانه أولا سيحتفظ بالمنديل « الاثر » ، ثانيا سيقوم بالعلاج وهو ذو شقين :

(أ) علاج مكون من :

١ — بخور ليلى قبل النوم فى الجلباب •

٢ ـ حجاب يبل فى الماء ويشرب الماء .

٣ ـ حجاب يغلى فى ماء ويستحم به .

ويستمر هذا العلاج أسبوعا ، وتعطى البخور والاحجبة فى عبوات من الورق لكل ليلة عبوة خاصة من كل نوع .

(ب) وقاية وحماية : حجاب للتحصين « تحويطة »(٩) .

بعد ذلك طلبنا من الشيخ التعجيل باعطائنا هذه الاشياء ، فقال ان ذلك ممكن بالنسبة للعلاج ولمدة أسبوع ، ولكن بالنسبة للتحويطة فان الانتهاء منها يستغرق ثلاثة أيام عمل . ولكنه وعد بانجاز العلاج المذكور وتحويطة مؤقتة تصلح لشهر أو شهرين فى ظرف أربع وعشرين ساعة .

وهكذا تسلمنا منه فى النهاية العلاج التالى :

١ ـ ثمانية ورقات بخور منها واحدة احتياطى ، والبخور لمدة سبعة أيام قبل النوم ، وبعد لبس جلباب النوم ، لكى يدخل البخور فى الجسم(١٠) .

٢ ـ ثمانية ورقات شرب على الريق (منها واحدة احتياطية) . ويكفى مجرد بل الورقة فى فنجان ماء ورد ، ولا يتحتم ذوبان الورقة فى الفنجان ، لان « السر » ينزل فى الفنجان بمجرد البل .

---

(٩) يلاحظ القارىء هنا الاطار المرجعى لفكرة التحويطة : العلاج كما فى فقرة « أ » يؤدى الى اخراج « العارض » = المرض من الجسم . المرض يسببه فى هذه الحالة جنى أو روح . الوقاية تستهدف حماية الجسم وتحصينه ضد دخول جنى آخر فيه .

(١٠) وقد جعلت وحدات العلاج ثمانية بدلا من سبعة لاحتمال فقدان بعضها . ويزعم الناس ـ كما يقول الشيخ ان الشيخ نفسه الذى عملها هو الذى يرسل الخدام لسرقتها . ولكن ساحرنا ينفى ذلك عن نفسه . ويقول ان العلاج يفقد لانه ضد الخدام الارضيين ، وهم الذين يسرقونه ، ولذلك وجب عمل عدد أكبر من ناحية ، كما يجب الحرص عليها من ناحية أخرى .

٣ ــ ثمانية « ورقات حموم » (للاستحمام) من بينها واحدة احتياطية •

وتتم عمليات البخور والشرب والاستحمام كلها لمدة أسبوع واحد . ثم يلى ذلك :

٤ ــ تحويطة مؤقتة لمدة شهر • ووعد بأنه سيعمل واحدة أخرى يظل مفعولها مستمرا على الدوام • وقد أرسل التحويطة المستديمة بعد ذلك •

هذا وقد نشرت الصور الاصلية لهذه الاوراق . وترجمتها ودراسة لها من وجهة نظر السحر الرسمى ، ومناقشة مفصلة لمحتوياتها فى رسالتى عن « استخدام أسماء الله فى السحر » التى سبقت الاشارة اليها ، على صفحات ٣٠٠ ــ ٣١٤ •

التقـرير الثانى
عن زيارة مشتغل بالسحر بقرية شرباص (دقهلية)

تبعد قرية هذا الشيخ حوالى ١٨٠ كم عن القاهرة أو ٤٠ كم شمال المنصورة و ٢٠ كم جنوبى مدينة دمياط . ويبلغ عدد سكانها وقت اجراء الدراسة (شتاء ١٩٦٤ / ١٩٦٥) حوالى عشرة آلاف نسمة يعملون فى الزراعة فى ملكيات صغيرة أساسا . ولم يكن بالقرية حتى ذلك الوقت تيار كهربائى ، ولا مياه جارية . ومع ذلك فان سكان هذه القرية — وبعض القرى الاخرى لاسباب تاريخية واجتماعية معينة — يتميزون بالتفتح بالقياس الى سائر سكان الريف . ويوجد بالقرية وحدة مجمعة عمرها وقت اجراء البحث حوالى عشر سنوات .

والشيخ فى أواخر الخمسينات من العمر ، يعمل مقرئا ، كما « يكتب الاعمال » من حين لآخر . ومظهره عادى يناسب مقرئا متوسط الحال . ولكن الملاحظ أنه مثل كافة السحرة الذين قابلناهم فى القرى لم يشتغل بالعمل الزراعى أبدا .

فقد اتجه صاحبنا منذ نعومة أظفاره الى حفظ القرآن ، وانتهى من تجويده فى سن مبكرة ، وبدأ منذ مطلع شبابه يمارس مهنته الحالية كمقرىء محترف . أما مهنة « الكتابة » فقد بدأها فى سن متأخرة نسبيا ، أى فى تاريخ لاحق بفترة كبيرة على ممارسة مهنة القراءة[1] .

وقد اتصل صاحبنا بأحد السحرة المحترفين منذ فترة طويلة (لم أستطع التوصل الى تحديدها بدقة) ، وظل على علاقة وثيقة معه لامد

---

(١) جدير بالملاحظة أن كافة السحرة الذين قابلناهم لم يبدأوا هذه المهنة فى سن مبكرة . فالقاعدة الغالبة ان يبدأ الكتابة فى مطلع الاربعين من العمر لانه قبل هذه السن لا يكون قد نضج بعد فى نظر اهل وبنى قريته . والاستثناء الوحيد من قاعدة العمر أن « تلبس » الارواح شخصا معينا وتدفعه دفعا الى هذه المهنة . فى هذه الحالة لا يلعب عامل السن اى دور فى الموضوع .

بعيد . ثم انفصل عنه لان صاحبه الساحر كان يمارس السحر الاسود ، أى يستغل الاعمال السحرية فى أغراض شريرة . وبهذه المناسبة أكد لنا الشيخ أنه لا يكتب أعمالا للشر أبدا ، وكل أعماله مسخرة للخير فقط .

ويبدو أن ذلك يمثل قاسما مشتركا أعظما لدى كل المشتغلين بالسحر ، خاصة اذا لم يرث الساحر هذه المهنة عن والده . لان « التلمذة » أى الاتصال الشخصي والمعايشة الطويلة لابد أن تكون هى قناة توصـيل المعلومات والخبرات ، وهما أهم من أى تدريب أو تعليم ذاتى ، وأهم من أى عامل آخر . ولذلك نلاحظ عند كافة المشتغلين بالسحر أن كلا منهم قد اتصل بزميل أو صديق لفترة طويلة من الزمن ، وقد تتصل العلاقة وقد تنفصم . ولكنها فى جميع الاحوال تساهم فى نقل المعرفة والخبرة السحرية من أحد طرفى العلاقة الى الطرف الآخر .

وقد أثرت هذه العلاقة تأثيرا واضحا على صاحبنا ساحر شرياص ، ويتمثل هذا الاثر فى استخدامه لكثير من المصطلحات السحرية الفنية ، والتزامه الدقيق بتسلسل العمليات السحرية بشكل ينم عن دراية . فهو يسمى هذه المهنة « كتابة » ، والرجل الذى يكتب الاحجبة يقول عنه : « عنده أبواب » كما قام أمامنا بعملية « قياس أثر » أداها بدقة فائقة . وقام أيضا بعملية استخارة بالمصحف والمفتاح . وأداها بنفس الدقة . وسيأتى وصفها تفصيلا فيما بعد . كما تمكنا من التقاط عدة صور لهـذه العمليات .

وأكد الرجل فى حواره معنا أن الكتب لا تكفى وحدها فى هذه المهنة لاحداث الاثر المطلوب(٢) . والعجيب أن كافة السحرة الذين التقيت

---

(٢) كانت مناسبة هذا التأكيد من جانبه اننى أخبرته ان أحد أقاربى كان يعمل فى هذه المهنة (يمارس الكتابة) ، وقد توفى وترك لى عددا من الكتب السحرية الهامة ذات الاثر الكبير والسر الخطير . وكانت هذه الملاحظة منى

بهم كانوا يصرون بوعى كامل على اتخاذ هذا الموقف ، أى التقليل من قيمة كتب السحر الرسمية • هذا مع العلم بأنهم جميعا كانوا يملكون بعضا منها ، وكانوا ينسخون أحجبتهم منها دائما وبلا استثناء • وفى مقابل هذا يرى صاحبنا أن المعرفة السحرية ــ أو علم الكتابة ــ الصحيحة يجب أن يتعلمها الفرد عن شيخ له ، وليس من الكتب • لانه عن هذا الطريق فقط يمكنه أن يتعلم أسرارها ، ويستطيع انجاز « أعمال » فعالة ومؤثرة • (لا ننسى تأكيد مؤلفات السحر الرسمية على ضرورة أخذ المعرفة عن الاستاذ أو الشيخ ، وليس عن الكتب) •

الحالات التى عرضت على الشيخ :

طرحنا على الشيخ عدة حالات التماسا لحل أو علاج ، وهى على النحو التالى :

الحالة الاولى : خاصة بالباحث نفسه ، حيث أخبرت الشيخ أننى سأؤدى امتحانا فى وقت قريب ، ولكنى لا أجد رغبة أو « مزاجا » للدراسة رغم أهمية هذا الامتحان الفائقة بالنسبة لحياتى المقبلة • عند ذلك طلب أن يعرف اسمى الاول ، واسم أمى ، وطلب أثرا لى •

وقد حاول الرجل أن يعرف سبب عزوفى عن الاستعداد للامتحان عن طريقتين مختلفتين : حيث أخذ الاثر (منديل يد) وعقد عقدة فى أحد أطرافه ، ووضع الاثر بين اصبعى يده اليسرى : الخنصر والبنصر • ومسح بيده اليمنى على المنديل (الاثر) بينما هو يهمس بكلمات غير مسموعة لى بالتحديد ، ومن بين الكلمات التى رددها واستطعت التقاطها :

= بمثابة مدخل لكى ابدأ معه حوارا عن الكتب التى يعرفها وتصوراته عنها ومعلوماته بصفة عامة عن المصادر السحرية الرسمية . وذلك لانه كان من اهداف الدراسة قياس اثر الثقافة السحرية الرسمية فى الممارسة السحرية الحية سواء منها الاحترافية او الشعبية . فكانت هذه الملاحظة منه .

الفاتحة ، وبعض الاسماء الحسنى . وبعض صيغ الدعاء . ثم توقف فترة قصيرة أثناء القراءة([3]) . ودون أن يقول لى أى شىء ، ترك الاثر من يده ، وأخرج محفظته من جيبه ، ثم أخذ يفتش فيها ، وأخرج منها ورقة بيضاء . وكتب على تلك الورقة اسمى واسم أمى وبعض الارقام([4]) . وأخذ يقوم ببعض عمليات الجمع والطرح .

وبعد فترة ، وبينما هو منهمك فى عمليات الجمع والطرح أعلن لى سبب « الحالة » التى أعانى منها . وكان التشخيص « لمسة انسانية » ، وفسر هذه الكلمات بأنها حسد ، أى تأثير نظرة من عين شريرة . فهـذه « النظرة » هى التى تعوقنى عن الاستذكار وعن كل شىء نافع لى([5]) . وقد وعدنى بكتابة حجاب ضد هذه الحالة ، وأنها سوف تشفى بالتأكيد .

---

(٣) المفروض أن الارواح تنزل الى الرجل اثناء تلك الوقفة لتطلعه على سبب عزوفى عن المذاكرة . والعجيب أن انتظار حصول الساحر على معلومات من الخدام وهو جالس بين الناس الاغراب تعد أمرا عجيبا ، وفريدا وغير مألوف ، ولم يرد له ذكر فى اى من كتب السحر . فنزول الارواح على الساحر لا يحدث الا فى « الخلوة » او فى الحلم ... الخ . وهكذا يبدو لنا مستوى المعلومات الفنية البسيط الذى يتمتع به الرجل ، رغم أن لديه فكرة عامة عن التكنيك .

(٤) ليس من المألوف طبعا أن يحمل شخص ريفى — حتى ولو كان مقرئا — ورقة وقلما معه . اما بالنسبة للارقام التى كان يكتبها فمفروض انها تمثل القيمة العددية لاسماء العملاء المستخدمة ، او للرغبة المطلوب تحقيقها .

(٥) اتضح من هذه الحالة ومن خبرتنا مع سحرة آخرين أن القاعدة عندما تسأله عن شىء مجهول او غائب ، ان يتطوع بالقاء الضوء على موضوعات أو مشاكل أو أسرار لم تشر انت اليها أو لم تشأ الحديث عنها . والذى يحدث عادة أن العميل يعتقد على الفور بوجود تلك المشكلات ، ويتبناها ان لم يكن واعيا بها ، ويزداد ايمانه بالشيخ الذى يحدثه . وقد شهدت حالات عديدة من هذا الموقف . والمألوف ان يتطوع أحد الجالسين ويعلق على معلومات الشيخ الجديدة ما يؤكد به سعة اطلاع هذا الشيخ وقوة تأثيره : « شوف ، انه يعرف حاجات ، لم تكن تريد انت ان تتكلم عنها » ، أو تعليقا من هذا النوع يؤكد به « سر » هذا الشيخ الجليل .

الحالة الثانية :

ابن الباحث عمره ثلاثة شهور يبكي دائما ولا ينقطع عن البكاء فى ليل أو نهار ، ولم يجد معه علاج الاطباء • ولم يطلب الرجل اسم الطفل ولا اسم أمه • وطلب أثرا للطفل أعطيناه اياه ، (منديل قديم مستهلك ، على أنه بقايا لفة له ، أو جزء منها) • واستخدم طريقة العقدة • التى أتبعها من قبل ، لكى يستخرج سبب بكاء هذا الطفل • ولكنه لم يستخدم عمليات حسابيةللقيمة العددية للاسماء • واكتفى الشيخ بعملية « قياس الاثر » ، ولم يحدثنا عن سبب بكاء الطفل ، وقال انه سوف يكتب حجابا للطفل • وقد نشر نص هذا الحجاب ودرس هو الآخر •

الحالة الثالثة :

شقيق الباحث يشترك فى حرب اليمن منذ بدايتها(٦) وقد انقطعت أخباره منذ فترة ولم تصلنا أى أخبار عنه ، ولا تعرف الاسرة ما اذا كان حيا أم ميتا • وهنا طلب الشيخ معرفة اسم صاحب الحالة واسم أمه ، وأثره •

وقد استخدم طريقة العقدة فى بادىء الامر لكى يعرف سبب انقطاع أخبار أخى ، وعـلم فى حينها أنه حى يرزق وأنه بخير • ونظرا لاهمية الموضوع ــ حياة أو موت ــ حاول أن يتأكد من هذه النتيجة عن طريق

---

(٦) من الواضح للقارىء ان تلك المشكلة كانت تمثل قضية حيوية هامة وقت اجراء الدراسة . وقد اخترت هذه الحالة من عمد ، كما اخترت سائر الحالات وفقا لخطة معينة ، ولكن هنا لكى لا يتسرب الى نفس الرجل أى شك فى صدق نوايانا (رغم أن جميع الحالات مختلقة ووضعت بهدف الدراسة فقط) ؛ لانه ان فقد الاقتناع بجديتنا ، فلن يتصرف بكل ما اوتى من خبرة ومعرفة ، وهو الموضوع الذى نود أن نستخرجه منه ونطلع على أكبر جانب منه .

والملاحظ ان قضايا الحروب الدائرة او المنتهية قريبا تمثل موضوعا مطروقا بكثرة لدى المشتغلين بالسحر فى مناسباتها ، حيث يتجه آلاف الناس الى هؤلاء السحرة يسألون عن ذويهم المختفين أو الذين انقطعت اخبارهم .

آخر • واستخدم لهذا الغرض طريقه المصحف والمفتاح • ومؤدى هذه الطريقة أن يوضع المفتاح بين دفتي المصحف • ولا يظهر منه سوى رأسه فقط • ثم يربط المفتـاح والمصحف على هذا الوضـع برباط قوى • ثم يحمل الشيخ وأحد الجالسين (كان ذلك دليل الرحلة صديقي وزميل ومن أهل القرية) المفتاح من احدى طرف مقبضه باصبع السبابة الايمن • وذلك على نحو يسمح بحركة المصحف بحرية فى هذا الوضع •

وبينما يقرأ الشيخ بعض الصيغ السحرية يأخذ المصحف فى الحركة ببطء نحو اليمين أو اليسار الى أن يسقط فى النهاية • وفى حالتنا قال الشيخ قبل بدء العمل اذا تحرك المصحف ناحية اليمين فمعنى ذلك أن شقيقى مايزال على قيد الحياة ، واذا تحرك المصحف ناحية الشمال فمعنى ذلك أنه مات •

وبالطبع تحرك المصحف ناحية اليمين مؤكدا النتيجة الاولى التى توصل اليها الشيخ باستخدام طريقة العقد ، أى أنه على قيد الحياة ، ووعد بأن يكتب له « حاجة » • ولكنه عاد فى اليوم التالى بثلاثة أحجبة فقط للحالات الثلاث الاخرى ، (الاولى ، والثانية ، والرابعة فقط) متجاهلا هذه الحالة تماما ، كما فعل تماما زميله ساحر ههيا •

الحالة الرابعة :

صديقى (دليل الرحلة) على علاقة حميمة بصديقه له ، وهما يريدان الاقتران سريعا ، ولكنها منذ فترة قصـيرة بدأت تنفر منه وتبتعد عنه وتسوف فى اتمام الزواج • وطلبه التماس وسيلة لدى الشيخ لاسترجاع حبها من جديد • وعند ذلك طلب الرجل معرفة اسمها واسم أمها • ولكن صديقى أخبره بأنه لا يعرف اسم أمها(٧) • فرد الشيخ بأنه يكفى أن

---

(٧) قد يعجب القارىء ويتصور ان صاحب الحالة لم يكن يعرف اسم أم

تقول « فلانة بنت آدم وحوا » ، ولو أن ذكر اسم الام كان سيكون أفيد كثيرا • ولم يقم بأى محاولة لمعرفة سبب عزوف هذه الفتاة عن الاقتران بصديقى •ووعد بأنه سيكتب لها حجابا يحضره مع الاحجبة الاخرى فى اليوم التالى •

وقد نشرت أصول صور هذه الاحجبة (للحالات الثلاثة فقط ـ دون حالة جندى اليمن) وترجمتها وعلقت عليها فى الرسالة التى سبقت الاشارة اليها ، محمد الجوهرى ، استخدام أسماء الله فى السحر ، مرجع سابق ، ص ص ٣١٥ ـــ ٣٢٧ •



= صلاحيتة كتلة . ولكن كما قلت ان كل الحالات مختلفة ، وكل الاسماء مؤلفة . وكان من السهل ان نؤلف اى اسم لام الصديقة . ولكننا اردنا ان نضع الشيخ فى موقف يحاول فيه أن يتصرف حيال شخص لا يعرف اسم امه . وندرس رد الفعل عنده ازاء هذا الموقف . وقد كان رد فعله دالا على عدم تعمق معلوماته ، لانه من الواضح انه قد صرف النظر عن عمل استخارة بأى وسيلة (لانه لايعرف اسم امها) واكتفى بعمل حجاب للمحبة بشكل عام . كما اتضح من دراسة الحجاب المذكور الذى لم يوظف فيه اسماء اصحاب الحالة على النحو المتنوع والشائع فى كتب السحر .

التقــرير الثالث
عن زيارة مشتغل بالسحر بمدينة مهيا ــ شرقية

الشيخ ع • ن • يبلغ عمره نحو الخامسة والستين وقت اجراء الدراسة (عام ١٩٦٤ / ١٩٦٥)(*) • متزوج منذ خمسة وثلاثين عاما تقريبا • له بنت واحدة متزوجة من مقرىء ولها أولاد • حالتها متيسرة نسبيا • وينتمى الشيخ الى أسرة ريفية من أب فلاح • وكان من بين أفراد الاسرة بعض من أنهوا تعليمهم العالى بالازهر ، مما أضفى على الاسرة بشكل عام روحا متدينة •

اشتغل الشيخ ع • ن • فى مطلع حياته العملية بتجارة المانيفاتورة كعامل فى محل • وهو يحفظ القرآن • ولم يعمل فلاحا بالمعنى المعروف فى اى مرحلة من مراحل حياته • واستطاع من خلال صلاته فى المحل مع سيدات القرية أن يكون لنفسه جمهورا يكتب لهن أعمال السحر فى شتى الاغراض • وكون له هذا العمل موردا جانبيا بارزا خلال عمله بالمحل المذكور • وبعدها تفرغ لهذا العمل وتكسب منه كثيرا •

والملاحظة الظاهرة أن هذا الرجل يعاني من تأتأة ، قيل انه يعاني منها منذ طفولته وحتى اليوم ــ ويمكن القول بأن طريقه الى الاشتغال بمهنة « الكتابة » (السحر) يرتبط بعدة عوامل أهمها :

١ ــ حفظ القرآن (خاصة فى ارتباطه مع العوامل الاخرى) •

٢ ــ أخذ العلم عن زميل سمع منه ، كما استعار منه طائفة من الكتب السحرية التى درس فيها •

٣ ــ مواصلة الاطلاع الشخصى ، والعمل فى هــذه الكتب ومن خلالها •

(*) توفى الشيخ بعد اجراء البحث بسنوات قليلة •

وكان الشيخ وقت اجـراء البحث قد توقف عن ممارسـة مهنة « الكتابة » • ويبرر ذلك بشيخوخته وسنه الكبير ، ولهذا يريد أن يتوب الى الله ويبتعد عن كل ما فيه الاضرار بالآخرين • وهو يتعيش وقت اجراء البحث من ممارسة بعض الاعمال الثانوية وهي تتلخص فى :

١ ــ الاشتراك فى تعليم الصغار مبادىء القراءة والكتابة وتحفيظ القرآن •

٢ ــ المشاركة فى أعمال يدوية تافهة قد يتقاضى عليها أجرا أو لايتقاضى •

الحالات التى طلب منه العلاج فيها :

الحالة الاولى :

شابة فى مقتبل العمر لا تستطيع انجاب أطفال حتى الآن • وقد ضاقت حماتها بهذا الوضع ، وتريد تطليقها من زوجها • والزوج يعلم أنه لن يستطيع انجاب أطفال من زوجته تلك ، ولكنه يريد مع ذلك الاحتفاظ بها ، والاستمرار فى العلاقة الزوجية •

وقد طلب الشيخ منا معرفة اسم الزوجة واسم أمها ، وكذلك اسم الحماة واسم أمها •

الحالة الثانية :

طلبنا من الشيخ حجابا ضد الحسد لابنة أحد أصدقائى الصغيرة • وقد طلب معرفة اسم الطفلة • ولم يطلبـه اسم أمها •

وبعد أن عرضنا عليه الحالات المطلوب علاجها ، غاب عنا لمدة ساعتين تقريبا (بديهى أنه لا « يكتب » على الفور ، ولا يكتب أمام الغرباء) • وعاد يحمل معه أربعة أحجبة • وقال معلقا على ما حدث انه قد ترك

« الكتابة » تماما ، ولكنه فعل ذلك لاجلنا فقط ، وبسبب اعزازه الخاص للدليل المرافق لى .

والاحجبة الاربعة مكتوبة بخط ردىء ، على ورق سميك سىء أصفر اللون ، بحبر أحمر . وأولها يوضع فى وسادة الحماة . أما الثانى فيجب أن يدفن تحت عتبة مسكن الحماة . أما الحجاب الثالث فيجب أن تحمله الزوجة تحت ابطها . والحجاب الرابع فتعلقه الطفلة لحمايتها من الحسد .

وقد نشرت صور هذه الاحجبة وترجمت محتواها وناقشته وعلقت عليه فى المرجع السابق ، استخدام أسماء الله فى السحر ، ص ص ٣٢٨ — ٣٣٥ .

التقـرير الرابع
عن زيارة مشتغل بالسحر بقرية الشيخ مغيرة
مركز ديروط ــ أسيوط

الشيخ م • ع • عمره حوالى ستين عاما ، وتم هذا اللقاء معه فى شهر يناير عام ١٩٦٥ • وقد ذهبت للقاء هذا الشيخ بصحبة الدليل (فلاح فى الخامسة والخمسين من عمره ، صديق للمرشد المرافق لى فى رحلة محافظة أسيوط) والمرشد الذى رافقنى فى قرى هذه المحافظة • وكنا قد أفهمنا الدليل أننا نود مقابلة أحد المشتغلين بالسحر فى القرية ، ولم نحدد له غرض المقابلة • ولم يسأل بدوره عن السبب ، ولكنه اكتفى بأن قال بأنه لم يعد هناك « حد كبير » الآن • ولكنه سيبحث لنا مع ذلك عن واحـد موثوق فيه •

وأمام منزل الشيخ م • ع • وجدناه يجلس وحيدا صامتا ، بلا عمل على المصطبة خارج المنزل ، يرتدى عدا الملابس الداخلية جلبابا أبيضا • وبعد أن تكلم الدليل معه بمفرده قليلا دخلت معه منفردين الى القاعة (حجرة الاستقبال) • والحجرة بسيطة الاثاث مفروشـة بحصير وبهـا دولاب فى الحائط ومنضدة صغيرة (طبلية) عليها بعض الورق ومحبرة وبعض ريش الكتابة وقلم رصاص ومصحف مغلف بغلاف جلدى ، وكتاب قديم عمرة مائة عام على الاقل •

جلست على الحصير فى مقابل الشيخ م • ع • بعد أن سلمت عليه • وانصرف هو مباشرة الى كتابة ورقة طويلة بالقلم الكوبيا دون أن يستخدم الكتاب • وبعد أن انتهى من كتابتها لفها لفة خاصة وأعطاها لى وقال انها للهداية والقبول وتيسير كل أمر ، طلب منى أن أغلفها بغلاف ــ جلدى أو قماش ــ وأحملها معى دائما أبدا • (ويلاحظ القارىء أنه لم يطلب معرفة اسمى ولا اسم أحد من أقاربى قبل الشروع فى الكتابة) • والامر الثانى

الجديد بالملاحظة حتى الآن أنه للمرة الاولى لا يجد الساحر حرجا فى أن يكتب حجابا فى حضور شخص غريب) •

بعد ذلك بدأ حديثى معه وطلبت منه — لشخص يعمل عندى ويهمنى أمره — أولا : علاجا لزوجة هذا الشخص التى تنزف بصفة شبه مستمرة ولا تستطيع انجاب أطفال وزوجها شديد الرغبة فى الحصول على أطفال • وقد زارت عددا من الأطباء ، ولم يجد علاج أى منهم فى شفائها •

ورد الشيخ بأن لديه الفائدة المؤكدة لعلاج هذه الحالة ، وأن مثل هذه الحالات يصلح فيه العلاج الروحى أكثر من علاج الاطباء ، وأن مثل هذه الحالة بالذات كانت تعانى منها زوجة الشيخ وقد استطاع بفضل هذا العلاج أن يشفيها وينجب أطفالا •

وبدلا من أن يسير الشيخ وفقا للخطة المعروفة والتى سبق أن خبرناها مع معظم من قابلناهم ، بدلا من أن يطلب أثرا للمريضة ويعرف اسمها واسم أمها ليتسنى له عمل استخارة أو فتح مندل لمعرفة تشخيص المرض وسبب الداء — وهو ما يقابل فى بعض أنواع العلاج الشعبى ما يعرف فى الطب الرسمى بفحص المريض — شرع مباشرة فى كتابة العلاج • ففتح كتابه المشار اليه على الفهرس وأخذ يتصفح (للعثور على فائدة لعلاج التزيف أو ما شاكل ذلك) •

ولما كنت أجلس قريبا منه بدرجة كافية فقد تيسر لى تتبع الفهرس من أوله الى آخره • ويلوح لى أن تشخيص الموقف لا يخرج عن احتمالين أولهما : أن الشيخ كان مضطربا لزيارتى كأفندى من المدينة ، أو أنه ثانيا لا يعرف القراءة أو يعرفها بدرجة متخلفة جدا • ذلك أنه كان ينتقل بسرعة واضطراب بين صفحات الفهرس وصفحات الكتاب • وأمضى وقتا غير قصير دون أن يوفق فى العثور على شيء ينقله • وأقفل الكتاب ، وأخذ ورقة صغيرة وقطعها الى أربعة أجزاء متساوية المساحة وكتب على ثلاثة منها وأعطاها لى لتتبخر السيدة بواحدة منها كل ليلة لمدة ثلاثة أيام •

ولما سألته عما اذا كان هناك وقت معين يتحتم أو على الاقل يستحسن أن تتم فيه عملية البخور — وذلك مراعاة لما نعرفه من كتب السحر الرسمي عن ضرورة مراعاة الاوقات المناسبة للاعمال — رد بأن ذلك ليس ضروريا ، وأنه يمكن أن تتبخر بها فى أى وقت تشاء •

وبعد ذلك شرع يكتب فى ورقة طويلة كالاولى وفرغ منها وأعطانى اياها ، وطلب أن تغلف — بغلاف جلدى أو قماش — وتحملها السيدة المريضة • ولما سألته عما اذا كان من المحتم أو من المستحسن أن تحمل هذه الورقة على عضو معين من أعضاء الجسم أجاب بأن ذلك ليس ضروريا • والورقة الرابعة كتب عليها وطبقها وأعطانى اياها لكى تبلعها السيدة المريضة • ويلاحظ أننا بذلك نعثر على أول حالة من نوعها يوصى فيها المشتغل بالسحر بأكل المادة الورق المكتوب عليه مباشرة دون نقل التأثير عن طريق الماء أو الاكل كما هو شائع ومعروف فى كتب السحر الرسمية •

وبعد الفراغ من عملية الكتابة والارشادات أدرت حديثا مع الشيخ علمت منه أنه قد ورث الكتاب السحرى الموجود أمامنا عن والده• والارجح أن والده كان قد ورثه هو الآخر • وهو لا يعرف شيئا عن تاريخ صدور الكتاب ولا عن اسم مؤلفه ، لان صفحة الغلاف وبضع صفحات أخرى من بداية الكتاب ممزقة ، والكتاب أعيد تجليده تجليدا متواضعا ويقع فى نحو مائة وسبعين صفحة من القطع الصغير • وأشار الشيخ فى حديثه الى أن المطابع تخرج هذه الايام طبعات كثيرة لهذه الكتب « المباركة » ، ولكن وسائل النشر الواسعة هذه تؤدى الى ضياع قيمة الكتب وافتقادها القدرة على التأثير الصحيح • ولما ذكرت اسم « البونى » عرضا فى المناقشة لأتحقق من مدى معرفة الشيخ به زعم لى الشيخ أنه سمع به ، ولكنه لم يقرأ له كتبا ، لانه ببساطة لم ير كتب سحر سوى الكتاب الذى بيده •

وبعد الانتهاء من هذه الحالة طلبت منه حجابا لهداية ابن الشخص الذى تعانى زوجته من النزيف ، لانه منصرف عن مدرسته متخلف فى

دروسه مرافق لبعض الاشرار ويقومون معا بأعمال غير لائقة ••• الخ • ولم يفلح والده فى اعادته الى جادة الصواب • فنصحنى باستخدام الحجاب الاول الذى سبق أن أعطاه لى فى بداية الجلسة (لكى استخدمه أنا) • ويلاحظ فى هذه الحالة مرة أخرى أنه لم يراع اسم العميل ولا اسم أمه ، وهو مبدأ أساسى فى السحر الرسمى كما نعرف لان « العمل » عمل شخصى خاص بفرد بعينه • أما صاحبنا فلم يسأل عن اسم الولد ولا اسم أمه ، وانما نصح باستخدام الحجاب الذى سبق أن عمله لى •

وقد نشرت صور الاحجبة ونصوصها ودراسة مفصلة عليها فى رسالتى السابقة الاشارة اليها، ص ص ٣٣٦ — ٣٤٤ •

الفصل الخامس

دليل مختصر للدراسة الميدانية للسحر

مقــدمة :

تقوم الممارسة السحرية على أداء بعض العمليات المعينة وفق تكنيك خاص ، وتستعين هذه العمليات ببعض العناصر أو المقومات الاســاسية كالأفعال (أو الحركات) ، والكلمات (المنطــوقة أو المكتوبة أو كليهما) ، والاشكال ، وكذلك الانسان الممارس لكل هذا ، ويتخذ التأثير الســحرى أشكالا أو مظاهر معينة كما أنه يستهدف تحقيق غايات معينة • وقد حاولنا فى أسئلتنا أن نغطى هذه الاركان جميعا •

وسيجد القارىء أن هناك بعض آيات القرآن الكريم (أو سوره) ، أو أقوال الرسول ، أو أسماء الانبياء ، أو غير ذلك مما يدخل كعناصر فى بعض العمليات السحرية ، واعتقد أنه لا حاجة بنا الى أن ننبه أن هــذه الاستخدامات لتلك العناصر الدينية « الرسمية » لا تعبر عن وجهة نظــر الدين الاسلامى الصحيح •

ولما كنا نستهدف الوقوف على طبيعة المعتقد الشعبى كما هو ، بما فى ذلك تصوره عن تأثير بعض العناصر الدينية ، فاننا يجب أن نضمن مثل هذه الظواهر والممارسات فى دراستنا ، اذ لا شك أن الآيات والاسماء القرآنية المستخدمة ، انما يهدف الساحر من ورائها الى تدعيم تأثير العمل السحرى فى رأيه ، وزيادة وزنه وتأييده فى قلوب عملائه من عامة الشعب • فهــذا الاستخدام محاولة ــ تمت بطبيعة الحال بشكل تدريجى وغير واع فى كثير من الاحيان ــ لاضفاء طابع اسلامى على عناصر ســحرية قديمة تعاقبت عليها الديانات والنظم الاجتماعية المختلفة •

فاذا كان بعض المتدينين من أبناء الشعب يعتقد — مثلا — أن الوشم حرام (لانه كتابة ابليس) وينقل بذلك رواية عن الله يبرر بها ذلك ، (يقال ان ابليس لما هبط قال : يارب لقد لعنتني فما كتابي ؟ قال : الوشم) فانه انما يلجأ الى الدين لتأييد موقفه ، وليس موقفه هذا بحجة نأخذها على الدين الرسمي فعلا أو نلتزم بها . فعلينا بالاختصار أن نميز بين ما هـو الدين الرسمي حقيقة ، وما هو الدين فى رأى عامة الشعب وحملة التراث الشعبي بالذات ، وعلى حسن ادراكه وتمثله يتوقف جانب كبير من نجاحه ووضوح الرؤية أمامه فى عمليات الجمع والتسجيل الميداني .

موضوعات عامة

السحر والشيطان — السحر السفلى — السحر الروحانى — التعاهد مع الكائنات فوق الطبيعية — ونذر الشخص نفسه لها — مدلول « زايرجه » — السيميا .

اولا — أركان العملية السحرية :

١ — الساحر :

اسمه المحلى — التخصص بين السحرة — مزاولة مهن أخرى مع السحر — الندابات والسحر — القساوسة والرهبان وكتابة الاحجبة — لجوء المسلم الى قس لاغراض سحرية — ولجوء المسيحى الى مشايخ مسلمين لنفس الاغراض — مكان الممارسة — زيارة السحرة للقبور ليلا — استرضاء الجن والشياطين للاشتغال بالسحر — أثر الزواج على قدرات الساحر — الاشتغال بالكيمياء — احتفاظ الساحر ببعض الكتب — مصدر اكتسابه المعلومات والخبرات — أجور السحرة — عدد الحاضرين مع الساحر فى أثناء الاستشارة — مكان استقبال العملاء فى بيت الساحر — المعاونون للساحر ودورهم — تخصص بعض السحرة فى المساعدة فى أغراض دون سواها — الاستعانة بوسائل دون سواها — معارضة الزواج بالسحرة — قبول الناس مشاركة الساحر فى تجارة أو مزارعة ... الخ — مشاركة الساحر فى جلسات الناس « الطيبين » أصدقاء وجيران وأصهار وشركاء تجارة أو زراعة الساحر — اللجوء الى الساحر المحلى والخارجى ومجالاته — استخراج الثعابين من جحورها — والجمع بين ذلك وبين السحر — « الضمار » وأعماله .

٢ — الأشخاص ذوو القوى السحرية الخاصة :

وجود الاطفال فى بعض الممارسات أو اشتراكهم فيها — تلقين الكبار

أدعية للصغار لترديدها لتستجاب ــ القدرات الروحية الخاصة عند المجذوب ، ذوى العاهات ، أشخاص يتميزون بأوضاع معينة (كالشخص الذى يكون عمه خاله) ــ فئات لا تصلح للدخول كأطراف فى العملية السحرية (كالمرأة الحائض مثلا) •

٣ ــ الأفعال السحرية :

الصمت أثناء الممارسات السحرية ــ المواظبة على تنفيذ الوصفة لحين ظهور أمارة معينة ــ الامتناع الكلى أو الجزئى عن الطعام أثناء أداء العملية السحرية ــ المواظبة على أداء الصلوات فى مواعيدها ــ وأداء العبادات الاخرى ــ ارتباط فاعلية السحر بالمشقة التى يتكبدها الساحر ــ التردد على أماكن معينة طوال فترة العمل ــ واعتكاف الساحر طوال هذه الفترة ــ العقيقة ــ الاحتكام « بالبشعة » (طقس يلزم المشتبه فى أمرهم بلعق طاسة نحاسية محماة ، اعتقادا بأن البرىء لن يضار منها بينما يحرق لسان الجانى الحقيقى) ــ طقوس قبل الحصاد ــ قبل بذر التقاوى ــ قبل الكيل ــ الاضطجاع على الجانب الايمن عند النوم ــ ممارسات فطام الطفل ــ ممارسات أمام الجنازة قبل خروجها ــ وقبل بناء بيت جديد ــ وقبل الدخول أو الانتقال الى بيت جديد ــ وقبل الدفن ــ وممارسات قبل التوجه الى بيت الزوجية ــ وعند الميلاد (بالنسبة للبشر وللحيوانات) ــ الاستدلال على شخصية الحاسد عن طريق أشكال الشب ــ بعد حرقها ــ والفاسوخ •

٤ ــ تأثير الكلمة :

ألفاظ الساحر غير المفهومة والغريبة ــ معناها فى رأى الناس ــ أدعية المناسبات المختلفة ــ أدعية عند رؤية الهلال الجديد ــ وقبل النوم ــ وللخروج من ورطة ــ ولانجاب الذكور ــ دعاء ليلة النصف من شعبان ــ أدعية ترددها الداية فى سبوع المولود ــ دعاء قضاء الدين ــ دعاء انفراج أزمة ــ والتخلص من الخوف ــ وقبل تناول الطعام ــ

وبعده — وعلى بعض المأكولات لاغراض خاصة (كالفجل لاذهاب رائحته) — عند سماع الرعد — ولدى مشاهدة شىء جميل — تلفظ المندهش من ممتلكات آخرين بألفاظ معينة — دعاء يتلى عند دخول الحمام وعند مغادرته — وكذلك المرحاض — أدعية صاحب الحقل وهو يطوف حوله — وحول الزرع — أدعية لذهاب الهم — دعوات زائر المريض لشفائه — دعوات تتلى عند ضياع شىء — دعاء السحر — فوائد استخدام الاذان — رقيات القضاء على الحشرات (كالبق والبراغيث) — رقى أخرى لاغراض أخرى — الرقية بالقرآن والرقيات المؤلفه — رقى الحماية من الوحوش والحيوانات الضارة — رقى بيع « الميعة » — العبارات التى يرددها مستخرجو الثعابين من جحورها — رقىالوقاية من لدغات العقارب أو الثعابين ، والتداوى منهما — نداء محترف استخراج الثعابين — قداسة الورقة المكتوبة — « عزيمة الجيوشى » — استخدام لفظة « بدوح » — الاوراد — مناسبات قراءتها — وأوقاتها — تفضيل قراءة القرآن عليها — الحروف العلوية أو الروحانية — الجلجلوتية (قصيدة من العزائم السحرية تستخدم فى أغراض مختلفة) — صيغ الصلاة على النبى — عدد مرات الصلاة وتأثيرها على أعمال المرء — وكذلك عدد تكبير الله عقب كل صلاة وتأثيره الخاص — التكبير عند الحريق — آثار التسبيح مرات معينة — فوائد البسملة — ذكر اسم الله عند دخول البيت ، وعند تناول الطعام — الحلف الكذب بالمصحف والاصابة بالعمى أو الكساح — الآيات القرآنية المعلقة على مداخل أبواب المنازل — التبرك والحماية بحمل القرآن أو جزء منه — قراءة سورة الفاتحة فى نفس واحد — وفضائل قراءتها عقب صلاة الجمعة عددا معينا — وفوائد استخدامها — كتابتها لاهلاك الأعداء — فوائد سور وآيات القرآن المختلفة — مناسبات استخدام « آية الكرسى » — وتأثيرها عقب كل صلاة — وقبل النوم — قراءة « سورة يسن » ليلة القدر — وفضل قراءتها فى كل ليلة — السبع آيات المنجيات وأغراضها — فضائل قراءة « سورة الناس » عددا معينا عقب صلاة الجمعة — وسورة الفلق — فوائد قراءة « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله

الحمد ، وهو على كل شىء قدير » — « ان الله وملائكته ... الآية الى تسليما » — « حسبى الله ونعم الوكيـل » — حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف — قراءة سورة الكهف يوم الجمعة — وتأثيرها على قـوم يأجوج ومأجوج — تكرار « كعصف مأكول » عند قراءة سورة الفيل — فضائل قراءة « سورة الملك » عددا معينا — تأثير قراءة « سورتى الشرح والفيل » فى صلاة الفجر والمغرب فى الوقاية من بعض الامراض — تأثير ترديد « لا اله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير » عددا معينا من المرات — أغراض استخدام « سورة النحل »، « سورة الروم » ، « سورة المرسلات » ، (سورة الانشقاق) — قراءة آيات معينة لرواج التجارة — قراءة بعض الآيات لضمان سهولة قبض روح قارئها ، وتفيد عند مقابلة الحكام أو اتقـاء شر السلطان — آية قضـاء الحوائج — آية جلب الرزق — آية تفيد فى الصـلح بين الزوجين — وفى التخفى عن أعين الظالمين — وخلاص المسجون — اسـتخدام بعض آيات القرآن فى شفاء الامراض . التداوى بالنشرة وشروطه — آيات تستخدم لحفظ الاشياء — وأخرى ليس فيها حرف « الكاف » (سورة العصر..الخ) لها استعمالات عديدة — استخدام آيات القرآن للاضرار بأحد — الآيات أو السور التى يتحرج أو يتخوف المرء من قراءتها — الختمة — عبـادات تردد عند العطاس — وضع المصحف تحت الرأس عند النوم — التكبير عند رؤية الحريق — اطلاق اسم قبيح على الوليد — المصـحف : اقتنـاؤه ، بالمنزل أو بالحانوت ، كتأمين ضد الاخطار — أدعية دخول المنزل — ترديد المسافر أقوالا معينة ليأمن من أخطار طريقه — تلاوة تردد فى أذن الدابة عندما تحرن — أدعية قبل أداء العمل — دعاء المسـافر بالبحـر — دعاء الخروج من البيت — عبارات تقال لطفل الغير عند رؤيته أو حمله لاول مرة — كراهية اصطحاب شىء عليه اسم الله أو اسم الرسول عند دخول دورة المياه — ألفاظ تقال عند التقاط الخبز من عرض الطريق — الرقيـة ومسح جسم المرقى — رقية يوم عاشورا — المعوذتان و الوقاية من أضرار الجان — استخدام أسماء الله الحسنى فى الاغراض المختلفة وشروطه —

استخدام أسماء النبى لتحقيق أغراض معينه ــ استخدام أسماء بعض الخلفاء الراشدين وغيرهم من الصحابة لتحقيق بعض الاغراض اليومية ــ أسماء الاولياء المستخدمة فى السحر ــ أشهر العزائم وأوجه قوتها ــ النصوص والاشكال المكتوبة فى مجموعة أحجبة مختلفة الاغراض •

٥ ــ المواد والاشياء ذات القوى السحرية الخاصة :

كراهية اهانة بعض الاشياء كالخبز واللبن ••• الخ ــ رأى الناس ازاء فضلات المأكولات المتساقطة على الارض أثناء الاكل ــ آثار النبى (أو أحد الصحابة أو أحد الاولياء) يتبرك الناس بها فى المنطقة ــ (التفل) ــ استخدام البخور ــ أشهر أنواعها ــ ومكان جلبها ــ بخور عاشوراء أو الملح المبارك ــ رقية عاشوراء ــ « الميعة » (مزيج من عقاقير مختلفة) ــ أسلوب النداء عليها ــ الشب ــ الفاسوخة ــ اللبان الذكر ــ « المستكى » ــ الكمون والترمس ــ الملح ــ الوصفات السحرية التى يدخل فيها ــ والممارسات المعينة لحماية الانسان ــ مناسبات رش الملح ــ رش الداية للحبوب المخلوطة ــ الملح فى السبوع ــ الملح فى النار ــ النار ــ تخطيتها ــ ابطال مفعول العمل الذى اكتشف ــ رماد النار (التراب المحروق) ــ اشعالها أمام المنزل ــ حلف اليمين عليها ــ ايقادها للاحتفال بقدوم العائد من سفر ــ وخلف الشخص المكروه رجوعه ــ ايقادها فى آخر مغرب من رمضان ــ ايقادها للعروسين عند خروجهما أول مرة من غرفتهما ــ وليلة الزفاف • وعند الاحتفال بعاشوراء ــ وللوالدة فى احتفال السبوع ــ طهارة الاشياء الخارجة من النار ــ عبور الماء ــ رشه فى مناسبات معينة ــ وضع الاعمال السحرية فى الماء ــ الماء الذى حلت به البركة ــ تبخر الماء ــ قدرات الماء الجارى ــ الماء عند القسم ــ ماء زمزم ــ لفظ « لبن » فى الادعية والاقوال ــ استخدامات الدم ــ دماء القتيل ــ المواد التى تستخدم كتمائم فى المنطقة ــ الخرز الازرق ــ الحبر والاحجبة ــ تغليفها ــ الابرة الغشيمة (التى لا عين لها) ــ استخداماتها ــ الذرة الشامية ــ الفول ــ رأس«فرخة» (دجاجة) ــ ناب الذئب أو

تراب الضبع ـ رأس الهدهد ـ النبات الاخضر ـ الباذنجان ونواحى استخدامه فى السحر . والمشاهرة ـ اللحم النىء ـ عدة الحلاق والمشاهرة ـ المرآة ـ الدقيق ـ السبحة ـ قلامات أظافر الانسان ـ شروط استخدام الحذاء القديم فى بعض الممارسات السحرية ـ ابريق السبوع ـ استخدام البندق فى « حلب النجوم » ـ شحاذة النقود والعيش (الخبز) للمولود ـ الوقاية (عقد من الودع به سلسلة من الحديد فاذا وضعت المرأة خلعته عن نفسها وألبسته مولودها) ـ « طاسة الخضة » ـ التداوى بها من « قرصة الثعبان » أو (لدغة العقرب) ـ السيف المجرد ـ الابزيم ـ المواد الغذائية التى توضع عند رأس المولود طوال ليلة السبوع ـ الطلسم ـ بيع البخور ـ جثة الميت ـ وضع حلق فى أذن الطفل الذى يموت اخوته السابقون ـ تمائم طرد الطيور عن الاماكن ـ الزبد ـ موضع الوليد ـ « البتيتة » ـ مناسبات استخدام الخنجر أو السكين أو المقص ـ السوط ـ الشجرة تحظى بنظرة خاصة من الناس ـ الثوم فى البخور ـ قشر البصل ـ مناسبات استخدام البصل ـ البيض ـ قشره ـ البيض المسلوق ـ البيض الفاسد ـ الشمع ـ تراب المقبرة وقوته الخاصة .

٦ ـ تأثير الاشكال :

خمسة وخميسة ـ عروسة القمح ـ خاتم سليمان ـ رسم صورة الحاسد ـ كف الدم ـ رسومات : على أبراج الحمام ، بعض الاماكن لطرد العصافير ـ الوحدات الزخرفية الشائعة ـ علامة الصليب عند المسلمين ـ الأشكال السحرية التى يرسمها الساحر ـ الوشم ـ عند الانسان والحيوان ـ رسوم الجدار والاحجبة ... الخ ـ مشروعية الوشم .

٧ ـ الحمائل السحرية :

القرآن أو أجزاؤه ـ « بدوح » ـ الحرز ـ الحجاب ـ التمائم ـ

التحويطة — أغلفة الاحجبة — احتماء الحائض أو النفساء بحمل شيء — مواضع التمائم والاحجبة : الجسم الانساني ، غيره (كالأبواب — الاشجار ... الخ) — الحمائل من حيث : شكلها ، مواضعها ، مواد صنعها ، ثمنها ... الخ .

٨ — عمليات سحرية خاصة :

الشكر بلمس الارض — الشبشبة — « حلب النجوم » — استحضار الأرواح — قياس الاثر — فتح الكتاب — ضرب الرمل واستنطاق الودع — التعرف على الحاسد — (الربط) — (الفوران) — (التكتيف) .

ثانيا — المظاهر السحرية :

١ — التفاؤل والتشاؤم :

أماكن معينة — (الاقدام) و (الأعتاب) و « النواصي » — ما تقع عليه العين عند الخروج من المنزل — لأعور — الدجاج المتقاتل — تعارك الكلاب — التعثر لدى الخروج من البيت — الاناء الفارغ — الأحداث والاشخاص — نواحي التشاؤم من : المرور تحت السلم . رد اللبن أو الخبز ... الخ — كنس البيت عقب سفر عضو من الاسرة . عقب عودة المسافر من الاسرة — الخميس اذا وافق اليوم الخامس من الشهر — التفاؤل من السفر : يوم الجمعة ، الاثنين — التشاؤم : من الاربعاء لو كان آخر أربعاء في الشهر ، عقد الزيجات في المحرم — الاوقات المستحبة لعقدها — رؤية الهلال — اجتماع القمر مع العقرب في برج واحد — واجهة باب المنزل — قراءة القصص في منزل أو مقهى — عدل الحذاء المقلوب — كراهية : الكنس بعد الغروب ، الخياطة ليلا ، بيع الابر بعد العصر — التقابل مع جنازة — الالوان موضع التفاؤل ، والتشاؤم — أمثال وتعابير . الحظ — النحس — أحد الاشخاص يجلب السعد أو النحس — مرور المرأة على الرجل — مناداة مزمع السفر — المناداة من الخلف — المشي على قشر

الثوم ، البصل ، البيض — نشر الغسيل مقلوبا — رد الابرة ليلا — دحرجة الغربال •

٢ — البركة :

ماهيتها — مصدرها — حلولها — بركة البيت — المحصول — البركة والجنابة — قداسة الخبز — طهارة الماء — ماء النيل للمحتضر — وضع جرة ماء : فوق السطح ، بجوار المحصول — سعف النخيل والسعادة والحظ — شرب الماء المذاب فيه كتابة آيات معينة للتبرك — ليلة النقطة — الزمزمة — التبرك بالمصحف ، وبآيات أو عبارات معينة — بركة البخارى — الاحجبة : لجلب الزبائن ، زيادة لبن المواشى الحلوب — الحيض الاول •

٣ — العين :

النظرة الشريرة — أصحابها — ما يتلى عند رؤية الحاسدين — شروط الحاسد — التحفظ فى الاعجاب بأشياء الآخرين — الملح والرقى والشب لعلاج آثار الحسد — الوقاية من العين : مسك الخشب ، رقية الايام العشرة الاولى من المحرم ، ارتداء لبس مغاير للنوع — الأر «القر» والعين والحسد والاقوال السائدة عنهم والحكايات المشهورة — كسر (قلة) خلف انسان مكروه ، وفى احتفال ما — أقوال تردد عند كسر شىء ما •

٤ — المشاهرة :

ماهيتها — تفسيرها — توقيتها — الوقاية منها — رفعها ان وقعت — الاشخاص المشهورون بايقاعها — من تقع عليهم : النفساء ، — آثارها — الحائض — فك المشاهرة — تأثير البندقى — عدة الحلاق •

٥ — استطلاع الغيب :

أشخاص قادرون على التنبؤ بالمستقبل — قصص عن نبوءات

تحققت ـــ استشارة العرافين ـــ وسائل رؤية شخص السارق التى توضع تحت الرأس عند النوم ـــ وسائل معرفة البخت ـــ قراءة الرمل ـــ ضرب الرمل ومن يمارسه ـــ الكوتشينة وشخصية محترفها ـــ قراءة الفنجان وشخصية محترفها ـــ تكسبه منها ـــ الاستخارة : بالمصحف ، بالسبحة ـــ فتح الكتاب ـــ المصحف ـــ وشوشة الودع : والفجر ـــ اتصال الممارسة بالجن ـــ المندل : أشخاصه ، حكاياته ، عوامل فشله ـــ الاستدلال على حال الغائب ـــ بشائر جودة المحصول ـــ نزول المطر ـــ التنبؤ بمستوى الفيضان ـــ شكل أشياء معينة ، وبعض العوارض التى تحدث للشخص أو لأجزاء من جسمه ـــ وسائل أخرى •

٦ ـــ تحول الكائنات والاشياء :

تحول الانسان الى حيوان ـــ « المسحور » وأسباب تحوله وامكانية فك سحره ـــ القردة ـــ الاولياء ـــ البومة •

٧ ـــ ابطال السحر :

لبس الثياب بالمقلوب ـــ الحجاب ـــ أثر الحاسد ـــ التحويطة ـــ بعض المواد (كالسكين مثلا) •

٨ ـــ فوائد عملية :

الاحتكام (بالبشعة) ـــ ظواهر أخرى ـــ ممارسات لرؤية النبى فى المنام ـــ ممارسات : للرؤية فى الظلام ، للتأمين ضد اللصوص ، السهر ، الشجاعة ، الفصاحة ، النجاح ، توسيع الرزق ••• الخ ، تأخر الحمل ، « المعوقة » العاقر ـــ عجز الطفل عن المشى ـــ ماء زمزم ـــ تمرير اليد على جسد المريض ليشفى ، وطبخ أكلة على اسمه ـــ تسهيل خروج الروح ـــ استرضاء القرينة ـــ وقوع الطفل على الارض ـــ وصفات حفظ الحياة ، والمنزل طالما يمارسها الشخص ـــ طلاء جثة الميت ـــ استنزال المطر ـــ

كسب حب الزوجة لزوجها والعكس — زرع الكراهيــة — « النفث » — « العقد » — ووصفاتهما السحرية — التخضيب بالحناء — مصاحبة أحد أصدقاء العريس له يوم زفافه — فوائد الوشــم — ممارســات تقــوية الحيوانات الهامة أو اكثار نسلها — معالم المنطقة (تمثال ، جبل ، معبد) ، التى تقصد للتبرك أو الشفاء أو الحمل ••• الخ •

الباب الثالث

دراسة الاحلام

الفصل الاول : نظريات الاحلام القديمة

الفصل الثانى : الثقافة والاحلام

الفصل الثالث: تفسير الاحلام

الفصل الرابع : دليل مختصر للدراسة الميدانية لموضوع الاحلام

الفصل الأول

نظريات الاحلام القديمة

اولا ــ المعتقدات البابلية والأشورية حول الاحلام :

كان البابليون والأشوريون يعتقدون أن الشياطين وأرواح الموتى هى التى تعمل على التأثير بشكل سىء على الاحلام عند البشر الاحياء • وقد عرف هذان الشعبان بعض الممارسات السحرية المختلفة التى تستهدف التغلب على هذه الارواح الشريرة والتخلص من آثارها السيئة وتضمن للفرد الحصول على مساعدة وتأييد الالهة ملمو Mamu آلهة الاحلام عند البابلين • وكان يقوم بممارسة هذه العمليات السحرية على الفرد كهنة المعابد فى بابل • وقد أثمرت هذه المعتقدات وتلك الممارسات فى ظهور عدد كبير من كتب الاحلام البابلية والأشورية • وقد عثر على طائفة منها فى Nineveh فى مكتبة الملك الأشورى Ashurnasirpal ، والتى يرجع عمرها الى حوالى خمسة آلاف عام مضت على الاقل • وتحتوى تلك الالواح الفخارية على معلومات تفسيرية لمختلف أنواع الاحلام التى يراها المرء فى نومه • والملاحظ أن الجانب الاكبر من تلك التفسيرات ينبىء بوقوع بعض الكوارث أو الازمات للشخص الذى يراها • على أن الملاحظ أن أى تغير يطرأ على تتابع الظواهر المرئية فى الحلم أو على سياقها من شأنه أن يغير التفسيرات الخاصة بتلك الظواهر وبمدلولها الذى تحدده تلك الكتب • فاذا رأى شخص فى الحلم أنه يتبول على حائط مباشرة وأن البول الخارج منه قد انساب على الارض فان معنى ذلك أنه سيرزق بأولاد كثيرين • أما اذا انساب بوله الى حفرة أو عين من عيون الماء فان معنى ذلك أنه سيفقد ثروته • كما أن شرب الخمر فى الحلم يعنى قصر حياة الرائى ، على حين أن شرب الماء فى الحلم يعنى أنه سيعيش عمرا مديدا وهكذا •

ثانيا ــ معتقدات المصريين القدماء حول الاحلام :

من المعروف أن المصريين القدماء كانوا أقل اهتماما من الأشــوريين والبابليين بموضوع الارواح الشريرة والشــياطين وما الى ذلك • فكانوا يعتبرون الاحلام عبارة عن رسائل موجهة الى الرائى من الآلهة • وكانت تلك الآلهة تضطلع فى الاحلام بواحد من الادوار الثلاثة التالية : اما أنها كانت تطلب من الشخص الكفارة عن اثم ارتكبه فى حياة اليقظة ، أو تنذره ببعض الاخطار التى ستحدث له ، أو تجيب له على بعض الاسئلة الهامة التى يبحث عن اجابة لها •

وقد كان الاله سيرابيس Serapis هو اله الاحلام عنــد المصريين القدماء • وقــد انتشرت بعض معابد هــذا الاله (التى عرفت باســم السيرابيوم) فى مختلف أنحاء مصر • ولعل من أهم هذه المعابد سيرابيوم ممفيس الذى بنى حوالى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد • وكان هناك طائفــة من الاشخاص الذين يحترفون تفسير الاحلام ، وكانوا يقيمون فى مثل هــذه المعابد بصفة دائمة حيث يستقبلون أصحاب الاحلام الباحثين عن تفسيرات لرؤاهم • وكان هذا الوضع عاما وشائعا ومعترفا به الى حد أنه عثر على أحد « اليفط » التى كانت معلقة على باب واحد من « مكاتب » هــؤلاء المحترفين مكتوبا عليها « أنا أفسر الاحلام ، مفوضا من الآلهة بعمل ذلك • حظا سعيدا • المفسر المقيم هنا من كريت »(١) •

وهناك ممارسة أخرى كانت معروفة وتتم على نطاق واسع داخــل تلك المعابد ، وهى ما يمكن أن نسميه الاســتخارة عن طريق الاحــلام • ومؤدى تلك الممارسة أن يبذل الشخص جهدا عمديا واعيا لرؤية أحلام

---

(1) «I interpret dreams; having the god's mandate to do so; good luck: the interpreter present here is Cretan»: Cf. Van de Castle; R.L; op. cit; p. 17.

معينة ، من هذا النوم داخل المعابد وممارسة بعض الطقوس كأداء الصلوات أو الصوم أو غير ذلك • ويكون مطلب الشخص فى مثل هذه الاحوال رؤية حل مشكلة معينة أو الحصول على اجابة عن موضوع أو سؤال هام يؤرقه أو مشاهدة شخص عزيز معين •• الخ • بل كان هناك أحيانا شخص « بديل » مهمته أن يرسل الى المعبد ليحلم نيابة عن الشخص الذى يريد عمل هذه الاستخارة بالحلم ، ولكن لا تمكنه ظروفه لسبب أو آخر من أداء هذا العمل وما يفرضه من جهد أو يتطلبه من شروط قد تكون قاسية أو متعذرة عليه • وربما يلجأ الشخص الى هذا « البديل » بعد أن يخفق هو فى رؤية الحلم المطلوب أو رؤية الشىء أو الشخص المطلوب فى الحلم • فاذا فشلت كل تلك الجهود مع ذلك فان المصرى القديم كان يلجأ فى النهاية الى بعض الادعية والرسوم والطقوس السحرية التى يعتقد أنها ستساعده على رؤية الحلم المطلوب •

وقد وصف واليس بدج فى مؤلفه الشهير عن السحر المصرى(٢) أحدى هذه الممارسات • كان على الشخص الذى يريد الحصول على معلومات فى الحلم أن يحضر حقيبة من الكتان النظيف ويكتب عليها أسماء خمسة آلهة مختلفة • ثم يفتح الحقيبة ويسكب عليها الزيت بكمية كبيرة ثم يشعل فيها النار • وقبل أن ينسحب ويخلو الى نفسه ، يقوم هذا الشخص الصائم بلمس المصباح ، بينما هو يكرر صيغة معينة سبع مرات، ثم يطفىء المصباح ، وبعدها يذهب الى النوم ليتمكن من رؤية الحلم المنشود •

والملاحظ كذلك أن أحلام الملوك كانت تحظى بعناية كبيرة واهتمام خاص من جانب البلاط ومن جانب المفسرين ، حيث كان يعتقد أن الآلهة هى التى تظهر فى مثل هذه الاحلام • ولعل من الشواهد على ذلك تسجيل رؤية رآها الملك تحتمس الرابع (فى سنة ١٤٥٠ قبل الميلاد) على مقدمة

---

(2) Wallis-Budge; E.A; Egyptian Magic; Trench; Trubner; 1899.

أبى الهول • وقد قام برجش بك بتسجيل هذا الحلم ونشره والتعليق عليه فى مقال خاص(٣) •

ثالثا — معتقدات الصينيين حول الاحلام :

رأينا أن المصريين القدماء كانوا يرجعون الاحلام الى مصدر خارجي عن الشخص هو الآلهة ، أما عند الصينيين القدماء فالوضع على عكس ذلك ، حيث كانوا يرجعون الاحلام الى مصدر داخلى هو روح صاحب الرؤية • وكان الصينيون القدماء يميزون بين الروح المادية التى تضطلع بمهمة تنظيم الوظائف الجسمية وتنتهى بوفاة صاحبها ، والروح « الروحية » — أو قل المعنوية — وهى التى تعرف باسم hun • وهى تفارق الجسد بعد وقوع الوفاة ، وتظل تحمل المظهر الخارجى لجسد صاحبها ، بحيث تستطيع التشكل على هيئته وقتما تشاء • وهذه الروح الثانية أو hun هى التى تدخل فى الاحلام ، فهى تستطيع مفارقة جسم صاحبها بشكل وقتى حيث تمضى الى لقاء بعض أرواح الاشخاص الموتى وتتصل بهم وتعود الى جسم صاحبها مرة أخرى حاملة معها بعض الانطباعات من تلك الزيارات واللقاءات • فى تلك الاثناء التى تفارق فيها الروح الجسد وتقوم بجولاتها تلك ، يكون الرائى فى حالة قابلية شديدة للتأثر بأى شىء أو التعرض لاى خطر بسهولة • من هذا مثلا أن عدم استطاعة الروح العودة فى الوقت المناسب الى جسد صاحبها يمكن أن تكون له أخطر النتائج • لذلك يجب الاعتناء الى أقصى حد ممكن عند ايقاظ شخص نائم ، فلا يكون الايقاظ مفاجئا أو عنيفا • ومازال مثل هذا الاعتقاد شائعا لدى عدد كبير من الجماعات البدائية والمتخلفة •

كذلك اعتقد الصينيون القدماء بأن الاحلام يمكن أن ترجع الى بعض

---

(٣) انظر المرجع التالى :
Brugsch-Bey; H: «The dream of King Thutmes IV»; in : R. Woods (ed.); The World of Dreams; Random House.

المصادر الاخرى ، كالمؤثرات المادية على سبيل المثال • من هذا أن الشخص الذى ينام على حزام يمكن أن يعرض له ثعبان فى المنام ••• وهكذا • يضاف الى هذا أن عملية تفسير الاحلام عندهم يجب أن تأخذ فى الاعتبار العوامل المتصلة بالتنجيم والظروف الفلكية كوضع الشمس والقمر والنجوم ، والفصل من فصول السنة الذى تم فيه الحلم ، وما الى ذلك من عوامل • والمعتقد أن كتاب « منج شو » Meng Shu هو أقدم كتب الاحلام الصينية التى وصلتنا ، ويرجع تاريخ تأليفه الى عام ٦٤٠ ميلادية تقريبا(٤) •

رابعا — معتقدات الهنود عن الاحلام :

ترجع كتب الهند المقدسة المعروفة باسم « الفيدا » الى الفترة من ١٥٠٠ الى ١٠٠٠ قبل الميلاد • وقد وردت فى تلك الكتب رؤية لعدد من الاحلام الطيبة والاحلام السيئة ، كأن تعد رؤية ركوب الفيل فى الحلم فألا سعيدا ، بينما تعد رؤية ركوب الحمار نذير شؤم • ويذهب كتاب أتارفا فيدا — على سبيل المثال — الى أن صور العنف والعدوان فى الرؤية تعنى أنها ستؤدى بصاحبها الى النجاح والسعادة اذا كان الرائى نفسه منهمكا فى أداء تلك العمليات العدوانية العنيفة بحماس واستغراق ، حتى ولو أصابه مكروه فى أثناء المعارك الدائرة فى الحلم • أما اذا رأى شخص فى المنام أنه قد تعرض لاذى جسمانى ، كسقوط الشعر أو سقوط أحد أسنانه ، أو استسلامه لعدوان أحد عليه كاصابته له أو بتره لاحد أعضائه فان ذلك يعد نذير شؤم بالتأكيد • وتوضح تلك الكتب أن بوسع الشخص التخلص من آثار الاحلام السيئة عن طريق أداء بعض طقوس التطهر أو الاستحمام وفقا لبعض الطقوس المحددة(٥) •

---

(٤) انظر حول هذا الموضوع مؤلف « وودز » عن عالم الاحلام ،
Woods; R. (ed.); The World of Dreams; Random House; 1947.

(٥) انظر مزيدا من التفاصيل عند :
De Becker; R; The Understanding of Dreams and their Influence on the History of Man; Hawthorn; 1968.

كما يتضمن كتاب أتارفا فيدا بعض التأملات المثيرة حول العلاقة بين الاحلام التى يراها الشـخص فى أجزاء الليل المختلفـة والوقت المتوقع لتحقق مدلولاتها فى الواقع • وتشير هذه الافكار الى أن الاحـلام التى يراها الشخص فى الجزء الاول من الليل لن تتحقق قبل عام على الاقل ، وأن الاحلام التى يراها فى القسم الثانى من الليل لن تتحقق قبـل ثمانية شهور • أما الاحلام التى تأتى للشخص فى الجزء الاخـير من الليل فانها شبه متحققة بالتأكيد ، فهى بذلك أصدق أنواع الاحـلام جميعا • وعلى هذا الاساس نفسه ترى تلك الكتب أنه لو حدث وتعاقبت على الشخص فى نفس الليلة عدة أحلام متتابعة، فان الاخير منها فقط هو الحلم الاصدق، وهو وحده الجدير بالتفسير من بينها •

وهناك بعد ذلك نقطة أخرى تربط بين مضمون الحلم ومزاج الرائى نفسه ، أى أن التفسير فى هذه الحالة يتم فى ضوء معرفة طبيعة الرائى، ما اذا كان من النوع الصفراوى (المتشائم) ، أو البلغمى (البارد) ، أو الدموى (المتفائل) •• الخ •

خامسا ــ معتقدات الاغريق عن الاحلام :

ترى المعتقدات الاغريقية المعروفة حول الاحلام أن الحلم يحـدث للانسان النائم بسبب زيارة أحد شـخصيات الحلم له فى صـورة اله أو شبح وهو نائم • ولما كانت غرف النوم الاغريقية القديمة خالية من أى فتحات سوى فتحة الباب ، فقد كان يعتقد آنذاك أن تلك الشخصيات التى تزور النائم تدخل الى غرفة نومه من خلال ثقب مفتاح الباب ، وتسـلم الرسالة التى جاءت من أجلها وهى واقفة عند رأس السرير ، وبعدها تغادر غرفة النوم من نفس ثقب المفتاح الذى دخلت منه(٦١) •

---

(٦١) انظر حول هذا الموضوع :

Dodds; E.R; The Greeks and the Irrational; Beacon Press; 1957.

نقلا عن

S.G.M. Lee and A.R. Mayes; (eds.) Dreams and Dreaming; 1973; p. 19.

ثم حدث خلال القرن الخامس قبل الميلاد أن عرف الاغريق أفكارا جديد عن الاحلام نتيجة اتصالهم بشعوب وحضارات أجنبية ، ربما من الهند ، مؤداها أن الروح تستطيع مغادرة الجسد ، والارتحال بعيدا عنه وزيارة الآلهة ، ومشاهدة أشياء فى خلال ذلك ، ثم تعود إلى الجسم • وتلك المشاهدات هى الحلم الذى يراه النائم •

وقد عرف الاغريق عملية توليد الاحلام ، وتطورت عندهم بحيث انتشرت على نطاق واسع ، وأصبحت لها أساليبها ونظمها المحددة • وقد بدأت مراكز توليد الاحلام لاول مرة فى حوالى القرن الخامس قبل الميلاد ، وسرعان ما انتشرت وزاد عددها بحيث وصلت الى أكثر من ثلاثمائة مركز لتوليد الاحلام تمارس هذا العمل فى مختلف أنحاء اليونان والامبراطورية الرومانية فى القرن الثانى الميلادى • وكانت تلك المعابد خاصة بالاله Aesculapius ، اله الشفاء أو الطب عند الاغريق • وقد عاش خلال القرن الحادى عشر قبل الميلاد ، ثم أوله بعد موته •

وكانت تلك المعابد مكتظة بعشرات التماثيل للآلهة ولوحات الشكر التى وضعها الزوار السابقون للمعابد تقديرا منهم وعرفانا لانهم شاهدوا الاحلام التى كانوا يريدون رؤيتها • فقد كان الاله يظهر للرائى فى الحلم ، ويحدد له نوع العلاج الذى يجب أن يتعاطاه ، أو يرسم له التصرف الذى ينبغى عليه أن يسلكه فى موقف أو ازاء مشكلة معينة •

وحدث بعد ذلك تلك المرحلة تطور آخر برز فيه دور وسيط الوحى oracle or interpreter وهو عبارة عن كاهن أو كاهنة كان الاغريق يعتقدون أن الاله يجيب بواسطته عما يوجه اليه من أسئلة حول أمر من أمور الغيب • وانتشر دورهم بصفة خاصة فى مجال تحديد علاج طبى بناء على رؤيا يلهمهم اياها الاله ويحدد لهم فيها هذا العلاج ، الذى ينقلوه بدورهم الى العميل •

وقد قدم لنا أبقراط وأرسطو وأفلاطون أهم الكتابات الاغريقية عن

الاحلام(٧) . وقد أبرز أبقراط بشكل خاص أهمية الظـواهر الفلكيـة فى الاحلام وعلاقتها بحالة جسم الرائى . ولا عجب فى ذلك على الاطلاق لان القدماء كانوا يهتمون أكبر الاهتمام بأحوال الاجرام السماوية ويعتمدون عليها اعتمادا كبيرا فى معرفة الاتجاهات ، وزراعة المحاصـيل ... الخ . وبالتالى فانهم كثيرا ما يتحدثون عن مدلولها وأهمية ظهورها فى الاحلام .

ويرى أبقراط على سبيل المثال أن الجسم يكون فى حالة أدائه الطبيعى لوظائفه اذا كان الرائى يرى الاجرام السماوية لامعة صافية وموجودة فى مطالعها الصحيحة . أما اذا كان النجم خافتا أو فوق موضعه الصحيح ، فان ذلك يدل على وجود اضطرابات وتعب فى منطقة الدماغ ... وهكذا . ورؤية النهر فى حالة فيضان فى الحلم تعنى تدفق الدم فى الجسم ، ورؤية الآبار فى الحلم تعنى وجود اضطرابات وآلام فى المثانة ... الخ . ولكن على الرغم من أن أبقراط كان يهتم بالاحلام اهتماما كبيرا كمؤشر ودليل لتشخيص أحوال الجسم والتعرف على ما يعتريها من أمراض ، الا أنه سلم بوجود بعض الاحلام ذات الطبيعة المقدسة .

أما أرسطو فقد رفض فكرة التفسير الفلكى للاحـلام ، كما رفض فكرة ارجاعها الى أصـل مقـدس ، طالما أنه يلاحظ — فى رأيـه — أن الحيوانات تشاهد أحلاما أيضا . وقد عرض أرسطو آراءه عن الاحلام فى ثلاثة رسائل هى :

* عن الاحلام	On Dreams.
* عن النوم واليقظة	On Sleep and Waking.
* عن النبوءة أثناء النوم	On Prophecy In sleep.

وقبل أرسطو الفكرة القائلة بأن الاحلام يمكن أن تكون شـواهد ،

---

(٧) انظر عرضا لتلك الكتابات عند :

Kelsey; M.T; Dreams : The Dark Speech of the Spirit; Doubleday; 1968.

ومؤثرات حساسة عن حالة الجسم وظروفه المختلفــة • اذ أنه لما كانت المثيرات الخارجية تقل الى أدنى حد بها • أو تختفى تماما أثناء النوم ، فان الانتباه الاكبر يتركز على المشاعر والاحاسيس الداخلية • ومن ثم يزداد الوعى والشعور بأى اضطرابات جسمية عنه فى حالة اليقظة •

ومن الآراء الهامة التى أبداها أرسطو فى موضوع الاحلام أن الصور التى يراها الرائى فى الحلم يمكن أن تكون بمثابة نقطـــة انطلاق للأفكار التى يشعر بها الرائى فى حالة اليقظة عقب هذا الحلم ، وأنهـــا يمكن أن تؤثر على سلوكه فى اليقظة بحيث ينسج تصرفاته على منوال ما شاهده فى الحلم • وهو يرى أن مثل تلك الاحلام يعتبرها البعض نبوءات ، أى أن الرائى شاهد فيها ما حدث له بالفعل ، ولكنها فى الحقيقة ليست ســـوى سبب محرك أو باعث لما حدث فى حالة اليقظة بالفعل •

أما أفلاطون فقد كان أكثر اهتماما بالدلالات العاطفية للأحلام ، وقد قدم بعض التفسيرات الدينامية لعملية الحلم • وهكذا يقول فى الكتـــاب التاسع من مؤلفه الجمهورية حول هذا الموضوع : « •• فى داخلنا جميعا ، حتى فى داخل الناس الطيبين ، تكمن طبقة عنيفة متوحشـــة مطلقـــة من الخضوع لاى قانون تحاول أن تفصح عن نفســـها فى الحلم » • ويلاحظ أفلاطون أن قوة العقل والمنطق تتعطل أثناء النـــوم ، الامر الذى يطلق مشاعر الرغبة والغضب ويجعلها تكشف عن نفسها بأقصى قوة فى ذلـــك الحين(٨) •

سادسا — معتقدات الرومان القدماء عن الاحلام :

من المعروف أن الرومان قد استعاروا كثيرا من معتقداتهم ونظرياتهم

---

(٨) انظر مزيدا من التفاصيل فى :
Mc Curdy; H.G; «The history of dream Theory»; in : Psychological Review; Vol. 53; pp. 225-33.

عن الاحلام من الاغريق ، كما استعاروا منهم أيضا كثيرا من الممارسات المرتبطة بالاحلام ، مثل معابد توليد الاحلام التى أشرنا اليها عند كلامنا عن الاغريق • وقد سجل بلوتارك و Suetonius و Tranquillus أحلام كثير من مشاهير الرومانيين فى القرن الثانى الميلادى • وفى الكتاب الذى ألفه Suetonius بعنوان « تاريخ حياة القياصرة » كتب أن القيصر أوغسطس مشى بين الناس يلتمس الاحسان والصدقة ، لانه أمر بذلك فى أحد الاحلام التى رآها • وكان القيصر أوغسطس يهتم بالاحلام هذا الاهتمام الكبير ويعتقد فى صدقها لان حياته قد أنقذت مرة بفضل تحذير رآه صديق له فى المنام •

وقد قدم لوقريطس Lucretius تفسيرا روائيا للحلم ، حيث قال ان الاحلام ليست فى الحقيقة سوى بعض المشاهد الساكنة المنفصلة عن بعضها ، ولكن وهم الحركة يأتى من تتابعها وراء بعضها بسرعة كبيرة توهم الرائى بأنه شاهد حدثا مركبا له مضمون درامى(٩) •

سابعا ــ المعتقدات اليهودية والمسيحية القديمة عن الاحلام :

وردت الاشارة الى الاحلام والرؤى فى مواضع عديدة من الكتاب المقدس ، تقدر بحوالى سبعين موضعا على الاقل • ولو أنه من الصعب فى أغلب الاحيان أن نحدد بالضبط مناسبة الاشارة الى الاحلام بمدلولها الحديث المتداول من بين المناسبات أو المدلولات الاخرى للكلمة • اذ يستخدم العهد القديم ــ فى اللغة اليونانية القديمة ــ نحو اثنتى عشرة كلمة وتعبيرا لوصف بعض الخبرات التى يمر بها المرء عن غير الطرق التقليدية للخبرة الحسية المعروفة • وهو أمر كما هو واضح يعقد المسألة ويجعل الاستدلال كما قلت ــ على مناسبة استخدام الكلمة أو المعنى كما نقصده بالضبط ــ أمرا على شىء من التعقيد •

---

(٩) انظر مزيدا من التفاصيل عند :

Lee and Mayes, op. cit, p. 23.

ومع ذلك فان هناك بعض المواضع التى لا يتطرق الينا شك فى دلالتها على الاحلام بالمفهوم الذى نستخدمه اليوم • اذ نفهم أن دانيال أبدى معرفة عميقة واسعة بالرموز ودلالاتها عندما فسر حلم نبوخدناصر على أنه ينذر باصابته بانهيار عقلى فى المستقبل •. كما أن من الرؤى الاخرى المشهورة فى كافة كتب الاديان السماوية الرؤيا التى فسرها سيدنا يوسف لفرعون مصر (حيث رأى سبع بقرات سمان تأكلهن سبع بقرات عجاف) بأن مصر ستشهد سبع سنوات من الرخاء تعقبها سبع سنوات من المجاعة • ولكن الشىء اللافت للنظر على أى حال أن الكتاب المقدس لم يسجل أحلاما للمسيح كان لها دور فى حياته أو نشر دعوته • وذلك على خلاف كثير من الانبياء والرسل الاخرين الذين أوثرت عنهم بعض الرؤى ذات الاهمية التاريخية أو الدينية ، سواء فى ذلك فى نطاق الاديان الوضعية أو الاديان السماوية(١٠) •

ويعد التلمود من المصادر الاخرى الغنية بمادة هامة عن الاحلام فى التراث اليهودى • وقد كتب التلمود فى الفترة من عام ٦٠٠ حتى حوالى عام ٢٠٠ قبل الميلاد • وهو عبارة عن كتابات بعض أخبار اليهود التى تربط العهد القديم (التوراة) باليهودية المعاصرة فى وقت تأليفه • وهناك تلمودان فى الحقيقة ، الاول التلمود الفلسطينى ، والثانى — وهو الاشهر والاكبر — هو التلمود البابلى • ويضم التلمود البابلى أربعة فصول عن الاحلام (هى الفصول من الخامس والخمسين حتى الثامن والخمسين) • ولعل أشهر عبارة وردت فى تلك الفصول عن الاحلام ، ولها دلالة ثقافية عامة ، تلك العبارة التى كتبها الحبر هيسدا Hisda والتى تقول « أن الحلم غير المفسر كالخطاب الذى لم يقرأ بعد » • كما أن الاقوال الواردة عن ذلك الحبر نفسه قوله ان الاحلام السيئة المزعجة تفضل الاحلام

---

(١٠) انظر مزيدا من التفاصيل حول هذه النقطة عند :
Kelsey; M.T; Dreams : The Dark Speech of the Spirit; Doubleday; 1968.

الطيبة الجميلة • ذلك أن الآلام والازعاج الذى تسببه تلك الاحلام السيئة يكون كافيا لدفع الرائى الى تجنب تحققها فى الواقع، ومن ثم فان أثرها يكون أقوى من الاحلام الجميلة فى حياة الفرد • وهناك فيما عدا هذا آراء أحبار أخرى تتخذ نفس الموقف غير المتعاطف وغير المحبذ للاحلام السعيدة ، بحيث أننا نكاد نصطدم بموقف مازوخى (المازوخية نزعة تعذيب النفس) يفضل التعذيب فى الاحلام على السعادة والبهجة • ولعل هذا الموقف الغريب المتميز يقدم لنا مفتاحا هاما لفهم الشخصية اليهودية، والتى تسعى الى تعذيب الذات كعامل أساسى فى تأكيد الوجود والحفاظ على الكيان •

كما وردت علاوة على هذا اشارة الى وعى أحد الاطباء الواضح (وهو الحبر بيزنا Bizna) بتعدد المستويات الممكنة لمعانى الاحلام • فقد أوضح فى أحد المواضع أنه استشار فى أحد المرات أربعة وعشرين مفسرا من مفسرى الاحلام من المفسرين المقيمين فى القدس لتفسير احدى الرؤى • وقد قدم كل واحد منهم تفسيرا مختلفا عن الاخرين ، وان جاءت جميعها صحيحة وأثبتت صدقها فيما بعد[11] •

---

(11) Cf. Cohen; A; «The Babylonian Talmud»; in : R. Woods (ed.); The Wold of Dreams; op. cit; 1947.

الفصل الثانى

الاحلام والثقافة

أولا : تأثير الثقافة على الاحلام

الملاحظ أن الاحلام شأنها شأن أنواع السلوك الانسانى الاخرى تتصف بقدر من التأثر بالنمط الثقافى السائد فى المجتمع والتشكل وفقا له • على أن الجدير بالنظر أن الضبط الذاتى الواعى وكذلك القيود والضوابط الخارجية — وهما أبرز عوامل الامتثال للمعايير الثقافية — يكاد ينعدم وجودهما فى الاحلام • ولذلك فان التنميط الثقافى للاحلام (أو قل تأثر الاحلام بالنمط الثقافى السائد) لابد وأنه يصدر عن أعماق الفرد نفسه ، وليس صادرا عن التقليد الواعى لنموذج ثقافى موجود ، أو عن التأثر بالقيود التى تفرضها النظم الثقافية • وهنا تكمن دلالة الاهمية الكبرى لدراسة الاحلام من وجهة النظر الانثروبولوجية الثقافية ، اذ أن تأثر الاحلام بالنمط الثقافى السائد يساهم فى القاء الضوء على تلك المعايير الثقافية التى تتميز بأقصى قدر من التغلغل فى أعماق أبناء تلك الثقافة(١) •

ولعل أبسط وأوضح سبل تأثير الثقافة على الاحلام هو التأثير على المضمون الظاهرى للحلم • اذ لاشك أن الشخص الذى لم ير طائرة فى حياته من المستحيل أن يرى طائرة فى الحلم • ومع ذلك فان أندريد يؤكد أن هناك من الشواهد ما يوضح أن الاحلام ليست انعكاسا أو تصويرا دقيقا لكل جزئية من جزئيات ذلك الجانب من جوانب الثقافة الذى يخبره

---

(١) اعتمدنا على المقال التالى :

D' Andrade: The Effect of Culture on Dreams; in; Dreams and Dreaming; .

انظر قائمة المراجع الافرنجية فى نهاية الكتاب •

الفرد ويتعامل فيه فى حياة اليقظة . انما المؤكد أن الحلم يمثل صورة منتقاه لبعض جوانب العالم الثقافى للرائى .

ونحن يمكن أن نصنف الاحلام — من هذه الناحية — الى نوعين رئيسيين : النوع الاول يكاد يكون خاليا تماما من أى عناصر ثقافية أيا كانت . وتكون هذه الاحلام فى الغالب عبارة عن أحلام رمزية تضم عمليات الطيران ، وايذاء الجسم أو تحطيم عضو من أعضائه ، والمناظر الطبيعية ، والحيوانات ، وما الى ذلك . ولعل افتقار مثل هذه الاحلام الى العناصر الثقافية يرجع الى صعوبة ترجمة الصور المشاهدة فى الاحـلام الى كلمات ، ومن ثم ترجمتها الى لغة مؤلفى كتب الاثنوجرافيا . ويؤكد أندريد أن حوالى خمس عدد الاحلام التى درسها من ثقافات غير غربية تفتقر الى أى مواد ثقافية متميزة فى مضمونها الظاهر ، ولو أن هذا الحكم يتفاوت — بشكل نسبى — من ثقافة لاخرى .

ثم هناك — ثانيا — بعض مجالات الحياة الثقافية التى يتكرر ظهورها أكثر مما عداها فى المضمون الظاهرى للاحلام . ومن الطبيعى فى هذه الاحوال أن نجد بعض المجالات الثقافية التى تتردد فى الاحلام بمعدل أقل من دورها الحقيقى فى حياة اليقظة .

وقد لاحظ كالفن هول على هذه الناحية فى الولايات المتحدة مثلا الحقائق التالية : « فنجد أن الاحلام لا تتضمن سوى قليلا من الافكار ذات الطبيعة السياسية أو الاقتصادية . وتكاد تكون عديمة الصلة تماما بالاحداث الجارية على المسرح السياسى العام . وقد كنت أسجل أحلام الطلاب يوميا أثناء الايام الاخيرة من الحرب مع اليابان . حينما ألقت أمريكا أول قنبلة ذرية فى التاريخ . ومع ذلك فان هذا الحدث التاريخى المؤثر لم يرد له أى ذكر فى أى حلم من الاحلام التى كنت أسجلها . ومن الامور التى تجاهلتها الاحلام تجاهلا يكاد يكون تاما طائفة أخرى كبيرة من الاحداث الهامة كانتخابات الرئاسة الامريكية ، واعلان الحرب ، والصراع

الدبلوماسى بين القوى الكبرى ، ومباريات الالعاب الرياضية الكبرى وغير ذلك من الاحداث التى تشغل الصفحات الاولى من الصحف وتمثل موضوعات الحديث التى تشغل الناس فى أحاديثهم اليومية .

ولعل هذا يدعو البعض الى التساؤل : اذن ما هى الموضوعات التى تدور حولها الاحلام ؟ يمكن القول بأن عالم الاشياء الشخصية الحميمة والعاطفية هو الذى يمثل بيئة الاحلام المختلفة ، وكذلك الامور الخلافية التى تمثل محور صراعات بين الفرد والمحيطين به . تلك هى المادة الخام التى تنسج منها الاحلام عادة »(٢) .

أما اذا نظرنا من الناحية العاطفية فاننا نجد أن مضمون الاحلام ينطوى على أحاسيس سلبية أكثر من تلك التى يعرفها الفرد فى حياة اليقظة . وقد توصل هول فى دراسة حلل فيها مضمون عينة كبيرة من الاحلام فى البلاد الغربية ، توصل الى أن ٤٠٪ من العواطف الواردة فى الاحلام يمكن وصفها بأنها أحاسيس خشية وتخوف ، و ١٨٪ منها غضب ، و ٦٪ حزن . وهناك ١٨٪ أخرى من العواطف الواردة فى الاحلام يمكن وصفها بأنها أحاسيس قلق ودهشة محايدة ، على حين أن أحاسيس السعادة لا تتجاوز ١٨٪ فقط من تلك العواطف . والملاحظ على تلك العينة أن حوالى نصف عدد الافراد الذين كان يراهم الشخص فى الحلم كانوا أغرابا عنه ، على حين أن ٢٠٪ من الاشخاص الذين كان يراهم الرائى كانوا من أفراد أسرته . ومن بين هؤلاء كانت الام تمثل ٣٤٪ من الشخصيات ، والاب ٣٧٪ ، والاخوة ١٤٪ ، والاخوات ١٢٪(٣) .

---

(2) Hall; Calvin S; The Meaning of Dreams; Harper and Row; New York; 1953; pp. 11-12; Quoted by D' Andrade; The Effect of Cultura on Dreams; op. cit; pp. 198-199.

(3) Hall; Calvin S: «What people dream about»; in : Scientific American; Vol. 184; pp. 60-63; quoted by D' Andrade; op. cit; p. 199.

كما أن المضمون الظاهرى للاحلام يمكن كذلك أن يعكس نوع الرائى (ذكرا أو أنثى) • فقد وجد هول فى دراساته أن الرجال فى الثقافة الغربية يحلمون بالذكور ضعف معدل أحلامهم بالاناث ، على حين وجد أن النساء يحلمن بالرجال بنفس معدل رؤيتهن للنساء • وقد اكتشف « لى » Lee فى دراسته للاحلام عند الزولو(٥) أن هناك فروقا بارزة بين المضـامين الظاهرية لاحلام الرجال وأحلام النساء • فالنساء يحلمن أكثر بالاطفال الصغار ، بينما يحلم الرجال أكثر بالحرب وبالماشية • وتعكس هذه الفروق تقسيم العمل التقليدى الموجود فى ذلك المجتمع ، على الرغم من أن الفصل التقليدى بين أنشطة الرجال والنساء كان قد بدأ ينهار فى وقت اجراء « لى » لتلك الدراسة • ويفسر « لى » هذه النتيجة بفرض مؤداه أن مضمون الاحلام ينغرس فى نفس الشخص خلال سنى الحياة الاولى • ولعل هذا الفرض يفسر الملاحظة التى أوردها هول وسجلناها من قبل ومؤداها عدم انشغال الاحلام بالاحداث السياسية والاقتصادية •

وقد قدم ديفيرو Devereux فرضا مشابها عن وجود علاقة بين مضمون الاحلام وخبرات الطفولة عند أحد أبناء الهنود الحمر سكان منطقة السهول فى العلاج النفسى • وكانت عناصر الثقافة الاصلية التى ظهرت فى أحلام هذا المريض هى تلك العناصر « التى تعكس أكثر مما عداها وأوضح من غيرها أرفع القيم التقليدية فى ثقافة ذلك المريض ، وبالتالى أقل العناصر الثقافية حظا من الرشد والمعقولية كالعناصر الطبية الشعبية والسحرية وما شابه ذلك »(٦) • وقد أخذت تلك العناصر الثقافية تظهر بتكرار أكبر فى أحلام المريض عندما بدأ يحلل ماضيه الخاص •

---

(٤) انظر كالفن هول • المرجع السابق •

(5) Lee; S.G.M. «Social influences in Zulu dreaming»: in : Journal of Social Psychology; Vol. 47; pp. 265-83; quoted by D: Andrade; op. cit.

(6) Devereux; g; Reality and Dream; International Uuiversities Press; 1951; p. 100.

كما اتضح أن الاحلام التى تنطوى على عديد من العناصر الثقافية المحلية، كانت فى الغالب هى أوضح أحلامه دلالة وأكثرها كشفا عن نفسيته •

ويفسر ديفيرو ضآلة حجم عناصر المضمون الظاهرى المأخوذة من الواقع الراهن للمريض بأن مثل هذه الاحلام انما تعكس ميكانيزمات دفاعية تكونت على مدى حياة الفرد ، وزرعت بذورها فى فترة الطفولة المبكرة • يضاف الى هذه الحقيقة اعتبار آخر وهو أن أبناء هنود السهول يتلقون المرحلة الاولى من تربيتهم على يد جيل الاجداد ، الذين يجسدون العناصر الثقافية الاكثر تقليدية•

واكتشف هولمبرج فى دراسته لشعب السيريونو Sirionó أن المضمون الظاهرى للاحلام يرتبط بواحد أو آخر من أبرز ملامح حياة السيريونو • ولما كان السيريونو شعبا يعيش على الصيد والالتقاط فى حوض الامازون الداخلى ، فقد كانوا يعانون فى أغلب أيامهم — ان لم يكن دائما — من الجوع ، كما كانوا ينفقون الجانب الاكبر من وقتهم فى بحث مرير عن الطعام • وهكذا وجد هولمبرج أن أكثر من نصف عينة من حوالى خمسين حلما كانت تدور حول تناول الطعام ، وعمليات الصيد وجمع النباتات القابلة للاكل من الغابة • ومن أكثر الاحلام شيوعا عندهم أن يحلم الشخص أن هناك قريبا له قد خرج للصيد وصادف حظا طيبا فيه ، وعاد الى الرائى بصيد(٧) • ووجد هولمبرج كذلك أن « من الملاحظات المثيرة فى هذا الصدد أن الاحلام الدائرة حول الطعام يغلب أن يراها الشخص فى أوقات شبعه وليس فى وقت احساسه بالجوع »(٨) • ويقودنا هذا الى أن نستنتج أن الطعام قد أصبح يرمز الى عدد من الاشياء فى نظر السيريونو ، علاوة على خصائصه المعروفة فى تسكين ألم الجوع •

---

(7) Holmberg; A.R; «Nomads of the long bow : the Siriono of Eastern Bolivia»; Institut of Social Anthropology Publications; No. 10; 1950; p. 91.

(٨) هولمبرج ، المرجع السابق ، نفس الصفحة .

تلك طائفة من الدراسات التى أوضحت بجلاء كيف أن الاحلام تقدم فى العادة صورة مختارة ومعدلة لثقافة الرائى • وهنالك عدا هذا دراسة منهجية ضافية أجراها شنايدر وشارب عن العلاقة بين الاحلام والثقافة عند شعب اليريورونت Yir-yoront • وكان شارب قد قام بتسجيل الاحلام وتدوينها ، وقام شنايدر بتحليلها • وبدأ شنايدر تحليله بفرض مؤداه أن الاحلام تصور وجهة نظر الرائى الى العالم (أو قل بلغة علماء النفس الاجتماعى « تعريفه للموقف ») وأن الثقافة — كنسق من المعايير — تؤثر على تعريف الموقف ولكنها ليست متطابقة معه كلية •

ولتحليل العلاقة بين الاحلام والثقافة عند شعب اليريورونت قام شنايدر بتحليل المضمون الظاهرى لـ ١٤٩ حلما جمعت من واحد وخمسين مبحوثا من أبناء ذلك الشعب ، منهم ٤٣ رجلا وثمانى نساء(٩) • وقد درس شنايدر أربعة مواقف تصورها تلك الاحلام هى : أحلام فيها جنس ، وعدوان ، وموت ، واتصال مع ثقافة البيض • ولم تكشف الاحلام عن وجود قواعد معينة فى تلك المجالات من مجالات السلوك • وكان هناك تسعة عشر حلما تتضمن مادة صريحة عن علاقات جنسية ، كلها مأخوذة من رجال • وكان الطرف الاخر فى تلك العلاقة الجنسية فى أكثر من نصف تلك الاحلام من فئة القرابة المناسبة أى التى يحق للشخص أن يتزوج منها ، (وهى بنات الخال) ، وكان الطرف الثانى فى حالة واحدة هو زوجة الشخص الفعلية •

ولعل أهم النتائج التى نخرج بها من استعراض الاحلام الدائرة حول العلاقات الجنسية أنه عندما يكون طرف العلاقة الجنسية الاخر من فئات القرابة المحرم الاتصال بها ، ولم يستطع الرائى أن يكيف نفسه مع هذه الحقيقة فى عالم اليقظة ، نجد أن الرجل يرى فى منامه : أولا

---

(9) Schneider; D.M; and Sharp; R.L; «Yir-Yiront dreams»; Unpublished (no date); quoted by D' Andrade; op. cit; pp. 200-201.

انقطاعا أو توقفا قبل أو أثناء عملية الجماع يتصوره راجعا الى خلل عضوى فى الاعضاء الجنسية للمرأة أو الى رفض صريح لغرض الرجـل فى الحلم ولكن دون أن يؤدى هذا الرفض الى انهاء العلاقة • والملاحظ كذلك ثانيا أن حجم هذا التوقف أو الانقطاع يرتبط بقوة الحظر المفروض على العلاقات الجنسية • فوجد شنايدر أن القريبة المقربة لا تبدأ عملية الاتصال معها أصلا فى الحلم ، ومع قريبة أبعد يكتمل الاتصال ولكنه بصعوبة ، ومع قريبة أبعد يقتصر الامر على مجرد رفض كلامى للرجل من جانب المرأة(١٠) •

ومن النتائج الهامة الاخرى تلك المواقف المنطوية على التعبير عن العدوان • حيث اتضح فى أحلام اليبيورونت أن كلا من الخال والاخ الاكبر كثيرا ما يمارسون عدوانا على الرائى • ويختلف هذا الموقف اختلافا تاما عما يحدث فى الواقع الفعلى ، حيث يقدم الفرد هدايا دائما الى خاله ويبدى نحوه الاحترام الكامل ، كما يعامل أخاه الاكبر باحترام وأدب •

كذلك تتميز الاحلام التى تنطوى على حالات موت ببعض الانماط المثيرة • فعلى الرغم من أن الثقافة المحلية لا تعتقد فى البعث بعد الموت ، فاننا نجد فى معظم الاحلام التى يرى فيها الشخص أنه قد مات ، نجده « يبعث » أو يعود الى الحياة من جديد • ولكن العجيب أنه فى الاحلام التى يرى فيها الشخص أحدا آخر قد مات ، فان ذلك الميت لا يعـود الى الحياة مرة أخرى فى الغالبية الغالبة من الحالات •

ويرى أندريد أن مثل هذه النتائج المثيرة تطرح بعض التساؤلات الهامة عن العلاقة بين بعض الظواهر الخيالية الوهمية ــ كالاحلام ــ

---

(١٠) انظر الفصل الخامس من دراسة شنايدر وشارب التى سبقت الاشارة اليها ، ص ص ٢ ــ ٣ ، نقلا عن أندريد ، المرجع السابق ، ص ٢٠٠ .

وبين الخبرات الواقعية للفرد • انه يبدو من المؤكد أن معظم التحليلات والاوهام ــ بما فيها الاحلام ــ تمثل الى حد ما « انعكاسا » لخبرات الفرد و « تعريفه للموقف » • والمألوف بالطبع أن تكون هذه المادة المنعكسة فى الحلم مختارة ومعدلة تبعا لمصالح الشخص الرائى وميوله واهتماماته • فقد لاحظنا من قبل ــ على سبيل المثال ــ أن الامور الشخصية والخاصة تظهر فى أحلام الامريكيين أكثر من الامور السياسية والعامة •

على أن عملية الاختيار والتحوير فى هذه الخيالات تؤدى بالضرورة الى عملية تشويه قد يكون عنيفا وبعيد المدى كما فى الحالات الواضحة التى تنطوى على تحقيق أمنية أو رغبة معينة لدى الرائى • فيرى شنايدر وشارب على سبيل المثال أن الملاحظة التى ظهرت فى أحلام اليريورونت من أن الطرف الثانى فى العملية الجنسية تكون دائما امرأة غير الزوجة الفعلية انما هو تعبير عن تحقيق رغبة أو أمنية لدى الرائى ، كما أنه يعد فى نفس الوقت جزءا من تعريف الفرد للموقف •

كذلك يعد الاسقاط أحد أنواع التشويه الحادة للواقع فى الاحلام، من هذا أن ميل اليريورونت الى تصوير الخال والاخ بصورة عدوانية فى الاحلام انما يلائم بمنتهى الوضوح تعريف الاسقاط • غير أن هناك أنواعا أخرى من الاحلام التى يمكن أن تنطوى على عمليات اسقاط ولكنها أقل وضوحا من المثال السابق لسبب هام وهو أن الخبرات الواقعية للفرد ليست معروفة لنا بنفس الوضوح والتأكيد • من هذا مثلا أن تصوير الرائى للمرأة باعتبارها مصدر الانقطاع أو التوقف فى العلاقة الجنسية فى الحلم انما هو اسقاط بحت ، أو أنه ليس سوى تصوير أمين لما يحدث فى الواقع بالفعل • فاذا صح فرض الاسقاط أمكننا فهم بعض الاشارات التى تبدو غامضة فى الاحلام والتى ترى سقوط البظر فى أحد الاحلام ، والصور الاخرى للمرأة التى أتلفت أعضاءها التناسلية ••• الخ • اذ يعنى هذا فى الواقع الفعلى أن الاعضاء التناسلية للرجل

هى التى أصيبت بالضرر أو تعرضت لبعض الاصابات بالفعل ، أو أنه يخشى أن يصاب بضرر اذا مارس الاتصال مع امرأة ممن تحرم الثقافة المحلية الاتصال بها • فهذه الامور تعريف الرائى للموقف فى الواقع الفعلى ، حتى وان بدا القلق جنسيا فى مصدره •

ثم هناك نوع آخر أكثر احكاما من تشويه الواقع فى الاحلام يتمثل فى اصطناع الرمز • من هذا مثلا أن أحلام البعث عند اليريورونت يمكن أن تكون عبارة عن أحلام رمزية لتكرار أو اعادة الاتصال الجنسى من جديد ، حيث يموت القضيب ، ثم يولد من جديد •

فان صح هذا الفرض ، فان ذلك قد يساعدنا على تفسير السبب فى أن أحلام الموت تفتقر الى التأثير القوى ، والسبب فى أن البعث يحدث فى الاحلام ولكن ليس كموضوع من موضوعات المعتقدات الثقافية • والخلاصة على أى حال أن العلاقة بين الثقافة والخبرات الفردية وأحلام البعث علاقة مركبة ومتعددة الابعاد متنوعة الظلال •

ونوجز الملاحظات السابقة بالقول بأن العلاقة ليست بسيطة بين الثقافة والمضمون الظاهرى للاحلام • ويبدو أن هذا يرجع الى أن الحلم ليس عملية معرفية خالصة، تتجمع فيها الاشياء التى سبق ادراكها وتتبلور وتسترجع فى الذهن مرة أخرى • وانما الحكم كما أثبتنا بوضوح عبارة عن صورة منتقاة ومعدلة — بل وأحيانا مشوهة — لخبرات الفرد الواقعية • ويفسر هذا الاختيار وهذا التشويه عادة بأنه نتيجة الدافعية عند الفرد — كما أنه يرجع الى نمط العملية العقلية الخاصة التى تتم فى أثناء الحلم • ولذلك يمكن القول بأن النماذج المختلفة للاختيار فى مضمون الاحلام والتى أشرنا اليها من قبل (وهى كثرة ورود الطعام فى أحلام شعب السيريونو ، والفروق بين الجنسين فى أحلام الزولو ، وميل هنود السهول الى الحلم بالجوانب غير العقلية من ثقافاتهم الاصلية تحت تأثير عملية التثقف ، والنتيجة التى انتهى اليها هول من أن الامريكيين يحلمون بالمسائل

الشخصية والخاصة أكثر من الامور الاقتصادية والسياسية) ، أقول لذلك يمكن اعتبار تلك النماذج للاختيان انما هى نتيجة احتياجات معينة لدى أبناء تلك المجتمعات • أما عمليات تشويه الواقع الحادة فى الاحلام فيبدو أنها ترجع الى ظواهر الصراع • فاسقاط العداوة على الخال عند شعب التريبوروننت ربما يمثل هذا اللون من الصراع • ولعل الصراع فى هذه الحالة قائم بين المشاعر العدوانية والخوف من احتمالات الثأر •

أما الاحلام المعبرة عن النمط الثقافى السائد فهى بحق الاحلام التى توضح بشكل أكثر مباشرة تأثير الثقافة على الاحلام(١١) • فهذا النوع من الاحلام تحدد الثقافة ملامحه ، وتكافىء صاحبه عليه • وهو يضم فى الغالب بعض الكائنات فوق الطبيعية أو الظواهر فوق الطبيعية ؛ ويعتبر لذلك « رؤى » وليس أحلاما • فنجد على سبيل المثال أن شعب الكرو Crow (من الهنود الحمر) يهتم أكبر الاهتمام بالاحلام المرتبطة بالنمط الثقافى والمعبرة عنه • بل ان النجاح والتقدم فى الحياة يتوقف على هذه الرؤى • وقد لاحظ لوى أنه لم يستطع أن يظفر أبدا برواية مفصلة لحلم عادى ، لان اخبارييه كانوا يروون رؤى وليس أحلاما(١٢) •

والملاحظ دائما أن الاحلام المعبرة عن النمط الثقافى والتى تنتمى الى هذا النوع الذى نتحدث عنه تنطوى على مرحلة تحضيرية يتهيأ فيها الفرد للحلم بالصوم ، والعزلة ، وربما بتر جزء من أجزاء الجسم • ثم تعقبه

---

(١١) يعتمد أندريد فى هذا الحكم على دراسة لنكولن عن الاحلام فى الثقافات البدائية :

Lincoln; J.S; The Dream in Primitive Cultures; Cresset Press; 1935; p. 189.

انظر اندريد ، المرجع السابق ، ص ص ٢٠٣ — ٢٠٤ •

(12) Lowie; R.H; «The Religion of the Crow Indians»; in : Anthropological Papers of American Museum of Natural History; Vol. 25; pp. 309-444; Quoted by D' Andrade; op. cit; p. 203.

في العادة حالة من الهلوسة تقوم فيها احدى القوى الروحانية — في شكل انسان طبعا — بتبني الرائي ورعايته في تلك الفترة ، وامداده ببعض التوجيهات والنصائح فيما يتعلق باستخدام القوى فوق الطبيعية •

ولعله يبدو من الامور القريبة الاحتمال أن الافراد قد يعمدون الى تزييف مثل هذه الخبرات من أجل الحصول على الشرف وعلى الثروة ، ومع ذلك فان « لوى » يؤكد أن مثل هذا التزييف لا يحدث في الواقع • اذ أننا نجد في الممارسة الواقعية أن هناك بعض الافراد الذين يخفقون كلية في التوصل الى أى رؤية • كما أن هناك البعض أيضا الذين يعتقدون أنهم قد حصلوا على كشف حقيقي . ولكنهم يتبنون فيما بعد — من خلال اختبار القوى المفروض أنهم قد اكتسبوها — أنهم قد خدعوا في رؤياهم ، وأنهم لم يشاهدوا كشفا حقيقيا(١٣) •

ومع ذلك فسيظل من الامور الغامضة التي تحتاج الى مزيد من المناقشة والى اجتهادات المزيد من الباحثين معرفة درجة تأثر مضمون الحلم في الحالات التي يعتقد فيها الفرد أنه قد رأى رؤية من تلك المثلة للنمط الثقافي الشائع ، وأعنى تأثره بعمليات المراجعة والاضافة والتعديل فيما بعد ، حيث نعلم أن الرائي يكيف خبرته تلك مع نموذج معين أو بعض النماذج الموجودة من قبل في ثقافته • ويرى البعض أن هناك حالات معينة يتضح فيها هذا التعديل والتكييف من جانب الرائي بشكل واضح كل الوضوح • وهناك بالفعل بعض الشواهد التي أوردتها Erika Bourguigon من دراستها للاحلام في هايتي ، والتي تدل على تكييف وتطويع الاحلام في بعض الحالات للنمط الثقافي السائد • وتضرب المثل على ذلك برؤية بعض الكائنات فوق الطبيعية في الحلم • حيث يشير الرائي الى أنه قد رأى هذه الشخصية أو تلك من الكائنات فوق الطبيعية •

---

(13) Cf. Lowie; R.H; Primitive Religion; Liveright; 1924 (reprinted 1948); pp. 8-14. Quoted by D' Andrade; op. cit.

وعندما يضيق الباحث عليه الخناق بالاسئلة تجده يعطى الاوصاف الشائعة فى الثقافة المحلية لتلك الشخصية فوق الطبيعية • ويؤكد أندريد أن النتائج التى انتهت اليها تلك الباحثة ، استنادا الى دراساتها فى هايتى ، قد تنسحب بنفس الدرجة على مجتمعات أخرى توجد فيها الاحلام الممثلة للنمط الثقافى السائد(١٤) •

وقد تناول كل من رادين وكينج بالدراسه تأثير عملية التثقف من الخارج على الاحلام الممثلة للنمط الثقافى • وقد قدم رادين بعض الشواهد على أن قبائل أوتاوا Ottawo والاجيبوا (الهنود الحمر الامريكيين) لم يعودوا يرون الاحلام الممثلة للنمط الثقافى ، وبدأت أحلامهم تقتصر فى مضمونها على المشكلات الشخصية • وأن ذلك ليس سوى نتيجة لعملية التثقف من الخارج أى تأثرهم بثقافة الامريكيين البيض(١٥) •

ولكننا نجد من ناحية أخرى كينج يقدم الدليل على حالة معاكسة ، أى حالة هضم بعض قبائل الهنود الحمر فى أحلامهم الممثلة للنمط الثقافى لبعض عناصر الثقافة الغربية البيضاء • ويشير كينج فى هذا الصدد الى هنود جبل مايدو Maidu (الذين ينتمون الى أب أبيض) الذين يعرفون مجموعة من الاحلام الممثلة للنمط الثقافى مندمجا فيها بعض عناصر الثقافة الغربية(١٦) • ففى هذه المجموعة من الاحلام كان الرائى يستطيع دفع الهجمات السحرية لبعض السحرة المؤذيين باستخدام بعض أنواع القوى السحرية الهندية والبيضاء •

---

(١٤) انظر دراستها التالية :
Bourguigon; Erika E; «Dreams and dream interpretarion in Haiti», 56; pp. 262-8.

(15) Radin P; «Ojibwa and Ottawa puberty dreams»; in : Essays Presented to A.L. Kroeber; University of California Press; 1936.

(16) King; A.R; «The Dream biography of a mountain Maidu»; Char. Personality, Vol. 1?; pp. 227-34.

ويتبين كينج مدى التكيف الكبير لهذا الرجل الهندي مع الثقافة الغربية فى هذا النوع من الاحلام • بل انه يذهب الى أبعد من هذا اذ يرى أنه من الممكن استخدام الاحلام بشكل مفيد فى دراسة التكيف النفسى للفرد فى أثناء عملية التثقف من الخارج •

كذلك يبدو أن المعتقدات والنظريات الثقافية عن الاحلام تؤثر هى الاخرى على مضمون الاحلام وعلى الاستجابات العاطفية للاحلام • ومن الامثلة التى كثيرا ما يشار اليها لتأثير نظريات الاحلام على هذا النحو ذلك الفرق بين شعب التيكوبيا وسكان جزر التروبرياند فى استجاباتهم العاطفية لاحلام الزنا بالمحارم(١٧) • اذ يعتقد أبناء شعب التيكوبيا أن الاحـلام التى يرى فيهـا الفـرد نفســه يزنى بالمحـارم انمـا تتسـبب فيهـا بعض الارواح الشريرة التى تتخـذ هيئة الاقـارب وتغرى الرائى بارتكاب الفاحشة معهم • أما سكان جزر التروبرياند ـ من ناحية أخرى ـ فهم أكثر ايمانا بواقعية الاحلام التى يرونها • ولذلك نجد أن استجاباتهم لاحلام الزنا بالمحارم تنطوى على الخجل الشديد والاحساس بالذنب • ومع أن استجابة أبناء التيكوبيا لا تنطوى على الخجل الشديد والاحساس بالذنب ، الا أنهم لا يتجاهلون مع ذلك تجاهلا تاما النتائج المترتبة على مثل هذه الاحلام • اذ يعتقـد أبنـاء التيكوبيا أن الاتصال الجنسى فى الحلم هو اتصال جنسى مع روح من الارواح ، وهم يعتقدون فى الوقت نفسه أن الاتصال مع الارواح يؤدى الى فقدان الفرد حيويته والى اصابته بالمرض • ولهذا يمكن القول بوجه عام بأن نظرية الاحلام عند التيكوبيا تفرض تحريما على الاتصال الجنسى كهدف للحلم ، بينما تنطوى نظرية الاحلام عند سكان جزر التروبرياند على تحريم بعض الاشياء الجنسية المعينة وحسب ، وهو

---

17) Firth; R; «The meaning of dreams in Tikopia»; in : E.E. Evans-Pritchard et. al. (eds.); Essays Presented to C.G. Seligman; Kegan; Paul; Trench; Trubner; 1934; pp. 63-74.

فرق يتفق مع الفرق الموجود فى السمات الشخصية المميزة لابناء هذين المجتمعين •

وهناك تأثير أكثر دقة لنظريات الاحلام على أحلام الافراد يرجع الفضل فى ابرازه الى ديفيرو • فقد أوضح أنه حيث يضفى المجتمع على الاحلام بعض أنواع الموضوعية نجد أن أحلام الافراد تبدو أقرب الى التعبير عن ظروف الرائى • ونجد فى مثل هذه الثقافات أن أحداث الاحلام تبدو أكثر شبها بأحداث الحياة الواقعية ، وأكثر نفعا للفرد ، الذى يتجه الى استخدام أحلامه تلك لتخطيط أنشطة جديدة ، ويحاول بواسطتها أن يعيد صياغة بعض الخبرات القديمة والاليمة بحيث تندمج فى حياته بشكل مفيد(١٨) •

وقد أشار هالويل الى نموذج آخر من آثار نظرية الاحلام على الاحلام ، حيث وجد أنه حيث تعد الاحلام فى نظر أبناء الثقافة خبرات واقعية للرائى — كما هو الحال عند شعب الاوجيبوا — تعد الذات قادرة على القيام بأنشطة شبيهة بتلك التى ترى فى الاحلام كالتحول الجسمى (تحول هيئة الفرد من انسان الى كائن آخر) ، وانفصال الروح عن الجسد ، والقدرة على الرجوع الى زمن عابر أو الانتقال الى زمن قادم • ويترتب على هذا التصور الذاتى وعلى هذا القدر من تكامل الاحلام مع خبرات عالم اليقظة أن تصبح « البيئة السلوكية » ذات خصائص مختلفة اختلافا جذريا عن « البيئة المادية » الواقعية القائمة(١٩) •

ويمكن تلخيص نتائج البحوث المتعلقة بالاحلام الممثلة للنمط الثقافى

---

(18) Devereux; G; Reality and Dream; International Universities Press; New York; 1951; p. 87.

(19) Hallowell; A.I; «The self and its behavioral environments»; in : Culture and Experience; University of Pennsylvania Press; 1955; pp. 172-?2.

على النحـــو التالى : على حين أنه من الممكن لبعض الأفراد أن يروا الاحلام التى يودون رؤيتها ، الا أن هذا ليس بالامر الهين دائما ، بل هو مستحيل بالنسبة لبعض الافراد أحيانا . وسوف نتناول بالمناقشـــة فيما يلى بعض النتائج والدلالات المترتبة على هذا الموقف .

أما فيما يتعلق بطرق تأثير الابنية المعرفية الثقافية على الاحلام فتشير النتائج التى توصل اليها فيرث ، وديفيزو ، وهالويل أن نظرياته الاحلام المحلية تلعب دورا واضحا فى ترويض خيال الفرد ، وجعله أقرب الى حياة اليقظة ، وكذلك أيضا جعل حياة اليقظة أقرب الى خيـــال الاحلام(٢٠) .

---

(٢٠) انظر أندريد ، المرجع السابق ، ص ٢٠٥ .

ثانيا ــ الاستخدامات الثقافية للاحلام :

يتضمن التراث الأثنوجرافى المدون عن الاحلام الكثير من المعتقدات والممارسات • وتتعلق هذه المعتقدات والممارسات بجوانب مختلفة من الثقافة • وتحاول مجموعة من العناصر الثقافية أن تربط الاحلام بالنسق الدينى ، فالاحلام تستخدم على سبيل المثال كوسيلة للاتصال بالكائنات غير الطبيعية أو الحصول على القوة منها • فهناك مثلا اعتقاد شائع بأن الروح تتجول أثناء الحلم ، ويمكن أن تتقابل مع أرواح أخرى ، وهى مسئولة فى هذه الحالة عن الافعال التى تأتيها • وهناك بعض عناصر الثقافة التى تتعلق باستخدامات الاحلام فى النسق الاجتماعى • وذلك عندما ترتبط الاحلام بمكانات وأدوار معينة ، سواء كانت هذه المكانات والادوار رسمية أو كانت غير رسمية • وعلى سبيل المثال هناك مكانة مفسرى الاحلام ، كما أن أحلام الكاهن أو الشامان عادة ما يكون لها مكانة خاصة ، وهناك أيضا الادوار التى يجب أن يقوم بها الرائى اذا رأى حلما معينا • وهناك شيوع عالمى لظواهر ثقافية تتعلق بامكانية التنبؤ بالمستقبل من خلال الاحلام • وهناك فى النهاية مجموعة رئيسية من العناصر الثقافية تتضمن المعالجات العاطفية كرد فعل لخبرة الاحلام من خلال اجراءات طقوسية • ويفترض أن هذه الاجراءات الطقوسية سوف تبعد الآثار السيئة للحلم السىء ، وتساعد على تحقيق الاشياء الطيبة التى رآها الشخص فى الحلم • ومن هذه الاجراءات الا يخبر الفرد الاخرين بما رآه فى الحلم ، أو أن ينفذ ما أمر به فى الحلم ، أو أن يقدم ذبيحة •

وهذه العناصر ليست عناصر ثقافية خالصة ، فهى ذات علاقة وظيفية مع ظواهر أخرى مثل الظواهر الثقافية والاجتماعية ، وهى ترتبط بعلاقة وظيفية بالفرد أيضــا • وقد احتوى التراث الانثروبولوجى على مناقشة لنوعين من هذه العلاقات وهى « أحلام البدائيين كنــوع من العلاج النفسى » ، و « عملية القبول غير الواعى للدور الذى يضطلع به الفرد فى الحياة الاجتماعية » •

ويصبح قبول الدور دون وعى بمقتضى الحلم عنصرا فى النسق الإجتماعى عندما تستخدم الانماط الثقافية للاحلام فى تحديد الدور الذى سيضطلع به الفرد . فيمكن أن يفترض أن الرائى سيقوم بدور ما اذا رأى حلما معينا . وعلى سبيل المثال فان الشخص الذى يحلم بالقمر أو بجاموسة خنثى فى ثقافة السيو Sioux لابد وأن يصبح berdache ، أو أن الشخص لابد أن يرى حلما معينا حتى يؤهل للاضطلاع بدور ما ، مثلما هو الحال عند البوكابوكا Pukapuka ، فلكى يؤهل الشخص لان يصبح كاهنا عند هذه الجماعات لابد وأن يحلم بأنه اتصل بقوى غير طبيعية أثناء فترة التكريس .

وطالما أن الاحلام لا تخضع لضبط مباشر واع من الفرد ، فان استخدام الاحلام المعبرة عن النمط الثقافى السائد لهدف تحديد الدور الذى سيقوم به الفرد يؤدى الى تدخل عوامل « الاختيار غير الواعى » فى الحلم . فالشخص حديث السن الذى يجب أن يرى رؤية معينة وأن يستقبل الروح المساعدة قبل أن يضطلع بكل المسئوليات ، وقبل أن يحصل على كل امتيازات دور البالغ يمكن أن تكون له رغبة واعية فى أن يضطلع بدور البالغ ، ولكن اذا كان على مستوى أقل وعيا يشعر بأن استعداده لأن يصبح رجلا لم يكتمل بعد فانه من المستحيل أن يرى الحلم الذى يجب أن يراه لكى يصبح بالغا وذلك بسبب الاضرار اللاشعورى بالذات unconscious sabotage وبسبب أن مضمون النمط الثقافى للحلم فى مثل هذه الاحوال يكون له طابعا سيكولوجيا ، ويرمز الى حل الصراع فيما يتعلق بالاعتماد على الاخرين . ومن جهة أخرى فان الفرد قد يجبر على اتيان فعل منحرف بسبب الحلم الذى رآه ، وفى هذه الحالة لانجد عامل اللاوعى يتحكم فى الافعال فقط ، ولكننا نجد أن الثقافة تقدم عذرا مقبولا لهذا الانحراف . وقد قرر أريكسون ما يأتى فى مناقشته للسيو Sioux :

« أن ثقافة متجانسة مثل ثقافة السيو تنظر الى الانحراف على أنه دور ثانوى (على سبيل المثال دور المهرج أو الشخص الفظ أو المرأة البغى ،

أو المخادع) ولكن دون أن تسمح بازالة الفزع والاشمئزاز المرتبط بهذه الادوار لكى تظل أغلبية المجتمع تشعر نفسيا بالمعانى المرتبطة بهذا الانحراف • ومع ذلك فان الفزع والاشمئزاز يوجه ضد القوى الروحية التى أقحمت نفسها فى الاحلام الانحرافية للفرد ، ولكنه لا يوجه الى الفرد نفسه • وفى ضوء ذلك تقبل الثقافة البدائية القوى المرتبطة باللاوعى ، ويرى المتخصصون فى علم النفس المرضى أنه يجب أن نعجب بالمرونة التى تعالج بها هذه الانساق البدائية مسائل فشلت فى علاجها أنساقا أكثر تقدما »(٢١) • .

ويمكننا أن نجد مثالا آخر لاستخدام الاحلام فى علاج المشكلات النفسية فى الطب النفسى عند البدائيين • فقد ناقش كل من ديفيرو Devereux سنة ١٩٥١ ، وكلتون ستيوارت Kilton Stewart سنة ١٩٥١ ، وتوفيلمير Toffelmier وليومالا Luomala سنة ١٩٣٦ ، ووالاس Wallace سنة ١٩٥٨ هذه المسألة • وبصفة عامة فانه يبدو أن هذا العلاج يتكون من وجود ادراك ثقافى بأن الحلم يتضمن كشفا عن رغبات وصراعات مكبوتة ، ووجود طرق تصفها الثقافة لاشباع الرغبات والتخلص من الصراعات وتقدم الثقافات بصفة عامة طرق اشباع الرغبات متى تم الكشف عنها • وقد قدم أنتونى والاس مثالا رائعا لهذه الطريقة فى دراسته التى قدمها عن نظرية الاحلام عند شعب الايروكوا ، فقد ذكر ما يأتى :

« لقد حقق الايروكوا فى الواقع قدرا كبيرا من المعرفة النفسية • فقد تعرفوا على الأجزاء الواعية وغير الواعية فى العقل • وعرفوا بمقدار الرغبات التى لا يعى بها الفرد وقوتها • وعرفوا أن الفشل فى تحقيق هذه الرغبات يؤدى الى المرض العقلى والعضوى « السيكوسوماتيك » •

---

(21) Erikson E.H; Childhood and Society; Norton 1950; p. 137.

وتوصلوا الى أن هذه الرغبات تظهر فى صور رمزية فى الاحلام • ولكن الفرد لا يمكنه تفسير هذه الاحلام بمفرده تفسيرا صحيحا • كذلك توصلوا الى التفرقة بين الجوانب المعلنة فى الحلم وبين المضمون الخفى • وقد استخدموا ما يمكن أن نطلق عليه الاساليب الحرة للكشف عن المعانى الكامنة ، وقد اعتبروا أن أفضل طريقة للتخلص من الامراض السيكولوجية والجسمية النفسية هى اشباع الرغبات التى لم يتم اشباعها سواء تم ذلك بطريقة مباشرة (فعلية) أو بطريقة رمزية »(٢٢) •

ويعالج الناس فى ثقافة السينوى Senoi الدوافع والرغبات التى تكشف عنها الاحلام بطريقة اجتماعية رائعة ، فاذا رأى شخص ما فى حلم أن شخصا آخر يهاجمه ، فانه سيحاول أن يحل الخلافات بينه وبين هذا الشخص عن طريق المناقشة معه أو عن طريق الوساطة(٢٣) • والنافاهو لا يستخدمون الاحلام للكشف عن الرغبات بل لتحديد الطقوس اللازمة لعلاج مرض من الامراض • فقد ذكر لينيكولن Lincoln أن طقوس الشفاء عند النافاهو التى توصف بناء على ما يتضمنه الحلم تحتوى على رموز تشبه الرموز التى تحتوى عليها الاحلام التشخيصية diagnostic dreams ، وأن فاعلية طقس شفائى تأتى بسبب انه يحل بطريقة رمزية صراع اللاوعى الذى يظهر فى الحلم • وعلى سبيل المثال فان :

« الاحلام بالموت ، موت الشخص أو موت الاقارب ، أو الحلم بأن سنة من أسنان الشخص قد سقطت يفترض استعادة الشخص لافراد الاسرة • ويفترض أن أحلام الموت هى الرغبة فى الموت • ويرمز فقدان الاسنان الى معنى القلق بسبب الخوف من الاخصاء لان الرغبة فى الموت

---

(22) Wallace; A; Dreams and wishes of the Soul : A type of Psychoanalytic theory among the seventeenth Century Iroquois; American Anthropologist; Vol. 60; 1958; pp. 237-8).

(23) Stewart K; (Dream theory in Malaya) Complex Vol. 6; 1951; pp. 12-33.

تعتبر رغبة منتشرة بين كثير من الناس (وهنا نجد مرة أخرى العلاقة بين فقدان السنة وموت الاقارب كما هو الحال فى النموذج العالى للاحلام) ، والفرد يدعم الإسرة أى يحميها من رغبات الموت التى يستشعرها بعض أفرادها تجاه الوالدين(٢٤) •

وقد افترض ستيوارت أنه يمكن تحقق العلاج النفسى اذا اعتبرت الأشكال الرمزية التى تظهر فى الحلم أخطارا موضوعية ، وعندما تتخذ الاحتياطات الجماعية فى صورة تعاونية من أجل درء هذه الاخطار الرمزية • وقد قدم لنا ستيوارت تقريرا واضحا عن طرق العلاج النفسى عند أقزام الفلبين •

ويتعاون جماعة من الأطباء الشعبيين Shamans لكى يصل المريض الى حالة الغشية فيستطيع أن يقابل الروح التى سببت له المرض ويتغلب عليها • وبعد ذلك تتحول هذه الروح التى كانت تهاجم المريض الى روح تعمل على مساعدته • ويرى ستيوارت أن هذه الطريقة تعتبر طريقة فعالة فى علاج الامراض العضوية المزمنة مثل تهيجات البشرة ، والصداع ، ونكسة الحمى ، تلك الامراض ذات الاصل النفسى العضوى • وفى هذا الشكل من العلاج اعتبر الصراع راجعا الى تأثير الارواح ، وكانت جهود الجماعة تهدف الى التغلب على الوجود الرمزى لهذه الارواح • وبالتغلب عليها فانها سوف تعمل من أجله • كما تهدف الطقوس العامة الى التغلب على حالة القلق السابقة(٢٥) •

وهناك أسلوب آخر من أساليب العلاج عن طريق الاحلام استخدمه هنود ديجينو Dieguenو فى جنوب كاليفورنيا وهو يشبه العلاج النفسى

---

(24) Lincoln J.S; The Dream of Primitive Cultures; Cresset Press; 1935; p. 180.

(25) Stewart K. Pgymies and Dream Giants; Norton 1954.

الذى يتعبه البعض فى البلاد الغربية باستخدام الاحلام • فقد استخدمت هذه الطريقة لعلاج الافراد الذين ابتلوا بالخيال الجنسي الاستحواذى أو المفرط • وهناك شكلان معروفان لهذا المرض • الاول وهو الاقل خطورة ، ومن أعراضه أن الشخص المريض يحلم أحلاما كثيرة ويكون كسولا ويميل الى الانسحاب من المواقف الاجتماعية • والشكل الثانى للمرض يعتبر حالة متطورة للحالة الاولى ويعتبر مرضا نفسيا حقيقيا • ويصاب الشخص الذى يعانى من هذه الحالة بهلوسة دائمة تدور حول وجود روح تحبه ، وهذه الروح عبارة عن صقر يتخذ شكل انسان من نفس الجنس • ويسمى الاشخاص الذين يصابون بهذه الهلوسة « قرناء هذا الطائر »(٢٦) •

ولعلاج هذه الامراض يسأل الشامان المريض أن يحكي له عن أحلامه وعن حياته الجنسية ، ما يحدث بالفعل ، وما يتخيل أنه يحدث • ويبدأ الشامان أولا بأن يقرر أنه يعرف كل أحلام المريض ، ولهذا فلا جدوى من أن يحاول المريض اخفاء أى جزء من أحلامه • ويحاول الشامان أيضا تنويم الشخص مغناطيسيا لكى يشجعه على الكلام • ولكن لا يحدث ذلك فى الحالات المرضية الحادة التى لا تستجيب لهذا النوع من العلاج • أما بالنسبة لمناقشة المريض عن حياته الجنسية وتخيلاته المتعلقة بهذا الموضوع فان الشامان عادة ما يصف له فصد الدم وبعض أنواع الطعام المغذى •

أما بالنسبة لغير المتزوجين فانه عادة ما يطالبهم بالزواج ، وذلك لكى ينقل الشخص من حالة الاغراق فى الخيال الى موقف الحياة الواقعى • والاسلوب المتبع فى هذا العلاج يعتبر أسلوب غير عادى ، ذلك أن مناقشة المريض فى خيالاته وأحلامه لخلق نوع من الدفاع الطقوسى ضدها هو أسلوب مذهل ، ولهذا فان الشامان يختار فى هذه الثقافة بسبب ما يتميز به من اتزان الشخصية •

---

(26) Toffelmire G. and Lumala K; Dreams and dream interpretation of the Diegueno Indians of Southern California; Psychoanal. Q Vol. 2; 1936; pp. 195-225.

ولكى نلخص المادة التى تمت معالجتها فى هذا الجزء فان التمييز بين المضمون والبناء والوظيفة والعملية يمكن أن يمدنا باطار مفيد فى هذا الصدد[٢٧] . فالاستخدام الثقافى للاحلام يمكن أن يعتبر نوعا من المحتوى الثقافى ، وهو ذو علاقة بالجوانب البنائية والوظيفية والاجرائية للثقافة والمجتمع . ويمكن أن تؤثر الاحلام فى بناء المجتمع عندما تصبح موضوعا للأدوار الرسمية وغير الرسمية مثلما هو الحال فى حالة مفسر الحلم ، أو حينما يصبح الحلم مطلبا أساسيا للاضطلاع ببعض الادوار ، وعندما تتدخل عوامل اللاوعى فى عملية تحديد الادوار ، وعندما تقدم التبريرات لاختيار الادوار الانحرافية . وتقوم الاحلام أيضا بوظيفة هامة بالنسبة للفرد اذ تساعده على تحقيق التوازن النفسى ، وهى أيضا تستخدم كجزء أساسى من العلاج النفسى فى البلاد الغربية وغير الغربية أيضا .

---

(27) Hsu F.K; Structure; function; Content and Process; American Antropologist; Vol. 61; 1959; pp. 790-805.

ثالثا ــ أوجه استخدام الاحلام والعلاقات بينها :

يهتم هذا الجزء بتقديم نتائج الدراسات المقارنة التى أجريت بهدف التعرف على الظروف التى تؤثر على الاستخدام الثقافى للاحلام • فسوف نحاول هنا أن نعرف لماذا تهتم بعض المجتمعات اهتماما مكثفا بالاحلام بينما لا تهتم بذلك غيرها من المجتمعات • ويمكن أن نستنتج من المادة المتوفرة من تاريخ دراسة الحالة فى التراث الاثنوجرافى أن قلق الانسان على مسألة العزلة (أى أن يعيش وحيدا) تؤدى الى انشغاله بالاحلام والخيال • واذا كان ذلك صحيحا فان المجتمعات التى يعانى أفرادها من القلق نتيجة الاحساس بالعزلة والاعتماد على النفس تميل الى أن تعطى أهمية كبرى للاحلام • ولهذا فسوف نحاول هنا أن نحدد الظروف الاجتماعية التى تؤدى الى حالة القلق عند الافراد : وسوف يساعد ذلك أى دارس على أن يتعرف على درجة الاهتمام بالاحلام فى أى ثقافة من خلال هذه الظروف •

لقد قدم لنا الباحثون الميدانيون الذين تخصصوا فى دراسات الثقافة والشخصية بعض الامثلة التى توضح تأثير العزلة الاجتماعية وتأثير الادوار الثقافية التى تتطلب الاستقلال وتتطلب أفعالا يعتمد فيها الانسان على نفسه • وقد أعادت مارجريت ميد رواية قصة الطفل اليتيم الذى كان يعانى من العزلة وعدم الحب بالمقارنة بغيره من الاطفال الذين يعيشون فى جماعته • وذكرت أن هذا الطفل انشغل بالخيال وكان يظن أن هناك روحا حارسة وقد اتخذها أبا له(٢٨) • وهناك حالة مشابهة قدمتها دورثى ايجان Dorothy Eggan فى دراسة المواد الاسطورية فى الاحلام • فقد انطوى أحد الاخباريين ــ الذين زودوها بالمادة ــ على نفسه نتيجة احساسه

---

(28) Mead M; An investigation of the thought of Primitive Children with Special refrence to animism. J. Roy. Anthrop. Inst: Vol; 62; 1932; p. 183.

بالعزلة • وبدأ يسبح فى خيال يدور حول كائن طبيعى كان يساعده ، وقد علقت دورثى على هذه الحالة بقولها :

« لقد أشارت بندكت الى أنه على الرغم من أن منطقة البويبلو Pueblo كانت محاطة بروح حارسة تحمى أفراد المنطقة وتعطيهم القوة الا أن مفهوم الروح الحارسة لم يتم تقنينه فى جماعة البويبلو بسبب ان الجماعة كان يسيطر عليها الاحساس بضرورة الطقوس الجماعية ، ومن ثم كانت الطقوس الجماعية تمثل اهتماما لدى الجماعة ككل ، ومن ثم لم يكن هناك اهتمام بالطقوس التى تتعلق بالخبرات الفردية(٢٩) • ولكن الفرد عند السام Sam يكون احساسه بالعزلة أقل حدة من حـدة الواقع الذى يعيش فيه ــ بسبب مشكلاته الشخصية ــ على الرغم من أنه يؤمن بشدة « بالاتجاه الجماعى » • وبالتالى فقد استخدم مصطلح « الروح الحارسة أو المرشدة الذى يستخدمه الهوبى ، ليدل على الروح التى تأتى اليه بصفة دائمة فى الاحلام ، وتأخذه الى السحرة ، وتقوده الى الصـيد الثمين ، وتعطيه القوة والحكمة والنصيحة ، وتحميه من المواقف الخطرة ، وأيضا تؤكد له أنه يسير فى الطريق الصحيح وأن أعـداءه يسـيرون فى الطريق الخاطىء •

وقد انتهى والاس Wallace أيضـا من دراسـته لنظرية شـعب الايروكوا عن الاحلام الى أن القلق على الاستقلال يرتبط بهذا النوع من ثقافة استخدام الاحلام • فقد ذكر ما يأتى :

« أن الذكر النموذجى عنـد الايروكوا الذى عادة ما يكون شـجاعا وكريما ونشطا ومستقلا فى حياته اليومية قد يتعلق على الرغم من ذلك ببعض الرغبات القوية ــ التى يمكن الا يكون على وعى بها ــ مما يجعله سلبيا ويدفعه الى الاستجداء أو الاهتمام بهذه الرغبات • ونظرا لان هذه

---

(٢٩) بندكت ، المرجع السابق ، ص ٣٦ •

الميول غير مسموح بها ، فانه حينما يحدث تهديد لاحساس الانسان بالاحترام الشخصى لنفسه يمكن ألا يظهر حتى فى الاحلام • وعندما يظهر فى الحلم فان الانسان يعيش هذه الخبرة كخبرة مؤلمة وغير محتملة من شدة العذاب • وقد ينظر الانسان اليها على انها مقابلة للكائنات غير الطبيعية التى تحمى الانسان • ولهذا فان شعب الايروكوا يفسر ذلك على أنه حلم فعال يتم عن طريق فعل سلبى • وتؤدى الترتيبات والطقوس التى تحدث فى الحلم الى ظهور فكرة اعتماد الانسان على غيره الى درجة كبيرة جدا • ولا يستطيع الرائى أن يسأل عن رغباته أو يطلب اشباعها • فهو يجب أن يقنع — مثله مثل الطفل — ببعض العلامات والرموز(٣٠) •

وتوضح هذه التقارير أن قلق الانسان بسبب العزلة يخلق الاحلام والخيال • وخاصة الخيال الخاص بالاتصال بمن يمدونه بالمساعدة بطريقة سحرية • ويفيد هذا الخيال الشخص فى أن يشعر وكأنه لايعيش فى موقف العزلة وانعدام المساعدة الذى يعيشه بالفعل ، ولهذا يسهم الخيال فى التخلص من القلق ولو بطريقة جزئية •

ولقياس درجة تغلغل الاحلام والانشغال بها فى أى ثقافة أختيرت بعض العناصر الثقافية المتعلقة بالاحلام من عينة مأخوذة من ٦٣ مجتمعا • وقد اختيرت هذه المجتمعات من واقع سجلات العلاقات الانسانية Human Relations Area وتم الاختيار على أساس أن أى مجتمع من هذه المجتمعات لابد وأن تكون فيه فقرة — على الاقل — قد دونت عن الاحلام ضمن التراث المدون عن ثقافة هذا المجتمع • وقد اختيرت المجتمعات أيضا من ثقافات متعددة ، ولم يتم أختيار أكثر من مجتمعين فقط من منطقة ثقافية واحدة • واستخدم فى هذا الاختيار العينة الاثنوجرافية العالمية لميردوك Murdock World Ethnographic Sample

---

(30) Wallace; op. cit; p. 247.

أما العناصر المتعلقة بالاحلام فهى :

(ا) تظهر الكائنات فوق الطبيعية فى الاحلام لتمد الافراد بالقوى المختلفة ، وبالمساعدة ، وبالطقوس ، وبالمعلومات

(ب) يتوقع أن يستخدم القادة الدينيون (كالكهنة والشامانات) أحلامهم الخاصة فى أداء الادوار التى يضطلعون بها (مثل العلاج أو الكهانة) .

(جـ) يفترض أن يرى الشخص الاحلام النمطية التى تحدد الثقافة أنها شرط ضرورى قبل الاضطلاع ببعض الادوار فى المجتمع .

(د) هناك أحلام تتم عن طريق اتباع بعض الاساليب المتفق عليها مثل الصوم أو التخدير ، أو نوم الشخص منفردا ... الخ .

(هـ) هناك دور رسمى أو غير رسمى للشخص الذى يقوم بتفسير الاحلام .

(و) هناك بعض الطقوس التى يتعين على الانسان أن يؤديها اذا رأى أحلاما معينة (مثل تقديم أضحية ، أو الابتعاد عن الناس) .

(ز) هناك كائنات فوق طبيعية تظهر فى الاحلام لتؤذى الرائى أو لتنذر بأذيته .

وقد اختيرت هذه العناصر لانها عناصر شائعة شيوعا تاما ، كما أنها ليست عناصر نادرة الوجود ، ولكنها عناصر شائعة فى كثير من الاحلام . ويلاحظ أن هذه العناصر لا ترتبط ببعضها ارتباطا ضروريا . بمعنى أن وجود العنصر فى ثقافة معينة لا يتضمن بالضرورة وجود بقية العناصر . وقد وجد ان العناصر ا ، ب ، جـ ، د هى العناصر التى ترتبط ببعضها ارتباطا شديدا ، أما العناصر الثلاثة الباقية فقد اتضح أنها ترتبط ببعضها أو يرتبط كل منها بالعناصر الاربعة الاولى .

واذا كانت هـذه العناصر السـبعة ترتبط ببعضها ارتباطا داخليا ضروريا ، فقد كان ذلك أدعى لان نقول أن هناك عاملا عاما (مشـتركا) يرتبط بالاستغراق فى الاحلام • ولكن أثبتت الدراسات أن الاستغراق فى الاحلام يرتبط بعقدة تدور حول استخدام الاحـلام لضبط القوى غـير الطبيعية أكثر من ارتباطها بهذا العامل • ويرتبط العنصر ا ، ب ، د بضبط القوى فوق الطبيعية بطريقـة مباشرة ، أما العنصر جـ وهـو يتضمن تلك الاحلام النمطية التى يجب رؤيتها لتؤهل الشخص للقيام بدور ما — فهو يتصل بطلب المساعدة من هذه القوى الخفية ولكن بطريقة غير مباشرة • ويفترض أن مثل هذه الاحلام تتضمن زيارة الساحر المساعد الذى ينصح الشخص القلق أو الشخص الذى سيصبح كاهنا باتباع بعض الاساليب المتعلقة بالكائنات فوق الطبيعية • أما العناصر الاخرى التى تتضمن تفسير الحلم ، وأداء بعض الطقـوس ، والأضرار التى يمكن أن تضر بها هـذه القوى الانسان فهى غير داخلة هنا • وعلى ذلك لم تستخدم لقياس هـذا النوع من الاستغراق فى الاحلام •

وفى ضوء هذه النتائج يكون الغرض الاساسى قد تعدل بحيث تصبح القضية أن قلق الشخص على وحدته وحيـاته المنفردة يؤدى الى ظهـور الاحلام التى تعمل على ضبط القوى فوق الطبيعية • وقد تم قياس مدى استخدام الاحلام لهذا الغرض عن طريق التعرف على العناصر ا ، ب ، جـ ، د وقد تقرر وجودها فى كل مجتمع • وتقرر وجود متوسط هذه العناصر بطريقة متكافئة فى العينة الثقافية المقارنة • أما المجتمعات التى اتضح انها لا تضم أيا من هذه العناصر الاربعة فقد صنفت تحت المتوسط واعتبرت أنها منخفضة فى درجة استخدامها للاحـلام فى البحث عن القـوى فوق الطبيعية وضبطها • أما المجتمعـات التى احتوت على عنصر أو أكثـر من العناصر سابقة الذكر فقـد اعتبرت فى درجة أعلى من حيث اسـتخدامها للاحلام فى هذا الغرض •

وقد نظر الى الحالة الأولى على أنها قلق بخصوص العزلة يتسبب

عن محل الاقامة وقت الزواج • فاذا كان الابن أو الابنة ينتقل من بيت الوالدين بمجرد الزواج ، فان ما يشعر به من خسارة وفقدان لدعم الوالدين له يمكن أن يؤدى الى ظهور القلق بسبب الاحساس بالعزلة ، ولاختبار هذا الغرض تم تقدير المسافات بين بيت الزوجية الجديد وبين بيت الوالدين من واقع الدراسة المقارنة لمحل الاقامة التى قام بها ويتنج Whiting وأندريد D'Andrade عام ١٩٥٩ • ويوضح الجدول رقم ا العلاقة بين المسافات الفعلية (بين محل الاقامة بعد الزواج وبين بيت الوالدين) وبين استخدام الاحلام للالتجاء الى القوى فوق الطبيعية والتحكم فيها • وتوضح بيانات هذا الجدول أنه كلما بعدت مسافة سكنى الابن بعد الزواج عن محل اقامة الوالدين كلما زاد الالتجاء الى القوى فوق الطبيعية ومحاولة ضبطها • وقد كانت درجة الارتباط عالية ، وذات دلالة عند مستوى ٠٠ر١ • ولكن لم يتم اعداد جدول يوضح العلاقة بين محل سكنى الابنة وبيت والديها وبين استخدام القوى فوق الطبيعية فى الاحلام لانه اتضح أنه ليست هناك علاقة بين المقياسين ، فقد اتضح أن القلق الذى تعانى منه الابنة لا يؤثر على مثل هذه الاحلام • وربما يرجع ذلك الى أن الدين هو عمل يعزى للرجل وليس للمرأة ، أو يرجع الى أن المرأة تلتجىء الى زوجها وتحتمى به لتتخلص من حالة القلق التى تعتريها بسبب تركها لبيت والديها الامر الذى لا يحدث بالنسبة للرجال •

وقد استخدمت تصنيفات ميردوك لمحل الاقامة والاسرة لاختبار هذه النتائج • واتضح من هذه النتائج أنه لا توجد مجتمعات أبوية تزداد فيها نسبة الالتجاء الى القوى فوق الطبيعية لضبطها • وأن الاسرة المستقلة تستخدم هذه الاحلام أكثر مما تستخدمها الاسر الممتدة • وقد كان لهاتين الحالتين أهمية فيما يتعلق باتجاه التنبؤ ، كما كانت لهما أهمية احصائية عندما نظر اليهما معا •

أما المصدر الثانى الذى يفترض أنه يؤدى الى القلق فهو يتعلق بالموارد الاقتصادية • وقد ناقش كل من بارى Barry وتشايلد Child

وباكون Bacon علاقة الموارد الاقتصادية بأدوار البالغين الذين يتوقع أن يحققوا نوعا من الاستقلال وأن يعتمد كل منهم على نفسه فى دراسة أجروها عن الاقتصاد وطرق تربية الطفل فى سنة ١٩٥٩ • وقد وجدوا أن طرق تربية الطفل التى تؤكد على الاستقلال والاعتماد على النفس والانجاز توجد فى مجتمعات الصيد البرى والصيد البحرى ؛ بينما ترتبط طرق التربية التى تؤكد على الخضوع والمسئولية والطبيعية بالمجتمعات الزراعية والمجتمعات التى تهتم بتربية الحيوانات الداجنة • وتقع المجتمعات الزراعية التى لا تهتم بالحيوانات الداجنة بين هذين النمطين •

أما عن الترابط بين شكل لاقتصاد وبين مقياس تربية الطفل الذى يجمع بين « الضغط بهدف تحقيق الاذعان أو الخضوع » (ويتكون من درجات تتعلق بالتدريب على الخضوع والمسئولية والطبيعية) ، فى مقابل « الضغط بهدف تحقيق اثبات الذات » (ويتكون من درجات خاصة بالتدريب على الاستقلال ، والاعتماد على النفس والانجاز) فقد وصل معامل الارتباط بينهما الى + ٨٤ر• و + ٩٣ر• وذلك عند اجراء المقارنات المتطرفة والوسيطة(٣١) • وتدل هذه الدرجات على درجة عالية من الارتباط • ويعتقد أن هذا الارتباط العالى يرجع الى الملاءمة الوظيفية بين طرق تربية الطفل وبين نوعية الادوار المطلوبة من البالغين لكى يستطيعوا القيام بانتاج الطعام أو الحصول عليه • ذلك أن المجتمعات التى تسود فيها الزراعة والاهتمام بتربية الحيوانات للداجنة يمكن أن تؤكد على تمكن أفرادها من امداد الاسرة بالطعام فى المستقبل عن طريق الاخلاص والامانة فى تنفيذ الروتين ، ولهذا فهم يدربون الطفل على أن يكون مطيعا خاضعا ومسئولا أيضا ، أما فى مجتمعات الصيد البرى والبحرى فان خبرات الفرد ومهاراته تتكيف مع نوع التربية التى تؤكد على الاستقلال والاعتماد على النفس(٣٢) •

---

(31) Barry H; Child I.L; Bacon M; Relation of Child training to Subsistance economy; American Anthropologist; Vol. 16; 1959; p. 59.

(٣٢) المرجع السابق ؛ ص ٥٢ •

جدول رقم ١٠

العلاقة بين المسافة النموذجية التي تفصل بين بيت الابن المتزوج وبين بيت والديه وبين استخدام الاحلام فى الاتصال بالقوى فوق الطبيعية ومحاولة ضبطها .

الابناء الذين يقيمون فى بيت الوالدين	ابناء يقيمون فى نفس القرية او المنطقة المحلية	ابناء يقيمون فى قرية اخرى او منطقة محلية اخرى
		كرو (ا ، ب ، جـ ، د)
		اروكويز (ا ، ب ، جـ ، د)
		جيفارو (ا ، ب ، جـ ، د)
		ناسكابى (ا ، ب ، جـ ، د)
		اوجيبوا (ا ، ب ، جـ ، د)
		بايوت (ا ، ب ، جـ ، د)
	كومانش (ا ، ب ، جـ ، د)	الاندمان (ا ، ب ، جـ)
	سيمانج (ا ، ب ، جـ ، د)	كوبراسكو (ا ، ب ، جـ)
	بوكابوكا (ا ، ب ، جـ)	جونا (ا ، ب ، جـ)
	شوكشى (ا ، ب)	كاسكا (ا ، ب ، جـ)
	زوالا (ب ، د)	لابس (ا ، ب)
	اروكانيانز (ب)	يارورو (ب ، د)
	لزاند (د)	بمبا (ب)
باباجو (ا ، ب ، جـ ، د)	تنانج (ا)	موندراسو (ا)
كابوكو (ا ، ب)	باكوزا (ب)	تروبرياندز (جـ)
نواجو (جـ)	ولوف (ب)	باكوت (د)

بهيل (—)	اشانتى	بورميزى (—)
[illegible] (—)	ايمارا	اكاليناجو (—)
بيشتا (—)	ايفالوك	جاندا (—)
ماناكو (—)	كورتاتشى	كارين (—)
[illegible] (—)	ماركويساس	
ساموا (—)	مينشيا	
سيريونو (—)	موسى	
توبى [illegible] (—)	ريفيانز	
	سومالى (—)	
	تالينزى (—)	
	تانالا (—)	
	ثاى (—)	
	تيف (—)	
	توباتولابال (—)	
	يوروبا (—)	

ملاحظة : كان الاساس الذى صنفت بناء عليه كل مجموعة من المجتمعات السابقة فى عامود مستقل هو المسافة بين منزل الابن المتزوج وبين منزل والديه، ومدى كثافة استخدام الاحلام كوسيلة للاتصال بالقوى فوق الطبيعية ومحاولة ضبطها . وتمثل الحروف المكتوبة امام كل مجتمع السمات التى توجد بالفعل فى هذه المجتمع .

ومن المتوقع اذن أن تستخدم مجتمعات الصيد البرى والبحرى الاحلام للاتصال بالقوى فوق الطبيعية ومحاولة ضبطها ، بينما نجد أن المجتمعات الزراعية ومجتمعات تربية الحيوانات الداجنة أقل احتمالا لاستخدام الاحلام بنفس الطريقة • بينما نجد أن المجتمعات التى يسود فيها اما الزراعة أو الاهتمام بالحيوانات الداجنة (ولكن ليس كلاهما) سوف تقع بين هذين الطرفين(٣٣) وقد أمكن التنبؤ بالنتيجة لسببين ، السبب الأول هو أنه طبقا لآراء بارى وزملائه فان مجتمعات الصيد البرى والبحرى تضغط ضغطا كبيرا على الشخص البالغ لكى يصبح مستقلا ومعتمدا على ذاته • والثانى أن مجتمعات الصيد البرى والبحرى تؤكد تأكيدا كبيرا نسبيا أيضا على الطفل لكى يكون مستقلا ومعتمدا على ذاته •

ويوضح الجدول رقم ٢ العلاقة بين نوع الاقتصاد وبين استخدام الاحلام للالتجاء الى القوى فوق الطبيعية وضبطها • وقد اقتبست نسب الاقتصاد من ميردوك(٣٤) •

وتوضح النتائج وجود علاقة قوية وشديدة الوضوح بين نوع الاقتصاد وبين استخدام الاحلام ، وذلك أن ٨٠٪ تقريبا من مجتمعات الصيد البرى والبحرى تستخدم الاحلام للاتصال بالقوى فوق الطبيعية

---

(٣٣) من الواضح أن بارى وتشايلد وباكون عندما جمعوا بين مجتمعات الرعى المتنقلة وبين المجتمعات التى تجمع بين الزراعة وتربية الحيوانات الداجنة فانهم اعتبروا ان استخدام الحيوانات يعتبر محددا اساسيا لتراكم مصادر الطعام . ومع ذلك فمن المتوقع ان يحقق الجمع بين الزراعة وتربية الحيوانات الداجنة ناتجا عاليا ومستقرا من الغذاء اكثر مما يحقق الاعتماد على الزراعة وحدها او الاعتماد على تربية الحيوانات وحدها . ولهذا السبب فقد تم تعديل تجميع هذه الفئات التى قام بارى وزملاؤه بتصنيفها ، وقد وضعت المجتمعات التى تمارس تربية الحيوانات الداجنة دون الزراعة فى موقع متوسط بين جماعات الصيد البرى وجماعات الصيد البحرى .

(34) Murdock G.P; (World ethnographic Sample); American Anthropologist; Vol. 59; 1957; pp. 661-87.

ولضبطها ، بينما نجد أن ٣٠٪ فقط من المجتمعات التى تمارس الزراعة وتربية الحيوانات الداجنة تستخدم الاحلام لنفس الهدف • أما المجتمعات التى تقع فى الوسط وهى التى يسود فيها اما الزراعة واما تربية الحيوانات الداجنة فانها تقع فى وسط هذين الطرفين ذلك أنه وجد أن ٦٠٪ من هذه المجتمعات يستخدم الاحلام للاتصال بالقوى فوق الطبيعية وضبطها •

ومن سوء الحظ أننا لا يمكن أن نعرف ما اذا كان هذا الارتباط يرجع الى تأثير تربية الطفل ، أو يرجع الى ضغوط الدور على البالغين • وهناك اختبار مستقل استخدم فيه مقياس تربية الطفل التى تهدف الى الضغط على الطفل من أجل الخضوع فى مقابل تأكيد الذات ، وكانت نتائج تطبيق الاختبار تؤكد وجود ارتباط أساسى بين تأكيد الذات وبين استخدام الاحلام بكثرة • ومع ذلك فان محاولة التعرف على تأثير الاقتصاد قد أدت الى التقليل الشديد من هذا الارتباط على الرغم من عدم التمكن من الوصول الى نتائج مضبوطة بسبب وجود تداخل شديد بين الممارسات الاقتصادية وبين ممارسات تربية الطفل • ولم توضح المحاولات التى قام بها ويتنج وتشايلد وجود ارتباط بين هذه الحالات وبين استخدام الاحلام بطريقة مكثفة للاتصال بالقوى غير الطبيعية أو محاولة التحكم فيها •

وعلى الرغم من أن الظروف الاقتصادية ترتبط بالمسافة النموذجية التى تفصل بين بيت الاب وبيت الابن بعد الزواج ، وتلك التى يقطعها الابن فى حالة رحيله من أجل الصيد البرى أو البحرى ، فاننا نجد لهاتين الحالتين تأثيرات مستقلة واضحة • أما فى المجتمعات الزراعية فكلما بعدت المسافة بين منزل الابن المتزوج ومنزل والديه كلما ازداد استخدام الأحلام فى الاتصال بالقوى فوق الطبيعية والتحكم فيها • وتوجد نفس العلاقة فى مجتمعات الصيد البحرى والبرى ومجتمعات الرعى •

وتؤيد نتائج الدراسات الثقافية المقارنة بصفة عامة الفكرة القائلة بأن القلق المتعلق باحساس الانسان بالعزلة واعتماده على ذاته يمكن أن يخلق

جدول رقم ٢ علاقة النمط الاقتصادى باستخدام الاحلام للالتجاء الى القوى فوق الطبيعية ومحاولة ضبطها والتحكم فيها .

مجتمعات الصيد البري والبحري ومجتمعات تربية الحيوانات الداجنة	مجتمعات زراعية ولا تسود فيها تربية الحيوانات الداجنة	مجتمعات زراعية ويسود فيها نمط تربية الحيوانات الداجنة :
(دون الزراعة)		
كومانشي (أ ، ب ، جـ ، د)		
كرو (أ ، ب ، جـ ، د)		
ناسكابي (أ ، ب ، جـ ، د)		
أوجيبوا (أ ، ب ، جـ ، د)		
أوماها (أ ، ب ، جـ ، د)		
بايوت (أ ، ب ، جـ ، د)		
سيمانج (أ ، ب ، جـ ، د)		
الاندمان (أ ، ب ، جـ)		
كوبراسينو (أ ، ب ، جـ)	ايروكوا (أ ، ب ، جـ ، د)	
[illegible]سكا (أ ، ب ، جـ)	جيفارو (أ ، ب ، جـ ، د)	
[illegible]شلوكا (أ ، ب ، جـ)	باباجو (أ ، ب ، جـ ، د)	
شوكتي* (أ ، ب)	جونا (أ ، ب ، جـ)	
[illegible]بس* (أ ، ب)	كاريب (أ ، ب)	
[illegible]والا* (ب ، د)	ازاندي (د)	
بشتم (أ ، د)	بمبا (ب)	شاجا (أ ، ب)
ياروري (ب ، د)	فانج (أ)	كابوكو (أ ، ب)
سايتجاج (د)	ايفوجاو (جـ)	اروكانيانز (ب)
تلبت (ب)	موندوروسو (أ)	نياكوزا (ب)
ياكوت (أ)	تروبرياندز (جـ)	ولوف (ب)

خاليناجو (ـ)	أشانتي (ب)	ايمارا (ـ)
ماناكو (ـ)	ايفالوك (ب)	بهيل (ـ)
ناما* (ـ)	كورتاتشي (ـ)	بورميز (ـ)
سيريونو (ـ)	ماركيزار (ب)	جاندا (ـ)
سومالى* (ـ)	ساموا (ـ)	ايبان (ـ)
توباتولابال (ـ)	سويانوم (ـ)	كارين (ـ)
	نوبي نلمبا (ـ)	ليبشا (ـ)
	يوروبا (ـ)	مينشيا (ـ)
		موسى (ـ)
		ريفيانز (ـ)
		تالينزي (ـ)
		تانالا (ـ)
		ثابى (ـ)
		ثونجار (ـ)
		تيف (ـ)

* مجتمعات تمارس تربية الحيوانات الداجنة .

ملاحظة : كان الاساس الذى صنفت بناء عليه كل مجموعة من المجتمعات السابقة فى عامود مستقل هو الاقتصاد وعلاقته بتدرج كثافة استخدام الاحلام كوسيلة للاتصال بالقوى غير الطبيعية ومحاولة ضبطها والتحكم فيها . وتمثل الحروف المكتوبة امام كل مجتمع النسب التي توجد بالفعل في هـــذه المجتمعات .

نوعا من الخيال يدور حول القوى السحرية التى تساعد الانسان • ويبدو أن كلا الخيال أو الاحلام قد استخدما كوسائل للاتصال بالقوى فوق الطبيعية أكثر مما استخدمت الطقوس • وقد لجأ الفرد لاشخاص يساعدونه مفضلا ذلك على استخدام قوى مجهولة • وقد اتضح أن نوع الاقتصاد ودرجة العزلة التى تترتب على المسافة بين بيت الابن المتزوج وبيت والديه تؤثر فى هذا الموضوع تأثيرا قويا، فقد اتضح أنه فى مجتمعات الصيد البرى والبحرى ، وفى المجتمعات التى يبتعد فيها مكان اقامة الابن عن منزل والديه ينتشر استخدام الاحلام للاتصال بالقوى فوق الطبيعية والتحكم فيها • وازاء ضعف الارتباط بين هذه الظاهرة وبين طرق تربية الطفل ، وبسبب التقارير التى تؤكد على عدم وجود علاقة بين نفس الظاهرة وبين عزلة الابنة عن منزل والديها يمكن أن يساورنا الشك فى أن عاملا وسيطا يحدث هذا التأثير وهو ما يحدث للأطفال أكثر من الكبار وللرجال أكثر من النساء(٣٤) •

ويمكننا بعد ذلك أن نقدم تلخيصا للمناقشات السابقة يتعلق بعلاقة الاحلام بالشخصية وبالثقافة :

١ — هناك علاقة قوية بين الاحلام وبين الكائنات فوق الطبيعية ، وتتكون هذه العلاقة من التشابه بين صور الاحلام وبين المفاهيم المتعلقة بالامور غير الطبيعية ، ومن استخدام الاحلام بهدف رؤية الكائنات فوق الطبيعية والاتصال بها • ولا توضح هذه العلاقة بالضرورة أن الاحلام قد

---

(٣٥) هناك بعض الادلة التى تثبت ظروف الطفولة المبكرة بما تتضمنه من عمليات توحد تجعل الطفل يعجب بوالده (او تعجب والدها) او والدته (او والدتها) من نفس الجنس تؤثر ايضا على استخدام الاحلام . فمن المعتقد أن التوحد الشديد مع احد الابوين من نفس الجنس يؤدى الى الاغراق فى تخيل أن الاب او الام (من نفس الجنس) يمكن ان تصبح كالروح الحارسة ، ويستخدم الطفل فى هذه الحالة الخيال اكثر من استخدامه الطقوس للتخلص من حالة القلق . ولكن هذه الصياغة مازالت فى الوقت الحاضر موضع جدال وتحتاج الى مزيد من البحث والدراسة .

أدت الى ظهور مفاهيم الظواهر فوق الطبيعية فى الماضى البعيد ، ولكنها يمكن أن توضح أن نفس الميكانزمات الثقافية تكمن وراء الظاهرتين •

٢ — هناك بعض الادلة التى تؤيد فكرة أن الرمزية فى الاحلام هى ظاهرة انسانية عالمية • واذا كان ذلك صحيحا فانه يعنى أن الانسان يكون مجموعة من الكيانات أو المعادلات بطريقة فطرية أو نتيجة للخبرة التى مر بها بدون أى تعليم ثقافى ، وبدون وعى منه ، وأن هذه المعادلات والمقارنات تستخدم على الدوام •

٣ — ويفترض أنه يمكن استخدام الاحلام لكى تكشف عن دوافع الرائى • وأكثر من ذلك أن العلاقة بين محتوى الحلم وهذه الدوافع يمكن أن تكون غير مباشرة أو مخبأة • وأهم هذه الدوافع هو ما يتضمن الحصول على الاشباع الفيزيقى من أعضاء الاسرة النووية • ويمكن أن توجد هذه الدوافع فى أحلام الناس فى كل المجتمعات • ومع ذلك تختلف الصور التى تظهر فيها هذه الدوافع أو التى تشبع بها من ثقافة الى أخرى •

٤ — ومن المفترض أيضا أن الاحلام تتضمن جوانب معرفية تماما كما تتضمن جوانب دافعية • ولهذا فان جوانب حياة الشخص أثناء اليقظة وثقافته يمكن أن تظهر فى الحلم ، ومع ذلك فظهور هذه الجوانب الواقعية فى الحلم عادة ما تكون محرفة أو مشوهة ، وأحيانا يكون هــذا التحريف معتدلا يتضمن تغييرات بسيطة فى المادة الاساسية الموجودة فى الواقع أو يتضمن اختيارات متحيزة • وفى أحيان أخرى يكون التحريف أو التشويه حاسما بحيث يتضمن تغييرا كاملا للخبرة الواقعية ويرجع هذا التشويه الى ضغط الدوافع ، وخاصة عندما يكون هناك صراع بين هذه الدوافع •

٥ — ويمكن أن تحدد الثقافة أيضا المحتوى الملائم للحلم فى ظروف معينة • فحينما يفترض أن الفرد لابد أن يرى حلما معينا ، فان اعادة سرد الحلم يمكن أن يتضمن بعض التعديلات المتأثرة بالفكرة السائدة فى الثقافة عن هذا الحلم • ويمكن أن يؤدى الاتصال الثقافى الى جلب مادة أجنبية الى

هذه الاحلام ، أو أن يتغير نمط الحلم تماما • ويمكن أن يتأثر رد الفعل العاطفى تجاه الحلم بما تحدده الثقافة كعناصر يجب أن يتضمنها الحلم ، وبالتالى فان التعريف الثقــافى للذات يمكن أن يتأثر بمــا يراه الرائى فى الحلم •

٦ ــ هناك استخدامات ثقافية متعددة للاحلام • ويعتبر التنبــؤ بالمستقبل والاتصال بالقوى فوق الطبيعية هى أهم هذه الاستخدامات ، وتستخدم الاحلام أيضا فى العلاج النفسى وكوســيلة لاختيــار الافراد للقيام بأدوار معينة أو لرفضهم • وهناك استخدام خاص للأحلام وهــو استخدامها فى الاتصال بالقوى فوق الطبيعية ومحاولة التحكم فيها ويرجح أن هذا الاستخدام نشأ بسبب الاحساس بالقلق نتيجة شعور الانســان بالعزلة والحاجة لان يكون قادرا على الاعتماد على نفســه • وفى المجتمعات التى يتطلب اقتصادها أن يعتمد الشخص على نفسه فى سلوكه (بالنسبة للرجال) ــ مثلما هو الحال فى مجتمعات الصيد وفى المجتمعات التى يسكن فيها الشخص بعد زواجه بعيدا عن بيت والديه الى قرية أخرى فهو يكون أكثر قابلية لاستخدام الاحلام فى الالتجــاء الى القــوى فوق الطبيعية والتحكم فيها •

الفصل الثالث

تفسير الاحلام

أولا : الأسس العامة :

اتضح لنا مما سبق بشكل جلى أن الاحلام ظاهرة معروفة فى ثقافات كل الشعوب العالم • والمصريون لا يختلفون فى ذلك عن سائر شعوب العالم ، فهم يؤمنون بتلك الرحلات التى تقوم بها الروح أثناء النوم • ولذلك كانت الاحلام بمثابة اتصال مع الارواح (أو الكائنات الروحية) ، سواء أرواح الموتى أو الارواح المتجولة لرجال ونساء آخرين • ومن ثم تعتبر الاحداث التى تقع فى الاحلام بمثابة مؤشرات تنبىء بما سيقع فى المستقبل ، لانها تعبر عن رغبات الموتى الاقوياء • ومن هنا يمكن أن تستخدم للانباء عما سيحدث فى المستقبل •

ولما كانت أحداث الاحلام غير منطقية فى تتابعها وتسلسلها ، أصبح من الضرورى فرض مستويات معينة من التفسير على رموز الاحلام • ولا نعنى بذلك فرويد وأتباعه من علماء التحليل النفسى ، وانما كذلك مفسرى الاحلام من الشعوب البدائية ، والشامان ، والمشعوذين ، والنساء العجائز والعرافين • فسقوط سنة فى الحلم يعنى أن الاسرة سوف تفقد أحد أفرادها ، والسبع بقرات السمان والسبع بقرات العجاف تعنى سبع سنوات من الرخاء وسبع سنوات من الشدة ••• الخ •

ومن أشهر كتب تفسير الاحلام فى مصر كتاب ابن شياهين وكتاب ابن سيرين ، والاخير تلميذ السابق(١) • وقد لاحظ وليم لين أن المصريين

---

(١) انظر ، وليم لين ، المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، ص ١٨٦ •

ـــ حتى المتعلمين منهم ـــ يستشيرون هذين الكتابين بثقة كاملة فيما يقدمان من تفسيرات .

وإذا راجعنا كتابا كمؤلف ابن سيرين لوجدنا تفسيرا لدلالات رؤية كل شيء ، فكل ظاهرة من الظواهر الطبيعية لها دلالة معينة . من ذلك الصواعق ، والسحاب ، والمطر ، والرعد ، والبرق ، والرياح ، والنجوم المختلفة بأسمائها وأشكالها ، والقمر بحالاته المختلفة ، والشمس ... الخ . ورؤية كل صاحب حرفة أو مهنة لها دلالة خاصة ـــ متميزة ، من هذا مثلا : الخباز ، والطحان ، والقصاب ، والطيان (بانى البيوت بالطين) ، والخياط ، والصياد ، والطبيب ، والصباغ ، والساحر ، والسقاء ... الخ . ورؤية الامور الغيبية والأخروية فى الحلم لها دلالة خاصة فى كل حالة ، من هذا رؤية الجنة وأحوال الانسان فيها ، ورؤية النار ، ورؤية القيامة ، ورؤية الموتى ، ورؤية خروج الناس من قبورهم ، ورؤية علامات الساعة ... الخ . ورؤية الانبياء لكل واحد منهم دلالة معينة(٢) ، وكذلك رؤية الصحابة ، والملائكة ... الخ . وبالاختصار فان

---

(٢) وفى هذا ـــ مثلا ـــ يقول ابن سيرين : « ... رؤيا الانبياء صلوات الله عليهم أحد شيئين اما بشارة واما انذار . ثم هى ضربان احدهما أن يرى نبيا على حالته وهيئته ، فذلك دليل على صلاح صاحب الرؤيا وعزه وكمال جاهه وظفره بمن عاداه ، والثانى يراه متغيرا عابس الوجه ، فذلك يدل على سوء حاله وشدة مصيبته ، ثم يفرج الله عنه اخيرا ... فان راى كأن قتل نبيا دل على أنه يخون فى الامانة وينقض التعهد » . ابن سيرين ، تفسير الأحلام الكبير ، الباب الثانى ، ص ٢٨ . ثم يعود بعد ذلك دلالة رؤية كل واحد من الانبياء على حدة : « .. فمن راى أيوب عليه السلام ابتلى فى نفسه وماله وأهله وولده ، ثم يعوضه الله من كل ذلك ويضاعفه له » . « ومن راى سليمان عليه السلام رزق الملك والعز والعلم والفقه ، فان رآه ميتا على منبر أو سرير ، فانه يموت خليفة أو أمير أو رئيس لا يعلم بموته الا بعد مدة » . ابن سيرين ، نفس المرجع ، ص ٣٠ ـــ ٣١ . ويلاحظ القارىء ان نموذج رؤية سيدنا سليمان يعكس دراية المؤلف بواقعة موته كما جاءت فى الكتاب المقدس ، حيث مات وهو جالس على عرشه ، لم يكتشف احد حقيقة موته الا بعد سنين ، بعد أن تآكلت العصا التى كان يستند عليها .

. ويرجع القارىء الى استعراض دلالات رؤية بقية الانبياء .

رؤية كل شيء موجود أو غائب له دلالة محددة ومعروفة فى كتب تعبير الرؤيا • وليس التعبير مجرد مقابل بسيط ، وانما نجد أن رؤية قطع الملابس كل على حدة ودلالة كل واحدة منها فى ذاتها ، وحسب الحالة التى تظهر عليها : ــ كلون قطعة الملابس ، وجدتها أو قدمها ، وطولها أو قصرها ، وتمزقها أو سلامتها ، ونوع القماش المصنوعة منه ••• الخ •

ويرى المعتقد الشعبى أن الاحلام ليست أمرا حديث العهد ، أو هى بدعة خاصة بعصر دون آخر ، أو شعب دون شعب ، ولكنها ملازمة للجنس البشرى منذ آدم أبى البشر • ويحكى ابن سيرين رؤيا آدم لخلق أم البشر حواء التى تمناها على الله ، ثم شاهدها فى المنام ، ورآها حقيقة بعد ذلك مصداقا لرؤياه • « ••• عن وهب بن منبه قال : أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام أنك قد نظرت فى خلقى فهل رأيت لك فهم شبيها • قال لا يارب ، وقد كرمتنى وعظمتنى ، فاجعل لى زوجا تشبهنى أسكن اليها حتى توحدك وتعبدك معى • فقال الله تعالى له : نعم • فألقى عليه النعاس ، فخلق منه حواء على صورته ، وأراه فى منامه ذلك وهى أول رؤيا كانت فى الارض • فانتبه وهى جالسة عند رأسه ، فقال له ربه يا آدم ما هذه الجالسة التى عند رأسك ، فقال له آدم الرؤيا التى أريتنى فى منامى يا الهى »(٣) •

ولا شك أن هذا الايمان بدلالة الاحلام وقدرتها على الانباء بالمستقبل لم تكن تقتصر على العامة فقط ، وانما انتشرت بين كل فئات المجتمع • وتحت أيدينا عشرات من الشواهد من كتب التاريخ المصرى الشهيرة التى تبنت هذا التصور ، وأثبتت وقائع من هذا النوع جرت لبعض حكام مصر المسلمين ، وغير المسلمين ، وهى وقائع تتعدى فى بعض الاحيان النطاق الشخصى لصاحب الرؤيا لكى تكتسب أهمية سياسية بعيدة المدى •

---

(٣) انظر ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ٢٠ •

فكثير من الملوك — كما يحكى لنا المقريزى فى خططه — يكتشفون محاولات لاغتيالهم فى الاحلام التى يرونها ، فيعرفون طبيعة المؤامرة ، والقائمين بها ، وموعدها ... الخ . (انظر المقريزى ، الخطط والآثار ، الجزء الثانى ، الفصل ٨٢ ، ص ١٥١) . بل يذهب الى أبعد من هذا عندما يورد بعض القصص عن ملوك تلقوا بعض الخطط الحربية والتوجيهات العسكرية فى أحلامهم ، وبعد اليقظة نفذ تلك التوجيهات وكسب المعركة بالفعل(٤) .

ويقوم التفسير الشعبى للحلم على الاعتقاد بأن روح النائم تطير (أو تغادر الجسد) أثناء النوم ، وتتجول وترى الاحداث المكونة للحلم، فاذا رجعت الى البدن تذكرت ما رأته . غير أنه اذا حـدث للروح شىء أثناء تجولها ، فان النائم قد لايستيقظ بعدها (أى يموت) . ولذلك يجب ألا يوقظ النائم بغلظة وعنف ، خوفا من أن يكون فى حالة حلم وقت ذاك ، ولا تتمكن روحه من العودة الى جسمه (فيموت)(٥) .

---

(٤) يحكى المقريزى فى خططه عن الملك قسطنطين انه : « رأى فى منامه كواكب فى السماء على هيئة الصليب وصوت من السماء يقول له احمـل هذه العلامة تنتصر على عدوك . فقص رؤياه على أعوانه وعمل شكل الصليب على أعلامه وبنوده ، وسار لحرب مكسيمانوس بروميه فبرز اليه وحاربه فانتصر قسطنطين عليه وملك رومية » . المقريزى ، الخطط والآثار ، مرجع سابق ، الجزء الرابع ، ص ٣٨٣ .

(٥) ليس هذا التصور قاصرا على الثقافة الشعبية المصرية . فزنوج غرب افريقيا يعتقدون أن للانسان اكثر من روح واحدة ، وقد كان هذا المفهوم أحد المعتقدات التى انتقلت أيضا فيما بعد الى العالم الجديد ، وانتشرت بين أبنائه . فيعتقد الناس فى داهومى — مثلا — ان للانسان أربع أرواح ، ذات نوعيات مختلفة واهمية متفاوتة ، ووظائف متنوعة . أما النساء والاطفال فلكل فرد منهم ثلاثة أرواح فقط . ويعتقد شعب الايوى Ewe والشعوب الناطقة بالتشيى Tschi-speaking فى غرب افريقيا أن « روح الحلم » تنام عندما يكون الشخص مستيقظ ، اما عندما ينام فانها تغادر الجسم ، وتتجول حسبما يقودها الحلم ، وتذهب بعيدا لتلتقى « بأرواح الاحلام » الخاصة بأشخاص آخرين . وعندما يستيقظ الشخص تعود روح الحلم الى جسمه من جديد . ولذلك فالخطورة الكبرى تتأتى اذا ما توطع الحلم ، او اوقظ الشخص النائم =

والرؤيا أنواع منها الصادق ومنها الكاذب ، هذا اذا كان لها مضمون واضح ومحدد للرائى ، أما اذا تعذر فهمها أو بلغ مضمونها قدرا بعيدا من التشتت والتشوه فانها تدخل فى عداد أضغاث الاحلام ،أو تكـون نوعا من الكوابيس (الاحلام المزعجة بصفة خاصة) • ويفسر ابن سيرين أنواع الرؤى الى اثنين حسب المنشأ الذى سببها ، النوع الاول هـو الصالح (أو الصادق) وهو من الله تعالى ، والنوع الثانى هو الباطل (أو الكاذب) وهو من الشيطان (ابن سيرين ، تفسير الاحلام الكبير ، مرجع سابق ، ص ٣) •

على أن هناك بعض الشواهد والمؤشرات التى يتوقف عليها صدق الرؤيا من عدمه • فالوقت الذى تتم فيه الرؤيا له تأثير على صـدقها أو بطلانها : « ان أصدق الرؤيا ما كانت فى نوم النهار أو نوم آخر الليل • فقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أصـدق الرؤيا ما كان فى الاسحار • وروى أنه قال أصدق الرؤيا رؤيا النهار ، لان الله تعالى أوحى الى نهارا » (ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ٢٤) • ويسوق أصحاب كتب تفسير الاحلام شواهد عديدة من القرآن الكريم على صدق الاحلام وتحققها فى الواقع ، وأشهر نماذج فى هذا الصدد رؤيا سيدنا ابراهيم وسيدنا يوسف •• الخ(٦) •

= فجأة ، وذلك خوفا من الا تتمكن « روح الحلم » من العودة الى الجسم مرة أخرى . فاذا استيقظ النائم بدونها فسوف يصاب بالمرض ، واذا لم تعد الى الجسم ، فانه سيموت حتما . والساحر أو المشعوذ فقط هو الذى يعرف كيف يعيد « روح الحلم » التائهة الى جسم صاحبها من جديد ، كما يسترد صحته ويشفى . انظر مادتى Dreams and Dream Soul فى قاموس فونك للفولكلور ، مرجع سابق ، ص ٣٢٥ . وانظـر كذلك احمـد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٥٣ ، ص ١٧٦ .

(٦) من هذا مثلا : « ... مما يـدل على تحقيق الرؤيا فى الاصـل أن ابراهيم عليه السلام راى فى المنام ذبح ابنه ، فلما استيقظ ائتمر بما أمره به فى منامه » ... « ثم رؤيا يوسف عليه السلام وهى الكواكب والشمس والقمر ، =

كذلك يتوقف صدق الرؤيا على سمات الرائى نفسه ، أن كان صادقا فى حياته أو كاذبا ... الخ . فالانسان الصدوق تصدقه رؤياه . أما من كان كذابا فى حديثه ويحب الكذب فتكذب عامة رؤياه . أما « من كان كذابا ويكره الكذب من غيره فتصدق رؤياه لذلك » (ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ١٤) .

وفى أحيان أخرى تتوقف درجة صدق الرؤيا على ظروف الشيء الذى يراه . « ... فاذا كانت الشجرة عند حملها ثمارها ، فان الرؤيا فى ذلك الوقت مرجوة قوية فيها بطء قليل . واذا كانت الرؤيا عند ادراك ثمر الشجر ومنافعها واجتماع أمرها ، فان الرؤيا عند ذلك أبلغ وأنفذ وأصح وأوفق . واذا أورقت الشجرة ولم يطلع ثمارها ، فان الرؤيا عند ذلك دون ما وصفت فى القوة والبقاء دون الغاية . واذا سقط ورقها وذهب ثمرها فان الرؤيا عند ذلك أضعف » . (ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ١٥).

والوظيفة الثقافية الاساسية للحلم هى التنبؤ بالمستقبل أو التماس توجيهات بشأنه ، ومعرفة الغيب ، والاطلاع على المجهول(٧) . ويتخذ أغلب شعوب العالم من الاحلام نذيرا أو بشيرا بما سيقع لهم فى مستقبل أيامهم ، وأخشى ما يخشاه الانسان تلك العلامات التى تنبىء بوقوع حالة وفاة أو قرب حلول كارثة(٨) . والرؤيا قد تكون وسيلة لتحقيق أغراض أبعد من هذا ، ففيها يمكن أن يقدم أحد الشخصيات الدينية العلاج

= فقال لابيه يا ابت انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين . فعرف يعقوب تأويل الرؤيا ، وخشى عليه اخوته ، فالقمر أبوه والشمس امه ، والكواكب اخوته » ، ابن سيرين ، تفسير الاحلام ، ص ص ٢٠ — ٢١ .

(٧) انظر وليم لين ، المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ ، وكلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، الجزء الثانى ، ص ٩١ . ومادة « أحلام » فى قاموس فونك للفولكلور الذى سبقت الاشارة اليه ، ص ٣٢٥ .

(٨) نذكر من بينها العلاقات التالية : رؤية اللحم بكثرة ، والحلم بالماء والغرق فيه ، والحلم بالنار تحرق جزءا من جسم الانسان .

للرائى . ويمارسه أثناء الحلم . أى أن الامر لا يقتصر على مجرد التوجيه فحسب . ويحكى ابن سيرين : « أن سماك بن حرب كف (فقد بصره) فرأى فى منامه سيدنا ابراهيم عليه السلام مسح على عينيه ، وقال ائت الفرات فاغتمس فيه يرد الله عليك بصرك . فلما انتبه فعل ذلك ، فأبصر » (تفسير الاحلام الكبير ، مرجع سابق ، ص ٢٩) .

وقد يكون الحلم وسيلة للقاء شخص معين (كالرسول عليه الصلاة والسلام ، أو أحد الاولياء ، أو أحد الموتى من الاقارب أو الاصحاب) لمجرد لقائه ، أو لسؤاله عن شيء ، أو طلب قضاء حاجة معينـــة . ومن أبرزها طلب الشفاء من الرسول فى المنام ، وسؤاله شيئا من يسر الحال (ابن سيرين ، ص ٣٣) ، أو سؤاله أمرا من أمور الآخرة[٩] .

والاحلام عموما من أشهر الطرق وأكثرها انتشارا التى يظهر فيها الموتى للأحياء يشيرون عليهم فى أمور حياتهم ، أو يسألونهم الدعاء لهم والتصدق على أرواحهم بالانفاق أو بقراءة القرآن ، أو معاملة واحد من الاهل أو الاقارب على نحو معين ... الخ . ولذلك يمكن القـــول دون مبالغة ان الاحلام هى الوسيلة الرئيسية للقاء بين عالم المـــوتى وعالم الاحياء[١٠] . و « الاولياء المؤشرون » انما ظهروا للناس وطلبوا اقامة

---

(٩) من هذا أن ييسر له (للرائى) مشاهدة الرسول يوم القيامة ، انظر مثالا على ذلك عند الدميرى ، حياة الحيوان ، الجزء الأول ، طبعة ١٩٦٣ ، ص ٣٧ . وفى المثال سأل الرائى رب العالمين فى المقام عن وسيلة ينجو بهـا العباد يوم القيامة : « ... روى الامام ابن حنبل انه رأى رب العزة فى المنام تسعا وتسعين مرة فقال ان رأيته تمام المائة لاســألنه . فرآه تمام المائة ، فسأله . وقال يارب بماذا ينجو العباد يوم القيامة ، فقال له من قال كل يوم بكرة وعشيا ثلاث مرات سبحان الأبدى الأبد ، سبحان الواحد الأحد.. الخ» . حياة الحيوان ، مرجع سابق . الجزء الاول ، ص ٣٥ .

(١٠) ويحكى القاضى فى كتابه دقائق الاخبار حكاية ابى قلابة التى انتقلها بنصها لطرافتها وقوة تعبيرها وحيويته . « .. وهى ما روى انه رأى فى المنام ان القبور قد انشقت وأمواتها خرجوا منها ، وجلسوا على شفير القبور ، وكان=

أضرحة أو موالد لهم فى الاحلام فقط(١١) .

ولكن الى جانب هذا كله فان الاحلام تتخذ كأداة للاستخارة حول شأن من شئون الدنيا ، تماما كما نعرف فى ميدان السحر عن الاستخارة ، أو فتح الكتاب ... الخ . وهنا يلتمس البعض عندما يأوى الى فراشه ليلا أن يوجهه الله فى المنام الى التصرف المناسب الذى يجب اتخاذه فى موقف معين أو ازاء مشكلة معينة ، أو اطلاعه على عاقبة أمر من الامور . وقد ينتظرون ردا واضحا مباشرا بالتوجيه المطلوب . أو يسألون الله أن يظهر لهم شىء أخضر أو أبيض أو ماء اذا كان العمل المنتوى (كبيع أو شراء أو زواج) مستصوبا ، أو اذا كان يتوقع له توفيقا قريبا . أو يجعلهم يرون شيئا أسودا أو أحمرا أو نارا اذا كان الشىء ضارا أو غير محمود العاقبة . ومن أجل هذا يتلو الرائى شيئا من الادعية ، أو صيغا معينة ، أو بعض آيات القرآن (خاصة الفاتحة) ، أو ينقطع عن التفكير فى أى أمر آخر من شئون حياته الى أن يغلبه النعاس(١٢) .

= بين يدى كل واحد منهم طبقا من نور . ورأى من بينهم رجلا منجيرانهملم ير بين يديه شيئا من نور . فسألته فقلت مالى لا أرى بين يديك نورا ، فقال الميت ان لهؤلاء أولادا وأصدقاء يهدون اليهم خيرا ويتصدقون لاجلهم . وهذا النور مما يهدونه اليهم . وكان لى ابن صالح لا يدعو لى ولا يتصدق لاجلى . ولهذا لا نور لى وانا خجلان بين جيرانى . فلما انتبه أبو قلابة دعا ابنه وأخبره بما رأى . فقال الابن انا تبت على يديك ، فلا أعود الى ما كنت عليه ابدا فاشتغل بالطاعة والدعاء والتصدق على ابيه » . انظر عبد الرحيم بن احمد القاضى ، دقائق الاخبار فى ذكر الجنة والنار ، مكتبة الجمهورية العربية ، د . ت . ، القاهرة ، ص ١٤ .

وهناك حالات وقصص صارخة عن هذا حيث يظهر الاب أو الام لينهى الابن أو البنت عن الاقتران بشخص معين ، أو يأمره بتطليق زوجته .. الخ .

(١١) انظر الباب الاول الخاص بالاولياء .

(١٢) انظر وليم لين ، المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، ص ١٨٦ .

ثانيا ــ قواعد تعبير الرؤيا :

تعبير الرؤيا من أقدم الفنون الانسانية وأكثرها ازدهارا وأثراها بالتصورات والافكار والمعتقدات • وما من كتاب من كتب الاديان ، أو الكتب الشعبية أو غيرها من تراث العصور القديمة الا واحتفل احتفالا كبيرا بتعبير الرؤيا • ولن نستطيع أن نقدم عرضا شاملا للمبادىء الاساسية للتفسير ، وسوف نكتفى بشريحة بسيطة تدل على الموضوع ، وتلقى الضوء على جوانبه المختلفة ، وتحفز وتوجه الى مزيد من البحث •

والقاعدة الاولى فى تعبير الرؤيا ألا قاعدة عامة ، بمعنى أن المبادىء والاسس التى سنحددها قد تستخدم بصيغتها تلك ، وتقدم ، ويستخدم نقيضها فى التفسير • وفى ذلك يقول ابن سيرين : « •• أما تأويل الرؤيا أو الاحلام قد يكون مرة من لفظ الاسم ، ومرة من معناه ، ومرة من ضده ، ومرة من كتاب الله تعالى ، ومرة من الحديث ، ومرة من المثل السائر والبيت (بيت الشعر) المشهور » • (تفسير الاحلام الكبير ، مرجع سابق . صفحة ٩) •

ففيما يتعلق بالتعبير بالاصل أم باللفظ ، يسرد لنا ابن سيرين نماذج لمحاولات تفسير (صحيحة) فسر صاحبها مرة بالاصل ومرة باللفظ • ففى مثال الاسنان الذى نذكره فيما يلى اذا فسر المفسر باللفظ ــ بالنسبة لشخص رأى فى المنام أسنانه وقعت ــ فمعنى ذلك أنه سيفقد كل أسنانه قبل أن يموت • فالاسنان فى هذه الحالة تعنى لفظ الاسنان فعلا • أما اذا فسر المفسر بالاصل ، بالنسبة لنفس الرؤيا ، فأصل الاسنان هو القرابة • عندئذ يكون معنى الحلم أن هذا الشخص سوف يفقد كل أقاربه أو سيقاطعهم(١٣) •

---

(١٣) « حكى عن شريك بن ابى شمن قال رأيت اسنانى فى النوم وقعت فسألت عنها سعيد بن المسيب ، فقال أو اساءك ذلك . ان صدقت رؤياك لم =

ومن قواعد التعبير الاخرى أن يكون التفسير من واقع المعنى الظاهر الوارد فى الحلم ، وقد يكون بالضد • ويعنى التأويل بالضد أن رؤية البكاء فى الحلم تعنى الفرح ، ورؤية الضحك تعنى الحزن • (المرجع السابق ، ص ١١) •

وهناك تفسير بالمقلوب مثل : « قولهم فى الطاعون انه حرب ، وفى الحرب انه طاعون ، وفى السيل انه عدو ، وفى العدو انه سيل ، وفى أكل التنين انه ندامة • وفى الندامة أنه أكل تنين » • (المرجع السابق)

وقد يكون التعبير بالزيادة أو بالنقص ، أى أن الشىء المشاهد فى الحلم يختلف مدلوله فى القلة عن الكثرة ، والعكس بالعكس :

* فالبكاء فرح ، فان كان معه رنة كان مصيبة •
* والضحك حزن ، فان كان تبسما كان صالحا •
* والدهن اذا أخذ منه بقدر فانه زينة ، وان سال على الوجه فانه غم ، وان كثر على الرأس كان مداهنة للرئيس •
* من يرى أن يده قطعت وهى معه فانه يستفيد أخا وولدا •
* فان رأى أن يده قطعت وأنها قد فارقته وسقطت فانها مصيبة له فى أخ أو ولد •
* واذا رأى المريض أنه صحيح يخرج من منزله ولا يتكلم فمعنى ذلك أنه سيموت •

= يبق من اسلافك أحد الا مات قبلك . فعبرها سعيد باللفظ لا بالاصل ، لان الاصل فى الاسنان انها القرابة .. وحكى عن بشر بن أبى العالية قال سألت محمدا عن رجل راى كأن فمه سقط كله . فقال هذا رجل قطع قرابته ، فعبرها محمد بالاصل لا باللفظ ... وحكى عن الاصمعى قال اشترى رجل أرضا فراى ان ابن اخيه يمشى فيها فلا يطأ الا على راسى حية . فقال ان صدقت رؤياه لم يغرس فيها شىء الا حيى » . ابن سيرين ، تفسير الاحلام الكبير ، ص ٩ .

* وان رأى نفسه أنه صحيح يخرج من منزله ويتكلم فانه سيبرأ . (انظر مزيدا من الشواهد عند ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ١١) .

ومن قواعد التعبير الاساسية أن يدرك المفسر أبرز حصيلة التراث من قصص الانبياء وأمثالهم وأقوال الحكماء ونوادرهم ، ومعرفة أخبار الرسول وأمثاله فى التأويل ... الخ . وقد مرت بنا بعض النماذج فى هذا الفصل التى فسر فيها بالاشارة الى قصة سيدنا سليمان ، أو سيدنا يعقوب ، أو يوسف ... الخ(١٤) .

ولا يقتصر التعقيد عند هذا الحد ، بل الاهم من ذلك أن تعبير الرؤيا ، بل وطبيعة الاشياء التى سوف يراها صاحب الحلم يتوقف على ظروف الرائى نفسه من أكل وشرب ومنام وخلافه . فسلامة هذه الامور تؤدى الى انتظام الرؤيا ووضوحها ، والعكس يؤدى الى تشويشها وعدم وضوحها .

---

(١٤) يقول ابن سيرين فى كتابه الجامع تفسير الاحلام الكبير : « واعلم أن اصل الرؤيا جنس وصنف وطبع ، فالجنس كالشجر والسباع والطير وهذا كله الاغلب عليه انه رجال ، والصنف أن يعلم صنف الشجرة من الشجر وذلك السبع من السباع ... والطبع أن تنظر ما طبع تلك الشجرة فتقضى على الرجل بطبعها ... » ويضيف : « وان كان طائرا علمت انه رجل ذو اسفار كجال الطير ثم نظرت ما طبعه فان كان طاووسا كان رجلا اعجميا ذا جمال ومال وكذلك اذا كان نسرا كان ملكا وان كان غرابا كان رجلا فاسقا غادرا كاذبا لقول النبى صلى الله عليه وسلم ولان نوحا عليه السلام بعث به ليعرف حال الماء انضب أم لا ، فوجد جيفة طافية على الماء فوقع عليها ولم يرجع فضرب به المثل وقيل لمن أبطأ عليك او ذهب فلم يعد اليك غراب نوح » . انظر الكتاب المذكور ص ص ١٣ ، ١٤ .

وفى هذا الصدد كذلك يقول المقريزى : « وقيل انه (احمد بن طولون) لما فرغ من بنائه ، رأى فى منامه كأن نارا نزلت من السماء فأخذت الجامع دون ما حوله ، فلما أصبح قص رؤياه فقيل له ابشر بقبول الجامع لان النار كانت فى الزمن الماضى اذا قبل الله قربانا نزلت نار من السماء أخذته ودليله قصة قابيل وهابيل » . راجع المقريزى : الخطط والآثار . الجزء الرابع ، ص ٣٩ .

بل ان معرفة الزمن الذى ستصدق فيه الرؤيا يتوقف على طبيعة الاشياء التى يراها الشخص فى منامه • فرؤية الملاك فى صورة شيخ دليل على أن تلك الوقائع تجرى فى الزمن الماضى • ورؤيته فى صورة الشبان دليل على أن تلك الوقائع تجرى فى الزمن الحاضر • ورؤيته فى صورة صبى دليل على أن الوقائع سوف تحدث فى الزمن المستقبل • (ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ٣٧)(١٥) •

ثالثا — شخصية المفسر :

ولكن ما هو المخرج من هذا التيه العظيم : كيف يمكن التوصل الى حقيقة التفسير السليم ، هل بالاصل أم باللفظ، هل بالزيادة أم بالنقصان، هل بالظاهر أم بالضد ••• الخ • ان صمام الامن ومحور الارتكاز فى هذا الموقف هو المفسر أو المعبر (كما تسميه كتب الاحلام) •

فالمفسر فى جميع الثقافات شخص له سمات معينة ، منها على سبيل المثال : التقوى والصلاح وحسن الصلة بالله •• الخ مما سنفصل القول فيه • وفى كل مجتمع أفراد معينون يحترفون تعبير الرؤيا أو يحتكرون هذا العمل على الاقل (بمعنى أنهم قد يقومون به محبة للناس وتطوعا ولا يؤجرون عليه) ، أو اشتهر عنهم التفسير الصحيح للاحلام ، فتجد الناس تلجأ اليهم ، وتحكى لهم أحلامهم • ولذلك كان من أهم صفات

---

(١٥) على اننا نجد وسط هذا الخضم من الاحتمالات المتنافرة المتضاربة مع ذلك بعض المبادىء الثابتة . فهناك بعض الشخصيات والاشياء التى لا تكذب فى المنام .. فالنبى صلى الله عليه وسلم لا يتمثل به فى المنام شيطان ، وان من رآه فقد رآه حقا . وان الميت فى دار حق فما قاله فى المنام فحق • وكذلك الطفل الذى لا يعرف الكذب ، وكذلك الدواب وسائر الحيوان الاعجم اذا تكلم فقوله حق ... وكل كذاب فى اليقظة كالمنجم والكاهن فكذلك قوله فى المنام كذب ، وان الجنب والسكران ومن غفل من الجوارى والغلمان قد تصدق رؤياهم فى بعض الاحيان وان تسلط الشيطان عليهم بالاحلام فى سائر الزمان • راجع ابن سيرين ، المرجع السابق ، ص ٤ .

المفسر حفظ أسرار زواره ، كالطبيب يحفظ سر مرضاه ولا يبوح به لاحد تحت أى ظرف • « ومن خصائص العابر أو المفسر أنه يحتـاج الى أن يكون كما وصفوه أديبا ذكيا فطنا تقيا عارفا بحالات الناس وشمائلهم وأقدارهم وهيئاتهم » (ابن سيرين ، صفحة ٧) •

وتلك الكياسة ومعرفة أقدار الناس وحالاتهم نقطة على جانب كبير من الاهمية فى عمل المفسر ، فنفس الشيء يراه شخصان فى الحلم بنفس العدد ، ولكن معناه يختلف بالنسبة لكل منهما حسب مقداره وهمته وتدينه وصلاحه • « من الناس من يرى أنه أصاب وسقا من التمر فيصيب من المال مائة درهم ، وآخر قد يرى مثله فيصيب ألف درهم ، وآخر يرى مثله فهو له حلاوة دينه وصلاحه فيه وذلك من همة الرجال وأقـدارهم وايثارها أمر دينها » (تفسير الاحلام ، ص ١٤) • ويحكى ابن سيرين صراحة أن الرؤيا تتغير عن أصلها باختلاف هيئـات الناس وصـناعاتهم وأقدارهم وأديانهم ، فتكون لواحد رحمة وعلى آخر عذابا • (صفحة ١٢)

ولكن الطريف حقا أن الرمز نفسه ـــ كالرمانة ـــ قد يراه أشخاص مختلفون ، ولكنه يعنى لكل واحد منهم شيئا مختلفا تبعا لمهنته ووضعه ونوعه •• الخ : (ان أقدار الناس قد تختلف فى بعض التأويل حسـب اختلافها فى الحدود والخطوط وان تساووا فى الرؤيا ، فلا يجيد تعبـير ذلك المرئي الذى يتفقون فى رؤيته فى المنام الا واسـع المعانى متصرف الوجوه • وذلك كالرمانة ـــ على سـبيل المثال ـــ ربما كانت للسـلطان كورة يملكها أو مدينة يولى عليها يكون قشرها جدارها أو سورها وحبهـا أهلها • وتـكون للتاجر داره التى فيها أهله ••• وقـد تكون للعالم أو الناسك كتابه أو مصحفه ••• وقد تكون للأعزب زوجة بمالها وجمالها أو جارية بخاتمها (أى بكرا) » (تفسير الاحلام الكبير ، ص ٦) •

ولا تختلف الاشياء التى يراها الرائى حسب مهنته وظروفه فحسب• وانما هى تختلف حسب طبيعته أيضا • فينقل ابن سيرين عن القـدماء

قولهم : « من غلبت عليه السوداء رأى الاحداث والسواد والاهوال والافزاع ، وان غلبت عليه الصفراء رأى النار والمصابيح والدم والمعصفر . وان غلب عليه البلغم رأى البياض والمياه والانداد والأمواج، وان غلب عليه الدم رأى الشراب والرياحين والعزف والصفق والمزامير » (ص ٧ من المرجع المذكور) .

وهناك بعض القواعد والآداب العامة التى يجب أن يراعيها المفسر وصاحب الرؤيا على السواء عند تعاملهما . أما آداب صاحب الرؤيا ألا يقصها على حاسد ، ولا يكذب فيها ، ويقصها على حبيب أو لبيب ، ويقصها سرا ولا يقصها على صبى أو امرأة . والاولى أن يقصها فى اقبال السنة وفى اقبال النهار دون ادبارهما . ولا يجوز لصاحب الرؤيا أن يكذب فى سرد ما رآه ، فان الكاذب على منامه مفتر على الله تعالى ، وأن الرائى لا ينبغى له أن يقص رؤياه الا على عالم أو ناصح أو ذى رأى من أهله . (ابن سيرين ، تفسير الاحلام ، ص ٢٤ ، وص ص ٣ — ٤) .

أما آداب المفسر فمنها « أن يقول : خيرا رأيت . وقد روى عن الرسول محمد أنه كان اذا قصت عليه رؤيا يقول خيرا تلقاه وشرا توقاه ، وخيرا لنا وشرا لاعدائنا ، الحمد لله رب العالمين ، أقصص رؤياك » (المرجع السابق ، ص ٢٥) . وعلى المعبر أن يحسن الاستماع الى الرؤيا ثم يفهم السائل الجواب . ومن آداب المعبر أن يتأنى فى التعبير ولا يستعجل به ... ومنها أن يكتم عليه رؤياه فلا يفشيها ، فانه أمانة . ويتوقف فى التعبير عن طلوع الشمس وعند الزوال وعند الغروب(١٦) . ومنها — ما أشرنا اليه سابقا — من أن يميز بين أصحاب الرؤيا فلا يفسر رؤيا السلطان حسب رؤيا الرعية ، فان الرؤيا تختلف باختلاف أصحابها .

---

(١٦) ومن جانب صاحب الرؤيا يكره ان يقص الرؤيا على أحد يوم الثلاثاء لانه يوم اهراق الدماء ويوم الاربعاء لانه يوم نحس مستمر ولا يكره سائر الايام . ابن سيرين : المرجع السابق ؛ ص ٢٥ .

(ابن سيرين ، المرجع السابق) • واذا أحس المفسر بعدم القدرة على تفسير الرؤيا المعروضة عليه ، فيجب أن يقول (كما كان يقول الرسول) « خير لك وشر لأعدائك ، خير تؤتاه وشر تتوقاه •• خير لنا وشر لعدونا ، خير نؤتاه وشر نتوقاه ، والخير لنا والشر لعدونا » • (المرجع السابق ، ص ٤) •

على أن المفسر قد لا يقتصر دوره على انتظار من يحضر اليه من الاهل أو الاصدقاء والعملاء ليحكوا له أحلامهم ، وانما يمكن أن يقصد صاحب حاجة أحد الرجال الصالحين المشهور عنهم صدق الرؤيا ، ويحكى له همومه التى تقلقه ، ويطلب منه أن يرى لها جوابا فى الرؤيا • فالرؤيا هنا توظف محل عملية الاستخارة ، أو هى هنا عملية استخارة بالفعل ، ولكن الشخص لا يقوم بها لنفسه كما أشرنا فى موضع سابق من هذا الباب ، وانما يكلف بها شخصا آخر يقوم بها نيابة عنه[17] •

رابعا ــ طلب الرؤيا الصالحة والتصرف ازاء الرؤيا المكروهة :

ازاء تلك الاهمية الكبرى التى ينسبها المعتقد الشعبى للرؤيا ، تروى كتب الاحلام بعض الصيغ والادعية التى يحسن بالشخص أن يرددها قبل نومه لكى يعطيه الله « رؤيا صالحة صادقة غير كاذبة نافعة غير ضارة حافظة غير ناسية » كما يدعو الله أن يجنبه « سوء الاحلام وتلاعب الشيطان به فى اليقظة والمنام » (ابن سيرين ، ص ٢٣) •

أما اذا حدث ورأى الشخص فى منامه ما يكره فان عليه أن « يتحول

(١٧) يحكى احمد امين فى قاموسه عن احد التجار الكبار كان خاصمه دائنوه ، ورفعوا عليه دعوة بالافلاس ، فذهب الى أحد الفقهاء المشهورين بصدق الرؤيا ، فحلم ذلك الفقيه أنه سيحكم للتاجر بالبراءة • وقد حدث ذلك بالفعل ، حيث حكمت المحكمة برفض دعوى الافلاس • والشواهد على ذلك من خبرتنا الخاصة فى مدينة القاهرة ، وبعض محافظات الدلتا • انظر احمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد ، مرجع سابق ، ص ١٧٦ •

عن جنبه الذى نام عليه الى الجنب الآخر ، ويتفل عن يساره ثلاثا ، ويستعيذ بالله من الشيطان الرجيم ، ويقوم فيصلى ، ولا يحدث أحد برؤياه » (المرجع السابق ، ص ٢٤) .[١٨]

ومن الرؤى السيئة أضغاث الاحلام ، وهى أن يرى الانسان « كأن السماء صارت سقفا ويخاف أن يقع عليه وأن الارض رحا تدور ، أو نبت من السماء أشجار ، وطلع من الارض نجوم ، أو تحول الشيطان ملكا ، والفيل نملة ، وما أشبه ذلك » . وتلك فى رأى ابن سيرين لا تأويل لها ، أى أنه ليس لما يشاهد فيها أى دلالة . (ص ٢٤) . ويعرف المعتقد الشعبى الممارسات التى تستهدف دفع هذه الكوابيس ، خاصة وأنه يبدو أن هناك بعض الاشخاص الذين قد تحدث لهم تلك الظاهرة بكثرة . من هذا ما نسمعه عن لبس خاتم من النحاس الاصفر لهذا الغرض بالذات . (انظر الشقيرى ، السنن ، والمبتدعات المتعلقة بالاذكار والصلوات ، مرجع سابق ، ص ٣٠١) . وكذلك ضرورة تجنب بعض المأكولات التى قد تؤدى بصاحبها الى أن يرى أحلاما مشوشة فى نومه ، ومن تلك المأكولات الحمص[١٩] .

---

(١٨) ويقول فى موضع آخر : « اذا رأيت فى منامك ما تكرهه فاقرأ اذا انتبهت من نومك آية الكرسى ، ثم اتفل عن يسارك ، وقل أعوذ برب موسى وعيسى وابراهيم الذى وفى ومحمد المصطفى من شر الرؤيا التى رأيتها أن تضرنى فى دينى ودنياى ومعيشتى عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره » ، تفسير الاحلام الكبير ، مرجع سابق ، ص ص ١٤ — ١٥ .

(١٩) انظر على سبيل المثال ، النويرى ، نهاية الارب ، مرجع سابق ، الجزء الحادى عشر ، ص ١٩ .

خاتمـة :

والآن ماذا بعد ؟ والى أى حال انتهت عمليـة تعبـير الرؤيا ، ان الناس لم تكف ولا يمكن أن تكف عن أن تحلم ، ولكن الى من تلجأ لتعبير رؤياها • من الواضح أن هذا المجال قد شهد تحولا قريبا من التحول الذى شهده مجال السحر . حيث أن الكوادر المتخصصة فى تلك الفنون قـد ضعفت وتآكلت ، فانقطع المدد من أفراد جدد • ولذلك حدث ـ كما حدث فى السحر ـ أن لجأ الناس الى طباعة كتب تعبير الرؤيا القديمة وفهرستها على نحو ييسر اسـتخراج دلالات الاشـياء التى تشـاهد فى الحلم ، وتداولها على نطاق واسع •

وحدث تطـور آخر أن خصصت بعض الصحف ومحطات الاذاعة برامج ومساحات تتلقى من قرائها أو مستمعيها الاحلام التى يزونها ، ويفتش صاحب البرنامج أو محرر الصفحة عن التفسير ، ويكتبه أو يذيعه على صاحبه • وقد اعتمدت التجارب التى تابعتها خلال السبعينات على كتاب ابن سيرين(٢٠) •

ولم يفطن أصحاب تلك التجارب الى أنه لا يصح من وجهة نظـر التراث نفسه أن يلجأ أى شخص الى كتاب مفهرس فى تعبيرالرؤيا ليبحث عن تفسير رؤياه • لان ذلك يهدم أهم ركن فى عملية التعبير وهى المفسر الصالح الذى وهبه الله بصيرة نافذة كما تقدم الحديث بالتفصيل • ثم أننا علمنا أن تفسـير رموز الرؤيا يختلف حسـب وقت الرؤيا ، ومهنـة الرائى ، وحالته النفسية ، ومكان الرؤيا ، وسن الرائى ، وحالة تعبه أو راحته وبقية ظروف الرائى الخاصة ، وكذلك وقت التعبير نفسه •• الخ •

---

(٢٠) شارك المؤلف بنفسه فى ايقاف تجربة من هذا النوع كانت تنـوى محطة صوت العرب ان تقدمها فى برنامج « اللقاء المفتوح » عام ١٩٧٥ . وقد استجاب المسئولون عن البرنامج والمحطة مشكورين الى النصيحة ، وأوقفوا التجربة فى بدايتها .

وهكذا رأينا بوضوح أن الرمز نفسه لا يمكن أن يؤدى نفس المعنى دائما بالنسبة لكل الناس • ولكن من الواضح أن أصحاب هذه البدع الجديدة انما يكشفون بذلك عن جهلهم بالتراث ، ويعملون من خلال وسائل اتصال ذات قدرة تأثير جبارة على نشر الخرافة والترويج لها بين الناس• وواجب المثقفين الملتزمين أن يعملوا ما وسعهم الجهد على كشف أخطار هذه الاساليب المدمرة ، التى تحمل فى ظاهرها العبث والمرح ومداعبة الجمهور وتسليته • ولكنها فى الحقيقة تمكن للخرافة فى صدور الناس ، لانها ليست اختراعا أو بدعا جديدا ، ولكنها تتصل فى بعض جوانبها بخيوط قديمة فى معتقدات الناس كانت قد بدأت تتآكل • وهم يعيدون اليها الحياة بطريقة ليس فيها خصوصية ولا تمييز ، فلا يراعون أن الرؤيا انما هى من أسرار الناس وعوراتهم • فيجب ألا يخبر المفسر بتأويلها الا لصاحبها ، ولا ينطق بها عند غيره ، ولا يحكيها عنه • فنحن ان أتينا تلك البدع لا حافظنا على تراثنا — رغم ما قد يشوبه من عيوب ونقائص أحيانا — ولا كنا أمناء على رسالة الثقافة التى حملنا المجتمع أمانة رعايتها والحفاظ عليها فى كنف العقل الحديث الرشيد •

الفصل الرابع

دليل مختصر للدراسة الميدانية لموضوع الاحلام

مقـدمة :

أمكن معالجة موضوع الاحــلاج بوجه عام من زاويتين رئيسيتين : الاولى تلك الامور التى تتعلق بتفاصيل الحلم ودلالات عناصره المختلفة ، والثانية ما يدور حول الحلم (من حيث طبيعته بشــكل عام ، وظـروف الرائى ، والمفسر ... الخ) • وقد حرصنا فى معالجتنا لموضوع الاحلام على أخذ الزاويتين فى الاعتبار ، فرتبنا تلك الموضــوعات على النحـو التالى : طبيعة الاحلام فى المعتقد الشعبى ، الحالم ، المفسر ، صـدق الرؤيا ، وأخيرا دلالات رؤية بعض الاشياء فى الحلم •

ونود الاشــارة الى أن معظم المادة المتعلقة بدلالات موضــوعات الاحلام المختلفة مأخوذة من المدونات ، وأن المادة الحية التى اســتعين بها فى هذا الصدد محدودة الكم بشكل واضح • وترجع هذه الحقيقة الى عوامل مختلفة : لعل من أهمها النقص الشديد فى الدراســات العلميــة الميدانية حول موضوع الاحلام ، وكذلك اعتماد كثيرين من « معتادى » تفسير الاحلام على مداومة الاطلاع على المدونات الشهيرة فى هذا الصدد والاسترشاد بها فى تفسيرهم لما يعرضه الناس عليهم من أحلام • وعلى رأس هذه المدونات كتاب تعبير الرؤيا لابن سيرين ، وغــيره من أمهات الكتب فى هذا الموضوع •

كما يلاحظ القارىء فيما يتعلق بموضوع دلالات الاشياء التى تظهر فى الحلم أننا لم نستعرض كافة دلالات الاحــلام المختلفــة • ذلك أن محاولة كهذه تستغرق مجلدات بأكملها . ويخرج بعملنا هذا عن طبيعته • ولكننا أخــذنا بعض النمــاذج التى تمثلها ، والتى تعتبر أكثــر هــذه

الموضوعات شيوعا وأكثرها ترددا على ألسنة الناس ، والتى لن يجد الجامع أى مشقة فى السؤال عنها • ودون أن يعنى ذلك — كما أكدنا مرارا — أنه يمكن أن يقتصر على السؤال عن دلالات الاشياء والظواهر الوارد ذكرها هنا • كما أن بعض الدلالات يتم التعبير عنها بصورة أكثر تفصيلا واسهابا مما عرضناه هنا • وقد حال بيننا وبين الاستغراق فى عرض ذلك اعتبارات الحيز والطبيعة التى حددناها لهذا العمل •

وأشير أخيرا الى نقطة هامة ، وهى أن بعض موضوعات المعتقد الشعبى — ومن أبرزها الاحلام والسحر — ليست ملكا لكل الناس وانما هى الى حد ما تراث خاص لبعض الافراد الذين يشتهرون بها • ويكفى أن يتذكر القارىء ممارسة الطب الشعبى — على مستوى معين كالتجبير مثلا — أو تفسير الاحلام ، أو كتابة الاحجبة ، وعمل الوصفات السحرية • ولذلك يجب أن تستوفى أسئلة واستفسارات الاحلام — وخاصة دلالات الاشياء المختلفة التى تظهر فى الحلم — من الشخص الذى يشتهر فى القرية أو مجتمع الدراسة بقدرته على تفسير الاحلام ، سواء بسبب ما تعلمه عن أبيه أو قريب له ، أو حيازته لبعض كتب التفسير التى يلجأ اليها بين الحين والآخر •

١ — طبيعة الاحلام فى المعتقد الشعبى :

تفسير حدوث الحلم — الحلم المكروه أو الشرير — مظاهر دالة على أن الشيطان يسبب بعض الاحلام — الاحلام والزمن (الماضى — الحاضر — المستقبل) — المعنى الظاهر والباطن — التبشير والتنذير المستقبلى — التفسير بالقيض — تلاوة القرآن عند رؤية أشـــياء مكروهة فى الحلم — صفات توحى بتحقق الحلم — رموز الحلم والسلوك الواجب اتخاذه — تحكم الانسان فى نوعية حلمه — الطريقـــة المتبعة ليرى النائم النبى فى المنام — أهمية ترتيب الاشياء فى ظهورها فى الحلم — الافعــال اللازمة قبل النوم لرؤية مصير أحد الاموات •

٢ — الحـــالم :

المشهورون بالاحلام الصادقة — أشــخاص يحلمون كلما ناموا — وآخرون لا يحلمون ، وطبيعة كل نوع منهما الخاصة — اختلاف تفســير أحداث الحلم وفقا لمهنة الحالم أو مكانته أو حالته النفسية أو مناســبة معينة فى حياته — علاقة الرؤيا بطبيعة مزاج صاحبها — حكايات عن أناس تحقق كل ما رأوه فى أحلامهم •

٣ — المفسر :

شروطه — المشهورون منهم فى القرية — الاشخاص المحترفون — كراهية قص الرؤيا لاشخاص معينين — وفى أيام معينة — والتى يرى فيها الرائى شيئا طيبا — والرؤيا المكروهة •

٤ — صدق الرؤيا :

الاحلام الصادقة والزائفة — شروط الرؤيا الصادقة (الأدعية قبل النوم — صدق الحالم نفسه — وقت الحلم — الاشخاص والاشياء) — كلام الدواب والحيوانات عموما فى الاحلام — الاحلام المنذرة بالموت •

٥ ــ دلالات رؤية بعض الاشياء فى الحلم :

أصحاب المهن المختلفة ــ الاشياء التالية : الجنة ، النار ، السماء ، الكعبة ، القاضى ، الذبح ، قرص النمل ، الزواج بالميت ، القبر ، حمل النعش ، السباب ، الكذب ، الظلمة ، النور ، الضحك ، الجرح ، الفخار ، الحديد ، المشط ، الرقص والطبل : المفاتيح ، الحبس ، السكين ، الخبز ، المرض ، احياء الميت ، البول ، العمى ... الخ ــ الانبياء والصحابة والصالحون ــ دلالات : الصلاة ، قراءة سور القرآن ، رؤية المصحف ، الأذان ، الافطار العمدى ، ايتاء زكاة الفطر ، ايتاء زكاة المال ، امامة المرأة للرجال ، المرأة واعظة تذكر الناس ، الخروج الى الحج ، الكعبة دار الرائى ، الشرب من ماء زمزم . مسجد جديد عامر بالناس ، مسجد مهدم ــ الموت وما يتصل به ــ أجزاء من جسم الانسان : الرأس ، الوجه ، الأذن ، اليد اليمنى ، الساعدين ، انبساط الكف ، الصدر ، الظهر ، الكبد ، القلب ، (الشعر : غزارته ، تساقطه) ، الساق الحديدية ، العورة ، الاختتان ، الدم ــ كبر السن والشيب ــ المرض أو تشويه الجسد : الصداع ، الحمى ، الطاعون ، (الجرب : فى الفقراء ، فى الاغنياء) الحرب ، البرص والجرب والبتر فى الغير ، ارتعاش اليد اليمنى ، قرحة الكبد وقطعه ، وجع القلب ، واعتلاله ، وجع السرة ، فقء العين ، قطع الفخذ ، الدمامة ، الوسامة ، صفرة الوجه ، النمش فيه ، قطع أربعة أصابع ، الكتع ، شلل اليدين ، قطع طرف اللسان ، خلع الاسنان ، رميها باللسان ، سقوطها على الارض ، عضة الوحش أو حيوان ، الجنون ــ الجن والشيطان : رؤية الجن ، التحول الى جنى ، دخول الجن الى الدار ، وقوفهم قرب البيت ، تخويف الشيطان .

٦ ــ العناصر الطبيعية :

دلالة رؤية العناصر التالية فى الحلم : السماء ، النهار ، الصواعق ، الهواء ، السحاب ، النار ، النور ، الرعد ، الريح ، الليل ، المطر ، البرق ، الكواكب ، النجوم ، الشمس ، القمر ، الهلال ، الثريا ، الصعود الى

السماء أو الهبوط منها ، البناء فى الهواء ، الخروج من الظلمات الى النور ، الماء وأنواعه ، النهر ، البحر ، الارض ، الماء والطين ، الجبال ، المطر ، النار تأتى على بناء دون ما حوله ، الاشجار والثمار : (التمر — الرمان — النبق — العنب — التين — الزبيب — الثمار الخضراء — التفاح — المرو الحامض — البطيخ فى غير أوانه — الورد) — الحيوانات : أنواع مختلفة ، وأجزاء معينة منها — رؤية البهائم المكدودة ، الحمار ، الفرس — البقرة — الثور — الجاموس — البغل — الجمل (اقتياده — رعيه — امتلاكه) — النعجة — الكبش — العنز — التيس — القط — الارنب — الغزالة — الخنزير — الذئب — الثعلب — الاسد — القرد — الجرذ — الفيل — الضبع — الزرافة — الدب — السلحفاة — التمساح — الحية — الحرباء — الديك — الأوز — الحمام — الهدهد — الغراب — القمرية — الحدأة — البومة — الخفاش (الوطواط) — الطاووس — الاسماك — الضفدع — النمل — النحل — الذباب — البراغيث — البق — العنكبوت — العقرب — الجراد •

أصوات الطيور والحيوانات — كلام الطيور ، هديل الحمام — كلام الفرس — صهيل الفرس — نهيق الحمار — صوت الثور — صوت الجمل — زئير الاسد — صياح الجدى والكبش — الدلالة الحسنة والسيئة لبعض الاصوات — رؤية عملية بناء منزل — الحلم بالروث ، والجلوس عليه — جنى ثمرة من نخلة •

الغناء والرقص — رؤية الشخص لنفسه يزمر — الحلم لصوت الطبل ومعه صراخ وزمر ورقص — صوت الطبل ورؤية الرقص فى المنام — القتل (قتل ثعلب ، انسان ، النفس ، الجرح ، شرب دم انسان) •

التبول فى موضع مجهول — القيء فى المنام — البصق — معانقة العدو — مصافحة العدو لصاحب الرؤيا — الصياح المنفرد — الشاب التركى — البالغ — شاب أشقر — المرأة بأنواعها — رؤية الزوجة وقد حملت — حلم المرأة بكشف شعرها — الشخص الاسود — الاخصاء

(عند المسلمين وعند النصارى) — الضيافة — الزواج — حمل الطفل — السرير — الدار — الخيام — السفينة — الأسلحة (السيف — الدرع — القوس والتاج للحامل — الرمح) — الذهب — النقود — الجواهر — اللآلىء — الجمل .

أنواع من الاطعمة والمشروبات : السمك المشوى والمالح ، اللحوم ، بيعها ، اللحم الطرى — أكل لحم الدجاج والأوز — لحم البقر — أكل جدى مشوى — أكل لحم الابل ورأسها وجلدها — أكل لحم الثعلب — الأمعاء — الكبد — رأس الحيوان — تحول الرأس الى رأس أسد — أكل لحم انسان — اللحم النيىء — اللحم المطبوخ — أكل الخبز مع الجبن — أكل شيء مجهول الطعم — رؤية لبن بقرة — لبن الضأن والجاموس — لبن الذئب والكلب — ألبان الخنزير ، والاسود ، والحمير الوحشية — حلب الناقة وشرب لبنها — رؤية الزبد واللبن الرائب — شرب لبن الثعلب — الحلب — تحول اللبن الى دم — الشهد والعسل — هطول العسل من السماء — الزيت — ماء الورد — الشراب الاصفر — الخمر : الحلم بها ، وبشربها ، والندماء ، والسكر — شرب الخل .

الملابس : الاغتسال ولبس الثياب — أكل الثوب الجديد والقذر — الرداء الجديد الابيض — دنس الثوب — خلقان الثياب واتساخها — الثياب المنسوجة بالذهب والفضة — ثياب الكتان — القطن والكتان والحرير — الغزل والفتل — التاج — العقود — الجبة — خمار المرأة : سعته وبياضه — المناديل — قميص الرجل — تفتق القميص — من يمزق قميصه على نفسه — السراويل ولبسها : ولبسها بلا قميص ، ولبسها مقلوبا — لبس الخف : وضياعه ، وبيعه — خلع النعل .

الباب الرابع

دراسة الجن والكائنات فوق الطبيعية

الفصل الاول : تحليل تاريخى للمعتقدات الشعبية حول الجن .

الفصل الثانى : الدراسات السابقة عن الجن والكائنات فوق الطبيعية

الفصل الثالث : الجن والملائكة فى المعتقد الدينى

الفصل الرابع : الجن فى المعتقد السحرى الشعبى

الفصل الخامس : الجن فى المعتقد السحرى الرسمى

الفصل السادس : دليل مختصر للدراسة الميدانية للجن والكائنات فوق الطبيعية .

الباب الرابع

الجن والكائنات فوق الطبيعية

الفصل الأول

تحليل تاريخى للمعتقدات الشعبية حول الجن

سوف نحاول فى الصفحات التالية أن نتعقب التطور التاريخى للمعتقد الشعبى حول الجن والكائنات فوق الطبيعية ، لكى نلقى شيئا من الضوء على مصادره القديمة ، أو المؤثرات التى امتدت اليه من الثقافات الاخرى ، أو من بعض عصور الثقافة المصرية الغابرة • وأعتقد أننا لسنا بحاجة الى أن نؤكد أن هذا البحث التاريخى لا يمكن أن يكون شاملا ، ولا مستوفيا لكافة الاصول والمؤثرات التى ساهمت فى تشكيل الظواهر المدروسة • فان حدود هذا العرض مقيدة بمدى التقدم الذى أحرزته الدراسة التاريخية لهذا الموضوع • ثم ان اختيارنا للعناصر التى سنتناولها فى ضوء التحليل التاريخى لم يخضع لوجهة نظر معينة ، وانما هو محكوم أيضا بالوضع الراهن لدراسة التراث الشعبى المصرى •

١ ــ فكرة عامة عن المعتقدات الشعبية حول الجن :

ليست مهمة هذه الفقرة أن تفيض فى الحديث عن هذه الظاهرة الاعتقادية الغنية المتشعبة بتفاصيلها الوفيرة ، فسوف نعود الى ذلك مرة أخرى فى ثنايا هذا الباب • وان كان من الممكن أن نقدم هذه الطائفة من المعتقدات الدائرة حول الجن فى كلمات قليلة مختصرة ، لنكون معا أرضية مشتركة للموضوع ، قبل الدخول فى هذا التحليل التاريخى •

يفترض المعتقد الشعبى أن الجن أسبق خلقا من بنى آدم . وهى كائنات وسطى بين الانســان والملائكة ، مخلوقة من النــار . وتستطيع الجن أن تتشكل بأشكال كثيرة . فيمكن أن تأخذ شكل الآدميين ، والكلاب والحمير ، والقطط .. الخ . كما أنها تستطيع اخفاء نفســها عن أنظار البشر عندما تريد . ولكنها مع ذلك تأكل وتشرب ، وتحمل ، وتلد كالبشر، بل انها تموت ، لكن بعد حياة بضع مئات من السنين .

أما عن أماكن اقامة الجن أو تواجدهم فنــرى أنه لمــا كانت الجن مخلوقة من النار ، كان من الطبيعى أن تفضل النار كأماكن لتواجدها . الا أن المقر الرئيسى لتواجد الجن فى رأى المعتقد الشعبى المصرى ليس هو النار ، وانما الارض . فالجن يعيشون عادة تحت الارض . ولمــا كانت الجان تعيش تحت الارض أساسا ، أصبح من المعقول أن تعتبر الناس الآبار ، والكهوف ، والاماكن الخربة من الاماكن التى يكثر تواجد الجن فيها ، اذ أنها تعتبر الى حد ما منافذ الى العالم السفلى . كما أنهم يقطنون البلاد البعيدة ، وفيها عادة تكون ممالكهم . وتظهر الجن فى جميع الاماكن المهجورة أو غير المطروقة : كالطرق الزراعيــة ، وفى الصحراء ، والبيوت الخربة ، والأنهار ، والحمامات . كذلك توجد كثيرا فى الاماكن النجسة « كالحمامات والحوش والمزابل والمقامين والمقــابر » . أما عن أماكن تواجدهم داخل البيت فتفضل الفرن والمرحاض ... كذلك تعتبر المقابر الفرعونية والاماكن المظلمة داخل المقابر القديمة مأوى للجان .

أما عن اللغات التى يتكلمها الجن فهناك كثير من الشواهد على أنهم يتكلمون لغات غير مفهومة أو معروفة لنا ، ومع ذلك تنقل لنا كتب التراث عنهم كلاما وحوارا كثيرا باللغة العربية .

ومن خصائصهم أيضا القدرة على قطع المسافات الطويلة فى زمن قصير ، هذا علاوة على عدد لا يكاد يقع تحت حصر من الصــفات التى يمكن أن تطيل هذه القائمة بلا حدود .

أما عن أنواع الجن فان السؤال الذى يتبادر الى الذهن : هل هذه أنواع حقا ، أى مختلفة نوعا ، أم أنهـا مجرد تسميات مختلفـة لشىء واحد ؟ وقد حسمنا هذه المشكلة بأننا يمكن أن نعتبرها جميعا نوعا واحدا من حيث هى مخلوقات غيبية ، غير مادية . من طبقة غير طبقة البشر، وغير طبقة الملائكة وأنها علي خلاف الملائكة مثلا — التى تحيا فى تسبيح ربهـا وتنفيذ أوامره — ذات صلة أوثق بحياة الناس ورابطة أقوى بجوانب حياتهم المختلفة ، من هذه الناحيـة يمكن أن تعتبر هـذه الانواع نوعا واحدا • لكننا يمكن كذلك — واذا أردنا تحرى الدقة — أن نعتبر هـذه المسميات المختلفة دلالة على أنواع مختلفة ، من حيث ان لكل واحد منها بعض الخصائص الاساسية التى تميزه عن غيره • فالغول يتخـذ عادة شكلا أو أشكالا خاصـة به ، ولا يمكن أن نطلق على اسـم الروح أو « السيد » الذى يلبس المريض فى الزار اسم غول ، ولا شيطان • كمـا لا يمكن أن نقول ان المارد يسكن معنا فى المنزل أو فى مكان ما منه •

أما العلاقة بين الجن وبنى الانسان ، فاذا تساءلنا عمـا اذا كانت هذه العلاقة تسير فى اتجاه واحـد : الايذاء والاضرار ، أم المسـاعدة والتيسير ؟ فسوف نجد أن العلاقة تتضمن فى الحقيقة هـذه الجـوانب جميعا ، ويتوقف ذلك فى كل حالة على موقف الناس منها: اجابتهم لمطالبها، مراعاتهم لحقوقها وخصائصها من ناحية ، وعلى طبيعة هذه المخلوقات فوق الطبيعية من ناحية أخرى • اذ أن بعضها جبل على الاضرار ، بل ان وسالته الاولى الايقـاع ببنى الانسـان ، وانزال الكوارث بهم أينمـا وجدوا ، ومهما كان سلوكهم • وسـوف نزيد كل هـذه الامـور ايضاحا فيما بعد •

٢ — الجن والارواح فى المعتقد البابلى والآشورى :

من المهم أن نوضح من البداية أن لدينا اليوم كما هائلا من الوثائق التى تكشف عن المعتقدات البابلية والآشورية المتعلقة بالجن والارواح • والسبب فى ذلك يرجع الى طبيعة موقع هـذا المعتقد من النسـق الدينى

التام • لذلك نجد المؤلفات والوثائق الدينية البابلية والآشورية مليئة بمعلومات عن الجن والارواح ، ويصدق هذا الحكم بشكل أخص — بطبيعة الحال — على النصوص السحرية التى وصلتنا عن هاتين الحضارتين • وهى جميعها نصوص موغلة فى القدم ، من الواضح أن أصحابها كانوا يجلونها ويحفظونها فى منزلة عزيزة عليهم ، ويحتفظون بها فى مكتباتهم •

والجن والارواح فى المعتقد البابلى والآشورى أيضا عبارة عن كائنات وسيطة بين مستوى الآلهة الرفيع ومستوى البشر • وهى كائنات غامضة تحوطها الأسرار ويصعب وصفها وصفا دقيقا • ومن هنا نجد أنها لا تظهر فى الغالب بنفسها بصورة مشخصة بقدر ما تظهر بما تحدثه من مؤثرات ملموسة للبشر • وتعتبر هذه الارواح فى بعض الاحيان أبناء للاله أنو Anu ، وأحيانا أخرى تنسب الى ايا Ea ، وأحيانا الى نيرجال Nergal ولكنها فى الغالب ، أيا كان نسبها أو قرابتها الروحية ، عبارة عن رسل الآلهة[1] •

وأغلب هذه الارواح كانت كائنات شريرة • فالارواح الخيرة قليلة نسبيا • ولكن الطريف أن هذه الارواح الطيبة قليلة الفائدة ضعيفة الوزن بسبب وجود الآلهة ، الذين يمثلون قوة كافية لموازنة الارواح الشريرة والتصدى لها • وكذلك نجد فى النصوص الدينية الشخص يدعو الآلهة الكبار أن يوقفوا الافعال الشريرة التى يأتيها أتباعهم من الجن (أو الارواح) ولا يعد هؤلاء الآلهة مسئولين عن تلك الافعال الشريرة • كذلك نلاحظ أن الاعمال السحرية لا توجه أبدا ضد الآلهة ، وانما ضد تلك الارواح • وحتى لو كانت بعض تلك الآلهة قاسية وشريرة كالاله نيرجال — على سبيل المثال — فان السحر لا يوجه ضدها ، أو السحر

---

(١) انظر تسبندن ، المرجع السابق ، ص ١٠٣ ، وخاصة المراجع الوارد ذكرها فى الحاشية رقم (١) على تلك الصفحة ، حيث يورد المؤلف عديدا من المؤلفات والنصوص التى غطت هذا الموضوع •

الرسمى على الاقل • والاعتقاد الكامن وراء ذلك هو استسلام الانسان أمام ارادة الله ، فاذا حكم الاله عليه بأى ضرر فعليه أن يتقبله راضيا •

وأهم الارواح الطيبة روحان هما لاماسو Lamassu وشيدو Shedu • ولو أن الاسم الثانى يمكن فى بعض الاحيان أن يطلق على أحد الارواح الشريرة • ولكن فى هذه الحالة يعدل اسمه فيصبح «شيدوليمنو» Shedu Limnu (أى الروح الشرير) • وقد كان هذان الروحان الطيبان فى الاصل أرواحا حارسة للبيوت (أى تعادل مفهوم العمار فى السحر المصرى الاسلامى)(٢) ؛ ثم تطورت فيما بعد وأصبحت أرواحا حارسة بصفة عامة• فنجدهما مثلا يحرسان الآلهة « عشتار » Ishtar فى رحلاتها• وقد بين رسل الآلهة بعض الارواح الخيرة الاخرى ، ولكن الملاحظ أن كل الارواح الطيبة عبارة عن كائنات خليط من البشر والحيوانات(٣)• ويستخدم السحرة الارواح عادة لمقاومة الارواح الشريرة والقضاء على تأثيرها الضار(٤) •

وهذه النقطة وثيقة الشبه بالمعتقد الموجود فى السحر الاسلامى : فالجن الطيبة — التى لا تلعب سوى دور ضئيل فى المعتقد السحرى الشعبى (غير الرسمى) نجدها تمثل مكانة هامة فى المعتقد السحرى الرسمى ، حيث يستعين بها السحرة لمقاومة الجن الشريرة(٥) ، ونجدها

---

(٢) العمار مفهوم شائع فى السحر الاسلامى المصرى الرسمى ، تقوم بسكنى المنزل وحمايته ، ولا يستطيع الساحر ان يستدعى روحا معينا الا بعد استئذانها أو ابعادها لحين انهاء العمل ، انظر محمد الجوهرى فى استخدام اسماء الله فى السحر ... ، مرجع سابق . كذلك احمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد المصرية ، مرجع سابق .

(٣) قارن ذلك مع مفهوم انسان الماء ، او جنية البحر او الجنى الذى يتشكل على هيئة انسان له قدمان مشقوقتان كأقدام الماعز وغير ذلك ، قارن محمد الجوهرى ، الجن فى المعتقد الشعبى المصرى ، مرجع سابق .

(٤) انظر حول هذا الموضوع .

Conteanu; G; La Magie chez les Assyriens et Les Babyloniens; Paris; 1948; pp. 80 ff.

وكذلك تسبندن ، المرجع السابق ، ص ١٠٤ .

(٥) تؤكد لنا تلك النقطة التميز الذى سبق ان اوضحناه بين السحر الرسمى والسحر الشعبى . انظر مقالنا الذى يحمل هذا العنوان ، والمنشور فى المجلة الاجتماعية القومية ، عدد مايو ١٩٧٠ .

تلعب دورا متميـزا فى حكايات « ألف ليلة وليلة » ، حيث تقـوم بدور الروح الحارس للبطل ، وتخلصه من المواقف الصـعبة والمآزق الحرجة والمخاطر بصفة عامة(٦) •

ويصنف المعتقد الشعبى البابلى الارواح الكثيرة الى أصـناف أو مراتب معينة ، وهى أسماء لا تدل على الانواع ، وانما تدل على اسـم الروح الذى كان يسودها أو يوجهها (أو يحكمها) فى الاصل • ويبلغ عدد هذه المراتب سبعة مراتب فى العادة • ولذلك نجد أدعية وتعاويذ كثيرة ضد « السبعة » ومعروف جيدا شـيوع مصطلح « ملوك الجن السبعة » فى الكتابات السحرية الاسلامية المعاصرة • وان كانت أسماء هؤلاء الملوك فى الكتابات السحرية البابلية تزيد فى العادة على سبعة ، لو حاولنا احصاءها بدقة(٧) •

ومن هـؤلاء الملوك السبعة الروح « ألو » Alu أو آلا A-LA وهو عبارة عن شخص مختلط الملامح ليس له فم ولا شـفاه ولا أذنان ، يسير فى الشوارع ليلا لكى يقلق نوم الناس ويزعج السائرين ويخيفهم • وهو يفضل المعيشة فى الخرائب والبيوت المهجورة ، وهى صورة معروفة جيدا عن الجن فى المعتقد الاسلامى أما « أشاكو » فيعمل على نقل الأوبئة ونشرها بين الناس كما يفعل بعض الجن أيضا • ومنهم أيضـا الروح « اتيمو » Ettimmo ، وهو الاسم الذى يطلق على أرواح الموتى ، الذين يعيشون فى العالم الآخر حياة قلقة غير راضية ، لانهم ماتوا فى حادث ،

---

(٦) انظر حول هذا الموضوع سهير القلماوى ، الف ليلة وليلة ، القاهرة ، دار المعارف (مكتبة الدراسات الادبية — ٦) •

(٧) وتنطبق نفس هذه الملاحظة على عدد الاسماء الحسنى فى الكتابات السحرية الشعبية الاسلامية . فهى تقدم على انها تسـعة وتسعون اسـما ، ولكننا لو عددنا مجمل عدد الاسماء التى يحصرها اى كتاب او مؤلف لوجدناها تزيد على ذلك بكثير ، بحيث لا يعنى هـذا الرقم سـوى مجـرد رمز للكثرة العددية . انظر محمد الجوهرى ، استخدام اسماء الله فى السـحر ، مرجع سابق .

أو ماتوا غيلة على نحو آخر • وهى صورة تذكرنا كثيرا بأرواح الموتى فى المعتقد الشعبى المصرى المعاصر(٨) •

ومن الارواح ذات الدور البارز « لاماشتو » Lamashto وهى كائن خرافى يتخذ هيئة متوحشة له رأس أسد وجسم أنثى ؛ تمسك فى كل يد من يديها ثعبانا • ووظيفتها الاساسية أن تهاجم النساء الواضعات حديثا كى تسرق منهن المواليد الجدد • ويورد كونتنو Contenau نصا سحريا عن لاماشتو جاء فيه : « •• انها تتسلل من خلال النافذة ؛ زاحفة كالحية ، وتدخل البيت ثم تغادره وهى تقول: أعطونى أطفالكم أرضعهم، وأعطونى بناتكم أحافظ عليهن• اننى أريد أن أرضع بناتكم الصغار من ثديى »(٩) •

ولعل الشبه بين هذه الشخصية وشخصية القرينة الشائعة فى المعتقد الشعبى فى مصر ؛ وسوريا ، وفلسطين ، وشـمال أفريقيا واضـح كل الوضوح • ومع أن تسبندن يؤكد أن شخصية القرينة المصرية لها أصول ولها نشأة مستقلة (يعنى مصرية فرعونية) ، الا أنه لا يمنع أنه قد حدث على أرض مصر امتزاج بين المؤثرات الثقافية الببلية القديمة والمصرية القديمة •

ثم هناك ملاحظة أخرى على صورة الجن فى المعتقد البابلى القديم ، مؤداها أن الجنية الانثى تمثل شخصية متطورة واضحة المعالم تلعب دورا بارزا ، ويرد ذكرها فى مناسبات عدة ، وهى بذلك تقترب كثيرا لشخصية السعلاة كما نعرفها فى التراث السحرى الاسـلامى المصرى ، والعربى عموما •

---

(٨) انظر حديثنا عن أرواح الموتى بوصـفها نوعا من أنـواع الجن فى المعتقد الشعبى ، فى مقالنا الذى سـلفت الاشـارة اليه ؛ ص ١٠٨ وكذلك المراجع الواردة هناك •

(٩) انظر كونتنو ، السحر عند الآشوريين والبابليين • مرجع سابق ، ص ٩٦ ، وكذلك تسبندن ، المرجع السابق ، ص ١٠٥ •

كذلك شخصية الجن الطيارة المعروفة فى السحر المصرى نعرفها بوضوح تام ، وتؤدى نفس الدور فى المعتقد البابلى، فى صورة «بازوزو» Patuzu ملك أرواح الرياح الشريرة .

ونجد عموما أن الجن والارواح الشريرة فى المعتقد البابلى تسبب للبشر الكوارث ، والحمى ، والطاعون ، والمرض بأنواعه . كما تسبب المضايقات اليومية الصغيرة : كالصداع ، والخلاف بين الزوجين أو أفراد الاسرة الواحدة ، والسقوط المفاجىء على الارض (الانكفاء) . ولكن دورها البارز المؤكد يبدوا بكل جلاء فى اثارة الحب ، والكراهية ، والغيرة، وهى لا تقتصر على مضايقة بنى الانسان ، وانما تمتد آثارها وألاعيبها الشريرة الى الحيوانات أيضا .

فى الوقت الذى تشير فيه النصوص الدينية السحرية البابلية القديمة الى مضايقة الارواح الشريرة للآلهة الكبار نفسها ، لا نجد لمثل هذا المعتقد أثرا فى المعتقد الشعبى الاسلامى ، الذى قضى فيه الحس الوجدانى الصارم على أى معتقد من هذا النوع ، لان الشقة بين الله ومخلوقاته أكبر من أن تتعرض لعلاقات من هذا النوع .

أما عن الصور التى تتشكل بها الارواح البابلية والآشورية فهى عديدة متنوعة ، فقد تتخذ فى بعض الاحيان صورا حيوانية ، أو انسانية ، أو وحشية غريبة ، أو مختلطة من عناصر متنوعة فى نفس الوقت . ولكن أشهر الصور التى تتشكل فيها هى صور : الثيران ، والفهود ، والحيات ، والعقارب ، وبعض أنواع الطيور . وهى نقطة شديدة الشبه بما نعرفه عن الجن فى المعتقد الشعبى المصرى المعاصر .

أما عن الطعام المفضل عند تلك الكائنات البابلية فهو الدم (خاصة الدم البشرى) ، وهو ما نعرفه عن الجن أيضا .

والوسيلة الناجعة لمقاومة مثل هذه الكائنات هى السحر، أو الوسائل فوق الطبيعية عموما . ولهذا لا نعجب عندما نجد السحر يمثل مكانة

فائقة الاهمية فى النسق الفكرى عموما ، والنسق الدينى بوجه خاص . عند البابليين القدماء . ولما كان التراث السحرى البابلى قد انتقل الى العرب المسلمين عموما فلا نفاجأ عندما نرى التراث الاسلامى يشير الى أن السحر قد ظهر فى بابل أول الامر . فبابل هى فى تراثنا الرسمى والشعبى « أرض السحر » .

ومن العناصر المضادة بطبيعتها لتلك الارواح ، ومن ثم تستخدم فى مقاومتها والتغلب عليها ، نجد الماء يلعب دورا خاصا عند البابليين . أما النار فلا يرد لها ذكر عند البابليين كمادة صنع منها هؤلاء الارواح أو يقيمون فيها أساسا . ذلك أن النار عند البابليين هى عنصر مقدس وطاهر . بل ان آلهة النار هى خير معين للساحر لمقاومة تلك الارواح واحكام سيطرته عليها . ولهذا السبب كان السحرة فى بابل يستخدمون دائما النار والبخور ضد هذه المخلوقات . فاذا وجدنا السحرة المصريين المسلمين اليوم يفعلون نفس الشيء لنفس الغرض (أى يستخدمون النار والبخور لطرد الارواح الشريرة) ، فانهم فى الحقيقة يفعلون ذلك ضد التصور الاسلامى الرسمى الذى يرى أن الجن قد خلقت من نار ، وأن النار تعتبر لذلك عنصرا شيطانيا ، غير طاهر فى ذاته .

أما معرفة اسم الجن أو الروح الذى يضر بالانسان فيعد وسيلة فعالة للسيطرة عليه وقهره بهذا الاسم ، وهو معتقد راسخ عند البابليين كما هو عند السحرة المسلمين سواء . وهو أمر فصلنا فيه القول فى رسالتنا التى انصبت أساسا على استخدام أسماء الله فى السحر ، والتى قدمنا لها بفصل عن أهمية الاسماء عموما فى المعتقد الشعبى على مستوى العالم ، وفى المجتمع العربى المسلم[١٠] .

---

(١٠) يمثل الاسم فى جميع الثقافات الشعبية قوة خاصة . وهو مرتبط بشخصية صاحبه بواسطة قوة روحية . فمن يتحكم فى اسم انسان بواسطة عمليات سحرية ، فانه بذلك يسيطر على نفسه . وقد لعبت هذه الخاصية =

ولا تقتصر الممارسة السحرية الموجهة ضد هذه الارواح أو الساعية الى استخدامها . لا تقتصر على الادعيـة والكلمات والبخور ، ولكنها تتضمن كذلك عديدا من الممارسات والاساليب الفنية والعمليات الدقيقة التى تستخدم فيها النباتات ، والمعادن ، والشموع .. الخ . وكلها أمور نعرفها بتفاصيلها فى المعتقد السحرى المصرى[١١] . ومن أبرز تلك الممارسات أيضا استخدام العقد ، ووضع الاحجار عند رأس المصاب (الممسوس) وعند قدميه .. الخ .

أما التمائم (أو الحمائل) أو الأحجبة المكتوب عليها بعض النصوص

= السحرية للاسم — ومازالت تلعب — دورا شديد الاهمية فى الحياة الروحية لجميع الشعوب وفى جميع العصور . وبوسعنا أن نورد كثيرا من الشواهد والامثلة التى توضح لنا أننا هنا بصدد ظاهرة انسانية عامة . ونظرا لان الشياطين والاشرار يمكن ان يسيئوا استخدام الاسم ويستغلوه فى الاضرار بصاحبه ، فان الانسان يهتم اكبر الاهتمام اما باختيار اسم يطرد الارواح الشريرة بسبب قبحه ، أو اخفاء الاسم الحقيقى عن الناس . ويندرج تحت الاسلوب الاول العادة المنتشرة لدى كثير من الشعوب والخاصة بتغيير الاسم فى حالات الخطر لتضليل الارواح الشريرة ، كأرواح المرض مثلا . ولازالت هناك عادة منتشرة فى مصر حتى الآن مؤداها ان يمنح الوالدان اللذان توفى لهما أطفال كثيرون ولدهما الجديد اسما قبيحا . كما يحدث أحيانا أخرى أن تمنح الاسرة الولد الجديد اسم أحد الاسلاف أو الاقارب الذى عمر طويلا « كى يعمر مثله » . ومن الممارسات الاخرى الواسعة الانتشار فرض الحظر (التابو) على أسماء الموتى ، والامراض الخطيرة كالسل والسرطان فيكنى عنها بأسماء أخرى .

ويصدق هذا ايضا على السحر الاسلامى الذى تلعب فيه الاسماء — سواء كانت أسماء الهية ، أو غير ذلك — الدور الاساسى . ويعتبر ميدان علم الاسماء هنا تتويجا للميادين الاخرى : كعلم الحرف ، وعلم الخواتم والاشكال ، والمربعات ، والتنجيم وغير ذلك . فهى تعتبر جميعا ذات أهمية ثانوية بالنسبة لهذا « العلم » .

(١١) وقد افردنا فى دراستنا المشار اليها عن استخدام أسماء الله فى السحر ، التى سبقت الاشارة اليها : فصلا كاملا لدراسة قواعد الممارسة السحرية واركانها بالاستناد الى كتب التراث السحرى والى الممارسة اليومية للسحرة الذين تناولناهم فى دراستنا الميدانية ، انظر . المرجع المشار اليه ، الفصل الثانى من الباب الاول ، ص ص ٧٢ — ٩٠ . وكذلك ملحق باب السحر فى هذا الكتاب الذى يتضمن تقرير الدراسة الميدانية لبعض المشتغلين بالسحر فى بعض المحافظات المصرية .

السحرية التي تستهدف تحصين الشخص ضد اصابات الارواح وتعرضها له فهي موجودة بكثير من تفاصيلها عند البابليين ، قريبة قربا مشيرا من نظائرها عند المسلمين المعاصرين ولا يقتصر تعليق تلك الأحجبة على جسم الانسان (خاصة حول رقبته ، وعلى رأسه ، وعلى ساعده ... الخ .) ، وانما تعلق كذلك على المبانى ، والدواب ، والاشياء الثمينة (كالسيارات حديثا ، أو العربات قديما) .. الخ[١٢] .

٣ ـ الجن والارواح فى المعتقد المصرى القديم (الفرعونى) :

يبدو تأثير المعتقدات المصرية القديمة على الاعتقاد فى الجن فى المجتمع المصرى المعاصر أوضح ما يكون فى ادخال أرواح الموتى ضمن أنواع الجن. وقد أشار تسبندن بوضوح الى أن الثقافة العربية الجاهلية لم تكن تعرف الاعتقاد فى أرواح الموتى ، كما لم يشر اليه المعتقد الاسلامى الرسمى من بعيد أو من قريب[١٣] ، بل اننا لا نعثر فى القرآن الكريم على دليل واحد يشير الى أن الجن يعيشون تحت الارض . وانما الأرجح أنهم يعيشون فوق الارض وفى الفضاء الخارجى حتى السماء. أما الدين المصرى القديم فلم يكن يخشى شيئا قدر خشيته لارواح الموتى ورهبته منهم . فهى مصدر كل الشرور التى تصيب الانسان . ويحدث أن يغادر بعض الموتى

---

(١٢) انظر تسبندن ، المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(١٣) ليس المقصود طبعا مصير روح الميت او شيء من هذا القبيل . ولكن المقصود ـ كما اوضحنا فى مقالنا عن الجن ـ الدور الذى تلعبه روح الميت فى نظر المعتقد الشعبى وعلاقتها بالاحياء ، ونظرتهم اليها ... الخ . فالمعتقد الشعبى لا يستخدم الاسم كما هو هنا . وانما يطلق على روح الميت اسم عفريت ، خاصة روح الشخص الذى مات مقتولا ... وهى لا تعرف باسم عفريت الا اذا تعرضت للناس بعد دفن الجثة . كما لا يطلق اسم عفريت على روح الولى مثلا اذا ما تبدت للناس فى صورة من الصور بعد دفنه . كما أن روح الرجل الطيب اذا ظهرت فى المنام لاحد الاحياء لا يقال لها عفريتا ، بل روح ... الخ . فاسم العفريت مرتبط بمدلول غير طيب او غير محبب على الاقل . كما ننوه الى أن هذا المفهوم الخاص المحدد للعفريت يختلف عن مفهوم العفريت كما ورد فى القرآن الكريم . انظر : محمد الجوهرى ، الجن فى المعتقد الشعبى المصرى ، مرجع سابق ، ص ١٠٨ .

الأشرار — بعد دفنهم — قبورهم كى يعيثوا فى الارض فسادا ويصبوا أذاهم على الناس • وهم الذين ينقلون الى الاحياء المرض • ويشـــير ارمان Ermann الى أن المؤلفات الطبية الفرعونية كانت تعتبر الموتى هم أصل كل مرض وسببه(١٤) •

وتروى بعض النصوص المصرية القديمة حكاية الأم التى ترى شبح امرأة داخلا الى غرفتها ليلا كى يؤذى طفلها الوليد • ولكنها تسرع بتلاوة احدى الصيغ السحرية التى تحول بها بين هذا الشبح وبين ايقاع السوء بابنها(١٥) • ويتضح لنا من نص هذا الدعاء أننا بصدد شخصية فرعونية تعتبر أصـــلا لشخصية القرينـــة التى يعرفها المعتقد الشـــعبى المصرى المعاصر • وان كان يتضح كذلك من نفس النص أن القرينـــة الفرعونية ليست فى الحقيقة سوى روح من أرواح الموتى ، ولكننا نعرف أن شخصية القرين والقرينة اليوم تحمل كذلك معنى الروح الملازم للانسان لا يفارقه لحظة فى نوم أو يقظة • وفكرة الملازمة هذه تذكرنا على الفور بمفهـوم الكا Ka عند المصرين القدماء • وتحفـــل الآثار الفرعونية بالكثـــير من الرسوم والشواهد المختلفة التى توضح بجلاء كيف أن الانسان وقرينه (الكا) كانا يسلكان نفس السلوك ويأتيان نفس الافعـــال ويلقيان نفس

---

(١٤) Ermann; Ad; La Religion des Egyptiens; Paris; 1937. p. 349.

(١٥) أورد تسبندن النص التالى نقلا عن ارمان :

« أبعد سريعا من هنا ايها الآتى من الظلمات المتسلل خفية ، يا من انفك خلف راسك ، ونظراتك تتجه الى الوراء . وليخفق مسعاك . اجئت كى تحتضن هذا الطفل ؟ اننى لن اسمح لك ان تقبله . التقتله بهذه القبلة ؟ اننى لن اسمح بذلك . التلحق به الاذى ؟ اننى لن أسمح لك بان تأخذه بعيدا عنى ، لن اسمح لك . لقد حصنته ضدك باعشاب ... المزوجة بالبصـــل — الذى يؤذيك ويؤلمك — وبالعسل الذى يجـــده الحى حلوا المـــذاق ، ويجـــده الميت مرا ... » . نقلا عن :

Ermann; Ad; Zauberspruche fur Mutter und Kind; Berlin; 1951; pp. 11 f.

وكذلك بلاكمان ، فلاحو الصعيد

Blackmann; W. S; The Fellahin of Upper Egypt; London; 1928.

المصير • ومن الاشياء التى يبدو فيها الطابع المصرى الاصيل جليا بصورة مذهلة اعتقاد الانسان الشعبى اليوم أن للحيـوان قرين (كا) أيضـا ، أولها عفريت كما للانسان قرين أو عفريت • وتدلنا الملاحظة المدققة لهذه النقطة ، ولمعتقدات أخرى كثيرة ، على عمق الصـلة النفسية بين فلاحى مصر المعاصرين وأجدادهم الفراعنة ، وتبدو هـذه الحقيقة بكل جـلاء وموضوعية فى كتابات العديد من الباحثين الذين اتخذوا من اثبات هـذه الصلة والكشف عنها محورا لدراسـاتهم • وان كان لنا ملاحظات عديدة على سلامة الاستنتاجات عند نفر من هؤلاء الباحثين ، أو على مدى التأنى فى ترتيب بعض الحقائق على بعضها ، الا أن الخط العـام مع ذلك ثابت وأكيد ولا غبار عليه على الاطلاق •

ويزيد تسبندن — نقلا عن فيديمان Wiedemann — هذه الحقيقـة وضوحا عندما يسوق مثلا آخر على « تمصير » المعتقـد الشعبى حـول الجن • اذ يعتقد المصرى المعاصر أن أرواح الماء أو جنية البحر أو عفريت الماء ليست فى حقيقتها سوى عفاريت أفراد غرقى • فهى ليسـت أرواحا طبيعية ، كما نجد ذلك فى مناطق ثقافية أخرى غـير مصرية ، وانمـا هى أرواح موتى وحسب[١٦] •

وإذا كان الانسان المصرى الذى يعيش اليوم يعتقد أنه كان يعيش على الارض قبل الانسان نوع من المخلوقات — ربما جن أو أرواح — فهو أمر يذكرنا بكل وضوح بالمعتقد المصرى القديم الذى يتصـور أنه قد مر بهذا العالم عصر — سابق على ظهور الانسان — كانت فيه الآلهة تعيش على الارض • وكانت تلك الآلهة تعيش فى حيوية ومرح ، تشرب ، وتمرض ،

---

(١٦) ويحكى فيديمان قصة ترجع الى عصر الدولة الوسطى تظهر فيها عفريتة من الماء ، ويبدو فيها هذا المعتقد بشكل واضح ، كما نعرفه نحن أيضا عن الواقع المصرى الحى . انظر :

Wiedemann; A; Magie und Zauberei in Agypten. Der Alte Orient; Heft VI; Nr. 4; P. 19 f. und Die Toten und ihre Reiche im Glauben Der alten Agypter; Der Alte Orient; 1902.

وتصح ، وينقلب مصيرها ، وتتنوع أحوالها على النحو الذى تحكيه أساطير الآلهة المقدسة • ولن يتسع المقام لان نسرد بعض تلك الحكايات التى تمثل ولا شك خلفية ثقافية عامة لحكايات الجن التى تتداول اليوم على اللسان الشعبى المصرى(١٧) • ولكننا نخلص منهـا على أى حال الى أن آلهـة المصريين القدماء هذه قد تحولت الى جن فى المعتقد الشعبى بعـد ذلك • وهناك أمثلة واضحة ومدروسة تجسد هذه الحقيقة تجسدا حيا منها الآلهة المصرية التى كانت تتخذ شكل الحية ، والتى ظلت متوارثة فى شـخصية الجنية الحية أو الحية الجنية التى تحرس بعض أحياء القاهرة ، أو الشيخ هريدى بحيته القادرة على شفاء المرضى واتيان المعجزات •• وكثـير من الصور التى تتجسد فيها الجان فى صورة الحية(١٨) • بـل اننا نطالع فى أحد النصوص الفرعونية التى ترجع الى عصر الدولة الحديثة أن أرواح كل الآلهة تسكن أجساد الحيات ، وأن الحية هى الصورة الارضية للاله الاكبر أتوم 'Atum • كما أن فكرة الكنز الذى تحرسه بعض الحيات — الآلهة أو الارواح — هى فكرة مصرية قديمة أيضا(١٩) •

أما فكرة تجسد الجن فى أجسام الحيـوانات المختلفة فتذكرنا هى الاخرى بالتأثير المصرى الواضح • حيث ان بعض كبـار الآلهة المصرية القديمة تتجسد كما نعلم فى أجسام حيوانات ، كالاله بتاح الذى يتجسد فى العجل أبيس ، والاله أوزوريس الذى يتجسد فى صورة تيس • والاله باستت الذى يتجسد فى هيئة قطة • والاله سيت فى صـورة الحمار أو الخنزير فى بعض الاحيان • ولكن المثير للاهتمام فعلا أن نجد علاوة على هذا بعض الادعية والصيغ السحرية المصرية القديمة الموجهة ضد بعض

---

(١٧) انظر : تستندن ، المرجع السـابق ، ص ١١٢ وكذلك المراجـع الواردة هناك .

(١٨) انظر تفاصيل مسرحية عن ذلك عند كريس ، المرجع السـابق ، وكذلك عند تسبندن ، المرجع السابق . وقـد كتب كريس عن زيارته لمقبرة الشيخ هريدى ونقل فى هذا الصدد كثيرا من الصور المفيدة .

(١٩) حيث جاء فى هذا النص ان كتاب السحر الخاص بالاله توت Thot كانت تحرسه الحيات والعقارب .

الحيوانات المفترسة التى تتجسد فيها بعض الشياطين والارواح الشريرة، التى يمكن أن تلحق الأذى بالانسان •

كما كان المعتقد المصرى القديم يرى أنه من الممكن قتل هذه الروح ، أى طردها من هذه الحياة الدنيا الى الحياة الآخرة • عن طريق قتل هذا الحيوان الذى تتجسد فيه • ونتذكر هنا حكايات ألف ليلة وليلة التى كان يحدث فيها غالبا أن يقتل الجن فى أثناء تجسدها فى هيئة الحيوانات •

وكان المصريون القدماء يعتقدون أنه من الممكن قتل الاله ، اذ ما دخل الى احدى الاوانى عن طريق تحطيم هذا الاناء • ونحن نعرف حرص الساحر المصرى على التحايل على العفريت حتى يتمكن منه ويأمره بالدخول الى « القلة » • وبذلك يستطيع قتله عن طريق تحطيم القلة •

ومن أوجه الشبه اللافتة للنظر بين المعتقد الدينى المصرى القديم ، والمعتقد الشعبى المعاصر عن الجن — تلك الاشارة الى ملك الجن الاحمر ، أو « الاحمر » فقطالذى يعد أحد ملوك الجن السبعة ، والذى يأتمر بأمره نفر كبير من الجن الاحمر الذين يعدون أشر أنواع الجن ، وأكثرهم أذى، وأشدهم خطرا • حيث نعرف أن اللون الاحمر فى الدين المصرى القديم كان لون الاله سيت ، ومن ثم كان اللون الاحمر رمزا لكل شر ولكل خبيث • كما أن الاله سيت كان حاكما على حشد من الآلهة الاصغر من لونه ومن طبيعته ، وهى نفس الصورة التى نجدها فى ملك الجن الاحمر الذى يحكم قبائل الجن الاحمر ، كما تدلنا كتب السحر المصرى المتداولة اليوم ، وكما تؤيد ذلك المعتقدات السحرية الشعبية المتداولة على ألسنة الناس •

أما فكرة سرقة الجن للمأكولات ، وحرص الناس على تغطيتها ، وتلاوة بعض آيات القرآن عليها لحفظها من سرقة الجن ، فهى بدورها ذات جذور مصرية قديمة • ذلك أن الآلهة وأرواح الموتى الفرعونية التى تحرم من القرابين كانت تضطر الى محاولة سرقة أكلها من أكل بنى الانسان •

أما عن أساليب التصدى للجن ومقـاومة تأثيرهم الضـار أو تجنب شرورهم التى يستخدمها السحرة والاولياء أساسا فكثير منها موجـود بتفاصيله فى مصر القديمة ، من هذا مثلا اعتماد الساحر على تسخير بعض الارواح (أو ملوك الجن) لطرد الجان (أو الارواح التى تسكن جسم مريض أو تتشكل له وتؤذيه) ، كذلك زيارة الأضرحة والاماكن المقدسة للتطهر والتخلص من شرور الجن ، واستخدام السـاحر فى الصيغ التى يتلوها للعديد من الكلمات والعبارات التى لا معنى لها (ذات أصل عبرى أو سوريانى أو غير ذلك) ، كل ذلك موجود فى الصـيغ التى كان يرددها الساحر الفرعونى والمحفوظة جيدا عنه ، والاعتقاد الكبير فى أثر الأحجبة المكتوبة كوسيلة لمقاومة الجن ، بل تأثـير الكتابة بصفة عامة ثم اذابتها وشرب مائها ... الخ ، وقد فصلنا القول فى هذه الممارسات فى رسالتنا عن استخدام أسماء الله فى السحر(٢٠) ، معظم تلك الممارسـات موجود بكثير من تفاصيله فى الممارسات السحرية المصرية القديمة .

٤ — الجن فى المعتقد العبرى القديم :

احتلت المعتقدات الدائرة حول الجن مكانة بارزة متميزة فى المعتقد الشعبى العبرى القديم ، وعلاوة على هذا ساهمت المعتقدات العبـرية السحرية عموما فى صبغ المعتقدات السحرية فى العالم القديم (فى القرون الميلادية الاولى) بصبغة يهودية واضحة ، حتى اننا نعرف أن اليهود — كما تدلنا كتب السحر القديمة — اشتهروا بأنهم أبرع شعوب الارض فى ممارسة السـحر ، وأنهم احتفظوا لأنفسهم بالأسرار السـحرية التى أخذوها عن أهل بابل ومصر القديمة(٢١) .

---

(٢٠) انظر : محمد الجوهرى ، استخدام : اسماء الله فى السحر ... ، مرجع سابق ، الفصل الثانى من الباب الاول ، ص ص ٧٢ — ٩٠ .

(٢١) تناول فينكلر هذا الموضوع بالتفصيل فى رسالته للدكتوراه المعنونة « الاختام والاشكال فى السحر الاسلامى » :

Winkler; Hans; Siegel und Charaktere in der mohammedanischen Zauberei; Studien Zur Geschichre und Kultur des islamischen Orients; Heft VII; Berlin und Leipzig; 1930.

ويبدأ التأثير اليهودى حتى من القضايا العامة التى تدور حول تحديد طبيعة الجن • فالجن عند العبريين كائنات وسطى بين الملائكة والبشر • وهى كائنات ذوات أجنحة ، تستطيع قطع الارض من أقصاها الى أدناها فى لمح البصر ، فيعرفون كل ما يدور على كل بقعة من هذا العالم • ثم هى — من حيث أسلوب حياتها — تأكل ، وتشرب ، وتتزاوج مع بنى الانسان • وهى تنقسم الى طبقات وأنواع : الجن الطيارة ، والجن التى تسكن أجسام البشر ، والتى تسكن قاع البحار ، والتى تتشبه الملائكة ، أو تتشبه الناس ، أو تتشبه الحيوانات • ولا حاجة بنا الى الاشارة الى تأثير تلك التصورات على المعتقد الشعبى المصرى ، حيث اننا نصادف حتى بعض أسماء أنواع الجن ، بل بعض أسماء ملوك الجن موجودة بنصها فى التراث العبرى القديم •

على أن الامر لا يقتصر على استعارة بعض الموتيفات (الوحدات) الاعتقادية ، وانما نجد أن معظم المناقشات الاسلامية التى تمتلىء بها كتب التراث عن الجن وعلاقة الجن بالشيطان أو عن زواج الجن ، تقترب فى طابعها ونهجها من المناقشات التى تزخر بها الكتابات العبرية •

وتؤكد الكتابات العبرية التى ترجع الى العصور الوسطى أن الجن كثير ما تتخذ هيئة الحيوان ، وخاصة القطط والكلاب • ومازال المعتقد الشعبى فى كثير من البلاد العربية ، وخاصة فى فلسطين ومصر ، ينظر بعين الريبة الى هذين النوعين من الحيوان ، خاصة اذا صادفها الشخص وهو يسير ليلا بمفرده ، أو اذا بدرت منها تصرفات غريبة أو ايماءات أو اشارات غير معهودة •

كما عرف العبريون أرواح الحقل التى تحرس الحقول ، وتقدم لها القرابين وتتلى الادعية لاسترضائها وضمان محصول طيب • ومازال الفلاح المصرى يمر حتى اليوم حول حقله فى الليل فى مناسبات معينة يتلو الادعية وفق نظام وترتيب خاص ، على ما يبدو لهذا الغرض نفسه •

كذلك الارواح والجان التى تسكن البيوت عرفها المعتقـد العبرى ، وكان يرى أنها تتخـذ شكل الحيات عادة • كما تسـكن الجان فى بعض الاشجار وعيون الماء ، ولا يستطيع الانسـان أن يطردها منها ، لانه ان فعل غاضت الماء من العين ، أو جفت الشجرة وكفت عن النمو والاثمار •

ويشير تسبندن الى كثير من تفاصيل المعتقد الشعبى الاسلامى عن الجن ، التى لا تتفق فى حقيقة الامر مع بقية الصـور الاسـلامية لتلك الكائنات • وأعنى بالذات الرابطة المؤكدة فى المعتقد الشعبى الاسلامى بين الجن والاماكن القذرة أو القذارة على الاطلاق • ومن ثم فان القاء الضوء على الاصول العبرية فى هذه النقطة يجعل الامر أكثر تقبلا للفهم • فالجن فى المعتقد العبرى تفضل الاقامة فى الاماكن القـذرة بصـفة عامة ، وفى المرحاض بصفة خاصة • ومن ثم يتحتم على الانسـان فى الصـباح أن يغتسل ، والا نفذ الجن الى جسمه اذ ظـل قذرا ، كذلك تنص التعاليم العبرية على ضرورة غسل الايدى قبل تناول الطعام • وعليه أن يتخـذ حذره عند دخول المرحاض • وهناك أساليب عديدة تضمن هذا الاحتياط تشبه كثيرا من المعتقدات الشعبية الجارية ، والتى لا يتسع المقام للخوض فيها هنا(٢٢) •

وقد استعار الرهبان المسيحيون الاوائل هذا الخوف الشـديد من المرحاض والاماكن القذرة من اليهود القدامى • فنجد تعاليم الرهبـان تنص على اعتبار المرحاض مقر اقامة الارواح ، وتورد نصـوص بعض الادعية والتعـاويذ التى يتحتم على الراهب تلاوتها عنـد دخول هـذا المكان(٢٣) • وربما عن طريق وساطة هؤلاء الرهبان انتقل هذا المعتقـد الى الاوساط الشعبية العربية والاسلامية •

---

(٢٢) تسبندن ، المرجع السابق ، ص ١٢٧ وكذلك المراجـع الواردة هناك •

(٢٣) انظر قاموس المعتقدات الشعبية الالمانى :
Bachtold-Staubli; Handbuch des Aberglaubens; I; P. 93.

ومن التعاليم التى كانت اليهـودية القديمة تنص عليها صراحة ، وتؤكد على ضرورة الالتزام بها بعض أساليب تجنب الارواح ومقـاومة تأثير الجان الضار • وكثير منها انتقل الى المعتقد الشعبى الاسلامى أيضا من هذا حظر مبيت الشخص ليلا بمفرده فى المنزل • وكذلك تجنب سكب الماء أثناء الليل ، خاصة على الارض • وحظر شرب المـاء أثناء الليل • ويجب ألا يجلس الانسان ونصف جسـده فى الظل ، والنصف الآخر فى الشمس ، والا دخل الجن الى أحدهما وهو على هذا الوضع •

كذلك تعمد الجن الى سرقة المواد الغذائية من بنى الانسان ، كعقاب لهم على تعديهم على تلك الكائنات • وهو المعتقد الذى رأينا صورة له من قبل عند الفراعنة ، وكذلك فى الحضـارة العربيـة ، وحديثا فى الثقافة المصرية الشعبية •

وكانت الثقافة الشعبية العبرية تؤمن ايمانا راسـخا بتأثير كلمـة التوراة كحماية ودفاع ضد الجان وأفعالهم الضارة ، وهى فكرة انتقلت بروحها الى الثقافة الشعبية الاسلامية كما نعلم • بل ان الامر كان قـد اتخذ فى ظل الثقافة العبرية القديمة بالفعل الصورة المتطورة المعقدة التى نعرفها عن المؤلفات السحرية المعاصرة ، حيث كان لديهم جداول تحـدد أى آيات التوراة يفيد فى علاج الحمى وأيها ضد الحسـد ، وأيها يؤمن صاحبه أو حامله ضد الحيوانات المتوحشة وهكذا(٢٤) •

أما عن الايمان بالقوة السحرية للاسم بصفة عامة ، وللأسماء بصفة خاصة ، فمعتقد قديم عرفته كافة ثقافات المنطقة ، وقد وجد تعبيرا مكتملا عنه فى الثقافة العبرية ، كما أشرنا فى شىء من التفصيل من قبل فى دراستنا عن استخدام أسماء الله فى السحر(٢٥) • حتى ان السـحرة المصريين فى

---

(٢٤) لاحظ كذلك اسـتخدام بعض آيات القـرآن الكريم فى الاعمـال السحرية على يد الغالبية العظمى من السحرة المحترفين ، وكذلك فى مؤلفات السحر المتداولة .

(٢٥) انظر : محمد الجوهرى ، استخدام أسماء الله فى السحر ، مرجع سابق .

العصور الوسطى والحديثة على السواء يستخدمون بكثرة واضحة أسماء الله العبرية « يهواه » « وأصباؤت » .. الخ . دون اشارة بالطبع الى أصلها العبرى ، وأحيانا تعرف بأنها أسماء سوريانية ... الخ . واكننا نستطيع فى جميع الاحوال أن نتعرف على طبيعتها العبرية بسهولة(٢٦) .

أما عن الاشكال السحرية من مربعات ونجوم وغيرها التى تستهدف تسخير الارواح والجان لمصلحتها أو دفع ضررها فهى معروفة فى التراث العبرى بكثير من عناصرها المألوفة لنا فى الممارسات السحرية الشعبية أو الرسمية على السواء . وقد تناول فينكلر هذه القضية بالقدر الواجب من التأصيل فى رسالته للدكتوراه التى تناول فيها موضوع « الاختام والاشكال فى السحر الاسلامى » . وركز فيها على خاتم سليمان بالذات ، فكشف عن المؤثرات العبرية الواضحة فى هذه النقطة وضوحا كبيرا(٢٧) .

ويرى المعتقد العبرى أن الضوء ، والماء ، والملح ، والحديد هى المواد التى تخشاها الجن وتنفر منها ، ولذلك توضع فى المكان الذى يراد ألا تحل فيه ، أو داخل الحجاب الذى يعلق على الشخص المراد حفظه من أفعال الجن . وكثير من التفاصيل المرتبطة باستخدام هذه المواد وتبرير استخدامها هى بالذات دون سواها من المواد يحمل كثيرا من أوجه الشبه مع نظائرها التى ترددها كتب السحر المصرية المتداولة اليوم(٢٨) .

---

(٢٦) المرجع السابق ، وكذلك دراسة فينكلر عن الاختام والاشكال ، التى سلفت الاشارة اليها .

(٢٧) Winkler; Hans; Siegel und Chanktere; op. cit.

(٢٨) من هذا مثلا أن كان العبرى القديم يوقد شمعة حول سرير المرأة أثناء الولادة ، ويخط دائرة سحرية حول سريرها . ويردد دعاء لحمايتها من « ليليت » التى تشبه الجنية البابلية لاماشتو (وكلاهما أصل لشخصية « أم الصبيان » المصرية العربية) . أما عن مبرر استخدام الملح فى هذه الممارسات فترى الكبالة (العبرية) أن القيمة العددية لحروف كلمة الملح هى نفسها القيمة العددية لحروف كلمة « يهواه » (اسم الله عند العبريين) . كما أن الملح يلعب دورا واضحا فى طقوس واحتفالات الزواج ، والوفاة ، وفى الممارسات =

٥ ـ الجن فى الثقافة العبرية والمسيحية القديمة :

عرفت الثقافة العبرية القديمة وكذلك الثقافة المسيحية الاولى كثيرا من المعتقدات المتعلقة بالجن ، والتى ساهمت هى الاخرى بدور يذكر فى تشكيل المعتقد الشعبى السائد عن الجن فى العالم الاسلامى بوجه عام ، وفى مصر ـ محور تركيزنا هنا ـ بوجه خاص • ومن المعتقدات المعروفة فى الثقافة العبرية والثقافة المسيحية القديمة أن الجن تسترق السمع على ما يدور فى السماء (كى تعرف ما يحدث للبشر فى مستقبلهم ، وما سيكون من أمر العالم) ، هى فى محاولتها هذه تقابل بمحاربة عنيفة من الملائكة الذين يحرسون السماء ، فيدفعونها بعيدا عن السماء بقذفها بالحجارة أو الشهب • كذلك عرفت هاتان الثقافتان أن سليمان (عليه السلام) كان يستخدم الجن ، وأنه قد استخدمهم فى بناء معبده بالقدس • وأن الجن مخلوقة من نار ، وأن بعضها قد اعتنق اليهودية والمسيحية ، ولكن بعضا منها رفض الاذعان لهذين الدينين ، وأنهم لذلك سوف يلقون جزاءهم يوم الحساب •

وقد أوضحت دراسات التاريخ الثقافى ، خاصة تلك التى تؤرخ للثقافة العبرية القديمة ، تأثير التفكير العبرى على المعتقدات المسيحية الاولى عن الجن • وكيف أن بعضا منها قد اتخذ صيغته المعروفة فى ظل الثقافة الغنوسطية التى ازدهرت فى فجر العصر المسيحى[٢٩] •

= العلاجية . ويمكن ان نسوق عديدا من الشواهد المماثلة عن استخدام الحديد والمواد الاخرى . انظر : مقالنا عن الجن فى المعتقد الشعبى المصرى ، مرجع سابق ، وكذلك تسبندن ، المرجع السابق ، ص ١٣٠ ، والمراجع الواردة هناك .

(٢٩) الغنوسطية او مذهب العارفين Gnosis تيار دينى ازدهر فى القرن الثانى الميلادى ، يقوم على التوفيق بين الآراء والفلسفات والمذاهب الدينية المختلفة ، خاصة اليهودية والاغريقية والمسيحية . وقد استطاعت الكاثوليكية ان ترسخ آرائها وموقفها فى ذلك الوقت . وتحفظ المسيحية من =

هذا بينما يلاحظ أن قصة خلق الجن التى كانت معروفة فى الثقافة العبرية الشعبية كانت مختلطة ببعض العناصر الدينية المانوية خاصة تلك التى تدور حول الشياطين • ومع أن ذلك المعتقد يذكر قصة خلق الجن من النار فى بعض الاحيان ، الا أنها ليست بصورة قاطعة . بالشــكل الذى عرفناه فيما بعد • حيث يقال أحيانا أيضا انها مخلوقة من أرض الظلمات، وأهم معالم أرض الظلمات هذه الضباب ، واللهيب ، والريح السموم ، والظلام ، والدخان ، ومن هذه الارض خلق الشــيطان وخلقت ذريته • ونذكر هــذه الملاحظات كى ننبه الى أن المعتقــدات الشعبية العبــرية والمسيحية القديمة قد انتقلت الى الجزيرة العربية عبر هذه المناطق شرقى الشام ، التى كانت ذات طابع مانوى واضح •

كذلك يعرف المعتقد الشعبى العبرى كثيرا من التفاصيل عن الشيطان (الارواح) اليهودية المؤمنة ، التى تدرس الشريعة العبرانية ، وتذهب الى المعبد اليهودى تتعبد وتؤدى الصلوات •

وهكذا وجدت بعض المعتقدات العبرية والمسيحية القديمة عن الجن طريقها الى مختلف أرجاء العالم الاسلامى ، خارج بلاد الشام • كما أن العناصر المحلية منها ساهمت هى الاخرى فى تشكيل المعتقــد الشــعبى الاسلامى فى تلك البلاد عن الجن • فاستمرت عملية التهجين واتصــلت بصورة لم تنقطع •

٦ ـ الجن فى الثقافة العربية قبل الاسلام :

عرف عرب الجاهلية الجن لغــة ومعتقــدا • وكانوا يعتقــدون أن الصحراء مليئة بالجن والارواح ، فهم يختبئون فى كل كهف فيها ، ووراء

= آثار هذه النزعة التوفيقية ، وان تطغى عليها . انظــر مزيدا من التفاصيل والمراجع فى :

Bertholet; A; Worterbuch der Religionen; Alfred Kroner Verlag; Stuttgart 1962; p. 195.

كل حجر . كما أن كل دغل من الأدغال الموجودة فى الصحراء يكتظ بالجن والارواح .

وتفضل الجن الاقامة فى الاشجار ، وخاصة أنواعا معينة منها ، تعرفها وتعددها كتب التراث(٣٠) . ويلاحظ ابن الكلبى — مؤلف كتاب « الأصنام » الشهير — أن « العزى » كبرى آلهة مكة تتخذ مقرا لها شجرة معينة فى وادى نخلة . وقد حدث بعد أن قطعت هذه الشجرة أن خرب الوادى وأقفر من ساكنيه ، ولم تعد تسكنه سوى الحيوانات المفترسة وتعبث به الرياح الهادرة والعواصف العاتية(٣١) .

ثم هناك كذلك أنواع أخرى من الجان تسكن الاماكن الخربة والمهجورة . وان كان للأماكن المأهولة والشعاب المسكونة أرواحها المقيمة فيها أيضا . وهى فى هذه الحالة « جان أو أرواح منزلية » ، كتلك التى أشرنا اليها من قبل(٣٢) .

وتحب الجن أن تؤدى عملها ليلا غالبا ، ذلك أنها تسرع الى الاختفاء بمجرد اشراق نور الصبح . وتتشكل الجن فى الغالب فى صورة الحيوانات، ولكنها قد تتخذ بعض الحيوانات مطية لها ، كالنعام أو الذئاب ، وتسير بها مسرعة كالطائر فوق الريح . ولكن برغم ذلك فان أشهر الصور التى تظهر بها الجن فى الثقافة العربية الجاهلية هى صورة الثعابين . ويصل الامر الى حد أننا نجد الثعبان نفسه يمكن أن يسمى « الجان » أو « الغول » وهو ما يبين لنا مدى التداخل بين طبيعة هذين النوعين من

---

(٣٠) انظر بديع الزمان الهمذانى ، المقامات ، طبعة محمد عبده ، بيروت سنة ١٨٨٩ ، المقامة السادسة ، ص ٢٦ .

(٣١) انظر ابن الكلبى ، كتاب الاصنام ، طبعة كلينكه Klinke ، الكتاب الخامس عشر ، ص ١١ .

(٣٢) انظر كتاب فلهاوزن عن بقايا الوثنية العربية القديمة :
Wellhausen: J; Reste arbischen Heidentums; Berlin; 1887; p. 136.

الكائنات • وتحكى بعض كتب التراث أن بنو سهم قد دخلوا فى صراع دموى عنيف مع الجن قاموا فيه بقتل جميع الثعابين ، والورل ، والعقارب، حتى أن الجن اضطروا الى طلب الصلح مع أبناء القبيلة(٣٣) • والجدير بالملاحظة هنا أن الجن نادرا ما كانت تتشكل فى هيئة بنى الانسان ، وان كان التراث الاسطورى الجاهلى يعرف بعض الشـــواهد التى تؤكد أن الجن قد يتخذون هذه الهيئة أحيانا(٣٤) •

أما عن المواد التى خلق منها الجن، فهى النار، والدخان ، والتراب، وبصرف النظر عن التشكلات الواقعية ــ المادية ــ للجن ، فانهم فى العادة عبارة عن كائنات شفافة غير منظورة ، أو يمكن أن تكون غير منظورة لبنى الانسان •

أما أفعال الجن فهى فى الاصل أفعال ضارة وشريرة ، تهدف الى أن تلحق الاذى بمن يتعامل معهم من بنى الانسان ، أو غيرهم من الكائنات « الطبيعية » • بل ان الامر يصـــل الى حـــد اعتبارهم مسئولين عن كل ظاهرة طبيعية أو انسانية تشذ عن السياق الطبيعى المألوف ، أو تخرج عن القاعدة المعتادة لها • فاذا وقفت الماشية ــ وهى عطشى ــ أمام الماء ولم تشرب منه ، واذا أخفق العريس مع عروسه ليلة الزفاف ، فالجن هم دائما السبب فى ذلك • كما أنهم مسئولون عن اصابة الناس بالامراض ، وعن حالات الوفاة التى تقع ، والحمى ، والاصابة بالصرع ، وانتشار الامراض الوبائية ••• الخ • وهى التى تصيب الرجل بالعنة ، والمرأة بالعقم، وهى المسئولة عن الاثارة الملتهبة غير العادية للعواطف والمشاعر الانســانية ، فالاغراق الشاذ فى الحزن أو الفرح أو الحب ••• الخ هو من صنيعهم •

---

(٣٣) Horten; M; Die religiose Gedankenwelt des Volkes im heutigen Islam; 2 Vols; Halle; 1917-1918; I; P. 124.

(٣٤) من هذا القصة المأثورة عن عنترة ، التى ظهر فيها خمسة اشخاص سود الوجوه ، ضخام الجثة ، يمتطون جيـادا ســوداء . . . الخ الحكاية ، واتضح فى النهاية انهم ليسو سوى افراد من الجان ، انظر ملاحظات حـول هذه الحكاية عند :

Kremer; A. V; Culturgeschichte des Orients unter der Chalifen; 2 Vols; 1875-77; II; pp. 266 ff.

ولما كان الجن يسببون كل هذه المشكلات والمآسي كان من الواجب على الانسان أن يحفظ نفســـه منهم ويتحوط بحماية جســـمه وممتلكاته وأقرانه أسرته . لذلك كان عرب الجاهليـــة يتحـــوطون من الجن بالرقى والأحجبة . وتحفظ لنا كتب التراث عديدا من الرقى ضد لدغة الثعبان ، وضد الحسد ، والحمى ، والمرض ، وآلام الأذن ، والجنون ... الخ . ولذلك كان أغلب الناس يحملون الأحجبة ، خاصة النســـاء في أثناء فترة الحيض . كما كان عرب الجاهلية يقدمون الأضاحى للجن عند بناء بيت جديد أو حفر بئر جديد وهكذا .

ورغم هذه الصورة القاتمة للعلاقة بين الانسان والجن ، فان هذه العلاقة يمكن في بعض الأحيان أن تكون علاقة ودية طيبة . الا ان هناك بعض أساطير من منطقة جنوب الجزيرة العربية تحكى عن زواج أحـــد الملوك باحدى الجنيات . وهي الزيجة التى أثمرت ملكة سبأ . كما يحكي الأدب الشـــعبي العربي الجـــاهلي أن قبيلة تميم هي من نســـل رجـــل بسعلاة(٣٥) وهناك عديد من قصص زواج بين بشر آدميين وجان لا حاجة بنا الي الاستطراد في الكلام عنها . كما أن الجن يمكن في بعض الأحيان أن يحفظوا الجميل لبنى الانسان الذى يقدم لها شيئا . وهناك بالمثـــل عديد من الشواهد على معتقدات من هذا النوع(٣٦) . وان كان الشعراء

---

(٣٥) عن السعلاة انظر : محمد الجوهرى ، الجن في المعتقد الشعبى المصرى ، مرجع سابق ، وكذلك عددا من المقالات التي ظهرت عن شخصية السعلاة في المعتقد الشعبى العراقى في مجلة التراث الشعبى العراقية .

(٣٦) يمكن الاشارة هنا الى حكاية الرجل العربى الذى حرص — رغم نصيحة زميله — على الحفاظ على احدى الحيات التى صـــادفها ، وأطعمها وأبقاها ولم يقتلها . وكان ان قامت هذه الحية بارشاد ذلك البدوى في احدى رحلاته الى عين ماء بعد أن كانت قافلته قد أوشكت على الهلاك . انظـــر : تسبندن ، الجن في المعتقد الشعبى الاسلامى ... ، مرجع سابق ، ص ٧١ ، وكذلك ص ٧٨ .

والمنجمون هم من أكثر الناس الذين تربطهم علاقات طيبة بالجن(٣٧) .

على أن عرب الجاهلية لم تقتصر علاقة بعضهم بالجن على هذا الحد، بل ان هناك بعض الافراد وبعض القبائل التى كانت تعبد الجن . وهناك حديث برواية عبد الله بن مسعود يذكر بعض الناس الذين كانوا يعبدون نفرا من الجن . وأن هؤلاء الجان اعتنقوا الاسلام ، فى الوقت الذى ظل فيه أتباعهم البشر على وثنيتهم . وتتكلم كتب التفسير فى أكثر من موضع عن عبادة الجن فى الجاهلية(٣٨) . بل ان ابن الكلبى يحدثنا عن قبيلة كانت كلها تعبد الجن : « وكانت بنو مليح من خزاعة — وهم رهط طلحة الطلحات — يعبدون الجن »(٣٩) . وهناك عدا هذا طائفة من الآيات القرآنية التى تذكر عبادة الجن عند عرب الجاهلية صراحة(٤٠) .

بل ان الأطرف من هذا أن آلهة عرب الجاهلية لم تكن تختلف فى شىء عن الجن المعروفة لأولئك العرب . فكلاهما يقيم فى نفس الاماكن ، ويتصف بنفس الصفات ، وكلاهما يعبد وتتقدم له القرابين . ونحن نعلم على أى حال أن آلهة العرب فى الجاهلية لم تكن موجودات رفيعة الشأن عليه المقام ، وانما كانت من مستوى أدنى ، تتجسد فى بعض الاحجار أو الاشجار أو العيون ... الخ . ولا تختلف عن الجن كثيرا . وكتاب الأصنام لابن الكلبى ملىء بشواهد على صحة هذا القول الذى نقول .

---

(٣٧) لا ننسى بطبيعة الحال الاتهام الذى وجهه القرشيون المشركون فى صدر الدعوة الاسلامية الى الرسول عليه الصلاة والسلام من أن به مسا من الجن . وان هؤلاء الجن هم الذين يوحون اليه بما يقول .
(٣٨) ينقل تسبندن فى المرجع السابق عددا من الشواهد عن كتب البخارى ، والبيضاوى، والزمخشرى . انظر ص ٧٩، خاصة حاشية رقم ٤ .
(٣٩) انظر ابن الكلبى ، كتاب الاصنام ، مرجع سابق ، ص ٢٢ .
(٤٠) انظر على سبيل المثال سورة يس آية ٦٠ ، وسورة الاعراف آية ٢٧ ، وسورة الاعراف أيضا آية ٣٠ ... الخ .

٨ ــ المؤثرات الفارسية القديمة فى صورة الجن :

لا نستطيع أن نتجاهل التأثير الذى مارسته بعض عناصر المعتقد الشعبى والديانة الفارسية القديمة على المعتقدات الشعبية فى مختلف البلاد الاسلامية الاخرى ، خاصة البلاد العربية • ولعل أبرز نموذج لنفاذ تلك المؤثرات حكايات ألف ليلة وليلة ، التى ترجع فى أصلها الى حكايات فارسية قديمة شعبية ، ثم ترجمتها وتعديلها فى روايتين عربيتين أساسيتين ، احداهما بغدادية والاخرى قاهرية(٤١) • وقد استطاعت تلك الليالى أن تنفذ الى الدوائر الشعبية العربية على أوسع نطاق ، بحيث لا نغالى اذا قلنا انها قد ساهمت فى تثبيت بعض عناصر ذلك المعتقد التى نقلت عن أصولها الفارسية كما هى •

وقد توفرت بعض الدراسات التى حاولت فحص المؤثرات الدينية والاعتقادية الشعبية الفارسية على شخوص الليالى العربية وأحداثها • ومن العناصر التى تفصح عن أصلها الفارسى بشكل مؤكد تصوير الجان الاناث فى صورة حوريات • اذ نفاجأ بأن الجنيات لم يعدن أرواحا شريرة مشوهة الشكل قبيحة الخلقة ، وانما هى حوريات حسناوات ساحرة الجمال تأخذ بلب الرجال • كما يلفت النظر أن العفاريت الاناث (العفريتة أو الجنية) فى الليالى هى جان خيرة طيبة دائما . تظهر فى صورة نساء جميلات • فى حين أن الجان الذكور هم الارواح الشريرة المؤذية فقط • وهى صورة كما نرى لا تتفق وبقية معالم الصورة المصرية ولا العربية عن الجن ، فى حين تقترب اقترابا وثيقا من التصور الفارسى المحدث (قبل الاسلام طبعا) • حيث نجد فى الملحمة الفارسية « الشاهنامه » لأبى القاسم الفردوسى أن كل الديف Divs ــ أى الارواح الشريرة ــ من نوع الذكور ، بينما البريس Peri حوريات جميلات دائما •

---

(٤١) انظر سهير القلماوى ، الف ليلة وليلة ، مرجع سابق .

كذلك نستطيع أن نعثر بسهولة على روح وتفاصيل حكايات سيف الملوك — والمعركة التى خاضها مع الجن — وكذلك حكاية غريب الذى قهر جيش الجن فى ملحمة الشاهنامه المشار اليها • كما نبه بعض الباحثين الى الصيغة الفارسية الواضحة لحكاية حسن البصرى •• وغير ذلك مما لا نجد مجالا للتفصيل فيه هنا(٤٣) •

٨ — الجن فى المعتقد الاسلامى الرسمى :

معروف أن الجن قد وردت فى القرآن الكريم فى كثير من المواضع ، وفى مناسبات مختلفة ، وكانت تلك الارشادات دافعا لرجال التفسير الى تفصيل القول عن الجن ، وطبيعتهم وأنواعهم ومراتبهم ، وعلاقتهم ببنى الانسان •• الخ ذلك من الموضوعات •

ولما كان الجن معروفين أيضا فى الثقافة العربية الجاهلية ، ثم ورد ذكرها فى القرآن الكريم ، كان من الطبيعى أن يرد ذكرها فى عدد كبير من الأحاديث النبوية • كما رويت عن الرسول عليه الصلاة والسلام مئات الأحاديث والسنن التى تتصل بالجن ، وحكاياته أو حكايات بعض الصحابة معهم •

والنتيجة المنطقية لكل هذا أن وجدنا التراث الاسلامى الرسمى يعرف الكثير ويردد الكثير عن الجن وعن طبائعهم وعاداتهم • ففى كل كتاب دينى اشارات الى هذا الموضوع بل هناك كتب بأكملها أوقفت نفسها على معالجة هذا الموضوع الدينى الشعبى الهام •

وقد حرصت على ألا أرجع الى أى مرجع أجنبى لأنقل عنه أى اشارات عن صورة الجن فى المعتقد الاسلامى الرسمى ، رغم احتفال

---

(٤٣) انظر تسبندن ، المرجع السابق ، ص ١٣٤ وكذلك المراجع الواردة هناك •

دراسات المستشرقين جميعا بهذا الموضـوع • واسـتنادها جميعا الى القرآن الكريم والسنة النبوية ، وكتب التراث الاسلامى القديمة • ولذلك تعمدت أن أنقـل فيما يلى بعض الاشـارات السريعة عن صـور الجن وطبيعتهم من أحد المراجع المصرية المعاصرة التى كتبها واحد من المشهور لهم بالعلم الدينى والدنيوى الراقى على السواء(٤٣) •

يبدأ الكتاب بمناقشـة قضـية بدء خلق الجن ، فيقرر أن القرآن الكريم لم يذكر بدء خلق الجن ، ولذلك ينقل بعض اجتهادات العلماء دون أن يبت فى مبلغ صحتها (أعنى على أساس من الدين الصحيح) • وينتهى من ذلك الى اثبات خلاصة أقوال هؤلاء العلماء ، وهى « أن الارض كانت مسكونة بنوع من المخلوقات العاقلة المكلفة قبل آدم ، وأنهم أفسـدوا فيها ، وأسخطوا الله تعالى ، فنفاهم منها الى الاماكن القاصية الخربة ، أو اسـتأصل شـأفتهم جملة ، وعمـرها بآدم وذريتـه واسـتخلفهم فيها •• »(٤٤) •

ثم ينتقل بعد ذلك الى الكلام عن نقطة أسـاسية هامة هى التعريف بعنصر الجن ، فيقرر أن الله أخبرنا فى كتابه العزيز أنهم خلقوا من عنصر النار « والجان خلقناه من قبل من نار السـموم » • « وخلق الجان من مارج من نار » كما جاء فى القرآن الكريم يحكى على لسان ابليس ••• خلقتنى من نار وخلقته من طين » • وفى حديث عن عائشة خلقت الملائكة من نور ، وخلق الجان من مارج من نار ، وخلق آدم مما وصف لكم »(٤٥) أما عن حقيقة أجسامهم فلا نجد وجهة نظر محـددة قاطعة سـوى أن أجسامهم « أجسام لطيفة لها عقول وأفهام وقدرة على الاعمال الشاقة ،

---

(٤٣) انظر : على الجندى ، الجن بين الحقائق والاسـاطير ، مكتبـة الانجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ •
(٤٤) المرجع السابق ، ص ١٦ •
(٤٥) المرجع السابق ، ص ٢٢ •

وهم بخــلاف الانس » ، كما أنهم « عالم متغير غــير مرئى مستتر عن الحواس ، من شأنه الخلفاء »(٤٦) •

أما عن حياتهم اليومية وطبيعتها فنســمع عن ســعيد بن المسيب وغيره : « أن الملائكة ليسوا بذكور ولا اناث ، ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون ، والجن يتوالدون وفيهم ذكور واناث ويموتون • والشياطين ذكور واناث ويتوالدون ولا يموتون حتى يمــوت ابليس • وعن زرعة بن ضمرة قال : قال رجل لابن عباس أيموت الجن ؟ قال : نعم ، غير ابليس». ويحكى المؤلف عن عاصم الأحول قال : « سألت الربيع بن أنس ، فقلت : أرأيت هذا الذى مع الانسان لا يموت ؟ أى القرين »(٤٧) •

أما عن قدرة الجن على التشكل بأشكال مختلفة انسية وحيوانيــة فالشواهد عليها كثيرة لا تقع تحت حصر ، فهى تتشكل فى صورة الحيات (وهى أكثر الصــور شيوعا) ، وفى صــورة رجال معروفين أو مجهولين للشخص ، وفى صورة بعض الحيوانات •• الخ(٤٨) •

أما عن أكلهم وشربهم فيلخصه كلام وهب بن منبه حين ســئل عن الجن ما هم ؟ وهل يأكلون ويشربون ويتناكحون ويتوالدون ؟ فقــال هم أجناس : « خالص الجن ريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتناكحون ولا يتوالدون ، وجنس يأكلون ويشربون ويتناكحون منهم البيعالى والغــول

---

(٤٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة .
(٤٧) المرجع السابق ، ص ٢٥ .
(٤٨) المرجع السابق ، صفحتى ٢٦ ، ٢٧ والمراجــع الواردة هناك ؛ وكذلك صفحتى ٥٠ ، ٥١ ، وصفحة ٥٤ . وهناك حديث مشهور عن الرسول فى صحيح مسلم برواية ابى هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله عليــه وسلم — « ان عفريتا من الجن جعل يفتك على البارحة . ليقطع على الصلاة، وان الله مكننى منه فزعته (خنقته او دفعته بشدة) . ولقد هممت أن اربطه الى جنب سارية من سوارى المسجد ، حتى تصبحوا تنظرون اليه اجمعون ، او كلكم . ثم ذكرت قول اخى سليمان : رَبّ اغفر لى .. فرده الله خاسئا ، المرجع السابق ، ص ٥٤ .

والقطرب غيرهم »[٤٩] . والرأى الاكثر شيوعا على أى حال أنهم يأكلون ويشربون ويتناكحون .

ولن يسمح لنا المقام بأن نستطرد أكثر من هــذا فى تفصيل أركان المعتقد الاسلامى الرسمى عن الجن ، وحسبنا العناصر التى أوردناها ، لكى نستطيع وضع هذه الصورة فى مكانها من السياق التاريخى العام لهذا المعتقد الذى نستعرضه فى هذا الباب[٥٠] .

---

(٤٩) المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(٥٠) انظر مزيدا من التفاصيل حول هذا الموضوع فى بقية فصول المرجع السابق لعلى الجندى ، وكذلك محمود شلتوت ، الفتاوى . دراسة لمشكلات المسلم المعاصر فى حياته اليومية والعامة ، دار الشروق ، القــاهرة ١٩٦٩ ، ص ص ١٩ — ٢٤ . وقد خصص تسبندن فى مؤلفه الذى سبقت الاشارة اليه فقرة مستقلة لهذا الموضوع ص ص ٩٧ — ٩٩ .

الفصل الثانى

الدراسات السابقة عن

الجن والكائنات فوق الطبيعية

لقد شغل نفر غير قليل من المستشرقين أنفسهم بهذا الباب الهام من أبواب المعتقدات الشعبية ، على النطاق الاسلامى العام ، أو بالتخصيص على مصر بالذات . فنجد معالجات مفيدة لهذا الموضوع عند وليم لين على سبيل المثال . ولكن رغم الخصوبة الواضحة لمؤلف لين العظيم عن عادات المصريين ومعتقداتهم(١) ، وما شهد له به الدارسون من دقة وشمول فان معالجته لموضوع الجن لم تستهدف اطلاقا الاحاطة بكل عناصر الموضوع سواء خصائص الجن أو أنواعهم أو علاقاتهم المتنوعة بالناس أو دورهم المحدد فى الممارسة السحرية الرسمية . هذا كله علاوة على أنه كان يفتقد المنظور الخاص بالتمييز بين السحر الرسمى والسحر الشعبى(٢) . ولكننا نسجل لوليم لين فضل التنبيه بشكل واضح الى خطورة الاعتقاد فى الجن وأهميته بين المعتقدات الشعبية المصرية بوجه عام .

أما مؤلفات مس بلاكمان(٣) ومقال الجن فى دائرة المعارف

---

(١) انظر وليم لين ، المصريون المحدثون ، شمائلهم وعاداتهم (الترجمة العربية بقلم عدلى طاهر نور) القاهرة ١٩٥٠ ، ص ١٥٩ .

(٢) ارجع الى مقالتنا : « السحر الرسمى والسحر الشعبى . نظرة جديدة الى التراث السحرى فى المجتمع المصرى المعاصر » ، المجلة الاجتماعية القومية ، العدد الثانى من المجلد السابع ، مايو ١٩٧٠ .

(٣) W. Blackman; The Fellahin of Upper-Egypt; London; 1927. p. 195.

الاسلامية(٤) ، وكريس(٥) • وغيرها فلا تتضمن سوى اشارات وجزئيات من الموضوع • ولم تستهدف أى منها الاحاطة بكافة جوانب الموضوع • هذا الى أن الكثير منها (وخاصة مؤلفى أحمد أمين وكريس) قد اعتمد اعتمادا كليا على دراسات وتجميعات سابقة (أساسا لين وفينكلر) ولا يتضمن أى اضافة حقيقية الى معلوماتنا عن الموضوع أو اتجاهات جديدة لدراسته •

وان كنا ننبه هنا الى أن مؤلف كريس الضخم الحديث قد تضمن ـ بحكم تحديده لمجال دراسته ـ اشارات وشواهد مفيدة عن الاعتقاد فى الجن فى بلاد عربية واسلامية عدا مصر ، فكان من هذه الناحية متميزا بشكل واضح عن بقية كتابات هذه المجموعة •

أما الدراسة الجديرة بالمناقشة هنا فهى كتاب هانز فينكلر عن « أرواح الموتى التى تلبس الناس » • فهى مونوجرافية تتميز بالاصالة والعمق وصواب الفهم • ولكن مع مراعاة انها تتناول ـ كما هو واضح من عنوانها ـ جانبا واحدا من جوانب الموضوع ، دون ما اشارة الى الانواع والصور العديدة للجن فى المعتقد الشعبى (على نحو ما فصلنا القول فى الفصل الرابع من هذا الباب) • الى جانب ذلك فاننا نجد طائفة من الملاحظات المفيدة المتناثرة فى كتابه الرائد « الفولكلور المصرى » •

وقد عمد فينكلر فى هذا الكتاب الرائد الى أداة منهجية جديدة سعيا وراء مزيد من الدقة والوضوح فى تسجيل مختلف عناصر التراث الشعبى،

---

(٤) قارن مقال « ملاك » فى دائرة المعارف الاسلامية
Enzyklopaedia des Islam (4 Bde) Leiden; 1913 ff; Art. «Malak».

(٥) انظر رودلف وهاينريش كريس : « المعتقدات الشعبية فى البلاد الاسلامية »
Kriss: R. und Kriss-Heinrich; H. : Volksglaube im Bereich des Islam; 2 Bds; Wiesbaden: 1960-1962; II; p. 15.

والمعتقدات بالذات • اذ طلب من خادمه « عبده » الذى حكى له انه شاهد عفريتا أن يرسم صورة لهذا العفريت الذى رآه • ولنا فى هذا الصدد ملاحظة على استخدام الصور فى جمع ودراسة المعتقدات الشعبية على وجه الخصوص نستأذن القارىء فى عرضها لما لها من أهمية منهجية فى ميدان الدراسة الذى مازال بكرا فى بلادنا محتاجا الى توفير أقصى درجات الدقة والوضوح كى يخطو على هدى(٦) • استخدم فينكلر هنا طريقة من طرق الاستعانة بالفن التلقائى من أجل مزيد من استكشاف أبعاد تصور فرد معين عن عفريت عرض له فى أحد الليالى • ولا اعتراض على هذا الاسلوب لو أن المبحوث كان من مجيدى التعبير بالرسم • ففى هذه الحالة يكون تعبيره بالرسم تدعيما وتوضيحا واستكمالا لتعبيره بالكلمة عن التصور الذى يريد الكلام عنه • ولكن أما ونحن بصدد أميين أو أشباه أميين فان الابعاد والالوان والاحجام ••• الخ من وسائل التعبير بالرسم تكون ذات دلالات نفسية أخرى (يسأل عنها رجال التحليل النفسى وعلم النفس الاكلينكى) ولا تصبح مرادفا للتعبير بالكلمة الذى يمكن للمبحوث أن يقدمه لنا •

والفارق الهام هنا هو أن دلالات الالفاظ (وهى الصورة التى أخذ المبحوث المعتقد من خلالها) أكثر تحديدا وانضباطا من دلالات الصور أو الرسوم بأبعادها ورموزها • فهذه التعبيرات التصويرية ليست جزءا موضوعيا — ان جاز التعبير — من ثقافة المبحوث ، وبالتالى فليست لها تلك الدلالة المحددة والموضوعية التى نبحث عنها • وانما هى كما قلنا ذات دلالة نفسية أكثر •

والاصوب — ان صحت هذه المقدمات — أن يصور الباحث تلك

---

(٦) انظر Hans Winkler; Aegyptische Volkskunde; Stuttgart; 1936; p. 234.

وكذلك الرسوم فى ملحق الصور بالكتاب •

السمات التي أفضى بها المبحوث ـ للعفريت مثلا ـ على الورق ثم يعرضها عليه ليقول فيها رأيه ، ويدخل عليها ما يراه من تعديلات ، وإن كان يخشى في تلك الحالة أيضا أن توحي اليه هذه الصورة التي أعدها الباحث بايحاءات لم تكن تخطر على باله في البداية . (ولنذكر هنا مثال تردد « عبده » ـ خادم فينكلر ـ الذى رسم للعفريته صورتين ، وفضل أحدهما على الأخرى . اعتبر الاولى بروفة للثانية ، برغم ما بينهما من خلاف ، أنظر صفحة ١٣٤ من كتاب الفولكلور المصرى) .

من هذا نخلص الي أن تعبير المبحوث عن تصوره بالكلام أقرب الي الافصاح عن المعتقد الشعبي الموجود في ذهن أكبر عدد من الناس ، فتلك هي الصورة التي أخذ بها المبحوث المعتقد ، ودلالة الكلمات أوضح وأكثر تحديدا من دلالة الصور لغير الخبير بالرسم .

ومن الدراسات الطريفة الهامة دراسة كونستانس بادويك عن « ملاحظات عن الجن والغول في تصور فلاحى جنوب الدلتا »(٧) . وقد أورد بادويك نصوص بعض حكايات عن الجن والغول جمعها من أفواه بعض فلاحى المنوفية . ومن أبرز الاسهامات التى قدمها بادويك في مقاله مقارنة لصورة الجن في قصص ألف ليلة وصورتهم عند فلاحى المنوفية الذين جمع منهم الحكايات . وقد أجرى تلك المقارنة في ثنايا استعراضه لتأثير الليالى على تصور الفلاحين عن الجن . اذ يتصف الجن في حكايات ألف ليلة بالصورة الحضرية وبصورة شخصية فردية متميزة ، على حين تتصف شخصيات الجن في حكايات الفلاحين التى جمعها بادويك بطابع عام لا شخصى ، ليس له اسم محدد ولا سمات شخصية ظاهرة ولا تصرفات فردية مميزة . ويحلل بادويك ذلك على النحو التالى :

(7) Constace E. Padwick; «Notes on the Jinn and the Choul in the Peasant Mind of Lower Egypt». Illustrated by. transcripts of peasant tales taken from the Lips of the fellahin of the Menufia Provinece; Lower Egypt.» Reprint from Bulletin of the School of Oriental Studies; London; 3; 1923-25; I pp. 421-46.

تتضمن قصص ألف ليلة كما كبيرا جداً من المعلومات عن الجن المؤمنة والجن الكافرة ، أو الجن الطيبة والجن الشريرة ، من حيث أشكال ظهورها للبشر وكيفية اختفائها عن الانظار ، والصيغ والعبارات التى تتلى لتطويعها . وأعمالها السحرية ، وكيفية تسخيرها لتحقيق أغراض البشر ومنافعهم ، وحبهم ، وحروبهم ... الخ .

ومن الممكن أن نعثر على بعض أوجه الشبه بين تلك المعلومات والمعتقدات المتعلقة بالجن الشائعة بين الفلاحين . ولكنه ليس من السهل أن نثبت ما اذا كانت معتقدات الفلاحين تلك عن الجن مستعارة من الليالى أو متأثرة بها ، بل ان الامر يبدو بعيد الاحتمال عندما ندقق النظر فى التفاصيل .

ولعل السبب الرئيسى لهذا الاختلاف أن الليالى عمل حضرى بالدرجة الاولى ، نشأ فى المدن ويتداول فى المدن أساسا . اذ نجد شخصيات الليالى تتحرك فى شوارع وقصور وفى أسواق التجار الحضرية . ويلاحظ بادويك أن هؤلاء الشخوص اذا خرجوا من دائرة المدينة ، فانهم لا يصادفون الفلاحين عادة ، وانما يقابل الجن وغيرها من الكائنات فوق الطبيعية والمفاجآت والمغامرات . واذا صادف البطل شخوصا خارج نطاق المدينة فانهم ليسوا فلاحين اطلاقا ، وانما هم صيادون وزراع حدائق وبساتين .

ويبرهن بادويك على حقيقة هامة وهى أن أى درسة مدققة للحكايات التى يتداولها الفلاحون تدلنا على أن الفلاحين لم يتبنوا أبدا حكايات الليالى ، ولم تصبح تراثا متداولا بينهم . وذلك على خلاف أهل المدن ، الذين يسمعونها بدرجة أكبر ، ويرددونها ويحفظونها . ويؤكد أنه ظل يجمع الحكايات من فلاحى الدلتا على امتداد سنوات طويلة من تلك التى يحفظها الفلاحون ويرددونها ، فلم يجد من بينها حكاية واحدة من حكايات الليالى . أما فى القاهرة فان الخدم وأمثالهم ممن دون منهم بعض الحكايات فيعرفون أجزاء من الليالى ، ويحفظونها .

وبرغم ذلك كله ، فانه على الرغم من أوجه الشــبه العــديدة بين الافكار الدائرة حول الجن فى الليالى وفى حكايات الفلاحين ، فان المقارنة بينهما تدل على وجود بعض الفروق وأوجه الاختلاف الواضحة . ذلك أن الجن فى الليالى قد وصلوا الى درجة عالية من النمو والتطور تفوق تلك التى بلغها الجن فى حكايات فلاحى الوجه البحرى . وأبرز تلك الفروق أن جن الليالى يتميزون بالحضرية (بالحياة فى المدن) وبالطابع الفردى .

فالفلاح لا يسمى جنيا باسمه ـ أى باسم فردى معين . فلا يعرف الفلاح « المارد كشكش » ولا « العفريت دهناش ابن شمهورش الطيار » (فى حكاية قمر الزمان على سبيل المثال) . بل ان بعض الاســماء التى تبدو فردية والتى تطلق على الجن فى حكايات الفلاحين مثــل : « جنى الظهر » ، فسوف يتضح لنا بعد الدراسة المدققة أنها أسماء نوعية أى تطلق على نوع برمته ، وليس على فرد بعينه من الجن . فذلك الاسم ـ على سبيل المثال ـ يدل على تلك الجان التى تظهر أثناء النهار . وفى هذا الصدد يشير بادويك الى وصف أحد الفلاحين لخشية وخجل الجن هذه الايام ، حيث يقول ذلك الفلاح : « فى أيام جدى كانت تلك الارض جرداء مقفرة ، وكان بوسعك أن تشاهد فيها نحو ستين عفريت الظهر فى نهار أى يوم من الايام » . كذلك الحال بالنسبة لتسمية « جنى البحر » ، فهــو اسم نوعى يدل على طراز من الكائنات البشعة التى تتسبب فى كل حوادث الغرق التى تحدث فى الترع ليلا أو نهارا . كذلك الامر أيضــا بالنسبة لـ « أم الصبيان » فهى فى رأى بادويك ليست اسما لعفريت أو كائن خرافى معين ، ولكنها تدل على كل تلك الارواح أو العفاريت التى تخطف الاطفال أو تهدف الى ايقاع الأذى بهم . فهــو اسم وظيفة وليس اســم علم ، شأنها فى ذلك شأن « أم الغيلان » .

ويلفت بادويك فى هذا الصدد نظرنا الى ملاحظــة هامة وهى أن افتقار تلك العفاريت الفــلاحية الى الطابع الفردى الخاص (فى قصص المنوفية التى جمعها عن العفــاريت ، وأوردنا هنــا بعضــا منها) يدلنا

بوضوح على أنها تنتمي الى مرحلة تاريخيه سابقه على قصص الليالى . ويستدل فى ذلك على ملاحظة من روبرتسون سميث فى كتابه « دين الساميين » يشير فيها الى أننا « نجد فى قصص الليالى الجن مسماه بأسماء فردية ومتميزة بشخصيات متفردة ، على حين نجد فى أساطير العرب القديمة أن الجن الفرد الذى يظهر للانسان ليست له شخصية متميزة أو اسم معين »(٨) . وتدل تلك الملاحظة دلالة واضحة على أن حكايات الجن المتداولة بين فلاحى الدلتا أقرب الى مثيلاتها التى كانت متداولة قبل ظهور الاسلام(٩) .

يتبقى بعد ذلك أن نشير الى دراسة جامعة لموضوع الجن أخرجها المستشرق السويسرى الالمانى أرنست تسبندن المعنونة « الجن فى الاسلام والمعتقدات الشرقية القديمة عن الارواح »(١٠) . ورغم كون هذه الدراسة تمثل أشمل معالجة للموضوع بلغة أجنبية على الاطلاق فانها تعانى من كثير من المثالب التى لا مناص من الاشارة اليها هنا :

١ - تستهدف دراسة تسبندن أصلا استقصاء أصول ومصادر الاعتقاد فى الجن ، أى كون هذا المعتقد العربى الاسلامى بجزئياته يمثل امتدادا للمعتقدات القديمة فى المنطقة من مصرية فرعونية ، وبابلية ، وآشورية .. الخ . وفضلا عن قدم هذا المنطلق من وجهة نظر البحث الاثنولوجى المعاصر ، فان دراستنا هذه لا تستهدف التطرق الى الموضوع

---

(٨) نقلا عن :
Robertsón Smith; Religion of the Semites: (London: 1889): Lecture III.

(٩) Padwick; op. cit; pp. 423-428.

(١٠) قارن : ارنست تسبندن : « الجن فى الاسلام ومعتقدات الارواح الشرقية القديمة »
Ernst Zbinden; Die DJinn des Islam und der altorientalische Geisterglaube; Bern; 1963.

بهذه الصيغة . اذ يتعذر معالجة جانب واحد منه هكذا دون التطرق الى جوانب أخرى مركبة معه ومرتبطة به .

٢ — لم تستند دراسة تسبندن الى جهد خاص فى الملاحظة الميدانية أو التجميع ، وهى لا تفصل فى مجال عرض أنواع الجن المختلفة وخصائصها أكثر من استقصاء المنشور فعلا فى المراجع الاوروبية من دراسات أو تجميعات .

٣ — ومن هذا يتضح أنه لم تتوفر لتسبندن فرصة الاطلاع على أمهات كتب التراث التى تمثل مصادر أساسية لهذا الموضوع ككتب الجن (مثل كتاب المرجان فى أحكام الجان) ، وكتب السحر الرسمية وعلى رأسها مجموعة البونى . ومع أن هذه الثغرة ليست وقفا فى الواقع على كتاب تسبندن اذ يشترك معه فيها معظم الدراسات السابقة عليه . الا أننا خصصناه بذكرها لان دراسته هى أوسع هذه الدراسات وأشملها. وهى التى وقفت نفسها على موضوع الجن .

٤ — يتضح من معالجة تسبندن بشكل عام عدم تمكنه من ناصية اللغة العربية ، وهو ما يدعونا الى أخذ كثير من تخريجاته بالحذر المطلوب .

٥ — وأخيرا وليس آخرا فان دراسة تسبندن لا تفصل بشكل واضح بين صورة الجن ودورهم فى المعتقد الشعبى ، ومكانتهم فى الممارسة السحرية . أى بين ما هو متداول على ألسنة الناس ومحفوظ فى عقولهم ، وما هو مسطر فى كتب التراث ، وهو مطلب أساسى من مطالب بحثنا هذا .

ولعله ليست بنا حاجة الى التأكيد مجددا على أن دراستنا هذه تلتزم فى خطتها العامة بالتمييز الذى سبق أن بيناه فى موضع سابق بين السحر

الشعبي والسحر الرسمي • فالمعتقدات الدائرة حول الجن ليست كلها من طبيعة واحدة ، ولا هي تنتشر بين كافة الفئات بنفس المعدل • وانما هي من طبائع متعددة ، وينتشر كل نوع منها بين فئة بعينها • أي اننا لو طبقنا هذا الفصل المنهجي الاساسي بين السحر الرسمي والسحر الشعبي على موضوعنا المحدد هنا لقلنا اننا سنتناول الجن في المعتقد السحري الشعبي منفصلا عن الجن في المعتقد السحري الرسمي • وكما نوهنا من قبل أن جميع الدراسات السابقة — أوربية أو عربية — لم تنتبه الى هذا الفصل بين نوعي السحر ، فانها جميعا لم تستطع بالضرورة أن تتناول موضوعنا هذا منفصلا بنفس الشكل •

بقيت في هذه المقدمة ملاحظة أخيرة • قد ينشأ عن استخدام كلمة الجن في عنوان البحث شيء من الالتباس • ذلك أن الكلمة يمكن — كما سيتضح من سياق الدراسة فيما بعد — أن تستخدم بمعنيين أحدهما عام والآخر خاص : المعنى العام — وهو الذي نأخذ به في العنوان — يغطي عالما كاملا من الكائنات الخرافية فوق الطبيعية ، شريرة كانت أو خيرة ، معينة للبشر في أعمالهم أو معوقة • انما هي تشترك جميعا في صفة أساسية كونها من طبيعة مختلفة عن طبيعة الانسان وتخضع في سلوكها العام لمنطق غير منطق الانسان ••• الخ • وهي بذلك تشمل الجن بالمعنى الخاص (= الفئة الطيبة من الجن) ، والعفاريت ، والشياطين ، والمردة ، والتوابع ، والاسياد ، الى آخر الانواع التي حاولنا حصرها في الفقرة ثانيا من الفصل الرابع • أما الجن بالمعنى الخاص فهي كما أشرت فئة طيبة من هذا النوع من المخلوقات • وسنزيد هذا التعريف تحديدا في بداية حديثنا عن الفقرة ثانيا من الفصل الرابع •

الفصل الثالث

الجن والملائكة فى المعتقد الدينى

هذه الجولة السريعة فى عالم الجن والملائكة فى المعتقدات الدينية المختلفة مقدمة لابد منها اذا كنا نتفق على أن المعتقدات الشعبية ليست فى نهاية الامر سوى الوعاء الذى ترسبت فيه آلاف المعتقدات المتجمعة من الديانات البدائية القديمة التى عرفها هذا الشعب وتطابقت وأفكاره وتصوراته البدائية — ذات الطبيعة السحرية — عن الكون والناس • وظلت على ثباتها تنتقل بالمشافهة جيلا بعد جيل ، لا تهن ولا تضعف رغم محاربة الدين الرسمى لها ومعارضته لاسسها • وكان عامل استمرارها الاول انها أكثر مناسبة لفكر جماهير الشعب (التى لم تنل الحظ الكافى من الثقافة الرسمية) وأكثر اشباعا لمطالب حياتية ملموسة لا تحلق بهذه الجماهير — التى تلتمس رزقها يوما بيوم — فى آفاق التجريد والمطلق واللانهائى الخ • آية ذلك أنه كلما زاد مستوى هذه الجماهير تخلفا كلما زاد حظها من المعتقدات الشعبية الخرافية ، وكلما ضربت هذه المعتقدات بجذورها الى طبقات أعمق وأبعد من مراحل التطور الدينى الذى شهده المجتمع[1] •

اذا أردنا أن نتصور ترتيبا للكائنات التى تعيش فى العالم من وجهة نظر المعتقد الدينى : لقلنا من باب التبسيط انه دون الآلهة — أو الله

---

(1) عن موضوع المعتقدات الشعبية ، تكوينها وخصائصها • انظر جوستاف منشنج ، علم الاجتماع الدينى ، الطبعة الثانية ، بون ، ١٩٦٨ ، الفصل الثالث خاصة صفحة ١٧١ .

(G. Mensching; Soziologie der Religion).

وكذلك كتاب « الدين » لنفس المؤلف ، ص ص ٣١٩ — ٣٢٠ ومادة خرافات Aberglaubc فى قاموس الاديان لبرتوليت ، الطبعة الثانية . شتوتجارت ، ١٩٦٢ ، ص ص ٢ — ٣ :

A. Bertholet; Woerterbuch der Religionen.

الواحد — الذين خلقوا أو هم يخلقون هذا العالم بما فيه ، هنــاك طبقة الكائنات الروحية (أو الروحانيون) أو الملائكة ، تليها طبقة الجن (أو العفاريت ، أو الشياطين) أو الارواح الشريرة ، ثم يليها جميعا : الانسان الذى يتميز بوضع خاص ينفرد به عن هذه الكائنات جميعا • فهو بجسده وروحه ينتمى الى عالمين : العالم الظاهر ، والعالم الباطن غير الظاهر • وربما كان هذا هو السبب الذى من أجله اعتبر الانسان — بفضل جمعه بين الطبيعة المادية والروح — « تتويجا لخلق الله » • على أن الانســان لا يجمع بين جنباته العالمين الظاهر والباطن فحسب ، وانما هو يجمع كذلك بين الالهى والشيطانى • وقد حفلت الاســاطير الدينيــة — ومعها ومن بعدها — الحكايات الشعبية بالكثــير من ألوان تصــوير هــذه الطبيعة المزدوجة •

ولنعد الى الملائكة أو الكائنات الروحية الطيبة • فنجدها من حيث المرتبة دون الآلهة منزلة ، وفوق الانسان بكثير • ونصادف الكائنات العليا حتى لدى أدنى الشعوب حضارة محاطة بأسرة معينة — أو ما نطلق عليه بمصطلح اليوم بلاطا • كما كان لدى كبار الآلهة الســومرين الاكادين حاشية كبيرة العدد • ثم نجد هذا العدد ينخفض الى ســبعة فقط (هم الخالدون المقدســون) المحيطون باهورا مزدا ، والذين يمكن أن نطلق عليهم بالمصطلح المسيحى « كبار الملائكة » • أما الديفا Deva فى الديانة البوذية فيحتلون مكانا خاصا • اذ هم من حيث الطبيعة كائنات روحيــة عليا ، تحيا حياة روحية خالصة فى الســموات المختلفــة ، لكنها فى نفس الوقت تشارك فى حياة البشر ، وخاصة حياة بوذا نفسه • فهم بهذا المعنى « ملائكة » بالمعنى الحق للكلمة •

ثم هناك الى جانب الملائكة المحيطين بالآلهة وعروشــهم الملائــكة الحارسون الذين يمدون يد المســاعدة للناس • ومن أمثلتهم الشــيدو واللاماسو عند البابليين الذين كانوا يصورون فى هيئة ثيران ، ويقومون على حراسة المعابد والبيوت ؛ والفرافاش عنــد الايرانيين ، الذين كانوا فى الاصل أرواح موتى • ولا يقتصر واجبهم على حماية الاحياء ، وانما

على حراسة الخلق المقدس كله من الارواح الشريرة (أو الشياطين)(٢) •

على أن المعتقدات والافكار الدائرة حول الجن قد حظيت باكبر قدر من النمو والتعقيد فى ظل العقائد اليهودية والمسيحية والاسلاميه • فهنا نجد الملائكة خدام العرش (وأبناء الله عند اليهود) ، وهم فى نفس الوقت رسله الى البشر ، والقائمون على حماية هؤلاء البشر وتقديم العون لهم ، والشفاعة لهم عند الله • ثم كان من نتائج التسامى الكبير الذى أضفى على مكانة الله فى المرحلة اليهودية السابقة على ظهور المسيحية أن نمت وتطورت الى مدى أبعد التعاليم الخاصة بالملائكة • وبدأ اليهود يميزون جماعات متباينة من الملائكة ، بل وبعض شخصيات الملائكة ذات أسماء محددة معروفة مثل : ميكائيل ، وجبرائيل ، وروفائيل ، وأوريل • وفى العهد الجديد (الانجيل) ، أصبحت الملائكة تؤدى وظيفة أخرى اذ تقوم بمرافقة المسيح فى يوم الحساب • والملائكة هنا هم الذين يلقون روح الانسان عند الموت • ولما كانوا — باعتبارهم كائنات روحية — لا يتمتعون بالحرية ولا يستطيعون تحرير أنفسهم ، فقد أصبحوا المثل الاعلى الذى يحتذيه الرهبان المسيحيون • وكان من آثار كل هذا وغيره أن نمت وتطورت فى ظل المسيحية أيضا التعاليم المتصلة بالملائكة والدائرة حولهم • وكان التصور المسيحي للملائكة — فى أوائل العهد المسيحى — متأثرا باليهودية فى اعتبارهم كائنات ذات تجسد من نوع خاص وفريد : رقيق شفاف اشعاعى (بسبب علاقتهم بالكواكب) أو نارى (وهذا تفسير اللون الاحمر لملابسهم على الصور المرسومة على الايقونات الاغريقية) • ثم تبع ذلك تقسيم الملائكة الى تسع فئات (ملائكة ، وكبار ملائكة ، وملائكة عروش ، وممالك وقوى •• الخ) وأصبح الملائكة من الموضوعات

---

(٢) انظر فقرة « الملائكة عند : فريدريش هايلر » « الدين والظواهر الدينية » H. Heiler: Erscheinungsformen und Wesen der Religion: Stuttgart; 1961: p. 474.

والمراجع العديدة الواردة هناك . وكذلك مادة « ملائكة » فى قاموس برتوليت ، المرجع السابق ، ص ١٧٤ •

المحببة فى أساطير القديسين والفنون المسيحية بأنواعها . ثم كان ما كان بعد ذلك من تصدى حركة الاصلاح الدينى لهذه المبالغات فى الاعتقاد فى الملائكة الذى كان ضاربا أطنابه فى الكنيستين الغربيسة والشرقية على السواء . وان كانت الصياغة الجديدة للعقيدة البروتستانتية قد عادت فعدلت من هذا الموقف الشىء الكثير . ربما ازاء التمسك الشديد بهذه المعتقدات حتى فى الآداب الكلاسيكية والرومانسية معا(٣) .

أما عن الافكار والتصورات المتصلة بالملائكة فى الاسلام ، فكثيرا منها وثيق الشبه بنظائره اليهودية والمسيحية(٤) . فالملائكة مخلوقون من مادة نورية شفافة ، مقسمون الى سبع فئات ، يسبحون الله من الازل الى الابد . هم غارقون فى هذا التسبيح والتمجيد ، ليست لهم ارادة مستقلة : تسعة عشر منهم يحرسون النار ، اثنان منهم أو أربعة يحرسون الانسان ، اثنان منهم الكاتبان جالسين على كتفيه يسجلون أعماله خيرها وشرها . وعلى رأس هؤلاء الملائكة جميعا جبريل الذى حمل الوحى الى رسول الله ، ومعه ميكائيل المتسلط على القوى الطبيعية ، واسرافيل ، وعزرائيل ملاك الموت ذو الاربعة آلاف جناح .

والى جانب هذه الارواح الطيبة الخيرة نجد الارواح الشريرة : من جن (مع أخذنا فى الاعتبار أن الجن منها الخير ومنها الشرير كما سيتضح فى مكان آخر) ، أو شياطين ، أو عفاريت .. الخ . وهم فى الاصل أما أرواح طبيعية رهيبة ، أو أرواح موتى تظل تحوم بلا هوادة لانها لم تنل الاضحية الواجبة ، أو قوى شريرة تثير الامراض وتنشر الأوبئة التى تفتك بالناس ، والجنون ، والكوارث الطبيعية ، والفيضانات

---

(٣) قارن على سبيل المثال مادة « الملائكة » فى قاموس الخرافات الالمانية :

Handwoerterbuch der deutschen Aberglaubens (HWDA); herausgegeben von H. Baechtoldstaeubli; Bd. 2; pp. 832-839.

(٤) قارن مقال « ملاك » فى دائرة المعارف الاسلامية .

Enzyklopaedia des Islam (4Bde) Leiden; 1913 ff; Art. «Malak».

والزلازل .. الخ . وأخيرا شياطين جنسية تمثل تجسيدا لقوة التحـريم المرتبطة بالامور الجنسية . وهى تسبب الاحـلام الجنسية ، وتهـدد الازواج الجدد ، وتعرقل الجماع والوضع .. الخ .

ونجد الخوف والرهبة من الشياطين أشد ما يكون قوة فى الاديان البدائية ، ثم استمر بعد ذلك فى الاديان القديمة المعروفة . ومن النماذج الخاصة لذلك « الاشرار السبعة » فى الدين البابلى ، وهم عبـارة عن كائنات من نار ، تفضل الحياة فى الاماكن الرهيبة الموحشـة المهجورة . كما عرف الدين الفيدى أنواعا بأكملها من الكائنات الشريرة . وكان أتباع هذا الدين يتصورونها كائنات فى هيئة بشرية ، ولكنها ذات تشـويهات متعددة ، كما كانت تصور على هيئة حيـوانية أيضا . ولقـد وصـلت المعتقدات الدائرة حول الشياطين والارواح الشريرة الى مدى بعيد من التطور والنمو فى الاديان الفارسية القديمة . وكانت تصطبغ فى معظمها بصبغة اخلاقية واضحة . اذ يتحول آلهة سـابقون الى أرواح للكذب . ونجد العالم كله عندهم ملىء بالارواح الشريرة التى لا تنبث فى الطبيعة وحدها . وانما فى البشر أيضا . ويرجع كثـير من الباحثين المعتقـدات الاسلامية حول الجن الى بعض الافكار والتصورات العربية القديمة عن الارواح الشريرة(٥) .

وتتجسد القوى الشريرة فى صورة ملموسة هى الشيطان . ولقـد كان الشيطان — فى صـور أولى ومسميات مختلفة — يعتبر عنـد بعض الشعوب البدائيـة الخالق الاول للشرور جميعا ، الذى يحـاول عرقلة الاعمال الطيبة لآله الخير . ونجد فى الهند أن « مارا » Mara اله الموت هو فى نفس الوضع اله اللذة ، وسيد هذا العالم ، الذى يحـاول غواية الناس . وهو بالذات الذى حاول الحيلولة بين بوذا وبين الوحى والالهام .

---

(٥) قارن : ارنسـت تسبندن : « الجن فى الاسلام ومعتقدات الارواح الشرقية القديمة » .

Ernst Zbinden; Die Djinn des Islam und der altorientalische Geisterglaube: Bern; 1953.

وكذلك الحال الى حد ما بالنسبه لاهريمان فى كتاب الافستا المقدس، فكل الاشياء الخيرة التى يخلقها أهورا مازدا ، يخلق أهريمان مقابلها شيئا شريرا . وهو يحاول تخريب العالم ، وتسميم البشر جميعا، وغوايتهم . والموت هو عماده الاساسى . وواجب المؤمنين جميعا الحرب المستمرة التى لا هوادة فيها ضد أهريمان وجنده .

أما فى الدين الاسرائيلى القديم فان المعتقدات الدائرة حول الشياطين لم تكن من القوة والوضوح الذى كانت عليه عند البابليين أو الفرس . فقد تأثر الدين الاسرائيلى فيما بعد بعض التأثر بهذا النوع من المعتقدات الفارسية . واكتسبت شخصية الشيطان فى اليهودية أسماء متعددة منها : بيل زيبوب ، وبليال ، وأكثر أسمائه على الاطلاق شيوعا : الشيطان . ولقد كان الشيطان فى المعتقد اليهودى أصلا عبارة عن أحد أولاد « ياهواه » — وواحدا من بين سدنة عرشه . كانت وظيفته اقامة الدعوى على الناس ، عاملا على الغواية وتنفيذ نكبات الدهر . وبتأثير فارسى فيما بعد اكتسبت الفكرة اليهودية المتأخرة صبغة ثنائية قوية . وتبدو ثنائية الله والشيطان بكل حيويتها ووضوحها فى يسوع ، وفى المسيحية الاولى كلها . وها هو الانجيل يحدثنا بأن : المسيح قد جاء « لكى ينقض أعمال ابليس » (رسالة يوحنا الرسول الأولى ، الاصحاح الثالث ، آية ٨) . ونجد عيسى يحارب الشيطان فى الصحراء (انجيل متى ، الاصحاح الرابع ، آيات ٨ — ١١) . ومعجزاته فى طرد الارواح الشريرة من أجساد المرضى هجوم مستمر منه ضد سيطرة الشر ، والسعى من أجل التمكين لسيطرة الله (انجيل لوقا ، الاصحاح الحادى عشر ، آية ٢٠) . وهكذا احتل الشيطان مكانة خطيرة فى فكر وحياة المسيحيين جميعا . وأصبح الرهبان فى الصحراء يعتقدون أنه يتعقبهم حيث هم . فخلق رجال اللاهوت تعاليم كاملة تدور حول الشياطين والارواح الشريرة . وأصبحت هذه الشياطين عبارة عن ملائكة حرمت من النعمة الالهية وكتب عليها الحرمان والطرد من رحمة الله . وعلى المستوى الشعبى ارتبطت المعتقدات الدائرة حول الشيطان بالمعتقدات الدائرة

حول الارواح التي ترجع الى عهد ما قبل المسيحية(٦) .

ونلحظ بعد هذا وجه الشبه الكبير بين الفكرة الاسلامية عن الشيطان ، وتلك الموجودة فى اليهودية ، بدءا من التطابق الاسمى . وقد ربط المعتقد الاسلامى بين هذه الصورة اليهودية وبين المعتقد العربى القديم عن الجن . وحكاية الشيطان (ابليس) فى القرآن معروفة .

ويبدو فى المعتقد الشعبى صدى واضح للاعتقاد فى واقعية الشيطان أو النصر الشيطانى ، هو فكرة لبس الشيطان للانسان ، أو تسلط قوة الشيطان على الانسان . والكائن الملبوس (أو الممسوس أيضا) يكون غير حر من ناحية ، ولكنه من ناحية أخرى يملك قوة خارقة . اذ يستطيع بفضل هذه القوة أن يأتى بالمعجزات ، فينبأ بالمجهول ، ويدل على الخبىء، وعلى رجوع الغائب .. الخ . وهو ما سنعود الى تفصيل الكلام عنه فى الفقرة الثالثة من الفصل الرابع من هذا الباب .

---

(٦) تارن فريدريش هايلر ، المرجع السابق ، ص ص ٤٧٨ — ٤٧٩ .
وقد شهد عصر التنوير فيما بعد رد فعل عنيف ضد معتقدات الشياطين والارواح الشريرة .

الفصل الرابع

الجن فى المعتقد السحرى الشعبى

أولا ــ الجن : طبيعتهم وخصائصهم :

يحفل التراث الشعبى بكثير من التفاصيل الخاصة بالتصور الشعبى للجن سنحاول تقصيها على الصفحات التالية • يفترض المعتقد الشعبى أن الجن أسبق خلقا من بنى آدم(١) • وهى ــ كما يرى ذلك التراث القرآنى أيضا ــ كائنات وسطى بين الانسان والملائكة ، مخلوقة من النار • وبينما لا يهتم الانسان العادى بتقليب هذه المعلومات على جوانبها المختلفة : اذ كيف يمكن أن يتفق ذلك وتشكل الجنى بأشكال مختلفة أو تعامله مع الناس ، نجد أصحاب المدونات الشعبية مثل صاحب كتاب « آكام المرجان فى غرائب الاخبار وأحكام الجان »(٢) يهتمون بتقليب هذه الحقيقة وتبريرها وتقديم التفسيرات التى لا تخلو من طرافة(٣) •

---

(١) قارن : بدر الدين ابو عبد الله محمد الشبلى (المتوفى سنة ٧٦٩ هـ): « آكام المرجان فى غرائب الاخبار واحكام الجان » ، مطبعة محمد على صبيح ، ١٣٧٦ هـ ، ص ٩ .

(٢) واذا استشهدنا هنا ببعض فقرات من كتاب آكام المرجان أو غيره من المدونات (مثلا حكايات الف ليلة وليلة) فليس ذلك بدافع من استقصاء صورة الجن فى المدونات او التراث المكتوب ، فهذا مكانه فقرة أخرى . انما نحن هنا بصدد استعراض الصورة فى المعتقد « الخرافى » الشعبى الحى ولا نعرض لتلك الشواهد المدونة الا اذا كانت للتدليل والتأكيد على بعض جوانب الصورة الحية المتداولة التى نهتم بها هنا . ففى كثير من الاحوال يكون لبعض عناصر (موتيفات) الصورة الشعبية الحية المتداولة جذور او انعكاسات فى التراث المدون . ويحسن فى تلك الاحوال الاشارة الى تلك الشواهد دون ما حاجة الى مناقشتها فى كل مرة .

(٣) فيقول الشبلى عن طبيعة الجن : « انهم وان خلقوا من نار فليسوا باقين على عنصرهم النارى بل قد استحالوا عنه بالاكل والشرب والتوالد ع

وتستطيع الجن أن تتشكل بأشكال كثيرة • فيمكن أن تأخذ شكل الآدميين ، والكلاب ، والحمير ، والقطط •• الخ • كما أنها تستطيع اخفاء نفسها عن أنظار البشر عندما تريد • ولكنها مع ذلك : تأكل ، وتشرب ، وتحمل ، وتلد كالبشر ، بل انها تموت ، ولكن بعد حياة بضع مئات من السنين(٤) •

ولو شئنا أن نعرض بالتفصيل للتصور الشعبى لحياة هذه العناصر الخارقة للطبيعة لما وجدنا خيرا من العبارة التى أوردتها الدكتورة سهير القلماوى فى كلامها عن العفاريت فى ألف ليلة وليلة ، اذ تقول : « أما حياة هذه العناصر الخارقة للطبيعة فحياة آدمية محضة فى كل تفاصيلها • كل ما يميزها عن الانسان هو تلك القوى الخارقة ، أما أكلها ومسكنها وعواطفها وعاداتها ، حتى العادات التفصيلية التى نراها فى حفلات الزواج مثلا ، فهذه كلها لم يستطع خيال القاص أكثر من أن ينقلها نقلا كما هى من الارض الى السماء ••• »(٥) ولنطوف فيما يلى مع المعتقد الشعبى محاولين الاستيثاق من صدق هذا الحكم الذى قدمنا به كلامنا عن صورة حياة الجن فى المعتقد الشعبى •

ففيما يتعلق بهيئة الجن نسمع أنهم سود حفاة مشققو الأعقاب

= والتناسل كما استحال بنو آدم عن عنصرهم الترابى بذلك . على انا نقول ان الذى خلق من نار هو ابو الجن كما خلق آدم ابو الانس من تراب . وأما كل واحد من الجن غير أبيهم ليس مخلوقا من النار ، كما ان كل واحد من بنى آدم ليس مخلوقا من تراب . الخ » ويدلل على ذلك بحكاية عن النبى مع شيطان عرض له فى صلاته ثم خنقه حتى لعابه أو برد لسانه « فبرد لسان الشيطان ولعابه دليل على انه انتقل عن العنصر النارى » . الشبلى ، آكام المرجان ، ص ص ٦٦ — ٦٧ .

(٤) فارن فنبندن ، المرجع السابق ، ص ٣ . وقد عقد صاحب آكام المرجان فصلا خاصا للكلام عن « هل كان الجن كلهم منظرون » ، ص ١٥٢ وما بعدها ؟ خلاصته أن بعضهم لا يموت ، أى أنهم ينظرون مع ابليس الى يوم القيامة .

(٥) انظر سهير القلماوى : الف ليلة وليلة ، مكتبة الدراسات الادبية — ٤) دار المعارف ، ١٩٥٩ ، ص ١٤٠ .

وينبت على أجسادهم شعر طويل(٦) •

وقد أكدنا من قبل أن الجن قادرون على التشكل بصور شتى ، فيتصورون فى صور الحيات والعقارب وفى صور الابل والبقر ، والغنم والخيل والبغال والحمير وفى صور الطير وفى صور بنى آدم • ومن أكثر الصور التى يعتقد أن الجن يتشكلون بها هى الكلاب والقطط • فيزعم أن الكلاب كلها جان ، أو بعض منها له خصائص معينة مثل :

— الكلاب المعيبة •

— والكلاب الشديدة السواد •

كما سمعنا كثيرا أن الجن تتشكل بصورة القط الاسود لان السواد فى رأى صاحب آكام المرجان : « أجمع للقوى الشيطانية من غيره(٧) • ومن أندر الصور التى سمعنا أن الجن تتشكل بها صورة الظباء(٨) •

كما أشار بادويك الى أن هناك عديدا من القصص التى تشير الى أن الغول قد يعيش متخذا هيئة البشر ، ويكون أسرة ، ويكون هو وهم معروفين لكل الناس • فتحكى احدى هذه القصص عن غول كان يمص كل يوم دم احدى الفتيات من اصبعها • ولما انتبه اخوة الفتاة الى ما يحدث لها ، كمنوا لهذا الغول الرجل ، وقتلوه ، وقطعوا جثته قطعا صغيرة ، وباعوها لزوجته وأولاده على أنه سمك للعشاء • وعندما بدأت الاسرة تطهو هذا السمك . تقول القصة : « ••• البنت الصغيرة وجدت صباع

---

(٦) تشقيق الاعقاب من اشهر صفات الجن التى سمعناها فى طفولتنا ، حيث كانت تشبه قدم الجنى بقدم الماعز المشققة . قارن كذلك آكام المرجان ص ٧٥ وص ١٠١ .

(٧) قارن مواضع كثيرة من آكام المرجان السابق الاشارة اليه ، خاصة ص ١٨ ، ١٩ ، ٢٢ ... الخ .

(٨) المرجع السابق ، ص ١١٩ وما بعدها . ونجد هذا بصفة خاصة فى القصص الشعبى ، وبالذات السير ذات المناظر البدوية .

أبوها وقالت لأمها : صباع أبويا هنا يا أمه (يا أمى) »[٩] .

كذلك أورد بادويك حكاية سجلها بنفسه عن الجنى الذى يظهر فى صورة انسان ، ولكنه يختفى كعمود من نار :

« كان فيه واحد عايز يسرق عنب عاص نفسه طين ونزل لكرم العنب وسرق كثير قوى وطلع من باب الكرم والعنب فى مقطف . وهو ماشى فى السكة وجد راجل قاعد وماسك سيجارة فى ايده . قام قال الراجل للحرامى : تعالى يا جدع . فلما راح له قام بسأله : ايه ده اللى فى المقطف ؟ قام قال له الحرامى : ده عنب . وخاف كثير . وقال له الراجل اللى هو عفريت : عاوز أقسم معاك . ومد ايده ومسك الحرامى من ايده . قام الحرامى وجد ايد العفريت زى الشوك ، زى القنفد . فراح العفريت يقسم العنب لحد ما خلى الحرامى على عدد واحد . فزعل هوه وتنه ماشى ، ولكن بعد ما مشى شويه قام رجع علشان يضرب اللى خد منه العنب . ولما خلى بينه وبين النفر العفريت زى متر ، صار الشيطان نار وطلع للسما » (ص ٤٢٤ — ٤٢٥ من المقال المشار اليه) .

وهناك أيضا طائفة من الحكايات التى يتصور فيها العفريت فى هيئة انسان يتميز بعيون من نار تلمع متوهجة فى الظلام :

« واحد فلاح من منوف كبير السن شويه قال لى : أنا شفت مرة واحد من الجان وكان الكيفية كده . كت (كنت) أمشى فى أواخر الليل للغيط بتاعى ، ولما فت علىَ ساقية مهجورة فى الطريق ، شفت عند الساقية فى ظلام الليل نار ترتفع مرة وتنخفض مرة . وخفت شوية ولكن قربت من محل النار ولقيته شكل انسان ، والنار دى هى عينيه . قام الانسان اللى هو عفريت قال لى : عاوز منى ايه ؟ قمت أنا فى غاية الخوف قلت له : انته مين ؟ فقال لى الجن : ما تسألش . وبعد كده خدنى وخلانى أمشى

---

(9) Padwick: op. cit; p. 432.

معاه لحد ما لففنى حوالين الســاقية وكان عاوز يغــدر بى ويوقعنى فى الساقية .. ورمانى فى الترعة ومكانش فيها ميه كتير . وفات واحد قرب الصباح وطلعنى من الترعة » . (ص ٤٢٥ من مقال بادويك) .

أما عن أماكن اقامة الجن أو تواجــدهم فنرى أنه لمــا كانت الجن مخلوقة من النار ، كان من الطبيعى أن تفضل النار كأماكن لتواجدها . ولذلك يجب على الانسان عندما يلقى شيئا فى النار أن يدعوا « بسم الله الرحمن الرحيم » . ويرى المعتقــد الشعبى أنه بذلك تتــاح للعفريت الموجود فى النار فرصة الهروب أثناء البسملة(١٠) .

الا أن المقر الرئيسى لتواجد الجن فى رأى المعتقد الشعبى المصرى ليس هــو النار ، وانما الارض . فالجن يعيشــون عادة تحت الارض . ولذلك يطلق عليهم فى الغــالب — من بين ما يطلق عليهم من أســماء — « اخواتنا اللى تحت الارض » أو « السفليون » . ولمــا كانت الجــان تعيش تحت الارض أساسا ، أصبح من المعقول أن تعتبر الناس الآبار ، والكهوف ، والاماكن الخربة من الاماكن التى يكثر تواجد الجن فيها ، اذ أنها تعتبر الى حد ما منافذ الى العالم السفلى ، كما أنهم يقطنون البلاد البعيدة : وفيها عادة تكون ممالكهم .

وتظهر الجان فى جميع الاماكن المهجورة أو غير المطروقة : كالطرق الزراعية ، وفى الصحراء ، والبيوت الخربة ، والانهار ، والحمامات(١١) . كذلك توجد كثــيرا فى الاماكن النجســة « كالحمامات والحوش والمزابل

---

(10) W. Blackman; The fellahin of Upper-Egypt; London; 1927. p. 195.

وكذلك تسبندن ، المرجع السابق ، ص ٢ .

(١١) انظر رودلف وهاينريش كريس : « المعتقدات الشعبية فى البــلاد الاسلامية »

Kriss: R. und Kriss-Heinrich;. Volksglaube in Bereich des Islam: 2 Bdes: Wiesbaden; 1960-1962: II; p. 15.

وكذلك تسبندن ، المرجع السابق ، ص ٤ .

والمقامين والمقابر »(١٢) .

ويلاحظ بادويك من واقع الحكايات التى جمعها من فلاحى المنوفية ما يؤكد اعتقاد الفلاحين المصريين أن الصحراء والظلام والأماكن الموحشة هى مساكن الجن أو أماكن ظهورهم للناس . ذلك أن الفلاح قد تعود على الحياة بين الناس فى أرض مأهولة . فهذا المعتقد يعبر عن نوع من الخوف الذى يحسه من الأراضى المقفرة . وهو تعبير عن الخوف من المشى وحيدا سواء فى الظلام ، بل وحتى فى عز الظهيرة . فهو يخاف من الوحدة ومن الوحشة(١٣) .

وتعد السواقى المهجورة أشهر وأبرز الاماكن التى يعتقد الفلاح أن الجن تقيم فيها ، أو تتردد عليها . ويحكى بادويك عن صديق له من منوف درس ثمانى سنوات فى الازهر ثم أربع سنوات بعده فى معهد المعلمين ، ولكنه قضى طفولته الاولى فى القرية بين الفلاحين . ويقول هذا الصديق لبادويك « اننى حتى اليوم عندما أمشى وسط الحقول وأصل الى قرب احدى السواقى المهجورة ، فاننى أرتجف من الخوف . فاذا كنت أسير وحيدا ليس برفقتى أحد ، فاننى أنتظر على الطريق الى أن يأتى أحد المارة لنعبر المكان معا . والا فاننى لا أمر بالساقية المهجورة وحدى أبدا » . (بادويك ، ص ٤٣٣) .

ويحكى ذلك الشخص لبادويك الحكاية التالية لتفسير منشأ هذا الخوف من السواقى المهجورة :

---

(١٢) تيارن الشبلى ، آكام المرجان ، ص ٢٥ و ص ١٠٧ .
وكذلك كريس ، المرجع السابق .

(١٣) من أمثال ذلك ما يحكيه بادويك عن الفتاة التى ظهر لها الجن وخطفها الى مقر اقامته فى الجبل :
« قابلها الغول فى نص السكة ، جه يعفر وينأف (كتبها المؤلف هكذا Jinaff وترجمها Snorting . وهى تعنى اصدار صوت كالشخير أو الصهيل تعبيرا عن الازدراء او الغضب او السخط) وقال لها : اكلك هنا والا اشيلك على قرونى واوديكى الجبل (الصحراء) ؟ ... فشالها الغول على قرونه وخدها الجبل فى خصه وحطها فيه » . بادويك . المرجع السابق ، ص ٤٣٠ .

« ... لما كنت ولد صغير بين الفلاحين كانت النـاس الكبار من الرجال والنساء يقولون لى : اوعى تروح عند الساقية والبير دى . قلت لهم : ليه ، قاموا قالوا علشان فيه هناك عفاريت ، مايصحش (لا يصح) تروح لوحدك ، ان كان فيه اثنين والا ثلاثة ويا بعض ما يظهروش . ولكن ان كان الواحد يروح لوحده يظهروا له فى شكل قطة ولا زى كده . ويكبر لحد ما رجليه على الارض وراسه فى السما . ويتوهك ويخطفك ويرفعك فى الهوا وبعدين يرميك فى البير . ويوم من الايام رحت البلد اللى هى قريبة من البير لقيت كل النسوان بيصـوتوا (يولولن) . قالوا لى ان محمد بن فلان كان الجان وقعوه فى البير المسكونة وهـوه بره بالليل . وكانت صحته عال ومكانش سكران ولا كان حد حسده ورماه فى البير ، ولا سبب لتتويهه وسقوطه فى البير . ورحت محل البير لقيت زحمة كبيرة وجثته (جثة) الراجل فى البير . وبعدين بنوا سور حوالين المحل ، ولكن بنوه واطى وطلعت جاموسة فوق السور ولقيوها ميتة فى البير . (بادويك ، المرجع السابق ، ص ص ٤٣٣ — ٤٣٤) .

وتعد الاماكن والبيوت الخربة وغـير المسـكونة من الاماكن التى يتواجد فيها الجن . وقد حكى أحد الفلاحين الموسرين المتدينين من منوف لبادويك حكاية تلقى الضوء على هذه النقطة :

« دخلت بيت وقت الظهر مافهش (ليس فيه) سكان والبيت قديم . ودخلت لوحدى فى أوضة (حجرة) مظلمة ، وحسيت بحركة فى الاوضة ، ولكن ما شفتش حاجة . بعدين جت حاجة شالتنى لفوق ونزلتنى تحت . ولما شفت كده ، الا وصـوت بيكلمنى وينادينى باسـمى . فوقعت على الارض ، وبقيت راقد لما جت الناس خدونى وجابونى البيت ، وقعدت تلات أيام عيان » . (بادويك ، ص ٤٣٤) .

ولكن ليس من الضرورى أن يكون البيت خربا لكى يكون مسكنا للجن ، وانما يكفى أن يكون المكان مظلما ، ولذلك من الحكمة ألا ينتقل المرء داخل الغرف المظلمة ليلا الا ومعه ضوء (مصباح أو شمعة أو غير ذلك) .

ويروى بادويك الحكاية التالية نقلا عن أحد الفلاحين :

« كانت فيه واحدة ست دخلت مرة أوضة (حجرة) فى الضلمة (الظلام) ولقيت اربعين ولد لابسين هدوم بيضا وطرابيش وهى خافت خالص . قالوا لها ما تخافيش أبدا . اذا ما قولتيش سرنا لحد ، احنا حانذيكى بكل (كل ؟) طلباتك . ومن الوقت ده ابتدت تطلب كل احتياجاتها . فصارت تغنى بسرعة وجوزها استغرب جدا ، وحب يعرف الفلوس دى منين ، وهى مرضيتش تقوله . بعدين هو شكك (شك) فيها وألزمها (أجبرها أن تخبره حقيقة غناها) . ومن اليوم اللى التزمت تقول السر كسحوها وتركوها وراح الغنى وكل حاجة » . (بادويك ، المرجع السابق ، ص ٤٣٥) .

أما عن أماكن تواجدهم داخل البيت فتفضل الفرن والمرحاض . ونحن هنا بصدد نوع معين من أنواع الجن الذين يعرفهم المعتقد الشعبى جيدا وسنتحدث عنهم بالتفصيل فى فقرة تالية ، وأعنى العمار . ويلخص لنا صاحب آكام المرجان الموقف فى كلماته : « ما من أهل بيت من المسلمين الا وفى سقف بيتهم من الجن من المسلمين . اذا وضع غذاؤهم فتغذوا معهم واذا وضع عشاؤهم نزلوا فتعشوا معهم . يدفع الله بهم عنهم »(١٤) .

كذلك تعتبر المقابر الفرعونية والاماكن المظلمة داخل المعابد القديمة مأوى للجان . ونذكر فى هذا الصدد قصة وليم لين عدم استطاعته اقناع

---

(١٤) قارن فيما يلى من هذا الفصل . وكذلك آكام المرجان . ص ٢٤ . ونلاحظ هنا النص على أن عمار المسلمين من الجن المسلمين . وان كنا لا ندرى هل عمار الديانات الاخرى من نفس ديانات اصحابها . ؟

خادمه بمرافقته الى دخول الهرم الاكبر لانه كان يخاف على نفسه من العفاريت • ويرى لين أن كثيرا من المصريين — من بينهم ابن اياس كما نعلم —(١٥) ينسبون بناء الاهرامات وغيرها من الآثار الفرعونية الضخمة لجان بن جان وخدمه • لانهم كانوا يعتقدون أن مثل هذه المباني الضخمة لا يمكن أن تكون من صنع يد البشر(١٦) • ويترتب على هذا بطبيعة الحال عدم ترحيب الفلاح بالخروج الى الاماكن المهجورة وحده ليلا • كما يترتب على المعتقدات السابقة ممارسات يتحتم الالتزام بها والحرص عليها : خاصة بالفرن والمرحاض فى البيت ، وخاصة كذلك بالاحتراس عند القاء شيء على الارض ، وبالذات الماء •• الخ(١٧) •

ونأتي فيما يلي على عجل على بعض خصائص الجن وسماتهم الاخرى • ومن هذا موضوع اللغات التي تتكلمها الجن • فعلى الرغم من أنه ورد فى أكثر من شاهد مما بين أيدينا أنهم يتكلمون لغات غير مفهومة أو معروفة لنا ، الا أن صاحب آكام المرجان مثلا يذكر كلاما وحوارا كثيرا باللغة العربية • بل وينقل عنهم كثيرا من أبيات الشعر(١٨) • ونذكر فى هذا الصدد الحكايات الكثيرة التي سمعناها فى طفولتنا ولازالت متداولة عن أشخاص نعرفهم حاوروا الجن عندما ظهروا لهم فى الليل على هيئة قطة أو فى غيرها من الصور • ولكن نسمع مع ذلك عن نفر مخصوص من الناس ممن يعرف لغة الجن ، وخاصة أولئك الذين يقال عنهم أنهم

---

(١٥) انظر : محمد بن احمد بن اياس : بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، ٥ — مجلدات ، مطبعة بولاق ١٣١١ — ١٣١٨ هـ ، الفصول الاولى من الجزء الاول .

(١٦) انظر وليم لين ، المصريون المحدثون . شمائلهم وعاداتهم (الترجمة العربية بقلم عدلى طاهر نور) ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ١٥٩ . وكذلك فينكلر ، ارواح الموتى التى تلبس الانسان ، ص ١٠ ، وتسبيندن ، المرجع السابق ، ص ١٤ وما بعدها .

(١٧) انظر ، تسبندن ، المرجع السابق ص ص ٣ — ٤ ، وبلاكمان المرجع السابق ، ص ١٥ وما بعدها .

(١٨) الشبلى ، آكام المرجان ، ص ١٤٥ وما بعدها فمواضع اخرى كثيرة بالكتاب .

« مؤاخين الجن » • ومن خصائص الجن التى أكدت عليها الحكايات كثيرا وتفنن المعتقد الشعبى فى ابرازها قدرتهم على قطع المسافات الطويلة فى زمن قصير : ولعلها ترتكز فى الواقع الى الآية التى وردت فى سورة النمل بصدد رواية قصة سليمان مع ملكة سبأ[١٩] • هذا علاوة على عدد لا يكاد يقع تحت حصر من الصفات التى يمكن أن تطيل هذه القائمة بلا حدود[٢٠] • ومن الشائع كذلك فى المعتقد الشعبى — الصادر عن أصول دينية رسمية — الاعتقاد بحبس الجن طوال شهر رمضان • وفيه أحاديث كثيرة واردة • يهمنا هنا ما يرتبط بهذا المعتقد من ممارسات شعبية منها : رش النساء الملح فى ليلة العيد (والليالى الاخيرة من رمضان) داخل غرف البيت للحيلولة بين الجان وبين رجوعهم الى المنزل[٢١] •

على أننا نلاحظ برغم العلاقات القوية بين الجن والطبيعة ، أن العفاريت فى مصر لا يمكن أن تعتبر أرواحا طبيعية بالدرجة الاولى • اذ تدل معظم الشواهد المتاحة لنا حاليا على انها تعتبر أرواحا للموتى • فلكل انسان — الى جانب روحه الخاصة — عفريتا (أو أخا أو قرينا •• الخ ذلك من أسماء) • تماما كما كان لدى المصرى القديم « الكا » • وبموت الانسان ينفصل هذا العفريت أيضا عن جسده • وهذا هو ما يحدث بالنسبة للحيوانات أيضا • وبذلك استطاعت الفكرة الاصلية عن أرواح الموتى أن تتمثل فى فكرة العفاريت ، بحيث أن فكرة العفاريت تدين بوجودها الى حد ما الى فكرة أرواح الموتى • ولذلك تكثر الحواديت الدائرة حول العفاريت[٢٢] •

---

(١٩) تقول الآية رقم ٣٩ : « قال عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك وانى عليه لقوى امين » • انظر كذلك تعليقا طريفا وتحليلا لهذه الخاصية فى آكام المرجان ، ص ١٣٩ •

(٢٠) قارن من بين مصادر اخرى كثيرة : آكام المرجان ، ص ص ١٠٢ — ١٠٣ ، وتسبندن ، المرجع السابق ص ٥ •

(٢١) تسبندن ، المرجع السابق ، ص ٧ وكذلك وليم لين ، المصريون المحدثون ، ص ٤٥٩ •

(٢٢) انظر كذلك كريس ، المرجع السابق ص ١٦ من المجلد الثانى •

والملاحظ أن عفاريت الناس الذين ماتوا فى حوادث تحوم قريبا من المكان الذى وقعت فيــه الوفاة • ويحكى الكثـــيرون أنهم رأوها(٢٣) • ويقررون انها تظهر (كأرواح موتى) فى هيئة بيضـــاء ، وتظـــل تكبر باستمرار ، أو صورة كلاب أو قطط • ويشـــير كريس Kriss الى أن المعتقد الشعبى يميز هنا مرة أخرى بين جن خيرة وجن شريرة • فأرواح الموتى ميتة غير طبيعيـــة ، وكذلك أرواح فئات أخرى من الناس ، مثـــل النساء اللائى متن فى أثناء الوضع ، تكون ذات طبيعـــة أميل الى الشر • أما أرواح الموتى من الأولياء فتعتبر رسل خير وأمل ، وهى تظهر التقديس — على نحو أو آخر — لاضرحة هؤلاء الاولياء(٢٤) •

أما الجن التى تعيش فى النهر وفى المجارى المائية فهى جميعا عبارة عن عفاريت غرقى • ولذلك لا يحسن اغاثة الغريق ، اذ ما جـــدوى ذلك طالما أن العفريت يجذبه الى أسفل ، وهو الاقوى على أية حال(٢٥) •

ثانيا — أنواع الجن فى المعتقد الشعبى :

ربما كان من الافضل أن نعرض فى بداية هذه الفقرة لملاحظة تتصل بموضوع الانواع : هل هذه الانواع التى سنخصص الحديث عنها هى أنواع حقا — أى مختلفة نوعا ، أما انها مجرد تسميات مختلفـــة لشىء واحد ؟ ولعله يمكننا أن نحسم هذه المشكلة لو أوضحنا أنها يمـــكن أن تعتبر جميعا نوعا واحدا من حيث هى مخلوقات غيبية ، غير مادية ، من

(٢٣) ولهذا السبب يعتبر من الأمور ذات الاهميـــة الحيوية ان تستكمل اجراءات الاعداد والدفن للميت على الوجه الاسلم ، حتى تهـــدأ روح الميت • قارن بلاكمان ، المرجع السابق ، ص ١٩٢ وما بعدها .

(٢٤) انظر كريس ، المرجع السابق ، المجلد الثانى ص ١٦ . وبالنسبة لأرواح الموتى من الاولياء فانظر المجلد الاول الذى يدور حول موضوع الاولياء• وكذلك

H. Winkler; Die reitenden Geister der Toten; pp. 9-11.

(أرواح الموتى التى تلبس الانسان) ، وتسبندن ، المرجـــع الســـابق ص ص ٥ — ٦ .

(٢٥) انظر بلاكمان ، المرجع السابق ، ص ١٩٢ وما بعدها .

طبقة غير طبقة البشر ، وغير طبقة الملائكة ، وانها على خلاف الملائكة مثلا — التى تحيا فى تسبيح ربها وتنفيذ أوامره — ذات صلة أوثق بحياة الناس ورابطة أقوى بجوانب حياتهم المختلفة ٠ من هذه الناحية يمكن أن نعتبر هذه الانواع نوعا واحدا ٠ ولكننا يمكن كذلك — واذا أردنا تحرى الدقة — أن نعتبر هذه المسميات المختلفة دلالة على أنواع مختلفة، من حيث أن لكل واحد منها بعض الخصائص الاساسية التى تميزه عن غيره ٠ فالغول يتخذ عادة شكلا أو أشكالا خاصة به ، ولا يمكن أن نطلق على اسم الروح أو « السيد » الذى يلبس المريض فى الزار اسم غول ، ولا شيطان ٠ كما لا يمكن أن نقول أن المارد يسكن معنا فى المنزل أو فى مكان ما منه ٠ فللمارد مكان وصفات خاصة ، ولسكان المنازل من الجان صفات وأسماء أخرى ٠٠ الخ على نحو ما سيتضح من مناقشتنا فيما بعد ٠

هذا ويلاحظ بادويك فى مقاله عن الجن والغول أنه قد ضمن عنوان المقال هذين النوعين مع أن التراث الرسمى يميز بينهما تمييزا دقيقا ٠ فالجن يحتلون مكانة أرقى من الغول وغيره من الكائنات فوق الطبيعية فى التراث الاسلامى ٠ أما الغول فلا يعدو كونه وحشا أو كائنا مفترسا ، أبعد ما يكون عن أن يتصرف بصفات شخصية ، أو يعرف التدين أو غيره٠ ومع ذلك — يستطرد بادويك — أن الحكايات الشعبية التى جمعها من المنوفية عن الجن والغيلان وما الى ذلك لا تميز تمييزا دقيقا بينهما ، وفى أحيان أخرى لا تميز على الاطلاق بين الجن وغيره من الكائنات فوق الطبيعية ٠ ويكاد التراث الشعبى الحى يجمع فى فئة واحدة الانواع التالية دون تمييز بينهما : الشياطين ، الجان ، المردة ، والغول ٠

ففى الحكايات الشعبية تلعب تلك الكائنات أدوارا متبادلة ، بمعنى أن بطولة الحكاية الواحدة يمكن أن تلعبها أم الصبيان فى احدى الروايات ، ويلعبها جن فى رواية ثانية ، أو عفريت فى رواية ثالثة ٠٠٠ وهكذا ٠ فجميعهم يحملون نفس السمات والخصائص ويسلكون سلوكا متشابها ، وأحيانا متماثلا تماما ٠ ولذلك فانه يقرر أن محاولة اقامة حدود فاصلة بين هذا النوع أو ذاك ، أو الفصل بين تلك

البيئة والاخرى عمليـــة لا تتفق والواقع القـــائم فى العقلية الشـــعبية ولا يوجد دليل يؤيدها من التراث المتداول بين الناس •

ويشير بادويك الى بعد آخر على جانب كبير من الاهمية . وهـــو التبادل والتفاعل القائم بين تلك الصور الشعبية الخالصة وبين مصادر التأثير الاخرى • اذ الملاحظ أن صورة تلك المخلوقات فى القـــرآن تختلف عن صورتها فى التراث الشعبى السائر ، كما يختلف كلاهما عن الصورة التى ترد بها تلك الكائنـــات فى حكايات ألف ليلة وليـــلة ، وجميـــع تلك المعلومات لا تتطابق تطابقا كاملا ، بل قد تختلف اختـــلافا كبـــيرا ، عن تصور الساحر الرسمى (المحترف) لتلك الكائنات فوق الطبيعية •

ومن المحتمل أن نصادف بعض الحكايات الشعبية أو التصـــورات الحية فى نفوس الناس فى الكائنات فوق الطبيعية التى قـــد تكون متأثرة بصورة الجن فى القرآن ، أو بتصوير رواة الليالى والسير الشعبية لهم وهكذا • وذلك عندما تكون هناك من الملابســـات والظروف ما أدى الى ابراز التأثير الرسمى على المعتقد الشـــعبى . أو تأثر المأثور المتـــداول بتصورات السحرة الرسميين وهكذا • وفى جميع تلك الاحوال يتعين علينا أن نلاحظ أن التراث الشعبى المتداول عن الجن لا يقف كله على مستوى واحد ، وليس من طراز متماثل ، ولكنه يتراوح ما بين الشعبية الخالصة — ان جاز هذا التعبير — الى التأثر شـــبه الكامل بالتراث الرســـمى أو السحر الرسمى أو تصوير الرواة(٣٦) •

١ — الجن والعفاريت :

لو ألقينا نظرة شاملة على كل ما تحت أيدينا من شواهد عن التمييز بين الجن والعفاريت ، لاتضح لنا انه لا يكاد يوجد بين الاثنين من فارق سوى أن الاسم الاول : الجن يطلق على الجن الخيرة أو الطيبـــة بصفة

---

(٣٦) انظر بادويك ، المرجع الســـابق ، ص ص ٤٢٢ — ٤٢٣ ، وكذلك صفحة ٤٣٢ •

عامة ، بينما يطلق الاسم الآخر : العفاريت على الجن الشريرة المؤذية فحسب(٢٧) • ولا نجد بعد هذا التفريق العام أى تفاصيل أخرى يمكن أن تزيد الامر تحديدا • لذلك يتمتع اسم العفاريت كما يتصف اسم الجن بقدر كبير غير عادي من الشمول والعمومية وغموض الدلالة • ويتضح هذا الغموض لو قسناه على الدقة التى يمكن أن نحدد بها خصائص الغيلان أو « الاسياد » مثلا •

٢ — الشياطين :

نادرا ما يستخدم العامة اسم الشيطان للدلالة على الجن الكافرة أو الشريرة • فالاسم المستخدم هنا هو « عفريت » و « عفاريت »(٢٨) • فعفريت هو المقابل الشعبى للمفهوم الدينى (الرسمى) شيطان •

٣ — المارد :

المارد هو باجماع الشواهد التى تحت يدنا الشيطان العتى أو القوى ، أو هو فى التعبير الشعبى : « شر أنواع العفاريت »(٢٩) • ولا تذكر هذه الشواهد عدا هذا شيئا محددا عن صفاته أو قدراته • اللهم اشارة وردت عند أحمد أمين تقول عنه : « ويعتقدون انه يستطيع

---

(٢٧) انظر على سبيل المثال :
— آكام المرجان ، ص ٨ •
— وسهير القلماوى ، المرجع السابق ، ص ١٣٢ و ص ١٣٧ •
— وتسبندن ، المرجع السابق ، ص ٣ •
— وكريس ، المرجع السابق ، مجلد ٢ ، ص ١٥ •
— ووليم لين ، المرجع السابق ، ص ١٥٦ و ص ١٥٩ من الترجمة العربية (وجميع أرقام الصفحات فيما بعد تشير الى الترجمة العربية) •
— سيد عبد الله حسين ، الجن ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ص ١٤ — ١٥ •

(٢٨) قارن وليم لين ، المرجع السابق ، ص ١٥٥ وما بعدها • وكذلك آكام المرجان ، ص ٧ • وسيد عبد الله ، المرجع السابق ، ص ٩ وص ١٥ •

(٢٩) على حد تعبير احمد امين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٣٥٣ ، وكذلك سيد عبد الله ، المرجع السابق ، ص ١٥ •

أن يطول الى ما لا نهاية ، ويقصر الى ما لا نهاية ، وأحيانا يتمدد فى الطريق بالليل ، فاذا قرأ أحد عليه شيئا من القرآن قتله »(٣٠) • والصفة الاخيرة ليست قاصرة على المردة ، وانما هى عامة فى كل أنواع الجن الشريرة على الاقل •

٤ — أرواح الموتى :

لا يستخدم المعتقد الشعبى هذا الاسم كما هو هنا • اذ يطلق على روح الميت اسم عفريت ، فالميت بعد أن يموت — مقتولا — « يطلع له عفريت » • مع ضرورة الانتباه الى فارق دقيق فى هذا الصدد • فروح الميت قبل أن يدفن يطلق عليها كما يطلق على روح الانسان الحى اسم « الروح » ، وهى لا تعرف باسم عفريت الا اذا عرضت للناس بعد دفن الجثة • كما لا يطلق اسم « عفريت » على روح الولى مثلا اذا ما تبدت للناس — فى صورة من الصور — بعد دفنه بوقت قصير أو طويل • وروح الرجل الطيب اذا ظهرت فى المنام لاحد الاحياء لا يقال لها عفريتا ، بل روح ، أو يقال ببساطة ان « فلانا قد ظهر لى » ، أو « زارنى الليلة » •• الخ •• فاسم العفريت مرتبط بمدلول غير طيب أو غير محبب على الاقل •

ويعرف المعتقد الشعبى كثيرا من الحكايات — التى تتمتع بتصديق كل من القائل والسامع — عن لقاءات مع العفاريت أو معلومات عنها ؛ وخاصة تلك الناجمة عن وفاة أحد الناس مقتولا أو غريقا أو محروقا •• الخ • صور الموت غير الطبيعى • ولنذكر مثلا الحكايات التى سمعناها ونسمعها عن الاماكن المسكونة التى تظهر فيها عفاريت لأنه قتل فى هذا المكان أحد ••• وهى قصص تلقى فى النفوس — وخاصة لدى الاطفال — رعبا هائلا(٣١) •

---

(٣٠) أحمد أمين ، المرجع السابق •

(٣١) سرد وليم لين ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ وما بعدها طرفا من هذه الحكايات • انظر كذلك أحمد أمين ، المرجع السابق ، ص ١٤٢ بعدها •

٥ — الروح :

يمكن أن تستخدم كلمة « روح » للدلالة على أحد أنواع الجن التى تضر بالاطفال على وجه الخصوص ، وتسبب لهم البكاء المستمر ، أو غير ذلك من الاعراض. ويطلق على الطفل اسم «مرووح» أو «مريوح»(٣٢) . والروح بهذا المفهوم تقترب اقترابا كبيرا من شخصية « أم الصبيان » أو « القرينة » التى سنفصل الكلام عنها فيما بعد .

٦ — الغول :

الغول نوع من الجن الشرير . يظهر فى العادة فى صورة حيوان أو وحش رهيب . وتسكن الغيلان المقابر وغيرها من الاماكن المنعزلة وتملؤها بالرعب والفزع . وهى تأكل الجثث كما تهاجم المارة فى مثل هذه الاماكن . بهدف أكلهم أيضا . ومن ثم يمكن أن يعتبر اسم الغول فى حقيقة الامر مرادفا لأكل لحوم البشر(٣٣) . وينفرد أحمد أمين فى قاموسه بذكر نقطة خاصة لكيفية التغلب عليه وقهره ، علاوة على تلاوة شىء من القرآن اذا واتت الانسان فى تلك اللحظة شجاعته وذاكرته . أعنى أنه « اذا كان مع الانسان سلاح وضربه به فانه يقتله ، فاذا ضربه ثانيه يحيا » . ولذلك اذا كان الضارب عارفا لا يثنى الضرب . والمألوف فى هذه الاشارة قدرة الحديد على اهلاك طبقة الجن بأنواعها . ومن ثم تذرع الناس بحمل الحديد أو ذكر الحديد عند الظن بتعرض الجن لهم أو توقع ذلك . والمشهور عن الغول ان الشرر يتطاير من عينيه اذا حدق فى الانسان(٣٤) .

---

(٣٢) قارن آكام المرجان ، ص ٨ .

(٣٣) قارن وليم لين . المرجع السابق . ص ٢٦٠ وتسبندن . المرجع السابق ، ص ١٣ . واحمد امين ، المرجع السابق ، ص ٢٩٩ .

(٣٤) من الآراء الغريبة فى الغيلان ما نطالعه عند صاحب آكام المرجان من انهم سحرة الجن ، القادرون على التشكل بالاشكال المختلفة . وهو يدعم هذا الراى بحديث عن الرسول ، وببعض اقوال الصحابة . ولا حاجة بنا الى تتبع مفهومه هذا بجملة تفاصيله ، اذ اننا لا نصادف هذا التصور فى المعتقد الشعبى . انظر آكام المرجان ص ١٩ وما بعدها .

أما السلعوة فهى انثى الغول(٣٥) ، وهى تطلق فى اللسان الشعبى مجازا على الشديدة القبح . كما يطلق الغول على كثير الاكل .

٢ ـ أرواح الزار (الاسياد) :

استهوت دراسة الزار عددا كبيرا من المستشرقين والمهتمين بدراسة المعتقدات الشعبية الاسلامية والافريقية . وليس هـذا مقام التعرض لموضوع الزار بعناصره المختلفة من : كودية ، وأسياد ، ومرضى ، وطرق علاج ، وأناشيد ، وحفلات .. الخ . انما كل ما يهمنا هنا أن نشير الى ان اسم الاسياد هـذا يطلق على الجن أو الكائنـات الغيبيـة التى تلبس النساء وأحيانا الرجال ـ وتصيب أجسامهم ببعض العلل التى لا يمكن علاجها ـ عن طريق اخراجها من الجسم أو استرضائها ـ الا من خلال اقامة حفل أو حفلات زار طبقا لقواعد ومواصفات معينة تعرفها الممارسة الشعبية بالتفصيل . وربما كان من المفيد أن نقدم فيما يلى عرضا سريعا للفئات المختلفة ، أو الاجناس المتباينة ـ لهذه الاسياد من واقع العرض الممتاز الذى قدمه لنا الباحثان الالمانيان كريس فى كتابهما « المعتقـدات الشعبية فى البلاد الاسلامية » حيث عقـد فى الجـزء الثانى من الكتاب فصلا خاصا تحدث فيه عن الزار ، وعن تجربتهما الشخصية فى مشاهدة وممارسة حفلات زار فى القاهرة(٣٦) .

يطلق على هذا النوع من الارواح أو الكائنات الغيبية أو العفـاريت اسم « الأسياد » ، وكذلك على المفرد منها اسـم « سلطان » . ويزعم بعض الناس أن عدد هؤلاء الاسياد ٦٦ سلطانا ، الا أن محاولات حصر

(٣٥) احمد امين ، المرجع السابق ، ص ٣٠٠ .

(٣٦) فيما يتعلق بموضـوع « الاسياد » انظر : احمـد امين ، المرجـع السابق . مادتى أسياد وزار . ص ص ٤٥ ـ ٤٧ ، وص ٢١٧ ، وكذلك تسبندن المرجع السابق . ص ١٥ . وفينكلر ، المرجع السابق ، ص ١٥ وما بعدها ، وبلاكمان ، المرجع السابق . ص ص ١٦٥ ـ ١٦٨ ، وأخيرا كريس ، المرجع السابق . المجلد الثانى ، ص ١٤٠ وما بعدها ، خاصـة ابتداء من ص ١٤٥ .

بعض الاسماء المتداولة تثبت أن هذا الرقم لا يمثل أكثر من دلالة رمزيه على الكثرة ، قريبا فى هذا من رقم الاسماء الحسنى التسعة والتسعين ، التى زادت الكتب المختلفة — دينية وسحرية — فيها زيادات وصلت حد المبالغة(٣٧) • ولا تستطيع أى كوديه أن تقــدم لنا حصرا بأسماء هــذه الاسياد ، فهى كما نرى متنوعة أشد التنوع • الا أن هناك فى مقابل هذا مجموعات (أو فئات) محددة تمام التحديد من السلاطين ، وهناك داخل كل مجموعة من هؤلاء طائفة أكثر أهمية من الاخرى ، وأكثر استخداما من سواها ، وهكذا • وهذا مما يجعل عملية تقسيمهم الى فئات بالغة الصعوبة لا تخلو من التعسف• ولعل من أبرز الصعوبات التى تكتنف عملية التصنيف هذه أن المعتقدات الدائرة حول الزار فى مصر تمثل الى حــد ما مصفاة تجمعت فيها كثير من معتقدات الارواح : العربية ، والحبشية ، والافريقية الوسطى ، فتتداخل بذلك طبيعة وخصائص الاســياد المختلفين بدرجات متفاوتة • وقد استطاع الباحثان كريس — فى ضوء دراستهما — ان يلاحظ أن معظم الاسياد تمثل — علاوة على الشخصيات المسيحية والاسلامية — كائنات طبيعية (أرواحا طبيعية) • ويمــكن على أى حال تقسيمها الى الفئات التالية : أسياد ذات أصل اقليمى ، وأخرى طبيعيــة ، وقبطيــة ، واسلامية ، ثم خامسة تنتمى الى طوائف مهنية معينة • وأخيرا طائفة ذات أسماء أعلام عادية ، ويدخل تحت هذه الفئة كل الاسياد التى لا تندرج بطبيعتها تحت أى من الطوائف الخمس السابقة •

ولن يسمح المقام بطبيعة الحال باستعراض مفصــل لكل من هــذه الفئات ، ولكننا نشير الى مكوناتها الفرعية على عجل :

١ — المجموعة الاقليمية وتضم : الارواح السودانية ، والحبشية ، والصعيدية ، والعربية ، والمغربية •

---

(٣٧) قارن : محمــد الجوهرى : استخدام اســماء الله فى الســحر فى المؤلفات المنسوبة للبونى (بالالمانية) بون ١٩٦٨ ، ص ١٦٦ وما بعدها .

٢ ــ مجموعة الارواح الطبيعيه وتضم : سلطان الجن الاحمر (النارى) ، وسلطان البحرى ، والست سفينة ، والجبلاوى .. الخ ..

٣ ــ المجموعة القبطيــة وتضــم : النصرانى أو ســلطان الدير ، ومريم .. الخ ..

٤ ــ المجموعة الاسلامية وتضم : أسرة الرسول : على ، والحسين ، وفاطمة ، ونفيسة ، وسكينة . ثم بعض صــحابته : كأبى بكر وغــيره . وكذلك مشاهير الاولياء المصريين : أحمد البدوى ، وابراهيم الدسوقى ، والرفاعى ، والبيومى ، والقطب المتولى ، وأبى العــلا ، والشــافعى ، والليثى .. الخ .

٥ ــ أما عن ممثلى الطوائف المهنيــة المختلفة فنجد : الياورى بك ، وسلطان اللواء ، والعسكرى ، والضابط ، والحكيم باشا أو الحكيمباشى (الطبيب الكبير) .

٦ ــ أما الطبقة الاخيرة فتضم كما أشرنا أولئك الذين لا يندرجون تحت أى من المجموعات السابقة . سلطان روم نجدى ، وســلطان ريفا ، والولاج ، وسلطان مامه .

٨ ــ القرينة :

لكل انسان ــ منذ مولده ــ قرين خاص علاوة على عفريته الخاص به . ويعرف بالنسبة للرجال باسم القرين ، وبالنسبة للنساء باسم القرينة . وتختلف ألوان الاقران (أو القرناء) ــ فمنها الابيض ومنها الاسود تبعا للون بشرة صاحبها الانسان . كما تتنوع أفعالها بين الخير والشر ، تبعا لافعال الانسان . وهى باعتبارها قرينا للانسان تلاقى نفس المصير الذى يلاقيه . فاذا مرض الانسان مرض قرينه ، واذا تألمت عيناه مثلا تألمت عينا القرين ، وهكذا . واذا ما عالج الطبيب عينى الانسان المريضة ، تولى قرين الطبيب علاج عينى قرين الانسان المريض . ومن البديهى أن

يتزوج قرين الرجل بقرينة زوجته الانسية (مع فارق واحد هو أن القرينة لا تستطيع الانجاب • ومن هنا حسدها للمرأة الانسية وحقدها عليها كما سنرى فيما بعد) • واذا مات الانسان مات قرينه • فالتناظر كامل تماما ، كما هو الحال بالنسبة للقرين المصرى القديم أو « الكا »(٣٨) •

على أن هناك حالات أخرى لا يكون دور القرين فيها بمثل هذه السلبية ، اذ تمسك القرينة بزمام المبادأة • ويبدو ذلك بالنسبة لأم الصبيان ، أو التابعة — أو القرينة أيضا — التى يعرف المعتقد الشعبى الكثير عنها ، وعن أفعالها ، وكذلك عن طرق علاج أضرارها التى تنزلها بالانسان • وتظهر قرينة الام ليلا بالذات مدفوعة بدافع الحسد والغيرة (نظرا لانها لم توهب قدرة الام الانسية على الانجاب) اما لكى تقتل جنينها فى بطنها — بأن تضرب الحامل على بطنها — أو تهددها فى حملها ، أو حتى بعد أن يتم الوضع تهاجم الطفل وتسبب له أمراض الاطفال ، والضعف ، ونحولة الجسم • وفى مثل هذه الحالات التى تشعر الام أن مرض طفلها راجع الى اصابة القرينة له تلجأ الى الساحر ليكتب لها بعض الاشياء • وكتب السحر الرسمى مليئة بمئات من هذه الوصفات التى تناسب كل الظروف والامراض • وأبرزها وأشهرها جميعا — وهو ما يمكن كذلك للأم أن تشتريه جاهزا من السوق — السبع عهود السليمانية وهى عبارة عن عهد أخذه سيدنا سليمان على أم الصبيان هذه (أو القرينة أو التابعة أو ملكة الاقران) • وتقول الرواية ان سليمان قد أمسك ذات يوم بهذه السيدة ، ولم يخلصها من قبضته الا بعد أن أعطته هذا العهد ، ألا تمس أبدا الطفل الذى يحمل هذه العهود فى رقبته • وهناك علاوة على

---

(٣٨) عن القرينة أو أم الصبيان انظر : احمد امين ، المرجع السابق ، ص ٣٢٤ ، وآكام المرجان حيث تنسب للرسول محمد احاديث تؤكد وجود القرين وتحدد دوره على نحو قريب مما أشرنا اليه هنا ، ص ٢٦ وما بعدها . وتسبندن ، ص ١٣ وما بعدها ، وكريس ، المجلد الثانى ، ص ٢٢ وما بعدها . وأشمل من هذا جميعا وأكثر أصالة الدراسة المونوجرافية التى عقدها الالمانى هلنز فينكلر عن سليمان والقرينة :
H. Winkler; Salomo und die Karina; Stuttgart; 1931.

العهود أو كتابات السحر ممارسات شعبية أخرى عديدة للشفاء من أضرار أم الصبيان .

٩ ـ الأخت :

تعتبر الاخت من الشخصيات الخرافيـة الغريبـة الاخرى . فهى الاخرى تولد مع كل انسان . ومن اللافت للنظر أن الصورة المذكورة لهذه الشخصية (كما هو الحال بالنسبة للقرين) وأعنى « الاخ » لا وجود له فى المعتقد الشعبى . فالرجال اذن لهم « أخت » أيضا ، حتى الاولياء منهم . وهناك تطابق كامل بين الدور الذى تلعبه الاخت ، ودور القرينة ، بحيث أن الباحثين يميلون الى اعتبارهم تسميات مختلفة لنفس الشخصية التى يعرفها المعتقد الشعبى بصورتها التى حددناها فى الفقرة السابقة . وقد أوردت بلاكمان أحد الشواهد التى جمعتها والتى ظهرت فيها أخت أحـد الاشخاص فى هيئة قطة[٣٩] .

١٠ ـ كائنات أخرى :

نتناول فى هذه الفقرة على عجل طائفة من المسميات التى تدخل بحكم خصائصها وطبيعتها فى فئة الجن فى نظر المعتقد الشعبى .

وأول هذه الكائنات بطبيعة الحال ابليس ، الذى يعتبر فى المعتقـد الدينى الرسمى والشعبى على السواء أبو الجن . على أنه فى ضوء المعتقد القرآنى أيضا الذى يقسم الجن الى جن خيرة (أو مؤمنة) وأخرى شريرة، يكون ابليس أقرب الى زعامة الفئة الكافرة[٤٠] .

---

(٣٩) قارن تسبندن ، ص ١٥ ، وكذلك بلاكمان ص ٦٣ وما بعدها .

(٤٠) انظر : جمال الدين أبو الفرج ابن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) : تلبيس ابليس ، ادارة الطباعة المنيرية ، القاهرة ، ١٣٦٨ هـ . وهو يعرض للمجالات والاساليب المختلفة التى يحاول بها ابليس الايقاع بالناس والتغرير بهم .

هناك بعد ذلك فئة « العمار » (والمفرد عامر) : وهم الجن الذين يسكنون مع الناس داخل بيوتهم • وهم كأرواح سفلية لا يسمحون للأرواح التى يستخدمها السحرة بدخول المنزل • ولذلك يسبق أداء كل عمل سحرى صيغة معينة لصرف العمار ، أى ابعادهم عن المكان • وبعد الانتهاء من « العمل » تتلى صيغة أخرى لاعادتهم الى مكانهم • وسوف نعود الى متابعة الكلام عن فئة العمار هؤلاء فى اطار استخدام الجن فى السحر الرسمى فى الفصل الخامس من هذا الباب •

هناك كذلك عدد كبير من « الشخصيات » التى تستخدم لتخويف الاطفال ، بعضها معروف بخصائصه العامة ، وغالبيتها تثير الرعب والهلع من مجرد ذكرها أمام الاطفال دون ما فكرة محددة واضحة عليها لا فى ذهن الآباء والاطفال •• ومن ثم يمكن الاعتقاد بأن دورها التربوى أخطر وأبعد أثرا من دورها كمعتقد شعبى بالمفهوم المعروف • من هذه الشخصيات :

« أبو رجل مسلوخة » : وهو فى ذهن الناس « عفريت » • يوصف — على حد تعبير أحمد أمين — « بانه مخلوق نصفه الاعلى كالانسان ، ونصفه الاسفل كالحمار ، وله ذنب وبفخذيه سلوخ فى الجلد يظهر منها لحمه الاحمر » • ومما يستخدم لتخويف الاطفال أيضا شخصيات « المزيرة » ، و « البعبع » و « السلعوة » ، وعفريت الليل •• الخ[٤١] • ولم تهتم الكتابات القليلة المتوفرة لدينا الآن بتقصى مختلف جوانب هذه الشخصيات ، لا من حيث خصائصها ، ولا أصولها الثقافية • وهو ما يؤكد لنا من جديد أهمية التنظيم لعملية جمع علمية لتراثنا الشعبى بشتى جوانبه •

---

(٤١) يقول احمد امين ان هذا الاسم أطلق فى الاصل على واحد من النوبيين الذين كانوا مكلفين باضاءة مصابيح الشوارع بعد المغرب . وكان من عاداتهم ان يجروا سريعا فى الشوارع ليؤدوا عملهم بسرعة . ولذلك قيل « عفريت الليل بسبع رجلين » . ولكننا عرفنا عفريت الليل فى طفولتنا كائنا قريبا من البعبع وابو رجل مسلوخة ، من الاشياء التى تذكر لتخويف الاطفال • قارن احمد امين ، المرجع السابق ، صفحات ١٧ ، ٩١ ، ٢٨٦ •

ثالثا — الجن وبنى الانسان :

من الطبيعى بعد هذا المسح الاولى لانواع الجن المختلفة فى المعتقد الشعبى • أن نقف على أوجه الاتصال المباشر بين هذه الانواع العديدة وبين الناس • ما هى طبيعة العلاقة بين هذه الكائنات وبين الناس : هل هى تسير فى اتجاه واحد : الايذاء والاضرار ، أم المساعدة والتيسير ؟ الحقيقة أن العلاقة تتضمن هذه الجوانب جميعها ، ويتوقف ذلك فى كل حالة على موقف الناس منها : اجابتهم لمطالبها ، مراعاتهم لحقوقها وخصائصها •• الخ من ناحية ، وعلى طبيعة هذه المخلوقات فوق الطبيعية من ناحية أخرى • اذ أن بعضها جبل على الاضرار ، بل ان رسالته الاولى الايقاع ببنى الانسان ، وانزال الكوارث بهم أينما وجدوا ، ومهما كان سلوكهم • وستزداد هذه الجوانب اتضاحا من استعراضنا التالى :

الموقف العام للعفاريت من الناس هو السخرية بهم ، والعبث بهم لمجرد العبث • والصورة العامة هنا : كائنات فوق طبيعية ذات قدرات خارقة ، على جانب قليل من الايمان والالتزام بالقواعد الاخلاقية (بمفهومها البشرى) ، تعانى الملل فى كثرتها الهائلة ، فتتراهن على ايقاع الأذى ببنى الانسان ، أو حمل أحدهم على سلوك مسلك معين •• الخ[٤٢] • وفى بعض الاحيان يتسع بند اللهو بالانسان هذا ليشمل تخويف الانسان بصفة عامة باعتباره هنا نوعا من الهزل والسخرية بالناس • فما أن يجن الليل حتى تنتشر الشياطين متعرضة للصبيان ، ولضعاف الايمان غير المسلحين بالقرآن ووسائل التحرز الاخرى من العفاريت (كالملح ، أو الشب ، أو الحديد • الخ) • ويدخل تحت هذا كذلك سكن الجن لدور معينة ، واتيانهم بعض الافعال الغريبة ، أو اعتداؤهم على حياة ساكنيها حتى تظل مهجورة •

---

(٤٢) انظر سهير القلماوى ، الف ليلة وليلة ، ص ١٣٨ ، وآكام المرجان ص ص ٩٨ — ٩٩ ونموذج آخر ص ١١٥ •

من هذا ما أورده وليم لين من أن « العامة » يؤكدون أن أشرار الجن كثيرا ما يعتلون الاسطح والشبابيك ، ويقذفون بالقراميد والحجارة فى الشوارع والافنية • ويحكى لين فى ذلك : « وقد أخبرت من أيام قليلة بحادثة من هذا النوع أفزعت سكان أهم شارع فى القاهرة أسبوعا بأكمله، اذ كانت القراميد تقذف بكثرة من بعض المنازل كل يوم طول هذه المدة ، ولم يصب أحد • وقد ذهبت الى مكان هذه الدعاية الجنية المزعومة للنظر والاستقصاء ، ولكن قيل لى عند وصولى أن الرجم انقطع • ولم أجد أحدا أنكر قذف القراميد ، أو شك فى أنه من أعمال الجن • وكانت الملاحظة العامة عند ذكر هذا الموضوع قولهم: « الله يحفظنا من شر أعمالهم »(٤٣)•

والحكايات المتداولة بين الناس عن مثل هذه الموضوعات أكثر من أن نحصيها هنا • الا أن هذا الاستهزاء قد يجاوز المدى ويتحول الى نوع من الاضرار : اذ يعتقد أن العفاريت التى تظهر ليلا تحاول أن تقتلع عيون الناس من محاجرها •• الخ(٤٤) •

هذا نوع من الصلات التى يمكن أن تقوم بين الجن وبين بنى الانسان : ليست شرا خالصا كما أنها ليست خيرا مطلقا • ولكن هناك علاقة من نوع آخر لا يعود على الانسان من ورائها سوى الضرر البين • ذلك عندما يحل الجن فى جسد الانسان ، أو بالتعبير الشعبى « يصرعه » أو « يلبسه » • وفى هذه الحالة يصير الانسان مصروعا أو ملبوسا • وهو بذلك نوع من المرض الذى تحتشد كتب السحر ، والوصفات الشعبية بالعديد من أساليب علاجه وتجنبه وخيم عواقبه(٤٥) • والقاعدة أن يدل

---

(٤٣) وليم لين ، المرجع السابق ، ص ص ١٩٨ — ١٩٩ •

(٤٤) بلاكمان ، ص ١٩٣ وص ٢٠٢ ، وتسبندن ، ص ٦ وما بعدها •

(٤٥) قارن على سبيل المثال : آكام المرجان ، ص ص ١٠٦ — ١٠٧ حيث يستعرض المؤلف الانواع المختلفة والدوافع المتعددة وراء «صرع الجن للانس» وكذلك سهير القلماوى ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ ، واى كتاب سحرى يمكن أن يقع تحت يدنا ملىء بوصفات لعلاج المصروع •

الناس قصارى جهدهم « لاخراج » هذا « العارض » من الجسم ويظلوا فى اصرارهم حتى تغادر تلك الروح الجسم ويشفى الشخص • والا فهناك احتمال أن تظل تلك الروح لابسة الجسم ، ولكن دون أن تعمد الى ايذاء صاحبه أساسا ، أو على الأقل تقدم له نوعا من الفائدة بأن يتحول الى ولى يتنبأ بالغيب ، ويخبر عن الغائب والمفقود ، ويصف الدواء للمريض ويخاطب الارواح •• الخ(٤٦) •

تلك هى علاقة « المؤاخاة » بين الجن وبنى الانسان • وأركان هذه العلاقة الاساسية أن يقيم انسان معين علاقة ثابتة (= أخوة) مع أحد الجن ، ويجيب لهذا الجن بعض المطالب ويفى ببعض شروط الصداقة فى مقابل أن يقدم الجنى له المعلومات المطلوبة والحلول المختلفة لما يعن له من مشكلات • وعندما يحل الجنى فى جسم هذا الانسان لابد وأن يصاب هذا الشخص ببعض الاعراض الهسترية التى تنبىء المحيطين به بأن الروح قد حضرت • ومن ثم يستطيعون مخاطبتها ، وهنا ينطق الشخص « الملبوس » بصوت غير صوته المألوف(٤٧) •

ومن نماذج القصص الشهيرة عن علاقة المؤاخاة بين جن وانسان تلك التى تحكى عن قيام علاقة وثيقة بين أحد الصالحين وجنى مؤمن يحرسه ويتخذ هيئة قط أو غير ذلك • والجن — القط — يلازم الرجل

---

(٤٦) خصص هانز فينكلر احد مؤلفاته بأكملها للحديث عن الارواح التى تلبس الناس قارن فى هذا ص ٨٢ وما بعدها من هذا المؤلف :

H. Winkler. Die reitenden Geister der toten; Stuttgart; 1930; pp. 82 ff.

وكذلك تسبندن ، ص ٩ . كما نعثر فى احكام المرجان (ص ١٣٨) على صورة رسمية مفصلة منسوبة للتراث (أطرافها عمر بن الخطاب وأبو موسى الاشعرى وامرأة فى جنبها شيطان يتكلم) تنبىء فيها الجن بالغائب والمجهول ، وتؤيد المعتقد الشعبى الشائع .

(٤٧) برغم الانتشار الواسع لظاهرة الملبوسين هذه فاننا نسمع من جانب رجال الدين طعنا فى صدق اقوال من يزعمون انهم يرون الجن عيانا ، استنادا الى الآية الكريمة : « انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم » قارن كذلك آكام المرجان ، ص ٢١ حيث يستعرض المؤلف مزيدا من الشواهد .

المؤمن دون طلب أو سؤال من جانب الرجل الصالح، بل ان شرط استمراره فى خدمته ألا يعرف ذلك الرجل أن ذلك القط جن وليس قطا حقيقيا ، فاذا عرف الانسان حقيقة الجن اختفى ذلك الاخير فى الحال . وهى موتيفة شائعة فى كثير من صور المعتقد الشعبى التى تتردد فى القصص وفى الاساطير وغيرها . ويروى وليم لين حكاية من هذا النوع نقلا عن أحد المشايخ يقول فيها :

« وقد روى الشيخ خليل المدابغى ، وهو من أشهر علماء مصر وقد ألف كتبا عديدة فى مختلف العلوم ، وتوفى فى سن متقدمة أثناء زيارتى الاولى لمصر ، الحكاية التالية : « كان له ، كما يقول ، قط أسود عزيز ينام عند ذيل كلته . ففى منتصف احدى الليالى سمع طرقا على باب داره ، فقام القط وفتح مصراع الشباك وهتف : « من ؟ » فأجابه صوت : « أنا فلان الجنى (وذكر اسما غريبا) افتح الباب » فقال قط الشيخ : « ان المزلاج قرىء عليه اسم الله » . فقال الآخر : « اذن اقذف لى رغيفين من الخبز » فأجاب القط : «انسلة الخبز سمى عليها» فقال الغريب : «حسن ، أعطنى على الاقل جرعة ماء » . ولكنه رد عليه بأن وعاء الماء محفوظ بالطريقة نفسها . فسأل ماذا يستطيع أن يفعل وهو يوشك أن يموت جوعا وعطشا ؟ فأشار عليه القط أن يذهب الى باب الدار التالية . وذهب هو بنفسه وفتح الباب ثم لم يلبث أن عاد . وفى الصباح التالى ، غفل الشيخ عن عادة كان يراعيها دائما ، فأعطى القط نصف الفطيرة التى كان يفطر بها ، بدلا من قطعة صغيرة اعتاد أن يعطيه اياها . ثم قال له : « يا قطى ، أنت تعلم أننى فقير ، فجئنى اذن ببعض الذهب » . فاختفى القط فى الحال بعد هذا الكلام ، ولم يره الشيخ بعد ذلك[٤٨] .

الا أنه قد يحدث أحيانا ألا تكون الصلة بين الانسان والجنى مستقرة هكذا ، أو على الاقل فى عالمنا المشهود . فقد تختطف الجن انسانا

(٤٨) وليم لين ، المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

ليعيش بينها ، ويستقر فترة قد تطول لسنوات، وقد لا يعود على الاطلاق. كما يمكن أن تدوم رحلته ليلة واحدة فقط وهكذا . وقصص ألف ليلة وليلة مليئة بشواهد من هذا النوع محتشدة بكثير من التفاصيل عن حياة هؤلاء الجن فى مجتمعاتهم ، وعن خلقهم فى التعامل وما الى ذلك .

كذلك يمكن أن تقوم بين انسان — أو انسانة — وجنى علاقة جنسية عابرة أو مستمرة . ولا زالت كثير من القصص عن هذا النوع من الاتصالات متداولة معروفة حتى أيامنا هذه(٤٩) .

وهناك الى جانب هذا كثيرا من أوجه تدخل الجنى فى حياة الانسان بالمضايقة مثل تسليط الهواجس عليه (ما يعرف باسم الوسوسة) ، ويقال « فلان موسوس » أثناء تأديته العبادات . أو تسليط الاحلام المكروهة المزعجة عليه .. (٥٠) .

ولكى يضمن الانسان سيرا صحيحا لهذه العلاقة بينه وبين الجن ، كان عليه أن ينتبه أشد الانتباه الى مراعاة طائفة من القواعد وتجنب كثير من المحاذير . من هذا أنه لما كان العفريت (أو الجنى) روحا ثانية لصاحبه ، ولما كان يرتبط — خاصة فى حالات الموت فى حوادث — بدم المقتول ، كان من الضرورى الاعتناء بانهاء اجراءات الدفن على الوجه الشرعى السليم كى يستريح العفريت ، ويكف عن التعرض للناس(٥١) .

---

(٤٩) أشرف كاتب هذه السطور على عملية جمع التراث الشعبى من عادات ومعتقدات متصلة بدوره حياة الفرد من بعض مناطق الجمهورية فى شتاء ١٩٦٩/١٩٧٠ قام بها طالبات وطلبة قسم الاجتماع بكلية آداب القاهرة . وقد تضمنت أسئلة الدليل الذى جمعت بواسطته المادة سؤالا عن « قصص حمل غير عادية » (السؤال رقم ٢١ ويقول : « هل هناك قصص ونوادر عن حالات حمل غير عادية ؟ وما تفسير ذلك ؟) وقد سجلت فعلا أكثر من قصة عن تبرير عمليات حمل غير شرعية (فى نظر أصحابها غير طبيعية لانهن آنسات أو أرامل ولم يمسسهن بشر !) . وتفسيرها بحدوث اتصال جنسى قهرى مع جنى . وفى بعض هذه القصص تريص شقيق المرأة للجنى وتمكن من حرقه ، وتحول بعد ذلك الى فردة حذاء بال .

(٥٠) انظر مثلا آكام المرجان ، ص ١٨٢ وص ١٩٢ .

(٥١) قارن فى هذا : بلاكمان ، ص ٩٧ ، وتسبندن ص ٦ ، وكذلك الحاشية رقم ٢٨ من هذا البحث .

• بالمثل يمكن تجنب « لبس » الجان لاحد الاشخاص ، لان هذا يحدث غالبا اذا ما كان أهل هذا الشخص قد نذروا له نذرا معينا ، ولم يوفوا به • فلو اهتم الشخص بالوفاء بالنذر لما حدث هذا • (على أساس أن النذر بمثابة ضمان لبسط الولى المنذور له حمايته على المنذور من أجله • فعدم الوفاء بالنذر يرفع عن الشخص حماية هذا الولى ، وبالتالى يمكن للجنى أن يجد اليه سبيلا بسهولة) •

كما أن على الانسان أن يعامل الجنى الذى يظهر له فى أى صـورة كانت (ويدرك أنه جنى) برفق وحذر ولا يقسو عليه أو يؤذيه ، وبذلك يسلم من شره • ويحكى بادويك من قرية سـبك (مركز منوف) الحكاية التالية :

« كان هناك راجل جدع قوى ما كانش واحد زيه فى سبك (احدى قرى المنوفية ، وهى التى جمعت منها هـذه الحكاية) ، وقال لى : « أنا شفت فرخة من الجان وأنا كنت رايح الغيط بالليل فى آخر الشهر والدنيا عتمة ، وقابلنى جنى شكله كلب كبير ، وقلت له : عاوز منى ايه ؟ كان هو بص لى وعينه أد كده (وأشـار الراوى بيديه ليدل على حجم صحن الفنجان) • فلميته وشلته فى حضنى لحد ما وصلته الغيط وحطيته على الارض • وبعدين ما شفتوش ولا حاجة علشان خدته فى حضنى • ولكن لو كنت ضربته والا عاملته بشدة كان موتنى » • (مقال بادويك ، ص ٤٣١)• وهذا بطبيعة الحال مجرد نموذج للأخطار التى يمكن فى رأى المعتقـد الشعبى أن تترتب على عدم مراعاة الاصول السليمة فى العلاقة بين الجنى وبين الناس ، والتى تؤدى الى هذا الاضطراب والايذاء •

وقد تظهر الجنية أو الجنى فى هيئة انسان يتعامل مع الانسان على نحو معين ينطوى على نوع من الاختبار ، وتتوقف طبيعة العـلاقة التى تنشأ بينهما على حسن تصرف الانسان مع الجنى •

ويشير بادويك الى أن من أشهر الحكايات الشعبية المتداولة فى منطقة الدلتا كلها تلك التى تظهر فيها الغولة على هيئة امرأة عجوز تتصرف فى بئر

سحرى ، تسقى منه من تشاء • وعندما ترسـل الفتيات اليها لاقتراض المنخل (لنخل الدقيق) ، فانها تجرى لكل منهن اختبارا لمعرفة طباع البنت وشخصيتها ، وذلك بأن تأمر كلا منهن بأن « تفليها » (أى تمشط شـعر المرأة العجوز لتستخرج منه القمل وغيره من الحشرات الموجودة به) • والعادة أن تظهر بعض الفتيات أدبا جما فى هذا الموقف ، فتؤدى العمل عن طيب خاطر ، وتظهر سعادتها ، ولا تبدى اشمئزازا من قذارة شعر العجوز أو كثرة الحشرات الموجودة فيه • تلك الفتيات تكافئهن العجوز بأن تأمر البئر المسحور أن يعطيهن ملابس جميلة مزركشة وعقودا من الذهب ••• الخ • أما الفتيات الـلائى يفشلن فى هـذا الاختبار فتعاقبهن العجـوز (الغولة) بأن ترسلهن بعيدا حيث يتحولن الى ثعابين وسحالى وضفادع ، أو (فى متغيرات أخرى من الحكاية) يعيش فى أماكن تكثر فيها مثل تلك الحيوانات الضارة المخيفة • ففى هذا المثال تظهر الغولة فى صورة ساحرة عجوز فى هيئة بشرية ذات شعر أبيض منتشر فى غير نظام([٥٢]) •

وفى بعض المواقف يمكن للانسان أن يستنجد بأحـد الارواح (أو الجن الطيبة) لكى يخلصه من مأزق انسانى عادى كظهور قطاع الطرق له مثلا . كما يحكى بادويك فى القصة التالية :

« قالت لى ستى : انها كانت ماشية فى الجبل وبس واحدة ثانية وياها (وبرفقتها امرأة أخرى فقط) وقابلم حرامية طالبين فلوسهم • وخافوا كثير علشان كانوا ستات والحرامية رايحين يضروهم • وصرخت سـتى بصوت عالى « يا مارى جرجس ! يا مارى جرجس » • وحالا جه بينهـا وبين الحرامية واحد لابس لبس أبيض فى أبيض وراكب حصان أبيض • فخافوا الحرامية منه وهربوا • فكانت ستى عاوزة تبوس ايده ، ولكن هوه مش راضى . قال : « معلهش » • وكلمها باسمها وبعد نص ساعة راح علَى غفلة وما شفتوش ولا حصانه » • (بادويك . المرجع السابق ، ص ٤٢٩ — ٤٣٠) •

(٥٢) انظر بادويك ، المرجع السابق ، ص ٤٣٢ •

الفصل الخامس

الجن فى المعتقد السحرى الرسمى

الفكرة الاساسية هنا وراء معالجة موضـوع اسـتخدام الجن فى السحر الاسلامى أن نوعى السحر الرسمى والشعبى ـ كما حددناهما فى سياق سابق ـ يتبادلان التأثير ويتفاعلان دائما أبدا على نحو لا يجيز الفصل الكامل بينهما ، بمعنى التعرض لفكرة أو ممارسة معينة فى أحدهما واغفال للمجال الآخر • فهما فى نهاية الامر يعيشان فى صدور الناس ، وان اختلفت دوائر حملة كل منهما ، ومجالات تأثيره والانتفاع به • وانطلاقا من هذه النظرة فان معرفة استخدام الجن فى السحر الرسمى تمثل جزءا مكملا بالضرورة لموضوع الجن فى المعتقد السحرى الشعبى • وسنرى فيما يلى أكثر من نموذج على تداخل المجالين وتبادل التأثير بينهما ، أبرزها فكرة العمار التى نفذت الى السحر الرسمى من مجال السحر الشعبى ، أو قل المعتقد الخرافى الشعبى ، وباتت تحتل فيه أهمية كبرى وتدور حولها كثير من التفاصيل على نحو ما سنفصل القول فيما بعد •

ومصادرنا فى استطلاع جوانب موضوع كهذا ليست كل الناس أو عامة الشعب وانما السحرة المحترفون سواء بدا ذلك فى تراثهم المكتوب الذى يرجعون اليه أو فى تعاملنا المبـاشر معهم • وقـد اخترنا من بين المدونات السحرية ـ مخطوطة ومطبوعة ـ المؤلفات المنسوبة لمحيى الدين أبى العباس أحمد بن على بن يوسف البونى القرشى • وقد أكدت المصادر والمراجع المختلفة فى أكثر من مناسبة انه أكبر وأشهر سـاحر اسـلامى معروف على الاطلاق • ولعل نظرة واحدة الى قائمـة المؤلفات العـديدة المتنوعة التى تنسب له سوف تؤيد هذا الحكم ولا شك • ونصادف أكمـل حصر لهذه المؤلفات المنسوبة اليه عند حاجى خليفة فى « كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون » وكارل بروكلمان فى « تاريخ الادب العربى » •

فينسب اليه كلاهما عددا هائلا من المؤلفات ، وان كانا يختلفان بصدد عدد منها .

وقد أورد البونى عرضا لطائفة من أسماء مؤلفاته فى سياق بعض الكتب المنسوبة اليه والتي تناولناها بالدراسة مخطوطة ومطبوعة . وتدور هذه المؤلفات حول جميع مجالات السحر وفروعه المعروفة ، وان كانت تكرس قدرا خاصا من الاهتمام لموضوع أسماء الله . فاستخدام أسماء الله فى السحر يمثل نواة هذه المؤلفات . تماما كما يمثل نواة السحر الاسلامى على الاطلاق .

فالبونى يتكلم عن أسماء الله فى كل مناسبة مباشرة أو غير مباشرة سواء فى ذلك كان يتناول الخصائص السحرية للحروف ، أو عمل الاوفاق والاشكال السحرية أو خصائص الايام والساعات . الخ . هذا علاوة على أن طائفة من مؤلفاته تحمل فى عنوانها الكلام عن موضوع أسماء الله[1] .

وهناك فى هذا الصدد ملاحظة هامة وهى أن الاستخدام السحرى المتخصص لهذه الارواح يربطها دائما بالاسم الالهى المستخدم فى العملية السحرية . ولذلك فأفضل سبيل لفهمها هو معالجتها فى اطار ارتباطها بموضوع استخدام أسماء الله فى السحر ، كما سيتضح فى ثنايا معالجتنا التالية .

يرى الساحر أن لكل مخلوق من مخلوقات الله ملاك[2] مكلف

---

(١) انظر عرضا ومناقشة « للمؤلفات السحرية المنسوبة للبونى » لكاتب هذه السطور ، مقال بمجلة « الفنون الشعبية » ديسمبر ١٩٧٠ . ص ص ٢٥ — ٣٣ .

(٢) اذا كنا نستخدم هنا كلمة « ملاك » ، فبمعنى واسع كل السعة فالمفروض ان تدل الكلمة على روح معينة . ويدلنا على مدى غموض وعدم تحديد مدلول هذا — حتى بين السحرة المحترفين انفسهم — كثرة وتنوع المسميات التى نجدها عند واحد كالبونى مثلا . ومن هذه المسميات : ملاك أو ملك ، وخادم ، وموكل ، وعون واعوان . وقد يستخدم اسمان فى وقت واحد مثل « الملائكة الخادمون » . كما يطلق عليهم ايضا اسم ارواح او « روحانية » على ان هناك ارواحا مختلفة : الارضية والروحانية او العلوية .

بحراسته والسهر عليه . فهناك بهذا المعنى خدام معينون لكل اسم من أسماء الله ، ولكل آية من آيات القرآن ، ولكل حرف من حروف الابجدية ، بل ولكل دعوة . على أن الخدام ليست مخصصة فقط لهذه الاشياء المقدسة ، وانما هناك خادم لكل ساعة من ساعات اليوم ، ولكل يوم من أيام الاسبوع . ولكل فصل من فصول السنة ، ولكل نوع من أنواع الرياح ، ولكل اتجاه من الاتجاهات الاربع[3] .

ويرى الساحر الرسمى (البونى) ان هناك جماعات مختلفة من هؤلاء الخدام أو الملائكة . ويتم تقسيمهم اما تبعا لمجال عملهم : أو مكان تواجدهم .. الخ . وهناك وفق التقسيم الاول ملائكة لحمل العرش ، وآخرون لتنفيذ ما يكتبه القلم[4] . وهناك حسب التقسيم الثانى ملائكة علوية ، وسماوية ، « وفلكية » .. الخ[5] .

ويشير البونى فى أكثر من موضع أن كل روح أو ملاك أرضى يخضع لسيطرة ملاك علوى معين . ونصادف فى أحد الشواهد الهامة حصرا لاسماء رؤساء الارواح العلوية والارضية (أو السفلية) التى تخضع لسيطرتها . ولازالت هذه الاسماء تحظى حتى اليوم بشهرة واسعة فى كتب السحر . وتعتبر الجن « الطيارة » والجن « الغواصة » أخطر أنواع الجن السفلية على الاطلاق[6] .

---

(٣) احمد البونى ، « شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف » القاهرة ، بدون تاريخ (حوالى ١٩٥٦) . جـ ١ ، ص ص ٥٢ — ٥٣ . وسنشير اليها فيما بعد على سبيل الاختصار « شمس المعارف » . وكذلك البونى ايضا : مخطوط « اللمعة النورانية في الكشوف الربانية » (دار الكتب المصرية ؛ ب. ٢١٥٧٦) . ورقة ١٥ ب .

(٤) شمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ١٣٤ .

(٥) قارن احمد البونى : منبع اصول الحكمة ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٢٦٥ . وسنشير اليه فيما بعد على سبيل الاختصار باسم « الاصول » .

(٦) قارن على سبيل المثال : شمس المعارف ، جـ ١ ، ص ص ١١٦ — ١٢٤ ، والاصول ، ص ١٣٧ . وكذلك محمد الجوهرى : استخدام أسماء الله فى السحر فى المؤلفات المنسوبة للبونى (بالالمانية) ، الملحق رقم ١ ، ص ص ٢١٢ — ٢٨٨ ، حيث عرضت ونوقشت بالتفصيل محتويات احد الكتيبات السحرية الذائعة اليوم .

وتعيش هذه الارواح فى قبائل • ولكل منها اسم خاص به • وتدين معظم هذه الارواح بالاسلام ، ولو أن هناك طائفــة منها تدين بديانات أخرى(٧) • غــير اننا لا نخرج من مؤلفــات البونى جميعهــا ـــ كتبــا ومخطوطات ـــ بتفاصيل محددة عن أسماء وطبيعة هذه الديانات • ثم هى تتكلم لغات متباينة • وان لم يذكر من بين هــذه اللغات سوى العربيــة والاعجمية ، وهو ما يمكن أن يدل على غير العربية بصفة عامة ، أو على الفارسية(٨) • وكما هو الحال بالنسبة للقبائل الانسانية ، تنقسم قبائل الجن الى رؤساء ، وأتباع ، وعلماء • الخ •

ومن الافكار الاخرى المتعلقة بالارواح ، والتى لا نصادفها الا فى الكتب السحرية المطبوعة حديثا ـــ أى تلك المصطبغة بشكل واضح بالصبغة السحرية الشعبية ـــ ان الارواح السفلية ، الذين يطلق عليهم هنا اسم « العمار » ، يسكنون فى كل مكان • وهم فى أغلب الاحيان أرواح شريرة ، بحيث انها يمكن أن تفسد العمل السحرى • ولذلك يتحتم على المشتغل بالسحر أن « يصرفها » من المكان قبل بداية كل عمل وفقا لطرق وأدعيــة خاصة • ولسنا بحاجة هنا الى تفصيل القول فى هذا الموضوع لانه ينتمى بشكل أوضح الى ميدان السحر الشعبى • وقد سبقت معالجته موضع سابق من هذا الكتاب • ولكننا أردنا أن نبرز ـــ من واقع نموذجى حى ـــ نوع التفاعل بين مجالى السحر الشعبى والرسمى •

وطبقا للتصور الشعبى عن العمار ، فانها بعــد اكمال هــذا الدعاء تنصرف الى « قاع الجبل المخيف » ، حيث تظل قابعة هناك حتى انتهــاء العمل • وبعد انتهائه تعود الى حيث كانت من قبل • وفى هذا نقرأ عنــد

---

(٧) قارن الاصول ، ص ٨١ ، وص ٢٦٥ . وكذلك المخطــوطة المنسوبة للبونى وابن الحاج والمعنونة : « مجموعة فوائد من كتاب شمس المعــارف الكبرى للبونى وكتاب ابن الحاج وغيرها » (دار الكتب المصرية ، ص ٣٩) ، ورقة رقم ٢٢ •

(٨) قارن : الاصول ، ص ٢٨٦ ، ومخطوط اللمعة ، ورقة ١٢١ .

البونى فى كتاب « منبع أصول الحكمة » ما يلى : « وليعلم الطالب أن جميع الامكنة لا تخلو من الارواح الجنية ، وأن سكان كل مكان من الجن لا يسمحون لغيرهم من الارواح الموكلين بخدمة الاسماء والدعوات بالدخول فى مكانهم الا اذا أمرهم الطالب باخلائه لهم • ولذلك يجب على الطالب اذا أراد عملا من الاعمال فى أى مكان أن يصرف عنه سكانه من الارواح ثم بعد اتمامه عمله يأمرهم بالعودة الى مكانهم »(٩) •

أشرنا من قبل الى أن الاستخدام المتخصص لهذه «الارواح الجنية» ـ أى استخدامها فى عمليات سحرية احترافية ـ يربطها دائما بالاسم الالهى المستخدم فى العملية السحرية • لذلك نرى أن أفضل سبيل لفهمها هو معالجتها فى اطار ارتباطها بموضوع استخدام أسماء الله فى السحر ، كما سيتضح فيما يلى :

ونبدأ بالاشارة الى الارتباط القائم بين كل اسم من أسماء الله وواحد أو أكثر من الملائكة أو الارواح الموكلة به • ويمثل هذا الموضوع : أعنى تحديد اسم الملاك الموكل وقبيلته ، وخواصه ، « والدعوة » التى يمكن استدعاؤه بها ، « والقسم » ، وكيفية التعامل معه عند حضوره •• الخ يمثل كل ذلك فصلا جوهريا من فصول « علم الاسماء » • ويسمى البونى هذا الموضوع : « شرح الاسماء الحسنى » • وهو يشرح لطالب السحر هنا ماذا يحدث بعد أن يدعو اليه بالاسم المحدد بالعدد المعين بالطريقة المعينة • ونعرض فيما يلى لنموذج ممثل لهذا الذى نتكلم عنه ، ثم نخصص الكلام فيما بعد على بعض التفاصيل ذات الدلالة •

« فصل فى شرح الاسماء الحسنى • اعلم ان اسمه تعالى الله هو اسم الله الاعظم ، وهو من الاذكار المفردة العظيمة • فمن ذكره ٦٦ مرة بعد صلاة ركعتين فى جوف الليل بعد صوم ورياضة طويلة ، فانه ينزل عليه سيد الروحانيين الملك كهيال عليه السلام • وهو من الملائكة التى تجاه

(٩) انظر أصول الحكمة ، ص ٩١ •

العرش ، وهو حاكم على ٦٦ صفا من الملائكة ، وتحت كرامته أربع قواد تحت يد كل قائد ٦٦ ملكا . فاذا ذكره الذاكر عدده فى خلوته فان الخادم يحضر ويخر ساجدا ويقول فى سجوده أسماء عظيمة سريعة الاجابة وهى : اللهم أنى أسألك يا الله يا واحد ، يا الله يا أحد ، يا الله يا دائم ، يا الله يا باقى ، يا الله يا قديم ، يا الله يا قدير ، يا الله يارب ، يا الله يا شكور ، يا الله يا حى ، يا الله يا قيوم أسألك بأحديتك وصمديتك ونعوت ربوبيتك أن عبدا من عبيدك قد شاركنا فى التسبيح والتقديس .. والامر أمرك فان أمرتنا بالنزول اليه فبارادتك . فيقول الله تعالى انزلوا اليه ، واقضوا حاجته فانه دعا باسمى الاعظم . فينزل ومن معه الى الذاكر ، ويقول له : أيها العبد الصالح اذكر الله تعالى . فيذكر فيرى الانوار تخرج من فمه ويحصل له خشية وسكينة ، فيقول له الملك : أيها العبد الصالح قد ناجيت الله تعالى باسمه العظيم ونحن خدام هذا الاسم فما الذى تريد . فيقول أريد الطاعة لله تعالى ولاسمائه . فيقول لك تطهر ثيابك وبدنك وتصوم ثلاثة أيام من كل شهر وهى الثالث عشر وتالياه(١٠) ، وأفطر على الحلال واقرأ الاسم عدده فان فعلت ذلك تصير أخا لنا ، ويصافحك الملك ويعاهدك ، ويقضى حاجتك وما تريد ، ثم أصرفه ينصرف بخير »(١١) .

ونود فيما يلى أن نركز اهتمامنا على التفاصيل التالية :

أولا : دلالة الرقم ٦٦ يمثل هذا الرقم القيمة العددية للاسم الالهى المذكور : الله .

---

(١٠) هناك كثير من الاحاديث الموضوعة (التى تنسب كذبا للرسول) عن فضائل تلك الايام الثلاثة واهميتها ووصفها بأنها الثلاثة « البيض » (البيضاء) من الشهر . قارن الحافظ جلال الدين السيوطى (المتوفى ٩١١ هـ ١٥٠٥ م) : اللآلىء المصنوعة فى الاحاديث الموضوعة ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣١٧/١٨٩٩ ، ص ٢٥١ . وليس وضع مثل هذه الاحاديث بعديم الدلالة لنا ، فهى وسائل يتذرع بها المعتقد الشعبى الحى فى نفوس الناس ليعيش ويزداد رسوخا ويكسب شرعية .

(١١) شمس المعارف ، جـ ٣ ، ص ٣٤٨ .

ا ل ل هـ

١ + ٣٠ + ٣٠ + ٥ = ٦٦

ولهذا يكتسب هذا الرقم مكانة مقدسة خاصة : فيجب ذكر الاسم ٦٦ مرة ، ويحكم الملك « كهيال » ٦٦ صفا من الملائكة ، ويسيطر كل من الملائكة الخاضعين لسيطرته بدوره على ٦٦ ملاكا آخرين .. وهكذا[١٢] .

ثانيا : تكوين اسم الملاك من القيمة العددية للاسم الالهى : يسيطر على خادم من خدام الاسماء الالهية على عدد لا حصر له من الملائكة (الروحانيين) . ويوجد هذا الملاك الكبير عادة بجوار العرش . ويتكون اسم هذا الملاك من القيمة العددية للاسم الذى يخدمه . ويقوم هذا على أساس تصور معين لدى الساحر الرسمى ، يمكن أن نعرض نموذجا له على النحو التالى : « اعلم أن ما ظهر فى عالم الغيب اسم الا وكان فى عالم الشهادة جسم . يعنى أن المؤلف (أى الساحر المحترف) اذا ألف الارقام ونظمها وكتب الاسم فان الملك يتصور بذلك الاسم فاعلم هذا السر وحققه »[١٣] . وينصح البونى باضافة لفظه « ايل » الى الاسم المستخرج وهى فى رأيه اسم سوريانى » يعنى لفظ الجلالة .

على انه ليس من الممكن تكوين اسم خادم واحد فقط من الاسم الالهى ، وانما عدة أسماء أيضا . وهنا نصادف تقليدا للقاعدة الاساسية المعروفة فى السحر الرسمى، والتى توسعت الاجيال اللاحقة فى استخدامها واللعب بها . وأول أشكال هذا التكوين الوارد فى النص الذى نقلناه هنا . ويتم ذلك على النحو التالى :

---

(١٢) تخضع هذه الحسابات لقواعد بعض فروع السحر مثل علم الحرف « وحساب الجمل » وما الى ذلك . وهناك قائمة بالقيمة العددية لكل حرف من حروف الابجدية . قارن محمد الجوهرى المرجع السابق ، الفصل الثانى من الباب الاول من ص ٧٢ — ٩١ والفصل الرابع من الباب الثالث ، ص ص ١٩٨ — ٢١٢ .

(١٣) شمس المعارف ، ج ٣ ، ص ٣٥٧ .

كهيال :

ك ه ى ا ل

٢٠ + ٥ + ١٠ + ١ + ٣٠ = ٦٦

ومن الاسماء الاخرى التى يمكن تكوينها من نفس القيمة العددية : هلال ، وهيكل .. الخ[١٤] .

ثالثا : لايستطيع الخادم أن ينزل الى الساحر ، قبل أن يتحقق شرطان أساسيان . أولهما : أن يذكر الساحر الاسم الالهى المطلوب بالعدد المحدد ، وبالطريقة السليمة ، وفى الوقت المناسب .. الى آخر ذلك من قواعد الاستخدام السحرى للاسماء الالهية . الثانى : لابد للخادم أن يحصل على اذن من الله بالنزول الى الساحر وتلبية طلباته . أما الخدام السفليون (أو الارضيون) فيحصلون على ذلك الاذن من الملاك العلوى الحاكم عليهم[١٥] .

رابعا : بالنسبة للاعمال ذات التأثير الخطير ينصح الساحر بتلاوة صيغة معينة — اسمها « حصن » — عددا معينا من المرات . والهدف من تلاوة هذا الحصن حماية الساحر من الارواح السفلية — الذين يسمون هنا صراحة «جن» — خلال استخدامهم فى انجاز هذا العمل . ومن الشواهد ذات الدلالة فى هذا الصدد نورد النص التالى : « ويشترط قبل تلاوته أن يتلى هذا الحصن قبلها (وصحتها قبله) ثلاث مرات أو خمسا أو سبعا ، وهو أن تقول : بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . توكلت على الله ، حسبى الله ، لا حول ولا قوة

---

(١٤) تازن : الاصول ، ص ٦١-٦٢ .
(١٥) تازن محمد الجوهرى ، المرجع السابق ، ص ٢٣٧ وما بعدها وكذلك « الاصول » ، ص ص ٩٣ — ٩٤ .

الا بالله العلى العظيم ، اللهم أحجبنى من جميع أصناف الجن وأنواعها وأجناسها بكلماتك التامات المباركات .. الخ »[١٦] .

خامسا : تكون لحظة اللقاء بين الجنى الخادم والساحر فى جميع الاحوال تقريبا لحظة حرجة فى حياة الساحر ، مما يستدعى منه الاستعداد لها على الوجه الاكمل . ومن هذه الاستعدادات : اطلاق البخور ، وقد ينصح فى بعض الاحيان باستخدام نوع معين من البخور[١٧] ، وارتداء ملابس جميلة وطاهرة ، قد ينص أحيانا على ضرورة أن تكون بيضاء اللون[١٨] . وعلى الساحر أن يتعطر استعدادا لهذا اللقاء . ويطلب منه تجنب بعض ألوان الطعام « لان الارواح لا تحبها » كالبصل والثوم . وقد يرد فى سياق آخر النص على استخدام هذه الاطعمة كبخور — أو استخدامها على نحو آخر — فى الاعمال السحرية الموجهة للشر[١٩] . وكثيرا ما ينبه صراحة على أهمية البعد عن المعاصى وتجنب الذنوب . ومن المعاصى التى ينص على تجنبها مثلا : الزنا ، وشرب الخمر وما الى ذلك . فاذا اقترف الساحر هذه الذنوب عاقبته الملائكة الموكلة بالاسماء[٢٠] .

ونود أن نشير فى هذا الصدد الى ملاحظة هامة على السحر الرسمى عند البونى ، وهى أن السحر الخير والشرير — أو كما يقال السحر الابيض والسحر الاسود — لا يمارس الا بوسائل بيضاء . فالبونى كمتصوف وساحر محترف لا يعرف وسائل تمثل معاصى بطبيعتها . هذا بينما نصادف فى بعض كتب السحر طلبات من الساحر أن يستخدم فى عمله — على نحو

---

(١٦) الاصول ، ص ص ٢٨٧ — ٢٨٨ .

(١٧) قارن على سبيل المثال : الاصول ، ص ١٨ .

(١٨) الاصول ، الموضع السابق ، وشمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ٢٣٨ .

(١٩) قارن مثلا : الاصول ، ص ٢٤١ وص ٢٧٤ .

(٢٠) قارن على سبيل المثال المخطوطة المنسوبة للبونى : « شرح تصريفات الوفق » ، (دار الكتب المصرية ، تولله ١٥١ تصوف) ، ورقة ٣ أ و ٣ ب .

محدد مرسوم ــ دم الانسان ، والتجــول أو البقـــاء وقتا معينا عارى الجسم • الخ(٢١) • وقد حاول السحرة الرســميون ــ الذين يخضعون للتعاليم الاسلامية ظاهريا ــ تجنب هذه الوسائل المشار اليها • فالبونى هنا ساحر رسمى بالمعنى الحق للكلمة •

بعد تحقيق كل هذه الاشتراطات ينزل الجنى الخادم الى الساحر ، ولكن ليس قبل تعريضه لاختبارات قاسية • ولعل الخادم يريد بهــذه الاختبارات امتحان صلابة الساحر وقوة عزيمته ، قبل دخوله فى علاقة مع هذه الكائنات العليــا فوق الانســانية • وفى هــذا يكتب البونى قائلا : « •• فاذا تم عشرون يوما يأتيك خادم من الخدام ويقول لك يا ابن آدم مضى لك عشرون يوما وأنت فى هذا التعب فأرح نفسك وخذ ما يكفيك من المال • ويبالغ لك فى الكلام فلا تقبل منه شيئا ، ولازم على الذكر حتى تتم الاربعين ••• »(٢٢) •

سادسا : لحظة اللقاء نفسه : هناك طائفة من الامارات التى تنبىء بظهور الخادم • « علامة وقوف الملك قبالك أنك تتاءبت فاعلم ذلك ، وكلمه فيما تريد »(٢٣) • غير أن أبرز العلامات وأكثرها شيوعا أن يظهر الملاك وسط ضوء باهر مفاجىء ، أو يبدو هو نفسه كهاله من الضوء • ففى الحالة الاولى : « ترى الخلوة قد امتلأت نورا وترى فى خلال ذلك النور أشباحا فقو قلبك ولا تخف • وترى اسم الجلالة قد تشكل بالنور حتى ترى روحك كأنك غارق فى بحر من نور فقو قلبــك وثبت جنانك • ولم تزل على تلك الحالة مقدار ثلاث ساعات فيأتيك خادم الاسماء حتى يملأ لك المكان فلا تخف منه فانه مبارك • واياك أن تخاف منه فيسلم عليك فرد عليه السلام

---

(٢١) قارن مثلا ، جلال الدين السيوطى ، الرحمــة فى الطب والحكمة ص ص ٢١ ــ ٢٢ ، وص ١٢٥ وما بعدها ، خاصة ص ١٣١ ، و ١٣٦ •
(٢٢) شمس المعارف ، جـ ٢ ، ص ٢٦٢ •
(٢٣) المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ٣٦٠ •

وتأدب معه فانه •• »[٢٤] • أما فى الحالة الثانية فيتكون الخادم نفسه من نور بحيث « لا يتمكن منهم نظر ناظر لقوة أشعة أنوارهم وصفاء جوهرها •• »[٢٥] • وتورد كتب السحر بالتفصيل وصفا دقيقا لمظهر كل من « الخدام السبعة » . والطريف فيه أن أحدهم ينزل الى الساحر فى « قبة من نور أسود »[٢٦] • وفى الحالة الثالثة « وبعد ثلاثة أيام يظهر لك فى المحراب قطمة[٢٧] بيضاء تنفش حتى تملأ المكان الذى أنت فيه ثم تبقى كوما ثم يخرج من تحته رجل يقول : ما حاجتك وما تطلب •• »[٢٨] • وفى بعض الاحيان تتخذ الخدام عند ظهورها للانسان هيئة أحد الطيور • كذلك يتخذ « الملاك الحارس » — لاحد الكنوز مثلا — هيئة الطير • وتكون مثل هذه الطيور فى الغالب — طالما كانت أرواحا خيرة — ذات واحد من اللونين المفضلين للملائكة وأعنى الابيض أو الاخضر[٢٩] • ولا يطلق عليها كما رأينا اسما خاصا ، فهى جميعا « طير » أو « طائر » • ومن الصور الاخرى التى كثيرا ما تظهر فيها هذه الارواح الخادمة هيئة القطة • «•• واذا أردت الخلوة أعمد لبيت طاهر وابتدى بتلاوة الدعوة حتى يظهر لك النور • وأكثر من التلاوة فى أوقات الليل وأمر القطة أن تحضر اليك • فاذا أتممت أيام الخلوة فتراها أقبلت عليك مثل الدنيا • وتكبر حتى تبقى مثل القمر وتتصور وتخاطبك وتقضى حاجتك »[٣٠] •

---

(٢٤) المرجع السابق جـ ١ ، ص ١٣١ •

(٢٥) الاصول ، ص ٩٣ •

(٢٦) المرجع السابق ، ص ٩٤ •

(٢٧) هذا هو شكل الكلمة كما وردت فى طبعة شمس المعارف الكبرى حوالى عام ١٩٠٠ ، اما فى الطبعة الاحدث — التى نشير الى ارقام صفحاتها هنا والايسر منالا للباحث الآن — فنقرا الكلمة بوضوح قطة . وهو فى رأينا تحريف اتاه الناشر الحديث الذى خضع ولا شك لصورة القطة وخصائصها فوق الطبيعية فى المعتقد الشعبى . ارجع الى الفقرة (١) من الجزء ثالثا من هذا البحث .

(٢٨) شمس المعارف ، جـ ١ ، ص ٧٥ •

(٢٩) شمس المعارف جـ ٤ ، ص ٣٩٤ •

(٣٠) شمس المعارف جـ ٤ ، ص ٤١٦ •

وهكذا يظهر الخادم للساحر بصـــورة أو بأخرى ، ولكنه مـع ذلك لا يأتمر بأمره ولا يجيب له أى مطلب قبل أن يحقق الساحر له كل شروطه بدقة . ومن الامثلة الطريفة ـ المتكررة ـ التى تعيننا على تصور هـذا الموقف الشاهد التالى من شمس المعارف للبونى حيث يقول « ... فحينئذ يدخل عليه ثلاث ملائكة وجوههم كالقمر ليلة البدر عند تممه لكن وجوهم كبار كالاتراس ونورهم يكاد يخطف الابصار . فيقولون الســـلام عليك يا عبدا صالحا ورحمة الله وبركاته . نحن خدام السورة الشريفة العظيمة (المقصود سورة الاخلاص) فما الذى تريده منا . فترد عليهم السلام وتقول أريد منكم اكراما واجلالا وتعظيما لمن هذه السورة صفته . أن تخدمونى وتطيعونى فيما أمرتكم به ولكم على أن لا أريد منكم الا حاجة ترضى الرب . فيقولون السمع والطاعة . قد بريئا قسمك وأجبنا دعوتك . ولكن لنا عليك شرطان من يومك هذا وساعتك هذه لا تقع فى معصـــية ولا كذب ولا تأكل الثوم ولا البصل ولا السمك . وتصوم يوم الخميس دائما . تتلو فى ذلك اليوم والليلة وهى ليلة الجمعة السورة الشريفة عشرة آلاف مرة تهدى ثوابها لأموات المسلمين وأن لا تقطع صيام يوم الخميس الا أن يكون نهار عيد . وان لا تبطل غسل الجمعة وان تزور المقابر كل نهار سبت قبل طلوع الشمس وتقرأها احدى عشرة مرة وتهـــدى ثوابها لامـــوات المسلمين . فتقول نعم والله يهدى السبيل ، والله على من الشاهدين بذلك . فحينئذ يصافحونك ويقولون لك قد صرت أخا لنا من اخواننا فأى حاجة طلبت نقضيها لك ان شاء الله تعالى .. فتقول لهم أعطونى كل واحد منكم اشارة أطلب بها فيقول الاول : أنا اسمى عبد الواحد فاتل السورة وقل يا عبد الواحد أجيبك . ولك على أن أحملك الى مكة وأردك الى منزلك فى ساعة واحدة . ويقول لك الثانى .. الخ »(٣١) .

وهناك بعض الخدام الذين لا يعينون الا على الخير ، بل انهم يؤذون

---

(٣١) شمس المعارف ج ١ ، ص ١٤٠ .

من يحاول تسخيرهم لتحقيق أغراض شريرة(٣٢) • وكثيرا ما تؤكد الكتب لمستخدميها على ضرورة معاملة الارواح بغاية اللطف والادب . أى الوقوف عندما تظهر له ، والا يطلبهم الا للاعمال الهامة التى لا تستطيع الارواح السفلية القيام بها(٣٣) ، وأن يعبر عن طلبه فى كلمات سريعة موجزة ، كى يستطيعون العودة الى ربهم، حيث يعبدونه ويسبحون بحمده• ويوضح لنا المثل التالى كيف ينبغى أن يكون سلوك الساحر مع مثل هذه الكائنات : « وينبغى للطالب (المقصود الساحر) اذا استحضر أحدا من الملوك السبعة فمن دونهم أن يراعى مقام كل منهم فلا يمزح معهم ولا يباسطهم بكلام غير مألوف عندهم • ويعامل كلا منهم بما يجب له وأن يكون طلبه الحاجة منهم عن ضرورة لا عن امتحان • ويخاطب الملوك باللين والاعوان بالشدة والعوارض والعمار والقرائن بالشدة والزجر والقهر والتهديد • فان الطالب الذى يراعى ذلك لا يزال مهابا نافذ الكلمة »(٣٤) •

سابعا : من الضرورى بعد انتهاء اللقاء أن يتلو الساحر صيغة معينة لصرف الارواح علوية كانت أو سفلية • وتحذر كتب السحر أشد التحذير من نسيان هذه الصيغة ، اذ أن ذلك قد يعود عليه بالخطر الكبير(٣٥) • ومن التعليمات الضرورية فى هذا الصدد أيضا ألا يدع الساحر الملاك عنده وقتا طويلا •

ونود أن نختتم هذه الفقرة بملاحظة هامة • وهى اننا لا نصادف كل هذه القواعد مرصوصة بهذا التفصيل فى كل مناسبة الحديث عن لقاء الساحر بالارواح • بل اننا نلاحظ فى كل طبعة جديدة من هذه الكتب التى

---

(٣٢) شمس المعارف ج ٣ ، ص ٢٥٠ .

(٣٣) انظر على سبيل المثال شمس المعارف ، ج ١ ، ص ١٢١ ، و ج ٢ ص ٢٣٨ ، والاصول ، ص ٩٣ .

(٣٤) الاصول ص ٩٤ .

(٣٥) انظر المواضع العديدة التى ورد ذكرها عند محمد الجوهرى ، المرجع السابق ، ص ٢١١ .

بين أيدينا اضافة شيء جديد ، وحذف بعض من القديم وهكذا ، وكثير من القديم يطمس لعدم فهمه بعد ما آل اليه ميدان السحر الرسمي (الاحترافي) من أوضاع في الوقت الحاضر . فبعض أسماء الملائكة تحرف من صفحة الى أخرى[٣٦] . وكثيرا ما خرج الكتاب على الاصول والقواعد السحرية الرسمية . كالخاصة مثلا بتكوين أسماء ملائكة وخدام من القيمة العددية للاسماء الالهية . الخ .

---

(٣٦) المرجع السابق ، نفس الصفحة .

خاتمــة

لعل دراستنا هذه أفلحت فى القاء الضوء على مختلف جوانب الجن فى المتقد الشعبى المصرى ، وان كانت تعتبر نفسها قد نجحت وحققت أولى غاياتها وأهمها اذا كانت قد أثارت من التســاؤلات أكثــر مما قدمت من اجابات ، فالموضوع مازال بكرا فى لغتنا العربية ، وهذه الدراســة أول معالجة فولكلورية على الاطلاق . وحسبنا أن نشير الى بعض النقاط ذات الدلالة الخاصة .

١ ــ تقدم لنا هذه الدراسة أول نموذج عملى على ضرورة ودلالة الفصل بين مجالين متميزين من المعتقدات السحرية : الاول أسميناه السحر الشعبى ، والآخر السحر الرسمى أو الاحترافى ، فصورة الجن ودورها وأهميتها وعلاقات الناس بها تختلف هنا عن هناك ، وترتيبا على هــذا تناولنا الموضوع منفصلا بهذا الشكل .

٢ ــ وقد حاولت الدراسة أن تؤكد نوع الصلة بين هذه الطائفة من المعتقدات الشعبية وبين نظائرها فى المعتقد الدينى فى صورة مســح عام للجن والملائكة فى الاديان المختلفة ، والاعتبار الاساسى هنا أن المعتقدات الشعبية ليست فى نهاية الامر ســوى الوعاء الذى ترســبت فيه آلاف المعتقدات المتجمعة من الديانات البدائية القديمة التى عرفها هذا الشعب وتطابقت وأفكاره عن الكون والناس ، وظلت على ثباتها تنتقل بالمشافهة جيلا بعد جيل رغم محاربة الدين الرسمى لها ، فهذه الطائفة من المعتقدات الدينية اذن خلفية لازمة لابد من تكوينها وتوضــيحها قبل الدخــول الى تناول أى معتقد شعبى . وهما ليسا معزولين عن بعضهما تمام الانعزال ، فالمعتقد الدينى الرسمى يعيش فى النهاية فى صدور الناس جنبا الى جانب المعتقد الشعبى ، وان كان ذلك المعتقــد الشعبى أكثر قربا ورســوخا فى نفوس أفراد الشعب ، خاصة أولئك الذين قل حظهم من الثقافة الرسمية (أو الراقية) .

٣ — أما فيما يتعلق بتشخيص طبيعة الجن وخصائصهم فى المعتقد السحرى الشعبى أو الرسمى فقد ظهر لنا بوضوح أن هذه الكائنات التى أدرنا عليها بحثنا هى فئة من المخلوقات الغريبة لم يكن ليتسنى الفصل بين عناصرها (كأن نتناول مثلا « أرواح الموتى » أو « أسياد الزار » على حدة) دون أن يبدو ذلك الفصل مفتعلا وتعسفيا • فهى تنتمى جميعا الى فئة ذات سمات عامة : طبقة من المخلوقات الوسطى الغيبية ، فوق مستوى البشر ودون مستوى الآلهة ، تختلط داخلها نوعيات ومسميات متشابهة ومتباينة • وأفضل سبيل لفهمها تناولها مجتمعة •

٤ — ويرغم ما توفر لهذا البحث من مادة متعددة المصادر فقد لمسنا ولا شك النقص الكبير فى معلوماتنا عن كثير من عناصر المعتقد الشعبى فى واحد من أهم الموضوعات التى شغلته فى الماضى — ولا تزال عالقة به ، متغلغلة فيه حتى الوقت الحاضر • ولن يتسنى سد مثل هذه الثغرات الا من خلال دراسات ميدانية تنهض بها طائفة من المتخصصين فى دراسة الفولكلور والانثروبولوجيا وعلم الاجتماع وغيرهم من المهتمين بدراسة التراث الشعبى •

الفصل السادس

دليل مختصر للدراسة الميدانية للجن والكائنات فوق الطبيعية

مقـدمة :

من الضرورى أن ننبه الجامع الى أنه قد يكون من المحتم ــ بالنسبة لبعض موضوعات المعتقـدات الشعبية ، وعلى رأسـها الكائنـات فوق الطبيعية والسحر ــ أن يبدأ بالاطلاع على أهم الدراسات والبحـوث المنشورة فى الموضوع عن هذه الظواهر فى مصر . وذلك لنتجنب خلط بعض مظاهر الكائنات فوق الطبيعية ببعضها : فالجن غير العفاريت (اذا فهمنا الجن على أنها الأرواح الطيبة ، والعفاريت على أنها الارواح الشريرة) وهم أحيانا أعم من العفاريت (اذا فهمنا الجن على أنها الكائنـات فوق الطبيعية بصفة عامة ، وخاصة تلك التى تسمو على مستوى الانسـان ، وتقل عن مستوى الملائكة ، وفهمنا العفاريت على أنها الارواح الشريرة فقط) . ولا شك أن جمع المادة يجب أن ينطلق من تحديد سليم للمفاهيم ورؤية واضحة لمدلول ما يسجله الباحث ، والا أدى ذلك به الى الانتهاء الى طريق مسدود لا يساعده ولا يساعد الباحثين الذين يأتون بعده على الوصول الى نتائج محددة أو الحصول على صورة واضـحة للموقف . ويكفى أن أنبه ــ مثلا ــ الى ضرورة فصل المعتقـدات الدائرة حـول الشيطان باعتباره ابليس ، وتلك التى تطابق بين الشياطين والجن . ومن ثم يجب تصنيف حكايات ونماذج كل نوع منها ومعالجتها تحت الجـزء الخاص بها . اذ أنه على أساس ما يجمع من مادة سـيصبح من الممكن اجراء دراسات سليمة صائبة .

كذلك أرى من الضرورى أن ينتبه الباحث الى التمييز بشكل واضح ــ قدر الامكان ــ بين الصورة الشعبية والصورة الدينية الرسمية للكائن

فوق الطبيعى الذى يتعرض له ، كالملاك مثلا • فالصورة الشعبية تختلف عن التصور الدينى الرسمى فى غير قليل من التفاصيل ، ونحن يهمنا بالطبع تفصيل التصور الشعبى ، لانه فى هذه التفاصيل تكمن مفـاتيح التحليل السليم فى المستقبل ، ويتوقف تحديد ذلك بالطبع على حسن اختيار الجامع للاخبارى وعلى حسن المامه المسبق بالدراسـات التى تتناول التصـور الرسمى والتصور الشعبى للمعتقد الذى يتناوله بالدراسة •

كذلك تجدر الاشارة الى أن هناك بعض الحيوانات أو النباتات التى تتميز بصفات خارقة فوق طبيعية ، أو تتميز ببعض الخصـائص شـبه الانسانية مما يخرجها عن طبيعتها الاصلية كنبات أو حيوان فقط ، ويجعلها أقرب الى حدود موضوعها هنا ، وفى هذه الاحوال يحسـن بالباحث أن يرجع الى فصل المعتقدات المتصلة بالحيوان ، وتلك المتصلة بالنبات حسب الاحوال للوقوف على مزيد من التفاصيل وليكون أكثر قدرة على تفتيح موضوعه •

ومن الضرورى للباحث الذى يتصدى لدراسة الكائنات فوق الطبيعية أن يتناول الموضوعات التالية :

١ — الملائكة •
٢ — الجن •
٣ — الشيطان — ابليس •
٤ — العفاريت •
٥ — الاسياد •
٦ — القرين •
٧ — العمـار •
٨ — جنية البحر •
٩ — السلعوة •
١٠ — أم الشعور •
١١ — المزيرة •
١٢ — الغـول •
١٣ — المـارد •
١٤ — الصل •
١٥ — الامن دجر
١٦ — النداهة •
١٧ — أبو رجل مسلوخة وتوابعه •
١٨ — الطنطل •
١٩ — الارواح •
٢٠ — أرواح الموتى •
٢١ — بغلة العشر — سقاة العشر •
٢٢ — انسان الماء •

٢٣ — المسيح الدجال ٠ ٢٤ — ألبراق ٠
٢٥ — البشر الممسوسون ٠

وسوف نعرض لكل موضوع من هذه الموضوعات الخمسة والعشرين على حدة ، وبحيث نذكر الاسئلة التى يجمع بها الباحث بياناته بمقتضاها من الاخباريين عن كل موضوع على حدة أيضا ٠

١ — الملائكة :

١ — خلقهم :

قصة خلقهم — مادة الخلق — وفى أى المراحل خلقوا ٠

٢ — أصنافهم وأنواعهم :

مراتبهم ودرجاتهم — طوائفهم وأنواعهم الرئيسية — الملائكة الحفظة ، الكاتبون ، الزبانية ، ملائكة الرحمة ، ملائكة العذاب — كيف يحيون ٠

٣ — أماكنهم ومواطنهم ٠

٤ — حياتهم وطعامهم وشرابهم ٠

٥ — صفاتهم وقواهم ٠

قواهم وقدراتهم الخاصة ٠

٦ — اختصاصاتهم ٠

٧ — علاقتهم بالانسان ٠

تصورهم عند الانسان — حضورهم عند ذكرهم — الاستنجاد بهم وقصص ذلك — حفظهم الطفل ، والمريض ، قصص تغيرات بعض مهامهم٠ صياح الديكة ٠

٨ ــ علاقتهم بالشياطين :

تضادهم مع الشياطين ــ الامثال والتعابير التى تصور ذلك •

٩ ــ ملائكة معينة :

جبريل ــ ملك الموت ــ الملاك نافخ الصور ــ منكر ونكير ــ رضوان ــ مالك ــ هاروت وماروت وقصتهما •

٢ ــ الجن :

١ ــ مادة خلقهم :

مم خلقوا ؟ ــ وفى أى مرحلة ــ الفارق بينهم وبين الشياطين ــ مصيرهم ــ سيادتهم الارض قبل خلق البشر •

٢ ــ ايمان الجن :

التكليف الشرعى فى أداء الفروض الدينية والالتزام بالاحكام ــ رواة الحديث وحفظة القرآن منهم ــ الاحاديث الدالة على ذلك ــ دخولهم الجنة •

٣ ــ أصنافها وانواعها :

أصنافهم ــ خصائصهم ــ حياتهم الاجتماعية ــ طبيعتهم الاخلاقية والدينية ــ الحيوانات فى عالم الجن ــ وأنواع وأشكال هذه الحيوانات •

٤ ــ اماكنها ومواطنها :

موقع عالم الجن فى عالم الانس ــ مكانهم ومعيشتهم ــ شروط أماكنها •

٥ ــ حياتها وطعامها وشرابها :

العمليات الحيوية ــ الاعمال التى يقومون بها ــ الطعام الذى

يتناولونه والشراب الذى يشربونه — التزاوج والتناسل — العادات الخاصة — الغناء والرقص — مناطق التخصص •

٦ — صفاتها :

الصفات الخلقية الخاصة — الاختفاء عن الانظار — أماكنهم المفضلة من أماكن البشر — قتل الجنى — آثار قتل الجنى على الجن — خوفهم من الإرانب ، والحديد ، الملح ، مواد وأشياء أخرى ، عبارات وصيغ معينة — هبوب الرياح — سيطرتهم على الظواهر الطبيعية — سوق الجن — حبسهم طوال شهر رمضان — ومكان الحبس ، وممارسات البشر فى هذه المناسبة •

٧ — هيئتها :

صورتهم — تشكلهم بالحيوانات مثل : الكلب الاسود ، القط الاسود ، الحذاء القديم البالى — تشكلهم بهيئة الانسان وصفاتهم وقدراتهم الخاصة فى هذه الحالة — صورتهم فى الليل — الشعوب التى سخرت الجن — أماكن بالمنطقة مشهورة بوجود الجن أو العفاريت •

٨ — علاقتها بالانسان :

دفع أذى الجن عن الناس — نوعية هذا الاذى للانسان — ايثارهم أصدقاءهم من البشر بامتيازات وعطايا خاصة — طبيعة هذه الهدايا والعطايا — حضورهم عند ذكرها — احجامهم عن ايذاء الصغار عموما — ميلهم الى جميلات البشر والجملاء (الرجال) — استفاديتهم من العلاج الطبى — استشارتهم فى علاج بعض الامراض — شروط ومواصفات مسخر الجن — عزائم قيادتهم — مخاطبة الجن : وسيلتها وشروطها — الاخلال بالتعاقد بينهم وبين مسخرهم — أدعية وأحجبة تحفظ الانسان من شرهم — رسم الدائرة حول الانسان — الاشخاص الملبوسون فى المنطقة وقدراتهم — حلقات الدرس البشرية واشتراكهم فيها وفى جنازة البشر

وعيادة المرضى منهم وتقديم بعض الحلول لمعضلات البشر ــ خطفهم للانسان المنفرد ــ الجن ينسى الانسان ما كان يذكره ويخفى عنه بعض حاجاته ــ مشاركتهم طعام الانسان ــ تناسلهم مع الانس ــ ميلاد المخنث ــ كراهية التزاوج بهم ــ عقاب رافض هذا الزواج ــ عداوتهم للبشر ــ براعة الشاعر ــ نقلهم كلام الانس وحفظهم عنهم القرآن والاحاديث ــ اعترافهم بجميل الانس ــ استئذان الناس للجن ــ كيفية قتل الجنى ــ حراستهم لمناطق الانس وتشكلهم بشكل الثعابين ــ خدمتهم للبشر ــ قدرات الاشخاص المتزوجين بالجن ــ استبدال الجن طفلا بآخر ــ أعراض الطفل المبدول ــ ممارسات الوقاية من هذا الابدال ــ وممارسات تصحيحه لو حدث ــ أخذ الجن أطفال البشر ــ مساعدتهم للبشر فى أعمالهم ــ سرقتهم الطعام ــ استعارتهم أشياء الناس ــ شروط ايذائهم للبشر ــ النهى النبوى عن الاكل باليد اليسرى ــ خوف الجن من أناس معينين ــ سكان البيت والجن قاطنيه ــ التقاء أحد البشر بأحد الجن ــ علامات انباء البشر بوجود الجن •

٩ ــ موتها وفناؤها :

قتل الجنى ــ صورة تحول الجنى ــ بصق الآدمى فى فمها ــ عمر الجن •

٣ ــ الشيطان ــ ابليس :

أ ــ طبيعته :

الشيطان وابليس ــ الجن والشياطين ــ ابليس ــ حكايات أصله ــ مصيره ــ أولاده ــ عددهم •

٢ ــ أحواله (نومه ، وأكله ... الخ) :

مكان سكن الشيطان (ابليس خاصة) داخل البيت ــ نوم ابليس •

٣ ـ قدراته :

قدرات ابليس •

٤ ـ صورته وتشكيلاته :

صورة الشيطان ـ وسوسته للناس ـ شكل ابليس ـ نهيق الحمار •

٥ ـ علاقته بالانسان :

وجوده مع كل انسان ـ ظهوره لبعض الناس ـ ابليس أس الفساد ـ مشاركته طعام الانسان مالم يذكر اسم الله ـ طرق الغواية ـ أحب أعمال غوايته ـ العطاس ـ شيطان الصلاة ـ التخلص منه ـ شيطان الوضوء ـ الشيطان والاحلام الشريرة ـ صراخ الوليد ـ الشيطان والشخص المنفرد ـ كشفه للاسرار ـ نصحه للناس ـ انتصار الناس على ابليس ـ الوقاية منه ـ واجب الانسان عند الوسوسة ووسائل طرد الشيطان ـ وسائل حماية الاطفال منه ـ السحر والشيطان ـ سليمان والشيطان •

٤ ـ العفاريت :

١ ـ ماهيتها :

العفريت ـ شكله ـ معيشته ـ مكان وجوده ـ اختلافه عن الجنى •

٢ ـ انواعها :

عفريت « القيالة » ـ « عفريت الليل » ـ حالات ظهور العفاريت وشروطه •

٣ ـ أحوالها :

عفريت القتيل ـ صفاته وقدراته الخاصة ـ التخلص منه ـ

تسميته — مكان تواجد العفاريت — تجنب المرور ببعض المواضع خوفا منهم ٠

٤ — تشكلاتها وهيئاتها :

تشكلها فى هيئة حيوانية — أنواع الحيوانات التى تتقمصها العفاريت ٠

٥ — علاقتها بالبشر :

تقمصها الاشخاص — الامراض التى تسببها لمن أساء التعامل معها — السير فى جماعة خوفا منهم — تضخم العفريت بالتدريج عند مقابلته انسانا ٠

٥ — الاسياد :

ماهيتهم — عالمهم — سبب تسميتهم بالاسياد — استرضاؤهم — مواطنهم — صورهم وأشكالهم — ارتباطهم بكرسى وسط حفل الزار — الاسياد التى تدق لها الطبول ٠

علاقة الاسياد بالانسان :

الاسياد الذين يلبسون جسم الشخص — اسم « الملبوس » — معرفة « السيد » الذى يلبس الشخص — السلوك الذى يفرضه الاسياد — استرضاؤهم ٠

٦ — القرين :

القرين والانسان — « القرينة » ٠٠ « التبيعة » — الفرق بينهما — الوقاية منهما — الخوف من القاء الماء على الارض ليلا ٠

٧ — العمار :

ماهيتهم — خصائصهم — الفرق بينهم وبين طوائف الجن — أعمالهم

ومهامهم — أماكنهم — البيوت المسكونة وسبب ذلك ودلائله — اسم العمار ساكنى البيت — مشاركتهم طعام أهل البيت — حمايتهم لهم مقابل الطعام — عزائم معينة لابعادهم •

٨ — جنية البحر :

ماهيتها — أنواعها — وظائفها — شكلها — كيفية ظهورها للناس — نوع سلوكها مع البشر — أضرار مقابلة البشر لها — علاقتها الودودة مع البشر — حياتها البشرية — أماكن ظهورها — قدراتها وصفاتها — وقت ظهورها — حكايات عنها فى المنطقة •

٩ — السلعوة :

ماهيتها — فروق تميزها عن سائر الجن والعفاريت — هيئة ظهورها — توصيف بعض البشر بصفتها — السلعوة والحياة فى الماء •

١٠ — أم الشعور :

تتبع نفس الخطوط العامة السابقة فى تناول أم الشعور من حيث صورتها فى المعتقد الشعبى ، وخصائصها الاساسية ، وعلاقتها بالبشر ••• الخ •

١١ — المزيرة :

(وهى عفريته تظهر على شكل امرأة تلبس أبيضا) •• ويمكن تتبع نفس الخطوات السابقة ومعرفة ما اذا كان هذا المعتقد حيا أم توارى من الوجود •

١٢ — الغول :

الغول والجن — خصائصه وقدراته الخاصة — اختلاطهم بالبشر — الغول والغولة — وقت ظهوره وأماكن هذا الظهور — تصرفاته ازاء البشر — صورة ظهوره للناس — تجنب الانسان أذى الغول •

تتبع نفس الخطوات والعناصر سابقه الذكر بالنسبة للغول والكائنات السابقة عليه عند معالجة الانواع التالية من الكائنات فوق الطبيعية مع مراعاة خصوصيتها النوعية .

١٣ — المارد .

١٤ — الصل واختلافه عن المارد .

١٥ — الامن دجر .

١٦ — النداهة (التواهة) .

١٧ — أبو رجل مسلوخة :

وتوابعه مثل البعبع — أبو زبعبع — على كاكا ... الخ .

١٨ — الطنطل :

(يقال فى العراق انه كان ملكا غير صالح فمسخ جزاء مخالفة ارتكبها) .

١٩ — الارواح :

أنواعها — مسمياتها — مستقرها — أماكن تجمعها — عبور المياه الجارية — ابتعاد الشرير منها عند صياح الديك .

٢٠ — أرواح الموتى :

روح المؤمن — خروجها من القبر — مواقيت الخروج — الملبوسون بأرواح موتى — ظهورها للاحياء — حكايات عنها .

٢١ — بغلة العشر :

وكذا « سقا العشر » .

٢٢ — انسان الماء :

(يحكى أنه حيوان شكله شكل الانسان وله لحية بيضاء اذا رآه الناس استبشروا بالخصب) .

٢٣ ـ المسيخ الدجال :

أمارات ظهوره ـ أفعاله المنتظرة .

٢٤ ـ البراق :

طبيعته ـ صورته .

٢٥ ـ البشر الممسوسون :

معرفة ماهيتهم ـ حكاياتهم ـ المؤاخاة ـ ضرب الممسوس ليبرأ ـ قدرات الملبوس الخاصة ـ مصاحبة العريس أحد أصدقائه قبيل زفافه ـ مشى الاطفال وحدهم ليلا ـ المياه التى تأخذ ضحية كل عام ـ وكذلك أماكن أخرى (ساقية ـ طاحونة مثلا) ـ تطلب المبانى الجديدة ضحية بشرية ـ ذكر الله عند الاستيقاظ ـ « المسحور » ـ سبب تحوله الى « مسحور » شكله ـ سلوكه ـ فك سحره ـ وقت ظهوره ـ صور أخرى للممسوسين والملبوسين فى المنطقة .

الباب الخامس

الطب الشعبى

مقـدمة :

الفصل الاول : الطب الشعبى فى التراث العالمى

الفصل الثانى : فلسفة الطب الشعبى

الفصل الثالث : الوصفات الجمالية والوقائية

الفصل الرابع : الوصفات العلاجية

الفصل الخامس : ممارس الطب الشعبى

الفصل السادس : دليل مختصر للدراسة الميدانية للطب الشعبى

الباب الخامس

الطب الشعبى

مقـــدمة

ترتكز الممارسات والمعتقدات الطبية الشعبية عند كافة الشعوب فى جميع العصور على معتقد أساسى يرى أن الله قد خلق لكل داء دواء ، وأن ما على الانسان الا أن ينهج الطريق السليم للبحث عن هذا الدواء . وتتباين الناس فقط فى مدى ما تصيبيه من حظ ونجاح فى العثور على الدواء المناسب . لا يختلف فى ذلك أقدم الشعوب البدائية مع الطبقات الشعبية فى أى مجتمع حديث اليوم .

ولما كانت الممارسات الطبية الشعبية ترتكز فى جانب كبير منها على أسلوب المحاولة والخطأ، فمن الطبيعى أن يتقن الشعب على مدار العصور وبدرجة متزايدة طرق العلاج الشعبى ، لذلك كان من البديهى أن تؤكد البحوث الطبية الحديثة بعض الوصفات ــ أو على الاقل الاتجاهات العامة ــ للطب الشعبى عند الشعوب المختلفة . ومع أنه من الانصاف للعقلية الشعبية أن نثبت هذه الملاحظة فى مطلع حديثنا عن الطب الشعبى ، الا أننا يجب ألا نسمح لانفسنا مع ذلك أن نشغل تفكيرنا بهذه القضية أكثر من هذا . لاننا كما قلنا فى هذا الكتاب فى أكثر من موضع لسنا بصدد تقييم المعتقدات الشعبية ، طبية كانت أو غير طبية . وانما نحن نحاول أن نلتمس الطريق العلمى السليم لدراسة هذه المعتقدات عن طريق جمعها جمعا سليما وتصنيفها وتحليلها . أما أمر تقويمها فمتروك لاهل السياسة الاجتماعية ليفيدوا بهذه النتائج حسب وجهتهم فى رسم تلك السياسة ، وتصورهم لموقع التراث الشعبى على الخريطة الايديولوجية للمجتمع .

ولقد حرصت على أن أؤكد هذه النقطة لاننا لا نكاد نعثر على دراسة للطب الشعبى فى بلادنا أو فى أوربا ، الا ويشغل صاحبها نفسه — فى جزء منها على الاقل ، باثبات حكمة الشعب وصواب كثير من الوصفات الطبية الشعبية المتداولة بين الناس ، أو التى كانت شائعة فى فترة من فترات التاريخ(١) • ولعل هذا الشغف من جانب أولئك النفر من الباحثين يخفى وراءه ميولا رومانسية فى النظر الى التراث الشعبى ، وهى فى رأيى عرض من أعراض المراهقة الفكرية فى علم الفولكلور يجب أن نتجاوزه خاصة عندما نكون بصدد تأصيل الدراسة العلمية لتراثنا الشعبى •

واذا كان لهذه النقطة أن تلقى حظها الواجب من البحث ، فلا يصح أن يتم ذلك على يد دارس الفولكلور ، وانما هى مهمة مؤرخ الطب ، أو المتخصص فى هذا الفرع أو ذاك من فروع المعرفة الطبية • فهى اذن مهمة الاطباء وليست رسالة الباحثين فى علم الفولكلور •

---

(١) انظر على سبيل المثال :
Funk and Wagnalls Standard Dictionary of Folklore; Mythology and Legend; Vol. I; ed. by M. Leach; New York; 1949; p. 698.
وانظر كذلك عبد الرحمن اسماعيل ، طب الركة .

الفصل الأول

الطب الشعبى فى التراث العالمى

لقد حرص الباحثون فى علم الفولكلور على تأكيد الوصفات العلاجية ذات الطبيعة السحرية ، أى تلك التى ترتكز على اســتخدام التعاويذ ، والاحجبة ، والرقى المختلفة والممارسات السحرية بأنواعها • والتمســوا لذلك آلاف الشواهد فى الثقافات البدائية المعاصرة ، وكذلك فى الحضارات التاريخية منذ الآشوريين والبابليين ، والسومرين وغيرهم • ودعم ذلك الاتجاه لدى البعض استمرار الاعتقاد فى الوصفات السحرية العلاجية فى أوربا حتى مطالع العصور الحديثة •

ولا شك أن الغرابة والطرافة الموجودة فى هــذه الوصــفات ذات الاسلوب السحرى كان من العوامل البارزة وراء الاهتمام الواسع بها على حساب النوع الآخر من الوصفات ذات الاسلوب الطبى التقليدى والذى يمكن وصفه بأنه أســلوب علمى ، وان كان متخلفا عن المســتوى العلمى للطب فى عالم اليوم • وقــد جنى الباحثون نتيجــة لذلك على كثــير من الوصفات والممارسات الطبية الشعبية القديمة والمعاصرة • اذ تناسى كثير من الباحثين القيمة الكبيرة والاسلوب العملى الرائع الذى يتميز به كتاب الجراحة (أو بردية الجراحة) التى ترجع الى الدولة الفرعونية القديمة ، أى الى أكثر من ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد • من أجل هذا نحاول أن تــكون معالجتنا للوصفات الطبية متوازنة بين الجانبين ، فلا نتحيز لجانب على حساب الآخر(٢) •

---

(٢) تتناول هذه البردية تشخيص وعلاج ٤٨ عملية جراحية مما كان يجريه الاطباء المصريون القدماء . ومن الجدير بالذكر ان البردية لم تصف الاسلوب السحرى فى العلاج الا فى عملية واحدة فقط من بين هذا العدد الكبير . الامر=

اذا وضعنا المشكلة هكذا فى وضعها الصحيح لاستطعنا أن نقول مع فوجلين أن تاريخ الطب الشعبى فى العالم ليس الا تاريخ الطب نفسه ، اذ أن هذا التاريخ يمثل سلسلة طويلة من المحاولة والخطأ ، بدأت مع فجر الانسانية ، ولم يكتب فصل الختام فيها بعد . فسيظل الانسان يجاهد من أجل تحسين مستوى الرعاية الطبية ، وستظل تواجهه أمراض جديدة كان غافلا عنها فيما مضى ، أو أنها خلقت خلقا جديدا بفعل تغير وتحول الظروف البيئية والاجتماعية المحيطة بالانسان .

ولسنا هنا بصدد استعراض تاريخ الطب فى العالم كله ، فهذه مهمة تقصر عنها رسالة هذا الفصل . ولكننا نؤكد أن التراث الطبى المعاصر ــ خاصة الاوربى منه ــ ليس كما يزعم أغلب الكتاب تطويرا لتراث الاغريق فى هذا الميدان . وانما معروف لكل منصف أن العرب قد تولوا نقل التراث الطبى الاغريقى الى العربية وصححوه وأضافوا عليه وطوروه . ولا يمكن أن تقاس الثروة الطبية العربية التى ترجمت فيما بعد الى اللاتينية (وكانت فيما بعد أساس التقدم الطبى فى أوربا المعاصرة) بما أخذه العرب عن الاغريق . مما يؤكد دون أدنى تحيز عظمة الانجاز العربى فى ميدان الطب ، وأنه بأى مقياس اضافة بارزة الى التراث العالمى فى هذا الميدان .

الا أن هناك بصفة عامة بعض النظريات الطبية العلاجية التى تمثل تراثا مشتركا بين الشعوب المختلفة ، وقد ساهم كل شعب بدوره فى اثرائها وتدعيمها وتطويرها . نذكر من تلك النظريات الطبية فى العلاج : نظرية تناغم الاجرام السماوية التى قدمها بيتا غوراس قبل ميلاد أبوقراط بنحو مائة عام (أى فى الفترة من ٥٥٠ الى ٤٥٠ قبل الميلاد تقريبا) . كما

= الذى يدلنا دلالة واضحة على ثراء التراث الطبى التقليدى منذ هذا التاريخ البعيد .

انظر ، فونك ، قاموس Dictionary of Folklore ، مادة طب ، ص ٦٩٨ وما بعدها، خاصة ص ٦٦٩ .

قدم بيتا غوراس نظرية الاعداد التى أثرت على كل من جاءوا بعده من علماء الاطباء الاغريق • فقد صبغت تلك النظرية بشكل واضــح نظرية أبو قراط عن « الايام الحرجة » • كما طبقها جالينوس بعد ذلك التاريخ بحوالى سبعة قرون (القرن الثانى بعد الميلاد) على كل ميدان من ميادين الطب •

وتعاقبت بعد ذلك اسهامات الفلاسفة والمفكرين الاغريق فى ميادين العلاج الطبى المختلفة ، بحيث لخصت فى ذروة تقدم الحضارة الاغريقية خلاصة التقدم الانسانى فى هذا المجال • الى حــد أن كتابات جالينوس بلغت مرتبة التقديس طوال عدة قرون بعــد موته • والى العرب يرجــع الفضل كما أشرت فى استمرار هذا التراث وتطويره •

ومن النظريات البارزة فى هذا الميدان أيضا مدرسة التنجيم ، التى تؤكد على دور الكواكب والنجــوم والمنازل القمــرية (والبروج) فى انتشار وحدة أمراض معينة ، وعلى فاعلية النباتات ، والاحجار الكريمة وغيرها من المواد المستخدمة فى العلاج •

وهناك عديد من الشــواهد على تلك النظريات ترجع الى الكلدانيين وغيرهم ، وظلت تتناقلها الشعوب وتطورها على مدى آلاف السنين • ولعل نظرية العلامات doctrine of signatures كانت من أبرز النظريات وأقواها تأثيرا على الممارسة الطبية ، بشــكل يفوق حتى تأثير مدرســة التنجيم •

وترى نظرية العــلامات أن جميع العنــاصر الطبيعيــة (كالنباتات والحيوانات وأعضاء الحيوانات المختلفة ، والاحجار ••• الخ) تحمــل علامة أو « اشارة » معينة تدل على الحاجة الانسانية أو الوظيفــة التى يمكن أن يستخدم فيها هذا العنصر لخدمة الانسان • وبصرف النظر عما اذا كانت نظرية العلامات هذه قد نشأت فى مصر أو فى بابل ، فان المؤكد على أى حال أن تأثــيرها ظل واضــحا وقويا حتى القرن الســابع عشر

الميلادى ، وظلت الكتب الشعبية والطبية والمعتقدات الدائرة فى عقـول الناس تؤمن بها وتتمسك بتطبيقاتها ، وتحكى القصص عن درجة صـحتها ومدى فاعليتها .

ونقرأ فى أحد الكتب الشعبية التى ألفها أحد الاوربيين عن الاعشاب أن الله قد خلق كل عشب منها على هيئة خاصة ، كما خص كلا منها بعلامة معينة ليستدل منها على الفائدة الطبية الكامنة فيها(٣) .

وهناك مئات بل وآلاف النماذج التى تؤكد صدق هذه النظرية ومئات الشواهد الواقعية التى تدل على شيوعها بين الناس حتى مطالع العصور الحديثة :

— فجوزة الطيب قد خلقت على هيئة المخ .

— وزهرة نبات الخشخاش (الافيون) فى قاعدتها تشـبه وضـع (ترسبات) stling الدم فى ذات الجنب ، ومن ثم فان هـذا النبات ممتاز فى علاج مرض ذات الجنب .

— كما أن نبات الخشخاش كان يوصف لعلاج الامراض العقليـة لأن ثمرته تتخذ هيئة الرأس .

— والورود الحمراء توصف لعلاج الدم وتنقيته .

— وكان الآشوريون يستخدمون نبات البينج benbane لعلاج آلام الأسنان ، حقيقة أن ذلك بسبب خصائصه المخدرة ولا شك ، ولكن تبرير ذلك فى رأى أصحاب نظرية العلامات هو أن الجزء المحتوى على البذور يتخذ هيئة الفك .

---

(3) Cf. Wm. Coles; Art of Simpling; 1956; quoted by E. Voegeline; art. Medicine in Funk Dictionary of Folklore; op. cit; p. 699.

— كذلك النباتات المنقطة تستخدم لعلاج البقع فى الجسم •

— والنباتات الصمغية توصف لعلاج القروح الصديدية •

— أما النباتات غير المزهرة (كالخنشار — أو السرخس والخس ، والعرعر) فتؤدى — طبقا لهذه النظرية — الى العقم •

— ولكن النباتات الكثيرة البذور تؤدى الى علاج العقم •

— وينصح الاطباء بتناول أى من الاعشاب الثلاثية الاوراق (لانها على شكل القلب) لعلاج أمراض القلب المختلفة •

— والزعفران (وهــو ذو لون أصــفر برتقالى) يوصف لعــلاج الصفراء •

وكما تطورت النظريات العلاجية كذلك تطورت الممارســات الطبية وأساليب اعداد الوصفات • فبعد الوصفات التى كان يستخدم فيها عشب أو عنصر واحد لعلاج مرض معين ، تطور الامر بحيث وصــل المطببون الشعبيون الى الوصفات المعقدة التى تضم عديدا من الاعشاب ، والعقاقير، وأحيانا السموم • مما يتطلب بطبيعة الحال التزام الدقة الى حد بعيــد ووجود قدر من التخصص فى تقديم الوصفات واعدادها •

الفصل الثانى

فلسفة الطب الشعبى

أشرنا من قبل الى أن فلسفة العلاج فى الطب الشعبى تقوم على الاعتقاد بأن لكل داء دواء . ومن ثم فان كل مرض من الممكن شفاؤه ، ما لم تكن نهاية المريض مقدرة فى تلك اللحظة ، وهنا يستحيل على أى طب أن يغير مشيئة الله . ولكن داخل هذا المفهوم العام نجد أن المعتقد الشعبى يفسح مكانا كبيرا لعوامل المرض الراجعة الى عوامل « نفسية » أو قل سحرية ، أو بمعنى آخر تلك التى لا ترجع الى أسباب مادية معروفة ملموسة . فكثير من الامراض (يستوى فى ذلك الحمى ـ ارتفاع درجة حرارة الجسم ـ أو الصرع أو حتى العمى) يمكن أن تنقل بالعين أو الحسد[٤] .

ويندرج تحت هذا البند أيضا تأثير الكائنات فوق الطبيعية وأبرزها الجن ، فهى قد تعمل على الحاق الامراض بالفرد . مما دعا الشبلى الى أن يقول : « ... ولقد علم أبقراط من طبه أن للنفس تأثيرا عظيما فى البدن أعظم من تأثير الاسباب الطبية وكذلك للجن تأثير فى ذلك . قال صلى الله عليه وسلم فى الحديث ان الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم . وهو البخار الذى تسميه الاطباء الروح الحيوانى المنبعث من القلب السارى فى البدن الذى به حياة البدن »[٥] .

ولما كان المرض يمكن أن يرجع الى عوامل نفسية أو روحية وأخرى

---

(٤) أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ ، ص ٤١٥ .

(٥) الشبلى ، آكام المرجان ، مرجع سابق ، ص ٦ .

مادية عادية ، فان العلاج يمكن — أو يتحتم أحيانا — أن يتم بوسائل سحرية من نفس الطبيعة كالرقى والتمائم وما الى ذلك ، كما قد يتم بالاساليب الطبية التقليدية أو باستخدام مشرط الجراح أيضا • ولكن الملاحظ على أى حال أن الفئة الاولى من الوصفات تحتل المكانة الابرز والاسبق • حتى بعض الوصفات الطبية العادية تفرض عليها بعض الشروط والتحفظات والقواعد التى من طبيعة سحرية خالصة ، على نحو ما سنرى تفصيلا فيما بعد(٦) •

اذا انتقلنا الى التساؤل عن مضمون الوصفات العلاجية بنوعيها ، فسوف نجد أن الفئة الاولى — ذات الطبيعة السحرية — تضم كل العناصر المستخدمة فى الاعمال السحرية العادية : كالاسماء ، والآيات القرآنية (مجافاة للروح الاسلامية الصحيحة) ، والحروف ، والارقام ، والاشياء المادية كطاسة الخضة والاحجبة •• الخ ذلك مما أوضحناه تفصيلا فى باب السحر من هذا الكتاب • (انظر الباب الثالث) •

أما عن المواد والعناصر المستخدمة فى النوع الثانى من الوصفات العلاجية ، وهى الوصفات الطبية بمفهومها التقليدى ، فهى كل العناصر التى تتيحها البيئة الطبيعية من نباتات وحيوانات • وكلها أشياء عادية قد تستخدم كما هى ، وقد تعالج على نحو معين ، قد يكون شديد التعقيد أحيانا ، كما سنرى فيما بعد • وليس من الضرورى أن يستخدم العنصر النباتى أو الحيوانى كله ، بل ان الامر قد يقتصر ، كما هو الحال عند استخدام عنصر حيوانى ، على عضو منه ، أو على افرازات ذلك الحيوان • ولكن القاعدة العامة أن تكون موادا عادية مألوفة كالعسل أو الزيت ••• الخ(٧) •

---

(٦) وليس هذا مقصورا على مجتمعنا فحسب ، ولكنها ملاحظة عامة يؤيدها ما ذهب اليه الكسندر كراب فى كتابه علم الفولكلور ، مرجع سابق ، ص ٣٠٧ •

(٧) انظر شواهد على ذلك فى مصرالفرعونية عند رانكة، مصر والحياة=

الا أن هذه العناصر النباتية أو الحيوانية لا تستخدم في الغالب كما هي بحالتها الطبيعية . وانما يتطلب الامر تقييدها بعدد من الظروف ، والقواعد ، والاجراءات الفنية . أولى هذه القيود وأبسطها قصر استخدام العنصر على وقت معين . وقد يكون هذا القيد الزمني مجرد عامل في زيادة فاعلية الدواء وضمان تأثيره ، ولكنه قد يكون في حالات أخرى شرطا لازما لنجاح العلاج ، بحيث أنه اذا خالفه المريض ، فقدت الوصفة الطبية فاعليتها . وقد ينصح باستخدام هذا الدواء في جزء معلوم من اليوم — ليلا أو نهارا ، أو قبل طلوع الشمس أو قبل غروبها — أو في فصل معين من فصول السنة . وهناك وصفات أخرى لا ينص فيها على قيد زمني معين ، فتلك يمكن استخدامها في أي وقت(٨) . ولعل هذا القيد يفهم بشكل أفضل في ضوء معرفتنا بالخصائص المميزة للأوقات كما يستخدمها المشتغل بالسحر . فلكل ساعة من ساعات اليوم ملك خاص موكول بها .. الخ وهي تفاصيل يمكن استيعابها بشكل أفضل بالرجوع الى الباب الخاص بالسحر . (انظر الباب الثالث) .

ومن القيود الاخرى تعقيد الوصفة الطبية بكثير من التفاصيل . ومن ألوان هذا التعقيد أن تضم الوصفة عديدا من العناصر ، وأن ينص على كميات متفاوتة من هذه المواد .. الخ . ولقد أشار رانكه الى وصفة طبية

= المصرية ، مرجع سابق ، ص ٣٩٤ . اما بالنسبة للمجتمع المصري المعاصر فلذلك ذلك الخبرة التامة ، بصرف النظر عن التفصيلات والتحفظات التي سابرزها فيما بعد . وانظر كذلك وليم لين ، المصريون المحدثون .. ، مرجع سابق ، ص ١٨٨ .

(٨) أورد رانكة في كلامه عن الطب المصري القديم نفس الملاحظة حيث بين أن « هناك ادوية كثيرة كانت لا تستعمل الا في فصول خاصة من السنة . بين الوصفات الخاصة بالعين نجد وصفة يقتصر استعمالها على الشهرين الاول والثاني من فصل الشتاء وأخرى تستعمل في الشهرين الثالث والرابع ، وثالثة ذكر قصدا ان استعمالها جاء خلال فصول السنة الثلاثة جميعا » .
انظر رانكة ، مصر والحياة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٣٩٢ .

مصرية قديمة عبارة عن لاصقة (لزقة) تتركب من ٣٧ مادة مختلفة(٩) . كذلك يشترط فى بعض الوصفات أن تضم مواد نادرة يصعب توفيرها ، أو أخرى منفرة مقززة تتميز بالغرابة . ومن العناصر التى كانت تتردد فى الوصفات الطبية منذ أقدم العصور وحتى مطالع العصور الحديثة : دم وأسنان الخنزير واللحم النتن والدهن الفاسد العفن وافراز آذان الخنزير ولبن المرأة الحائض ومئات من أمثال هذه الاشياء(١٠) . ومن أهم تلك المواد الغريبة الافرازات بأنواعها . فافراز الكبار والصغار والحمير والوعول والكلاب والقطط وما الى ذلك من أنواع الحيوان حتى نصل الى وسخ الذباب الذى يوجد على الجدران . هذا بالطبع فضلا عن فضلات الانسان وافرازاته كالبول وصماخ الاذن .. الخ . خاصة تلك الاجزاء من افرازات الانسان التى تتمتع بأهمية كبيرة فى نظر المعتقد الشعبى بسبب اتصالها بجوهر الانسان ، أو لانها تمس العنصر المقدس فيه وهو الروح . وهى أمور سوف تزداد اتضاحا عندما نتناول المعتقدات الشعبية الدائرة حول الانسان والجسم الانسانى فى باب لاحق من هذا الكتاب . (انظر الباب السابع) .

تلك بعض الملاحظات والاشارات العامة المتصلة بموضوع الطب الشعبى ، والتى ستزداد وضوحا واكتمالا على امتداد معالجتنا لجوانب الموضوع المختلفة فى الفصول التالية . ولكن لنتساءل عن خطة تقسيم هذا الموضوع التى التزمناها فى عرض فصول هذا الباب .

تنقسم الوصفات الطبية بشكل عام الى قسمين رئيسيين : الاولى وقائى والآخر علاجى . أما الوصفات الوقائية فتنقسم بدورها الى أنواع

---

(٩) فى هذا يقول راتكة ان الطب المصرى شأنه فى ذلك شأن كل طب شعبى كانت تسيطر عليه تلك الفكرة التى تقول بأن الدواء يجب الا يكون بسيطا او عاديا . فالوصفة ينبغى أن تحتوى على كثير من المواد ان امكن ، واشار الى اللاصقة المذكورة ، انظر مصر والحياة المصرية ، مرجع سابق ، ص ٣٩٣ .

(١٠) انظر مزيدا من الشواهد على ذلك عند راتكة ، المرجع السابق ، ص ٣٩٣ وما بعدها .

متعددة حسب الغرض منها . فبعضها ليست له طبيعة طبية واضحة ، ولكنها أقرب الى النصائح أو الوصفات الجمالية العامة ، فهذه وصفة لمنع ظهور الشعر فى مكان غير مستحب أن ينبت فيه شعر ، وأخرى وصفة لجمال البشرة والحفاظ عليها ، وثالثة لتوسيع العيون واكسابها لمعانا وجمالا .. الخ . ثم هناك وصفات وقائية بالمعنى الدقيق . تكون أقرب الى النصائح والارشادات الطبية المتخصصة ، فواحدة لتجنب التخمة ، وأخرى للوقاية من الحمى ، وثالثة لتجنب سقوط الشعر .. الخ .

أما الجسم الرئيسى لهذا الباب فتمثله دون أدنى شك الوصفات الطبية العلاجية بمفهومها التقليدى . وهذه تنقسم بدورها الى طائفة متنوعة تتباين حسب أسلوب تناول مؤلف الطب الشعبى ، أو أسلوب استيعاب العقلية الشعبية ، أو المجال الطبى نوعه . فهذه وصفات علاجية تنطلق من العنصر نفسه فنقرأ أو نسمع مثلا عن الخصائص العلاجية للينسون أو لزيت الخروع ، وكيفية استخدامه فى علاج الامراض المختلفة. ثم هناك طائفة أخرى من الوصفات لا تتخذ العنصر النباتى أو الحيوانى منطلقا لها ، وانما تنطلق من المرض نفسه ، فنقرأ أو نسمع عن وصفات لعلاج الحمى ، أو لعلاج بياض العين ، أو الكساح .. الخ فالتصنيف هنا يتم حسب الامراض وليس حسب العناصر المستخدمة . ولكن هناك بعض الامراض التى لا يفيد فيها العلاج التقليدى بالعقاقير المعروفة ، ولكنه يستلزم علاجا من نوع آخر كالكي بالنار ، أو الدفن فى رمل ساخن ، أو اجراء جراحة معينة . ولذلك سوف يمثل هذا الموضوع الجزء الثالث من الفصل الرابع عن الوصفات الطبية العلاجية . ثم هناك عدا هذا طائفة من الامراض التى لايحسن علاجها الا بالاستحمام أو الشرب أو الاغتسال. فى بعض العيون المائية التى تتميز مياهها بخصائص طبية مفيدة لعلاج هذا المرض أو ذاك .

على أن اهتمامنا فى دراسة الطب الشعبى لا تقتصر على تتبع الوصفات الطبية وما تتضمنه من عناصر وعقاقير مختلفة ، وان كان هذا

الجانب يمثل محور الارتكاز وبؤرة الدراسة فى هذا الموضوع . ولكن هناك علاوة على هذا الجانب الاجتماعى فى المرض والصحة . فالمريض تجب زيارته ، ولهذه الزيارة قواعد وأصول ولها آداب يجب مراعاتها .

وكما سبق أن ميزنا فى حديثنا عن السحر بين السحر الشعبى الذى يمارسه كل الناس ويلم به الصغير والكبير ، وبين السحر الرسمى الذى يمارسه ساحر محترف متخصص لهذا العمل يتقاضى عنه أجرا فى الغالب ، كذلك الحال فى الطب . هناك آلاف الوصفات التى يعرفها جمهور الشعب ويمارسها دون تدخل شخص محترف ، ولكن هناك حالات أكثر تعقيدا أو أكثر خطورة تتطلب تدخل الطبيب الشعبى . وهذا المطبب شخصية محورية فى المعتقد الشعبى عند كل الشعوب ، وان كنا لا نلمس اليوم مكانته بشكل واضح ، حيث طغى الطبيب الحديث على مكانته . الا أن هناك عديدا من الملامح التى تميز هذا الشخص ، وتحيط به ، وتؤسس مكانته بين الناس ، وتحدد طبيعة عمله الطبى بينهم .

ثم هناك أخيرا بعض المصادر غير الطبية فى طبيعتها التى تكشف عن ثروة من المعتقدات والمعارف الطبية . اما لانها تعكس لنا فلسفة المرض والعلاج فى المعتقد الشعبى ، كالعناصر الادبية المختلفة من قصص وأمثال ، أو لانها تقدم نماذج لعدد من الوصفات الطبية المتبعة فى بلاد أخرى (كما نطالع فى كتب الرحلات) فنثرى بذلك الثروة الطبية لدى الشعب .

الفصل الثالث

الوصفات الجمالية والوقائية

أولا ــ الوصفات الجمالية :

اهتم المعتقد الشعبى بالعنصر الجمالي فى الجسم الانسانى بأجزائه المختلفة ، من هذا مثلا الاهتمام بزيادة قوة الابصار أو الحفاظ عليها ، أو اكساب الجمال للعينين ، أو غير ذلك من أعضاء الجسم • ويورد التراث روايات وحكايات عديدة عن تقاليد الاكتحال عند العرب قبل الاسلام وبعده • ويروى الغزالى فى « احياء علوم الدين » عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « عليكم بالأثمد عند مضجعكم ، فانه يزيد فى البصر وينبت الشعر » • وروى أنه كان يكتحل ثلاثا ثلاثا ، أى ثلاث مرات فى كل عين • وفى رواية أخرى أنه اكتحل لليمنى ثلاثا ولليسرى اثنتين(١١) •

كذلك نقرأ ونسمع عن وصفات أخرى تقوم على تضميد عانة الصبى بعنصر معين بهدف منع نبات الشعر • أو تضميد الموضع المخلوق بهذا العنصر بهدف منع نبات شعر جديد فيه(١٢) •

كذلك نقرأ عن وصفة أخرى يستخدم فيها بذر الكتان لمنع تشقق الاظافر وتقشرها عند معالجته على نحو معين(١٣) ، بل ان هناك طائفة من الوصفات التى تستهدف ازالة الشحم من على الارداف ، أو

---

(١١) انظر الغزالى ، احياء علوم الدين ، الجزء السادس ، مرجع سابق ، ص ١١٤ .

(١٢) انظر النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ، مرجع سابق ، الجزء الحادى عشر ، ص ١٩ .

(١٣) انظر النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ، مرجع سابق ، جـ١١ ، ص ٢٦ (حيث يخلط بذر الكتان بالشمع والعسل ، ثم تطلى به الاظافر) .

انقاص الوزن ، أو زيادته .. الخ[١٤] .

ونقرأ فى كتاب طب الركة لعبد الرحمن اسماعيل عن حقنة اللعبة المرة . حيث تغلى عدة مواد معا فى شحم الخنزير لمدة نصف ساعة وتوضع فى حقنة معدن ، وتعطى كعلاج الهزيلات ، اذ يعتقدن أنها جالبة للسمنة . والطريقة هى أن يقبض على الفتاة بعد غلى السائل ثم تحقن فى شرجها ، ثم تدحرج بعد ذلك الفتاة على الارض . وكانت تلك الطريقة منتشرة انتشارا واسعا ، ويقول صاحب طب الركة انه على الرغم من الشهرة الواسعة لهذه الحقنة ، الا أنها يمكن أن تكون عظيمة الضرر وهى فى درجة الغليان[١٥] .

---

(١٤) انظر عددا من تلك الوصفات عند الغزالى ، مرجع سابق .

(١٥) انظر نبيل صبحى حنا ، الطب الشعبى . دراسة لكتاب طب الركة، فصل فى كتاب : دراسات فى علم الاجتماع والانثروبولوجيا ، دار المعارف ، الطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٩٥ .

ثانيا — الوصفات الوقائية :

هناك طائفة عريضة من الوصفات الطبيه — وغير الطبية — التى تستهدف الحفاظ على الصحة العامة أو اكتسابها دون وجود أعراض مرضية محددة .

وأول محور تدور حوله تلك الوصفات مياه الشرب وخصائصها وفوائدها . ومما يلفت النظر الاشارات العديدة فى كتابات المؤرخين المصرين (كتاب الحوليات والتقاويم) الى ماء النيل الذى يقول عنه ابن اياس : « .. من أجل منافعها (مصر) ماء النيل المبارك وسرعة هضمه للأكل . قال بعض الحكماء : لولا ماء الليمون على أهل مصر ما عرفوا حلاوة ماء النيل »(١٦) . ونعرف جميعا المعتقد الشائع عن تأثير ماء النيل على صحة الفلاح واكسابه للقوة وزيادة قدرته على تحمل الامراض والجوع .. الخ . (خاصة ذلك الماء قبل تكريره — بطينه) .

ويستعرض المقريزى فى أحد المواضع الاساليب المختلفة لتكرير ماء النيل ، وهو يقصد بالقطع أساليب أهل الحضر من أبناء مصر . فيقول : « ... ويصفى كل انسان هذا الماء بحسب ما يوافق مزاجه . أما المحرورون فى أيام الصيف فبالطباشير والطين الارمنى والمغرة والنبق المرضوض داخل (مكب) نوى المشمش الصعتر والشب . وينبغى أن يقطف ما يروق داخل (مكب) نوى المشمش والصقر والشب . وينبغى أن يقطف ما يروق ويشرب ، وان شئت أن تصفيه بأن تجعله فى آنية الخزف والفخار والجلود وما يحصل من ذلك بالرشح ، وان شئت طبخته (غليته) بالنار وجعلته فى هواء الليل حتى يروق »(١٧) .

---

(١٦) ابن اياس ، بدائع الزهور فى وقائع الدهور ، الجزء الاول ، ص ١٠٧ .

(١٧) المقريزى ، الخطط والآثار ، الجزء الاول ، ص ٢٧٦ — ٢٧٧ .

ويتصل بالماء أيضا نصائح خاصة بتوقيت شرب كميات معينة من الماء فى أوقات معينة من اليوم • فنحن نعرف رأى المعتقد الشعبى فى فائدة شرب الماء على الريق لتجنب الامساك ، أو « لتكرير الدم » ••• الخ • ونقرأ كذلك عند الازرق أن الدواء الذى لا داء معه أن تشرب كل يوم قليلا على الريق ثلاث جرع من الماء الساخن •

أما النصيحة الوقائية العامة فهى تلك الخاصة بعدم الاكل الا بعد الجوع ، والتوقف عن الاكل قبل الاحساس بالشبع • وهى النصيحة التى تضمنها الحديث الشريف . ولكننا نجدها كذلك فى كل كتب الطب الشعبى(١٨) ، وان كانت ضعيفة الحظ من التأثير فى الممارسة الفعلية • فالناس تأكل عندما تصادف الوجبة فى موعدها أو عندما تدعى الى ذلك ، ويقل الاقبال على الطعام أو يكثر بحسب درجة جودته وشهية الآكل • وان كان ذلك لا ينسحب الا على كل ذى وفرة •

ويقدم الغزالى فى احيائه طائفة من هذه الوصفات التى يستهدى فيها سنة الرسول وهدى الصحابة والمسلمين الاولين • ومن تلك النصائح الطبية الوقائية العامة النص التالى : « ••• قال الحجاج لبعض الأطباء صف لى صفة آخذ بها ولا أعدوها • قال لا تنكح من النساء الا فتاة (؟) . ولا تأكل من اللحم الا فتيا ، ولا تأكل المطبوخ حتى يتم نضجه ، ولا تشربن دواء الا من علة ، ولا تأكل من الفاكهة الا نضيجها ، ولا تأكلن طعاما الا أجدت مضغه ، وكل ما أحببت من الطعام ، ولا تشربن عليه • فاذا شربت فلا تأكلن عليه شيئا • ولا تحبس الغائط والبول • واذا أكلت بالنهار فنم • واذا أكلت بالليل فامش قبل أن تنام ولو مائة خطوة • وفى معناه قول العرب تغد تمد ، تعش تمشى (اشارة من الغزالى للمثل الشعبى المعروف

---

(١٨) ينقل ابن أبى بكر الازرق فى تسهيل المنافع ، ص ٦ ، عن احد المصادر الطبية « .. الداء الذى لا داء معه ان لا تاكل الا بعد الجوع فاذا اكلت فارفع يدك قبل الشبع فانك لا تشكو علة الا علة الموت » .

فى عدد من البلاد العربية . ومنها مصر) »(١٩) .

ثم يورد الغزالى بعد ذلك طائفة من النصائح التى لا يسترشد فيها رأى طبيب ، ولكنه ينسبها الى مصدر أرفع من ذلك . الى على بن أبى طالب رضى الله عنه (الذى اشتهر فى المعتقد الشعبى — من بين ما اشتهر به — بالحكمة) . وهى لا تقتصر على تلك التوجيهات العامة كمضغ الطعام جيدا ، أو الشرب على الاكل .. الخ ، ولكنها تدخل بشكل أكثر تفصيلا فى تحديد الخصائص الوقائية والعلاجية لبعض أصناف الاطعمه . يقول الغزالى :

« ... قال على رضى الله عنه من ابتدأ غذاءه بالملح أذهب الله عنه سبعين نوعا من البلاء . ومن أكل فى يوم سبع تمرات عجـوة قتلت كل دابة فى بطنه . ومن أكل كل يوم احدى وعشرين زبيبة حمراء لم يرق جسـده شيئا يكرهه . واللحم ينبت اللحم ، والثريد طعام العرب . والبسقارجات تعظم البطن وترخى الاليتين . ولحم البقر داء ، ولبنها شفاء ، وسمنها دواء ، والشحم يخرج مثله من الداء . ولن تستشفى النفساء بشىء أفضل من الرطب ، والسمك يذيب الجسد . وقراءة القرآن والسواك يذهبـان البلغم . ومن أراد البقاء ولا بقاء فليباكر بالغذاء وليقدم العشاء وليلبس الحذاء . ولن يتداوى الناس بشىء مثل السمن »(٢٠) .

ويورد الغزالى بعد ذلك عـددا من الآثار التى تتناول بالتفصـيل مواعيد الوجبات ، وضرورة الالتزام بأن يضم اليوم وجبتى غذاء وعشاء . ونفهم ذلك فى ضوء الاسلوب التقليدى القديم فى تنظيم الوجبات . حيث كان اليوم يضم فى العادة وجبتين فقط . حيث يحل الغـذاء محل وجبتى الافطار والغذاء عندنا ، بينما يمثل العشاء الوجبة الرئيسية وتتقـدم فى موعدها عن موعد وجبة العشاء فى مجتمعاتنا اليوم . ومن هنا التنبيهات

---

(١٩) أبو حامد الغزالى ، احيـاء علوم الدين . مرجع سـابق . الجزء الرابع ، ص ٩٢ .

(٢٠) الغزالى ، احياء علوم الدين ، مرجع سـابق . الجـزء الرابع ، ص ٩١ .

الكثيرة بضرورة التبكير بالعشاء(٢١) .

أما عن ترتيب الاصناف فى الوجبة الواحدة فيمثل هو الآخر محور عدد من النصائح والتوجيهات التى تمثل خلاصة المعرفة الشعبية ، وتستهدى فى نفس الوقت الهدى الدينى بأن تنسب تلك النصائح الى الرسول أو بعض الصحابة . أو تتخذ من الآيات القرآنية ما يؤيد هذا النصح . وعن ترتيب الاطعمة يقول الغزالى : « ... ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة أولا ان كانت ، فذلك أوفق فى الطب . فانها أسرع استحالة (أسرع تمثلا) فينبغى أن تقع فى أسفل المعدة . وفى القرآن تنبيه على تقديم الفاكهة فى قوله تعالى (وفاكهة مما يتخيرون) ثم قال (ولحم طير مما يشتهون) ، ثم أفضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم والثريد »(٢٢) .

ونجد فى كتب الطب الشعبى طائفة أخرى من الوصفات التى يمكن أن نقول عنها أنها تمثل أسلوبا للعلاج بالطعام . فنقرأ عند ابن أبى بكر الازرق نقلا عن « علماء الطب » : « ... اعتمد مقاومة السوداء بالثرائد الدسمة . ومقاومة الصفراء بالاشياء الحامضة . ومقاومة البلغم بالاشياء المالحة . وأما زيادة الدم فعلاجه بالحجامة(٢٣) . وأحسن أوقاتها فصل الربيع والصيف »(٢٤) . ويوضح الازرق الفلسفة العامة وراء هذا الاسلوب فى العلاج بقوله : « ... فاذا كان الغذاء معتدلا صحيحا كان فى صحة البدن وتبخرت الطبيعة بخارا صحيا الى القلب فيصعد ذلك البخار الى الدماغ والى جميع البدن بصحته »(٢٥) .

---

(٢١) يمكن للقارىء ان يرجع الى دراسة عن عادات الطعام تصدرها علياء شكرى ، تتضمن تحليلات تاريخية ، ومقارنات جغرافية ، وتصنيفات لتلك العادات حسب المستويات الاجتماعية المختلفة . وهى تستند الى تراث عريض من المؤلفات والكتب الدينية والشعبية ، والى جهد كبير فى مجموعة من الدراسات الميدانية التى غطت طائفة متنوعة من البيئات الاجتماعية .

(٢٢) الغزالى ، مرجع سابق ، ج ٤ ، ص ٨٧ .

(٢٣) سوف نتطرق فى سياق لاحق الى الكلام عن عملية الحجامة وصفتها .

(٢٤) انظر ابن أبى بكر الازرق ، تسهيل المنافع ، مرجع سابق ، ص ٦ .

(٢٥) المرجع السابق ، ص ٧ .

ولعله يتسق مع هذا الاسلوب فى العلاج بالمواد الغذائية التنبيه على خطر بعض الاغذية على الصحة بصفة عامة ، أو خطورتها فى خلق بعض الاعراض المرضية . من هذا ما ينقله النويرى عن الباذنجان وخطـورته فيقول عنه : « ... انه يولد السوداء ، ويولد السدد ، وانه يفسد اللون ويصفره ، ويسود البشرة ، ويورث الكلف ، ويولد السرطانات والصلابات والجذام والصـداع فى الرأس . وينتن الفم ، ويولـد سـدد الكبـد والطحال »(٢٦) .

ولا شك أن المعتقد الشعبى الحى حول الباذنجان ما يزال يحمـل رواسب هذا الموقف(٢٧) .

ولكن الشىء الذى لا يمكن أن يتوقعه القارىء بسهولة أن يتضـمن المعتقد الطبى الشعبى طائفة من الاجراءات التى تسـتهدف الوقاية من المرض عن طريق اعطاء الفرد قدرا ضئيلا من الميكروب (أو من السـم) المراد تكوين حصانة لدى الجسم من الاصابة به . أى أن المعتقد الشعبى يعرف فكرة التطعيم الحديثة بكل تفاصيلها الاساسية . من هذا مثـلا ما نعرفه عن بعض قبائل البدو حيث تجرى عادة النساء على أن يحرقن صغار العقارب ويصحنها بهون ويضعن من المسحوق على حلمات أثدائهن عنـد ارضاع أطفالهن تطعيما لهم حتى لا يؤذيهم لسع العقارب(٢٨) .

---

(٢٦) النويرى ، نهاية الارب ، مرجع سابق ، الجـزء الحادى عشر ، ص ٤٤ .

(٢٧) انظر أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، مرجع سابق ، مادة باذنجان .

(٢٨) وردت عملية التطعيم كطريقة للعلاج الشعبى عنـد بدو الصحراء الغربية ضمن المادة الميـدانية التى جمعها الدكتور نبيل صـبحى حنا المدرس بآداب القاهرة عن موضوع الطب الشعبى أثناء اجراء دراسته الميدانية لرسالة الماجستير فى موضـوع « ديناميات التغير الثقافى فى مجتمع هامشى . دراسـة انثروبولوجية على أحد المجتمعات المحلية بمحافظة مرسى مطروح » (رسالة لم تنشر بعد) .

ثم هناك بعد كل هذا حشد من الأساليب الوقائية التى ليست دينية في طبيعتها ولكنها تكاد تكون سحرية خالصة . من هذا مثلا تعليق بعض الأحجار الكريمة على الأطفال أو الكبار لوقايتهم من الأخطار أو الأمراض بصفة عامة . من هذا ما نقرؤه في مجربات الديربي عن تعليق المرجان على الأطفال لكي يأمنوا من الآفات(٢٩) . وسوف يأتي الكلام تفصيلا فيما بعد عن الاستخدام الطبي العلاجي للأحجار الكريمة والمعادن ، ولكنني قصدت هنا الاشارة الى استخدامها الوقائي بمعنى عام كل العمومية .

---

(٢٩) انظر الحسني ، مجربات الديربي ، مرجع سابق ، ص ٩٥ .

الفصل الرابع

الوصفات العلاجية

أشرت من قبل الى أن هناك أكثر من سبيل لتصنيف الوصفات الطبية العلاجية التي يحتفظ بها المعتقد الشعبي في مدوناته أو في صدور الناس . وقد رأيت أن أصنف هذه الوصفات حسب موضوع الوصفة ، ففي الفقرة أولا نتناول طائفة من تلك التي تدور حول عنصر معين وخصائصه العلاجية المختلفة . ونستعرض في الفقرة ثانيا وصفات علاج مرض معين أو عدة أمراض . بينما تغطي الفقرة ثالثا الادوات والعمليات الجراحية ، ثم نختتم هذا الفصل بالفقرة رابعا عن الخصائص العلاجية لبعض العيون المائية .

اولا — العناصر العلاجية :

يمكن القول بأن كل المواد المتاحة في هذا الكون من كائنات حية أو جمادات تصلح لاستخدامها علاجا لمرض أو عدد من الامراض ، وهي يمكن أن تستخدم كما هي ، بحالتها البسيطة العادية . أو بعد معالجتها ، وأحيانا تنتخب مفردات منها ذات مواصفات خاصة كما سنرى تفصيلا فيما يلي .

تأتي على رأس هذه القائمة النباتات بأنواعها وفي مقدمتها التوابل . فنجد آلاف الوصفات من الكزبرة والكمون ، والقرفة ، والسعتر (أو الصعتر) ، والبابونج (الشيح) . والقرنفل ، وجوزة الطيب ، والمصطكى (أو المستكى) ، والشوينز (الحبة السوداء ، أو الكمون الاسود) ، واللبان ، والفلفل ، والصمغ ، والبهان (حب الهان أو الهيل) ، والنعناع ، والميعة ، والخولنجان ، والدارجين (نوع من القرفة) .. الخ .

كذلك تدخل الزهور كعناصر علاجية في عديد من الوصفات الطبية . ومن الزهور المستخدمة : النرجس . والورد . والبنفسج ، والياسمين ، والسوسن . والحناء ... الخ .

أما الفواكه فتستخدم هى الاخرى على نطاق واسع • نذكر من بينها : السفرجل ، والمشمش ، والليمون ، والخوخ ، والكمثرى ، والموز . والرمان ، والتين ، والعنب ، والنبق ، والجميز ، والتوت ••• الخ •

ويمكن أن نضيف مجموعة أخرى من الخضروات والحبوب ، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : القمح ، والزيت (بأنواعه) ، والافيون ، والزيتون ، والجوز ، واللوز ، والبصل ، والكرفس ، والعدس ، والقثاء ، والسمن ، والرجلة ، والجرجير . والخس ، والثوم ، والجزر . والفجل ، والكرنب ، والباذنجان ، والقرع ، والكتان ، والكحل ، والحمص ، والشعير ، والتمر هندى . والكثيراء ، والشبت ، والخروع ، والبرسيم ، والملح ، والقطران ، والطوب (؟) ، واليانسون ، والخل ، والكراويا ، وعسل النحل ، والسنا ، والنبق ••• الخ •

أما الحيوانات فتدخل فى اعداد الوصفات الطبية بأنواعها ، ويمكن أن تطول هذه القائمة لتضم كل الحيوانات المعروفة (بل وغير المعروفة أحيانا) • تدخل كلها أحيانا قليلة ، أو بعض أعضائها فى الاغلب الاعم ، وكذلك افرازاتها ، وأيضا فضلاتها • هذا بالطبع علاوة على افرازات الجسم الانسانى نفسه كما سنرى فى عدد من الوصفات التى سنعرض فى الفقرات التالية •

ولن يتسع المجال بطبيعة الحال لكى أقدم نموذجا لكل عنصر من هذه العناصر واستخداماته الطبية • ولكننا يحسن أن نقتصر على استعراض بعض النماذج الممثلة • ونأخذ فى البداية الرمان الذى يحظى بمكانة خاصة فى كتب التراث • وأقتبس فيما يلى بعضا من حديث النويرى عن الخصائص العلاجية للرمان ، حيث يقول فى نهاية الارب : « ••• وحب الرمان مع العسل طلاء للداحس والقروح الخبيثة ، وأقماعه للجراحات ولاسيما المحترقة . ••• وحب الرمان بالعسل ينفع من وجع الاذن ، وهو طلاء

لباطن الانف ، وينفع حبة مسحوقا مخلوطا بالعسل من القلاع(٣٠) طلاء ، ... واذا سقى حب الرمان فى ماء المطر منع نفث الدم ، وجميعه ينفع من الخفقان ... وسويقه مصلح لشهوة الحبالى، مدر للبول، وسويق الرمان ينفع من الاسهال الصفراوى »(٣١) .

الا أن هناك بعض أصناف الفاكهة أو الحبوب التى تصلح كلها ، ولكن بعض الثمار منها تكون ذات مواصفات (طبيعية) خاصة ، ومن ثم تفيد تلك الوحدات فى علاج حالات مرضية بالذات . ونسوق المثل التالى : يقول النويرى فى حديثه عن خصائص التين بصفة عامة : « ... أخبرنى من يرجع الى قوله ويوثق بنقله من حكام المسلمين أن بثغر الاسكندرية صنفا من التين أسود يسمى الغرابى ، اذا نضج يكتب بالبياض . فربما وجد فى بعضه مكتوبا اسم الله تعالى .. وأخبرنى أيضا آنه رأى ذلك كثيرا . وأخبرنى أنه أخبر من ثقات أن فيه ما يوجد مكتوبا عليه : (لا اله الا الله محمد رسول الله) . وسألته : هل يتخيل على ذلك بشىء ، فقال : لا ، وأنه خلقه من الله تعالى ، فسبحان القادر على كل شىء »(٣٢) . ثم يستطرد بعد ذلك فى شرح الخصائص الطبية العلاجية لهذه الثمرات ذات المواصفات الخاصة النادرة .

ونحن نعرف تماما كيف أن شيخ الزار ، أو الساحر المحترف عندما يطلب من عميله بعض أنواع الحيوانات أو ثمار النباتات تكون فى الغالب من تلك التى تتميز بلون نادر أو علامة مميزة فى جسم الحيوان ، أو حجم أو هيئة خاصة ، مما سيرد الاشارة اليه فى الفصل الخاص بالزار (أنظر الفصل الثالث من الباب السادس) .

---

(٣٠) القلاع : قرحة فى حلقة الفم واللسان ، ويتعرض لها الاطفال الرضع لرداءة اللبن أو عدم هضمه فى المعدة .

(٣١) النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ، مرجع سابق ، الجزء ١١ ، ص ١٠٠ .

(٣٢) النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ، مرجع سابق ، نفس الجزء ، ص ١٥٤ .

ويشترط في أحيان أخرى أن يكون النبت المستخدم مزروعا في مكان معين ، ففي هذه الحالة تكون لثمار ذلك المكان شهرة أو خفاء علاجية خاصة يقول السخاوى في « تحفته » : ... المطرية هى قرية فيها البستان الذى يزرع فيه البيلسان ويستخرج منه الدهن وخاصيته عظيمة لجبر الكسر وغيره »(٣٣) .

كما نقرأ عن بعض النباتات التى تصلح في علاج مرض معين أو عدة أمراض ، ولكنها تفيد في نفس الوقت طائفة بأكملها من الناس . اذ يقول النويرى عن الياسمين من بين ما يقول : ... ان دهنه ينفع المشايخ ، هكذا على الاطلاق دون تحديد لسن أو مكان أو زمان (!)(٣٤) .

ولكن هناك نباتات أخرى تتمتع بخصائص طبية بارزة ، ليس في بلادنا فحسب وانما في معظم ثقافات العالم ، بصرف النظر عن خصائصها المخدرة المذمومة ، الا وهي نبات الخشخاش (الذى اشتهر باسم الحشيش) ، والافيون وما اليهما . ويتحدث الازرق عن خصائص نبات الافيون قائلا : « بارد يابس اذا خلط بالخل أذهب الحمرة والجراحات ، واذا طبخ به عليها ، وقد ورد ذكره في السمومات فقالوا انه يعترى لمن شربه خدر الاطراف وبردها وقله (؟) وظلمة العين والموت . وهو يغلظ الدم ويبرد الروح والشربة القاتلة منه وزن درهمين وقيل لا يقتل الا أربعة . ولهذا يقال ينبغى لمن يخاف القوافل أن لا يأنس الى ذوق من يذوق ذلك ، فانه قد يكون فيه مثل الافيون . واذا كان قليلا جاز قطعا وكذا ان كان كثيرا على الاصح وبه جزم .. ان فيه منفعة في الجملة ، وأما أكله في الضرورة فجائز اذا لم يضر الجسم ، ولكن من المعلوم أنه

---

(٣٣) أبو الحسن السخاوى ، تحفة الاحباب وبغية الطلاب ، ص ١١ ، وقد عده ابن اياس في تاريخه من معالم مصر ، اذ يقول عنها ، « وبها دهان البيلسان ولا يوجد الا بها في أرض المطرية وهو الذى تتغالى ملوك النصارى في ثمنه . ولهم فيه اعتقاد عظيم » . انظر ابن اياس ، بدائع الزهور ، الجزء الاول ، ص ٥ .

(٣٤) النويرى ، المرجع السابق ، الجزء ١١ ، ص ٢٣٦ .

يضر بالجسم فى الغالب مع من هو مداوم على أكله . وقد يقضى بآكله ما لا يليق بقدر الشخص من ... المروءة وفعل القبيح وعدم الحياء . وهو شعبة من شعب السحر يحسن القبيح ويقبح لهم الحسن ويريهم أشياء على خلاف حقيقتها ويخيل الخيالات الباطلة »(٣٥) .

وهناك عدا العناصر النباتية على اختلافها العناصر الحيوانية ذات الخصائص العلاجية المفيدة . ويمكن أن نضرب المثل من الاستخدامات الطبية التى يوردها الدميرى فى حياة الحيوان عن الحية وأجزائها المختلفة : فمرق لحم الحية يقوى البصر (ص ٢٨٤) ، ولحوم الحيات من حيث الجملة تسخن وتجفف وتنقي البدن وتحلل منه أسقاما (ص ٢٨٤ أيضا) . ويؤخذ بسلخ الحية مقليا وقشورا ... ويبخر به صاحب البواسير الظاهرة والباطنة المتعلقة ، فانها تسقط (نفس الصفحة) ؛ وبيض الحية يدق مع ورق وخل ويطلى به البرص الجديد يقطعه . وقلب الحية يذهب الحمى . واذا علق ناب الحية على من به وجع الاسنان نفعه وسكن وجعها . ليس هذا فحسب بل ان سلخ الحية اذا وضع فى ثياب لم تسوس . « وان أحرق وعجن بزيت طيب وحشى به الضرس المتآكل أبرأه . وان سحق مع رأسها وجعل على داء الثعلب أنبت الشعر » . (نفس المرجع والصفحة) .

ونقتبس من الدميرى أيضا نموذجا آخر من حديثه عن طائر السلوى(٣٦) . « اذا علقت عن طائر السلوى على الشخص الارق شفى ، واذا اكتحل بها نفع من وجع الكبد ، ومرارته تخلط بزعفران ... ويطلى به البهق (البهاق) الاسود يقطعه . وزبله يسحق ويذر على القروح المتآكلة ينفعها . واذا دهن رأسه فى برج حمام زال عنه سائر الهوام .

---

(٣٥) الازرق ، تسهيل المنافع ، مرجع سابق ، ص ٥٧ .
(٣٦) السلوى : طائر ابيض مثل السمان ، واحدته السلوه .

ورأسه اذا بخر به أزال الارضة منه »(٣٧)

واذا انتقلنا الى العناصر الحجرية وجدناها معــروفة هي الاخرى كمواد علاجية فى كثــير من الوصــفات • خاصــة اذا اختلطت الاتربة المستخرجة من أعشاش بعض الطيور بفضلات تلك الطيور ، فانها تكون بالتأكيد ذات خصائص علاجية أقوى • اذ يقول الدميرى فى « حيــاة الحيوان » أنه « اذا أخذ الطين من عش الخطاف وأضــيف اليه المــاء وشرب أدر البول » • (ص ٢٩٥ من الجزء الاول) •

وفى موضع آخر من حياة الحيوان يحكى الدميرى عن حجرين من نوع خاص : « قال الاسكندر يوجد عند أول بطن من بطون الخطاطيف فى أعشاشها أول ما يبرزن ويظهرن فى العش حجران أبيضان أو أبيض وأحمر • ان وضع الابيض على المصروع أفاق ، وان وضع على المعقود (الذى عقد بواسطة عمل سحرى) حله • والاحمر ان علق على من به عسر بول أبرأه • وربما وجد هذان الحجران مختلفى الاحوال أحدهمــا طويل والآخر ململم • ان جعلا فى جلد عمل وعلقا على من به وسواس وتخيل أبرأه • ولا يوجدان الا فى العش الذى يكون فى ناحيــة المشرق دون غيره »(٣٨) •

وهناك نموذج هام يستخدم فيه الطوب النيىء لعمل كمادات لعلاج الثقل (أسفل الجسم) ، ننقله عن ابن الحاج صــاحب « المدخــل الى الشرع الشريف » ، حيث يقول : « ••• كان رحمه الله اذا شكا له أحد بمرض الثقل يشير عليه بأن يأخــذ لبنة من الطــوب النيىء ويجعلها فى الفرن حتى تحمى ثم يخرجها ويجعل عليها شيئا من الغلية ويأخذ خرقة فيبلها بالماء ثم يجعلها فوق ذلك ثم يجلس عليها من غير حائل ويتحمــل

---

(٣٧) الدميرى ، حياة الحيوان الكبرى ، الجزء الثانى • مرجع سابق • ص ٢٦ •

(٣٨) الدميرى ، المرجع السابق ، الجزء الاول ، ص ٢٩٥ .

حوارتها ما قدر عليه الى أن تبرد • يفعل ذلك فى كل يوم حتى يبرأ • وقد جربه غير واحد فبرأ »(٣٩) •

واذا كنا نتحدث عن الاستخدامات الطبية للاحجار فاننا لا ننسى بالطبع الكحل والدور الكبير الذى يحتله فى المعتقد الشعبى ، ليس كأداة للزينة فحسب ، وانما كعلاج لبعض أمراض العين أيضا ، ولتقوية البصر وجلائه كذلك(٤٠) •

وتدخل افرازات الانسان فى عديد من الوصفات العلاجية ومن أهمها الاظافر ، والشعر ، والعرق ، وصماخ الاذن ، والبول ، والبراز ، والدم ، والمنى ••• الخ • وهى فى هذه الحالة تمثل أسلوبا فى التفكير والسلوك يقف على عتبة مشتركة بين الطب الشعبى والسحر •

ولا شك أن هذه الافرازات تزداد قوة وفاعلية عندما تضاف اليها أجزاء من الحيوانات أو افرازاته • ونضرب المثل التالى من النويرى حيث يقول : « خذ أظفار الهدهد وأظفار نفسك ، فاحرقهما جميعا واسحقهما حتى يصيرا ذرورا • ثم اجعل ذلك فى قدح طلاء ، واسقه أى امرأة أردت وهى لا تعلم ، فانها ••• »(٤١) •

وسوف ترد فى بقية هذا الفصل بعض النماذج التى تستخدم فيها هذه الافرازات ، كما فى الوصفات الواردة فى الفقرة التالية عن علاج الرمد (نقلا عن الرحمة فى الطب والحكمة للسيوطى ، والتى أوردها الشقيرى فى كتابه) • ولكن موضوع افرازات الانسان سيعالج بشكل

---

(٣٩) ابن الحاج • المدخل الى الشرع الشريف ، الجزء الثالث • مرجع سابق ، ص ١٦٩ •

(٤٠) انظر وليم لين ، المصريون المحدثون • مرجع سابق ص ص ٣٧ — ٣٨ •

(٤١) النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب • مرجع سابق • الجزء الثانى عشر ، ص ٣١٨ •

متكامل فى الباب السادس من هذا الكتاب الذى يتناول ضمن فصوله المعتقدات الخاصة بالانسان والجسم الانسانى .

ثانيا ـ وصفات لعلاج أمراض معينة :

من الواضح أننا لا نستهدف ـ كما أننا لا نستطيع ـ أن نحيط بكل الامراض التى تتصدى الوصفات الطبية الشعبية لعلاجها . ذلك أنها أولا تضم كل الامراض المعروفة قديما وحديثا ، ثم أنها ثانيا ـ ترد ضمن حديثنا على طول هذا الباب الخاص بالطب الشعبى ، حيث يطالع القارىء فى هذه الفقرة أو تلك من فقرات الباب أسماء عشرات من الامراض التى يدور الحديث عنها . ولكننا نلاحظ مع هذا كله أن المعتقد مشكلة بارزة ، كما أن بعضها كان يستعصى على طب تلك الايام ، فكان هو الآخر مشكلة حادة تتحدى جمهور المشتغلين بالطب الشعبى على أوسع نطاق يمكن تصوره . ومن هذه الامراض ذات الاهمية الخاصة نذكر : أمراض العيون بأنواعها ، والحمى بأنواعها ، والصداع ، وأمراض الاسنان ، والامراض النفسية والعصبية (وأبرزها الصرع) ، والامراض الجلدية والسرية ، وأمراض الجهاز الهضمى ، وأمراض العظام . وأمراض النساء (خاصة مشكلة العقم) ، وأمراض الاطفال (خاصة وفيات الاطفال الرضع) ، وعلاج النحافة الزائدة والسمنة الزائدة ، والضعف العام ، ولدغ الحشرات والحيات ، والاورام بأنواعها ، والامراض الوبائية كالجدرى والجذام .

لذلك سوف يقتصر حديثنا فى هذه الفقرة على استعراض بعض النماذج لطائفة من الوصفات التى تستهدف علاج بعض الامراض ، دون أى محاولة للحصر أو التعمق فى التفاصيل .

قلنا ان أمراض العين كانت على رأس الامراض التى تحفل كتب الطب الشعبى ووصفاته المتداولة بعلاجات لها . وفى هذا يقول الشقيرى

عن علاج أمراض العين : « لعلاج العين الحمراء يعلقون خرزة حمراء لتلتقط احمرارها ، ومنهم من يعلق قطعة لحم صغيرة بخيط فوق العين ، ومنهم من يسخن روث البهائم ويضعها على العين المرمودة أو يصعون بصلة بشيح على العين . كذلك من علاج العين أن يؤخذ دم الخاتن الذى لم يمسها رجل ويخلط مع المنى ويكتحل به غايته يقطع البياض من العين . ويكتب للرمد : قل هو الله أحد ، آن فى العين رمد ، احمرار فى البياض ، حسبى الله الصمد ، يا إلهى باعترافى فى اعتزالك عن ولد . عاف عينى يا إلهى واكفنى شر الرمد ، ليس لله شريك لا ولا كفو أحد . وقال أيضا ، فائدة : من حفظ هذين البيتين لم يرمد أبدا :

يا ناظرى بيعقوب أعيذكما بما استعاذ به إذ مسه الكمد
قميص يوسف إذ جاء البشير به بحق يعقوب اذهب أيها الرمد

ويقال أعيذهما (العين) برب عيسى وقل هو الله أحد . حجب بها حامل كتابى هذا . عابس وشهاب قابس وليل داحس وبحر طامس وحجر يابس وماء فارس ونفس نافس من عين المعيان وحسده ، جاءت فجمجمت . طارت فاستطارت وفى علم الله صارت »(٤٢) .

ويورد وليم لين مزيدا من التفاصيل عن العلاج الشعبى لامراض العيون المنتشرة على نطاق واسع ، ويلفت نظره من بين ما يلفت قوله : « ... ويعتبر المصريون أن غسل العين أو حتى لمسها ، عندما يسيل منها الصديد الذى يجذب الذباب ، مضر بها . ويؤكدون أن فقد البصر قد ينتج من كثرة لمس العين أو غسلها عندما تصاب بهذا السيلان ، غافلين أن الغسل انما يلطف الالم »(٤٣) .

---

(٤٢) الشقيرى ، البدع والمبتدعات ، مرجع سابق ، ص ص ٣٢٦ — ٣٢٧ . نقلا عن الرحمة فى الطب والحكمة للسيوطى .

(٤٣) وليم لين ، المصريون المحدثون ، مرجع سابق ، ص .

(٤٤) ابن الحاج ، المدخل الى الشرع الشريف ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٦٥ .

ويقدم لنا ابن الحاج فى « مدخله » وصفه لعلاج الشعر الذى يخرج فى العين يقول فيها : « ... يأخذ الاثمد ويشويه فى النار ثم يدقه ويعجنه بالزيت المذكور . يفعل ذلك سبع مرات ثم يدقه ويكتحل فى كل يوم مرتين أو ثلاثة ان قدر ففعل . فكلما كان بعد فراغه من سابع مرة جاء ليدقه فلم يقدر لكثرة رطوبته ونعومته فعمل منه مثل الميل الذى يكتحل به كل يوم فبرأ وزاد بصره حسنا وقوة »(٤٥) .

وتطول قائمة الوصفات التى تدور حول علاج الرأس : الصداع . وبرودة الدماغ ، وحرارة الدماغ ، والدوخة .. الخ . ومن بين الوصفات البدوية لعلاج الصداع : دهان الرأس بالخل المستخرج من عسل النخيل. وعمل لبخات من الحلفاء والملح على قورة الرأس ، ومضغ اللبان ووضعه على الصدغين ، وتعصيب الرأس بدكة من القماش تشد جيداً بمفتاح من محل لآخر حتى يتم الشفاء . وهذه الطريقة معروفة فى أغلب أنحاء مصر، يمارسها كل الناس بأنفسهم ، وهى تتطلب وجود شخص ثان يقوم بالشد للشخص المريض . وأخيراً فان الحجامة (وهى فصد الدم من الصدغين) من وسائل علاج الصداع المزمن الذى يتميز بخطورة أو بشدة خاصة . وسيأتى الكلام عن وصف عملية الحجامة تفصيلا فيما بعد .

ونطالع عند ابن الحاج — فى المدخل — وصفة لعلاج الدوخة يقول فيها : « شكا بعض الناس بدوخة فى رأسه فرأى النبى صلى الله عليه وسلم فى النوم فأعطاه هذا الدواء لهذا المرض وهو أن يأخذ قرفة وزنجبيلا وقرنفلا وجوزة طيب وسنبلا من كل واحد درهم ونصف ووزن درهمين من الشونيز(٤٦) . يدق الجميع ثم يطبخ ويعقد بعسل النحل فاذا قرب استواؤه عصر عليه قليل من الليمون . ويكون العسل النحل غالبا عليه ، ففعل فبرأ »(٤٧) .

---

(٤٥) ابن الحاج ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٦٧ .
(٤٦) الشونيز هو الحبة السوداء (أو الكمون الاسود) .
(٤٧) ابن الحاج ، المدخل الى الشرع الشريف ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ص ١٦٦ —

أما الحمى فهى كما نعرف مفهوم عام يشير الى الارتفاع الشديد فى درجة حرارة الجسم . ولذلك فهى ليست مرضا واحدا ، وانما هى عرض لعديد من الامراض ذات الاسباب المتباينة والطبائع المختلفة . ولذلك فاننا لا يمكن أن نقدم نماذج لعلاجها ، لانها أكثر من أن تحصى وأوسع من أن تصنف بشكل مرض(٤٨) .

كما تمثل مجموعة الامراض النفسية والعصبية ميدانا بارزا من ميدان الطب الشعبى ، فتضم تحتها أمراض الصرع (الذى يعد ناشئا عن مس شيطانى أو تأثير روح شرير يحل فى الجسم) ، والجنون (هكذا بشكل عام) . وكثرة النسيان . وعدم الفهم ... الخ .

وتوضح لنا الوصفة التالية عند الشقيرى التصور الشعبى لطبيعة مرض الصرع . ومن ثم الاسلوب المناسب لعلاجه ، فيقول : « فى علاج المصروع : أولا : ذكر الله تعالى فلا شىء أقوى على طرد الشيطان من ذكر الله تعالى بالقلب والتدبر ومراقبته فى السر والجهر وأفضله وأعلاه تلاوة القرآن . ثانيا : قراءة آية الكرسى عند النوم لخبر البخارى اذا أويت الى فراشك فاقرأ آية الكرسى فانه لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان »(٤٩) .

ومن الوصفات العديدة لعلاج الجنون فى مجربات الديربى : « وأما دواء الجنون وطيشان الدماغ فدواؤه حب البرسيم يسحق ويعجن بماء ساخن ويلزق على الرأس »(٥٠) .

---

(٤٨) وان كان كلوت بك يشير فى كتابه « لمحة عامة الى مصر » الى الاسلوب الشائع فى علاج الحمى بين المصريين ، حيث يعمدون الى تدفئة الجسم بشدة (على عكس ما ينصح به الطب الحديث) واستعمال الماء ، ثم يقول « ولكنهم قبل اشتداد المرض يسارعون الى الحمام ليستثيروا فيه العرق الغزير الذى يوقف المرض غالبا » . انظر ، لمحة عامة الى مصر - مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٥٧٨ .

(٤٩) الشقيرى . السنن والمبتدعات ، مرجع سابق ، ص ص ٣٢٢ — ٣٢٣ .

(٥٠) الحسنى . مجربات الديربى . مرجع سابق ، ص ٩٧ .

كذلك أشرنا فى مقدمة هذا الفصل الى أن أمراض النساء هى احدى مجموعات الامراض التى يحفل الطب الشعبى بعديد من الوصفات لعلاجها ، وبعضها خاص بانتظام الدورة الشهرية عند المرأة وما يصاحبها من مشكلات ، وبعضها لعلاج النزيف أو وقفه ، أو تجنب حدوثه ، وكثير منها لعلاج السقط (نزول الجنين قبل موعده) ، خاصة بالنسبه للمرأة التى يتكرر عندها هذا ولا يستقر فى أحشائها جنين (وتعرف باسم « المرأة المتعوقة ») ... الخ . ولكن أهم تلك الامراض النسائية على الاطلاق هى بلا شك مشكلة العقم ، حيث يمثل هذا الظرف المرضى مشكلة لأبناء العصور الماضية والقطاعات الشعبية العريضة حاليا . أولا لان الانجاب فى ذاته رمز لأنوثة المرأة وتأكيد لوجودها ودعم لحقوقها فى بيتها ، ثم هو قيمة اجتماعية اقتصادية فى ذاته بسبب نظرة الاسرة العربية التقليدية الى الاولاد .

ومن الوصفات التى نطالعها عند الازرق لتيسير الحمل فى سياق حديثه عن نبات البعيثران : « البعيثران وهى شجر طيب الرائحة . واذا سحق وعجن بعسل واحتملته المرأة بصوفة سخن الدم البارد وحسن حالها وأعانها على الحبل ، ولو كانت المرأة عاقرا ... وهو من الادوية النافعة المجربة الصحيحة للحبل ان شاء الله تعالى »(٥١) .

ومن الامراض الجلدية والمعدية نذكر : الجدرى ، والجرب ، والقراع ، والحصبة .. الخ . ويعمد البدو — فى مصر — الى علاج الجدرى بتبخير المصاب بشعر الضبع أو بجلد القنفذ . أما الجرب فيعالجونه بأكل لحم الكلب أو الاستحمام فى عين معروفة فى سيوه مياهها كبريتية .

ويورد أحمد أمين وصفة شعبية لعلاج القراع يقول فيها :

---

(٥١) ابن ابى بكر الازرق ، تسهيل المنافع فى الطب والحكمة ، مرجع سابق ، ص ٦١ .

« القــراع : يداوونه أحيــانا بأدوية قاســية فقــد يلطخون الــرأس الأقرع بالزفت مضــافا عليــه بعض الأدوية • ويغطــون ذلك بطاقية ، ويربطونها • ثم يتركون الزفت أســبوعا ، ثم يخلعون الطاقيــة بزعتها يشدونها شدا فيجد الأقرع من ذلك ألما شديدا • ويكررون عدة العملية مرارا وقد تنجح وقد لا تنجح »(٥٢) •

وفى وصفة عند ابن الحاج لعلاج الحصبة « أن يأخذ شيئا من عسل النحل وشيئا من خل العنب وشيئا من الزيت المرقى ويخلط الجميع ويدهن به . فعمله فبرأ »(٥٣) •

وتضميد الجراحات من اهم مجالات العلاج الشعبى خاصة عنــد البدو ، الذين يتمتعون بمهارات عالية فى هذا المجال ، بسبب كثرة ماكانوا يتعرضون له منها فى حروبهم وصراعاتهم العنيفة • ويقوم جراحو البدو بخياطة الجروح ويغسلونها كل يوم بمستحلب بعر الحمير اربعة أيام • كذلك يغسلون البصل بالماء ويصفونه ويغسلون به الجــراح ويســقون العليل منه لمنع تعفن الجرح ودفع أذى الرائحــة • ثم يغســلون المــر بالسمن ويجعلونه دهانا فيدهنون به الجراح أربعين يوما حتى تبرأ(٥٤) •

ومن الوصفات التى يحويها كتاب « تسهيل المنافع » لعلاج الجروح تلك التى يستخدم فيها « دم الأخوين » : « وهو المسمى عند أهل اللغة بالعندم (؟) وهو صمغ شــجرة أحمر شــديد الحمرة نافع للجراحات الجديدة وغيرها ، ويلحم الجرح الطرى سريعا • وهو قوى النفع جــدا وينفع أيضا لقروح الرئة اذا طليت به »(٥٥) •

---

(٥٢) احمد امين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، مرجع سابق ، ص ٣٢٢ .

(٥٣) ابن الحاج ، المدخل الى الشرع الشريف ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٦٦ .

(٥٤) صاحب هذه المعلومة الدكتور نبيل صبحى حنا جمعها اثناء دراسته الميدانية لرسالة الماجستير السابق الاشارة اليها .

(٥٥) الازرق ، تسهيل المنافع ، مرجع سابق ، ص ٥٥ .

ويلجأ اشراف بدو العبابدة والبشايرة الى علاج الجروح الكبيرة بوضع اطار من الطين حول الجرح ، ثم يقومون بصب السمن المغلي فوق الجرح .

أما الحروق فتعالج عند بدو سيوه بعمل لبخة من النخالة أو عمل ألواح ساخنة من الصبار أو تدهن بدهان منقوع عنب الديب .

ومازالت أمراض الاسنان من أكثر الامراض التى تدور حولها الوصفات الطبية الشعبية ، ومن أحدث المجالات التى بدأ الناس يلجأون فى علاجها الى الاطباء المتخصصين . ليس هذا فى بلادنا فحسب ، ولكنه ظاهرة شعبية عالمية تصدق فى أكثر بلاد العالم ، وتنسحب على الامراض النفسية والعصبية أيضا . ولذلك نصادف عديدا من الوصفات الخاصة بعلاج الأسنان . فعند بدو سيوه يعالجون أمراض الاسنان بغلى الشاى الاخضر واستعماله كمضمضة . وكذلك يقومون بتشويح بصلة صغيرة على النار ، ثم توضع على مكان الالم ، وأخيرا يمكن أن تعمل لبخة من البيض الساخن وتوضع على السنة المؤلمة .

وبعد فان قائمة الامراض التى تعالجها الوصفات الطبية الشعبية يمكن أن تطول الى مالا نهاية . ولكننا لا ننسى الاشارة الى بعض النماذج الطريفة منها . اذ تحوى المدونات الشعبية وكذلك يحفظ المعتقد الجارى فى صدور الناس عديدا من الوصفات التى تستهدف ازالة الوشم . حيث يقول الدميرى « ان ورق شجر الجميز يقلع آثار الوشم اذا طلى بالعصارة »(٥٦) . ومن الاغراض الطريفة أن يستطيع الانسان السهر ، وذلك لنفسه اذا كان يبغى الدراسة والتحصيل أو العبادة ، أو لغيره اذا كان يهدف الى ايذائه والحاق الضرر به . ويصف الدميرى لحم الخطاف (طائر) بأنه « يورث السهر لآكله »(٥٧) .

---

(٥٦) الدميرى ، حياة الحيوان الكبرى ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ص ١١ .

(٥٧) المرجع السابق ، الجزء الاول ، ص ٣٩٥ .

ثالثا — العمليات والادوات الطبية :

تتعرض هذه الفقرة لانواع العمليات الجراحية أو العلاجية بصفة عامة ، مع الاشارة كلما أمكن ذلك الى ما يستخدم فى تلك العمليات من أدوات أو معدات طبية • فهناك بعض أغراض العلاج — كالروماتيزم أو أمراض الاسنان أو غيرهما — مما لا يجدى فيه الاعتماد على الوصفات الطبية التقليدية وحدها • ومن ثم يتحتم فى مثل هذه الاحوال تجربة وسائل أخرى كدفن الجزء المريض من الجسم أو الجسم كله فى حالات الروماتيزم أو خلع الضرس المريض بعد أن يتعذر علاجه وهكذا • ثم هناك حالات أخرى لا يصح فيها منذ البداية الا اللجوء الى العمليات الجراحية أو بعض الممارسات الخاصة : كالكى أو البتر أو غير ذلك •

ونحن فى هذه الفقرة كما هى القاعدة فى هذا الباب لا نستهدف — كما أننا لا نستطيع — الاحاطة الكاملة بكل العمليات العلاجية ولا بكل الادوات الطبية المعروفة • فهذا مما يتطلب مجلدات بأكملها فى موضوع الطب الشعبى يقصر عن تحقيقه هذا المدخل العام الذى نحن بصدده • ولذلك فليتقبل القارىء الحالات والعمليات التالية كنماذج وأمثلة تنير الطريق أمام الباحثين فى هذا الميدان الهام من ميادين المعتقد الشعبى ، وتقدم فكرة على قدر كاف من الوضوح لمن يلتمس تكوين صورة عن تراثنا الشعبى بعناصره المختلفة •

١ — الكى :

لعل الكى بالنار من أبرز أساليب العلاج الطبى بعد الوصفات التقليدية • ولا جدال فى صعوبته وخطورته ومدى ما يتطلبه من تحمل وجلد • فهو « آخر الدواء » لا يلجأ اليه المريض ولا المحيطون به الا بعد أن تعييهم الحيل ، وتنسد أمامهم كل أبواب العلاج التقليدية • وهو لذلك يمكن أن يستخدم فى علاج أكثر من مرض : لاوجاع الرأس ، لآلام المعدة ، ولوجع الظهر وغير ذلك • وما ذلك الا لانه آخر الدواء فى علاج

كل مرض من هذه الامراض ، وان كان اقرب الى تفكير المريض فى عدد من الامراض أكثر من غيرها كعرق النسا والروماتيزم • واذا كنا قد أشرنا من قبل الى تنوع ميدان الطب الشعبى الى نوع عام يمارسه كل الناس ونوع ربما أكثر تعقيدا أو تخصصا يمارسه الاطباء الشعبيون المحترفون، فاننا ننبه هنا الى أن عملية الكى من ذلك النوع المتخصص الذى يؤديه المحترفون أساسا •

٢ ـ الحجامة :

ويقدم لنا ابن الحاج وصفا لعملية الحجامة هدفها علاج « البرودة التى تكون فى الدماغ » يقول فيها : « ••• يأخذ من يشتكى ذلك محجمة طاهرة فيجعل فيها شيئا من الرماد أو الرمل ثم يأخذ جمرة من النـــار فيجعلها فوق ذلك • ثم يأخذ خرقة صغيرة ويبلها بالماء ، ويديرها على فم المحجمة لئلا يتأذى العضو بها ، ثم يجعل فم المحجمة على صدغه الايمن، ويشد عليه ، ويميل رأسه عليها • ويمسك المحجمة بيده ان قــدر ، والا فيمسكها بحائل يمنع من وصول الحرارة الى يده التى يمسكها بها • يفعل ذلك ثلاث مرات أو خمسا أو ســبعا كل مرة بجمـــرة حتى تنطفىء تلك الجمرة ثم يفعل مثل ذلك فى اليوم الثانى على الصدغ الايسر • ثم كذلك فى اليوم الثالث على أعلى الجبهة من وسطها • ثم يفعل ذلك فى اليـــوم الرابع على موضع الحجامة من القفــا • فان بقى فى الدماغ من البرودة شىء فتعاد المحجمة على الصفة المذكورة فيبرأ باذن الله »(٥٨) •

٣ ـ الحمصة :

والحمصة هى الاخرى من أساليب العلاج التى تتم فى الغالب الاعم من الحالات على يد شخص متخصص ، هو الحلاق غالبا ، وان كان من

---

(٥٨) ابن الحاج ، المدخل الى الشرع الشريف ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٧٠ •

الممكن أن يقوم بها أفراد عاديون من المتمرسين بهـذه العمليات تمرسـا خلما • وهى تقوم على اعتقاد أساسى مؤداه أن الحمصة التى توضـع فى فتحة خاصة تمتص عوامل المرض من جسم المريض • ويصفها أحمد أمين فى السطور التالية : « شـاهدت فى زماننـا الحمصـة ••• لبعض الامراض • فالحمصة كانت عبارة عن أن المزين (الحـلاق أو حـلاق الصحة) يفتح فتحة فى الذراع بمقدار ما يضع الحمصة ، ثم يضـع الحمصة ، ويضع عليها ورقة من الورق المقـوى ، ويربطها بمنـديل أو بشاش ويتركها هكذا حتى تمتص من الجسم بعض الفضلات • وكلما عطبت الحمصة غيرها بغيرها ، وهكذا • ويعتقدون أنها تشفى من الصداع ومن أمراض كثيرة »(٥٩) •

٤ ــ الدفن :

والمقصود دفن الشخص حيا طبعا (دون رأسه) ، وقـد يقتصر الدفن على جزء فقط من الجسم هو العضو المريض ، ذراعا أو ساقا واحدة أو ساقين •• الخ • وتتم عملية الدفن فى منطقة تتميز تربتها (طينتها) أو رملتها بمميزات خاصة ذات شهرة فى علاج أنواع معينة من الامراض• وهى تتم فى الغالب تحت اشراف شخص متخصص ، وان كان من الممكن أن تتم هكذا دون اشراف •

وقد قدم كلوت بك فى كتابه وصفا لعملية الدفن التى يسـتخدمها الشعب لعلاج مرض الزهرى(٦٠) ، يقول فيه : « ••• وهى أنهم يتجردون من ثيابهم ويدفنون أنفسهم الى الرقبة فى رمل سخنته الشمس بحرارتها ويبقون هكذا ساعات كاملة معرضين للحرارة الشديدة • ويكررون هـذه

---

(٥٩) احمد امين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية • مرجع سابق ، ص ١٨٠ •

(٦٠) من الاسماء الشعبية لمرض الزهرى : المبـارك ، وداء المغير : والجمل ، والحب الافرنجى •

الحمامات الرملية نحو العشرين أو الثلاثين مرة أثناء العلاج على شرط الامساك عن تعاطى اللحوم والاقتصار فى التغذى على الخبز والعسل »(٦١) .

٥ ـ عمليات العيون :

لعل أمراض العيون أكثر الامراض شيوعا لدى القطاعات الشعبية فى مصر ، وأشدها فتكا ، وأخطرها تأثيرا بعد الامراض المتوطنة المعروفة (خاصة البلهارسيا والانكلستوما) . ولذلك نجد طائفة عريضة من الوصفات الطبية الخاصة بالعين وكذلك مجموعة كبيرة من العمليات الجراحية والممارسات الطبية المتعلقة بالعين . وننقل فيما يلى بعض نماذج لتلك العمليات عن كلوت بك .

يصف كلوت بك عملية علاج الشعرة التى فى العين ، فيقول : « يجلس المريض تجاه الجراح فيدخل هذا الاخير بين العين والجفن ملعقة صغيرة من الباغة (البلاستيك) بحيث يمد الغضروف ... فى الوقت الذى يدفع فيه أحد المساعدين جلد الجبهة على شكل يتقلب معه الغضروف انقلابا خفيفا الى الخارج ونحو الجبهة العليا . فعندئذ يقوم الجراح بعمل حزين على حافة الجفن بالقرب من صف الاهداب بحيث يتصلان ببعضهما من طرفيهما المتجاورين ، وتنحصر بينهما اربة من الجلد تنتهى بزاوية حادة جدا . ثم تنتزع هذه الاربة ويترك الجرح نفسه ، فاذا التأم أفضى التئامه الى اتخاذ الاهداب الاتجاه الطبيعى . وهذه الطريقة بسيطة وصالحة ، وقد حصلنا بواسطتها على نتائج جليلة »(٦٢) .

ونعثر لدى كلوت بك على وصف لعدد من عمليات العين ، منها الى

---

(٦١) انظر كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٥٦١ .

(٦٢) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٥٥٧ .

جانب العمليه المذكوره عمليه علاج انقلاب العين . وعمليه الكتاركت (او الماء الساقط فى العين) ([٦٣]) .

وتحفل المصادر والمراجع المختلفة بمعلومات غزيرة عن عمليات أخرى كالبتر والختان والبزل وخلع الاسنان وغيرها من العمليات التى تمارس على نطاق واسع([٦٤]) .

ومن المجالات الاخرى التى يبرز فيها العلاج الجراحى عمليات الفتق بأنواعها . ولا أعرف لماذا ينبه كاتب مثل كلوت بك انى بعض الآراء التى ترى أنه « لولا احتياط الفلاحين بضغط بطونهم بالاحزمة العريضه الجلديه لبلغ عدد الاصابات بالفتق فى مصر مبلغا فاحشا »([٦٥]) . وربما كان يعتقد أصحاب هذا الرأى أن حمل الانسان للاحمال الثقيلة هو المسئول عن ذلك . ولعل الدليل على الانتشار الكبير لحالات الفتق الوصف الدقيق الذى قدمه كلوت بك لعملية رد الفتق ، والتى تشير اليها فيما يلى : « ... لانهم يستعينون على رد الاحشاء الساقطة من فتحة الفتق بالاصبع أو قطعة من الخشب . فاذا حدث للفتق اختناق فانهم لا يلجأون الى الآلات القاطعة ، بل يزاولون العمل بتلك الطريقة ، أى أنهم يضغطون على الفتق من فوق البشرة بقصد رده الى أسفل البطن »([٦٦]) .

ولا يقتصر الامر على تلك العمليات البسيطة ، ولكننا نجد وضعا لعملية على جانب كبير من الخطورة والتعقيد كعملية استخراج الحصوة التى يشرحها كلوت بك ، فيقول : « ... وهم يلجأون فى القيام بها الى

---

(٦٣) انظر المرجع السابق ، ص ٥٨٤ وص ٥٨٥ .

(٦٤) انظر كلوت بك ، نفس المرجع ، صفحات ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ... وكذلك وليم لين ، المرجع السابق ، مواضع متفرقة .

(٦٥) كلوت بك ، المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٥٣٦ .

(٦٦) المرجع السابق ، الجزء الثانى ، ص ٥٨٦ ومواضع أخرى .

وسيلتين الاولى طريقة الشرج والاخرى طريقة العجان . وبحسب الطريقة الاولى يدخل الجراح المصرى فى الشرج السبابة والوسطى من أصابع يده اليسرى فيقبض بهما على الحصوة ويثبتها فى مكانها بين الاجزاء الرخوة ثم يدس بين ذينك الاصبعين نصل موس . فاذا وصل هذا السلاح الى سطح الحصوة عمل به حزا ليستخرجها من فتحته اما باصبعيه واما بالملقط .

وبحسب الطريقة الثانية يضع الاصبعين الآنفى الذكر من تلك اليد فى الشرج ويدفع بهما الحصوة الى مقدمة العجان دفعا يجعلها بارزة . فاذا أتم ذلك ثم عمل فى الحصوة حزا مائلا أو عموديا على الرفاية ضمد الجرح الناشىء عقب ذلك ، أو ضم حافتيه احداهما الى الاخرى ببعض غرزات الخياطة »(٦٧) .

أما البواسير فهى الاخرى من الاعراض المرضية الواسعة الانتشار، بسبب ظروف التغذية والعادات الغذائية الشعبية ، والعادات الصحية الشخصية . ودليل ذلك كثرة الوصفات الطبيعية التى تستهدف علاج البواسير أو تلطيف آلامها . ولكن اذا فشلت كل تلك الاساليب العلاجية التقليدية ، وظلت الاعراض المرضية على شدتها ، فلابد من اللجوء الى الجراحة . وليست تحت أيدينا أوصاف دقيقة لعمليات ازالة البواسير ، ولكننا نعرف من بعض المصادر أن الحلاق كان يقطعها بالموسى عندما يشتد بروزها وتضخمها(٦٨) .

وتمتلىء الكتب الطبية الشعبية وبعض كتب الرحلات بعشرات

---

(٦٧) كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٥٨٧ .

(٦٨) انظر على سبيل المثال : المرجع السابق ، الجزء الثانى . ص ٥٣٥ . وانظر كذلك مقال نبيل صبحى الذى سبقت الاشارة اليه ، حيث يشير الى بعض هذه العمليات كما يصفها عبد الرحمن اسماعيل فى كتابه طب الركه (الجزء الاول) .

لأوصاف لعمليات جراحية مختلفة ، يلعب فيها خيال المؤلف ، أو تلعب بها المبالغات بعض الدور ، مما يجعلنا لا نعتمدها هنا كشاهد على ممارسات طبية شعبية • بحيث أننا لم نورد فيما سبق الا ما اتفقت عليه عدة مصادر ، وأيدته الخبرة الواقعية قديما أو حديثا(٦٩) •

رابعا — العيون المائية وخصائصها العلاجية :

هناك الى جانب الوصفات الطبية العادية من عناصر نباتية أو حيوانية أو غيرها ، وخلاف العمليات الجراحية بأنواعها ، هناك بعض العيون المائية ذات الشهرة الخاصة فى علاج بعض الامراض • وبعض تلك الآبار — مثل بئر زمزم — يمكن أن يفيد فى علاج أى مرض ، والبعض الآخر يشتهر فى المعتقد الشعبى بكفاءة عالية فى علاج هذا المرض أو ذاك•

بئر زمزم :

من المعروف أن بئر زمزم لها مكانة دينية تفوق شهرتها العلاجية التقليدية • ومع ذلك فان هناك عديدا من الشواهد من كتب التراث ومن الحكايات التى يتناقلها الحجاج عن القدرات العلاجية الفائقة لتلك العين المقدسة • ونقرأ عند النويرى النص التالى حول بئر زمزم : « ••• عن

---

(٦٩) من هذا النوع الاسلوب الثانى فى البتر الذى يتحدث عنه ابن بطوطة فى رحلته فيما يلى : « ... كان فى القافلة تاجر تلمسانى يعرف بالحاج زيان ..ومن عادته أن يقبض على الحيات ويعبث بها ، وكنت انهاه عن ذلك فلا ينتهى (لاحظ هنا شهرة المغاربة التقليدية بالقدرات السحرية الخاصة ، ومنها القدرة على التعامل بسهولة مع الحيات) . فلما كان ذات يوم ادخل يده فى جحر ضب ليخرجه ، فوجد مكانه حيه ، فأخذها بيده ، واراد الركوب فلسعته فى سبابته اليمنى . واصابه وجع شديد فكويت يده . وزاد المه عشى النهار ، فنحر جملا وادخل يده فى كرشه ، وتركها كذلك ليلة . ثم تناثر لحم اصبعه فقطعها من الاصل » . انظر كرم البستانى ، رحلة ابن بطوطة ، ١٩٦٠ ، ص ٦٧٦ .

الضحاك بن مزاحم أنه قال : بلغنى أن التضلع من ماء زمزم براءة من النفاق ، وأن ماءها يذهب بالصداع ، وأن التطلع فيها يجلو البصر(٧٠) ، وأنه سيأتى عليها زمان تكون أعذب من النيل والفرات(٧١) . قال : قال لنا الخزاعى : وقد رأينا ذلك فى سنة احدى أو اثنتين وثمانين ومائتين . وذلك أنه أصاب مكة أمطار كثيرة وسال واديها فى سنة تسعة وسبعين وسنة ثمانين ومائتين . فكثر ماء زمزم وارتفع حتى قارب رأسها ، فلم يكن بينه وبين شفتها العليا الا سبع أذرع أو نحوها . وعذبت حتى كان ماؤها أعذب مياه مكة التى يشرب بها أهلها . وانا رأيناها أعذب من ماء العيون »(٧٢) .

وهناك علاوة على ذلك عيون أخرى لها شهرة كبيرة فى علاج مختلف الامراض ، نذكر منها عين حلوان ، وبئر الماء الذى شربت منه العذراء فى مسطرد ، وعين الصيرة(٧٣) ، وبئر اليرقان التى يحكى لنا عنها وليم لين ، فيقول : « ويعالج الكثير من أهل القاهرة مرض اليرقان بالشرب من ماء « بئر اليرقان » . وهو بئر تمتلكه عجوز وتجنى منه فائدة كبيرة . فللبئر فوهتان أسفل احداهما وعاء جاف للأشياء التى يقذف بها ، فتطلب العجوز ممن يرغب استعمال الماء الطبى أن يسقط خلال هذه الفوهة ما تحتاج اليه من سكر وبن »(٧٤) .

---

(٧٠) من الواضح من سياق النص ان صورة البئر التى يتحدث عنها الضحاك تختلف عن صورتها الحالية التى يعرفها عنها الحجاج ، فلم تكن وقتذاك قد غطيت واعتنى بها واقيمت عليها الحنفيات كما هو الوضع حاليا .

(٧١) ما تزال العقلية الشعبية ترى النيل والفرات أعذب مياه الارض كافة ، سواء من حيث طعمها او خصائصها العلاجية ، او سهولة هضمها واستيعاب الجسم لها . ولا يتحرج الكاتب من ان يصف ماء زمزم بأنه سيصل يوما ما الى حلاوة ماء النيل .

(٧٢) انظر شهاب الدين النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ، مرجع سابق ، الجزء الأول ، ص ٣١٨ .

(٧٣) أحمد أمين ، القاموس ، مرجع سابق ، ص ٢٩٤ .

(٧٤) وليم لين ، المرجع السابق ، ص ٢٢٨ .

الفصل الخامس

ممارس الطب الشعبي

أشرنا في موضع سابق من هذا الباب الى أن الممارسة الطبية الشعبية في الواقع الاجتماعي الحي تقترب في كثير من ملامحها من الممارسة السحرية . فكما أن هناك تراثا اجتماعيا مشتركا بين كل أفراد المجتمع من الوصفات الطبية ، (وهو ما يقابل السحر الشعبي) فان هناك كذلك مستوى أعلى من ذلك أكثر تخصصا وأكثر تعقيدا من الممارسة الطبية (وهو ما يقابل السحر الرسمي أو الاحترافي) يلجأ فيه الشخص منذ البداية مباشرة الى الطبيب الشعبي المحترف بسبب تقديره لحجم الحالة المرضية واحتياجها الى مستوى أعلى من الوصفات التقليدية ، أو يلجأ اليه بعد تجربة تلك الوصفات التي يعرفها ويعرفها جيرانه وأهله ، وفشلها جميعا في تحقيق الغرض المطلوب . فالممارس الذي نعنيه في هذه الدراسة ليس هو المواطن العادي ــ الانسان الشعبي ــ وانما المستوى الاحترافي الذي يتجاوز ذلك النطاق العام ويتفوق عليه .

وهناك مصطلح تعرفه الدراسات الانثروبولوجية عموما ، والثقافية منها على وجه الخصوص ــ هو المطبب الشعبي (أو الطبيب) . Medicine Man وهو اسم فضفاض لا يقتصر على ممارس العلاج الطبي فقط ، وانما يغطي فئة أوسع تضم الى جانب القائمين على العلاج الطبي فعلا ، العرافين ، والكهنة ، والسحرة . فهو بهذا المعنى العام يطلق على الشخص أو الاشخاص الذين يتمتعون بقوى خارقة أو مواهب فوق طبيعية . وقد بدأ استخدام هذا المصطلح من جانب الرحالة والمبشرين لدى كتابتهم عن الهنود الحمر الامريكيين طوال القرون السابع والثامن والتاسع عشر .

ثم تغير الحال مع مطلع القرن العشرين ، ومنـذ ذلك الحين ، اذ بدأت الدراسات الانثروبولوجية تجرى على الهنود الحمر على نطـاق واسع • ومن ثم حلت محل ذلك المصطلح الواسع غير الدقيق مصطلحات أدق وأكثر تخصصا مثل : الشامان ، والطبيب ، والطبيب الشعبى (أو الطبيب المعالج بالأعشاب) ، والمشعوذ ، والكاهن •• الخ • ولم تعـد المؤلفات الاثنوجرافية منذ ذلك الحين تستخدم هذا المصطلح تقريبـا ، فيما عدا الكتابات الجماهيرية والصحف السيارة التى مازالت تجده جذابا وصالحا ليغطى مفهوما عاما لدى الجمهور الكبير(٧٥) •

الا أن الشواهد التى تحت أيدينا ، علاوة على خبرتنا الميـدانية ، وكذلك خبرة القارىء نفسه وتجربته •• كل ذلك ينطق بحقيقة جليـة ، وهى أن الشخص القائم على العلاج الطبى الشعبى — أعنى العـلاج بالاساليب والادوات والمفاهيم الواردة فى هذا الفصل — لا يوقف حياته على هذه المهنة وحدها • وانما هو دائما يجمع بينها وبين مهنة أخرى ، أو وضع اجتماعى آخر • فالطبيب الشعبى — بمفهوم الطبيب الحديث — ليس معروفا فى بيئآتنا المصرية •

فما هى المهن التى تجمع اليها مهنة الاشـتغال بالطب الشعبى فى البيئة المصرية ؟ لعل أول من يتبادر ذكرهم الى ذهننا حـلاق القرية أو حلاق الصحة ، أو الحلاق • وهذا الحلاق أنواع ومستويات • والغالبية العظمى منهم تمارس مهنة الحلاقة فعلا ، وجميعهم بالقطع بدأ حيـاته بالحلاقة • وظلت الغالبية تمارس الى جانب مهنة الحلاقة بعض أعمـال الطب مثل خلع الاسنان ، وعمليات الفصد ، والحجامة ، والختان ، واعطاء النصائح الطبية ، وبيع بعض الادوية(٧٦) • وهو قد يجمع الى هـذا فى العصر الحديث وحتى وقت قريب (وربما حاليا فى قليل من القرى) بعض

---

(75) Cf; George M. Foster; «medicine man»; in : Funk and Wagnalls; Dictionary of Folklore op. cit.; p. 700.

(٧٦) هنرى عيروط ، الفلاحون ، الطبعة الثانية ، ص ٢١٠ .

يهم وزارة الصحة فى القرية : اذ يقوم بالتطعيم ، وابلاغ العمدة عن حالة الوفيات ، وكذلك اعطاء الحقن (التى يصفها فى هذه الحالة الاطباء العاديون الذين بدأوا ينتشرون فى الريف) • ولقد بقيت له أساسا عمليات الختان ، وان كانت المستشفيات والعيادات الحديثة قد بدأت تزاحمه فيها •

تلك هى الصورة المنوالية لحلاق الصحة • الا أن هناك كما أشرت مستوى أعلى ، حيث يثبت بعضهم كفاءة خاصة فى عمليات العلاج الطبى بصفة عامة ، أو فى أنواع معينة منها (كالكى ، أو التجبير ، أو الحجامة أو غيرها) • ومن ثم يستطيع أن يحقق شهرة واسعة فى القرية ثم فى الاقليم الذى ينتمى اليه • وهكذا يتقاطر عليه المرضى من كافة القرى المحيطة ، وتصبح « دكانه » أشبه بعيادة الطبيب • وفى هذه الحالة يمكن القول بأن هذا الحلاق لم يعد حلاقا •

ثم هناك الى جانب الحلاق الساحر المحترف الذى نعرفه من دراستنا لموضوع السحر • ولكن هناك بالطبع فروق عديدة بينه وبين الحلاق • فاذا كان الحلاق يتفوق — بل يكاد لا ينافسه أحد (فى الماضى طبعا) — فى العمليات الجراحية والعمليات الطبية المختلفة ، فهذا الساحر يتفوق فى الوصفات البلدية (أو الشعبية) وبالطبع الوصفات العلاجية ذات الوسائل السحرية (التى تعتمد على الكتابة ، والرقى ، والحصن ، وحرق البخور ، وكشف الاعمال ••• الخ) • فلكل منهما مجال تفوق خاص به حسب تأهيله السابق • ولذلك لم نسمع عن ساحر محترف قام بعملية فصد أو حجامة أو فتح دمل بالموس أو أجرى عملية ختان ، كما لم نسمع عن حلاق يعالج بالرقى ويكتشف الاثر ليستخرج « الاعمال » •

ومع ذلك فان بين الاثنين منافسة أو تسابق من نوع معين ، ليس مقصودا من جانبهما ، ولكنه قائم فى عقول وقلوب أبناء الطبقات الشعبية أصحاب الاحتياجات العلاجية • ففى بعض الاحيان يبدأ صاحب العلة ان كان ذا نزعة غيبية وميل أكبر الى التفكير الخرافى بالتوجه الى الساحر ،

حتى اذا ما أعيته معه الحيل ، ولم يوفق فى علاجه ، تجسده تحت ضغط الحاجة المؤلمة أو تحت الحاح أقاربه ومعارفه ، أو بعد اقتناع بفشل هذا الاسلوب ، تجده يلجأ الى الحلاق يلتمس لديه العلاج الناجح . أما اذا كان الشخص أقرب الى الاسلوب الواقعى والعملى فى التفكير ، فانه قد يبدأ بالتوجه الى الحلاق ، وان لم يجد نفعا فقد يتجه — ربما رغما عنه — الى الساحر المحترف يلتمس الشفاء . فهذا التنافس يدور اذن فى عقول الناس وليس بين هذين « الطبيبين » .

أما الفئة الثالثة من القائمين على العلاج الطبى فى المجتمعات التقليدية فهى ليست فى الواقع فئة محترفة بمعنى أنها تحصل على أجر لقاء عملها (مع أن هذا قد يحدث فى بعض الاحوال) ، وانما بمعنى أن لها شهرة خاصة فى هذا الباب ، أو لديها مهارات موروثة فى هذا الميدان ، أو أن لها وضعا اجتماعيا معينا يفرض عليها أن تهب الى نجدة واسعاف المحتاجين . وقد تجتمع أكثر من صفة من تلك الصفات فى شخص واحد ، وقد نجد لها نماذج متفرقة فى المجتمعات المحلية المتخلفة .

فمن نوعيات هذا الفريق الاخير تجد أحيانا شيخ احدى الطرق أو أحد الاولياء (أو واحد من « أهل القرية ») .. الخ ممن يحضر حالة مرضية متأزمة فشلت فى علاجها الوصفات الشعبية التقليدية التى يعرفها كل الناس ، فيتقدم هو بتقديم العلاج ، وربما بممارسته بنفسه ان كان ينطوى على عمليات معينة . وليس من الضرورى أن يكون العلاج من طبيعة سحرية ، بل قد ينطوى على عملية أو خبرة معينة مما يدخل فى بند العلاج الطبى (التقليدى طبعا) .

ومن هذا الفريق كذلك أبناء الطبقات العليا فى بعض المجتمعات الشعبية ، فعليهم يقع عبء العلاج الطبى بسببه وضعهم المتميز ، بحيث تعد ممارسة العلاج جزءا من أعباء الدور الذى يشغلونه . اذ نسمع عند البدو العبابدة والبشارية (فى جنوب الصعيد حول الوادى وفى المنطقة المقابلة من الصحراء الشرقية) أن الاشراف هم الذين يتولون علاج جميع

الحالات المرضية فيما عدا أمراض العيون الشديدة (اذ يتجه البدو فى هذه الحالة الى المدن التماسا لعلاج يحفظ لهم البصر) . ولهم فى ذلك أساليبهم الخاصة وتراثهم المحفوظ فى العلاج . فيعالجون الجروح الكبيرة بوضع اطار من الطين حول الجرح ، ثم يقومون بصب السمن المغلى فوق الجرح . ويعالجون عرق النسا والروماتيزم بالكى بالنار فى أجزاء مختلفة من الجسم ، ولدغة الثعبان عن طريق ازالة الجزء الملدوغ من الجسم فى الحال ، ثم يضعون على الجرح كمية من السمن المغلى . أما علاج الاسنان الفاسدة فيتم عن طريق خلعها . وهنا يربطون السن الفاسد بخيط ثم يخلعونه بالدق عليه بعصا رفيعة .

أما المجموعة الثالثة ضمن هذا الفريق الاخير فتضم الاشخاص الذين ورثوا مهارة معينة فى علاج الامراض أو تقديم الوصفات أو اعدادها . فقد يكون الشخص الذى نقصده هنا تعلم تلك الاسرار على والده أو أحد أقاربه أو شيخه ، وقرر الا يجعلها حرفة يتكسب منها . وانما يكتفى بأن يقدمها للمحتاج صدقة علم أو محبة له ـ حسب الحال . وربما يكون قد انخرط فى مهنة بعيدة كل البعد عن ذلك ، وصرف النظر عن ممارسة العلاج ، وأصبح أقاربه أو خواصه يلجأون اليه فى الملمات التماسا للعلاج الناجح . وربما كان شخصا يتميز ببعض القدرات أو المزايا التى تجعل له سرا خاصا فى العلاج . ويعرف المعتقد الشعبى عديدا من هذه النماذج ، منهم ذلك الشخص « الذى يكون عمه خاله » . وقد يتبادر الى الذهن أنه لا يكون مفيدا وفعالا الا فى الوصفات ذات الطبيعة السحرية فقط . ومع أن هذا هو مجال تفوقه الطبيعى بلا جدال ، الا أن خصائصه تلك تجعل ممارسته للعمليات العلاجية العادية شيئا مضمون العواقب مأمون النتائج . فقيامه بتدليك عضو مريض (بعد أن يغسل يده ... الخ) ، أو حتى اعداد الوصفة بيديه وغير ذلك يضمن الشفاء الاكيد . وقد يحدث فى بعض الحالات أن يتوقف العلاج الناجح على العثور على شخص بهذه المواصفات ؛ وكان أبناء احدى القرى التى درسناها يقطعون مسافات بعيدة الى قرية مجاورة لزيارة هذا الشخص .

والعادة ألا يتقاضى هذا الشخص المبروك أجرا ، وانما هو يسعد بأداء تلك الخدمات ، خاصة اذا كان ميسور الحال • أما اذا كان محتاجا فقد يقبل بعض « الهدايا » ، ولكنه لا يتلقى أجرا •

هناك بعد ذلك بعض الملاحظات العامة المتعلقة بممارس الطب الشعبى فى البيئات المصرية المختلفة • لما كان العلاج فى بعض البيئات مسئولية فئة أو قطاع معين من الناس ، كأن نقول الاشراف أو كبار السن مثلا ، فانه يحدث فى بعض حالات الاصابة بأمراض خطيرة أو حالات مستعصية أن يجتمع مجلس مكون من وجوه الفئة المسئولة عن ذلك لتتداول أسلوب العلاج بعد أن تتفق على تشخيص المرض • وتحت أيدينا شواهد عن ذلك من واحة سيوة •

كما أن هناك بعض ممارسى الطب الشعبى الذين تحدثنا عن أنواعهم ومراتبهم من يتخصص فى علاج معين • فنحن نسمع عن شخص مشهور بقدرته على علاج الاسنان ••• وهكذا • والصورة التقليدية لهذا التخصص لا تأتى عن طريق دراسة متخصصة أو أى نوع من التدريب المتخصص بالمفهوم الذى يتبادر الى أذهاننا ، ولكن مثل هذا العلاج يبدأ فى العادة « طبيبا عاما » — ان جاز التعبير — ثم تتحقق شهرته تدريجيا بسبب تكنيك علاجى معين يختص به ، أو براعة واضحة فى علاج مرض بالذات ، أو ربما كذلك بفعل «العلاقات العامة» الناجحة• وهذه كلها أمور يجب أن تدخل فى الحسبان عندما نريد أن نفهم ظاهرة التخصص بين ممارسى الطب الشعبى • ولو أن هناك حالات تكون فيها وراثة اسم الاب — الذى كان يوما ما شهيرا فى ميدان معين — فتنتقل الى الابن المهارة التى كانت لوالده ، ومعها الشهرة والنجاح • وفى أحيان كثيرة قد لا يميز المريض أو أسرته بين الاب والابن ، فقد ظل اسم أحد المجبراتية الشهيرين فى مصر هو « برسوم » ، فى الوقت الذى تعاقبت فيه عدة أجيال من صلب « برسوم الكبير جدهم الاولانى » • وهذا أمر بديهى

بالنسبة لشهرة تورث للابن ، ومع جمهور لا يدقق فى التفاصيل لتعذر حصوله عليها .

ومن الطبيعى أن نتصور أن مثل هذا الطبيب الشعبى المتخصص قد يلجأ الى الاستعانة ببعض المساعدين . وقد تفرض ذلك طبيعة العمل ، عند اجراء عمليات طبية أو جراحية كبيرة مثلا ، قد تفرضه ضرورة الظهور بمظهر الابهة والرغبة فى التأثير على جمهور المرضى . والثابت من بعض الشواهد الواردة عند كلوت بك أن بعض حلاقى الصحة كان يستخدم مساعدين فى عمليات العيون ، وفى عمليات التجبير ... الخ(٧٧) .

بقيت كلمة أخيرة عن العلاقة بين ممارسى الطب الشعبى والطبيب الاكاديمى الحديث . وهى كلمة سوف تنسحب بالضرورة ؛ مهما حاولنا تحديدها ، لتلمس العلاقة بين الطب الشعبى برمته والطب الحديث . ان الطب الشعبى ــ على خلاف كثير من عناصر المعتقدات الشعبية ــ ليس وهما كله ، وليس ثمرة لنوع من الفكر الخرافى أو الغيبى . ولذلك فمن غير المتوقع أن يختفى اختفاء كلية فى مجتمع يأخذ بأساليب العلم الحديث . حيث أنه فى بعض جوانبه يمثل ذخيرة من الخبرة الشعبية المتوارثة التى صقلتها المحاولة والخطأ .

ونفس هذا البعد هو الذى يحدد شكل المواجهة بين الطب الشعبى والطب الحديث ودرجة حدتها ومبلغ عنفها . فلما كان الطب الشعبى فى أساسه ثمرة الخبرة . ووليد التجربة ، وابن الاقناع والدليل الحى ، فانه من الطبيعى أن يتراجع بسرعة ودون مواربة من أى مواجهة مع الطب الحديث . يكفى أن نفكر فى أسلوب اسعاف الجروح ــ صغيرة أو كبيرة ــ عندما يحاول المريض الاعتماد على الخبرة الطبية الشعبية ، وعندما يلجأ

---

(٧٧) انظر وصفا لاحدى عمليات العيون التى شرحها كلوت بك ، لمحة عامة الى مصر ، الجزء الثانى ، ص ٥٥٧ .

منذ البداية الى الطبيب • لا شك أن سرعه العلاج وقلة الآلام الواضحه سوف لا تجعل هذا الشخص — وكل من ينتمى الى دائرته الثقافية — يفكر أدنى تفكير عندما يواجه نفس الموقف مرة أخرى فى اللجوء الى الطبيب الشعبى •

وقد شهدنا بأنفسنا مواقف عديدة من هذا النوع على أدنى المستويات الاجتماعية والثقافية فى قرى مصرية (تمتد من شمال مصر الى جنوبها : فى الشرقية ، والدقهلية ، والقاهرة ، والمنيا ، وسوهاج ، وأسوان) • فأفقر سيدات القرية — وهى متقدمة فى السن — لم تعد تؤمن بالشيخ (الساحر المحترف) فى علاج أى مرض ، وتذكر له فلانا وفلانا من الاطفال الذين فقدوا حياتهم على يديه بعد اصابتهم « بشعرية اسهال » (تعنى النزلات المعوية الحادة التى تؤدى بحياة الوليد) • كما تذكر كفاءة طبيب المستشفى فى علاج فلان وفلان من الاطفال الذين كتب لهم الشفاء على يديه بعد أيام قليلة عند اصابتهم بنفس المرض •

أما اذا نظرنا الى تجربة الدول الاكثر تقدما ، والتى واجهت قبلنا معركة البقاء بين الطب الشعبى والطب الحديث ، لوجدنا تأكيدا ساطعا لما نقول • فقد ظل الطب الشعبى ينسحب بانتظام أمام زحف المستشفيات • ومن الطبيعى أن تتفاوت ميادين الطب الشعبى فى سرعة الانهزام أمام الطب الحديث ، فقد أشرت الى ميادين طب العيون ، والجراحة ، وأمراض الاطفال ، وغيرها من الميادين التى يأتى فيها الطبيب بنتائج ان لم نقل انها تظهر بعد يوم أو يومين من العلاج ، فانها تثمر بالقطع نجاحها بعد أيام قليلة • على حين أن نجاحها ليس أمرا مقطوعا به فى حالات اللجوء الى الطبيب الشعبى ، وناهيك عن طول المدة ، وانخفاض مستوى الكفاءة على أى حال • الا أن هناك بعض الميادين من الطب الشعبى التى تثبت عنادا أكبر فى معركتها مع الطب الحديث • نذكر منها على سبيل المثال : أمراض النفس والاعصاب ، وأمراض الاسنان ، وحالات العقم ••• الخ • فمثل هذه الحالات المرضية — كالنوع

الاول — يتوقف أحيانا على ضرورة تعديل البيئة الاسرية والاجتماعية للمريض . التي تكون مسئولة عن وجود المرض أو استمراره • وهو أمر ليس دائما ممكن التحقيق ، كما أنه بالقطع ليس فى نطاق امكان الطبيب ، الذي يقتصر دوره على وصف العلاج ، ولايتعداه الى مراقبة التنفيــذ أو فرضه على مريضه أو على أسرته • كما أن بعض هذه الامراض قد لا تكون للطب فيه حيلة — كالعقم أو حالات شلل الاطفال المتأخرة — مما يدفع المريض أو أهله الى التمــاس العــلاج فى أى مكان ومن أى مصدر(٧٨) •

ولكن هل ستظل هذه المواجهة محتدمة الى ما لا نهاية ، وهــل من المعقول والممكن أن يستمر الطب الشعبى موجودا وفعالا فى مجتمع التقدم ؟ لاشك أن تصفية هذا الجانب من التراث الاعتقادى مرتهن بسيطرة الاسلوب العلمى فى الفكر والحياة سيطرة كاملة مع حياة المواطنين بشتى قطاعاتهم • وهو أمر يتعذر أن يتحقق تحققا كاملا ، فمازلنا نجد بعض هذه الحالات فى بلاد سبقتنا الى التقدم بأشواط بعيدة • ولكن الممارس فى هذه الحالة لا يستطيع أن يدعى لنفسه أى مكانة علمية أو سطوة من اقناع ، وانما يهوى الى مستوى المشعوذ • هذا هو حاله ، وهذا هو رأى المجتمع فيه •

ثم هناك نقطة أخيرة ستعاون ولاشك على تحقيق انتصار الطب الحديث انتصارا سريعا مؤكدا ، وأعنى سرعة وصول الخدمة الطبية الحقيقية الى أصحابها من أبناء القطاعات الشعبية بنفقات زهيدة ومهما بعدت بهم المسافة من مراكز العمران • فالدليل الساطع الذى يقــدمه الطبيب بعمله هو خير محام عن قضية العلم فى مجتمع البلاد النــامية • ولنتعلم من هذا المثال ألا نظلم أبناء الطبقات الشعبية بقصور الفكر والعجز عن استيعاب التقدم ، أو الاستسلام لتراث متخلف •

---

(٧٨) ونحن نسمع لهذا عن بعض المتعلمات اللائى يلجأن الى السحرة التماسا لعلاج العقم الذى يعانين منه ، وبعض المتعلمين الذى يترددون على « الشيخ » التماسا لعلاج ابنهم من شلل الاطفال الذى تمكن منه . وجميع هذه الحالات مسجلة من مدينة القاهرة فى اوائل السبعينات .

الفصل السادس

دليل مختصر للدراسة الميدانية للطب الشعبى

مقـــدمة :ـــ

يلاحظ بالنسبة لموضوع الطب الشعبى أنه من الممكن للباحث الميدانى السؤال عن الموضوع من زاويتين : الاولى هى السؤال عن الامراض التى يفيد فيها استخدام نبات أو عقار معين ، كأن نسأل : ما هى الأمراض التى تستخدم فى علاجها المواد الآتية :

١ ــ الخس .
٢ ــ اللبان .
٣ ــ الحلبة السوداء ... الخ .

الزاوية الثانية لتناول نفس الموضوع هى : السؤال عن الوصفات مرتبة حسب الامراض التى تستخدم فى علاجها ، كأن نسأل : ما هى الوصفات التى تعالج الأمراض التالية :

١ ــ الحصبة .
٢ ــ الحمى .
٣ ــ التهاب العين ... الخ .

وقد حاولنا ــ فى معالجتنا لموضوع الطب الشعبى فى هذا الدليل المختصر ــ أن نغطى كافة الزاويتين ، فقسمنا الموضـــوع الى ستة موضوعات فرعية كالتالى :ـ

١ ـ الامراض والحالات .

٢ ـ العقاقير والمواد .

٣ ـ الوصفات الدينية والسحرية (كالادعية مثلا) .

٤ ـ القائمون بالعلاج

٥ ـ الوقاية .

٦ ـ أدبيات الطب الشعبى .

ويتضح من هذا اننا عطينا الزاويه الاولى فى القسم الثانى والزاوية الثانية فى القسم الاول ، علاوة على مواد علاجية من نوع خاص هى الوصفات الدينية والسحرية جاءت فى القسم الثالث . أما القسم الرابع فيركز على القائمين بالممارسة ، وخاصة المحترفين منهم . وهو ما نلمسه فى موضوعات أخرى كالسحر مثلا . أما الوقاية ـ موضوع القسم الخامس ـ فهى الوجه الآخر لموضوع الطب ، فالطب وقاية من ناحية ، وعلاج من ناحية أخرى . أما القسم السادس فيغطى العلاقة بين ميدانين رئيسيين من ميادين التراث الشعبى هما الطب الشعبى ، والادب الشعبى. والواقع أن هذه المحاولة قدمناها كنمـوذج ومثال أكثـر منها محاولة للاستقصاء الفعلى الذى يتجاوز بالفعل حدود إمكانياتنا . فتغطية الموضوع تغطية كاملة يتطلب أولا توافر تجميعات هائلة فى مختلف أنواع الادب الشعبى وهو ما لم يتيسر لنا بعد ، وما نأمل أن تحفز اليه بصورة حديثة محاولة كتلك ، الى جانب الجزء الذى ننوي اصداره من دليل العمل الميدانى لجامعى التراث الشعبى عن « الادب الشعبى » .

ولعل ميدان الطب الشعبى هو أكثر الميادين التى تربطها صلات وثيقة بميادين أخرى من التراث الشعبى ، ليس الادب الشعبى وحده ، وانما النباتات والحيوانات ... وغير ذلك من مختلف أبواب المعتقدات الشعبية.

فعلى القارىء أن يرجع بالضرورة الى قسم النباتات فى الدليل المطبوع الموسع ، حيث يوجد مزيد من التفاصيل عن الاستخدامات الطبية

والعلاجية لانواع كثيرة من النباتات والتى رأينا أنه من الافضل معالجتها فى قسم النباتات نظرا لان التركيز فى المعالجة على استخدام النبات كنبات ، بينما يأتى استخدامه الطبى فى المحل الثانى ، أو يرتبط به بصفة عريضة فقط •

كذلك الحال بالنسبة للمعتقدات الدائرة حول الحيوانات ، فعلى الباحث أن يرجع الى قسم الحيوانات ، حيث يجد مزيدا من التفاصيل عن الاستخدامات الطبية والعلاجية لانواع عديدة من الحيوانات أو أجزاء من الحيوانات ، وكذلك عن الخصائص السحرية لعديد من أنواع الحيوانات •

ومن الموضوعات الاخرى المشتركة بين ميدان الطب الشعبى ، وميادين أخرى موضوع المشاهرة ، فقد تناولناه بشكل عرضى فى ميدان الطب الشعبى ، ولكن لابد للقارىء أن يرجع — اذا أراد الدراسة الشاملة الكاملة لهذا الموضوع — الى الفقرة الخاصة بالمشاهرة فى باب السحر •

ونؤكد أن هذا التداخل والتفاعل المتبادل بين مختلف أبواب المعتقدات من ناحية ، وبينها وبين الميادين الاخرى من ناحية أخرى انما هو خاصية مميزة للثقافة الشعبية ، بل والثقافة الانسانية على الاطلاق •

١ ـ أمراض وحالات

علاج الجروح ــ علاج القروح المزمنة ــ علاج حرق النار ــ علاج الامراض التالية : الجرب ــ القوباء ــ البرص ــ الثعلبة ــ القراع ــ البهاق ــ الكلف (النمش) ــ الجذام ــ الحرارة ــ السنطة ــ الكبسور ــ النزيف ــ وجع الرأس ــ الزحير ــ علاج المبطون (الاستسقاء) ــ الفواق (الزغطة) ــ وجع الاسنان ــ خلع الاسنان ــ عضة الكلب ــ التسمم ــ لسعة النحل ــ لدغة الثعبان ــ لدغ العقرب ــ آلام الاذن ــ الصمم ــ النزلة ــ الرياح (الغازات) ــ القلاع ــ ديدان البطن ــ الطحال ــ انتفاخ البطن ــ المغص ــ الحمى ــ صفار الوجه ــ صفار البدن ــ صفار الاظافر ــ الناسور ــ البواسير ــ الثقل ــ الصداع ــ برودة المعدة ــ برودة الدماغ ــ الرعشة ــ عرق النسا ــ نزلة البرد ــ ملح الركب ــ النقرس ــ داء الفيل ــ الروماتيزم ــ وجع الظهر ــ الارق ــ أمراض العيون ــ حول الاطفال ــ شعر العين ــ الخناق ــ تأخر نمو الطفل ــ تأخر الطفل فى الكلام ــ السعال الديكى ــ الحصبة ــ العيوب الكلامية عند الاطفال ــ تأخر الطفل فى المشى ــ تأخر طلوع أسنان الطفل ــ كثرة بكاء الطفل ــ عقم المرأة ــ تأخر الحيض ــ عسر النفاس ــ موانع الحمل ــ اعادة البكارة ــ كثرة السقط ــ المشاهرة ــ معاملة الحامل ــ ادرار لبن الام ــ عدم التحكم فى التبول (للاطفال والكبار) ــ احتباس البول ــ ادرار البول ــ حصا المثانة ــ ذات الجنب ــ السل ــ الربو (ضيق النفس) ــ أمراض الصدر ــ الخفقان ــ الصرع ــ الكابوس ــ داء النسيان ــ ادمان المخدرات (الحشيش والافيون) ــ نزيف الجروح ــ الهذال ــ الوقاية من التسمم أو من الامراض عموما ٠

٢ ـ عقاقير ومواد

الباذنجان ـ معجون القرع وعصارته ـ معجون الثوم ـ أدوية أو وصفات السعال ـ أدوية المسهلات ـ « دهن البابونج » ـ « دهن الالية » ـ دهن البنفسج ـ الجاز (الكيروسين) ـ الملح ـ البلسان ـ اللبن (الحليب والرائب) ، (الحامض) ـ عسـل النحـل ـ البيض (البياض والصفار) ـ الخل ـ الزيت المرقى ـ الكحل (مواد صناعته ـ استخداماته) الطوب النيء المحمى ـ الحجارة ـ التراب ـ الزار ـ رماد النار « البقايا المحترقة » ـ ماء زمزم ـ ماء الندى ـ ماء المطر ـ الورد وماؤه ـ ورق شجر الجميز ـ عصارة جذع الجميز ـ البندقى (عملة ذهبية قديمة) ـ الافيون ـ السمن « أو الدهن » المغلى ـ النار ـ الكي ـ الوشم وفوائده العلاجية .

٣ ـ وصفات دينية وسحرية

علاج الصداع ـ المقرون (الذى أصابته القرينة) والمقرونة ـ رقى وأدعية لمن لدغته حية أو عقرب ـ الشموع ـ عسر البول ـ أوانى تستخدم لمداواة الامراض مثل الصداع ـ طاسة الخضة ـ فزع الاطفال والكبار من النوم ـ النشرة ـ الحمى ـ الخواتم المعدنية (نحاس أصفر ـ حديد) ـ اصابة العين ـ الولادة العسرة ـ عقم المرأة ـ أدعية أو تعاويذ لعلاج كل الامراض ـ الصرع والمصروع ـ وصف حفل زار ـ (من حيث : مواعيده ـ أغانيه ـ دقاته ـ التزين له ـ الكودية ـ الملبوس ـ محاولات ممارسته أن يكسبوه صفات أخرى غير الزار ـ اسم أسياد الزار فى المنطقة ـ حكايات عن الملبوسين من الرجال والنساء) ـ كشاح الاطفال ـ وجع الظهر ـ التبخير بجلد القنفذ وبشعر الضبع ـ دم المقتول أو جثة الميت أو ماء الغسل ـ عبور النيل ـ زيارة القبـور ـ الآيات القرآنية ـ المسبحة ـ ما يجلبه الحجاج معهم (مثل ماء زمزم ـ

الخواتم — المسابح) دخن أشياء أو المرور حولهـا كالاضرحة — دبح الاضاحى — الامراض التى تعزى الى الارواح الشريرة أو الموتى أو الجار المفقود ، الماء الذى « تحلب فيه النجوم » — العلاج الذى يفضل أن يقوم به العم أو الخال — العرق — آثار الاولياء وأشياؤهم الشخصية — اللعاب — الاماكن المعينة التى تزار للاستشفاء — أسماء الخلفاء الراشدين وأهل البيت النبوى — آيات الشفاء — سورة يس — آية الكرسى — أسماء الرسول والانبياء — أسماء الله الحسنى ٠

٤ — القائمون بالعلاج

الحلاق أعماله الصحية الرسمية مثل التطعيم — مجلس المجائز الطبى لبحث أمر المريض — بعض الاشخاص الآخرين (محترفين أو غير محترفين) يزاولون التطبيب والعلاج — التخصص بين المشتغلين بالعلاج — المجبراتى — انزال الدود من جوف الاطفال — طرق التشخيص ووسائل العلاج فى الماضى والحاضر — الاجهزة والادوات المستخدمة ٠ التربنة (احدى العمليات الجراحية فى الماضى) — تالى الادعية أو الرقى ٠

٥ — الوقاية والمعارف الشعبية عن الامراض

لدغ العقرب — الصحة الجيدة : علاماتها ، وشروطها — حالات لا يعطى فيها دواء للمسهلات — أطعمة وأشربة مقوية للمعدة — وصفات اضعاف الشهية للطعام — أطعمة يجب الاقلال منها — فواتح الشهية — الادعية قبل الاكل وبعده — أطعمه تصيب بداء النسيان — شرب الماء على الريق — حفظ الصحة ومنع الامراض — المشى أو الراحة بعد تناول الطعام — أمراض لا يفصح عنها المريض — المعلومات عن العدوى وطرق تجنبها — تحفظات نحو المريض بالمنزل — حلاقة معينة لشعر الرأس لعلاج الصداع أو تجنبه — السمنة المطلوبة — ورق التوت — تساقط الشعر

وتقويته ـ كراهية أكل أصناف معينة يومى السبت أو الاربعاء ـ الامراض الوروثة ـ تأثير الصحة أو المرض بالاجرام السماوية وحركاتها أو الربط او القوى المشابهة ـ أقوال تردد عند العطس ـ أكل التين ـ أمراض الهية لا دواء لها ـ الوقاية من الشيب المبكر •

٦ ـ أدبيات الطب الشعبى

قصص وحكايات ونوادر حول تغير حالات الصحة والمرض ـ أسباب حدوث المرض ـ بعض أحداث العلاج أو تشخيص المرض ـ الامثال والاقوال التقليدية حول الصحة والمرض ـ قيمة الكى العلاجية ـ أسماء الكتب الطبية الشعبية عند المهتمين بالتطبيب أو محترفيه •

الباب السادس

دراسة المعتقدات المتعلقة بالعناصر الطبيعية والانســـان ، ودراسة الزار

الفصل الاول : النبات فى المعتقد الشعبى

الفصل الثانى : المعتقدات والمعارف الشعبية حول الانسان والجسم الانسانى

الفصل الثالث : الزار

الفصل الأول

النبات فى المعتقد الشعبى

مقـــدمة :

من الملاحظ أن النبات يمثل محورا هاما من المحاور التى تدور حوله العديد من المعتقدات الشعبية ، ليس فى تراثنا العربى فحسب ، وانما فى التراث الشعبى لكل الشعوب • ولعل أول ما يتبادر الى الذهن من معتقدات حول النباتات تلك المتصلة بخواصها العلاجية والطبية • فالنبات هو الاداة الرئيسية لدى المطيب الشعبى الى جانب الادوات الاخرى التى ورد الكلام عنها فى سياق سابق (أنظر الباب الخاص بالطب الشعبى) • والشائع فى مثل هذه الاحوال أن يورد المعتقد الشعبى ــ سواء شفويا أو مدونا ــ الخصائص العامة للنبات ، وأسماؤه الشائعة ، وربما مواطن تكاثره ••• الخ ، ثم يورد الامراض التى ينفع فى علاجها ، والملاحظات التى يجب مراعاتها فى كل حالة • حيث أن هناك أغراضا يجب أن يستخدم فيها النبات كما هو أكلا ، أو بعد سحقه ، أو بعد غليه ، أو خلطه بمواد أخرى ••• الخ •

والملاحظ هنا أن المعتقد الشعبى لا يعرف حدودا معينة ــ يفرضها الدين مثلا ــ فى استخدام النبات سوى تلك المحاذير العامة عن تحـــريم المسكر أو المخدر منها • أما فيما عدا هذا فمجال الاجتهاد الطبى الشعبى مفتوح لاستخدام أىّ نبات فى أى غرض ينفع له • وفى هذا يقول الغزالى فى « الاحياء » ــ « ••• وأما النبات فلا يحرم منه الا ما يزيل العقل أو يزيل الحياة أو الصحة • فمزيل العقل البنج والخمر وسائر المسكرات ومزيل الحياة السموم ، ومزيل الصحة الادوية فى غير وقتها • وكان مجموع هذا يرجع الى الضرر الا الخمر والمسكرات فان الذى لا يسكر منها

أيضا حرام مع قلته لعينه وصفته ••• وأما السم فاذا خرج عن كونه مضرا لقلته أو لعجنه بغيره فلا يحرم »(١) •

أما عن الاستخدامات الطبية والعلاجية للنباتات المختلفة والتكنيك الشعبى المستخدم فى هذا الغرض فيمكن الرجوع بشأنه الى الباب الخاص بالطب الشعبى ، حيث ورد الكلام تفصيلا عن هذه الامور فى سياقها الاوســع •

ولكننا سنتقدم فى الفقرات من ١ ـ ٣ من هذا الفصل استعراضا سريعا لبعض القضايا العامة المتصلة بالنبات فى المعتقد الشعبى ، كتفسير المعتقد لاصل النبات ، وتوليده ••• الخ • ثم نقدم فى الفقرات من ٤ ـ ١٢ عرضا سريعا لبعض خصائص عدد من النباتات فى الثقافات المختلفة . من حيث صفاتها العلاجية أو السحرية ، أو غير ذلك •

١ ـ عن أصل النبات :

وفيما عدا هذا تحفل كتب التراث وكذلك مصادر المعتقدات المدونة بكثير من القصص والآراء التى تشرح أصل النبات ، أو مناسبات ظهورها على الارض • ولعل أبرز وأهم تلك المناسبات أن آدم أبى البشر قد اصطحبها معه عند نزوله الى الارض • أى أنها ـ حسب هذا المعتقد ـ لم تخلق خلقا مستقلا مثل سائر العناصر الطبيعية على الارض • ونقرأ عند النويرى فى « نهاية الارب » : « ••• ان آدم عليه السلام لما أهبطه الله تعالى الى الارض خرج من الجنة ومعه ثلاثون قضيبا مودعة أصناف الثمر ••• منها عشرة لها قشر ، وعشر لثمرها نوى ، وعشرة ليس لها قشر ولا نوى ••• »(٢) •

---

(١) انظر الغزالى ، احياء علوم الدين ، مرجع سابق ، الجزء الخامس ، ص ٢٧ •

(٢) شهاب الدين النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ، مرجع سابق ، الجزء ١١ ، ص ٤ •

وهناك تصور آخر لاصل النبات ، حيث نسمع أن بعض البذور تسقط الى الارض من السماء مع مياه الامطار . والملفت فى هذا المعتقد أن مصدر النباتات الوافدة الى العالم يظل متجددا حيث الامطار لن تكف عن السقوط مادامت على الارض حياة . ويصور لنا النص التالى جانبا من هذا المعتقد : « ... وقال أبو عبيد البكرى فى كتابه المترجم بالمسالك والممالك ان اسحاق بن العباس بن محمد الهاشمى حكى عن أبيه أنه تصيد (أى خرج للصيد) يوما بناحية صنعاء ، فأصابته السماء (أى أخذت تمطر) فمال الى أحدية أعرابى . فمكث عندهم يوما وليلة والغيث منسجم لا ينحسم . فلما أصبح قال : لقد أنزل الله الليلة خيرا كثيرا . فقام رب البيت الى كساء كان قد نصبه بين أربع أخشاب يصيبه المطر ، فلمسه بيده ، فقال : ما أنزل الله الليلة خيرا . ثم ليلة أخرى كذلك ، وليلة أخرى. فلما كان اليوم الثالث قال نعم قد أنزل الله خيرا فى هذه الليلة . فسأل العباس بن محمد عن ذلك . فأتاه بكشف من البذور تناولها من جوف ذلك الكساء ، وقال : ان حب البقل والعشب والكلأ انما ينزل من السماء . وهذا ما ورد فى أصل النبات »(٣) .

٢ ــ توليد النباتات :

ويعرف المعتقد الشعبى علاوة على هذا طائفة أخرى من المعتقدات الدائرة حول توليد (تخليق) النباتات . فالانسان يحصل على النبات بطرق الجمع أو الاستزراع العادية ، وانما هناك بعض الوسائل الصناعية التى يمكن عن طريقها توليد النباتات اما من نباتات أخرى (أقل قيمة بالطبع) أو أجزاء من حيوانات ... الخ . وتذكرنا هذه العملية بالموضوع الذائع فى علوم الكيمياء القديمة وهو تحويل المعادن الخسيسة الى معادن نفيسة . ويمكن أن نتبين بعض هذه الاساليب من استعراض بعض النماذج

---

(٣) انظر شهاب الدين النويرى ، نهاية الارب ، مرجع سابق ، الجزء ١١ ، ص ٥ .

التى ننقلها عن النويرى ، وان كانت متوافرة فى كتب التراث والكتب الشعبية الأخرى .

هناك فى البداية بعض الوصفات التى تدخل فيها نباتات أخرى وأجزاء من الحيوان علاوة على بعض عمليات المعالجة الفنية من طبخ ، وخلط ، وطمر وغير ذلك . من هذا عملية توليد السلق : « ... وأما ما قيل فى السلق فقال أبو بكر بن وحشية فى توليده : وان أردتم السلق فخذوا من ورق الخس وورق الخطمى فدقوهما حتى يختلطا . وليكونا رطبين . ثم خذوا عروقا من عروق التيس فألبسوها ذلك المخلوط ، ثم اطمروها فى الارض ، فانه يخرج من ذلك السلق »(٤) .

ونطالع وصفة أكثر تعقيدا من هذه تقول : « وان أردتم الفودنجا البستانية أى النعناع ، فخذوا رجلى دجاجة وادهنوهما بعكر الزيت ، وادفنوهما فى التراب ثلاثة أيام ، ثم اغرسوهما فى الارض واجعلوا الاصابع الى فوق ، ثم اجعلوا فوقها عود سذاب عرضا ، ثم نقطوا عليه زيتا فى اليوم الرابع مقدار ما تعلمون أن شيئا من الزيت قد وصل اليه ، فانه يخرج بعد أحد وعشرين يوما صنفا زكى الرائحة »(٥) .

ولكن اللافت للنظر حقيقة وجود بعض الوصفات التى تستخدم أجزاء من جسم الخنزير (وذلك فى وصفه لتوليد الجزر)(٦) ، وأخرى تستخدم فضلات الجسم الانسانى بطريقة تختلف عما هو متوقع استخدامه كسماد(٧) . ولا يتسع المجال لاستعراض المزيد من الشواهد ، ويمكن للقارىء أن يجد العديد منها فى كتب التراث المختلفة .

---

(٤) النويرى ، نهاية الادب ، مرجع سابق ، ج ١١ ، ص ٤٥ .
(٥) النويرى ، نفس المرجع ، ج ١١ ، ص ٧٠ .
(٦) المرجع السابق ، ج ١١ ، ص ٥٥ .
(٧) المرجع السابق ، ج ١١ ، ص ٥٢ . حيث تنقع قرون الماعز فى البول سبعة أيام ، ثم تغرس فى الارض ، ويضاف اليها نوع من الصمغ ، وتسقى من ماء المطر .

٢ ـ الخواص السحرية للنبات :

أما الموضوع الذى يشكل جانبا كبيرا من المعتقدات الشـــعبية حول النباتات فيتصل بالخواص غير العلاجية لبعض النباتات ، والتى يمكن وصفها بأنها خصائص سحرية أى خارقة ، وليست نابعة من خصائصها الواقعية المادية أو مرتبطة بها : كالنبات الذى يضىء ليلا . وذلك الذى يتحول الى ذهب . وغيره وغيره .

من هذا ما يحكيه النويرى عن نبات الاقحوان : « ... ويسمى بمصر الكره كاش . وأهل مصر يعتنون بأمره فى وقت نزول الشمس برج الحمل . ويحتفلون به . فيخرج كثير من عوامهم وبعض الجند وغيرهم الى البر ويقطعونه فى الساعة التى تحل الشمس فيها الحمل بمناجل من الذهب يصوغونها برسمه ، أو بدنانير . ومنهم من يتكلم بكلام شبه الرقية لا ينطق بغيره مادام يحصده . ويجمعون ما يقطعونه من ذلك بالذهب ، ويدخرونه فى صناديقهم . ويزعمون أن من قطعه على وضعه (أى على الطريقة المقررة أو الموضوعة) ملك فى تلك السنة بعدد ما يقطعه من دنانير ان قطعه بالذهب ، ودراهم ان قطعه بالفضة »(٨) .

ثم هناك نوع من الاشجار شديد الخطورة تروج عنه بعض المعتقدات عن خطورته . واذا كان المثـــال التالى ينقله النويرى عن بعض « بلاد الافرنجة » ، الا أن نفس الفكرة يمكن أن تتردد عن شجرات أخرى فى مناطق أخرى ، بحيث أننا نسمع تنويعات على هذه الفكرة فى بعض مناطق عالمنا العربى . يقول النويرى « فى بلاد الافرنجة شجرة اذا قعد انسان تحتها نصف ساعة من النهار مات ، وان مسها انسان أو قطع منها غصن أو ورقة أو هزها مات »(٩) . ونحن نعرف معلومات كثيرة عن الاشجار

---

(٨) النويرى . نهاية الارب . مرجع سابق . ج ١١ . ص ص ٢٨٦ — ٢٨٧ .

(٩) النويرى ، المرجع السابق ، الجزء ١١ ، ص ٧ .

التى يسكنها بعض الجان الذين يلحقون آثاراً ضارة — أو قاتلة أحياناً — بمن يقتربون من الشجرة ، خاصة اذا لم يكونوا مسلحين أو « محصنين » بالادعية أو الممارسات المناسبة لحمايتهم من أثر ذلك الجنى • (انظر الباب الخاص بالجن) •

وهناك طائفة أخرى من الخصائص الغريبة التى تنسب الى بعض الاشجار • وهى أقرب الى باب الطرائف أو الغرائب منها الى النفع أو الاضرار • فهناك شجرة (فى بلاد التاكيان بالسند) تضىء بالليل كالسراج بحيث أن الناس اذا سلكوا بقربها بالليل استغنوا بضوئها عن مصباح • ويسمونها شجرة القمر • (نهاية الارب ، جـ ١١ ، ص ٩) • وشجرة أخرى ورقها كورق الغار ، اذا عمل منها اكليل ولبسه الرجل على رأسه ومشى أو عدا أو عمل عملا لم ينم مادام ذلك الاكليل على رأسه ، ولاينالّه من ضرر السهر وضعف القوة ما ينال من سهر وعمل » • (النويرى ، جـ ١١ ، ص ٧) •

وهناك فيما عدا هذه الامثلة طائفة من الاشجار أو النباتات التى لا تقتصر فائدتها على الجوانب الطبية والعلاجية فقط ، ولكنها تجمع الى جانب ذلك بعض الخصائص الاخرى التى تقترب من الخصائص السحرية ، كأن « يوضع حب شجرة معينة على عضو المرأة فلا تحمل » وهكذا• ويكتب الدميرى فى حياة الحيوان عن « شجرة الاترج » من هذا النوع المتعدد الخصائص الذى نتحدث عنه ، فيقول : « ••• ان شجرة الاترج عصارة قشرها تنفع من لسع الافاعى شربا وضمادا • وقشره جيد للبرص والقوباء طلاء • قيل أيضا ان جعل قشر الاترج فى الثياب يدفع عنها السوس ، وحماضه يجلو العين ويذهب الكلف • وحبه يوضع على لسع العقرب بعد صحنه يسكن وجعه • ويشد فى صرة على عضد المرأة فانهـا لا تحبل ••• »(١٠) •

(١٠) الدميرى ، حياة الحيوان الكبرى ، مرجع سابق ، الجزء الثانى ، ص ٥ . اما بالنسبة لتقديس الاشجار ، فليرجع القارىء الى الباب الخاص بالاولياء فى هذا الكتاب .

ويقول الدميرى أيضا نقلا عن بليناس فى كتابه الخواص ان دهن (شجرة) المزوع اذا مسحت به رأس الديك لا يصيح البته • (الدميرى ، جـ ٢ ، ص ١٢) • وينقل عن ابن سينا عن شجر الرمان بعض خصائصه الطبية ، ثم ينقل عن على بن أبى طالب « أنه ما من حبة منه (الرمان) تقوم فى جوف رجل الا أنارت قلبه وأخرست شيطان الوسوسة أربعين يوما » • (حياة الحيوان ، جـ ٢ ، ص ١٦) •

٤ ــ شجرة الميلاد :

ومن الاشجار التى تتمتع بمكانة خاصة فى المعتقد الشعبى عند كثير من الشعوب تلك التى تعرف باسم « شجــرة الميــلاد » birth tree وهى عبارة عن شجرة تزرع عند مولد طفل معين ، ويعتقد أن حالتها وبقاءها وازدهارها يرتبط ارتباطا خفيا ببقاء الطفل وازدهاره وتفتحه طوال حياته • فاذا ما ازدهرت الشجرة ، فان الطفل سيصبح قويا ميسور الحال • أما اذا تدهور حال الشجرة ، فقطعت أو أتلفت ، فان معنى ذلك أن هذا الشخص سيمرض ، أو يموت ، وقد يصاب فقط بأضرار معينة •

ومن اللافت للنظر أن زرع « شجرة الميلاد » هذه مازال منتشرا على نطاق واسع لدى الفئات الفلاحية فى أوربا ، خاصة فلاحى ألمانيا • والشائع فى بعض مناطق سويسرا أن تزرع لدى مولد الطفل الذكر شجرة تفاح ، على حين تزرع شجرة خوخ لدى مولد البنت •

ولكن الامر لا يقتصر على هذا ، وانما يمكن أن يحدث فى بعض الاحوال أن تعتبر احدى الاشجار القائمة بالفعل ــ من قبل مولد الطفل ــ شجرة ميلاد لاحد الاطفال ، وتخلق تلك الصلة بينه وبينها خلقا • ويتم خلق تلك الصلة عن طريق دفن خلاص الطفل وحبله السرى تحتها ، أو وضع الخلاص والحبل السرى فى شق يتم حفره فى جذع الشجرة نفسه •

والمعروف فيما عدا هذا أن المعتقد والممارسات المتعلقة بشجرة الميلاد

معروفة — وحية — لدى كثير من شعوب جزر المحيط الهادى والاقيانوسية[11] ، وفى بعض أجزاء القارة الافريقية ، وبعض قبائل الهنود الحمر الامريكيين •

والى جانب الاعتقاد فيها وممارستها فى الواقع الحى فانها ترد كموتيفة فى الحكايات الشعبية فى انجلترا ، وفرنسا ، وألمانيا ، وايطاليا ، وروسيا • ومن الواضح أن الصلة الوثيقة بين شجرة الميلاد وحياة الشخص المرتبط بها تترسخ فى أعماق الشعب الى حد أنه يطلق عليها أحيانا شجرة الحياة Life tree وليس شجرة الميلاد •

٥ — شجرة السرو :

شجرة السرو من الاشجار الدائمة الخضرة المنتشرة فى جنوب أوربا ، وغرب آسيا ، وجنوب الولايات المتحدة • وهى عند كل تلك الشعوب رمز للجيل ، وللموت ، وللروح الخالدة ، والكوارث • وقد سميت جزيرة قبرص على اسم هذه الشجرة العتيدة ، وكان سكانها القدامى يعبدونها كتجسيد للالهة بيروث Beroth • أما الاغريق والرومان فكانوا ينسبونها الى اله العالم السفلى •

كذلك كانت شجرة السرو مقدسة فى الزند أفستا اعتقادا بن كلمة أهورا مازدا قد حفرت أول ما حفرت على شجرة سرو • أما عند البارسيين فيعتقد أن زاردشت قد زرع شجرة سرو • ولذلك نجدها مزروعة عند بوابات المعابد بالزاردشتية • كما جاء فى أوفيد أن أبوللو كان يقدسها • كذلك كان الصينيون يعبدونها لان جذورها تنمو على هيئة انسان جالس •

وكان الاثينيون القدماء يصنعون توابيت الابطال من خشب السرو • كما كان قدماء المصريين يصنعون توابيت الموميات من هذا الخشب نفسه •

---

(١١) انظر مادة شجرة الميلاد فى قاموس فونك للفولكلور • مرجع سابق ، ص ١٤٥ •

كذلك كان القدماء يصنعون من خشب السرو عديدا من الاشياء ، نذكر منها سهام كيوبيد ، وصولجان جوبيتر ، وعصا هرقل ، وأعمدة معبد سليمان ، وصليب المسيح .

وكان يعتقد أنه اذا واظب الشخص على أكل بذور تلك الشجرة فترة من الزمن فانه سيكتسب قوة بدنية هائلة ، كما سيتمتع بالصحة والشباب وقوة الابصار . أما ثمارها فيعتقد أنها تفيد فى علاج الدوسنتاريا ، ونزيف اللثة ، كما تثبت الاسنان المخلخة .

أما عن أصل هذه الشجرة فهناك العديد من الاساطير التى تحكى نشأتها أو تروى عن مصدرها . فيعتقد أن بذرتها كانت أحد بذور ثلاثة أعطاها أحد الملائكة لشيت Seth ليزرعها تحت لسان آدم بعد دفنه . أما الزرادشتيون فيعتقدون أن زرادشت قد أحضر برعم هذه الشجرة معه من الجنة . وهناك شعوب أخرى يحكى تراثها الشعبى أن شجرة السرو هى عبارة عن انسان حولته الآلهة الى هذه الصورة جزاء له أو عقابا على جرم ارتكبه .

٦ — الفاكهة المحرمة أو الشجرة المحرمة :

هذا المفهوم مستمد أساسا من قصة خطيئة آدم الاولى حيث أكل من الشجرة المحرمة التي نها الله عن الاكل منها . وقد وردت معلومات عن هذه القصة فى الكتب المقدسة ، خاصة العهد القديم والقرآن الكريم . وانتقلت القصة من المشرق الى الغرب ، وأصبحت جزءا من تراث المعتقد الشعبى عند كافة الشعوب التى تدين بدين سماوى . ولكننا نجدها مع ذلك — ولكن بتنويعات مختلفة بعض الشيء — فى تراث كثير من الشعوب ذات التراث البعيد عن تلك الاديان السماوية ، كبعض الشعوب الافريقية قبل اطلاعها على الاسلام أو اتصالها بشعوب الغرب المسيحية .

والمعروف أن المفسرين ورجال الدين وشراح الكتب المقدسة

(مسيحية واسلامية) لم يتفقوا على تحديد تلك الثمرة أو نوع الشجرة المقصودة فى هذه القصة . ولعل هذا الاختلاف هو الذى وسع المفهوم بحيث أصبح يطلق على أى طعام أو ثمار أو غير ذلك مما يحرم تناوله . بل امتد الى تحريم بعض الاماكن (التى يحرم الدخول اليها أو النظر فيما فيها — كما نعرف عن كثير من الحكايات الشعبية) ، أو تحريم السؤال عن موضوعات بعينها (كان يعد السؤال عنها لونا من الكفر أو نذيرا بشئوم ، أو عاملا على الشقاء .. الخ) . فأصبحت كل ثقافة تحرم بعض الاشياء الموجودة والمعروفة تحظر على أبنائها الاقتراب منها أو التحدث عنها أو لمسها أو أكلها ... الخ . ويربط بعض الباحثين بين هذا اللون من التحريم وبين « المحرمات » أو التابو الذى نعرفه عن الديانة التوتمية[١٢] .

أما عن موتيف الشجرة المحرمة (انظر موتيف رقم C 621) حيث يباح أكل أى ثمرة أو أى شجرة فيما عدا نوع واحد ، فهو موتيف منتشر فى الحكايات الشعبية عند أغلب شعوب العالم : الاوربية ، والسامية ، وفى سيبريا ، وأمريكا اللاتينية ، وجزر المحيط الهادى .. الخ[١٣] .

٧ — الثوم :

الثوم من النباتات المعروفة ذات الشهرة الخاصة فى أكثر بلاد العالم القديم . وهو يستمد مكانته الخاصة هذه من رائحته النفاذة ، وهى التى كانت السبب فيما نسب اليه من خصائص ايجابية وسلبية على السواء . وأبرز تلك الخصائص كونه نباتا مطهرا ؛ وهى الحقيقة التى أثبت البحث العلمى فسادها فيما بعد ، وأوضح أنها تقوم على غير أساس صحيح . وبسبب هذا المعتقد الشعبى الراسخ كان الثوم من النباتات الهامة فى فترات الطاعون والأوبئة بصفة عامة .

---

(١٢) انظر قاموس فونك ، مرجع سابق ، ص ٤١١ .
(١٣) انظر مزيدا من التفاصيل فى المرجع السابق ، نفس الموضع .

كما يعتقد علاوة على هذا أنه يتميز بقدرة خاصة على طرد الارواح الشريرة ، وابعاد العين الحاسدة ، وابطال السحر الضار ، والحماية ضد الشيطان ... الخ . ولهـذا السبب كان يعلق على البيـوت أو داخلها ، وعلى رقاب الناس فى أوقات معينة .

ولكن فى الوقت الذى نصادف فيه مثل هذه المعتقدات شـائعة فى أكثر بلاد العالم القديم ، كالهند على سبيل المثال ، نجد فى نفس الوقت أن أبناء بعض المناطق يعتقدون أن الثوم ذا تأثير قوى فى جذب الارواح الشريرة ، فحيث تشم رائحة الثوم النفاذة يجب أن نتوقع وجـود مثل تلك الارواح . ولعل جانبا من هـذا المعتقد موجـود بروحه فى الثقافة الشعبية عند كثير من الشعوب الاسلامية ، حيث يعتقد أن رائحة الثوم تثير الملائـكة ، وأنهـا لا تتـواجد فى مكان توجـد فيه تلك الرائحـة « الكريهة » . كما أن هذه الفكرة قد انعكست بعد ذلك فى بعض النصائح العملية التى تنهى عن أكل الثوم فى المحافل العامة ، حيث يبرر ذلك بأنه ينفر الناس من صاحب تلك الرائحة ، ولهذا يكره أكله قبل الذهاب الى المسجد[١٤] .

وقد كرر بلينوس فى كتاباته فكرة أن المغناطيس يفقـد قوته على الجذب فى وجود الثوم ، أو اذا حك به . وظلت تلك الفكرة تتردد فى كل الكتابات بعده لعدة قرون طويلة ، الى أن أثبت فسادها السير توماس براون Thomas Browne واعتبـرها من أوهام بلينوس التى تبناها من معتقدات العامة[١٥] .

وهناك الى جانب هذا عديد من المعتقـدات والممارسـات الشعبية المرتبطة بالثوم والدائرة حوله . فنجد على سـبيل المثال أن الجنـود

---

(١٤) انظر ابن الحاج ، المدخل الى الشرع الشريف ، مرجع سابق .
(١٥) انظر قاموس فونك ، مرجع سابق ، مادة ثوم ، ص ٤٤١ .

الرومان كانوا يأكلون.الثوم قبل المعارك لاكتساب الشجاعة فى الحرب ، كما أن مصارعى الثيران عند هنود الايمارا Aymara (فى أمريكا الجنوبية) كانوا يعلقون على أجسامهم بعض ثمار الثوم اعتقادا منهم بأن رائحته النفاذة الكريهة سوف تجعل الثور لا يهاجمهم .

وقد أشرنا الى أن الاعتقاد فى الثـــوم كمطهر وواقى من الامراض اعتقاد منتشر فى أغلب ثقافات العالم . فنجـــده يستعمل كتعويذة عامة (للحفظ) ، وكمرهم ، وكشراب سحرى (لتجنب كل شىء ضار بصفة عامة) ، ويستنشق ، ، وكعلاج لداء الكلب . فهو باختصار يعد شـــفاء لكل داء يصيب الانسان أو الحيوان ، فيما عـــدا أمراض العين والرأس والكليتين . وقد ورد ذكر الثوم عند أرسطو كعلاج لداء الكلب ولتحمية الطلق (عند المرأة أثناء الوضع) . ويقوم بربر شمال افريقيا بدق الثوم وعجنه واضافته الى عجين الخبز لعلاج أمراض البرد بصفة عامة ، كما يستخدمون الثوم كمساعد على الاسراع بحمل المرأة . ونعرف أن الثوم يستخدم كذلك باضافته الى مياه الشرب التى يشك الانسان فى تلوثها أو عدم نقائها لتطهير تلك المياه والقضاء على ما قد يكون بها من مسببات المرض .

٨ ــ الزنجبيل :

الزنجبيل هو أحد مواد العطارة الشرقية التقليدية المعروفة منــذ آلاف السنين ، ويعتقد أن الصين هى موطنه الاصلى ، ومنها انتقل الى شتى بلاد الشرق الاقصى ، ولكنه انتقل فى وقت حـــديث الى المنـــاطق الاستوائية من أمريكا الجنوبية . ولكن المهم أن شهرته واســـعة فى كافة الثقافات الشعبية على امتداد التاريخ والجغرافيا .

ومن أشهر خصائصه مساعدته على الهضم ودوره كعلاج للتطبـــل (امتلاء البطن بالغازات) ، كما ينتشر استخدامه كعلاج لآلام الاسنان فى كثير من بلاد العالم . وفى روسيا كانوا يمزجون الزنجبيـــل بالروم

الدافىء ثم تبلل فى الخليط قطعة من القماش وتوضع على السن المريضة لعلاج ما بها من آلام • وفى ميلانيزيا يستخدم الزنجبيل لاكتســاب ود المرأة وحبها • وفى الفلبين يستخدم لطرد الارواح الشريرة التى تسبب الامراض • ويعتقد هناك أن الصياد اذا مضغ قطعة من الزنجبيل وبصق على طعم السمك ، فان السمك سوف يتدافع الى صنارته ويكثر صيده • ويعتقد فى مجتمعنا أن الزنجبيل من المواد المثيرة للشهوة بسبب ما يحدثه من تسخين للجسم •

٩ ــ الجــزر :

هناك عديد من المعتقدات الدائرة حول الجزر ســواء من طبيعــة سحرية غيبية أو طبيعة علاجية • فمن النوع الاول الاعتقاد الشائع فى نيوها مبشاير فى انجلترا بأن الجزر اذا توقف عن الازهار ، فان معنى ذلك أن أحد أفراد الاسرة سيموت قبل انقضاء العام •

أما عن الخصائص العلاجية للجزر فيعتقد (فى انجلترا وأمريكا) أنه مفيد فى علاج مرض الربو خاصة اذا أكل بكميات كبيرة • كما ينتشر الاعتقاد فى كثير من أجزاء العالم بأن أكل الجزر يقوى حاســة البصر • وقد قدم الطب مؤخرا الدليل على صحة هــذا المعتقد الشعبى ، حيث اكتشف أن بعض أنواع الكاروتين تساعد على تكوين فيتامين أ فى الجسم، مما يفيد فى عــلاج (العشى الليلى) ويزيد مقاومة الجســم للعــدوى بالامراض •

١٠ ــ القــرفة :

تعد القرفة من أقدم التوابل التى عرفها الانسان ، وقد ورد ذكرها لاول مرة فى الكتابات الصينية القديمة فى عام ٢٧٠٠ قبل الميلاد • أما فى منطقة الشرق الاوسط فقد كانت معروفة عند العبرانيين وعند العــرب القدماء • وكان من أوائل المواد التى تصدرت سلع تجار الشرق القدماء •

وقد ارتبطت القرفة بعديد من الممارســات الدينية عنــد العرب القدماء ، فكان لا يحق الا للكهنة وحدهم جمع لحاء أشــجار القــرفة ، وكانت أولى ثمارها تقدم قربانا للشمس • وكانت قيمة القرفة فى الماضى توازى قيمة الذهب واللبان •

أما عن المعتقدات الدائرة حول القرفة فكان يعتقد أنها مفيدة للجسم بشكل عام (تعطيه قوة وطاقة) ، كما أنها تزيد مناعته ضد الامراض • وكان يعتقد فى الماضى أن القرفة الصينية Cassia ليســت ســوى نوع ردىء من القرفة العــادية ، ولذلك كانا يستخدمان نفس الاســتخدامات بالتبادل حسب الظروف وحسب توفر أى منهما • والجــدير بالذكر أن القرفة الصينية كانت تدخل ضمن مواد التحنيط الاســاسية عنــد قدماء المصريين •

١١ ــ الكمون :

يعد الكمون من التوابل التى ذاع استخدامها لدى شعوب الشرق القديمة منذ عصور سحيقة • وكان الكمون يرمز للضعة والجشع عنــد الاغريق • أما فى ألمانيا وايطاليا فكان يضاف الى الخبــز كى يحفظه من سرقة أرواح الغابة له • كما كان الايطاليون القدماء يطعمونه للطيــور لاستئناسها وحملها على الرضا بالبقاء فى حظائرها •

أما عن الخصائص الطبية والعلاجية للكمون فقد كان يعتقد أنه مفيد لايقاف النزيف • كما كانت تصنع من منقوعة كمادات يعتقد أنها مفيدة فى علاج البثور ، والاورام ، وذات الجنب ، والآلام الموضــعية الحــادة (خاصة فى الجنب) • أما اذا غلى فانه يمكن أن يفيد فى شــفاء البرد الذى يصــيب الرئتين • ويقــول بلينوس Pliny أن شربه يؤدى الى شحوب الوجه ، وأنه اذا أعطى للعشاق ، فسوف يظلون على اخلاصهما لبعضهما •

١٢ ـ البلح :

كانت النخلة تعد شجرة الحياة عند المصريين القدماء والسومريين والتاويين فى الصين • كما كانت تعتبر شجرة الانجاب ورمز الخصوبة أيضا عند التاويين وكذلك كان الهندوس يعتقدون أن النخلة تتميز بالذكاء ، وأنه لا يفصلها عن عالم الحيوان سوى خطوة واحدة فقط •

ومن الاسماء التى تطلق على النخيل اسم العنقاء(١٦) Phoenix وتعكس هذه التسمية معتقدا قديما مؤداه أن النخلة اذا ما سقطت بسبب الشيخوخة أو احترقت ، فانها ستنمو من جديد خضراء يانعة كما كانت ، وتظل هكذا على الدوام دائمة الازدهار •

ويعتقد أبناء بعض المناطق أن السيدة مريم قد وضعت المسيح تحت نخلة • ويعتقد كذلك أنه يتعين على الواضعة حديثا أن تأكل ثلاث بلحات من اجل صحتها وصحة وليدها •

أما عن الخصائص الطبية والعلاجية للبلح فيعتقـد أنه اذا غليت جذور النخيل وخلطت بالدقيق فانه يمكن أن تصنع من هذا الخليط كمادات لعلاج الاورام ، وتفيد فى تنظيم عمل الامعاء •

وفيما عدا قائمة الخصائص الطبية والعلاجية التى يمكن أن تطول الى ما لا نهاية ، فان البشرية قد عرفت ألوانا عديدة من الاستخدامات العملية للنخيل ومنتجاته فى الحياة اليومية • فمن خشبه تبنى المساكن (خاصة الدعائم ، وألواح الاسقف) ، وتنسـج أليافه لتصـنع منها السلال ، والحقائب ، والاوانى بأنواعها •• الخ • كذلك يصنع من عصير البلح نوع من النبيذ (أو العرقى) ، الذى يعـرف بإسم عرق البلح • أما الثمار فقد ظلت الغذاء الرئيسى لعديد من شعوب الشرق الاوسـط (خاصة البدوية) آلافا من السنين •

---

(١٦) العنقاء طائر خرافى ورد فى معتقدات وأساطير قدماء المصريين ، حيث كانوا يتصورونه قادرا على أن يعمر خمسة قرون أو ستة . وبعد أن يحرق نفسه يستطيع ان ينبعث من الرماد المتخلف عن حرقه هذا ، وتدب فيه الحياة وهو اتم ما يكون شبابا وجمالا .

الفصل الثانى

المعتقدات والمعارف الشعبية حول الانسان والجسم الانسانى

مقـدمة :

يمثل الانسان كما تمثل أجزاء الجسم الانسانى المختلفـة محورا لعديد من المعتقدات ، كما تردد العقلية الشعبية عنها مجموعة من المعارف وكثيرا من التفاصيل المتصلة بخلق الانسان ، وخلقه ، وطبائع الجماعات والاصناف الانسانية ، ولغات البشر ، وذكاء الانسان . كما تقـدم تلك المعتقدات والمعارف تفسيرا لكل سمات الانســان الجســمية الخارجية والمزاجية ولكل ما يطرأ على جســمه من ظواهر كالتعب ، والنــوم ، والاحلام أو رف العين ، وأكلان اليدين ، وتنميل الرجل ، والعطس ، والتثاؤب .. الخ .

واحتفال المعتقد الشعبى بتلك الجوانب المختلفة من حياة الانسان وأخلاقه وطباعه ومظهره هى أمر مفهوم ، لان الانسان حريص على تفسير ما يعن له من أمور ويطرأ على بنى جنسه من ظواهر حرصــه ــ وربما أكثر ــ على تفسير الكون المحيط به والمظاهر الطبيعية . ومن هنا وجه الاهمية الاول لهذه الطائفة من المعتقدات والمعارف الشعبية .

أما وجه الاهمية الثانى فهو كونها تمثل قطاعا عرضــيا فى التراث الشعبى بأنواعه ، فلكى نلقى الضوء كاملا على نماذج من تلك المعتقدات والمعارف سنجد أنفسنا أمام حشد من المعتقدات والمعارف ، كما سنعثر على عديد من الممارسات والشعائر علاوة على أننا سنلتمس بعض هــذه التصورات عن الانسان وعن أجزاء جسمه فى منتجات الابداع الادبى

الشعبى وهكذا • فنحن هنا نستخرج قطاعا من التراث بكل أنواعه • وان كان من الطبيعى أننا سنركز فى هذا الفصل على جانب المعتقدات دون سواه ، وان جاءت الاشارة عابرة هنا أو هناك الى بعض العادات والممارسات أو الى بعض نماذج الأدب الشعبى وفنونه •

وقد قدمت نموذجا لمعالجة جزء من هذا الموضوع فى دراسة لى صدرت فى مجلة « عالم الفكر » عن الطفولة فى التراث الشعبى • فالكلام عن الطفولة تخصيص للكلام عن مرحلة معينة من حياة الانسان ، وقد قسمت المعالجة الى أربع أقسام رئيسية تتبعت فى كل قسم منها مفهوم الطفولة وأبعاده وخصائصه فى كل ميدان من ميادين التراث الشعبى الاربعة(١) • وعلى هذا المنوال تقريبا ينبغى أن تكون المعالجة الشاملة لموضوع الانسان والجسم الانسانى ، حيث يمكن أن يتتبع الباحث باقى المراحل فى حياة الانسان متقصيا سماتها وخصائصها فى كل ميدان من ميادين التراث •

١ — آدم أبو البشر :

يهتم المعتقد الشعبى بتكوين صورة مفصلة عن آدم أبى البشر وعن خلقه وهيئته يوم خلق وقصته قبل حواء وبعد حواء ، ثم خروجه من الجنة •• الخ • ولا يقتصر اهتمام المعتقد الشعبى على صفته كأب لكافة البشر ، وانما نجد أساتذة السحر الرسمى الكلاسيكيين ينسبون اليه — عليه السلام — طائفة من التعاليم السحرية ، التى كان له فضل توصيلها الى الناس(٢) •

---

(١) انظر محمد الجوهرى ، الطفل فى التراث الشعبى • مقال فى مجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد العاشر ، العدد الثالث ، اكتوبر — ديسمبر ١٩٧٩ ، ص ص ١٥ — ٥٢ • ولهذا السبب لن نتعرض هنا لموضوع المعتقدات والمعارف الشعبية المتعلقة بالطفولة ، حيث غطيناها تماما فى هذه الدراسة المطولة .

(٢) انظر فصل « توصيل المعرفة السحرية » فى رسالتنا للدكتوراه عن السحر الاسلامى المصرى ، مرجع سابق ، حيث خصصنا فقرة مستقلة عن تصوير آدم فى التراث السحرى الرسمى ، ص ص ٣٣ — ٣٦ .

ونحن لن نستعرض تفصيلا كل تلك الشـواهد . ولكننا نكتفى بالاشارة الى أن آدم يختص فى العقلية الشعبية بكافة مظاهر التكريم والعظمة ، وهو بطبيعة الحال يختص بطائفة من الاوليات حيث كان أول من فعل كذا وكذا من الاشياء .

ومن مظاهر تكريم آدم — فى رأى المعتقد الشعبى — أنه هو الذى بنى الكعبة(٣) . وهو الذى وضع الحجر الاسود فى مكانه(٤) ، وهو أول البشر فى أداء فريضة الحج .. الى آخر قائمة الاشياء العظيمة التى كان فيها أول الناس(٥) .

ومن مظاهر أهميته وأمارات تكريمه تصوير ما حدث يوم موته . ففى ذلك اليوم : اجتمعت عليه الملائكة ، فدفنته ، وتولت الملائكة غسله ودفنه ، فغسلته بالسدر والماء وترا ، وكفنوه فى ثلاثة ثياب ، وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن(٦) . ويبالغ التصور الشعبى فى اثبات سمو آدم بتصوير لا يستند بالطبع الى أى أساس من الدين الصحيح ، ولكنه يجمع فى جزئياته كافة الاشياء المقدسة . ولكن التصوير التالى يجمع الى جانب القداسة فكرة الشمول ، فالتراب الذى خلق منه آدم جمع كل جزء منه من ركن من أركان الارض وفى هذا يقول الثعلبى :

« خلق رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة ، وصدره وظهره من بيت المقدس ، وفخذيه من أرض اليمن ، وساقيه من أرض مصر ، وقدميه من أرض الحجاز ، ويده من أرض المشرق ، ويده اليسرى من أرض المغرب . ثم ألقاه على باب الجنة . فلما مر عليه ملأ من الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ، ولم يكونوا قبل رأوا شيئا يشبهه من الصور »(٧) .

---

(٣) انظر النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ؛ مرجع سابق ، الجزء الاول . ص ٣٠١ .

(٤) النويرى ، المرجع السابق ، الجزء الاول ؛ ص ٣١٥ .

(٥) الثعلبى ، قصص الانبياء ، مرجع سابق . ص ٤٤ .

(٦) الثعلبى ، قصص الانبياء ، مرجع سابق ؛ ص ٥٦ —

(٧) المرجع السابق ؛ ص ٣٣ .

ولا تكتمل قصة آدم ، كما لا تكتمل صورته فى نظر المعتقد الشعبى، الا بالاشارة الى حواء • فحواء خلقت من ضلع آدم ، وهى أنيسه الاول ، فقد كان آدم يحس الوحشة عندما كان يمشى وحيدا فى الجنة « لم يكن له من يجالسه ويؤانسه »(٨) • وهى تتصف فى المعتقد الشعبى بعديد من الصفات التى يلخص بعضها النص التالى ، والذى يكشف عن تأثر هذه الصورة بالخطوط العريضة للمعتقد الدينى الرسمى حول الموضوع • « ••• ثم قالت حواء : الهى خلقتنى من ضلع أعوج ، وجعلتنى ناقصة العقل والدين والشهادة والميراث ، وضربتنى بالنجاسة ، وحرمتنى الجمعة والجماعات • وذكرت مشقة الحمل والولادة ، فأسألك أن تعطينى مثل ما أعطيتهم • فقيل لها : قد وهبت لك الحياء والانس والرحمة ، وكتبت لك من ثواب الحبل (!) والولادة ما لو رأيته لقرت به عيناك ، فأى امرأة ماتت فى ولادتها حشرتها فى زمرة الشهداء ، قالت : حسبى يارب »(٩) •

٢ — أخلاق البشر وطباعهم :

هذا باب هام من أبواب المعتقدات الشعبية التى تحتاج الى دراسات مستفيضة ، ستكون لها دلالاتها البعيدة بالنسبة للواقع المعاصر وللمستقبل أيضا • فكل شعب يكون صورة عن نفسه ، وعن كل شعب أو طائفة من الشعوب والطوائف التى يعرفها • ومن البديهى أن تلك الصورة ترتكز على بعض الخبرات الواقعية مع تلك الجماعة أو ذلك الشعب ، ولكنها تنطوى دائما على قدر — قد يكون كبيرا — من المبالغة والتضخيم • وهو أمر مفهوم ، لان تلك الصورة تكون شديدة الشبه بالصورة الادبية الانطباعية ، التى ترى جزءا على حساب رؤيتها لاجزاء أخرى ، كما أنها

---

(٨) المرجع السابق ، ص ٣٥ . ومن الطريف ان خلق حواء من ضلع آدم لم يسبب له ادنى الم ولم يحس هو بذلك ، ويعلق الثعلبى : « لو اولم آدم من ذلك لما عطف رجل على امراة » .

(٩) النويرى ، نهاية الارب فى فنون الادب ، مرجع سابق ، الجزء الثالث عشر • ص ٢١ .

ترى ذلك الجزء بعين النقد والانتقـاد . وتضخمه ، وتضفى عليـه من المبالغة ما يجعله طريفا ، ميسـور التواتر والنقل من جيل الى جيـل ، فالمبالغة هى توابل الحقيقة فى هذه الصورة .

وقد أصبحت هذه النقطة من المعتقدات الشعبية ذات أهمية حيوية فى الواقع المعاصر ، حيث أصبح الانسان ـ بعد ثورة النقل والمواصلات ـ يدخل فى علاقات مباشرة أو شبه مباشرة مع كافة أنواع البشر . ومن هنا حرص كل شعب ـ خاصة اذا كان مسيطرا أو طامعا فى سيطرة ـ أن يعدل ويحسن ويجمل صورته لدى الشعوب الاخرى . وتعديل هذه الصورة النمطية هى خطوة فى سبيل تعديل الاتجاه ... وهكذا . وذلك موضوع آخر يستحق معالجة مستقلة فى مقام آخر .

والملامح التالية أنقلها عن كتب التراث لتصور ملامح بعض الشعوب العربية فى التراث العربى المصرى الوسيط : كالشعب اليمنى ، والمصرى ، والشامى ، وسكان البادية .. الخ . كما تصور بعض ملامح الشعوب المجاورة للشـعب العربى كالروم ، والترك . والاكـراد ، والصـين ، والبربر ... الخ .

ويلخص النص التالى أبرز السمات المميزة لبعض الشعوب أنقله عن النويرى (نهاية الارب ، الجزء الاول ، ص ٢٩٢) .

« ... لما خلق الله تعالى الخلق ، خلق معهم عشرة أخلاق : الايمان ، والحياء ، والنجـدة ، والفتنة ، والكبر ، والنفـاق ، والغنى ، والفقر ، والذل ، والشقاء . فقال الايمان أنا لاحق باليمن فقال الحياء وأنا معك . وقالت النجدة أنا لاحقة بالشام فقالت الفتنة وأنا معك . وقال الغنى أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك (!) . وقال الفقـر أنا لاحق بالبادية فقال الشقاء وأنا معك » .

وفى بعض الآثار الادبية يتم تصوير الصفة فى شعب ما عن طريق نفى وجود ضدها عن ذلك الشعب ، حيث يقال : أربعة لا تعرف فى أربعة:

السخاء فى الروم ، والوفاء فى الترك ، والشجاعة فى القبط والغم فى الزنج » (النويرى — المرجع السابق ، ص ٢٩٤)(١٠) .

٣ — اختلاف لغات البشر :

تزخر الكتب الشعبية وكذلك الاساطير بعديد من التفسيرات التى تلقى الضوء على ظاهرة اختلاف لغات البشر ، وتحاول أن تقدم تفسيرا لها . والمهم أن نؤكد أن أساطير كافة شعوب الارض المعروفة تقرر على العموم أن كافة الناس كانوا فى بادىء حياتهم يتكلمون لغة واحدة يستطيعون التفاهم بها فى كل أمر . ثم حدث بعد ذلك أن كتب عليهم أن تتعدد لغاتهم وتتباين ويعجزون عن فهم بعضهم البعض . وكان ذلك الامر بمثابة عقاب لهم على خطيئة ارتكبوها ، أو محرمات انتهكوها ، أو عصيان للآلهة .. أو غير ذلك من مخالفة استوجبت ذلك العقاب الكبير(١١) .

---

(١٠) هناك صورة ثالثة لعرض السمة وترديدها بابراز أن هذا الشعب يحمل من السمة كذا تسعة اعشار نسبتها فى بقية الخلق ، كما يوضح ذلك نص النويرى : « ... روى عن عبد الله بن عباس انه قال : ان الله تعالى خلق البركة عشرة اجزاء : فتسعة منها فى قريش ، وواحد فى سائر الناس . وجعل الكرم عشرة أجزاء ، فتسعة منها فى العرب وواحد فى سائر الناس . وجعل الغيرة عشرة اجزاء فتسعة منها فى الاكراد ، وواحد فى سائر الناس . وجعل المكر عشرة اجزاء فتسعة منها فى القبط ، وواحد فى سائر الناس . وجعل الجفاء عشرة أجزاء ، فتسعة منها فى الروم وواحد فى سائر الناس . وجعل الصناعة عشرة اجزاء فتسعة منها فى الصين ، وواحد فى سائر الناس . وجعل الشهوة عشرة اجزاء فتسعة منها فى النساء وواحد فى سائر الناس . وجعل العمل عشرة اجزاء فتسعة منها فى الانبياء وواحد فى سائر الناس . وجعل الحسد عشرة أجزاء فتسعة منها فى اليهود وواحد فى سائر الناس » . النويرى ، المرجع السابق ، الجزء الاول ، ص ٢٩٣ .

(١١) انظر بعض التفسيرات التى توضح كيف حدث ذلك بالتفصيل من واقع أساطير الشعوب المختلفة ، فى قاموس فونك للفولكلور ، مرجع سابق ، ص ٢٤٧ ، وعند جيمس فريزر الفولكلور فى العهد القديم . (الاصل الانجليزى المفصل) ، المجلد الأول ، ص ص ٣٨٤ وما بعدها .

٤ ـ تحول النوع :

المقصود هنا تحول الجنس بمعناه العام Species (أى تحول الحصان الى رجل ـ وسيم أحيانا ـ أو تحول القرد الى انسان ، أو الانسان الى ضفدع ... الخ) وكذلك تحول النوع فقط ، أى تحول الرجل الى امرأة ، أو العكس أى تحول المرأة الى رجل .

وتزخر الحكايات الشعبية بهذا الموقف ليس فى تراثنا العربى وحده، وانما فى شتى الثقافات وعلى امتداد العصور المختلفة . ولما كانت هذه الموتيفة أكثر ما تكون شيوعا فى التراث العالمى فى الحكايات الفارسية والهندية ، كان من المنطقى أن نجدها بشكل متكرر فى حكايات ألف ليلة وليلة ، لما هو معروف عن المؤثرات الهندية والفارسية العميقة على مجموعة الحكايات هذه .

والعامل الاساسى دائما فى كل حالات تحول النوع يرجع الى ممارسة السحر غالبا . فالساحر الشرير هو الذى يحول المرأة الجميلة الى صورة حيوانية ، أو يحول الامير الوسيم الى حصان ، وكذلك الساحر الطيب هو الذى « يفك » هذا السحر ، برد الحيوان الى صورته الانسانية السابقة .

وهناك وسيلة أخرى عدا هذا يمكن أن تكون مسئولة عن تحول النوع وهى مصاحبة الانسان « لخادم » (أى روح ، أو مارد .. الخ) له قوى خارقة ، فاما أن يطلب منه هو ذلك لغرض فى نفسه كأن يتخذ صورة حصان أو حمار ليكتشف خيانة زوجته أو صديقه ، أو يخون العهد والميثاق الذى أخذه عليه هذا الخادم فيعاقبه ذلك الخادم بتحويله الى صورة حيوانية تكون كريهة فى العادة كأن يمسخه قردا .

وقد يكون التحول أبديا أى يظل الانسان فى صورته الحيوانية الى أن يموت ، ولكن الارجح (ولكى تكون القصة أكثر طرافة وأكثر اقناعا)

أن يعود الى صورته الاولى بعد ممارســـة سحر معين عليه ، أو الوفاء بشرط معين ••• الخ •

الا أن هناك وسيلة آخرى لتحول النوع أقل دراماتيكية من ذلك ، هى استعارة ملابس الجنس الآخر ، للظهور بمظهره ، فيرتدى الرجـل ملابس النسـاء والعكس • وهذا هو الآخر موتيف واســع الانتشار فى الحكايات الشعبية على امتداد العالم • ومازالت هذه الممارسة تتم حتى اليوم فى بعض الاعياد والاحتفالات الشعبية فى بعض البلاد الاوربية ، وقد كان تبديل الادوار يتم فى الماضى من أجل خداع الارواح الشريرة . ويكون شأن هذه الممارسة شأن ممارسة اخفاء اسم الشخص أو اخفاء اســمه لاخفائه هو نفســه عن الارواح الشريرة التى تحـل فى بعض المناسبات (كأول العام ، أو عيد الشــكر •• الخ) لمحاسبة البشر أو الايقاع بهم أو الحاق الضرر بهم • فيكون التنكر بتغيير الزى وسـيلة للهروب من تلك الارواح •

وهو كذلك يتم بهدف الرغبة فى تفادى تأثير الحسد وأضرار العين الشريرة • فالولد الجميل أو الوحيد أو الذى ولد بعد عدة بنات أو ولد لأبويه بعد انقطاع طويل عن الانجاب •• الخ يلبسونه أزياء الفتيـات درءا للحسد وتجنبا للعين الشريرة ، وكذلك الفتاة الجميلة أو الوحيدة •• الخ •

ولا شك أن هــذا الموتيف الشعبى انما يستمد جــذوره من بعض الحوادث الواقعية المتفرقة حيث يشهد كل مجتمع من حين لآخر حالة من حالات تحول النوع تتم أمامه (وهى الحـالات التى ازدادت عددا فى عصرنا الحديث بمساعدة العمليات الجراحية المتخصصة ، وأخذنا نسمع عنها اليوم على نطاق واسع) وبسبب غرابتها وطرافتها كان من الواضح أن تلجأ اليها الحكايات الشعبية لتدمجها فى الاطار الاعتقادى الشـعبى

السائد فى كل مجتمع وفى كل عصر(١٢) •

٥ ـ الاقــزام :

تدور حول الاقزام فى كل الثقافات مجموعة متنوعة من المعتقدات والمعارف ، فمن حيث أصل الاقزام ، يعتقد البعض أنهم يكونون مجتمعا مستقلا من كائنات خارقة خفية تعيش أصــلا فى أماكن نائية غريبــة ، والبعض منهم الذين نراهم انما هم ينتمون أصــلا الى هذا المجتمــع الغريب • وبنفس الشكل تدور طائفة من المعتقدات والتفسيرات بشأن خصائصهم الجسمية المتميزة ومظهرهم الخارجى اللافت للنظر • والتراث الاوربى ملىء بالكثــير من الحكايات والامثــال التى تفسر وجــودهم وتشرح خصائصهم • ومن أبرز القدرات التى يتمتعون بها القدرة على التنبؤ وتقديم النصح والارشادات لكل من ينوى عملا معينا • وبنفس القدر دلتنا الدراسات الانثروبولوجية على أن التراث الشعبى للشعوب البدائية والمتخلفة (كالهنود الحمر والاسكيمو مثلا) غنى بالتراث الدائر حول الاقزام(١٣) •

٦ ــ التوائم :

من المعروف أن التوائم ليست من الظواهر الشائعة احصائيا على على مستوى العالم ، ومع ذلك فاننا نجــد المعتقــد الشــعبى لدى كل الشعوب وعلى مدى كل العصور يحفل بكثير من الافكار والعناصر الدائرة حول التوائم ، لانهــا كظاهره ــ رغم ندرتها ــ تثير الانتبــاه وتصبح

---

(١٢) انظر مزيدا من التفاصــيل فى قاموس فونك للفولكلور ، مرجــع سابق ، ص ٢٠٩ •

(١٣) انظر بعض نماذج لتلك الحكايات والامثال الاوربية عن الاقزام فى قاموس فونك للفولكلور ، حيث يعالج المقال كذلك تراث الاقزام عند الشعوب البدائية . ويجد القارىء قائمة بأهم المراجــع والمصــادر عن الاقزام وعن صورتهم فى التراث الشعبى ، قاموس فونك ، مرجع سابق • ص ٣٣١ •

موضحا للتعليقات والتفسيرات ومثارا لمواقف واتجاهات سنعرض لطرف منها فيما بعد •

تتراوح المواقف المعروفة من التوائم فى المعتقد الشعبى بين التشاؤم الشديد منها وما يتبع ذلك من ممارســات ســنعرف بعضها فيما يلى . والتفاؤل أو التقدير الكبــير ، الذى نلمس نتائجــه ونرى عواقبــه فى ممارسات الناس أيضا • وان شئنا المفاضلة بين الاتجاهين أو وزنهما من حيث سعة الانتشار وجدنا اتجاه النفور منهما والتشاؤم هو الاوســع انتشارا أو الاكثر تواترا بين الناس •

وقد عرفنا عن بعض المجتمعات أن أحد التوأمين ينســب عادة الى الآلهة ، أما الآخر فينسب الى أب من البشر (قارن فى هذا حكاية هرقل فى الاسطورة الاغريقية) • بينما تعتقــد شــعوب أخرى أن التوأمين يكونان لرجلين شاركا فى اخصاب الام ، كل منهما أب لكل من التوأمين •

وكثيرا ما يعتقد أن انجاب التوائم هو ثمرة عــلاقة زنى ودليــل عليه • أما المجتمعات الاحدث والاقرب الينا والاكثر تقدما فتعتقــد أن انجاب التوائم هو دليل على زيادة فى رجولة الاب • بينما تعتقد كثير من الشعوب البدائية أن التوائم يجب التخلص منها ، وأن على المــرأة أن تتطهر لفترة من الوقت بعد أن تتخلص منهما •

ولهذا السبب تحرص تلك المجتمعات على تجنب أكل المرأة للثمار المزدوجة كلوزتين ملتصقتين ببعضهما ، أو موزتين ملتصــقتين ••• الخ حيث يعتقد أن أكل تلك الاشــياء يؤدى الى انجاب التــوائم • ويورد قاموس فونك تفصيلا بعض الممارسات — مشفوعة بالنصوص المستخدمة — التى يتحتم اللجوء اليها فى حالة اذا ما اضطرت الفتاة أو المرأة الى أكل مثل هذه الثمار المزدوجة • والهدف من كل تلك الممارسات والصيغ تجنب انجاب التوائم •

ثم هناك على الطرف الآخر الموقف الذى يحبذ انجــاب التوائم

ويسعد بها ويعتبرها فألا حسنا . فيعتقد أبناء تلك الثقافات أن التوائم تتمتع ببصيرة نافذة ، أو قل يتمتعون بقوة خارقة ناتجة عن جمعهم بين شخصيتين فى نفس الوقت . كما ترى احدى قبائل الهنود الحمر أن التوائم تستطيع رؤية الارواح وغيرها من الكائنات فوق الطبيعية ، وهو الامر الذى لا يستطيعه الناس العاديون كما نعرف . ولكن التوائم يمكن أن تفقد هذه القدرة اذا ما تناولت طعاما من اعداد امرأة حائض .

ونستطيع أن نجد نفس هذين الموقفين العامين من التوائم فى الثقافة الافريقية جنوب الصحراء أيضا ، خاصة غرب أفريقيا ، ومنها انتقلت تلك المعتقدات الى زنوج العالم الجديد . ويفسر البعض هذه المواقف المتطرفة من التوائم فى ضوء أنهم يمثلون نوعا من الولادات الشاذة أو التى تلابسها ظروف غير طبيعية . ويرسم هيرسكوفيتس فى مقاله عن التوائم فى غرب أفريقيا معالم الخط الفاصل بين منطقتى عبادة التوائم والنفور منهم بأنه يمتد عبر وسط نيجيريا . حيث نجد أن اليوروبا وقبائل الساحل الغينى غربا من الفريق الذى يحب التوائم . أما الايبو وزنوج منطقة الدلتا والكاميرون فيتخذون الموقف المعاكس(١٤) .

ويشير هيرسكوفيتس علاوة على هذا الى أن هناك طائفة من المعتقدات الدائرة حول الطفل التالى فى الولادة على التوائم . اذ ترى تلك الثقافات الزنجية أن هذا الطفل يتميز بقوة جسمانية فائقة ، وأنه يجب أن يلقى معاملة خاصة .. الخ(١٥) . ويفسر انتشار الممارسات والعبارات المتعلقة بالطفل التالى على التوائم (والمعروف باسم The dosu فى مجتمعات البرازيل ، وكوبا ، وجيانا ، وهايتى وغيرها من شعوب البحر الكاريبى بأنه يكاد يكون احتفاظا طبق الأصل بنظائرها الافريقية

---

(١٤) انظر مقال هيرسكوفيتس فى قاموس فونك للفولكلور . مرجع سابق ، ص ص ١١٣٤ — ١١٣٦ .

(١٥) انظر المرجع السابق ١١٣٥ .

الاصلية ، والتى انتشرت الى تلك المنطقة ، وتركت بصماتها واضحة عليها دون اعادة تفسير •

٧ ــ الاحــول :

من سوء الحظ أن يصادف المرء شخصا أحولا • بينما يعد فألا طيبا أن تصادفه فى طريقك شخصا أحولا من الجنس الآخــر • ولكى يتجنب الشخص سوء الحظ هذا اذا وقع له ، فما عليه لدى رؤيته للأحول سوى أن يتفل من بين أصــابعه ، ولكن بشرط ألا تجعله يراك وأنت تتفــل ، والا ضاع تأثيره •

ومن الطرق الاخرى لتجنب الاضرار التى يمــكن أن تلحق بك لمن رؤية الاحول أن تحدق فيه بشدة ، وهذه وصفة يسيرة ولا شك • ويعتقد كذلك أنك ستخسر اذا لعبت الورق (الكوتشينة) مع شخص أحول •

ويذهب البعض الى الاعتقاد بأن لقاء الاحول فى أول النهار سيجعل الامور ترتبك وتتعقد طول اليوم ، ولقاءه فى أول يوم من أيام الاسبوع سيعقد الامور طوال الاسبوع •

ولما كان الحول من الامور الكريهة الى هذا الحد وجدنا التــراث الشعبى يحفل بعديد من النصائح والممارسات التى تستهدف التوقى منه أو علاجه اذا ما حدث • من هذا مثلا التنبيه الشديد بألا تدع الطفــل يحدق فى المرآة قبل بلوغه العام ، والا أصيب بالحول • ولكن اذا حدث ووقع هذا وأصيب الطفل بالحول فالعلاج هو أن تدعك دما مأخوذا من دجاجة سوداء على عنق الطفل •

ومع كل هذا فان هناك بعض المناسبات والاغراض النــادرة التى يمكن أن يكون الشخص الاحول مفيدا فيها • ففى الثقــافة الامريــكية الشعبية تعد قدم الأرنب تعويذة جالبة للحظ ، ولكى تكون كذلك فعــلا ويكون تأثيرها مضمونا يجب أن تكون القدم الخلفية اليسرى لأرنب من

أرانب الجبانات يكون قاتله زنجي أحول . ويكون ذلك القتل فى منتصف الليل[16] .

٨ ـ الخلاص :

من الملاحظ أن الخلاص يرتبط عند كافة شعوب الأرض تقريبا (المتخلف والمتحضر على السواء) ارتباطا وثيقا بروح وحياة . وموت . وصحة ، وضياع ، ونجاح أو فشل الشخص الذى يولد فيه . ولذلك نجده يرتبط بالاعتقاد الانسانى الراسخ الجذور فى الروح الخارجية أو الروح التى لا تنفصل عن الجسد . (ومن هنا أصبح ما يحدث للخلاص وكذلك الحبل السرى وبرقع الجنين ـ وهو غشاء رقيق يغطى رأس المولود أحيانا) يؤثر فى حياة الطفل كلها . بل يحدد مصيره فى الحياة برمته . حيث يعتقد أنه يحوى روح الطفل الوليد أو يضم روحه الحارس . أو هو أخوه أو توأمه أو نظيره الحقيقى ، أو أنه مرتبط به ارتباطا غامضا ووثيقا . فالتصرف فيه أو مصيره سوف يحددان مهارات الطفل . وحظه ، ومصيره فى الحياة . وتنتشر تلك المعتقدات لدى كافة شعوب الأرض وشتى الثقافات من كولومبيا البريطانية الى تيراديل فويجو ، ومن أيسلندة حتى سيبريا ، ومن أوربا حتى جنوب أفريقيا ، وعند شعوب الصين ، وأندونسيا وجنوب المحيط الهادى ، بل وحتى عند شعوب الهنود الحمر الامريكيين : فكل تلك الشعوب تنظر الى الخلاص بتقدير وحرص شديدين ، وتعمل على المحافظة عليه أو التصرف فيه طبقا للمعتقدات الشائعة عنه لدى الجماعة .

وهناك شواهد لا حصر لها على هذا الاعتقاد عند الشعوب المختلفة. من هذا مثلا ما يقوم به هنود كواكيوتل الحمر فى كولومبيا البريطانية

---

(١٦) انظر قاموس نونك للفولكلور ، مرجع سابق ، مادة الاحول ، ص ٢٦٦ .

حيث يقدمون خلاص الوليد الذكر الى الغربان السوداء . معتقـدين أن ذلك سوف يمنح ذلك الطفل القدرة على التنبؤ بالمستقبل • أما خلاص البنت فيدفن فى أحد الاماكن المرتفعة التى تغطيها ميـاه الجـزر لتكون امرأة ولودا •

ونجد نفس هذا النوع من السحر التعاطفى عند شـعب اليوقاغير Yukghir فى شمال شرقى سيبيريا اذ يلفون خلاص الوليد فى جلد الرنة ويلفون معه نموذجا مصغرا لقوس وسهم ، وسكينا خشبيا صغيرا وقطعا صغيرة من الفراء وذلك بهدف أن يصبح هذا الوليد صائدا ماهرا • أما خلاص البنت فتوضع معه سكين صغيرة مما يستعمله النساء ، وكستبان (مما تضعه النساء فى أصبعها عند الخياطة) ، وابرة • ويلف كل هـذا مع الخلاص فى لفة ، والهدف من ذلك أن تصبح المرأة ماهرة فى بيتها •

وهناك شعب بعيد عن هاتين المجموعتين بمسافة كبيرة هو شـعب الايمارا فى بوليفيا بأمريكا الجنوبية نجده يهتم بالخلاص اهتماما كبيرا ، حيث يغطى الخلاص بالزهور ثم يدفن بالنسبة للولد ومعه نماذج مصغرة جدا من أدوات العمل الزراعى ، أما بالنسبة للبنت فيدفن ومعه وعاء طهى صغير • كذلك نجد فى جميع أنحاء أوروبا أن المعتقد الشعبى السائد يرى أن مصير الشخص متوقف على خلاصه ومرتبط به • ولذلك يحرصـون أكبر الحرص على ألا يعثر عليه أى حيوان ويأكله ، أو يتعرض للارواح الشريرة • لانه لو حدث وعثر عليه أحد الحيـوانات وأكله فان الطفـل عندما يكبر سوف يكتسب كل الخصائص الذميمة (الجسمية أو النفسية) لذلك الحيوان •

أما الاعتقاد بأن خلاص الوليد يحوى جزءا من روح ذلك الطفـل فشائع فى أطراف الارض جميعها من أيسلندة حتى زنجبار ، ومن استراليا حتى سومطرة • فنجد أن السواحيلين فى زنجبار يدفنون الخلاص تحت البيت الذى ولد فيـه الطفل نفسـه ليضمنون بذلك ولاءه للبيت • أما

الباتاك كارو Karo Batak (فى جزيرة سومطرة) فيقومون أيضا بدفن الخلاص تحت البيت ، معتقدين أنه يحوى روح الطفل الحقيقى • ولكنهم يعتقدون فى الوقت نفسه أن للطفل روحا أخرى للحياة اليومية ، ولكن الروح الحقيقى موجودة فى الخلاص ويجب الحفاظ عليها بمنتهى الحرص •

كذلك يعمد شعب الباتاك ـ فى سومطرة أيضا ـ الى دفن خلاص وليدهم تحت البيت ، لاعتقادهم أنه يحتوى على روح الطفل • بينما تقوم قبائل أخرى فى سومطرة بحفظ ذلك الخلاص بحرص عن طريق تمليحه واضافة التمر هندى اليه والتوسل الى الروح لكى تدخل فيه • وتقترب هذه الممارسة اقترابا كبيرا من فكرة الروح الحارسة • ويؤمن كذلك بفكرة الروح الحارسة هذه شعب الكوبو Kooboo فى سومطرة الذين يعتقدون أن الخلاص هو مقر تلك الروح الحارسة ، وأنها هى التى ستحمى الفرد من الاذى والشرور طوال حياته •

ويعتقد شعب الباتاك السومطرى أن لكل شخص روحان حارسان : واحد موجود فى بذرة الجنين (ويسمى الاخ الاكبر) ، والآخر فى الخلاص (ويسمى الاخ الاصغر) • كذلك تعتقد قبائل وسط استراليا أن الخلاص يحوى روح الطفل ، ولذلك يخبئونه بحرص بدفنه فى باطن الارض • وترى قبائل منطقة كوينزلاند (فى استراليا) أن جزءا معينا من الروح هو الذى يظل فى الخلاص • ولذلك فهم لا يتوانون عن دفن الخلاص فور انتهاء عملية الولادة ، ويضعون عليه علامة مميزة فرعا من فروع الشجر كثير الاغصان •

ويرى شعب الباجندا فى وسط أفريقيا أن الخلاص هو التوأم الحقيقى أو هو قرين الطفل المولود • ولذلك يعمدون الى وضعه فى وعاء ويدفنونه تحت شجرة موز الجنة أو لسان الحمل Plantain tree بعدها يتحول الخلاص الى شبح ويحل فى الشجرة المدفون تحتها • وتقوم القبيلة بحراسة تلك الشجرة بحرص خوفا من أن يقوم شخص

من غير أقارب الطفل بالأكل من الشجرة أو الشرب منها ، لانه ان حدث وأكل منها غريب أو شرب فان التوأم الشبح سوف يذهب بعيدا ويختفي. وبعدها سوف يلحق به الطفل الموجود فى البيت ثم يمــوت • أما توأم (أى خلاص) الملك فيحفظ فى معبد صغير ويعين له حارس خاص للسهر عليه • ويقوم هذا الحارس باخراج الخلاص من لفافته مرة كل شهر . ويضعه فى ضوء القمر ليسطع عليه بنوره ، ثم يمسحه بالزبد ، ثم يعرضه على الملك ليؤكد له سلامة قرينه ، ثم يعيده فى النهاية الى مكانه الامين داخل المعبد •

كذلك تعتقد قبائل جنوب أوغنــدا أن الخلاص عبــارة عن كائن بشرى • ويحكى أبناء بعض قبائل الهنود الحمر فى أمريكا الشمالية قصصا تكشف بوضوح عن الاعتقاد فى الخــلاص كتوأم للطفــل • ومن هــذه القصص تلك التى تحكى أن طفلا طلب من أبيه قوسين ورمحين صغيرين ليلعب بهما (وحده) فى الغابة • فقرر الاب أن يختبىء ليشاهد رفيق ابنه الغامض الذى يلعب معه • وقد رأى الاب من مخبأه ولدا آخر قادما من مكان دفن خلاص ذلك الطفل فى الاحراش ليلعب مع ابنه • فأدرك أنه هو توأم ابنه • وهناك حكايات عديدة من مناطق متعددة تكشف بوضــوح عن ظهور التوأم من خلاص الطفل • وان كانت هناك بعض الحكايات التى تروى ظهور ذلك التوأم من الحبل السرى الذى قد يلقيه الاهل باهمــال ولا يعتنون بدفنه •

والملاحظ أن الاعتقاد بذلك الشبح الصغير الذى يحل فى الشجرة المدفون تحتها الخلاص يرتبط بالمعتقدات الدائرة حول هذا الموضوع بتلك المتعلقة بشجرة الحياة ، والايمان بوحدة الهوية بينها وبين الطفل الذى تزرع من أجله • ففى « كالابار » فى غرب أفريقيا تزرع شجرة نخيــل صغيرة عند ميلاد طفل جديد ، ثم يدفن تحتها خــلاص ذلك الطفــل • ويعتقد أن الخلاص يضمن نمو تلك الشجرة ، كما أن نمو الشجرة يضمن هو الآخر نمو الطفل • واللافت للنظر أن ذلك المعتقــد وتلك الممارسـة

تنتشر فى نيوزيلندا وجــزر ملقا ، كمــا كان معروفا فى منطقــة بومرن Pommern بشمالى ألمانيا وفى بعض المنــاطق الاوروبيــة الاخرى .

ويقابل هذا المعتقد تماما ما تلجأ اليه قبائل الهوبا Hupa الهنــدية الحمراء فى كاليفورنيا من شق احدى أشجار الوقود الصغيرة عند ميلاد طفل جديد ، ثم يوضع الخلاص والحبل السرى بين نصفى الشجرة ، ثم تربط الشجرة مرة أخرى لتنمو وتعود الى حالتها الاولى . ولذلك يتوقف مصير الطفل وحالته فى حياته على مصير تلك الشجرة .

وقد حفل التراث اليهودى القديم بعديد من الممارســات الطبيــة والمواد السحرية التى كانت تصنع من الرماد المتخلف عن حريق الخلاص. فكانوا اذا خلطوه باللبن يعتقدون أنه يفيد فى علاج أمراض هزال الاطفال الصغار . أما اذا خلط مع نبات أنف العجــل(17) ووضع فى وعاء صغير علق حول رقبة الطفل : فانه يكون بمثابة حجاب قوى يقيه شر الحســد المؤذى . أما فى الصين القديمة فكثيرا ما كانت تصنع من الخلاص أقراص طبية . كذلك يستخدم هنود الايمــارا (فى بوليفيا بأمريكا الجنــوبية) الرماد المتخلف عن حرق الخلاص كعلاج لبعض الامراض .

أما العادات الشائعة فى جاوة حول هذا الموضوع فتختلف عن كل ما ذكرناه . اذ تعمد نساء جاوة الى وضع خلاص الوليد فى وعاء صغير ، ثم تغطيه بالفواكه والزهور والشموع المضيئة وتترك ذلك الوعاء يطفو على سطح النهر ليلا لارضاء التماسيح . وربما كانت تلك الممارسة وما وراءها من معتقد راجع الى أن جميع الخلاص ليست سوى تماسيح (بمثابة أخوة أو أخوات لاقرانها البشر) أو لان التماسيح هى مثوى أرواح أسلاف أولئك الناس ، وأن تلك الممارسة تتم لكى تكون بمثابة عودة دينية لذلك التوائم اليهم .

---

(17) انف العجل او السبكلة Snapdragons نبات ذو زهر ابيض او قرمزي او اصفر .

اما بالنسبة للتصرف فى الخلاص فى المجتمع الريفى المصرى المعاصر فيراعى قبل التخلص منه استبقاؤه فى حجرة الوالدة حتى تمر ثلاثة « آذانات » • حيث تعتقد النساء أن ذلك يحفظ الطفل من الشر والحسد • فاذا فرض أن الولادة تمت فى الفجر أو فى الصباح مثلا ، فلابد أن يبقى الخلاص حتى يمر آذان الظهر وآذان العصر وآذان المغرب •

ثم تحكى فوزيه دياب بعد ذلك عن كيفية التخلص من الخلاص : « ومن العادات المتبعة فى التخلص من الخلاص ، أن يرمى فى الصاغة اعتقادا بأن هذا يجعل الطفل ثريا فى المستقبل ، أو يرمى فى ماء البحر أو النهر أو الترع اعتقادا بأن هذا يجعل جروح الطفل فى المستقبل سريعة الالتئام بغسلها بالماء[18] • ويفضل البعض رميه للكلاب لتأكله أملا فى أن تكون الزوجة ولودا مثل أنثى الكلب المعروفة بكثرة خلفتها • وكثيرا ما تلجأ السيدات اللائى يموت أطفالهن فى سن معينة الى وضع الخلاص فى قدر صغير ، ومعه كمية من الملح ورغيف من الخبز الساخن • ويقفل القدر قفلا محكما ، ويحفظ فى مكان أمين • والمعتقد أن هذا الاجراء يحفظ الطفل من الموت •

هذا ويراعى فيمن يرمى الخلاص أن يكون ضاحكا فى أثناء رميه حتى ينشأ الطفل ضاحكا باستمرار • ومن المحرمات الواجب مراعاتها بهذا الصدد أن الخلاص اذا خرج من الحجرة التى بها السيدة الوالدة ، فلايدخل عليها مرة أخرى لاى سبب من الاسباب خوفا من مشاهرتها ، أى انقطاع حملها بعد ذلك »[19] •

---

(١٨) هناك تفسيرات أخرى أقرب الى حقائق التاريخ الثقافى ، انظر محمد الجوهرى وزملائه ، الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية ، مرجع سابق ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

(١٩) أنظر فوزيه دياب ، القيم والعادات الاجتماعية . مع بحث ميدانى لبعض العادات الاجتماعية ـ دار الكتاب العربى للطباعة والنشر . القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ص ٣١٦ — ٣١٧ .

٩ ـ الـدم :

يعتبر الانسان البدائى وكذلك الانسان الشعبى بصفة عامة أن الدم هو الحياة نفسها • فقد اعتادوا أن يروا دم الانسان يسيل فيموت الجسم، ولذلك أصبحوا يعتقدون أن هذا الدم انما هو الحياة نفسها تتدفق خارج الجسم بالمعنى الحرفى للكلمة • ويرتبط بهذا التصور العام نفسه الاعتقاد بأن روح أو نفس أى كائن انما توجد فى دمه ، ولذلك فاذا أسال الدم زهقت روح الكائن الموجودة فى دمه •

ولهذا السبب تكونت مجموعة كبيرة من المحرمات ، والخرافات ، والممارسات السحرية ، والطقوس الدائرة حول الدم والمتعلقة به • من هذا أن الدم الذى يسيل عرضا ــ لاى سبب ــ يجب التخلص منه أو ازالته بمنتهى العناية ودون أن يترك له أى أثر خشية أن يستخدمه أحد السحرة فى ايذاء صاحبه أو السيطرة عليه سيطرة سحرية • فنجد أنه يحرق ، أو اذا كان صاحبه ملكا أو رجلا له أهميته الخـاصة . فان بعض رعاياه يبتلعونه • حيث يحتفظ كل ملك ببعض الرعايا لهذا الغرض بالذات •

كذلك كان يعتقد أن الارواح الشريرة ، والمشعوذين ، والشياطين ، والانسان الذئب (فى المجتمعات التى تعتقد فى هذا الكائن الخرافى) ••• الخ كل ذلك كان يمكن تجنب آذاه واخضاعه عن طريق الحصول على قطرة أو قطرتين من دمه •

كما أنه يجب الحرص على ألا يقع دم الانسان وكذلك دم كثير من الحيوانات على الارض لانه سوف يلقح الارض بروح صاحب ذلك الدم ، ومن ثم يجعل هذا الدم الارض التى يسقط عليها أرضا خطرة • اذ كان يعتقد أن روح صاحب ذلك الدم سوف تظل كامنة فى تلك الارض الى الابد عاملة دائما على الحاق الضرر وجلب الاذى لكل من يقترب منها • ولهذه الاسباب تنفر كثير من الشعوب من أكل أو شرب دم الحيوانات ، خوفا من أن تدخل الى جوفهم روح ذلك الحيوان • ولهذا نجد بعض الشعوب مثل

أبناء ولاية استونيا (على بحر البلطيق) ، وبعض قبائل الهنود الحمر الامريكيين ، واليهود يعملون على نزف دم الحيوان المذبوح للاكل بكل حرص ، بحيث لا يكـون هنـاك أى شك فى تلويث الاكلين بروح ذلك الحيـوان •

الا أننا نجد مع ذلك أن الممارسات العكسية هى الاكثر شيوعا • أعنى أنه لـما كان يعتقد أن الدم يحوى الروح وأساس الحياة عند صاحبها ، ولـما كان شرب الدم سيجعل من روح صاحبها جزءا من روح الشارب ، وجدنا كثيرا من الشعوب التى تمارس بعناية عادة شرب أو أكل الدم لتقوية نفسها وتدعيم كيانها بمصدر القوة والحياة • فنجد الاسرة تعطى دم الاب الذى يتميز بشجاعة فائقة لابنه لتجعله فى مثل شجاعة أبيه • كما يطعمون الطفل المريض الضعيف دم طفل آخر صحيح سليم البنية ليكتسب نفس قوته وصحته • ويحرص الرجال فى ساحة المعركة على شرب دماء الابطال الذين يسقطون فى القتال — سواء من أصدقائهم أو أعدائهم — لكى يضيفوا الى قوتهم قوة البطل الصريع وعظمته وشجاعته • ويحرص أبناء بعض قبائل سكان استراليا الاصليين على شرب دم محاربيهم الذين يتميزون بالشجاعة قبل خروجهم الى معركة • وبالمثل يعمد أبناء بعض المجتمعات الى أكل دم (ولحم) بعض الحيوانات لكى تنتقل خصائص وقدرات تلك الحيوانات الى الافراد الذين يأكلونها • فقد كان الصيادون النرويجيون فى الماضى يعمدون الى شرب دم الدببة ليحصلون على قوة الدب ، ومازال أبناء شعب الهوتنتوت (فى أفريقيا) يشربون دم الاسود ليحصلوا على شجاعة الاسد • ونجدهم فى الوقت نفسه يتجنبون أكل الارانب البرية خوفا من أن يكتسبوا ما تتميز به تلك الحيوانات من جبن •

ولـما كان الدم هو الحياة نفسها ، فانه يمكن فى نظر المعتقد البدائى أو الشعبى أن يحمى الحياة أو يعيدها • ومن ثم نجد الدم يستخدم على نطاق واسع فى ميدان الطب الشعبى • فقد كان مرض الجذام يعالج بجعل

المريض به يستحم فى الدم • وقصة هذه الممارسة الشعبية محفوظة متواترة لدى كثير من الشعوب ابتداء من قدماء المصريين ، مرورا بالعصور الوسطى ، حتى نسمع عن القصة المشهورة لذلك عن قسطنطين الاكبر الذى استحم فى الدم ليبرأ من الجذام •

ويظهر الدم فى الحكايات الشعبية — بصفة عامة — باعتباره ماء الحياة القادر على اعادة الحياة الى الميت • ويشير ماك ادوارد ليتش الى حكايتين مشهورتين فى التراث العالمى هى حكاية « الاخوين » وحكاية « جون المخلص » اللتان تحويان وصفا لحمام الدم الذى استعين به لرد الحياة الى الرجال الذين تحولوا الى أحجار واعادة الحياة الى الموتى • كما نسمع فى الملاحم الاوربية كيف أن « زيجورد » قد أصبح شخصا يستحيل الحاق الاذى به لانه استحم فى دم التنين • كما كان الدم يعطى فى العصور الوسطى كعلاج للصرع • وهناك أسطورة ترجع الى القرن الثانى عشر الميلادى تحكى كيف وضع دم توماس بيكيت Thomas à Becket على عينى امرأة ضريرة ، فاستعادت به بصرها •

ولما كان الدم يحوى حياة صاحبه وروحه ، فانه كثيرا ما يعد أداة للثأر من صاحبه • فالجسد الميت ينزف فى وجود قاتله ، مما يعد — على سبيل المثال — وسيلة لتحديد القاتل ، وبالتالى تمكين أهل القتيل من أخذ الثأر منه • ويحكى ماك ادوارد ليتش فى مقاله سالف الذكر طرفا من أسطورة شهيرة ترجع الى العصور الوسطى الاوربية ، هى حكاية ريتشارد قلب الاسد • فعندما اقترب ريتشارد من جسم والده على أرض معركة « ليمانز » Le Mans وأخذ يحدق النظر فى الجسد الميت ، بدأ الجسم ينزف الدم • هنا تألم ضمير ريتشارد وشعر بأنه كان المسئول عن موت أبيه ، فهرب من المكان على الفور ، وشرع لتوه فى تنظيم حملة صليبية ليتخلص نفسه (من خلال هذا العمل الصالح !!) من خطيئة القتل • وهناك كذلك كثير من القصص التى تحكى كيف تحاول بعض القتلة عبثا غسل دم ضحاياهم من على أيديهم أو من ملابسهم • ويظل الدم مكانه لكى

يتعرف الناس على القاتل وينتقمون للقتيل • ويعرف التراث المسيحي عديدا من القصص الشهيرة الدالة على ذلك ربما كان أشهرها جميعا قصة الشيطان الذي حاول أن يهرب من الكنيسة أثناء تقديم الخبز المقدس فجرح بواسطة زجاج النافذة فظلت بقعة دمه على ذلك المكان لا يمكن محوها أبدا •

ثم هناك كذلك بعض المخاوف وبالتالي المحرمات (التابو) المتعلقة بدم الحيض • فهناك اعتقاد عام لدى كثير من الشعوب بأن دم الحيض انما هو نتيجة عضة ثعبان ، أو سحلية ، أو أى حيوان آخر ، أو ربما عضة روح شريرة • وهو فى نظر العقلية البدائية ظاهرة شاذة • ومن ثم يتوجب خشيته لسبب مزدوج : أولا لانه دم غير طبيعى ، ثم لانه دم امرأة • ومن الممارسات الشائعة فى كثير من الثقافات عزل المرأة طوال فترة الحيض • فهناك بعض القبائل التى تحبس الحائض فى قفص فوق الارض بحيث لا يلامسها ، ومن ثم لا تلوث أى شىء • اذ يعتقد أن خروج المرأة الحائض من عزلتها هذه يمكن أن يلحق بجماعتها من الكوارث والمشكلات ما يعوق سير الطبيعة نفسها ويهدد الكون بأجمعه • وقد أورد بلينوس Pliny قائمة بعينة من تلك الكوارث فى كتابه « التاريخ الطبيعى » •

وترتبط فترة الحيض عند المرأة فى مصر بكثير من الممارسات والمعتقدات ، اذ توصى المرأة الفتاة المراهقة عند أول حيض باحتضان نخلة أو زير ، والفكرة من وراء ذلك أن تسمن ويتضخم لحمها(٢٠) • كما يعتقد أنه اذا مرت الحائض فى مزارع الباذنجان أحرقتها • ومن القيود المفروضة على الحائض ألا تشارك فى عجن العجين ، أو فى عمل بعض أصناف الطعام ، كما أنه لا يصح أن تدخل على شخص مريض بعينيه ، لانها ان فعلت ذهب بصره •

---

(٢٠) على أساس أن السمنة كانت من معايير جمال المرأة حتى وقت قريب ، انظر مزيدا من الشواهد عند محمد عبد السلام الشقيرى ، السنن والمبتدعات المتعلقة بالاذكار والصلوات ، القاهرة ، مطبعة المدنى ، د . ت ، ص ٢٣ •

كمـا أن الدم كان يلعب دورا كبيرا فى طقوس أغلب الاديان التى شهدتها البشرية • من هذا مثلا أن طقس شرب دم الالهيستند الى الاعتقاد بأن سمات وخصائص ذلك الاله سوف تنتقل بهذه الطريقة الى رعاياه • ويشير ليتش الى أن قدسية الكأس المقدسة ، وهى تلك الكأس التى شرب منها المسيح أثناء العشاء المقدس والتى ترد الاشارة اليها فى حكايات الكأس المقدس العديدة ، هذه القدسية انما تستند الى اعتقاد مؤداه أن تلك الكأس قد احتوتيوما دم المسيح • فهى بذلك — فى نظر المعتقد الشعبى — وعاء واهب للحياة • وتدلنا تلك القصة على مدى محاولة المعتقدات الشعبية التشبث بأسباب الحياة تحت كل الظروف • فتلك الكأس المقدسة كانت موضعا للبحث الطويل بعد انتهاء حياة المسيح على الارض . وظل البحث عنها مجالا خصبا للعقلية الشعبية كى تنسج حوله الروايات . وتخترع التفاصيل ، رابطة كل هذا بتراث زاخر من المعتقدات التى كانت موجودة من قبل فى عقول الناس ، والتى حاولت ترسيخ نفسـها بتلك الصبغة المسيحية ، كى تكتب لها الحياة والاستمرار فى ظل الثقـافة المسيحية الجديدة التى لم تكن لتقبل مثل هذه الخرافة لو لم تصطبغ بصبغة مسيحية ظاهرة • وهكذا يمكن أن نصادف هذا الوضع على مدى التاريخ . خاصة فى ظل الاديان السماوية المنزلة التى كانت تتمتع — خاصة فى عصورها الاولى — بحس نقى يريد أن يتصـدى للخرافة ويقتلعهـا من جذورها فى صدور الناس • فتتكتل عشرات الموتيفـات الاعتقـادية الشـعبية (الخرافية — وهى خرافية من وجهة نظر الدين الجديد) وتلتف حـول موتيفة لها قدسيتها فى هذا الدين الجديد . فتتسرب الى تراثه وتنفذ من بين دفاعات المقاومة العنيفة ، لترتع فى نفوس المؤمنين بوصفها عنصرا « نقيا » من العناصر الاعتقادية للدين الجديد •

ولعل أشهر الطقوس الدينية هى طقوس تقديم الاضاحى والقرابين للآلهة ، حيث نرى بوضوح أن كل ضحية انما هى فى جوهرها ضحية أو قربان دم (وليس قربان لحم) • حيث يجب ألا تقدم قرابين عبارة عن حيوان ميت ، أو قطع من لحم حيوان مذبوح فى مكان آخر ، وانما يجب

اسالة دم حيوان الاضحية أمام المذبح أو فى أثناء المناسبة المعتمدة لذلك • فالانسان يتقرب للآلهة ويسترضيها بتقديم أفضل شيء فى الوجـود ، ألا وهـو دم أول أبنائه • ثم تطـورت المجتمعات عن تلك الخطـوة ، وأصبحت تقدم الحيوانات بدلا من الوليد الاول • وكان يشترط فى كل تلك الاطوار أن يسال دم الاضحية بكمية كبيرة على مذبح الاله • ولعله من اللافت للنظر أنه فى كثير من الاحوال كان مقدموا الاضحية يشاركون فى الاكل من لحمها • كذلك تعرف بعض الديانات أن الاله كان يضـحى بدم ابنه فداء للانسانية جمعاء • ومن هنا أصبح قربان الدم بمثابة عهد وميثاق بين طرفين ، بين الاله ورعيته ، أو بين انسان وانسان •

اذ لما كان الدم مادة بمثل هذه الدرجة من الاهمية والخطـورة ، أصبح من الطبيعى أن يستخدم كأداة ايجابية فى تحقيق وشائج أوثق بين الانسان وأخيه الانسان ، وفى تأكيد العهود والمواثيق • ويمكن القـول بصفة عامة بأن ميثاق الدم مصطلح ينطبق على أى اتفاق يتم تأكيده أو توثيقه باستخدام دم الطرفين المتعاقدين • ويتم ذلك عن طريق شرب الدم المراق تأكيدا لهذا الميثاق ، أو يمزج مع الاكل ويؤكل معه ، أو يدخن ، أو يستحم فيه ، أو يمزج دم الطرفين ويراق على الارض • ومن الامور الجوهرية فى ميثاق الدم هو عملية تبادل دم الطرفين ، بحيث يتصـل كل طرف بدم الطرف الآخر •

ونجد اليوم — فى المراحل الحديثة لتطـور الثقـافة — أن بعض الاتفاقيات الحقيقية أصبحت تكتب بالدم أو توقع بالدم • كعهود المبايعة أو التأييد التى يرسلها المواطنون الى رؤسـاء الدول أو الملوك مكتوبة بالدم تأكيدا لقوتها وصدقها • وقد كانت مواثيق الدم على الدوام أقوى وألزم من الاتفاقات العارضة كمواثيق الخبز والملح (انظر عندنا القسم بالعيش والملح) ، لانها تخرج أرواح الاطراف المتعاقدة • وأهميتها فى نظر الانسان البدائى أن أى طرف من الطرفين لن يستطيع الحاق الاذى بالطرف الآخر دون أن يعود ذلك الاذى على فاعله لان دمه ممزوج بدم زميله •

ومن الاشكال الشـائعة لمـواثيق الدم ذلك الطقس الذى يتم بين طرفين متعاقدين أو أكثر لتأكيد اتفاق أو عهـد أبرم بينهم ، أو التآليف بينهم فى سبيل قضية معينة • ويتم ذلك عن طريق شرب كل منهما من دم الآخر ، أو أن يشرب كلاهما من دم شخص ثالث محايد أو حيوان آخر • ويحكى ماك ادوارد ليتش عن طقس معـروف من طقـوس مـواثيق الدم(٢١) • فعند شعب البومالى Boumali — على سبيل المثـال — يتم اقرار ميثاق السلام بين قريتين من قرى ذلك الشعب عن طريق جمـع سكان كل قرية منهما ، ثم يقتل أحد العبيد ، ويقسم جسده الى نصفين ، نصف لكل قرية من القريتين • ثم يقوم كل شخص حاضر هـذا الطقس بأكل قضمه من لحم ذلك العبد وشرب قطرة من دمه •

أما أشهر أنماط ميثاق الدم على الاطلاق فهو أخـوة الدم ، التى كانت تمارس — ومازالت الى حد ما — عند جميع الشـعوب بشكل أو آخـر • ويستمد مزج الدماء فى هذه الحالة ضرورته من أن الروابط الدموية القبلية (أى القرابة الدموية الفعلية) روابط على جانب كبير من القوة ، وأن أفراد الاسرة الواحدة يحرصـون كل الحرص على حمـاية بعضهم البعض ، وكذلك الثأر لبعضهم عنـد الضرورة • ومن هنا فان الشخص الذى لا اخوة له هو انسان فى وضع سيء وضعيف من عـدة وجوه • ولذلك يجد نفسه حريصا على الدخول فى ميثاق دم ، هو هنا أخوة دم ، مع نظير له يحتاج مثله الى الحماية والى الدعم • ومن شأن هـذا الميثاق أن يجعلهما اخوة شرعيين (أى من وجهة نظر المجتمع) أو اخوة حقيقيين • ويترتب لكل منهما قبل الآخر نفس حقوق الاخـوة ، كمـا تترتب عليه قبله نفس واجبات الاخوة • فيصبح من واجب أحدهما أن يتزوج أرملة « أخيه » بعد وفاته (اذا كانت القبيلة تأخذ بمثـل هـذا النظام)(٢٢) • ويرث ثروة « أخيه » •• الخ •

---

(٢١) انظر تليوس نونك الفولكلور ، مرجع سابق ، ١٤٩ .

(٢٢) يعرف هذا النظام باسم «الزواج الليفرانى» Levirate Marriage

اى زواج الرجل من ارملة أخيه . عن معالم هذا النظـام وتفاصيله ، =

ولا شك أن تفاصيل هذه الطقوس تختلف من شعب الى آخر ومن عصر الى آخر ، الا أنها تتفق جميعا على نقطة جوهرية واحدة هى تبادل الدم الذى يعد بمثابة خلق لعلاقة الاخوة الشرعية . ويورد ماك ادوارد ليتش فى مقاله المذكور طقسا جرمانيا قديما يوضح هذا المعتقد . يتعين على الرجلين اللذين يريدان أداء هذا الطقس أن يشيدا قوسا كاملا من الطين الممتزج بالعشب ، بحيث يصل طرفاه الى الارض . ثم يزحفان تحت هذا القوس ، ثم يفتحان وريدا فى رسغ كل منهما بحيث يسيل منه الدم ، ويمزجان دمهما ببعضه ثم يسيل على الارض تحت ذلك القوس وهما راقدان زاحفان . وبعد أن يتم ذلك المزج وتتم اسالة الدم يواصلان الزحف خروجا من تحت القوس كأنما ولدا من جديد من الارض الام ، فيصبحا أخوين الى الابد لهما شرعية نفس اخـوة الدم الحقيقيين ولا يختلفا عنهم فى شىء .

والملاحظ أن بعض رؤساء القبائل والقادة كانوا يستفيدون من تلك الطقوس لضمان أقصى قدر من الولاء ومن التفانى فى الخدمة من جانب أتباعهم . ويتم ذلك عن طريق الدخول فى ميثاق دم مع كل واحد منهم بحيث يصبح كل منهم أخا له . وتتصف تلك المجموعة التى يجرى معهـا رئيس القبيـلة أو الزعيم المؤاخاة بأنها ترتبط فيما بينها — من خـلال صلة كل واحد من أفرادها بالزعيم — برابطة أخـوة . وتتكون من تلك الجماعات جماعات المحاربين المنظمة كجمـاعة الكوميتاتوس الجرمانية ، وجماعة الفرع الاحمر الايرلندية ، ورفاق شارلمان ، وفرسان بروسيا ، وفرسان المائدة المستديرة .

= انظر فصل « الزواج » فى : بيلزوهويجر ، مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ، ترجمة الدكتور محمد الجوهرى والدكتور السيد الحسينى ، الجزء الاول ، دار نهضة مصر ، القاهرة ١٩٧٥ .

١٠ ـ الشعر والاظافر :

الشعر والاظافر وكذلك صماخ الاذن .. الخ مخلفات الانسان أو الأجزاء التي كانت تكون قطعة منه ، ثم قلمت أو نظفت فانفصلت عنه . لذلك تحرص كثير من شعوب العالم على المحافظة الشديدة عليها لان لها صلة وثيقة بشخصية صاحبها ويخشى أن تصل الى يد عدوه ، فيستطيع أن يمارس عليه سحرا ضارا بواسطتها[٢٣] .

ومن مظاهر الاهتمام بالشعر عملية قص « شعر البطن » ، وقص أظافر الطفل لاول مرة . فشعر البطن يجب العناية بالتصرف فيه اذ لا يصبح اطلاقا القاؤه هكذا ، بسبب صلته الوثيقة بشخصية صاحبه ، وقد يتخذ « أثرا » له يمارس عليه بعض العمليات السحرية « الاعمال » التي تنعكس على الطفل مباشرة . ونفس الشيء بالنسبة لبقايا أول أظافره ، فهي أيضا جزء من كيان الطفل يجب التصرف فيها بحذر[٢٤] .

وتعد الاظافر ــ وكذلك قلاماتها طبعا ــ محورا لعدد كبير من المعتقدات والممارسات المتفاوتة أشد التفاوت . فهي تدخل في سحر الحب بأنواعه ، كما تلعب دورا في التنبؤ بمعرفة طالع الشخص وتحديد أحبائه وأعدائه (من واقع البقع البيضاء التي قد تكون موجودة عليها) ، كما تستغل على نطاق واسع كما نعلم لايقاع الضرر بصاحبها أو ممارسة السحر الضار عليه ... الخ[٢٥] .

---

(٢٣) يقال ان بعض جماعات الهنود يلقون قصاصات الشعر وقلامات الاظافر من على المنحدرات الصخرية الشاهقة لتاخذها الارواح والكائنات فوق الطبيعية التي يعتقدون في وجودها هناك . انظر مزيدا من التفاصيل في قاموس فونك للفولكلور ، مرجع سابق . ص ٣٩٧ . وانظر كذلك احمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية ، القاهرة ، ١٩٥٣ . ص ٢٤٩ .

(٢٤) انظر التفاصيل في دراستنا عن « الطفل في التراث الشعبي » ، مقال بمجلة عالم الفكر ، ١٩٧٩ ، مرجع سابق ، ص ص ٤٠ ــ ٤١ .

(٢٥) انظر رسالتنا للدكتوراة عن السحر الاسلامي المصري ، مرجع سابق ، فصل الممارسة السحرية .

وقد أشار ريمون جيمسون فى مقاله عن الاظافر بموسوعه فونك للفولكلور الى طائفة من تلك المعتقدات والممارسات الشائعة حول الاظافر فى مختلف تلك الثقافات(٢٦) • ففى الجزر البريطانية والولايات المتحدة يعتقد أن الوليد سيصبح لصا اذا قصت له أمه أظافره قبل أن يبلغ العام من عمره • ولهذا السبب تعمد الامهات الى قضم أظافر أطفالهن فى الفترة الاولى من عمرهم على الأقل •

وهناك معتقد شعبى يرى أن البقع البيضاء على ظفر الاصبع الابهام تعنى أن صاحبها سوف يحصل على هدايا ، أما وجود تلك البقع على اصبع السبابة فتدل على عدد أصدقاء الشخص ، ووجودها على اصبع الوسطى يدل على عدد أعدائه • أما البقع التى توجد على اصبع البنصر من اليد اليسرى فتعنى أنك سوف تتسلم خطابا أو أن الحبيب سيحضر لرؤياك • وتعنى البقع على اصبع الخنصر أنك بصدد القيام برحلة •

ومن المعتقدات الذائعة فى عدد من الثقافات أن تقليم الاظافر يقوى البصر • واذا قلمتها والقمر فى المحاق فانها لن تنمو بسرعة • أما اذا قلمتها يوم جمعة فسوف يؤدى ذلك اما الى شفاء آلام بالاسنان أو يسبب لك مثل هذه الآلام(٢٧) • بل ان الحلم بتقليم الاظافر له دلالة فى المعتقد الشعبى أيضا • فعند زنوج جنوبى الولايات المتحدة أن رؤية تقليم الاظافر فى الحلم تنبىء بحدوث فشل ما لصاحب الرؤيا فى حياته • وتقليم الاظافر يوم الاثنين يعنى أن هناك أخبار جديدة ستصل للشخص، وتقليمها يوم الثلاثاء يعنى أنه سيحصل على أحذية جديدة • أما تقليمها

---

(٢٦) أنظر قاموس فونك للفولكلور ، مرجع سابق ، ص ص ٣٠٨ — ٣٧٩ .

(٢٧) أنظر تفسيرنا لظاهرة الازدواج فى المعتقد الشعبى ، ان تعنى الظاهرة الشىء أو عكسه حسب الظروف ، فى الفصل الاول (التمهيدى) من هذا الكتاب .

يوم الاربعاء فسوف يضطرك الى السفر ، ويوم الخميس يعنى الحصول على أحذية جديدة أيضا ، أو اصابة فاعل ذلك بالمرض • وتقليم الاظافر يوم الجمعة يعنى اما الحصول على مال أو الاصابة بآلام فى الاسنان • أما اذا قلمتها يوم السبت فكن على يقين من أنك ستـرى حبيبك يوم الاحد • أما اذا قلمت يوم الاحد فسوف يجلب ذلك الحظ السيء : فتدخل فى عراك ، أو ترى الدم سائلا قبل حلول الصباح ، أو ينفذ الشيطان الى جسمك •

وعلاوة على ذلك تدخل قلامات الاظافر فى الاعمال السحرية التى تتصل بالحب والعواطف ، خاصـة اثارتها وتأجيجها • ليس فى ثقافتنا العربية فحسب ، بل فى ثقافات كثير من الشعوب • فنجدها منتشرة أوسع الانتشار لدى زنوج جنوبى الولايات المتحدة (فاذا نقعت قلامات أظافرك فى كأس من النبيذ ، ثم قدمت هذا النبيذ للشخص الذى تحبـه ، فانه سيحبك حبا شديدا) • (واذا دفنت قلامات أظافر شخص ميت فى كيس صغير تحت عتبة باب عدوك ، فسوف يشعر عدوك هذا بالقشعريرة ويظل كذلك الى أن تبعد هذا الكيس من مكانه) • (واذا نثرت قلامات أظافر شخص ما فى طريق يكون من المؤكد أنه سيسير فيه ويخطط فوقها ، فان ذلك الشخص سوف يخضع لسيطرتك ويصبح طوع بنانك للخير أو للشر على السواء)(٢٨) •

وتستخدم الاشكال التى تتخذها قلامات الاظافر بعد تقليمها ، كأن تتخذ شكل الهلال ، أو الندوب أو الاشكال الموجـودة عليها •• الخ فى التنبؤ بمستقبل الشخص وما سيجرى له من أحداث ، تمـاما كما هـو معروف عن قراءة الكف ومعرفة الطالع •• الخ •

---

(٢٨) انظر مزيدا من النمـاذج فى قاموس فونك للفولكلور ، المرجـع السابق ، نفس الموضع •

١١ — العين :

العين من حيث شكلها وما يعتريها من ظواهر (خاصة رف العين) موضع اهتمام عدد من المعتقدات الشعبية . « فالعين اذا كانت صغيرة الحدق دلت على سوء دخيلة ، وخبث شمائل . واذا وقع الحاجب على العين دل على الحسد . والعين المتوسطة فى حجمها دليل فطنة وحسن خلق ومروءة »(٢٩) .

كذلك رف العين ، « فاذا رفت العين اليمنى تنبأ صاحبها بحدوث شر ، واذا رفت العين اليسرى تنبأ بحدوث خير »(٣٠) .

ومن العلامات الجسمية التى تثير المعتقد الشعبى ويتخذ منها مواقف معينة ظاهرة التقاء الحاجبين عند الشخص رجلا كان أو امرأة . والشائع فى المجتمع المصرى (شواهد من القاهرة ومناطق حضرية أخرى) أن مثل هذا الشخص — بصرف النظر عن كونه رجلا أو امرأة — يكون شخصا سعيد الحظ موفقا فى حياته .

ولكن اذا رجعنا الى تراث الشعوب الاخرى نلقى نظرة على موقفهم من نفس الظاهرة وجدنا بعضها يعتبرها علامة من علامات الجمال ، بينما تعده مجتمعات أخرى أنه من نوع الانسان الذئب ، أو مصاص الدماء ، أو ممارس السحر الضار . وهناك شواهد على هذه المعتقدات من جنوب روسيا ، واليونان ، وبوهيميا ، وألمانيا ، والدانمرك ، وأيسلندة ، والهند .

أما فى انجلترا والصين فيعتقد أن الشخص الذى يلتقى حاجباه شخص سعيد الحظ ، أما نظرتهم الى الفتاة التى تتميز بنفس الظاهرة

---

(٢٩) النويرى ، نهاية الارب ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٤٩ .

(٣٠) احمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

يختلف فيها الرأى ، ففى بعض المجتمعات يعتقد أنها ستوفق فى زواجها ، ويعتقد فى مجتمع آخر أنها لن تتزوج اطلاقا أو أنها ستكون زوجة سيئة(٣١) •

١٢ — القلب :

تعتقد بعض الشعوب أن أكل قلب شخص ما ينقل الى آكله خصائص ومميزات الشخص الذى يؤكل قلبه • والملاحظ أن هذا المعتقد معروف عند كثير من شعوب العالم ، وردت عنه أشارات متعددة من عصور متلاحقة • وان كان هناك بعض الاختلاف فى تحديد المقصود بالقلب ، هل هو القلب فعلا ، أم الكبد ، والسبب أن كليهما كان يعتقد أنه مصدر الدم أو مركز الروح فى الجسم ، وبالتالى موطن القوة ومركز السمات المميزة لصاحبه(٣٢) •

ويشير قاموس فونك الى عديد من الشواهد المعروفة من العصر الحاضر على هذه الممارسة(٣٣) • فقد عمد أبناء الاشانتى الذين قتلوا السير تشارلز ماكارثى فى عام ١٨٤٣ الى أكل قلبه كى يكتسبوا نفس القدر من الشجاعة التى كان يتحلى بها •

~~وتحكى تقارير الانثروبولوجيين أن هذه العادة منتشرة أيضا عند~~ الباسوتو Basuto فى أفريقيا • وتشير دراسات أخرى الى أن الشائع فى بعض مناطق غرب أفريقيا أن يأكل خليفة الملك قلب سلفه الملك السابق •

وتعتقد شعوب أخرى أن أكل قلب الاسد ، أو الضبع ، أو الذئب أو الدب يمنح فاعله الشجاعة والقوة التى يتميز بها كل من تلك

---

(٣١) انظر قاموس فونك للفولكلور ، مرجع سابق ، ص ٣٦٠ •
(٣٢) تجدر الاشارة هنا الى قصة هند مع الحمزة بن عبد المطلب فى غزوة احد •
(٣٣) انظر قاموس فونك ، مرجع سابق ، ص ٣٣٦ •

الحيوانات • أو يعتقدون أن أكل قلب ابن آوى أو الارنب يصيب فاعله بالجبن ، أو أن أكل الثعبان يهب فاعله موهبة التفـوق فى فهم اللغـات والتحدث بها •

١٣ — الكبـد :

قال أفلاطون أن الكبد هو المرآة التى تسقط عليها أفكار العقـل وتنعكس كصورة للروح • كما جاء فى الاوذيسة أن الكبد هو موطن الرغبة فى الجسد ، ومن ثم فان أكل الكبد يثير الرغبة لدى الآكل • وقـد أدعى فيلسوف فرنسى فى أثناء القرن السابع عشر أن العقل ، والكبد ، والقلب هى أول أجزاء الجسم خلقة ، ومن ثم فهى مقر الروح عند الانسـان • (كما أن هناك حكايات شعبية تذهب الى الرأى نفسـه ، انظـر طراز رقم E 714.)(٣٤) •

الا أن أشهر الصفات المعروفة عن الكبد أنه موطن القوة والشجاعة عند الشخص • وتتردد هذه الفكرة عند شعوب عديدة متباعدة عن بعضها أشد التباعد : كالعرب الجاهليين ، وشعب الفيدا فى سـيلان ، وبعض قبائل منطقة الهند الصينية ، وشعب البانتو ، وبعض قبائل الهنود الحمر فى أمريكا الشمالية ••• الخ • كل أولئك كانوا يأكلون أكباد ضـحاياهم الذين يسقطون فى المعركة لكى يكتسبوا شجاعتهم وقوتهم (نشير هنا مرة أخرى الى قصة هند مع سيدنا حمزة بن عبد المطلب) •

كما نجد أبناء شعب بتشوانا يأكلون كبد الثور ليزدادوا شـجاعة وذكاء • وان كان يعتقد أن أكل قطعة واحـدة منه تصـيب الشـخص بالنسيان ، ولذلك تقبل على أكلها النسـاء اللائى يردن نسـيان أشـياء كثيرة • ويعتقد أبناء بعض قبائل أفريقيا الوسطى أن أكل كبد التمساح

---

(٣٤) انظر هذه المادة فى قاموس فونك للفولكلور ، مرجع سابق ، ص ص ٦٣٦ — ٦٣٧ •

يقوى الروح • وكان الهنود فى القرن الثالث الميلادى يأكلون كبد التنين لكى يفهموا لغة الحيوانات •

وهناك شعوب أخرى تفضل أكباد أنواع معينة من الحيـوانات • فالرومان كانوا يعتبرون كبد وحيد القرن(٣٥) شـيئا عظيم القيمة ، وان كانوا يقبلون على أكل كبد النسر • أما الاغريق فكانوا يقبلون على أكل كبد الاوزة • وكان الاوربيون فى القرن السادس عشر يقاومون الاعمال السحرية الشيطانية الضارة بأكل كبد قطة سوداء •

وتدل آثار المصريين القدماء على أنهم كانوا فى عهد قديم يرجع الى عام ١٨٥٠ قبل الميلاد يعالجون العشى (العمى الليلى) بأكل الكبـد • وهو استخدام مازال معروفا حتى أيامنا هذه بسبب كون الكبد غنيا بمادة الكاروتين • وكان بلينوس يوحى بأكل كبد ابن عرس لعلاج أمراض الكبد عند الانسان • أما هنود الاوماها الحمر فكانوا لا يأكلون الكبد للشجاعة فحسب ، وانما لتحسين وتجميل الصـوت أيضـا • أما زنوج منطقـة المسيسبى فى أمريكا فكانوا يضعـون كبد العجل على الجـرح للتعجيل بشفائه •

ومعروف أن التنبؤ بالغيب باستعمال الكبد يعد أقدم وسائل التنبؤ المعروفة على الاطلاق ، وقد صنع الاثريون نمـاذج من الصلصال أو الحجر لبعض نماذج من الكبد مبين عليها العلامات التى يلاحظها العراف ويتنبأ على أساسها • ومازال يعتقد حتى الآن فى ايطاليا أن أكل كبد المرأة توهب آكلها القدرة على استخدام السحر ، هذا على الرغم مما نعرفه من أن أكل كبد المشعوذ كان أقـوى ترياق يمكن استعماله ضـد الاعمـال السحرية • ويعمد بعض زنوج منطقة المسيسبى الى دفن كبد الشخص

---

(٣٥) وحيد القرن Unicorn حيوان خرافى له جسم فرس وذيل أسد وقرن وحيد فى وسط الجبهة .

المقتول بعيدا عن جثته ، على اعتقاد أن القاتل سوف يجد نفسه مدفوعا الى ذلك المكان المدفون فيه الكبد ، ومن ثم يمكن التعرف عليه كما يقوم الاسكيمو بأكل كبد ضحيتهم لتهدئة رغبة الثأر عند أهله ولتهدئة الشبح الذى يتخلف عن قتله •

كما يعتقد أن كبد الشخص « الاشول » يقع فى الجانب الايسر من جسمه •

١٤ — الاذن :

يعد طنين الاذن اليمنى فى أوربا الشمالية فألا طيبا بالنسبة لصاحبه • ويعرف التراث الهندوكى اشارات مماثلة لهذه الفكرة ، وان كان يضاف الى ذلك أن طنين الاذن اليسرى عند المرأة يحمل نفس الدلالة• وفى التراث الشعبى الهندى الذى يبحث فى الخصائص الفيزيقية للانسان نجد أن الرجال الذين يتميزون بأذنين طويلتين يكون مؤكدا أنهم أشخاص فاسقون لا يلتزمون القواعد الخلقية • بينما نجد فى التراث الشعبى لمجتمعات أخرى أن قرب الاذنين من رأس الشخص يدل على أنه بخيل •

والملاحظ كذلك أن حلى الاذن اذا لم تكن ملبوسة بهدف الزينة فانها تكون فى العادة جزءا من الاحجبة الكثيرة التى يلبسها الناس لحماية فتحات الجسم ضد المؤثرات ، والارواح الشريرة ، والقوى التى تسبب الامراض •

وهناك بعض القصص الشعبية الهندوكية التى تحكى أن اللصوص كانوا يعاقبون — عند اكتشافهم — بقطع آذانهم (فى مقابل قطع اليد فى التراث الاسلامى) • ونجد أن مجتمعات أخرى كانت تعاقب المرأة غير الوفية بقطع أذنيها • بينما نجد أن بعض مجتمعات الشرقين الاوسط والاقصى كانت تعاقب المرأة على هذه الجريمة بجدع الانف وليس الاذن•

ويحدثنا النويرى أن وجود الشعر على الاذن يدل على جودة السمع عند صاحبه ، وأن الاذن الكبيرة المنتصبة تدل على حمق وهذيان[٣٦] • أما عن طنين الاذن فيحدثنا أحمد أمين فى « قاموسه » أنه « اذا طنت الاذن اعتقد بعض المصريين أن أحدا يذكر من طنت أذنه فى تلك الساعة فيضع يده عليها ، ثم لا يزال يذكر أسماء من يظن أنهم ذكروه بعد أن يسد أذنه بوضع يده عليها • فاذا ذكر الاسم الذى كان يذكره سكت الطن • ويقولون اذا طنت الودن اليمنى عدو مبين ، واذا طنت الودن الشمال جيبنى نسال » • كما أن طنين الاذن نذير بسماع أخبار جديدة . حيث يقول المثل الشعبى : « يا ودن طنى كل يوم خبر جديد »[٣٧] •

٧٥ — الايدى :

على الرغم من أن التفسير العام لليدين وما تحويهما من علامات هو من اختصاص ما يسمى بعلم الكف ، الا أن اليدين — مع ذلك — تلعبان دورا مختلفا فى التراث الشعبى[٣٨] •

— فاليدان تستخدم كلغة رموز أساسية عند الصم والبكم . وهى فى ذلك متطورة الى حد أنه يمكنهم التعبير عن معان كثيرة بواسطتها •

— ويستخدم اصبعا السبابة والوسطى — عند الشعوب الغربية — مفرودين بحيث يتخذ شكل حرف V اللاتينى للدلالة على النصر (فهو الحرف الاول من كلمة Victory •

— كما تستخدم اليدان فى كثير من الممارسات الدينية فنلاحظ أن

---

(٣٦) النويرى ، نهاية الارب ، مرجع سابق ، الجزء الثالث ، ص ١٤٩ •
(٣٧) أحمد أمين ، قاموس العادات والتقاليد المصرية ، مرجع سابق ، ص ٢٩ •
(٣٨) انظر التفاصيل والشواهد الواردة فى قاموس فونك للفولكلور ، مرجع سابق ، ص ص ٤٧٧ — ٤٧٨ •

انطباق المتدينين على يديهم — بشـكل طقوسى فى لحظـات معينة من الممارسات الدينية — يعد أمرا هاما فى عبارات بعض طوائف البوذيين ، واللاميين ، والمسيحيين ، وغيرهم من الجماعات الدينية •

— ونعرف أن وضع اصبع الابهام محشورا بين اصبعى الوسطى والسبابة يتخذ كوسيلة لابعاد العين الشريرة فى الصين وايطاليا وغيرهما•

— كما أن حك الانف بالاصبع يعد حركة مهنية واستفزازية عنـد أغلب شعوب العالم المعروفة •

— وتستخدم اليدان على نطاق واسع وبشكل معقد فى الجمعيات والعلاقات الاخوية أو التضامنية على نحو أو آخر ، وبحيث يمكن القول بأن هناك لغة لتلك الجمعيات تقوم على استخدام اليدين لكى لا يفهمها العالم المحيط بهم ، وليسهل عليهم التعرف على بعضهم •

— وتستخدم اليدان فى بعض بلاد الشرق لطرد الارواح الشريرة من الجسم ، وذلك عن طريق اللف بها حول رأس الشخص المصاب ، كما يحدث فى حالة « الرقوة » •

— وتكتسب عقوبة قطع يد السارق دلالة خاصة تشير الى أهمية اليدين فى نظر المجتمع العربى الاسلامى، لانه بدون هذه الاهمية لايكون لمثل هذه العقوبة دلالتها ، لاننا رأينا فى موضع سابق ، كيف أن بعض المجتمعات الاخرى تعاقب على نفس الجريمة بجدع أنف السارق •

— ونذكر أيضا أن المسلمين يعتبرون اليد اليسرى نجسة أو مكروه استخدامها (فى تناول الطعام مثلا أو المصافحة •• الخ) ، وعند الغزالى تعليمات كثيرة عن استخدامات كل من اليدين •

— وأخيرا نلاحظ أن أكلان اليد له دلالة خاصة فى المعتقد الشعبى•

فاذا كان فى اليد اليمنى كان ايذانا بأنه سيضرب أحـدا ، واذا كان فى اليسرى كان ايذانا بأنه سيسلم على أحد أو سيقبض مالا[٣٩] .

١٦ ـ الاصابع :

معروف أن الاصـابع هى الاخرى محور لعـديد من المعتقـدات والممارسات الشعبية . وتغطى تلك المعتقدات والممارسات مجالا واسعا من ألوان الحياة ابتداء من ضرورة عقد الاصابع عند اجتياز أحد المقابر، حتى الاحترام الكبير الذى نلحظه للاصابع كبقايا مقدسة لجسد صاحبها ، الى الطقوس التى توجد عند بعض الشـعوب البـدائية الخاصة ببتر الاصابع فى بعض المناسبات الدينية الخاصة .

فعند شعب البنجا Benga فى غرب أفريقيا ـ على سبيل المثال ـ يحتفظون فى كيس صغير بالعقل (جمع عقلة) الاولى لاصابع أسلافهم الموتى ، (الى جانب قلامات أظافرهم وخصلة من شعرهم) . وتضاف الى ذلك الكيس عقلات أصـابع وقـلامات أظافر أفراد الاسرة الذين يموتون بعد ذلك . ويحتفظ بتلك المجموعة بعناية لتسلم من جيـل الى الجيل التالى بكل حرص كبقايا مقدسـة من شـأنها أن تحقق الارتباط المطلوب بين أفراد الاسرة الاحياء وأسلافهم الموتى . كذلك يحتفظ أبناء جزر السولومون Solmon بنظام أصابع زعمائهم وأبطالهم فى أضرحة القرية ، وتؤدى لها طقوس الاحترام والتقديس .

وتنتشر لدى كثير من الشعوب البدائية ممارسات جدع بعض أصابع اليدين لاغراض سحرية أو دينية ، كنوع من تقديم الاضاحى للآلهة أو محاولة لاسترضائهم ، أو لتحقيق علاج أو نجاح أقارب الشخص المضحى نفسه . كما تقطع بعض أصـابع اليدين كتعبـير عن الحـزن فى بعض

---

(٣٩) انظر احمد امين ، القاموس ... ، مرجع سابق ، ص ٢٩ .

المناسبات أيضا . فنعرف عن جزر مينجي — على سبيل المثال — أن وفاة زعيم معين تتطلب التضحية بمائة اصبع . وأحيانا يقطع اصبع طفل صغير أو عقلة منه كقربان عند وفاة والده . وهناك بعض الشواهد على أن نساء شعب الهوتنتوت تقطع عقلة اصبع لها عند وفاة زوجها . وفى جزر التونجا Tonga يقطع الناس عقلة اصبع الخنصر كقربان للآلهة أو للعمل على شفاء قريب يعانى من المرض .

وقد أشار السير جيمس فريزر فى كتابه « الفولكلور فى العهد القديم »(٤٠) الى ما كتبه بعض الدارسين الاوائل من أن الهوتنتوت والبوشمن يقطعون عقلة من اصبع الخنصر عند الطفل الوليد كقربان لاطالة عمره خاصة اذا كان قد سبق أن توفى لوالديه أطفال من قبل . ويقال أن بعض قبائل المناطق الساحلية من سكان استراليا الاصليين يقطعون بعض عقلات من أصابع أولئك الفتيات ليصبحن صيادات ماهرات .

ومن الممارسات الشائعة فى أوربا بصفة عامة وكذلك فى الولايات المتحدة أن يعقد الشخص أصابعة لدى اجتيازه الجبانة ، على اعتقاد أن ذلك يحمى الشخص مما قد يلحق به من أضرار أثناء ذلك ، فيمنع الشيطان أو الارواح الشريرة من النفاذ الى جسم الشخص .

وليست المعتقدات قاصرة على الاصابع فحسب ، وانما تمتد الى استخدامها أو الاشارة بها كذلك . اذ يعتقد زنوج جنوب الولايات المتحدة أنه اذا أشرت باصبعك الى احدى الشجار المثمرة ، فان ثمارها سوف تسقط أمامك على الارض . ولكن حذار أن تشير الى أحد المقابر . ان فعلت ذلك فسيؤدى ذلك اما الى التعجل بموتك أنت ، أو أن الشبح

---

(٤٠) صدرت ترجمة عربية لهذا الكتاب الهام (فى مجلدين) اعدتها الاستاذة الدكتورة نبيلة ابراهيم ، الهيئة العامة للكتاب ، القاهرة . ١٩٧٣ — ١٩٧٤ .

الموجود داخل تلك المقبرة سوف يخرج منها ويطاردك ، أو أن ذلك الاصبع الذى أشرت به سوف يصاب وينسقط •

كما أن هناك معتقدات مرتبطة بأصابع معينة من أصابع اليد • اذ يشيع عند زنوج الولايات المتحدة الاعتقاد بضرورة عدم لمس أى جرح باصبع السبابة لان ذلك يكون نذيرا بحدوث شيء رهيب • ولا شك أن ذلك يشير الى معتقد أوربى أقدم كان واسع الانتشار فى أوروبا مؤداه أن اصبع السبابة سام ولذلك فان الجرح الذى يلمسه لن يشفى اطلاقا •

وتزخر الاساطير والحكايات الشعبية على مستوى العالم بالعديد من الاشارات والرموز المرتبطة بالاصابع • فأصابع القديسين تشع النور والنار (طراز F. 552. 2) ، ونسمع أن الاطفال قد تتغذى أحيانا من أصابعها (طراز T. 611. 1) كما كان الحال بالنسبة لابراهيم • كما أن بعض الابطال ذوى القوة الخارقة يتميزون أحيانا بزيادة عدد أصابع اليد عن الخمسة (طراز F. 552. 1) فيكون ذلك من أمارات التعرف عليهم(٤١) •

وعلاوة على هذا نجد أن المنجمين والفلكيين يهتمون بالاصابع اهتماما خاصا ، خاصة المختصين منهم بكشف الطالع من قراءة الكف ، ونجد لديهم أسماء خاصة لكل اصبع من الاصابع يكشف عن صلته بنجم معين ••• الخ •

كما يعتقد أن اصبع البنصر من اليدين وثيق الصلة بالقلب ، وهو ما يفسر اختياره للبس خاتم الخطوبة والزواج • حتى يعتقد أنه اذا انغمس هذا الاصبع ولو قليلا فى السم ، فان الشخص يحس بتأثير السم فى جسمه بمنتهى السرعة •

---

(٤١) انظر مزيدا من النماذج والتفاصيل فى المقال المذكور فى قاموس فونك للفولكلور ، مرجع سابق ، ص ص ٣٧٩ — ٣٨٠ •

وعلاوة على هذا كله فان الاصابع تدخل فى عـــدد كبـــير من ألعاب الاطفال ، تلك التى يلاعبهم بها الكبار ، مثل عدد كبير من ألعاب الاطفال فى أوربا وعندنا • ولعل أشهرها جميعا عندنا لعبة « البيضة واللى اشتراها واللى سلقها •• الخ » والتى تنتهى بدغدغة الطفل من ابطيه •

١٧ — آثار القدمين :

ترجع أهمية الآثار التى تخلفها القدمان على الارض الى أنها علامات أو آثار لجسد صاحبها ، ومن ثم يمكن التأثير عليه تأثيرا ســحريا من خلالها • ويعتقد أبناء بعض القبائل الاسترالية أنه من الممكن اصـابة شخص بالعرج عن طريق وضع أحجار ذات حروف مدببة أو بعض قطع الزجاج المكسور فوق الآثار التى خلفتها قدماه على الارض • وفى بورما وشمالى الهند يعتقدون أن الاوجاع التى تصيب القدمين ترجع فى الغالب الى استغلال عدو أو ساحر لآثار أقدام ذلك المريض • وتحرص كثير من القبائل الافريقية حرصا كبيرا على طمس آثار الاقدام لهذا السبب ، لكى لا يستغلها أحد من أعدائهم فى التأثير سحريا عليهم • بل ان الحشرات التى تعدو هنا وهناك وتعمل بزحفها هذا على طمس آثار أقدام الصيادين والمحاربين تحظى بتقديس خاص عند كثير من الشعوب البدائية • ويعمـد صيادو شعوب الزولو ، والهوتنتوت وأبناء بعض قبائل غرب أفريقيا الى وضع الاحجبة والاعمال السحرية فى الطرق التى تمر فيها فرائس الصيد التى يبسعون فى اثرها ، وذلك بهدف منع تلك الطرائد من أن تذهب بعيدا أكثر مما يجب • ونفس الشىء يفعله صيادو بعض القبائل الهندية الحمراء فى أمريكا الشمالية •

ويعتقد فى منطقة بوهيميا أنه لكى تصيب شخصا بالعرج أو آلام الساق عليك أن تأخذ تراب آثار قدميه وتضعه فى غلاية ومعه مسمار ودبوس وبعض قطع الزجاج المكسور ، وتترك الخليط يغلى الى أن تتصدع

تلك الغلاية • عندئذ سيصاب ذلك الشخص بالعرج بقية عمره • ويعتقد فى ولاية ليتوانيا (على بحر البلطيق) أنه اذا دفن تراب آثار قدمي أحد الاشخاص فى جبانة فان ذلك الشخص سوف يمرض ويموت • ويعتقد فى ولاية استونيا (المجاورة للولاية السابقة) أنك اذا قست أثر القدمين بعصاة وقطعت من تلك العصا على قدر الاثر ودفنت تلك القطعة فى مقبرة ، فانه يتحقق لصاحب الاثر نفس النتيجة ، أى مرض حتى يموت •

ويعتقد بعض زنوج جنوبى الولايات المتحدة أنك اذا حملت تراب آثار قدمى أحد الاشخاص فى خرقة حمراء ، وحملت معك تلك الخرقة ، فان صاحب الآثار سوف يكون مرغما على أن يتبعك حيثما ذهبت • ومن الواضح أن هذه الوصفة تنتشر فى مجال الحب بشكل خاص • كذلك تعمد نساء الزونى فى بعض الاحيان الى وضع تراب آثار قدمى أزواجهن حيث ينمن ، كى يضمن اخلاص الازواج لهن •

وتحفل الحكايات الشعبية بعديد من الشواهد على استخدامات مماثلة لآثار الاقدام ، أو معتقدات مغايرة ولكنها تستند الى نفس الاساس الاعتقادى ، وهو أن آثار القدمين جزء من كيان صاحبها ، فممارسة سحر عليها هو تأثير على صاحبها ، وبشكل عام كل تأثير عليها ينتقل الى صاحبها على التو ان خير أو شرا • الا أن المتغيرات الموجودة فى الحكايات الشعبية قد تكون أكثر خيالا وربما أشد تعقيدا • فمن الممكن البطل أن يجعل آثار أقدامه تشبه آثار أقدام الحيوانات ، ان هو استوفى شروطا معينة • وفى بعض الاحيان تتخذ آثار الاقدام رمزا للحياة (فى الاساطير الايسلندية) • واذا امتلأت آثار أقدام البطل بالتراب ، فمعنى ذلك أن البطل مريض ، ولكن اذا امتلأت بالدم ، فمعناه أنه قد لقى حتفه فى المعركة •

وعلاوة على كل هذا تتناول الاساطير المحلية فى كل مكان من العالم الآثار الباقية على الصخور ، والجرف (جمع جرف) ، والجبال وتفسرها

باعتبارها آثار أقدام آلهة (محليين) ، أو شياطين ، أو أنبياء ، أو كائنات فوق طبيعية ... الخ[٤٢] .

١٨ — العفة واختباراتها :

تعرف كل المجتمعات بعض الاختبارات التي تهدف الى التحقق من اخلاص المرأة لزوجها أو الرجل المرتبطة به . ويزخر التراث الشعبي بالعديد من هذه الاختبارات . منها ما تحويه الحكايات ، ومنها ما جاء في الاساطير ، وغير ذلك . وهي ترتبط في الغالب بالامتحان الإلهي أو الأورديل Ordeal واختبار النار هو أكثر أنواع الامتحان الالهي شيوعا في تاريخ الثقافة حيث يطلب من المرأة المشكوك فيها

— أن تضع يدها في ماء يغلي .

— أو تضع يدها في رصاص يغلي .

— أو تضع يدها أو قدمها في اللهب .

— أو تجبر على أن تمشي حافيه القدمين على شفرات (سن) المحرات التي تكون قد احمرت من شدة سخونتها ... الخ .

فاذا أصابها ضرر فانها تكون مذنبة (ومن ثم يحق عليها العقاب) ، أما اذا لم تصب بضرر من وراء هذا الامتحان فهي بريئة .

وهناك عدا اختبارات النار اختبار الماء : حيث تلقى المرأة المشكوك فيها في مجرى مائي فاذا اغرقت فهي مذنبة ، أما اذا طفت فهي بريئة .

وهناك نوع آخر من الاختبارات تحكي عنه الاسطورة حيث صنع

---

(٤٢) انظر مزيدا من التفاصيل تحت مادة « آثار القدمين » footprint في قاموس لونك للفولكلور ، مرجع سابق ، ص ص ٤١٠ — ٤١١ .

فرجيل — بوصفه عرافا — ثعبانا ضـخما من النحاس الأصـفر كأداة للاختبار الميكانيكى للعفة • فيطلب من المرأة المشكوك فيها أن تضع يدها فى فم ذلك التمثال ، فاذا كانت مذنبة ، فان ذلك الحيـوان (التمثـال) سوف يطبق فكيه على يدها ويفصلها عن جسمها ، أما اذا كانت بريئة فلن ينالها أى أذى •

وهناك علاوة على هـذا طائفـة أخرى من الاختبـارات التى تتم بالاستعانة ببعض الأشـياء الشخصية التى يعطيها الزوج أو العشـيق للمرأة التى يريد التأكد من طهارتها • ومن أمثلة تلك الأشياء الثوب الذى أعطاه الملك هورن Horn لزوجتـه والذى يظـل أبيض اللون طالما كانت صاحبته عفيفة • وكذلك الخاتم الذى يعطيه الزوج لزوجته عند سفره ، فاذا خانته ضاق الخاتم على أصبعها بحيث يؤذيها وربما قطع الأصـبع الذى تلبسه فيه وفصله عن يدها ، فيظل ذلك الأمر شاهدا على جرمها • ومنها أيضا السيف الذى يعطيه الزوج لزوجته فاذا خانته صدأ السيف ••• وهكذا[٤٣] •

---

(٤٣) انظر مزيدا من الشواهد حول هذا الموضـوع فى قاموس فونك للفولكلور ، مرجع سابق ، ص ٢١٤ •

الفصل الثالث

الزار

يعتبر الزار بما يقوم عليه من معتقدات وما يدور حوله من طقوس وممارسات من أبرز الظواهر التى يعرفها المعتقد الشعبى المصرى • كما أن الزار يعد بشكله الراهن وبخصائصه التى سنفصل الكلام عنها من الظواهر المميزة للتراث الشعبى المصرى • والزار فى جوهره عبارة عن حفل — ذى مقومات خاصة — يستهدف طرد الارواح أو استرضائها • ويتم ذلك من خلال تقديم الاضاحى والقرابين ، وأداء بعض الرقصات ذات الايقاع الساخن السريع •

١ — الدراسات السابقة :

يندر أن نجد دراسة معاصرة — محلية كانت أو أجنبية — للمعتقدات الشعبية المصرية لا تشير الى الزار من بعيد أو قريب • بينمـا اللافت للنظر — كما يشير الى ذلك كريس Kriss — أن المصادر القديمة لا تشير اليه الا باقتضاب ، ودون أن تتطرق الى التفاصيل • ولكن عاد فى العصر الحديث يحتل مكانة بارزة بين سائر موضوعات المعتقد الشعبى المصرى • ونذكر على رأس هـذه الدراسـات مقال « زار » فى دائرة المعـارف الاسـلامية(١) ، ومقال تسـفيمر Zwemer (٢) ، ومقـال سـليجمان Seligman (٣) •

---

(١) Cerulli; Art. Zar; in : The Encyclopedia of Islam; 1934; P. 1217.

(٢) Zwemer: Samuel M.; The Influence of animism on Islam; London: 1920; PP. 22 ff.

(٣) Seligman: Brenda Z.; «On the origin of the Egyptian Zar»; in : Folklore; 1914; Vol. 25; PP. 300-323.

ويجب ألا نقتصر على الدراسات التى أجريت عن الزار المصرى ، فهناك دراسات عن الزار فى موطنه الاصلى الحبشة ، ونذكر منها دراسة تريمنجهام Trimingham (٤) ودراسات ميشيل لايرى M. Leiris (٥) وأخيرا مارسيل جريول Marcel Griaule (٦) .

ويذهب لايرى فى دراساته الهامة التى سبقت الاشارة اليها الى أن الزار يقوم فى الحبشة على نفس الاسس والعناصر التى يعتمد عليها فى مصر . ونحن لا نستطيع فى ضوء خبرتنا المباشرة أن نتخذ موقفا خاصا من هذه القضية تأييدا أو معارضة . ولكننا نميل الى الاخذ بالنتائج التى انتهى اليها العالمان النمساويان كريس من واقع ملاحظاتهما للزار فى الحبشة وفى مصر(٧) . فقد ثبت لهما أن الزار قد مر فى مصر بتطور تاريخى مختلف ، واكتسب طبيعة خاصة من واقع تفاعله مع الثقافة الشعبية المصرية . ولعل من أبرز مظاهر تميزه أن دنيا « الارواح » أو

---

(٤) Trimingham; J. Spencer; Islam in Ethiopia; Oxford; 1952; pp. 257 fl.

(٥) تحتل دراسات ميشيل لايرى مكانة خاصة بسبب خبرته الواسعة العميقة بالمجتمع الاثيوبى ، انظر من اهمها :

* Leiris; Michel; «Le culte des Zar à Gondar»; in : Aethiopika II; 1934; Nr. 3; PP. 96-103 and Nr. 4; PP. 125-136.
* Leiris; M.; «Le croyance aux genius Zar en ethiopie du nord»; in : Journal de Psychologie; 1938; PP. 108-125.
* Leiris; M.; La possession et ses aspects théâtraux chez les ethiopiens de Gondar»; Paris; 1958.

(٦) Griaule; Marcel; Le Livre de recettes d'un dabtara abyssin; Paris; 1930; PP. 129 ff.

والملاحظ ان حديث جريول عن الزار فى هذا الكتاب جاء فى ثنايا تناوله لموضوعات اخرى .

(٧) وقد قام رودلف وهوبرت كريس بدراسات واسعة عن الزار فى السودان ومصر ، ونشرا نتائج بحوثهما النظرية والميدانية فى كتابهما « المعتقدات الشعبية فى العالم الاسلامى » . الجزء الثانى عن « السحر والادعية » .

« الاسياد » الخاصة بالزار المصرى قد اكتسبت طابعا مصريا متميزا على نحو ما سنفصل الكلام فيما بعد •

ولا تقتصر دراسات الزار على الحبشة أو مصر ، وانما هناك عديد من الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة بالتسجيل والتحليل فى السودان أيضا • وهى فى نظرنا دراسات ذات أهمية حاسمة حيث ان السودان كانت هى المعبر الرئيسى الذى اجتازته هذه الظاهرة فى انتقالها من الحبشة الى مصر • ومن أبرز هذه الدراسات دراسة زنكوفيسكى S. Zenkovsky عن الزار والطمبورة فى أم درمان(٨) • وتستمد هذه الدراسة أهميتها من أن صاحبتها قد عاشت عشرات السنين فى أم درمان وشاركت شخصيا فى عديد من حفلات الزار • والملاحظة الرئيسية على هذه الظاهرة فى السودان أنها أقل تطورا منها فى مصر • وأنها مازالت أقرب الى أصلها البدائى المستمد من الوثنية الافريقية القديمة • ويشير كريس الى امتزاج الزار فى السودان بظاهرة مشابهة له تعرف باسم « البورى » المعروفة عند قبائل الهاوسا التى تعيش فى غرب افريقيا • وقد انتشر هذا الاحتفال فى مناطق كبيرة شاسعة من غرب وشمال افريقيا •

ومن الطبيعى أننا سنركز دراستنا الحالية على ظاهرة الزار فى مصر ، ولن نشير الى مثيلاتها عند شعوب افريقية أخرى الا عندما نرى ذلك ضروريا لتفسير هذا الجانب أو ذاك من جوانب الظاهرة • وكان أول من تعرض للكلام عن الزار العالم الالمانى كلون تسينجر Klunzinger فى كتابه « صور من صعيد مصر » الصادر عام ١٨٧٧(٩) • ثم نجد أوصافا أكثر وضوحا وأكثر تفصيلا للزار عند السيدة الفرنسية

---

(٨) S. Zenkovsky; «Zar and Tambura in Omdurman»: in Sudan Notes and Records; Vol. 31: 1950: PP. 73 ff.

(٩) G.B Klunzinger: Bilder aus Oberagypten; Stuttgart; 1877: PP. 388 ff.

« نية سليمة » Niya salima في كتابها « الحريم والمسلمون في مصر » الصادر في باريس عام ١٩١٨(١٠) • ونذكر كذلك دراسة طومسون وفرانك المعنونة « الزار في مصر » المنشورة في مجلة « العالم الاسلامي » عام ١٩٠٣(١١) • بينما نجد أن هانز فنكلر لم يشر اليه في كتابه « الفولكلور المصري » الا اشارات عابرة(١٢) • وان كنا لا ننسى أن فنكلر قد خصص دراسة مستقلة لظاهرة أرواح الموتى التي « تلبس » بعض الاحياء وتحولهم الي حالة وجدانية صوفية تجعلهم قادرين على الانباء بالغائب وبالمفقود وبالمجهول وبشفاء المريض وغير ذلك من الحاجات التي يلجأ الناس اليهم فيها • وذلك في كتابه « أرواح الموتى التي تلبس الانسان »• أما أكثر الدراسات تفصيلا وتعمقا في تناول الزار فهي ولا شك دراسات العالمين الالمانيين بول كاله P. Kahle (١٣) وانو ليتمان E. Littmann (١٤)

وقد عاد المستشرق الفرنسي ماكسيم رودنسون M. Rodinson مؤخرا الى دراسة موضوع الزار في مصر ونشر عن ذلك مقالين هامين ، صدر أولهما في عام ١٩٥٤ والآخر في عام ١٩٥٧(١٥) •

ولكن السمة المميزة لدراسات كاله وليتمان المفصلة عن الزار أنها

---

(١٠) Niya Salima; Harems et Musulmanes d'Egypte; Paris; 1918; PP. 255 ff.

(١١) A.Y. Thompson and E. Franke; «The Zar in Egypt»; in : Moslem World; Vol. 3; 1903; PP. 275-290.

(١٢) H. Winkler; Agyptische Volkskunde; Stuttgart; 1934; PP. 237 ff.

(١٣) Paul Kahle; «Zarbeschworugen in Agypten»; in Der Islam; Vol. 3; 1912; PP. 1-41.

(١٤) Enno Littmann; Arabische Geisterbeschworungen aus Agypten; Leipzig; 1950.

(١٥) Maxime Rodinson; «Le culte des Zars en Egypte»; in : Comptes rendus sommaries des seances de l'institut Français d'Anthropologie; Seance du 16; Jeune 1954; pp. 21 ff et : Autobiographies des possédées Egyptiennes»; in : Melanges Louis Massignon; Paris; 1957; PP. 259 ff.

تاخذ طابع الدراسات المونوجرافية المتكاملة • ولكن مع ملاحظة أنها ليست نابعة من ملاحظات شخصية وخبرات ميدانية قام بها العالمان المذكوران واكتسباها على أرض مصر ، ولكنها تعتمد فى المقـام الاول على ما وقع تحت أيديهما من مخطوطات ؛ وكان محور الارتكاز عندهما بالتالى أدبيا فى المقام الاول • حيث اهتما بالصيغ والاغانى والادعية التى تقال وتتلى وتغنى فى حفلات الزار ، وبذلك أحس كريس حاجة أساسية الى استكمال هذه الدراسات النظرية الواسعة بملاحظات ميدانية مباشرة • وقد تيسر لهما ذلك من خلال حفلات الزار التي أمكن لهما حضـورها أو اقامتها فى القاهرة وأم درمان خلال الزيارات الميدانية التى أعدا على أساسها كتابهما الموسوعى الضخم « المعتقدات الشعبية فى العالم الاسلامى »[١٦] •

٢ ــ أصل الزار :

يرجع بعض الباحثين الاصل اللغوى لكلمة « زار » الى المصـدر « زار » (من زيارة) • وان كانت أغلبية دارسى الزار لا توافق على هذا الاشتقاق ، وترجع الكلمة الى الاصول اللغوية الحبشية • وهو ما يتفق كما ألمحنا وأصل المعتقد والممارسة نفسها • ومن هؤلاء Cerulli فى مقاله عن الزار بدائرة المعارف الاسلامية[١٧] • وهو يشتقه من اسـم كبـير آلهة الكوشيين Kusiten الوثنيين • ويتسمى الاله السماوى لابناء هذا الدين باسم « جار » Djar ، وقد يتغير اسمه لدى بعض الطوائف الى « يارو » Yaro أو « دارو » Daro ، ولكنها تدل جميعـا على مسـمى واحد • وحدث بعد هذا أن ظهر ــ فى اطار المسيحية الحبشية ــ اسـم روح شريرة هو « زار » Zar وقد استعاره المسيحيون الاحباش عن

---

(١٦) وقد وجه المؤلفان الشكر للدكتور محمد رياض وللدكتورة كوثر عبد الرسول على ما قدماه لهما من تسهيلات فى اقامة تلك الحفلات ، وفى المساعدة على فهم كثير من الظواهر التي عرضت لهما •

(١٧) انظر مادة زار Zar فى دائرة المعارف الاسلامية ، مرجع سابق ، المجلد الرابع ، ص ١٣١٧ وما بعدها •

بعض القبائل الوثنيا • ولكن بعد أن أنزلوه من علياء الالوهية الى أسفل درك الكائنات فوق الطبيعية ، أعنى مرتبة الارواح الشريرة أو المغضوب عليها(١٨) •

وهكذا يتفق الباحثون فيما يتعلق بأصل الزار على أنه كان يمثل فى الاصل جزءا من ديانات بعض القبائل الزنجية البدائية التى كانت تعيش فى قلب افريقية • ثم انتشر هـذا الاحتفال من الحبشـة ، حيث وردت بعض الإشارات اليه هناك فى أواخر القرن الثامن عشر ، الى السودان ، ومصر ، وبلاد العرب • وتدل بعض الاشارات على وجوده فى مصر منذ عام ١٨٧٠ تقريبا ، ووصل اليوم الى درجة كبيرة من الازدهار سواء فى الريف أو فى المدن الكبرى • ولا شك أن دخول الزار الى ثقافة شـعبية ذات مستوى أرقى على أى حال من الثقافة التى جاء منها قد جعله يتعرض لتغيرات بارزة فى معالمه وسماته • الى الحد الذى جعله يبدو اليوم فى نظر الانسان الشعبى المصرى كاحتفال دينى شعبى فى اطار الدين الرسمى التوحيدى الراقى وهو الاسلام • ولا ننسى أن الشيخ الذى كان ينظم حفل الزار فى قرية « كفر الزيتـون » بمحافظة الغربيـة ، والذى قمنا بزيارته عام ١٩٦٩ ، كان يطلق على حفل الزار الاسبوعى الذى ينظمه اسم « ذكر » أو « حضرة » محاولة منه للتمويه على حقيقة الاحتفـال الذى يجريه فعلا(١٩) • وكان يؤكد أكثر من مرة أن هـذا الاحتفال وما يمارس فيه من عادات ، وما يتلى فيه من أناشـيد ، وما يؤدى فيـه من رقصات ، لا يتعارض مع الدين الاسلامى(٢٠) •

---

(١٨) قارن مزيدا من التفاصيل عند ليتمان ، المرجع السابق ، ص ٤٤ وما بعدها ، وكذلك كريس ص ١٨٠ .

(١٩) تمت تلك الزيارة فى شتاء عام ١٩٦٩ ، وقد شارك فيها السيد الدكتور حسن الشامى الخبير بمركز الفنون الشعبية والسيد عبد الحميد حواس الباحث بالمركز . وقد ركزت البعثة — التى اعتمدت على تمويل ذاتى خاص — على تسجيل بعض الاعمال الادبية الشعبية وبعض عناصر العادات والمعتقدات الشعبية .

(٢٠) والملاحظ كذلك ان رجال الدين الاسلامى ورجال الدين المسيحى =

٢ ـ الزار احتفال نسائي فقط ؟

وأبرز السمات التي تميز الزار كاحتفال ديني شعبي في مصر أنه قاصر على النساء فقط . وقد كثرت التفسيرات والتأويلات التي تحاول تحليل هذه الحقيقة . وذهب الكثيرون الى أن المرأة ، في مجتمع يسوده الرجال ، تجد لها في الزار متنفسا أساسيا تصب فيه كل ما يعتمل في نفسها من مشاعر الضغط أو الحرمان(٢١) . ويذهب البعض الى أن الانتشار السريع للزار في مصر خلال بضع عشرات السنين الماضية يرجع ولا شك الى هذه الحقيقة . وليس رواد الزار من النساء فقط ، بل ان القائمين عليه يكن من النساء غالبا . ولا ينفي هذا أن بعض الرجال يمكن أن تلبسهم أرواح الزار ، ومن ثم يمكن أن يقيموا لانفسهم ، أو يشاركوا

= في الحبشة يحظرون اقامة حفلات الزار ويهاجمونها ، ولكن دون جدوى ، حيث لم تؤد جهود رجال الدين الى حصر دائرة انتشارها اطلاقا . ولعل السبب في ذلك ان الزار في الحبشة لا يستهدف مجرد استرضاء الارواح أو شفاء المرضى بالاسياد ، وانما يستهدف كذلك استنطاق أولئك الاسياد ـ الذين يلبسون أجسام المرضى ـ معلومات عن الغيب والمجهول وعن الاحداث الطبيعية المتوقعة (مطر ، أوبئة ... الخ) والاحداث الشخصية .. الخ .

(٢١) لن يتعرض هذا الفصل لدراسة الزار من وجهة نظر الصحة النفسية ، برغم الاهمية الفائقة لهذا الموضوع وطرافته ، وكثرة ما كتب فيه . ونكتفي بالاشارة الى بعض المقالات الاساسية في الموضوع ، انظر :

ـ برونو ليفيين : الزار ، رقصة مصرية لطرد الارواح الشريرة وعلاقتها بشعائر الرقص الطبي عند شعوب اخرى وبجنون الرقص في العصور الوسطى :

Lewis; Bruno; Der Zar; ein agyptischer Tanz Zur austreibung boser Geister und seine Beziehungen zu Heiltanz-Zeremonien anderer Volker und der Tanzwut des Mittelalters. (confinia psychiatrica; I. Bd.; Basel; 1958; PP. 177 ff).

ولنفس المؤلف ايضا : تاثير التصورات السحرية والدينية على الاضطرابات العقلية في مصر :

Lewin; B.: Der Einfluss magischer und religioser Vorstellungen auf die Pathoplastik reaktiver und endogener geistiger Storungen in Agypten; Zeitschrift fur Psychotherapie; 6. Bd.; 1956; PP. 60 ff.

فى احتفالات الزار . وقد أورد بول كاله بعض الشواهد على ذلك(٢٢) كما أن رودلف كريس ، أحد مؤلفى كتاب المعتقدات الشعبية فى العالم الاسلامى قد أقام لنفسه حفل زار خاص فى القاهرة فى شهر مارس ١٩٥٧(٢٣) . كذلك شارك فى حفل الزار الذى شهدناه فى قرية كفر الزيتون فى عام ١٩٦٩ بعض الرجال . ولا يقتصر الايمان بالتأثير العلاجى النفسى للزار على بعض الطبقات الشعبية البسيطة فى مصر ، ولكنه يمتد كذلك الى بعض أبناء الطبقات العليا الذين يرون فيه متنفسا هاما عما قد يشعر به الفرد من كوابت أو انفعالات مكتومة ، وذلك من خلال موسيقاه الساخنة السريعة ، ورقصاته العنيفة . والشىء الهام الذى نود أن نؤكده أن الناس لا يذهبون الى الزار التماسا للشفاء من علل نفسية فحسب ، وانما كذلك من أمراض جسمية ، خاصة بعض الامراض المستعصية أو الطويلة كالروماتيزم والصداع وغير ذلك . وعلى رأس الاعراض الجسمية التى تقود بعض النساء الى الزار ولادة أطفال مشوهين ، أو ولادة الاطفال ميتين . حيث يسيطر الاعتقاد بأن هذا التشويه أو هذا الموت راجع الى فعل تلك الارواح أو الاسياد التى لابد من استرضائها أو طردها عن طريق حفلات الزار(٢٤) .

٤ — الكودية :

وتمثل الكودية أو « الشيخة » بؤرة الاحتفال كله ، تعاونها فى ذلك مجموعة من النساء . والغالب أن تكون الكودية امرأة سوداء ، وهى ظاهرة يتخذ منها كثير من الباحثين دليلا على أن الممارسة كلها قد وفدت من السودان . والغالب أن تنظم كل كودية زارا أسبوعيا فى محل اقامتها ،

---

(٢٢) انظر دراسة باول كاله Kahle التى سبقت الاشارة اليها ، ص ٤ .

(٢٣) انظر كتاب كريس ، المعتقدات الشعبية فى العالم الاسلامى ، الذى سبقت الاشارة اليه ص ١٤٢ .

(٢٤) انظر المرجع السابق ، نفس الصفحة ، وكذلك بروتوكول زيارتنا الميدانية للزار الذى يقام اسبوعيا فى قرية كفر الزيتون محافظة الغربية .

وقد يطلق عليه اسم « حضرة » • ويرى البعض أن هذا الحفل يمكن أن يسمى « زار صغير » ويتردد عليه مجموعة النساء اللائى سبق لكل منهن المشاركة فى حفل زار كبير ، واللائى يعلمن بالتحديد اسم « السيد » الذى يلبسهن • ومن ثم تكون وظيفة حضور حفل الزار الصغير مقتصرة على التعبير عن الاحترام لهذا السيد ، ومحاولة لاسترضائه • ويرى كريس أن هذه الفئة من النساء يمكن أن نطلق عليها اسم مدمنات الزار ، ذلك أن احساسهن بالراحة وبالرضا مرتبط بحضورهن هذه الحفلات الاسبوعية ، ولانهن يعتقدن أنهن لا يستطعن الحياة دون المشاركة فى هذه الاحتفالات •

والى جانب هذا الزار الصغير يوجد الزار الكبير وهو الحفل الحقيقى الذى تبدو فيه كل عناصر الزار ومقوماته فى أكمل صورة • فهو يستهدف شفاء الشخص المريض ، ويمثل بالتالى طقس تكريس بالنسبة للشخص الجديد ، الذى يشارك فى احتفالات الزار لاول مرة • ولذلك تقع على الكودية أو الشيخة فى حفل الزار الكبير مسئولية رئيسية • اذ يتعين عليها أن تقوم قبل البدء فى الرقص ، بمجموعة من الاعمال التى تستهدف معرفة الروح أو « السيد » الذى يلبس جسد الشخص المريض ، ومحاولة استرضائه أو مؤاخاته عن طريق الاضاحى والقرابين التى يقدمها هذا الشخص • وهنا يبدو لنا الفرق الواضح بين الزار الصغير والزار الكبير • فحفل الزار الصغير يقوم أساسا على الرقص ، المصحوب بالطبع بالاغانى والموسيقى • أما الحفل الكبير فلا يمثل الرقص فيه سوى عنصر من بين عناصر أخرى ، أبرزها طقوس التضحية المعقدة •

وعلاوة على هذه الانواع من حفلات الزار تقيم كل كودية حفلا كل عام ، فى شهر رجب تخصصه لكافة الارواح والاسياد المعروفة لها • والجدير بالذكر أن حفلات الزار جميعا تتوقف طوال شهر رمضان • بلا استثناء لاى نوع منها •

وترث الكودية وظيفتها هذه • وهى تقوم أساسا بدور الوسيط بين الاسياد والاشخاص الملبوسين • ولذلك ترثها ابنتها فى هذه الوظيفة ،

واذا لم يكن لها من يخلفها فى هذا العمل ورثته عنها احدى النساء اللائى يعملن معها ضمن مجموعتها • ويشـــير كريس الى الفـــرق الرئيسى بين الكودية ومجموعة النسـاء اللائى يعملن معها • فهى تستطيع أن تتعامل مع كافة الاسياد ، كذلك مع أولئك الاسياد الذين لا يلبسونها • أما النساء المعاونين لها فترتبط كل واحدة منهن بسيد أو بروح معينة ، ومن ثم يطلق على كل منهن اسم « عروسة » ، لانها تعتبر عروسة للسيد الذى يلبسها ولما كان كل سيد يفرض على المرأة التى يلبسها مطالب معينة ، على نحو ما سنشير فيما بعد ، نجد الكودية تحمل على جسمها أكبر عدد ممكن من الاحجبة والتمائم ، حتى لا تغضب أيا من الاسياد • فى حين نجد أن كل عروسة لا تحمل الا التمائم الخاصة بالسيد الذى يلبسها فقط •

٥ ـــ الفرق الموسيقية :

كذلك ترافق الكودية باستمرار مجموعة أخرى من الاشخاص الذين يقومون بعزف الموسيقى المصاحبة للرقص • ولا شـــك أن كثرة عـــدد الاسياد ، وارتباط كل سيد بايقاع موسيقى معين يجعل من هذه الفرقة الموسيقية عنصرا ضروريا من عناصر أى حفل زار • ولكن أبسط الفرق التى تصاحب الكودية عادة هى الفرقة البلدى(٢٥) •

أما النوع الثانى من الفرق الموسيقية فيعرف باسم أهم آلة فيــه وهى « الطمبورة » ، أو تبعا لموطنه الاصلى أى الفرقة السودانى • وقد

---

(٢٥) وابسط انواع تلك الفرق « الفرقة البلدى » المكونة من نساء فقط . وقد قدم كريس وصفا للفرقة البلدى التى احيت حفل الزار الذى حضراه فى شهر مارس عام ١٩٥٧ . وكانت تراسها سيدة سوداء زنجية سمينة . وتعزف على المزاهر ثلاث نساء ، والمزهر عبارة عن طبلة كبيرة ، (قطرها حوالى ٥٠ سم وارتفاعها ١٢ سم) ، وسيدة رابعة تعزف على « طبلة نص » (ويطلق عليها أحيانا اسم « دربكة ») ، وسيدة اخرى تعزف على طبلة كبيرة يعزف عليها من الوجهين تعرف باسم « مرجص » . انظر كريس ، المرجع السابق ، ص ١٤٤ .

لاحظ كريس من خبراته الميــدانية فى مصر والســودان أن الطمبــورة المستخدمة فى مصر أبسط من النوع المستخدم فى السودان(٢٦) • ويعزف على الطمبورة بعض الافراد الذين ينتمون الى أصول زنجية واضحة ، والاهم من هذا أنهم على وعى بهذا الأصل الافريقى • ومن أبرز أفراد الفرقة السودانى عازف الطمبورة والسترى أو المنجور واثنين من عازفات الطبلة ، وهى تعرف فى هذه الحالة باسم طبلة طمبورة(٢٧) • أما المجموعة الاخيرة التى تشتهر بعزف موسيقى الزار فتعرف باسم فرقة أبو الغيط • وأبو الغيط راقص يقوم تقريبا بنفس الدور الذى يلعبه المنجور فى الفرقة السودانى • وهو يتوارث هذا العمل عن أبيه وأجداده ، وهو على خلاف الفرق السابقة لا ينتمى الى أصل زنجى ، وإنما الى محافظة الشرقية • وتضم هذه الفرقة اثنين من عازفى الصفارة ، بينما تقوم زوجته بالضرب على الرق ، وقد تناول كريس هذه الفرقة بالوصــف المفصــل فى كتابه المذكور(٢٨) •

٦ — أرواح الزار (الاسياد) :

وقبل أن نستطرد فى وصــف حفل الزار واســتعراض عناصره ومكوناته ، نبدأ فى الكلام عن أرواح الزار ، أو الاسياد ، أو السلاطين • وقد سبق أن أشرنا(٢٩) الى أنه يقال أحيانا ان عــدد هؤلاء الارواح أو

---

(٢٦) قدم كريس وصفا تفصيليا للطمبورة ، انظر ، المرجع السابق ، نفس الصفحة ، وكذلك صورة دقيقة لها (اللوحة رقم ١٣٠) •

(٢٧) ويرتدى المنجور جلابية بيضاء طويلة ، يتوسطها حزام جلدى عريض حول الوسط (انظر صورها على اللوحتين ١٣٨ و ١٣٥) يبلغ عرضه حوالى ٢٠ سم معلق عليه بعض الخرز وانواع مختلفة من الحلى تحدث صوتا واضحا عند الرقص • وعلى جانبى الرجل تتدلى من الحزام قطعتان من المرايا وفى بعض الاحيان يرتدى المنجور طربوشا احمر اللون تتدلى منه قطع الخرز ، أو محاطا بقطعة من الفراء الرمادى اللون ، انظر المرجع السابق ، ص ١٤٤ — ١٤٥ •

(٢٨) انظر المرجع السابق ، ص ١٤٥ •

(٢٩) ان محاولات حصر بعض الاسماء المتداولة تثبت ان هذا الرقم =

الاسياد يبلغ ستا وستين • ولكن التعمق فى البحث يثبت أن هذا الرقم ليس مقصودا بذاته وحرفه ، ولكنه يدل دلالة رمزية على كثرة عدد هؤلاء الاسياد • ولا تستطيع أى كودية أن تحصر أسماء كافة السلاطين أو الاسياد الموجودة • ويمكن القول بأن هناك مجموعات متميزة بعض الشيء من السلاطين • ويوجد داخل كل مجموعة سلطان أكثر أهمية من السلطان الآخر ، وسلطان أكثر ترددا واستخداما من سلطان آخر وهكذا • وان شئنا أن نصف هذه السلاطين أو الارواح لكان علينا أن نلجأ الى شيء من التعسف • وستكون بالقطع عملية شاقة لانها لا تستند الى أساس موحد ولا تصدر عن نبع واحد • وليس فى ذلك — كما أشار كريس — شيء من الغرابة ، ذلك أن الدين الاسلامى الرسمى لم يتبن هذا المعتقد ، وبالتالى فان المعتقد الشعبى الاسلامى لم يضع شخصيات أو أسماء هذه السلاطين فى صور وأشكال ثابتة متسقة مع بعضها • كما أشار كريس الى أن أى « شيخة » من شيخات الزار لا تستطيع أن تتصور وجود علاقة ثابتة بين هؤلاء الاسياد • ثم ان هناك صعوبات موضوعية تحول دون ايجاد مثل هذا التنظيم • اذ يمكن القول أن الزار المصرى يمثل الى حد ما وعاءا مشتركا تجمعت فيه كثير من معتقدات الارواح ذات الاصول العربية والحبشية والسودانية والافريقية الوسطى • وكان من نتيجة هذا امتزاج خصائص وسمات هذه الكائنات المختلفة على نحو قد لا يتيسر معه الفصل بينها بصورة واضحة وقاطعة • وقد أوضح كريس أنه بغض النظر عن أسماء الاولياء المسلمين والقديسين المسيحيين ، فانه يمكن القول بأن غالبية هؤلاء الاسياد يمثلون أرواحا طبيعية بالدرجة الاولى • ويضيف الى ذلك أنه يبدو أن الطبيعة الاقليمية لهذه الارواح ، التى تبدو فى الوقت الراهن بارزة وواضحة ، ترجع الى حد كبير الى طبيعة الارض

= لايمثل اكثر من دلالة رمزية على الكثرة ، تريبا فى هذا من رقم الاسماء الحسنى التسعة والتسعين ، التى زادت الكتب المختلفة — دينية وسحرية — فيها زيادات وصلت حد المبالغة .

والظروف الطبيعيه التى تنتمى اليها فى الاصل • ولا شك أننا نتفق جميعا على أن الدراسات الدقيقة فى تاريخ الثقافة الاسلامية والعربية كفيلة بأن تقودنا الى نتائج محددة وسليمة • أما بالنسبة لظروف البحث الراهنة ، ومستوى وكمية المعلومات الميدانية المتجمعة • فانه يمكن تقسيم هؤلاء الاسياد بشكل عام الى الفئات الرئيسية التالية

(ا) أرواح اقليمية •

(ب) أرواح طبيعية •

(جـ) أرواح قبطية واسلامية •

(د) أرواح تدل على أصحاب المهن المختلفة •

(هـ) وقد أضاف ليتمان فئة خامسة هى الارواح التى تسمى باسماء الاشخاص • ويندرج تحت هذه المجموعة معظم الارواح التى لا تدخل فى الفئات الاربعة السابقة • وسنحاول فيما يلى أن نفصل الكلام عن مكونات كل مجموعة من تلك المجموعات :

(ا) المجموعة الاقليمية : وتضم هذه الفئة بدورها عددا من المجموعات الفرعية على النحو التالى :

١ — المجموعة السودانية : وهنا نجد الطمبورة السودانى، والست السودانية وكذلك الست الكبيرة ، التى تختلط فى بعض ملامحها مع المجموعة الثانية وهى :

٢ — المجموعة الحبشية : ويأتى على رأسها سلطان الحبش واخوانه وهوانم الحبشة • ومن بين هؤلاء تبرز بصفة خاصة شخصية مؤنثة تعرف باسم « الست الكبيرة » ، كما يطلق عليها أيضا اسم « حبوبة الحبوبات » • ويرى كريس أنها تعتبر بمثابة جدة لهذه الارواح الحبشية • أو زوجة أو أخت لسلطان الحبشة • كما يندرج تحت هذه المجموعة « سلطان المامة الكبير » الذى قد يسمى أحيانا السيد الكبير •

وقد أشار ليتمان(٣٠) الى أن الكلمة ومعناها وافدة من الحبشة حيث يطلق اسم المامة على رئيس الزار فى شوا Shoa وتعنى كلمة المامة تقريبا السيد على نحو ما يوضح ليتمان فى المرجع السابق • وتكرمه أغانى الزار هناك باعتباره على رأس التسلسل الهرمى لارواح الزار • وتنتمى اليه مجموعة كاملة من الارواح أو الاسياد التى تحظى بمكانة كبيرة فى نظر المعتقد الشعبى • وتعرف أخته أو أمه باسم المستغيثة ، ويعرف ابنه باسم « ياسة » أو « يوسف » ، كما تعرف ابنته باسم (مروما) • كما يلقب يوسف أحيانا باسم « أخ أم الغلام »(٣١) • كما يندرج تحت هذه المجموعة « سبع الخلا » ، الذى قد يوصف أحيانا بأنه أخ الست الكبيرة•

٣ ــ المجموعة الصعيدية : وعلى رأسها الصعيدى « أبو دنفا » • ويعتقد أنه يظهر على ثلاث مراحل كما أشار الى ذلك كريس فى تجربته عن الزار(٣٢) • ويعتقد ليتمان أن اسم هذا السيد يرجع هو الآخر الى أصل حبشى(٣٣) • وله أخت تعرف أيضا باسم « الست الصعيدية » •

٤ ــ المجموعة العربية : على رأسها العربى ورفيقته العربية : وقد جاء اسمه عند ليتمان عرب العربان(٣٤) •

٥ ــ المجموعة المغربية : وعلى رأسها السلطان المغربى ويطابق المعتقد الشعبى بين السلطان المغربى والولى الكبير سيدى عبد القادر الجيلانى • وعلى الرغم من أن عبد القادر الجيلانى قد عاش حياته فى

---

(٣٠) انظر ، انوليتمان ، بعض ادعية الزار العربية من مصر ، المقال الذى سبقت الاشارة اليه ، الحاشية رقم ١٥ ، ص ٤٧ .

(٣١) انو ليتمان ، المرجع السابق ، ص ٥٢ .

(٣٢) قارن وصف كريس للزار ، فى المرجع الذى سبقت الاشارة اليه ، ص ١٤٥ وما بعدها .

(٣٣) ليتمان ، المرجع السابق ، ص ٤٨ .

(٣٤) المرجع السابق ، ص ٥٣ .

بغداد ، الا أنه يتمتع بمكانة رفيعة واحترام كبير فى المغرب ، الامر الذى جعل انو ليتمان يصفه بأنه حامى المغرب الاسلامى .

(ب) **الارواح الطبيعية** : وينتمى اليها مجموعة النار وعلى رأسها « سلطان الجن الاحمر » وأخواته ، وأرواح الماء أو أرواح البحر وعلى رأسها « السلطان البحرى » وأخواته وكذلك الروح المؤنثة التى تعرف باسم « الست سفينة » أو « ست السفينة » . وأخيرا المجموعة الجبلية وعلى رأسها « السلطان الجبلاوى » وأخته « جندو » ويعتقد كريس أن هذا الاسم ربما كان مشتقا من اسم جندر Gandar وهى مدينة بالحبشة .

(جـ) **المجموعة القبطية والاسلامية** : وعلى رأس هـذه المجموعة السلطان النصرانى أو سلطان الدير . كما أشـار كريس وليتمـان الى السلطانة مريم كاسم من الاسماء التى تطلق على أرواح الزار(٣٥) . أما لمجموعة الاسلامية فيبرز فيها بطبيعة الحال اسم الدرويش ، وان كنا صادف عديدا من أسماء الاولياء المسلمين التى تطلق على الاسـياد أو أرواح الزار . فنبدأ أولا بكل أسماء الاسرة النبوية حيث نجد : على ، والحسين ، والحسن ، وفاطمة ، ونفيسة ، وسكينة ، وأبو بكر وغيرهم . ثم يأتى بعد هذا كبار الاولياء المصريين جميعا وأصحاب الطرق الصوفية المختلفة : أحمد البدوى ، وابراهيم الدسوقى ، والرفاعى ، والبيومى ، وعبد العال ، وكذلك غالبية الاولياء المحليين المنتشرين فى مختلف أحيـاء القاهرة . كما نذكر بعض الشخصيات الاسلامية البارزة مثـل القطب المتولى ، والسلطان أبو العلا ، والامام الشافعى ، والامام الليثى . كما يندرج تحت هـذه الفئة أيضـا الجيوشى ، وأبو الحجاج (ولى الاقصر الشهير) . أما عن الشخصيات النسائية الاسلامية فنذكر « أم الغلام » .

---

(٣٥) انظر ليتمان ، المرجع السـابق ، ص ٥٥ ، وكذلك كريس ، المرجع السابق ، ص ١٤٧ .

وقد دار جدل طويل حول تحديد السيدة المقصودة بهذا الاسم • وطرح كريس احتمالين اثنين : الاول أن تكون المقصودة بهذا الاسم السيدة التى أحضرت — طبقا للرواية الشعبية الشائعة — رأس الحسين الى القاهرة • والثانى أن يكون المقصود بهذا الاسم القرينة أو أم الصبيان • وقد أضاف ليتمان شخصية يعتقد أنها قد خلقت لتضفى على الزار طابعا اسلاميا ، وهى المكية التى تتصل بكل ماله علاقة بالحج(٣٦) •

(د) **المجموعة المهنية** : وعلى رأسها الارواح ذات الاسماء العسكرية أو الحربية • وينتمى اليها « الياورى بك » وأخته الست ركاش هانم • ويتسمى هذا السيد فى صورته الرفيعة باسم « سلطان اللواء » ، وفى صورته الوضعية باسم « العسكرى » • وقد أشار الى هذه الشخصية كل من كريس وكاله(٣٧) • كما يندرج تحتها أيضا شخصية « الضابط » • ومن الفئات المهنية الاخرى شخصية الحكيمباشى (أو كما تنطق الحكيمباشا) •

(هـ) **مجموعات أخرى** : وهناك كما سبقت الاشارة عديد من الاسياد الذين لا ينتمون الى أى من الفئات السابقة • نذكر منهم على سبيل المثال السلطان رينا ، والسلطان روم النجدى(٣٨) • ومن الشخصيات الهامة الاخرى التى تتردد كثيرا والتى أشار اليها جميع من تعرضوا للزار تقريبا شخصية العبد الولاج • وقد جاء عند ليتمان كخادم لعديد من الارواح أو الاسياد الآخرين ، مثل الست سفينة والسلطان مامة الكبير •

---

(٣٦) انظر ليتمان ، المرجع السابق ، ص ٦٨ .

(٣٧) انظر كريس ، المرجع السابق ، ص ١٤٨ ، وكذلك دراسة باول كالة التى سبقت الاشارة اليها ، ص ٢٦ .

(٣٨) ومن الجدير بالذكر ان انو ليتمان قد قدم عدة محاولات لتفسير الطبيعة الاشتقاقية لهذا الاسم ، ولكنه لم يحسم القضية لمصلحة تفسير دون آخر . انظر دراسته السابق الاشارة اليها ، ص ٥٦ .

٧ — **القرابين والاضاحى :**

ويطلب كل هؤلاء الاسياد أن يقدم لهم المرضى — أو الملبوسون — أضاحى وقرابين معينة محددة أدق التحديد نذكر منها على سبيل المثال بعض أنواع الاحجبة ، وأنواع معينة من الملابس ، وأداء رقصات بعينها تمارس تكريما لهم •

(ا) الاحجبة : أما فيما يتعلق بالاحجبة فهناك عدد كبير منها يختلف فى مضمونه ، وفى حجمه ، وفى شكله • وكثير منها يستخدم فى مناسبات أخرى ، ولاغراض أخرى • بحيث اننا يمكن أن نقول انه لا توجد أشكال معينة ، أو محتويات معينة قاصرة على الاستخدام فى الزار ، ولاجل استرضاء الاسياد أو ابعادهم عن جسم المريض • ولذلك نجد فيما يتعلق بالاحجبة المستخدمة فى الزار تنويعات فردية ، تساهم كما يقول كريس فى شهرة هذه الشيخة أو تلك من شيخات الزار •

(ب) الخلخال : ومن أبرز الاشياء التى تتخذ كنوع من الاحجبة أو التمائم على نطاق واسع الخلخال المصنوع من الحديد • والمعروف أنه حتى الخلخال العادى الذى تلبسه النساء المصريات الريفيات العاديات لا ينطوى على قيمة جمالية فحسب ولكنه يتميز علاوة على هذا بقيمة اعتقادية مخففة • وقد أشار كريس وباشستلى C. Bachatly الى بعض السمات التى تميز هذا الخلخال الحديدى المستخدم فى الزار عن سائر الخلاخيل الحديدية أو الذهبية المستخدمة عادة(٣٩) • ومن هذه السمات أن هذا الخلخال أرفع كثيرا كما أنه لا ينتهى كالخلخال العادى بالرأس

---

(٣٩) انظـــر :
Bachatly: Charles: «Notes sur quelques amulettes egyptiennes»
in : Bulletin de la societé royle de géographie d'Egypte.
المجلد السابع عشر ، القاهرة ١٩٢٩ — ١٩٣١ ، ص ص ٤٩ وما بعدها ، وص ص ١٨٣ وما بعدها ؛ خاصة ص ٥٧ — ٥٨ ، واللوحة رقم ٢ .

السداسية الشكل ، وانما ينتهى برأس كروية • ومن المناسبات الاخرى التى يستخدم فيها هذا النوع الخاص من الخلاخيل الزوجات الصغيرات الحديثات العهد بالزواج اللائى يخشين على أنفسهن وعلى الأجنة التى يحملنها من القرينة ، خاصة عندما تكون المرأة قد أجهضت عدة مرات قبل ذلك ، أو فقدت أطفالها وهم بعد فى سن صغيرة • حيث يعتقد الناس أن القرينة سوف تتسلط على هذا الوليد الصغير وتقتله وهو بعد جنينا ، أو بعد أن يخرج الى الدنيا بفترة وجيزة • كما يوضع للأطفال الصغار هذا النوع من الخلاخيل الحديدية ، ولكن بأحجام صغيرة طبعا ، لحمايتهم من القرينة أيضا • وفى حالة استخدام الخلخال للطفل الصغير يتغير شكله عن الخلخال الذى تستخدمه المرأة الكبيرة ، فلا ينتهى بشكل كروى وانما ينتهى بشكل الحلقتين المتداخلتين (ربما لكى تسهل بذلك عملية ادخاله واخراجه من قدم الطفل)(٤٠) • ولنفس الغرض أيضا يلبس الشخص خواتم أو أساور مصنوعة من الحديد أيضا •

ويعرف المعتقد الشعبى بعض الشروط الدقيقة التى يجب توافرها فى هذا الخلخال الحديدى لكى يؤدى واجبه على النحو الامثل • فيجب كما قلنا أن يكون مصنوعا من الحديد(٤١) ، ويجب أن يكون مشترى من مال شحذه أصحابه من الناس(٤٢) • كما يجب أن يتوفر فى الحداد الذى

---

(٤٠) انظر كريس ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ •

(٤١) من المعروف أن الحديد — شأنه شأن الملح وبعض المواد الاخرى — من العناصر التى يعتقد ان لها تاثيرا دافعا لاضرار الارواح الشريرة ، فحمل قطعة من الحديد فى الطرقات المظلمة او عند الدخول الى دورة المياه ليلا يعصم الانسان حامل هذا الحديد من التعرض لايذاء الارواح او الجان التى تسكن تلك الاماكن .

(٤٢) نجد فى بعض الاعمال السحرية النص الواضح على هذا الشرط ، حيث يعتقد ان ذلك يكون ضمانا بان هذا المال ليس مكتسبا من مصدر حرام ، انظر مزيدا من المعلومات عن هذا الشرط فى تنفيذ الوصفات السحرية عند :
El-Gawhary; Moh.; Die gottesnamen im magischen Gebrauch in den al-Buni zugeschriebenen Werken; Dissertation; Bonn; 1968.

يصنعه بعض الشروط الخاصة ، وأهمها أن يكون قد ورث مهنة الحداد عن آبائه وأجداده الى سابع جد(٤٣) • ويلبس الطفل والام الاساور والخواتم الحديدية حتى السنة السابعة من عمر الطفل ، وأحيانا حتى العام الحادى عشر من عمر الطفل •

كما يلبس بعض الاطفال فى مصر خلخالا مصنوعا من الشعر ، وقد وصفه باشتلى فى مقاله ، حيث يقول ان هذا الخلخال يكون مصنوعا من شعر البطن (الذى قص من رأس الطفل لاول مرة) • ويستهدف هذا الخلخال أيضا حماية الطفل من القرينة • ويتمتع شعر البطن بأهمية كبيرة فى المعتقد الشعبى المصرى • ومن ذلك أن بعض النساء يعتقدن أنه يمكن علاج الطفل اذا أصيب بالحمى عن طريق تبخيره بجزء من شعر البطن المأخوذ من هذا السواد • وفى هذه الحالة يلبس الطفل هذه التميمة مدة أسبوع ثم تخلعها عنه الام وتلقى بها فى النيل ، وتدعو له بطول العمر • وترى بعض الروايات أنه يجب القاء هذا الشعر فى النيل فى وقت معين وهو أول ليلة بعد ظهور الهلال(٤٤) •

(جـ) الخواتم والاساور : وهناك علاوة على هذا مجموعة أخرى من الخلاخيل والخواتم والاساور التى تستخدم فى الزار • وقد وصف كريس بالتفصيل شكلا خاصا من أشكال الخلخال ترتديه الكودية وهى تؤدى عملها فى حفل الزار ، مما لا نرى ضرورة للدخول فى عرضه

---

(٤٣) كما أن هناك كثيرا من المعتقدات التى ترتبط بأهمية الحديد وفاعلية تأثيره ضد بعض الكائنات فوق الطبيعية ، كذلك الحال بالنسبة للحداد الذى يمثل لدى كثير من الشعوب البدائية والتقليدية مكانة مقاربة لمكانة الساحر أو المطبب الشعبى او تفوقهما أحيانا . ولما كان توارث اى مهنة يكون عنصرا من عناصر قوة المشتغل بها ، لذلك اشترط المعتقد وراثة المهن الى هذا التاريخ البعيد ، كى يكون حائزا على كل اسرارها .

(٤٤) انظر مقال باشتلى Bachatly الذى سبقت الاشارة اليه ، وكذلك كريس ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ .

هنا(٤٥) . كما تلبس الكودية أنواعا معينـــة من الدبل والخـــواتم ذات الاشكال المختلفة . وترتدى الكودية أيضا مجموعة كبـــيرة من التمائم والاحجبة المصنوعة من القطع المعدنية التى تعلقها حـــول رأســـها فوق منديل الرأس(٤٦) . ولا تكون هذه التمائم قاصرة على ســـلطان بعينه ، ذلك أن الشيخة كما قلنا لا تلبس الاشياء الخاصة بسلطان معين ، وانما تختاط لنفسها من عدد كبير من الاسياد(٤٧) . وهناك عدا هذا مجموعة من التمائم والمعلقات المصنوعة من معادن أخرى ، أو من الصـــدف ، أو من البلاستيك ، وهى ذات أشكال وتنويعات وكتابات متباينة .

(د) الملابس : على أن الاســـياد لا يقتصرون على طلب الاحجبة والتمائم ، وانما يتطلبون علاوة على هذا أنواعا خاصة من الملابس ، التى يجب أن ترتديها عرائسهم ، أى النساء الملبوسات ، أثناء حفل الزار وقد لاحظنا كما لاحظ كريس أن أهمية هـــذه المـــلابس تختلف من شـــيخة لاخرى . ففى بعض الاحيان تفرض الشيخة على السيدة الملبوسة ارتداء ملابس ذات أوصاف محددة تحـــديدا دقيقا من حيث اللون والنـــوع والشكل ... الخ . وفى أحيان أخرى يكون لدى الشيخة عديد من الملابس ذات الاشكال والانواع المختلفة التى ترتديها النساء أثناء الحفل . وفى أحوال ثالثة لا تشترط الكودية ارتداء زى بعينه بل نجد النساء المشتركات فى الزار يرتدين جميعا أزياء بيضاء اللون . ثم وجدنا فى حفل الزار الذى شاركنا فيه فى قرية كفر الزيتون بمحافظة الغربية أن المشتركين فى الزار — رجالا ونساءا — يرتدون أزياءهم العادية التى يرتدونها فى خروجهم العادى . مع ملاحظة أن حفل الزار المشار اليه من النوع « الصـــغير »

---

(٤٥) انظر صورا للخلاخيل التى ترتديها الكودية عند كريس ، المرجع السابق ، نفس الصفحة ، وكذلك الصفحات التى نشرها لبعضها ، اللوحات رقم ١١٣ ، ورقم ٧٣ .

(٤٦) ومكتوب على واحدة منها على سبيل المثال من النواحى المختلفة : بسم الله ، الله الشافى ، ماشاء الله .

(٤٧) ارجع الى كريس ، المرجع السابق ، ص ص ١٥١ وما بعدها .

الذى يقام بصفة أسبوعية منتظمة ، والذى سلفت الاشارة اليه فى مطلع هذا الفصل •

ويضرب كريس المثل على بعض نماذج الملابس التى يطلبها الاسياد ، فالسلطان الاحمروالسلطان البحرى يطلبون عباءة حمراء مزينة بكنار من الذهب • أما الست السودانية ، أو الست الكبيرة فانها تتطلب زيا كاملا متعدد العناصر • وهى تعتبر من أشهر الاسياد ومن أكثرهم تداولا على ألسنة المرضى • وهى تطلب من عروستها أن ترتدى « ملاءة سودانية » كبيرة مزينة بمربعات سوداء وبيضاء وبكنار أحمر اللون عرضه حوالى ٨ سنتيمترات • وتطلب الست السودانية علاوة على الملاءة طاقية مشغولة ومزركشة بالخرز والاصداف الدقيقة ذات ألوان متعددة • وتطلب كذلك عقدا من الاصداف المثبتة فى نسيج مشغول ، وحزاما يبلغ عرضه نحـو ١٢ سنتيمتر ، وعقدا مشغولا بالخرز والصدف ، وخلخالا وأساور • ويزيد على العقد سلاسل حول الرقبة تتعدد من حالة لاخرى ، وتكون ثلاثة فى العادة ومثبت فيها حجاب أو أكثر على هيئة كيس داخل فى تكوين العقد • وهى تلبس بطريقة خاصة • وتحمل عروس الزار علاوة على هذا خنجرا ذات مقبض مصنوع من الخشب أو من العظم ، والجراب الموضوع فيه مزين بالخرز الملون كذلك • كما تحمل العروس علاوة على هذا عصا يبلغ طولها نحو ٦٠ سنتيمترا وهى محاطة من جميع جوانبها بالخرز كذلك • وفى بعض الاحيـان ترتدى عروس الست السـودانية طربوشا مزينا بالقصب • ولا يخفى ما تتكلفه كل هذه الاشياء ، خاصة وأنها ليست من سلع السوق العادية التى تتوافر فى أى وقت وبأى كمية ، ولكنها تتطلب اعدادا خاصا ومواصفات خاصة •

الا أن المسألة تبدو أكثر صعوبة بالنسبة لعرائس السلطان الصعيدى أبو دنفا ، الذى يظهر على ثلاث مستويات • ومن الاسماء الاخرى التى يشتهر بها كذلك اسم الجن الكبير • وهو يتطلب فى أرقى مستوياته — حيث

يكون اسمه أبو دنفا أو ملك الصعيد[٤٨] — سترة واسعة مفتوحة بنية اللون ذات أكمام طويلة ، وأهداب مزينة بالخرز الاحمر والشخاليل النحاسية . وكذلك سروالا على الطراز التركى مشغولا بنفس طريقة السترة . أما اذا ظهر فى صورة أبسط من هذا ، أى فى مستوى أدنى من هذا ، فانه يعرف باسم السلطان الصعيدى فقط . وترتدى عروسه فى هذه الحالة جلبابا عاديا بنى اللون ، ولبدة بنية عادة وشالا من ألوان أزرق وأحمر وذهبى . ويقوم الحاضرون تكريما له كذلك بأداء رقص العصا . أما اذا ظهر فى أدنى صورة فانه يتطلب جلبابا قصير الاكمام من قماش رخيص بنى اللون ، علاوة على طاقية وحقيبة بسيطة مصنوعتين من نفس قماش الجلباب .

أما أخته الست الصعيدية فتطلب من مريضتها جلبابا أسود اللون طويل الاكمام مصنوعا من قماش مشغول على هيئة الشبيكة مطعم بخيوط فضية اللون ، ومزود بكوفية . وتحمل على رأسها جرة فخارية ملونة من النوع الذى تستعمله النساء هناك لنقل الماء الى البيت .

أما السلطان ذى الاصل البدوى أو العربى فيطلب زيا معينا أيضا يرتبط بالبيئة البدوية . من هذا مثلا أن السلطان العربى الذى يعرف باسم (بابا أمير الحق) يطلب عباءة بيضاء محلاة برســوم . ومنقوش على ظهرها جمل وراعى وراء هذا الجمل ، وعلى الجانبين أهداب زرقاء اللون ذات نقوش دائرية الشكل . وترتدى عروس هذا السلطان العربى علاوة على هذا كوفية حريرية بيضاء ، مزركشة بزهور ذهبية اللون . ويرتدى المريض على هذه الكوفية عقالا بصورته العربية التقليدية .

أما أخته الست العربية فتطلب « ملس » حريريا أبيضا بأكمام طويلة منقوش على حوافه ، وعليه برقع تتدلى منه بعض العملات المعدنية المذهبة اللون بصورتها التقليدية المعروفة ، كما تتدلى فوق الملس بعض قطع الخرز

---

(٤٨) وتتدرج تلك المستويات الثلاثة على النحو التالى (من اعلى الى الادنى) : ملك ، وعمدة ، وشيخ .

والصدف الزرقاء والبيضاء والحمراء ، علاوة على الحزام البدوى التقليدى •

أما السلطان رينا باشا فيطلب ملاءة ذايت أهداب ، وملونة بالالوان الزرقاء والحمراء والذهبية •

وقد أشرنا من قبل الى الياورى بك أو سلطان اللواء ، الذى يظهر فى صورته الدنيا باسم العسكرى • ومن الطبيعى أن تختلف طلباته من الملابس والحلى تبعا للمستوى الذى يظهر به • فهو فى صورته الاولى كسلطان اللواء يطلب طربوشا أحمر مزركشا ذا وشاح (تلفيحة) حريرى أحمر • أما أخته « الست » فتطلب طرحة حريرية (جورجيت) حمراء اللون • أما عندما يظهر كعسكرى فانه يكتفى بطلب مسدس مصنوع بطريقة بدائية من الخشب ، يقترب كثيرا من لعب الاطفال • وقد ظهرت لهذا السيد صورة حديثة تعرف باسم الضابط . ويتصوره المعتقد الشعبى فى صورة ضابط على هيئة ضباط هذه الايام . يرتدى سترة الضباط العادية ، وطربوشا أحمرا عاديا(٤٩) •

أما سيدى عبد القادر الجيلانى أو المغربى ، وكذلك سيدى عبدالسلام فيطلبون نفس الملابس التى يطلبها الياورى بك ، والفارق الوحيد أن كل ملابسهما تكون من اللون الاخضر . وكذلك صورهما المؤنثة •

أما السلطان القبطى فيطلب غطاء الرأس الاسود الذى يلبسه القساوسة وتتدلى منه خمس صلبان ذهبية اللون ، كما يطلب وشاحا أسودا محلى بخيوط ذهبية • أما أخته الست القبطية فتطلب قبعة سوداء بسيطة دون صلبان ، كما تطلب وشاحا أسودا باطار ذهبى أيضا •

---

(٤٩) يذكر القارىء ان ضباط الجيش كانوا قبل الثورة يرتدون طربوشا أحمرا عاديا ، تقرر الغاؤه بعد عام ١٩٥٢ . وهذا هو وجه الخلاف بين زى هذا الضابط ، وزى الضباط المعتاد .

أما السلطان الدرويش فيطلب عباءة خضراء وطاقية حمراء . أما يوسف المدلى فى المدن فيطلب طربوشا أحمر وعصا ذا رأس فضى مشغول فى وسطه ومدلى منه أربع خلاخيل . ويريد كريس أن يعتبره لهذا السبب من الأسياد ذات الطبيعة العسكرية(٥٠) .

أما سلطان مامة وأقاربه وخاصة سلطان الحبش فهو عبارة عن روح مؤنثة تقترب فى صورتها الى حد كبير من صورة الست السودانية وتأخذ وضع الجد أو الام الكبرى ، ويبدو أنه من المتعذر الفصل بين الشخصيتين أو بين الصورتين ، فربما كانا اسمين مختلفين لتصور شعبى واحد . وتطلب سلطان مامة نفس الملابس ونفس الحلى التى تطلبها الست السودانية . وتنتمى الى نفس هذه العائلة أيضا هوانم الحبش ، حيث ترتدى لهما المريضة شالا مزركشا بالعملات الذهبية اللون ، وحزاما مزينا بقطع فضية اللون ويظهر « سبع الخلاء » كأخ لهذه الشخصية بطربوش أحمر مثبت فى وسطه مرآة .

وتحتل « الست السفينة » مكانة خاصة بين هذه الشخصيات الروحية . فهى تبدو فى مظهرها من قمة رأسها حتى اخمص قدمها فى صورة امرأة ، بينما يبدو بقية الجسد فى صورة جسم سمكة . وهى كما جاء عند انو ليتمان لا تطلب لنفسها ملابس خاصة . ولكن يجب فى الوقت الذى تغنى فيه الشيخة لها أن يوجد — على نحو ما جاء فى بيانات اخبارى ليتمان — : « اناءا كبيرا من النحاس ، مملوء الى نصفه بالماء ، وتعوم فيه بعض الاسماك الحية ، لكى تلعب فيها المرأة المريضة . وتغمس المرأة رأسها فى هذا الماء وتلعب بالاسماك أثناء الغناء »(٥١) .

---

(٥٠) استطاع كريس ان يحصل على هذه الملابس والحلى بسهولة من احد المحلات التجارية بخان الخليلى (حدد اسمه فى كتابه) فى حى الحسين بالقاهرة . ولصاحب المحل العجوز خبرة واسعة فى الملابس وقطع الحلى التى تناسب كل نوع من الاسياد لكثرة تردد العملاء عليه وتخصصه كلية فى الاتجار فيها . والجدير بالذكر ان تجارة هذا الرجل فى ازدهار مضطرد عاما بعد آخر . قارن كذلك كريس ، المرجع السابق ، ص ١٥٩ .

(٥١) قارن ليتمان ، المرجع السابق ، ص ٦٦ .

٨ ــ خاتمــة :

تلك هى أبرز العناصر الداخلة فى دراسة موضوع الزار سواء من النواحى الاعتقادية أو الادبية أو المادية أو من حيث الممارسات • ولاشك أن الصورة كانت ستصبح أكثر اكتمالا لو أنهينا ذلك العرض بمحاولة رسم صورة لاحد احتفالات الزار • وأمامنا نموذج مفصل لهذا قدمه المستشرق كريس فى كتابه ، كما أن لدينا حصيلة خاصة استقيناها من دراساتنا الميدانية لبعض حفلات الزار ، خاصة حفل كفر الزيتون • ولكن اعتبارات الحيز المحدد لهذا الفصل تحتم علينا ارجاء هذا العرض ــ الذى سيفوق وحده حجم عرضنا هذا ــ الى مناسبة مقبلة باذن الله •

قائمة ببليوجرافية باهم المراجع والمصادر
فى دراسة المعتقدات الشعبية

أولا : قائمة المراجع العربية ·

ثانيا : قائمة المراجع الافرنجية ·

اولا : قائمة المراجع العربية

١ ــ ابراهيم ابراهيم هلال : **ولاية الله والطــريق اليها** ، القــاهرة دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٩ .

٢ ــ ابراهيم على ابو الخشب : **أولياء الله الصالحون** ، القاهرة ، مطبعة امين عبد الرحمن ، ١٩٥٦ .

٣ ــ ابن البيطار ، ضياء الدين احمد ، **الجامع لمفردات الادوية والاغذية** ، القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٢٩١ هـ . الجــزء الرابع .

٤ ــ ابن الجوزى ، جمال الدين ابو الفرج عبــد الرحمن (ت ٥٩٧ هـ) . **نقد العلم والعلماء او تلبيس ابليس** ، القاهرة ادارة الطباعة المنيرية . (الفكرة المحورية التى يدور حولها الكتاب هى ان ابليس يتخــذ طرقا واســاليب متعددة ليكيــد للبشر ويصرفهم عن الطريق الســديد نحو الله او يزيغهم عنه . ومن هنا فان المؤلف يحرص على كشف مكايده التى ينصــبها لكل الطوائف ســواء اكانوا علماء او حكاما أو عبادا او صوفية او حتى عواما ، بل وكيف يلبس على المتدينين بما يشبه الكرامات . واتماما لكشف فتن ابليس يقدم المؤلف مناقشة واسعة للأقــوال والآراء التى تدمتها الفــرق الاسلامية والمزالق التى ترددوا فيها وكذلك فيما يتعلق بســلوك الطوائف التى اشرنا اليها . ويستعين فى مناقشــاته وتأكيد فكرته بقصص وأحاديث وأخبار عن أحاييــل الشيطان وعن البدع والنواهى التى يقع فيها بنى الانسان . وهذا ما يعطى الكتاب أهميته فى دراسة المعتقد الشعبى وخاصة من زاوية التاريخ للممارسات والتصــورات والقصص والاخبــار وبعــدها الزمنى) .

٥ ــ ابن الحاج المغربى ، ابو عبد الله محمد بن محمــد العبدرى القيروانى (ت ٧٣٧ هـ) . **شــموس الانوار وكنــوز الاسرار** ، القــاهرة ، المطبعــة الكستلية ، ١٢٩١ هـ .

٦ — ابن الملقن ، عمر ابن على : **طبقات الاولياء** ، حققه وخرجه نور الدين شريبة . القاهرة ، مكتبة الخانجى ، ١٩٧٥ .

٧ — ابن سيرين ، ابو بكر محمد : **تفسير الاحلام والرؤيا** . القاهرة ، مكتبة مدبولى ، ١٩٧٦ .

٨ — ————— : **تعبير الرؤيا** . الطبعة الثانية ، بغداد ، مطبعة البصرى ، د . ت .

٩ — ————— : **تفسير المنامات الكبير** . دمشق ، دار كرم ، ١٩٧٢ .

١٠ — ابن نعيم الاصبهانى : **حلية الاولياء فى تراجم الصوفية** . ١٠ مجلدات ، د . ت .

١١ — ابن يحيى الاقارقى ، محمد بن يحيى (٨٩٩ — ٩٦٣ هـ) .
قلائد الجواهر فى مناقب الشيخ عبد القادر ،
القاهرة ، ١٣٠٣ هـ . ضمنه أخبار رجال اثنوا على الشيخ عبد القادر الجيلانى ، وبهامشه فتوح الغيب لعبد القادر الجيلانى .

١٢ — أبو العباس احمد بن ابراهيم : **المنهاج الواضح فى تحقيق كرامات ابى محمد صالح** . القاهرة ، المطبعة العصرية ، ١٣٥٢ هـ .

١٣ — ابو الوفا محمد درويش : **الاسلام والروحية** . القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥١ .

١٤ — ابو شامة ، شهاب الدين عبد الرحمن بن اسماعيل :
الباعث على انكار البدع والحوادث ، تحقيق محمد فؤاد الطرابلسى . القاهرة ، المطبعة المنيرية ، ١٩٥٥ .

١٥ — اثناسيوس الرسول (القديس) :**حياة الانبا انطونيوس** ، تعريب مرقس داود . كنيسة مارى مرقس ، ١٩٧٠ .
ترجمة لحياة الانبا انطونيوس ابو الرهبان وكوكب البرية ومؤسس الرهبنة ، يليها عرض لمعجزاته ونصائحه ، ثم الحديث عن موته ودفنه .

١٦ — احمد بن احمد بن اسماعيل الجلوانى : **النبذة السنوية فى اصول الطريقة الخلوتية وآدابها وارواحها البهية** . القاهرة ، مطبعة السعادة ، ١٣٤٨ هـ .

١٧ — احمد أبو زيد وآخرون : **دراسات فى الفولكلور** . القاهرة ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٢ .

١٨ — احمد آدم محمد : « التمائم والاحجبة » . **مجلة الفنون الشعبية** ، السنة ٤ ، العدد ١٦ ، مارس ١٩٧١ .

١٩ — احمد الخشاب : **الاجتماع الدينى ، مفاهيمه النظرية وتطبيقاته العملية** . ط ٢ ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٦٤ .

٢٠ — احمد الدرندلي : **مرشد الهدايات الى واجبات الحلاقين والدايات ومنافع العائلات** . القاهرة ، مطبعة الواعظ ، ١٣٢٣ هـ .

٢١ — احمد السنوسى : **الاحلام ولماذا نحلم ؟** . القاهرة ، ١٩٤٨ .

٢٢ — احمد الشرباصى : **التصوف عند المستشرقين** ، القاهرة ، المكتب الفنى للنشر ، ١٩٦١ .

٢٣ — احمد الشنتناوى : **فنون السحر** . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٧ .

٢٤ — ———— : **التنبؤ بالغيب قديما وحديثا** . القاهرة دار المعارف ، ١٩٥٩ .

٢٥ — أحمد الصباحى عبد الله : **احلام الانبياء والصالحين** . تقديم عبد الرازق نوفل . القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٧٤ .

٢٦ — احمد بن عبد الله الاصبهانى : **حلية الاولياء وطبقات الاصفياء** . القاهرة ، مطبعة السعادة ٣٢ — ١٩٣٥ . ٦ مجلدات .

٢٧ — احمد ثابت موافى : **عقلية الفلاح وعلاقتها بالتطبيب والوقاية** ، القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦ .

٢٨ ـ احمد جبـــارة : **عجائب الطب الشـعبى** ، حلب ، دار البـلاغة ، ١٩٧٢ .

٢٩ ـ احمد عز الدين عبد الله خلف الله : **من قادة الفكر الصوفى الاسلامى ، السيد ابراهيم الدسوقى** ، القاهرة ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، ١٩٦٨ .

٣٠ ـ احمد عيسى : **آلات الطب والجراحة والكحالة عند العرب** ، القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٣٠ .

٣١ ـ احمد فتحى الزيات وممدوح الوكيل : **النوم والرؤيا والارق بين الدين والعلم** . القـاهرة ، دار الكاتب العـربى ، ١٩٦٨ .

٣٢ ـ احمد فهمى ابو الخير : **الظواهر الروحية** ، القاهرة ، مطبعة لجنـة التاليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٩ .

٣٣ ـ ————————— : **اشباح وارواح** ، القاهرة ، المطبعة العالمية، ١٩٥٤ .

٣٤ ـ احمد كمال حسن : **الطب المصرى القديم** ، مطبعة المقتطف والمقطم ، ١٩٢٢ .

٣٥ ـ احمد محمد حجاب : **العظة والاعتبار ، آراء فى حياة السيد البـدوى الدنيوية وحياته البرزخية** . الطبعـة الثانية ، القاهرة ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، ١٩٦٧ .

٣٦ ـ ارمان ، ادولف : **ديانة مصر القديمة ، نشاتها وتطـورها ونهايتها فى اربعة الاف سنة** ، ترجمة ومراجعة عبد المنعم ابو بكر ومحمـد انور شـكرى . القـاهرة ، مصطفى البابلى الحلبى ، بدون تاريخ .

٣٧ ـ اسحق عيسكوب : « الخرافات الشائعة فى الموصل » . **مجلة التراث الشـعبى** . مج ١ ع ١٠ ، مايـو ١٩٧٠ .
صص ٦٩ ـ ٨٥ ، مجلد ١ عدد ١١ ، ١٩٧٠ .

٣٨ ـ اسعد فهمى : **الدرة الثمينة فى عرافة الكونتشينة** ، القـاهرة ، مكتبة العرب ، ١٩٥٦ .

٣٩ — اسماعيل بن عبد الله المغربى الصاوى : **الدعاء المستجاب من خزائن رحمة الله الملك الوهاب** . القاهرة ، مطبعة الصدق الخيرية ، ١٣٧٤ هـ .

٤٠ — اسماعيل بن عبد الله المغربى الصاوى : **النور الوضاء فى مناقب وكرامات عمدة الاولياء** . القاهرة ، مطبعة الصدق الخيرية ، ١٣٤٨ هـ .

٤١ — الازرق ، ابراهيم بن عبد الرحمن بن أبى بكر : **تسهيل المنافع فى الطب والحكمة** ، القاهرة ، مطبعة الحلبى ، ١٣٠٤هـ .

٤٢ — الانطاكى ، داود (ت ١٠٠٨ هـ) . **تذكرة أولى الالباب والجامع للعجب العجاب** . القاهرة ، المطبعة الميمنية ، ١٣٨ ، ١٣٢٤ هـ ، الطبعة الثالثة .

٤٣ — البونى ، محيى الدين أحمد بن على القرشى (٦٢٢) . **رسالة السر الكريم فى فضل بسم الله الرحمن الرحيم** . القاهرة .

٤٤ — ———————— : **رسالة فى احكام البروج ومعرفة أوائل السنين** . وهى منتخبة من كتاب شمس المعارف . أولها : الحمد لله رب العالمين .. الخ . نسخة بقلم معتاد بها تلوث وترقيع فى ١٧ ورقة . مسطرتها ٢١ سطرا ١٦ × ٢٢ سم (٨٤ ش) .

٤٥ — ———————— : **السلك الزاهر فى علم الاوائل والاواخر** . نسخة بقلم معتاد ، بخط محمد المكى سنة ١٢١٤ هـ ، فى ٧ ورقات . مسطرتها ٢٣ سطرا .

٤٦ — ———————— : **شرح اسم الله الاعظم** . القاهرة يليه كتاب اللمعة لنفس المؤلف .

٤٧ — ———————— : **شمس المعارف الكبرى** ، او شمس المعارف ولطائف العوارف فى علم الحروف والخواص . القاهرة . طبع حجر ١٢٩١ هـ . الجزء الرابع .

٤٨ — ———————— : **شمس المعارف الكبرى ولطائف العوارف** . القاهرة ، مطبعة محمد على صبيح (أحد عمد كتب السحر) ان لم يكن هو عمدتها . يتضمن فوائد ودعوات تستخدم فى أغراض الحياة

المختلفة سواء ما كان منها يتعلق بالحياة اليومية او المنزلية او الحياة العامة . وكذلك ما يستخدم منها فى العلاج ضد الامراض والسموم او للوقاية منها . كما يشمل انماط اسماء الله الحسنى واساليب استخدامها فى الاغراض السحرية المختلفة . ويتبع ذلك بالكلام عن استخدامات الحروف وخلواتها والاعداد وتعريفها . والكتاب من الكتب المرجعية بين ايدى السحرة المحترفين من انحاء البلاد حتى الآن ، بل ومنه تخرج فصلات ومستخرجات فى كل موضوع على حدة يقتبسها مؤلفو السحر او يفردونها بالنشر) ويلى الكتاب اربعة رسائل :

١ — رسالة ميزان العدل فى مقاصد أحكام الرمل .

٢ — رسالة فواتح الرغائب فى خصوصيات أوقات الكواكب .

٣ — رسالة زهر المروج فى دلائل البروج .

٤ — رسالة لطائف الاشارة فى خصائص الكواكب السيارة .
تاليف السيد عبد القادر الحسينى الارضمى .

٤٩ — الباقلانى ، ابو بكر : **البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنارنجات** . عنى بنشره ريتشارد مكارثى : بيروت ، د . ت .

٥٠ — التونسى الفلكى : **قاموس الاحلام** . القاهرة ، مطبعة عزت خطاب ، ١٩٧٠ .

٥١ — الثعلبى ، بن اسحق احمد بن محمد ابراهيم : **قصص الانبياء ، المسمى بالعرائس** . القاهرة ، مكتبة الجمهورية العربية ، بدون تاريخ (الكتاب ذخيرة قصصية هائلة تدور حول خلق الارض والكواكب ، ثم خلق آدم وما جرى له هو وسلالاته من الانبياء ، الى ان ينتهى عند اصحاب الفيل وما جرى لهم مع قريش . وهو يجمع بذلك المادة القصصية

والاسطورية التى سبق ورودها فى التراث الاسلامى . والعربى خاصة ، حول تلك الموضوعات ويحشدها ليصبح الكتاب نبعا يستمد منه القصاصون والمنشدون (الشعبيون) .

٥٢ ــ الدمشقى ، شمس الدين (٦٥٤ ــ ٧٢٧ هـ) : **نخبة الدهر فى عجائب البر والبحر** ، بطرسبرج ، ١٨٦٦ .

٥٣ ــ الدميرى ، ابو البقاء كمال الدين محمد بن مدى : **حياة الحيوان الكبرى** ، القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، ١٩٦٣ ، جـ ٢ . مجلد (١) .

٥٤ ــ الدهلوى ، ابو عبد العزيز شاه ولى الله (١١١٤ ــ ١١٧٦ هـ) . **القول الجميل فى اصول الطرق الاربع ، النقشبندية والجيلانية والجشقية والمجددية** ، ١٢٩٠ هـ .

٥٥ ــ الرازى ، فخر الدين : **كتاب الفراسة** ، تحقيق يوسف مراد ، باريس ، المكتبة الشرقية ، ١٩٣٩ .

٥٦ ــ السجاعى ، شهاب الدين احمد بن محمد (ت ١١٩٧ هـ) : **رسالة فى اثبات كرامات الاولياء** . طبع مع كتاب شفاء السقام فى زيارة خير الانام لتقى الدين السبكى .

٥٧ ــ السيد محمد المهدى الحسينى : **لماذا نزور الامام** ، النجف ، مطبعة الآداب ، ١٩٦٥ .

٥٨ ــ السيوطى ، جلال الدين ، **الرحمة فى الطب والحكمة** . القاهرة ، مطبعة الرحمانية ، ١٩٢٧ .

٥٩ ــ الشاذلى . ابو الحسن على بن عبد الله (٦٥٦ هـ) : **الاحزاب الشاذلية** ، جمع وترتيب فؤاد غريب سليمان . الاسكندرية ، مطبعة دار نشر الثقافة ، ١٩٧٠ .

٦٠ ــ الشبلى ، بدر الدين ابو عبد الله محمد بن عبد الله : **آكام المرجان فى احكام الجان** . القاهرة ، دار الطباعة الحديثة ، ١٣٥٦ هـ .

٦١ ــ الشـــعرانى . ابو المـــواهب عبد الوهاب بن احمد (ت ٩٧٣ هـ) .
الانوار القدسية فى معرفة قواعد الصـــوفية ،
تقديم طه عبد الباقى سرور . القاهرة ، المجلد
الثانى .

٦٢ ــ ــــــــــــــــــ : **كشف الحجاب والران عن وجه اسئلة الجان .**
القاهرة ، مطبعة حجازى ، ١٣٥٧ هـ .

٦٣ ــ الغزالى . ابو حامد محمد بن محمـــد . (المتوفى ســـنة ٥٠٥ هـ) .
القصور العوالى من رسائل الامام الغزالى .
القاهرة ، مكتبة الجندى ، بدون تاريخ (حاز
الغزالى مكانة كبيرة بين متفقهى الشعب بسبب
مجموعة المعارف الواسعة التى يقدمها فى كتبه
ورسائله ، ولنهجه الرافض للعقلانية والقياس،
ولمنحاه الصوفى . ومن هنا فان كتبه ورسائله
تلقى رواجا بين متفقهى العامة . وقـــد يفسر
هذا ايضا ما نجده فى كتبه ورسائله من عناصر
ومواد نعثر عليها فى التراث الشعبى المتداول .
ومجموعة الرسائل المنشورة فى هـــذا الكتاب
رغم تراوحها بين مباحث فى علم الكلام واخرى
فقهية الى مسائل تصوفية ، الا اننا نستطيع أن
نلمس فيها نفس الظواهر المذكورة) .

٦٤ ــ الغسانى . على بن رسول (٦٢٠ ــ ٦٩٥ هـ) . **المعتمـــد فى الادوية المفردة** . القاهرة ، المطبعة اليمنية ، ١٣٢٧هـ

٦٥ ــ الفونس نومايبحطى : **المجهوية المسيحية فى القرن الرابع وحياة الانبا باخوميتوس** . الاسكندرية ، ١٩٥٤ . رســـالة
ماجستير ــ كلية الآداب ــ جامعة الاسكندرية.

٦٦ ــ القاسمى ، جمال الدين : **مذاهب الاعراب وفلاسفة الاسلام فى الجن .**
دمشق ، مطبعة المقتبس ، ١٣٢٨ هـ .

٦٧ ــ القزوينى : **عجائب المخلوقات والحيـــوانات وغرائب الموجـــودات .**
القاهرة ، المكتبة التجارية الكبرى ، الجـــزء
الثانى فى مجلد واحد ، ١٩٦٣ .

٦٨ ــ الكاشفى : **مكاشفة القلوب .** القاهرة ، المطبعة الاميرية ، ١٣٠٠ هـ .

٦٩ ــ الكرناتى ، احمد الزنجانى : **الوجيز فى السحر والمعجزة .** النجف ،
مطبعة الغرى ، د . ت .

٧٠ — المغربى ، محمد تونسى : سر الاسرار فى استحضار الجن وصرف العمار . القاهرة . د . ت .

٧١ — النبهانى ، يوسف اسماعيل : جامع كرامات الاولياء ، القاهرة ، المطبعة الميمنية ، ١٣٢٩ هـ .

٧٢ — النويرى ، شهاب الدين احمد عبد الوهاب : نهاية الارب فى فنون العرب . (ويضم عديدا من المعتقدات والمعلومات المتعلقة بالسماء والمخلوقات العلوية والارض والعالم السفلى . وكذلك المعتقدات والمعارف المتعلقة بالانسان ، والحيوان ، والنبات ... الخ) .

٧٣ — امين رويحة : التداوى بالاعشاب بطريقة علمية تشمل الطب الحديث والقديم . بيروت ، دار الاندلس ، ١٩٦١ .

٧٤ — امين سيد احمد الزيات : علم الركة او بدع العوام فى الخرافات والاوهام . القاهرة ، ١٩١١ ، الجزء الثانى .

٧٥ — انس محمد حسين الخطيب : دراسة عن الخرافة فى المجتمع المصرى . رسالة دبلوم معهد العلوم الاجتماعية بكلية الآداب — جامعة الاسكندرية .

٧٦ — انور طلب ابراهيم : ذو الكرامات ، السيد احمد البدوى . القاهرة ، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ، ١٩٧٦ .

٧٧ — باستيد ، روجيه : مبادىء علم الاجتماع الدينى ، ترجمة محمود قاسم . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٥٨ .

٧٨ — باسكوم ، وليم وميلفيل هيرسكوفيتز : الثقافة الافريقية ، ترجمة عبد الملك الناشف ، صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٦٦ .

٧٩ — براون ، ادوارد . ج : الطب العربى ، ترجمة احمد شوقى حسن ، مراجعة محمد عبد الحليم العقبى . القاهرة ، سجل العرب ، ١٩٦٦ .

٨٠ — برستيد ، جيمس هنرى : تطور الفكر والدين فى مصر القديمة ، ترجمة زكى سوسى ، القاهرة ، دار الكرنك ، ١٩٦١ .

٨١ — بول غليونجى : **طب وسحر** ، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٠ .

٨٢ — بول غليونجى وزينب الدواخلى : **الحضارة الطبية فى مصر القديمة** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٥ .

٨٣ — بوتيرو ، جان : **الديانة عند البابليين** ، ترجمة وليد الجادو ، بغداد ، مطبعة الجمهورية ، ١٩٧٠ .

٨٤ — بيت الشمامسة القبطى بالجيزة : **فضائل فى حياة القديسين** ، **سلطان القديسين** ، القاهرة ، ١٩٦٧ . عرض لاختبارات القديسين فى مقاومة الشدائد من الخوف والالم والمرض وتحديات الطبيعة ، معتمدين على ايمانهم الراسخ .

٨٥ — بيلز ، رالف وهويجر هارى : **مقدمة فى الانثروبولوجيا العامة ج ١ ج ٢** ، ترجمة د . محمد الجوهرى ود . السيد الحسينى . القاهرة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ١٩٧٦ — ١٩٧٧ .

٨٦ — توفيق الطويل : **التصوف فى ابان العصر العثمانى** . رسالة ماجستير — بكلية الآداب — جامعة القاهرة ، ١٩٣٨ .

٨٧ — ثابت بن قرة : **الذخيرة فى علم الطب** ، تحقيق ج . صبحى ، القاهرة : مطبعة الجامعة المصرية ، ١٩٢٨ .

٨٨ — جودة الحرق : **مناجاة الارواح وما وراء الطبيعة** . بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٦١ .

٨٩ — جورج حبيب ، « خضر الياس » : **مقال فى مجلة التراث الشعبى** ، مج ١ ، ع ١١ ، يونيو ١٩٧٠ .

٩٠ — ———— ، « طاووس ملك » : **مقال فى مجلة التراث الشعبى** ، س ٣ ، ع ٨٢٧ ، آزار ونيسان ١٩٧١ .

٩١ — جورج شحاتة قنواتى : **تاريخ الصيدلة والعقاقير فى العهد القديم والعصر الوسيط** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٩ .

٩٢ — جورجى زيدان : **علم الفراسة الحديث** ، القاهرة ، مطبعة الهلال ، ١٩٠١ .

٩٣ — ————————— : **تاريخ الماسونية العام** . القاهرة . ١٨٨٩ .

٩٤ — جونز ، مكسويل وآخرون : **الطب النفسي والاجتماعي** ، ترجمة صموئيل مفاريوس ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦١ .

٩٥ — حافظ محمود عبد الرحمن : **الملائكة والجان تشاركنا الحياة** ، القاهرة، مطبعة الدار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٧٢ .

٩٦ — حامد محمد الجنايني : **الكتاب الذهبي من المجموعة الفلكية لتفسير الاحلام** . جـ ١ . القاهرة، دار الهلال، ١٩٦١ .

٩٧ — حبيب سلموني : **السماء وجهنم والحالة الوسطى ، او عالم الروح** . القاهرة . مطبعة المقتطف ، ١٨٩٦ .

٩٨ — حسن ابراهيم وهبة : **اعشاب مصر الطبية وفوائدها** . الطبعة الثانية . القاهرة ، مطبعة الوفد . ١٩٣٥ .

٩٩ — حسن شحاتة سعفان : **الدين والمجتمع** ، دراسات فى الاجتماع الديني . القاهرة ، مطبعة دار التاليف ، ١٩٥٧ .

١٠٠ — حسن عبد السلام : **ذخيرة العطار ، او تذكرة داود فى ضوء العلم الحديث** . القاهرة ، مطبعة المعارف ، ١٩٤٢ .

١٠١ — حسن كامل نجم : **الديانات المصرية القديمة حسب رواية هيرودوت**. رسالة ماجستير ، كلية الآداب — جامعة القاهرة ، ١٩٣١ .

١٠٢ — حسن محمد الشرقاوي : **الطرق الصوفية ومراسمها فى محافظات الوجه البحري** . رسالة دكتوراه بكلية الآداب — جامعة الاسكندرية ، ١٩٧٣ .

١٠٣ — حسين عبد الوهاب : **عيون المعجزات** ، النجف ، المطبعة الحيدرية ، ١٩٥٠ .

١٠٤ — حسين قلى الداغستاني : **كشف الظلمة عن معتقدات البابية وبيان معتقدات المسيحيين** . القاهرة ، المطبعة الشرقية ، ١٣٢٤ هـ .

١٠٥ — دار كرم : **تعليم الالعاب السحرية والاسرار الخفية فى الالعاب السيماوية** . دمشق ، ١٩٧٢ .

١٠٦ — ———————: **تعليم قراءة الكف** ، دمشق ، ١٩٧٢ .

١٠٧ — دى فريز ، جان : « حكايات الجان » ، ترجمة فوزى سمعان . **مجلة الفنون الشعبية** ، السنة ٤ ، عدد ١٦ ، مارس ١٩٧١ .

١٠٨ — رشدى كامل : **الحقيقة فى لغة علم الكف** . القاهرة ، مطبعة رمسيس ، ١٩٧٤ .

١٠٩ — رمزى مفتاح : **اسرار الظواهر الروحانية والمغنطيسية** ، القاهرة ، مصطفى البابى الحلبى ، ١٩٤٨ .

١١٠ — رؤوف عبيد : **الخلود ، العقل ، الاعتقاد فى ضوء العلم الحديث** . القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٨ .

١١١ — زكريا حسن : **خفايا عالم الروح** ، القاهرة ١٩٤٧ .

١١٢ — زكى مبارك : **التصوف الاسلامى فى الادب والاخلاق** . القاهرة ، مطبعة الرسالة ، ١٩٣٨ .

١١٣ — زهاوى زادة جميل صدقى : **الفجر الصادق فى الرد على مفكرى التوسل والكرامات والخوارق** . القاهرة ، مطبعة الواعظ ، ١٣٢٣ هـ .

١١٤ — ستيز ، بلاكتسلاند : **لمحة عن تاريخ الطب من السحر الى الطب الحديث** ، ترجمة احمد زكى الحكيم . القاهرة ، لجنة البيان العربى ، ١٩٥٨ .

١١٥ — سعد الخادم : **الفن الشعبى والمعتقدات السحرية** ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٤ .

١١٦ — سعد الدين محمود نسيم : **المولد النبوى الشريف للسادة الشاذلية الفاسية** . القاهرة ، محمد على صبيح ، بدون تاريخ . (الكتيب عبارة عن النص الذى يتلى فى الحضرات الشاذلية لقصة الميلاد النبوى . ويتراوح النص بين أجزاء نثرية وأخرى شعرية . وواضح أن وظيفة الجزء النثرى هو السرد القصصى . بينما الجزء الشعرى للانشاد .

وهو يسع الطينة المحمدية منذ أن حبلت قبل خلق آدم ، وتسلسلها الى أن تم الميلاد الشريف . وقبل ذلك وبعده يورد أوصافه وصفاته التى توضح عظمته) .

١١٧ — سعيد عبد الفتاح عاشور : **السيد احمد البدوى ، شيخ وطريقة** . الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ . (أعلام العرب — ٥٨) .

١١٨ — سليمان مظهر : **قصة العقائد بين السماء والارض** . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٢ .

١١٩ — سيد عبد الله حسين : **الجن فى ذكر جميع احوال الجن** ، القاهرة . عيسى البابى الحلبى ، ١٩٥٦ .

١٢٠ — سيد عويس : **الخلود فى التراث الثقافى المصرى** . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٦ .

١٢١ — سيد عويس : **من ملامح المجتمع المصرى المعاصر ، ظاهرة ارسال الرسائل الى ضريح الامام الشافعى** . القاهرة. المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، ١٩٦٥ .

١٢٢ — ———————— : **حديث عن الثقافة ، بعض الحقائق الثقافية المصرية المعاصرة** . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ .

١٢٣ — شاكر هارى غضب ، «المواد العطارية المعروفة فى مناطق القاسم». **مجلة التراث الشعبى** ، مج ١ ، ع ٨ ، مارس ١٩٧٠ .

١٢٤ — شكرى صادق : **الهيبنوتيزم ، او التنويم المغناطيسى الحديث ، علمى وعملى** . القاهرة ، مطبعة التوفيق ، ١٩١١ .

١٢٥ — ———————— : **علم قراءة الافكار** ، القاهرة ، ١٩١٤ .

١٢٦ — ———————— : **علم استحضار الارواح** ، القاهرة ، د . ت .

١٢٧ — شيشرون : **علم الغيب فى العالم القديم** ، ترجمة توفيق الطويل . القاهرة ، ١٩٤٦ .

١٢٨ — صبرى جرجس : **من الفراعنة الى عصر الندة ، سطور من قصة الصحة النفسية فى مصر** . القاهرة ، دار الكاتب العربى ، ١٩٦٧ .

١٢٩ — صلاح عزام : **اقطاب التصوف الثلاثة** ، السيد أحمد البدوى ، السيد أحمد الرفاعى ، السيد عبد الرحيم القناوى ، تقديم عبد الحليم محمود ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٦٨ .

١٣٠ — ضرى ، اسبيرو : **معجم الاحلام** ، ج ١ . القاهرة ، مطبعة المقتطف ، ١٩٣٠ .

١٣١ — طلال سالم الحديثى : « اتقاء الشر فى المعتقد الشعبى » **مجلة التراث الشعبى** ، س ٢ ، ع ٧ ، ٨ ، مارس وابريل ١٩٧١ .

١٣٢ — طنطاوى جوهرى : **الارواح** ، القاهرة ، مطبعة السعادة ، د.ت .

١٣٣ — عادل حسنى حسنين : عبادة وتقديس الشجرة . **رسالة دبلوم مقدمة لمعهد العلوم الاجتماعية بكلية الآداب — جامعة الاسكندرية** . ١٩٦٧ .

١٣٤ — عايدة عبد العزيز محمد : العادات والتقاليد وأثرها على الفن الشعبى كما يحييها الزار . **رسالة ماجستير — المعهد العالى للتربية الرياضية للمعلمات بالقاهرة** . ١٩٧٢ .

١٣٥ — عباس محمود العقاد : **الله ، كتاب فى نشأة العقيدة الالهية** ، الطبعة الرابعة ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٤ .

١٣٦ — ———— : **ابليس** ، القاهرة ، دار الهلال ، ١٩٦٧ .

١٣٧ — عبد الحليم محمود : **المدرسة الشاذلية الحديثة وامامها ابو الحسن الشاذلى** . القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، ١٩٦٨ .

١٣٨ — عبد الرازق نوفل : **عالم الجن والملائكة** ، القاهرة ، دار ومطابع الشعب ، ١٩٦٨ .

١٣٩ — ———— : **الاسلام والعلم الحديث** ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، مكتبة الوعى العربى ، ١٩٦٥ .

١٤٠ — عبد الرحمن اسماعيل : **التقويمات الصحية على العوائد المصرية** . القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٣١٣ هـ .

١٤١ — ——————— : **طب الركة** ، القاهرة ، مطبعة العاصمة ، ١٨٩٢ ، الجزء الثانى فى مجلد .

١٤٢ — عبد الرحمن الوكيل : **البهائية ، تاريخها وعقيدتها وصلتها بالباطنية والصهيونية** . القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٦٢ .

١٤٣ — عبد الرحمن بدوى : **شطحات صوفية** ، جـ ١ . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤٩ .

١٤٤ — عبد الرحمن قراعة : **بحث فى النذور واحكامها** . القاهرة ، مطبعة مصر ، ١٩٣٦ .

١٤٥ — عبد الرحيم بن احمد القاضى : **دقائق الاخبار فى ذكر الجنة والنار** . القاهرة ، محمد على صبيح ، بدون تاريخ بهامشه كتاب الدرر الحسان فى البعث ونعيم الجنان للسيوطى (بعد أن يتعرض المؤلف لوصف خلق الروح الاعظم وهو نور سيدنا محمد وخلق آدم ثم ذكر الملائكة يؤدى به ذلك الى ذكر خلق ملك الموت وهذا يؤدى به على التوالى الى بيان احوال ملك الموت وكيف يأخذ الارواح وذكر جواب الروح وجواب الاعضاء ، وكيف يسلب الشيطان الايمان ، ثم ينتقل من ذلك الى ذكر النداء على الانسان بعد وفاته وحال الارض والقبر والملك الذى يدخل القبر قبل منكر ونكير والسؤال وزيارة الروح للقبر والمنزل . ثم ينتقل الى بيان يوم الحشر وما يجرى للبشر فيه ثم احوال البشر فى كل من الجنة والنار وما يلقونه فى كل منهما . والكتاب بالنحو المتقدم به يقدم مادة مرجعية يعود اليها متفقهو الشعب يستمدون منها اقاصيصهم ومواعظهم عن الموت والروح والجنة والنار) . وهذا ما هو حادث فعلا ويوضحه انتشار الكتاب فى الاسواق الشعبية .

١٤٦ — عبد العزيز جادو : **الاحلام والرؤى** . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٦ .

١٤٧ — عبد الفتاح الاملم : **القضاء والقدر ثابتان شرعا وعقلا والاكتشافات العلمية تشهد** ، دمشق ، مطبعة الترقى . د . ت .

١٤٨ — عبد الفتاح عبد الله بركة : **الحكيم الترمذى ونظريته فى الولاية** ، رسالة دكتوراة . كلية أصول الدين — جامعة الازهر . القاهرة ، ١٩٧٠ .

١٤٩ — عبد القادر العياش : « النار وما اليها فى وادى الفرات » . **مجلة التراث الشعبى** ، م ١ ، ع ٥ ، ديسمبر ١٩٦٩ .

١٥٠ — عبد الكريم الخطيب : **على بن أبى طالب ، بقية النبوة وخاتم الخلافة** القاهرة ، دار الفكر العربى ، ١٩٦٧ .

١٥١ — عبد اللطيف محمد الدمياطى : **الوساطة الروحية** ، القاهرة ، مكتبة مصر ، ١٩٤٩ .

١٥٢ — عبد الله الصديق الغمارى : **الحجج البينات فى اثبات الكرامات** . القاهرة ، مطبعة دار التاليف ، ١٩٧٠ .

١٥٣ — عبد الله حسين : **الاحلام والخرافات والسحر** ، القاهرة ، مطبعة التوفيق ، ١٩٤٩ .

١٥٤ — عبد الفتاح الطوخى : **احكام الحكيم فى علم التنجيم** ، القاهرة ، مكتبة القاهرة ، ٦ أجزاء .

١٥٥ — ———————— : **السحر العظيم** ، ٣ مج . د . ت .

١٥٦ — ———————— : **سحر هاروت وماروت فى الالعاب السحرية** . ٣ مج .

١٥٧ — عبد المنعم بدر واحمد الصباحى عوض الله : **تفسير الاحلام الدينى والعلمى** ، القاهرة ، دار الشعب ، ١٩٦٩ .

١٥٨ — عبد المنعم شميس : « الشبشبه ، من نصوص الادب الشعبى المصرى » **مجلة الفنون الشعبية** ، س٤ ، ع ١٢ ، مارس ١٩٧٠ .

١٥٩ — ــــــــــــــــ : « الرقى فى الادب الشعبى المصرى » . مجلة الفنون الشعبية ، س ٤ ، ع ١٥ ، ديسمبر ١٩٧٠ .

١٦٠ — ــــــــــــــــ : « الزار مسرح غنائى شعبى لم يتطور » ، مجلة الفنون الشعبية ، س ٥ ، ع ١٧ ، يونيو ١٩٧١ .

١٦١ — ــــــــــــــــ : الجن والعفاريت فى الادب الشعبى المصرى . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٦ .

١٦٢ — عثمان خيرت : « نخيل البلح ومكانته فى الثقافة الشعبية » مجلة الفنون الشعبية ، س ٤ ، ع ١٣ ، يونيو ١٩٧٠ .

١٦٣ — عزى عبد الوهاب : « النخلة فى صناعاتنا ومعتقداتنا الشعبية » مجلة التراث الشعبى ، مج ٢ ، ع ٩ ، مايو ١٩٧١ .

١٦٤ — عزيز جاسم الحجية : « التنور البغدادية » ، مجلة التراث الشعبى ، مج ١ ، ع ٢ ، سبتمبر ١٩٦٩ .

١٦٥ — عطا الله حنا : علم استحضار الارواح ، القاهرة ، ١٩٤٧ .

١٦٦ — على الجندى : الجن بين الحقائق والاساطير . القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠ .

١٦٧ — على الوردى : الاحلام بين العلم والعقيدة ، بغداد ، مطبعة الرابطة ، ١٩٥٩ .

١٦٨ — على عبد الجليل راضى : العلاج الروحى ، القاهرة ، دار الشروق ، ١٩٧٥ .

١٦٩ — على عبد الواحد وافى : الشعر الحماسى عند قدماء اليونان ومبلغ دلالته على عقائدهم ونظمهم الاجتماعية . القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٥١ .

١٧٠ — ــــــــــــــــ : العقائد الدينية عند قدماء اليونان . القاهرة ، مطبعة لجنة البيان العربى ، ١٩٦٤ .

١٧١ — على محفـــوظ : **الابداع فى مضار الابتداع** ، الطبعة السادسة . القـاهرة ، المكتبة المحمـودية التجارية ، ١٩٧٠ .

١٧٢ — غازى العبـــادى : « الكلب الاسود » . **مجلة التراث الشعبى** . مج ١ ، ع ٨ ، مارس ١٩٧٠ .

١٧٣ — فاروق احمد مصطفى : **البناء الاجتماعى للطريقة الشاذلية بمصر ، دراســة فى الانثروبولوجيـا الاجتماعية** . رســالة ماجســتير بكلية الآداب — جامعة الاسكندرية . ١٩٧٤ .

١٧٤ — فاطمه حسين المصرى : الزار . دراسة نفسية اجتماعية . رسالة ماجستير — كلية الآداب — جامعة عين شمس . القاهرة ، ١٩٦٦ .

١٧٥ — ــــــــــــــ : **الزار ، دراسة تحليلية انثروبولوجية نفسية** . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

١٧٦ — فريزر ، سيرجيمس : **الغصن الذهبى ، دراسة فى السحر والدين** . ج ١ . ترجمة احمد ابو زيد ، محمد غالى ، نور شريف . القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ١٩٧١ .

١٧٧ — فؤاد جميـــل : « الصلبة والطب البدوى » . **مجلة التراث الشعبى**، مج ١ ، ع ٥ ، ديسمبر ١٩٦٩ .

١٧٨ — فوزى العنتيل : « السيف فى المعتقدات الشعبية » **مجلة الفنــون الشعبية** ، س ٣ ، ع ١٠ ، سبتمبر ١٩٦٩ .

١٧٩ — كاظم سعد الدين : « الطيور فى الفولكلور العراقى » . **مجلة التراث الشعبى** ، م ١ ، ع ٢ سبتمبر ١٩٦٩ .

١٨٠ — كراب ، الكزاندرهجرتى : **علم الفولكلور** ترجمة رشدى صالح ؟ دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٧ .

١٨١ — كوماس ، جوان : **خرافات عن الاجناس** ، ترجمة محمد رياض ، مراجعة محمد عوض محمد ، القاهرة ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٦٠ .

١٨٢ — لبيب ميخائيل : **تحضير الارواح** ، القاهرة . مجلة الاخبار السارة . ١٩٦٠ .

١٨٣ — لطفى الصاوى : **مشاكل الطب فى الريف المصرى** ، القاهرة ، دار الفكر ، ١٩٥٧ .

١٨٤ — لوبون ، جوستاف : **الآراء والمعتقدات** ، ترجمة محمدعادل زعيتر . القاهرة ، المطبعة العصرية ، ١٩٢٦ .

١٨٥ — ———————— : **حياة الحقائق** ، ترجمة محمد عادل زعيتر ، القاهرة ، المطبعة العصرية ، ١٩٢٦ .

١٨٦ — لين ، ادوارد وليم : **المصريون المحدثون . شمائلهم وعاداتهم** ، ترجمة عدلى طاهر نور ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، دار نشر الجامعات المصرية ،١٩٧٥ .

١٨٧ — ماء العينين ، ابو عبد الله مصطفى محمد فاضل : **مجموع الاوراد الكبير** . القاهرة ، مكتبة الجمهورية المصرية .
والكتيب عبارة عن مجموعة أحزاب وأدعية واستغاثات وصلوات على النبى، من أهمها حزب الدسوقى الكبير والصغير وحزب الرفاعى الكبير والصغير وكذا ورد الطريقة الاحمدية الذى وضعه سيدى احمد بن ادريس الحسنى المغربى . وهى ادعية وتلاوات للترديد الفردى فى مواقف الحياة العصيبة وللحياة اليومية وللمناسبات الخاصة مثل نصف شعبان وعاشوراء وأخرى للترديد الجماعى وللانشاد فى التجمعات الدينية الشعبية .

١٨٨ — مجدى امين : **الاحلام المزعجة** ، الاسكندرية ، منشاة المعارف ، ١٩٦١ .

١٨٩ — مجدى شمس الدين : **السحر فى كتاب الف ليلة وليلة** ، رسالة ماجستير . كلية الآداب — جامعة القاهرة . ١٩٦٠ .

١٩٠ — محاسن عبد العال محمد : **السحر كظاهرة اجتماعية** ، رسالة دبلوم معهد العلوم الاجتماعية بكلية الآداب — جامعة الاسكندرية .

١٩١ — محمد امين الملا يوسف : **الدلالات القاطعات فى الرد على من انكر الكرامات** . الموصل . مطابع الجمهورية ، ١٩٧٦ .

١٩٢ — محمد جلال شرف : **الحلاج ، الثائر الروحى فى الاسلام** . الاسكندرية مؤسسة الثقافة الجامعية ، ١٩٧٠ . ترجمة لعلم من اعلام التصوف الاسلامى تتناول حياته فى منزله وأهم كراماته .

١٩٣ — محمد حسنين مخلوف : **الرسالة الثانية فى حكم التوسل بالانبياء والاولياء عليهم السلام** . القاهرة ، مطبعة المعاضد ، ١٣٤٨ هـ .

١٩٤ — محمد عبد المنعم : **معتقدات قدماء المصريين وآدابهم** . القاهرة ، ١٩٢٥ .

١٩٥ — محمد كامل حسين : **طائفة الاسماعيلية ، تاريخها ونظمها وعقائدها** . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٩ .

١٩٦ — ————— : **طائفة الدروز ، تاريخها وعقائدها** . القاهرة دار المعارف ، ١٩٦٢ .

١٩٧ — محمد محمود الجوهرى : « مصادر التراث الشعبى ، المؤلفات السحرية المنسوبة للبونى » . **مجلة الفنون الشعبية** ، س ٤ ، ع ١٥ ، ديسمبر ١٩٧٠ .

١٩٨ — ————— : « السحر الرسمى والسحر الشعبى » . المجلة الاجتماعية القومية ، م ٧ ، ع ٢ ، مارس ١٩٧٠ .

١٩٩ — محمد خليل عبد الخالق : **الالزام العلاجى الروحى** ، القاهرة ، مطبعة الياس نورى ، ١٩٣٤ .

٢٠٠ — محمد جعفر وانور عادل : **لغة الايدى** ، القاهرة مطبعة الاعتماد ، ١٩٤٠ .

٢٠١ — محمد محمد جعفر : **السر المباح فى تحضير الارواح** ، القاهرة ، دار القاهرة للطبع والنشر ، ١٩٦٠ .

٢٠٢ — ————— : **الاحلام وتفسيرها مع دراسة فى النوم والكابوس** . القاهرة ، دار النهضة العربية ، ١٩٦٤ .

٢٠٣ — ————— : **السحر** ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٦ .

٢٠٤ — ـــــــــــ : **اسرار الكف والكواكب** ، القاهرة مكتبة الوعى العربى ، ١٩٦٧ .

٢٠٥ — محمد محمود زيتون : **القبارى زاهد الاسكندرية** ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٩ .

٢٠٦ — محمود العدوى : **الزيارات بدمشق** ، تحقيق صلاح الدين المنجد ، دمشق . د . ت .

٢٠٧ — مختارات التسابيح للاستعمال فى المؤتمرات الدينية والحفلات الانتعاشية . الطبعة الثانية ، القاهرة ، مطبعة النيل المسيحية ، ١٩٧٢ .

٢٠٨ — مرسو : **بحث فى النذور والحالة الرهبانية** ، ترجمة بطرس الخورى . بيروت ، مطبعة الاجتهاد ، ١٩٢٥ .

٢٠٩ — مرسى عرب : **دراسات فى الشئون الطبية العربية من التراث الطبى العربى الى المشاكل الطبية الحاضرة .** الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٦٦ .

٢١٠ — مريد بنى حنا : **المرض والشفاء من الفراعنة حتى الآن** . القاهرة دار الهلال ، ١٩٦٨ .

٢١١ — مصطفى احمد الرفاعى اللبان : **كرامات الاولياء** ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٥٠ هـ .

٢١٢ — مصطفى البكرى : **من اوراد السحر ، حزب الفرج وورد السحر .** حلب ، جمعية التعليم الشرعى ، ١٩٧٠ .

٢١٣ — مصطفى الخشاب : **دراسة اجتماعية لنظم الضحايا والقرابين .** رسالة دكتوراة — كلية الاداب — جامعة القاهرة ، ١٩٤٨ .

٢١٤ — مصطفى الكيك : **تناسخ الارواح** ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧١ .

٢١٥ — مصطفى فهمى الحكيم : **اسرار الجن** . القاهرة ، المطبعة العصرية ، ١٩٣٥ .

٢١٦ — مهدى الصدر : **اخلاق اهل البيت** . النجف ، مطبعة الآداب ، ١٩٧١ .

٢١٧ — ميخائيل مكس : **الايمان المريض ، دراسة للحسد والحظ والتشاؤم والقدر على ضوء الكتاب المقدس واقوال الآباء القديسين** . القاهرة ، مكتبة التربية الكنيسية ، ١٩٧٠ .

٢١٨ — ناجى المعمورى : « الحيوان فى الفولكلور العراقى » . **مجلة التراث الشعبى** ، مج ١ ، ع ٣ ، اكتوبر ١٩٦٩ .

٢١٩ — ———— : « النذور فى الحلة » . **مجلة التراث الشعبى** ، مج ١ ، ع ١١ ، يونيو ١٩٧٠ .

٢٢٠ — نجيب اسكندر ابراهيم وآخرون : **قيمنا الاجتماعية واثرها فى تكوين الشخصية** . القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦٢ .

٢٢١ — ———— : **التفكير الخرافى ، بحث تجريبى** ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٦٢ .

٢٢٢ — نجيب يوسف ، **الف وصفة ووصفة** ، القاهرة ، مطبعة المحروسة ، ١٨٩٦ .

٢٢٣ — نجيب يوسف بدوى ، **الاحلام النموذجية ودلالاتها التنبئوية** . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٠ .

٢٢٤ — نهاد توفيق : **الجن فى الادب العربى** . رسالة ماجستير ، الجامعة الامريكية ، بيروت ، ١٩٦١ .

٢٢٥ — نيكولسون ، رينولدالن : **فى التصوف الاسلامى وتاريخه** ، ترجمة أبو العلا عفيفى . القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة ، ١٩٦٩ .

٢٢٦ — هنرى رياض : **الاولياء والصالحون والمهدية فى السودان** . بيروت ، دار الثقافة ، د . ت .

٢٢٧ — وليم سرجيوس : **التنويم المغناطيسى ، القاهرة** ، المطبعة المصرية الاهلية الحديثة ، ١٩٣٤ .

٢٢٨ — وليم نظير : **الثروة الحيوانية عند قدماء المصريين** . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٦ .

٢٢٩ — يوسف بدوى : **التفاؤل والتشاؤم** . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٨ .

ثانيا : قائمة المراجع الاجنبية

1) Ahrens; W. ; Studien über die magischen Quadrate der Araber; Islam 8 (1917) und : Die magischen Quadrate al-Bunis; Islam 12 (1922).

2) Albright; William Foxwell : Islam and the religions of ancient Orient. (Journal of the American Oriental Society; 60. Bd. 1955; S. 283. ff).

3) Amelineau; E.; Le Christianisme chez les anciens coptes. (RHR; 14; Bd.; 1886; S. 308 ff.; Bd.; 1887 S. 52 ff.;

4) ——————— ; Du Role des serpents dans les croyances religieuses de l'Egypte - (RHR; 51 Bd.;. 1905; .S. 335 f.).

5) Ajose; G.A.; «Preventive Medicine and superstition in Nigeria»; Africa; 27; 1957; PP. 268-74.

6) Andree; Richard(1) : Votive und Weihegaben; (Braunschweig 1904).

7) Andree; Richard (2) : Einige Bemekungen Uber Votive Und Weihegaben. (Korrespondenzblatt der Deutschen Anthrop. Ges.; Nr; 10; 1905;

8) Apthorpe; R.; Introduction to C. M. N. White; Elements in Luval Beliefs and Rituals; Manchester University Press. 1961.

9) Babinger; Franz; Dil Ortlichkeit der Siebenschlafer legende in muslimischer schau. (Anz. der Phil-hist. Klasse der Osterr. Akademie d. Wissensch.; Jg. 1957. Nr. 6; S. 1-9;.

10 Bachatly; Charles; Notes sur quelques amulettes égyptiennes. (Bulletin de la société royale de gèographie d'Egypte; 17. Bd.; Kairo 1929-1931; S. 49 ff.; S. 183 ff.;

11) ——————— ; Un cas d'envaütement en Egypte. (Bulletin de la société royale de géographie d'Egypte; 17. Bd.; Kairo 1931; S. 177 ff).

12) Baedeker; Karl; Agypten. (Leipzig 1913).

13) Benz; Ernst; Die hl. Hahle in der alten Christenheit. (Eranos Jahrbuch; 22. Bd.; Zurich 1954; S. 365 ff).

14) Blackman; Winifred S. «An ancient Egyptian custom illustrated by a modern survivals». Man; 25:38; May; 1925; PP. 65-67; plates. G.

15) ——————; «Some social and religious customs in modern Egypt; with special reference to survivals from ancient times»; B S G E; 14; 1926; PP. 47-61. plates G.

.16) ——————; «The Karin and Karineh» J R A L; 56; January-June; 1926; PP. 163-69; plate Q.

17) ——————; «The fellahin of Upper Egypt; their religious; social and industrial life today with special reference to survivals from ancient times; London. George G. Harrap; 1927; 331 PP. photographs; drawings; glossary; index. A; G; W;.

18) Blanchard; R. H. «Notes on Egyptian Saints» in : Oric Bates and f. H. sterns (eds.); «Harvard African Studies». Cambridge; 1917; Vol. 1. PP. 182-92.

19) Blau ; L. Magic; in : Jewish Ency. VIII; 255-57.

20) Breton; M. «Paysans au fellah» in : M. Berton; «L'Egypte et la Syrie; ou moeurs; usages; coutumes et monuments des Egyptiens; des Arabes et des syriens; précédé d'un précis historique»; Paris : A. Nepalu; 1814; Vol. 5; PP. 166-201; plates. G.

21) Brunner; Edmund des «Rural Communications; behaviour and attitudes in the Middle East»; Rs; 18 : 2; June; 1953; PP. 149-55. A.

22) Budge; E. A. W.; Amulets and superstitions; London: 1930.

23) Canaan, T.; Arabic magic bowls; Jpos; 16 (1936). PP. 29-127.

24) Chabrol; de ; «Essai sur les moeurs des habitants modernes de l'Egypte» in : «Description de l'Egypte»; 2d ed.; Paris C. L. F. Panckoucke; Vol. 18; 1826; PP. 1-340. A; G: I;

25) Chantre; Ernest.; «Coptes, ethnogénie et ethnographie» and «fellahin; ethnogenie et ethnographie» in : E. Chantre; «Researches anthropologiques dans l'Afrique Orientale Egypt» Lyon. A. Rey; 1904; PP. 152-58 and 168-80; photographs I; N.

26) Clermont; Canneau; Charles : Horus et Saint Georges. (Reveu d' Archeologie; 32. Bd.; 1876; S. 196 ff.; 33. Bd.; 1877. S. 23 ff).

27) Curtiss, Samuel. Ives; Ursemitische Religion im Volksleben des heutigen Orients. (Leipzig 1903).

28) Doutte; E; Magie et religion dans l'Afrique du Nord; Alger 1909.

29) De Becker; A.; The understanding of Dreams and their influence on the History of man; 1968; Hawthorn.

30) Dement; W. «Experimental dream studies» in J. H. Masserman (ed.); Science and psycho-analysis; Vol. 7; Grune of stratton; 1964.

31) Dermenghem, Emile; Vies des Saints Musulmans. (Alger. w. d.).

32) Douglas, M., «Animals in the Religious symbolism»; Africa. 27; 1957; PP. 47-58.

33) E. E. Evans — pritchard; Witchcraft; Oracles and Magic among the Azandes; Oxford. (clarendan press); 1937.

34) Einssler; Lydia : Mar Eljas; el Khadr und Djirdjis. ZDPR; 17. Bd.; 1894; S. 42 ff. 65 ff.).

35) Einstein , J. D.; Names of God in Rabbinical Literature; in : The Jew. Enc. IX; PP. 162-165.

36) Fischer, A.; Vergottlichung und Tabuisierung der Namen Muhammads bei den Muslimen; in : Beitrage Zur Arabistik; semitistik und Islamwissenschaft Hrsg. R. Hartmann und H. Scheel; Leipzig 1944.

37) Fischer; C. «Psycho-analytic implications of recent research on sleep and dreaming : I. Empirical Findings» J. Amer psychoanal. Assn; Vol. 13, PP. 197-270.

38) Foulkes; D. «Dreams of the male child. Four cases studies» J. Child psycho. psychait. Vol. 8; PP. 81-97; 1967.

39) French; I. M.; and Fromm; E.; Dream Interpretation : A new Approach; 1964; Basic books.

40) Friedlander; Israel (1) : Zur Geschichte der Khadr-Legende; ARW; ARW: 13. Bd.; 1910. S. 92 ff.;

41) Friedlander; Israel (2) : Alexanders Zug nach dem Lebensquell und die Khadr-Legende (ARW; 13. Bd.; 1910; S. 161 ff).

42) Friedlander; Israel (3) : Die Khadr-legende und der Alexander-Roman. (Leipzig 1913).

43) Gautier; E. F. : Moeurs et Coutumes des Musulmans. (Paris 1955).

44) Ginsberg; L.; The Legends of the Jews; Philadelphia. The Jewish Publication Society of America; 1938 VII Vols.

45) Goldziher; Ignaz : Le culte de Saints chez les Musulmans. (RHR. 2. Bd.; 1880; S. 257 ff).

46) Goldziher; Ignaz ; Le culté des ancétres et le culté des morts chez les Arabes. (RHR; 10. Bd.; 1884; S. 332 ff).

47) ——————; Aus dem muhammedanischen Heiligenkult in Agypten. (Globus; 71. Bd.; 1894. S. 233 ff).

48) Groff; William; «La Lumière de Ramadan» BIE; ser. 3. No. 9; 1898; PP. 113-18. E.

49) Gunkle; Herman . Agyptische parallelen Zum Alten Testament. ZDMG; 63. Bd.; 1909; S. 531 ff).

50) Hartmann; Richard; Arabisher Bericht Uber des Wunder des hl. Feuers. (PJ; 12. Bd.; 1916. S. 76 ff).

51) ——————; Die Religion des Islam; Eine Einführung; Berlin; 1944.

52) Hasluck; F.W.; Christianity and Islam Under the Sultans (Oxford 1929).

53) Hayes; Herbert E.E. «Serpent Worship and Islam in Egypt». Mw; 8; 1918; PP. 278-81.

54) Heiler; Fr.; Erscheinungsformen und Wesen der Religion; stuttgart 1961.

55) Hornblower; G.D. «Survivals in modern Egypt»; Man; 38 : 136; July; 1938; P. 119.

56) ——————; «Traces of aka belief in modern Egypt and old Arabia» Ic: 1927: PP. 426-30

57) Hornell: Boat processions in Egypt (Man. Nr. 171; 1938).

58) Horten: M.; Die religiose Gedankenwelt des volkes im heutigen Islam; Lieferung I; Halle; 1917. - Lieferung II; Halle; 1918.

59) Kahle; Paul; Zar beschworungen in Agypten (Der Islam; 13 Bd.; 1912; S. 1 ff).

60) Kissling; Hans Joachim; die Wunder der Derwische (ZDMG.; 107. Bd.; 1957; S. 34 8 ff).

61) Klunzinger; C.B.; Upper Egypt; its people and its products; a descriptive account of the manners; customs; superstitions; and occupations of the people of the Nile Valley; the desert; and the Red Sea Coast; with sketches of the natural history and geology;

Tr. from the German; London. Blacki; 1878; XV XV and 408 PP.

62) Kriss Rudolf; St. Georg-al Hadr. (Bayer Jahrbuch für Volkskunde; Munchen 1960)

63) Kriss R. und Kriss-Heinrich; H.; Volksglaube im Bereich des Islam; 2 Bde.; Wiesbaden - 1960 ff.

64) Lane; Edward William; Manners and customs of the modern Egyptians (London 1846).

65) Leeder; S.H. Modern sons of the pharaohs; A study of the manners and customs of the copts of Egypt; London; Hodder and stoughton; 1918; XVI and 355 PP.;

66) Legrain; Georges; Luxor sans les pharaons (Paris 1914).

67. Lewin; Bruno; Der Zer; ein agyptischer Tanz Zur Austreibung boser Geister und seine Beziehungen zu Heiltanz — zeremonien anderer Volker und der Tanzwut des Mittelalters (confinia psychitrica; 1. Bd.; Basel 1958; S. 177 ff).

68) Lexa; f ; La Magie dans l'Egypte Antique; Paris 1925; Vol. II; P. 139.

69) Lincoln; J. S.; The Dream in primitive cultures; Cresset Press; 1935.

70) Littmann; Enno; Kariiner Volksleben (Abh. f. d. Kunde des Morgen Landes; 26. Bd.; 2 Heft; Leipzig 1941 S. 1 ff).

71) ——————; Islamish-arabische Heiligenlieder (AAMZ; 1951; S. 101 ff).

72) ——————; Ahmed El-Bedawi; (AAMZ; 1950; S. 55 ff).

73) Marwick; M.G. «The Social Context of Cewa Witch Beliefs»: Africa; Vol. 22.

74) Massignon; Louis; Les sept dormants; apokalypse et l'islam: (Analecta Ballandiana; 68. Bd: Brussel 1950 ; S. 245 ff).

75) Massignon; Louis; Les Sept Dormants de l'Ephèse ou Islam et en Chrètientè; (Revue des Etudes Islamiques; 22-25. Bd; Paris; 1955-1957.

76) Mazahery; Aly; So belten die Muselmanen im Mittelater (Stuttgart 1957).

77) Mcpherson; J. W. ; The Moulids of Egypt (Cairo 1941).

78) Mesnil; Du; Le lieu du Combate de Saint Georges a Beyrouth. (Mèlangès de l'universite Saint Joseph; 12. Bd.; Beyrouth 1927; S. 249 ff.)

79) Meyerhof; Max; Beitràge Zum Volksheilglauben der heutigen Agypten. (Der Islam; 7. Bd.; 1917; S. 307 ff).

80) Nadel. s.f. «Witchcraft in four African societies»; American Anthropologist; Vol. 54. 1954.

81) ——————; «Malinowski on Magic and Religion»: in : Man and Culture (ed. R. Firth; London; 1957.

82) Nielsen: Ditlaf; Die altsemitische Muttergottin. (ZDMG.: 92 Bd.: 1938; S. 504 ff).

83) N. Mäckensie; Dreams and Dreaming; Aldas Books; 1965.

84) Norden; Friedrich Ludwig; Egypten und Nubien. (Breslau; 779).

85) Padwick; Constance E.; «Notes on the Jinn and the Jhoul in the peasant mind of Lower Egypt; illustrated by transcripts of peasant tales taken from the lips of the fellahin of the Menufia Province; Lower Egypt». Reprint from BSOS; 3; 1923-25; I PP. 421-46.

86) P. P. Ekeh; «Examination dreams in Nigeria : A Sociological Study»; Psychiatry; Vol. 35; 1972; PP. 352-365.

87) Reynolds; B.; «Magic; Divination and Witchcraft among the Barotse of Northern Rhodesia»; London; Berkeley; 1963.

88) Robson; James; Magic Cures in Popular Islam. (Moslem World; 24. Bd.; 1934; S. 33 ff).

89) Rondat; Pierre; Les Chrétiens d'Orient. (Paris 1955).

90) Schimmel; Annemaire; Das Gelübde im Türkischen Volksglauben; (Die Welt des Islams; 6. Bd.; 1959; S. 71. ff).

9-) Schwally; Friedrich; Zur Heiligenverehrung im Modernen Islam. (ARW; 8. Bd.; 1905; S. 85 ff).

92) Sidawy; Elie «Le Cham en Nessim»; RMB; 3:4; May 25; 1923; PP. 301-302

93) Vlaten; Gerolf Von; Damonen; Geister und zauber bei den alten Arabern (WZKM; 7. Bd.; 1893; S. 169 ff.; S. 233 ff. 8. Bd; 1894; S. 59 ff).

94) Vollers; Karl; Chidhr. (ARW; 12. Bd.; 1909; S. 234 ff).

95) Wahlen; Auguste: «Egypte» in : A. Wahlen; «Moeurs; usages; et customès de tous les peuples du monde d'après les documents authentiques et les voyages les plus recents : Afrique-Amerique»; Paris : Isidoro person; 1844; PP. 5-44; illustrated; tables

96) Wallace; A.; «Dreams and Wishes of the Soul : a type of psychoanalytic theory among the seventeenth Century Iroquois»; Amer; Anthropologist: Vol. 60; PP. 234-48. 1958.

97) WATT; H. J.; The Commonsense of Dreams; Clark University Press; 1929.

89) Wellhausen; Julius; Reste arabischen Heidentums. (Berlin 1897).

99) Wensinck; A. J.; Concordance et indices de la tradition musulmane; Leiden; 1936 ff).

100) Westermark; E.; Ritual and Belief in Morocco; London; 1926.

101) ———————— ; «Witch Beliefs and Social Structure»; American Journal of Sociology; Vol. 56; 1951.

102) Woods; R. (ed.); The World of Dreams; Random House; 1947.

103) Zbinden; E; Die Djinn des Islam. Bern; 1953.

104) Zwemer; Samuel M.; The influence of animism on Islam; an account of popular superstitions; New York; : MacMillan; 1920; VIII and 240 PP. Photographs.

105) Zwemer; Samuel M.; Studies in Popular Islam. (London; 1939).

سلسلة علم الاجتماع المعاصر

صدر منهـا :

الكتاب الاول :

ميادين علم الاجتمـاع : اختيـار وترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعليـاء شكرى ومحمود عـوده ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٩ .

الكتاب الثانى :

نظرية علم الاجتمـاع : تأليف نيقـولا تيماشيف ، ترجمة الدكاتـرة محمود عوده ومحمد الجـوهرى ومحمد على محمد والسـيد الحسينى ، دار المعارف ، الطبعة السادسة ، ١٩٨٠ .

الكتاب الثالث :

اساليب الاتصال والتغير الاجتمـاعى : تأليف الدكتور محمود عوده ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

الكتاب الرابع :

تمهيد فى علم الاجتماع : تاليف بوتومور ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعليـاء شكرى ومحمد على محمد والسـيد الحسينى ، دار المعـارف ، القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٨٠ .

الكتاب الخامس :

مجتمع المصـنع دراسة فى علم اجتمـاع التنظيم : تاليف الدكتـور محمد على محمد ، الهيئة العامة للكتاب ، الاسكندرية ، ١٩٧٢ .

الكتاب السادس :

الصفوة والمجتمع : تاليف بوتوموز وترجمة الدكاترة محمـد الجوهرى وعلياء شكرى والسيد الحسينى ومحمد على محمد ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

الكتاب السابع :

الطبقات فى المجتمع الحديث : تاليف بوتومور وترجمة الدكاترة محمـد الجوهرى وعلياء شكرى ومحمد على محمد والسـيد الحسينى ، الطبعـة الثانية ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب الثامن :

علم الاجتماع الفرنسي المعاصر : تأليف الدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .

الكتاب التاسع :

قراءات معاصرة فى علم الاجتماع : للدكاترة علياء شكرى ومحمد على محمد ومحمد الجوهرى ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب العاشر :

دراسات فى التنمية الاجتماعية : تأليف الدكاترة السيد الحسيني ومحمد على محمد وعلياء شكرى ومحمد الجوهرى ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب الحادى عشر :

مشكلات اساسية فى النظرية الاجتماعية : تاليف جون ركس ، ترجمة الدكاترة محمد الجوهرى ومحمد سعيد فرح ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، منشاة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٣ .

الكتاب الثانى عشر :

دراسات فى التغير الاجتماعى : للدكاترة محمد على محمد والسيد الحسيني وعلياء شكرى ومحمد الجوهرى ، دار الكتب الجامعية ، الاسكندرية ، ١٩٧٣ .

الكتاب الثالث عشر :

دراسة علم الاجتماع : اختيار وترجمة الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى ومحمد على محمد والسيد الحسينى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب الرابع عشر :

علم الاجتماع الريفى والحضرى : للدكتور محمد الجوهرى والدكتورة علياء شكرى ، دار المعارف ، ١٩٨٠ .

الكتاب الخامس عشر :

مقدمة فى علم الاجتماع : تاليف اليكس انكلز ، ترجمة وتقديم الدكاترة محمد الجوهرى وعلياء شكرى والسيد الحسينى ومحمد على محمد ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب السادس عشر :

مقدمة فى علم الاجتماع الصناعى : تاليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الثانية ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب السابع عشر :

علم الفولكلور الجزء الاول : تاليف الدكتور محمد الجوهرى ، الطبعة الرابعة . دار المعارف ، ١٩٨١ .

الكتاب الثامن عشر :

النظرية الاجتماعية ودراسة التنظيم : تاليف الدكتور السيد محمد الحسينى ، الطبعة الثالثة ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب التاسع عشر :

مصادر دراسة الفولكلور العربى : اشراف الدكتور محمد الجوهرى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

الكتاب العشرون :

الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية : اشراف الدكتور محمد الجوهرى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

الكتاب الحادى والعشرون :

علم الاجتماع وقضايا التنمية فى العالم الثالث : تاليف الدكتور محمد الجوهرى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٨ .

الكتاب الثانى والعشرون :

علم الفولكلور . الجزء الثانى (دراسة المعتقدات الشعبية) : تاليف الدكتور محمد الجوهرى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب الثالث والعشرون :

بعض ملامح التغير الاجتماعى الثقافى فى الوطن العربى . دراسات ميدانية لثقافة بعض المجتمعات المحلية فى المملكة السعودية : تأليف الدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الاولى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب الرابع والعشرون :

التراث الشعبى المصرى فى المكتبة الاوروبية : تاليف الدكتورة علياء شكرى . دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب الخامس والعشرون :

الاتجاهات المعاصرة فى دراسة الاسرة : تاليف الدكتورة علياء شكرى ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب السادس والعشرون :

دراسات معاصرة فى علم الاجتماع : تاليف الدكتورة علياء شكرى ، دار المعارف ، القاهرة . تحت الطبع . -

الكتاب السابع والعشرون :
عادات الطعام فى الوطن العربى : تاليف الدكتورة عليــاء شكرى ، دار المعارف ، القاهرة ، تحت الطبع .

الكتاب الثامن والعشرون :
الفلاحون والدولة : تاليف الدكتور محمود عوده ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩ .

الكتاب التاسع والعشرون :
تاريخ علم الاجتماع الجزء الاول : تاليف الدكتور محمد على محمــد ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ .

الكتاب الثلاثون :
علم الاجتماع والمنهج العلمى : تاليف الدكتور محمد على محمد ، الطبعة الاولى ، الاسكندرية ، ١٩٧٩ .

الكتاب الحادى والثلاثون :
اصول علم الاجتماع السياسى : تاليف الدكتور محمد على محمــد ، الطبعة الاولى ، الاسكندرية ١٩٨٠ .

الكتاب الثانى والثلاثون :
جماعات الغجر . مع اشارة لغجر مصر والبلاد العربية : تاليف الدكتور نبيل صبحى حنا ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب الثالث والثلاثون :
الانثروبولوجيا : اسس نظرية وتطبيقات عملية : تاليف الدكتور محمــد الجوهرى ، الطبعة الثانية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب الرابع والثلاثون :
علم الاجتماع السياسى . المفاهيم والقضايا : تاليف الدكتور الســيد الحسينى ، الطبعة الاولى ، دار الكتاب للتوزيع ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب الخامس والثلاثون :
علم الاجتماع العســكرى . التحليل السوسيولوجى لنســق السلطة العسكرية ، تاليف الدكتور احمد خضر ، الطبعة الاولى ، دار المعــارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب السادس والثلاثون :
الفكــر الاجتماعى . نظــرة تاريخية عالمية : تاليف هاينزموس ترجمة الدكتور الســيد الحسينى والدكتورة جهينه سلطان العيسى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب السابع والثلاثون :

المدينة . دراسة فى علم الاجتماع الحضرى ، تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب الثامن والثلاثون :

التنمية والتخلف . دراسة تاريخية بنائية ، تأليف الدكتور السيد الحسينى ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٠ .

الكتاب التاسع والثلاثون :

النظرية الاجتماعية المعاصرة . دراسة لعلاقة الانسان بالمجتمع ، تأليف الدكتور على ليله ، الطبعة الاولى ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ .